الاشتراك السنوي
٤٨ ريالاً للأفراد و١٠٠ ريال لغير الأفراد
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ٨ ريـالات

العَرَب

مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل هاتف ٤٠٢٢٩١٥
الرياض. المملكة العربية السعودية

ج١ و٢ س١٦ — رجب وشعبان سنة ١٤٠١هـ أيار – حزيران (مايو/يونيو) ١٩٨١م

من أصداء الذكريات

علماء عرفتهم فقدتهم

— ١ —

يَسْتَعْذِبُ المَرْءُ تَذَكُّرَ الماضِي في بعض الأوقات الَّتي تَعْتَرِيْه فيها حالةٌ من حالات الضَّعْف . فَيُخَيَّلُ إلَيْه أنَّ ماضِيَهُ خَيْرٌ من حاضره . وقد يَصِحُّ هذا التَّخَيُّلُ بَعْضَ الأَحْيَان .

ولكن مما لا مِرْيَةَ فيه أنَّ النفوس تَسْتَرْوِحُ بذكريات الماضي أيًّا كان .

وما سأَقُصّهُ على القارىء هو نوع من ذلك الاسترواح ، لصلتي ببعض من عرفته من العلماء الذين غابوا عن هذا العالم ، فرأيت من الوفاء لهم استعادة بعض جوانب الذكريات المتعلقة بهم ، وهي جوانب لا تُضِيْف جَديداً إلى ما عُرِف عنهم ، فقد أَوْجَزْتُ الحديثَ ، وامتثلت السير على الأثر : «اذكروا محاسن أمواتكم» .

ولهم من آثارهم الباقية وما عرف عنهم من الصّفات الحميدة ما يغني عن الإطراء .

محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ
(١٢٨٢ — ١٣٦٧ هـ)

هو الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب — رحمهم الله — ولد في مدينة الرياض سنة ١٢٨٢ هـ وتلقى العلم عن علمائها ومن أبرزهم أخوه الشيخ عبدالله والشيخ محمد بن محمود .

وتولى قضاء الوشم ، وبعثه الملك عبد العزيز سنة ١٣٣٩ إلى بلاد عسير وغامد وزهران لنشر الدعوة السلفية . وتولى القضاء في الرياض فترة .

وكان جمّاعاً للكتب ، فخلف مكتبة حافلة بالمخطوطات ، تفرقت بعد وفاته . وقد توفي في جمادى الآخرة سنة ١٣٦٧ وترجمه ترجمة مفصلة حفيد أخيه الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ في كتاب «علماء الدعوة» ترجمة وافية .

ولقد عرفته أثناء طلبي العلم في الرياض سنة ١٣٤٧ وتوطدت الصداقة بيني وبين أبنائه عبد الرحمن وعبدالله وابراهيم ، فكنت أزورهم فأجتمع بالشيخ لِمَاماً ، وكان قليل الخروج من بيته ، فكان يأنس بي ، ويحضر بعض المخطوطات لأقرأ عليه فيها . وحينما يستغلق قراءة بعض الكلمات في بعض الرسائل التي يكلف ناسخاً معروفاً في ذلك الوقت هو عبدالله بن إبراهيم الرُّبيعي يطلب مني الشيخ مساعدته في قراءتها ، وكان الربيعي رحمه الله — يسكن في بيت بجوار (رباط الأخوان) الذي أسكن فيه في ذلك الوقت ، وموقعه بقرب الباب الجنوبي لمدينة الرياض .

ثم لَـمَّا سافر إلى مصر للعلاج سنة ١٣٥٧ هـ كنت أُكثر زيارته .

وكان رحمه الله على درجة من طيبة القلب وسماحة النفس والكرم ، حافظاً للقرآن الكريم وأذكر حديثاً جرى بين بَدَوِيَّيْن لْلمُفَاضِلةِ بينه وبين (مُطَوِّع) طالب علم يدعى علي بن سَوْكر ، كان من الْوُعَّاظ ، فوصف أحدهم الشيخ محمداً — رحمه الله — بأنّه في القراءة (مثل الْبرديَّة على الصَّمْد) أي أنه كان جهير الصوت قويّه ، تتابع الكلمات في نطقه بسرعة ، فَيُسْمَعُ صوته كصوت الْبَرَدِ عند تساقُطِهِ بِقُوَّة وسُرْعَةٍ عَلَى الصَّمد — أي


بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد اللطيف إلى جناب عالي الجناب الأخ المحب المكرم الشيخ الفاضل المقدم
محمد الجاسر سلمه الله تعالى وحفظه من غلوائه وجلوائه وبارك في ساعاته وأوقاته آمين
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأزكى وأشرف تحياته ومرضاته ...

... والسلام ... حرر ٢٤ ج ١٣٥٨

(كتاب من الشيخ محمد بن عبد اللطيف)
بخط الربيعي الناسخ المعروف

الأرض الصلبة ــ أما الْمُفَضَّل لابن سَوْكَر فقال عنه : (يا وجه الله على مصحف يتحضّنه ابن زوكر ، ثم يهذّه هذّ ، ما تقول إلّا جفْشرَ (... منتفخ) يقصد الكتاب الذي اعتاد أن يقرأ فيه أثناء وَعظِهْ ــ وكان كتاب «مشكاة المصابيح» في طبعته الهِنْدِيَّة ذات القطع الكامل .

وقد نسخت للشيخ محمد ــ رحمه الله ــ كثيراً من الرسائل المخطوطة من (دار الكتب المصرية) (وهذه إحدى رسائل الشيخ إليّ ، وهي بخط الرّبيعي) .

ــ في ص ٣ ــ

عبد الرحمن الناصر بن سِعْدِي
(١٣٠٧ ــ ١٣٧٦هـ)

ولد في مدينة عُنَيْزَة ، سنة سبع وثلاث مئة وألف ، وتلقّى العلم على علماء بَلدته وقضاتها والوافدين عليها .

وقد بلغ في العلم منزلة بَرَزَ بها على أقرانه من العلماء ، وألّفَ المؤلفات الكثيرة ، (أنظر «العرب» س ٧ ص ٦٩٠) وتلقى عنه العلم كثير من الطلاب .

وبلغ من الشهرة وعلو الذكر ما قَلَّ أن بلغه أحد من أقرانه في زمانه . وحدث بينه وبين بعض العلماء خلاف في بعض المسائل ، والله يتغمد الجميع بواسع مغفرته .

ولقد عرفت الشيخ ــ رحمه الله ــ أول ما عرفته حين أصدرت صحيفة «اليمامة» مجلة في أول أمرها سنة ١٣٧٢هـ فكتبت إليه أطلب منه الكتابة فيها ، فأنعم وبعث بمقالات نُشِرَ بَعضها .

ثم فوجئت بزيارته (مطابع الرياض) التي أنْشَأتُهَا ، وكنت أتولى إدارتها وذلك في شهر ربيع سنة ١٣٧٣ ــ فأدركت أثناء اجتماعي به جانباً مما يتحلّى به من التواضع والبساطة ، وغزارة العلم ، وسماحة النفس ، وقويت الصلة بيني وبينه حتى انتقل إلى الدار الآخرة ، في جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦ في مدينة عُنَيْزة ، إثْر مرض (ضغط الدم) وكان قد أُصيب به في السنوات الأخيرة من حياته ــ رحمه الله ــ

بسم الله الرحمن الرحيم من عنيزة ٢٢ صفر ١٣٧٣ إلى الرياض

حضرة الأخ الفاضل الأستاذ الشيخ حمد الجاسر المحترم

حفظه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بمزيد المسرات تلقيت كتابكم الكريم رقم ١٢/ع وسرني جداً ما ذكرتم له من تأسيس صحيفة اليمامة وهي أول صحيفة قامت في نجد لنشر المعارف المتنوعة والفنون الصحيحة وتثقيف الأخلاق بتغذيتها بالأخلاق الشرعية والآداب الدينية الديمقراطية التي هي أعلى الأخلاق وأرقى الآداب ونشر الأفكار الصحيحة الحرة المهذبة فنهنيكم بهذه المنة العظمى والمنحة الكبرى ونرجو لها التوفيق والتقدم المستمر وأن يجعل الله فيها بركة على هذا الجيل وما بعده وأن تكون مواضيعها تدور على العلوم الدينية والمعارف الشرعية وعلى ما يؤيد ذلك من المعارف الدنيوية والفوائد الأدبية والتاريخ وأصناف الفنون النافعة وأن تكون مقاومة للجهل وفساد الأخلاق وفشو الإلحاد وغيرها من الشرور طلبتم منا حفظكم الله المؤازرة ببعث المقالات التي تناسب الحال فنحن إن شاء الله وقوته نعتمد ذلك ونتحين الفرصة والمناسبات ونشكركم على تذكيرنا بالإرسال [illegible] هذا الأخ [illegible] والأخ الوجيه [illegible] سلام [illegible] جميع المحبين كما منا جميع الأصدقاء [illegible] والله يحفظكم برعايته [illegible]

محبكم عبد الرحمن الناصر

ابن سعدي

(مِثال لكتابة الشيخ ابن سعدي)

بخط يده

محمد بن عبد العزيز بن مانع
(١٣٠٠/١٣٨٥ هـ)

وُلد الشيخ ــ رحمه الله ــ في مدينة عُنَيْزَة ــ من أسرة كريمة المحتد ، تميميَّة النسب ، برَّز عدد من أفرادها بالعلم . ودرس على مشاهير علماء نجد ، وسافر إلى العراق والشام ومصر فازداد علماً ، وألف مؤلفات في مختلف العلوم ، وتولى كثيراً من الأعمال كالقضاء والتدريس وإدارة المعارف ، ورئاسة المحاكم . وتوفي في بيروت في رجب عام ١٣٨٥ إثر جراحة أجريت له لعلاج مرض الغُدَد البولية ــ تغمده الله برحمته ورضوانه .

وقد عرفت الشيخ رحمه الله حين وُكِل إليه الإشراف على تدريس العلوم الدينية في مكة المكرمة ، وكنت إذ ذاك أتولى تدريس الفقه والتوحيد في مدرستي (المعهد) و(تحضير البعثات) .

فحدث بيننا ما يحدث بين المتعاصرين ، وإن لم أُقاربْ شأوه بالعلم والمنزلة .

ثم عُيِّنْتُ سنة ١٣٦٧ مديراً للتعليم في نجد ، بمشورة الشيخ محمد بن إبراهيم ــ رحمه الله ــ وكان الشيخ ابن مانع مديراً عاماً للمعارف ، ولم يؤخذ رأيه في ذلك ، فحدث بيني وبينه من الخلاف ما كنت أتغلّب عليه بسبب قربي من ولاة الأمور ، وما كان أحدنا يحمل للآخر إلا كُلَّ خير حتى انتقل إلى الدار الآخرة .

وقد عاد الصفاء بيننا بعد انتقاله إلى قطر في آخر حياته ، حتى انتقل إلى الدار الآخرة .

وإن بيني وبين أبنائه ــ وخاصة الأستاذ الجليل أحمد ــ من التصافي والتآخي والمحبَّة ما أزال كل أثر في نفسي لوالدهم ، تغمده الله برضوانه .

محمد بن عبد العزيز المانع
قطر

العنوان البرقي (ابن مانع)
الدوحة
التاريخ ١٢/٢/١٣٨٤

جناب العالم الفاضل الاستاذ الشيخ حمد الجاسر حفظه الله تعالى
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد وصل الي كتابكم فسر خاطري
الشريف خطابكم ومطلوبكم الجزء الرابع من العصامي فقد بعثت
الى جنابكم بنسخة كاملة اربعة اجزاء بواسطة الشيخ ابراهيم بن معمر
بالاحساء واما الكتب الاخرى التي لمحمد احمد عيسى فسأحفظها
لكتابكم الرجوع مدير المكتبة العامة من السفر الشيخ عبد البديع
ونسعى با حبذا للازم بعدما الزم وسلامي على العزيز لديكم
ومن لدينا يسلمون والسلام محبكم محمد بن عبد العزيز
ابن مانع

اعتمدوا انا مشتركون بجريدة اليمامة

(مثال لخط الشيخ محمد بن مانع)

عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
(١٣٩٢/١٣١٩ هـ)

ولد الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني في قرية البير إحدى قرى الْمِحْمَل ، التي تبعد عن الرياض نحو مئة كيل .

واشتغل بالفلاحة ، ثم اتجه لطلب العلم ، ولازم الشيخ عبدالله بن عبد العزيز العنقري ، فكان من أخصِّ تلاميذه ، واتجه في أول اشتغاله بطلب العلم لتدوين تاريخ لبلاد نجد ، ثم انصرف عن ذلك ، ويقال : إن سبب انصرافه ذكره لأنساب بعض الأسر المعروفة بحيث أثار حفيظة تلك الأسرة . وقد اطلعت على كتابه ، واستفدت منه ، ووصفته في مجلة « العرب » س ٥ ص ٩٧٩ ــ

وانصرف للتأليف في الحديث والفقه ، وجمع رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية في ٣٤ جزءاً .

وقد عرفت الشيخ عبد الرحمن حين عُيِّن مُشْرِفاً على ما يطبع في (مطبعة أم القرى) سنة ١٣٥٣ وما بعدها . وقد قام بطبع ما جمعه من رسائل علماء نجد ، وطبع غيرها .

وكان يستعين بي في تصحيح تجارب الطبع (البروفات) ويَكِلُ إليَّ عمله حين يَغيب .

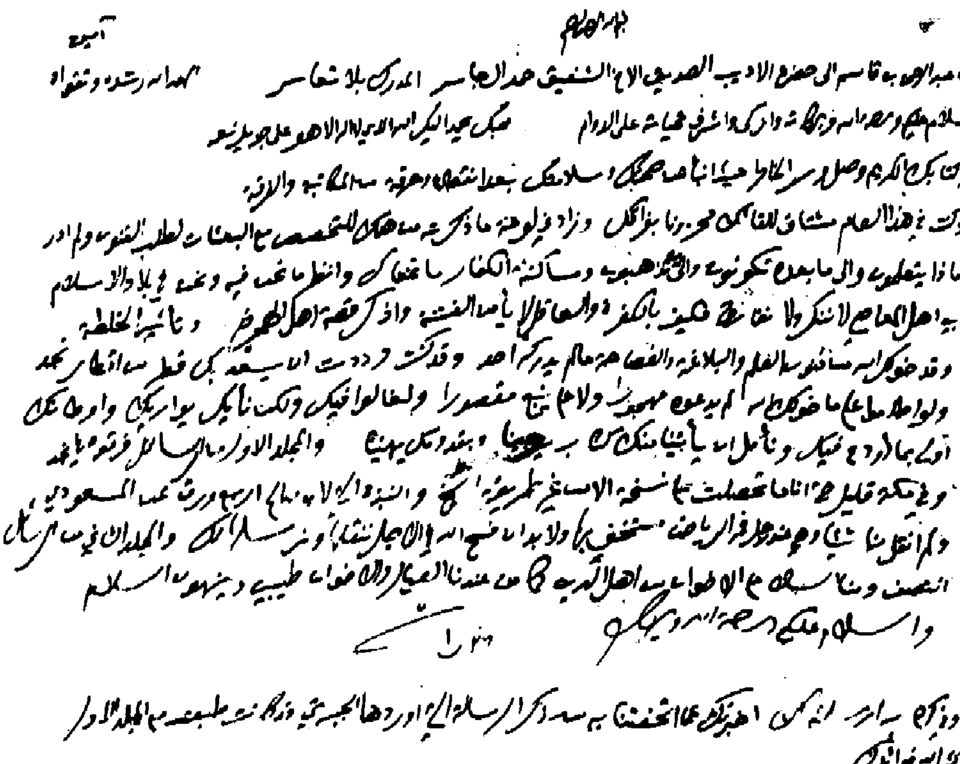
وكان ــ رحمه الله ــ من أرَقِّ من عرفت من العلماء نَفساً ، وألطفهم خُلُقاً ، وأسخاهم يداً .

وقد توطدت الصداقة بيننا ، فكان يتعاهدني بالصِلة ــ بعد أن انفرد في مزرعته في وادي (العَمَّارية) فيبعث إليَّ من بواكير الرطب والفاكهة في الوقت الذي كنت فيه مَجْفُواً من عامّة الناس بعد فصلي من إدارة كليتي (العلوم الشرعية) و(اللغة العربية) .

وقد أصيب ــ رحمه الله ــ في آخر حياته ــ بألم في رأسه من جرَّاء صدمة سيارة أصيب بها سنة ١٣٤٩ ــ فأثر في الدورة الدموية في الرأس وتوفي في شعبان سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة وألف .

وهذه إحدى رسائله إلي (بتاريخ ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٦٥ وأنا في مدينة ينبع) .

يتحدث فيها عن عدم رغبته في ذهابي إلى مصر ، ويتمنى لو نقلت من (ينبع) إلى أحد أقطار (نجد) ويذكر بعض الكتب ، ومنها نبذة ذكر لي انها تحوي معلومات عن بعض المواضع في نجد لابن عيسى — ابراهيم بن صالح — يقول : إنه نقلها عن المسعودي ، وأنها موجودة عنده .



بسم الله

من عبد الرحمن بن قاسم الى حضرة الاديب الصديق الاخ الشيخ حمد الجاسر [illegible] هداه الله رشده وتقواه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته [illegible] على الدوام [illegible] الله الذي لا اله الا هو على جزيل نعمه

وكتابكم الكريم وصل وسر الخاطر [illegible]

[illegible]

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(كتاب من الشيخ عبد الرحمن بن قاسم)

— بخط يده —

خير الدين الزركلي
(١٣١٠ — ١٣٩٦هـ)

تحدَّثتُ عن الزركلي — رحمه الله — في « العرب » س ١١ ص ٦٢٩ — وكنت عرفته عام ١٣٥٧ حين كنت في مصر ، عند التحاقي بكلية الآداب ، وكان مستشاراً في (المفوضية) وما كنت في ذلك الوقت أرتاح إليه لأنني في إحدى زياراتي له شاهدت منه من الجفاء ما صرفني عن تكرار الزيارة . حتى كان عام ١٣٧٦ — حيث اتصل بي الشيخ يوسف ياسين بواسطة الهاتف ، وكنت أتولى إدارة (مطابع الرياض) وهي تطبع بعض الكتب على نفقة الملك سعود — رحمه الله — بإشراف يوسف ياسين — اتصل بي ودعاني للغداء في بيته ، وهي الدعوة الأولى والأخيرة ، فاستوضحت عن الغاية من ذلك ، فقال : إنني دعوت صديقاً لك فشرط حضورك وأنه يحمل لك كتاباً مخطوطاً مصوراً ، وكنت طلبت من الشيخ يوسف الفوزان تصوير مخطوطة « نوادر الهجري » من إحدى مكتبات الهند ، فظننت أنه هو الكتاب .

وحين حضرت إلى بيت الشيخ يوسف وجدت الأستاذ الزركليّ ، وكان يكاتبني قبل ذلك ، فوجدته — هذه المرة — خلاف ما توهمت عنه من الجفاء ، فكان أن قويت الصلة بيني وبينه حتى توفي — رحمه الله — وكنا أثناء إقامتي في بيروت نتزاور ، وقد عرض عليّ جانباً كبيراً من كتابه « شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز » قبل طبعه .

وقد وصفت في « العرب » بعض نوادر المخطوطات في مكتبته .

ولو لم يكن للأستاذ الزركلي سوى كتابة « الأعلام » الذي جمع فيه خلاصة تراجم مشاهير الأمة والعلماء الذين عُنُوا بتراثها — لكفاه مأثرةً باقية ولكن مما يحزُّ في النفس أن الرجل انتقل إلى رحمة الله — قبل إضافة كل ما استدركه من التراجم ، ودعاه « الإعلام بِمَنْ لَيْس في الأعلام » وقد شرع في وضع تلك التراجم مَحلَّها من الكتاب ، فعاجلته المنية قبل إكماله ، ولهذا وقع في المطبوعة التي نشرت بعد وفاته خَلَلٌ سبب سقوط بعض التراجم من أصل الكتاب .

القاهرة ١٠ يناير ١٩٥٤

أخي الأستاذ الجاسر

تحيات . تصلني أعداد اليمامة إلا العدد الثاني منها فلم أره . وحتى إذا ذكرت لك ما جال في خلدي حين رأيت الجزء الثالث ثم الرابع ، فالرابع مع الخصوص خالٍ مما يُنتظر أن تكتب فيه أنت ، من دراسة لكتاب أو نقد أو تعقيب ، أما الأخبار والمقالات في الشؤون العامة فلا يكتفي بها من يقرأ مجلة « اليمامة » التي أرجو أن تسد مسد « لغة العرب » التي كان يصدرها الأستاذ الكرملي . وقد يكون عذرك توالي الموازين ، وهذا صحيح إلا أنه لا يعفيك من كتابة فصل في نصف صفحة أو أقل أو أكثر ، في كل عدد ، ولو وصفاً لإحدى المكتبات الخاصة في الرياض أو حديثاً عن جولة لك حول الرياض ، وليس في هذا ما يجشمك كبير عناء . ولكن فيه لقراء مجلتك بعض الغناء .

تتجه همة بعض الأصدقاء الألمانيين إلى تجميع أجزاء الإكليل لابن الـــــ... في طبعها ، وقد أخبرتهم بالجزء الأول الذي كنت بعثت إليّ بفهرسته ، وأخبرتهم بالجزأين الأول والثاني المطبوعين معاً بالتصوير في برلين ، وأرجو أن تذكر لي عنوان المكتبة التي يطلب منها هذان الجزآن ، ولك الفضل .

(بقية الكتاب ص ١٢)

وأخبرني الأخ خالد الفرج بأن ما يباع في الرياض من تاريخ
ابن غنام " طبعة الشنقيطي، في جزأين، و"تاريخ ابراهيم بن
عيسى" يطلب من عبد الله الحاتم في الرياض. فإن كان هذا
صحيحاً فأرجو أن تأخذ قيمتها من الأخ الشيخ يوسف ياسين وتتكرم
بشرائها وتسليمها للأخ السيد رشدي ملحس ليتفضل بإرسالها
إليّ، بعد أن تتفضل بإبلاغه تحياتي

أرجو أن تكون راضياً عن قصيدتي في رثاء فقيدنا العظيم،
وقد رأيت في بعض الصحف التي نشرتها كثيراً من الغلطات المطبعية، وعندي
نسخة أظنها صحيحة كما نشرتها جريدة "القاهرة"، تجدها مع هذه
الكلمة لتجعلها بين أوراقك إن أردت.

وتحية طيبة، والله يرعاكم

خير الدين الزركلي

(نموذج خط الأستاذ الزركلي)

عبد العزيز الْمَيْمَنيّ
(١٣٠٦/١٣٩٨)

عرفت الشيخ الميمني — رحمه الله — من خلال ما نشر من الكتب الأدبية الكثيرة ، وأُعجِبْتُ بغزارة علمه ، وسعة اطلاعه على نوادر المخطوطات ، ودأبه للبحث والتنقيب عنها .

ثم لما نشر الأستاذ محمد عبد السلام هارون رسالة عرَّام بن الأصبغ عن «جبال تهامة وسكانها» أخذت عليه — فيما أخذت — عدم إشارته إلى أن الشيخ الميمني سبقه في نشرها ، مع أنه استفاد من تعليقاته عليها وذلك في مقال نشر في «مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق» المجلد الثامن والعشرين ص ٥٩٣ وما بعدها .

ولما حجّ سنة ١٣٧٦ — كتبت كلمة في جريدة «اليمامة» (ع٨٧ تاريخ ٩ ذي الحجة سنة ١٣٧٦) مشيراً إلى ما يبذله من جُهْدٍ في سبيل التراث ، كما نشرت كلمة للملحق الثقافي في (السفارة الباكستانية) في الموضوع .

ونشرت في «العرب» س٨ ص ٣٩٢ — كلمة مفصلة عنه ، تحية له بمناسبة بلوغه التسعين من عمره ، تحدثت فيها عن اجتماعي به في (كراتشي) سنة ١٣٨١ هـ .

ومنذ سنتين طلب مني (المجمع العلمي الهندي) — كتابة كلمة تنشر في مجلة المجمع ، في عدد خاصٌ عن الميمني ، فأجبت الطلب . والاستاذ الميمني من أعضاء (المجمع العلمي العربي) بدمشق ، وقد نشرت مجلة هذا المجمع له كثيراً من البحوث في وصف المخطوطات ، وفي الاستدراكات على بعض ما ينشر منها .

وقد كتب عنه الدكتور شاكر الفحَّام — وزير التعليم العالي في سورية — في مجلة المجمع المذكور — المجلد الـ٥٤ ص ٢٣٦ وما بعدها — ترجمة مفصلة وقد توفي — رحمه الله — في ذي القعدة سنة ١٣٩٨ (١٩٧٨/١٠/٢٧م) .

EMBASSY OF PAKISTAN
JEDDA

سيدي الفاضل الجليل الأستاذ العلامة حمد الجاسر حفظه الله
تحية وسلاماً زاكيا
طالعت ما نشرتموه بشأن دواوينكم في اليمامة وكنت مقصراً في
الاعتراف بمنتكم على قرّاء مجلة المجمع العلمي بدمشق بعد
إسهامكم بالتهامة تفضلوا بمشاركة وثناء عاطراً
وقد أخذت من صديقنا ضياء الحسن الموسوي هذا الجزء
فبقيت كلمة فارغة وأرجو سيدي أن تعوضه بنسختين
من جزء اليمامة هذا ولحسابه منه مع نسخة أخرى مضافة
إلى منّته المتواصلة ودمتم للعلم

عبد العزيز الميمني جدة ١٧/١٢/٧٦هـ

تقبلوا سلامي وفائق احترامي
ضياء الحسن الموسوي
(لـ "نور الحسن الموسوي")

أبو الأعلى المودودي
(١٣٢١ — ١٣٩٩ هـ)

الداعية الإسلامي المعروف . ولد في مدينة (أورنك) آباد الدكن في ولاية حيدر آباد في الهند في ٢٥ شهر سبتمبر سنة ١٩٠٣ م من أسرة تنتسب إلى الشيخ قطب الدين مودود جشتي ، مؤسس الطريقة الجشتية في الهند .

وتلقّى التعليم في بيت أبيه حتى الحادية عشرة من عمره ، ثم دخل المدرسة حتى أكمل الدراسة الثانوية ، حيث أصيب والده بالشلل فانصرف إلى خدمته .

ثم لما توفي أبوه — وعمره لم يتجاوز السادسة عشرة — انصرف للعمل وراء الرزق ، ولكن ذلك لم يصرفه عن مواصلة الاستزادة من العلم بالقراءة والكتابة . حتى بلغ ما بلغ من المكانة السامية بين علماء عصره .

وقد توفي — رحمه الله — في مدينة (نيويرك) في الولايات المتحدة في شهر شوال سنة ١٣٩٩ (سبتمبر سنة ١٩٧٩) بداء النقرس الذي أثر في كليتيه فأحدث تَسَمُّماً في الدم .

والحديث عن أعمال الشيخ المودودي ، وعن آثار تلك الأعمال ، وعن جهاده في سبيل نشر الإسلام ، وعن آرائه في قضايا العالم الإسلامي التي أوضحها في مؤلفاته الكثيرة قد أُلّفت فيها المؤلفات .

وقد عرفت الشيخ المودودي أوّل ما عرفته بما طالعت من رسائله التي كانت تُعَرَّبُ ثم تنشر في مختلفة الأقطار الإسلامية .

ثم في شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٧٩ (يناير ١٩٦٠ م) قدم إلى مدينة الرياض ، فأكرمني بزيارتي في بيتي — وقال لي : إنّه يُعْنَى بدراسة الآثار الإسلامية ، وأنه عرف عني ما دفعه للاتصال بي .

ثم استمرّ يكرر زيارتي أيّاماً . ثم سافر بعد ذلك فكان يواصلني بالكتابة . ولما زرت (باكستان) سنة ١٣٨١ — واجتمعت به أخبرني أنه ألّف كتاباً عن الآثار

(البقية ص ١٧)

أبو الأعلى المودودي

[illegible]

Ichhra - Lahore - Pakistan

بسم الله الرحمن الرحيم

بتاريخ ٧ / ٨ / ١٣٧٩هـ
٦ / ٣ / ١٩٦٠م

حضرة الاخ الكريم الاستاذ الجليل العلامة المحقق حمد الجاسر الموقر

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته . وبعد ، فنرجو ان تكونوا بكل خير وعافية ولقد كتبنا اليكم رسالة من دمشق بعد رجوعنا اليها من القاهرة عسى ان تكون قد وصلت اليكم وعسى ان تكون قد وصلت اليكم ايضا نسخة من كتاب " في ارض مدين " (الجهاد اسلامي) كنا ارسلناها اليكم من القاهرة . عسى أن تتكرموا بافادتنا بوصول هذا الكتاب اليكم .

كما رجعنا الى باكستان في اوائل الشهر الماضي ، الا ان بعض اشغالنا حالت دون القيام بواجب الكتابة اليكم حتى الآن ونرجو على ذلك منكم العفو والمعذرة . وان قلوبنا مفعمة بعواطف الشكر والامتنان على ما لقينا منكم اثناء اقامتنا بالرياض من الحفاوة و الاكرام ونعد من اسعد ايام حياتنا تلك الايام التي قضيناها في الرياض بصحبتكم و استفدنا فيها بعلمكم الغزير ومكتبتكم القيمة الذاخرة ، والله تعالى نسأل أن يجزيكم عنا وعن الاسلام خير الجزاء واحسنه . ومن نيتي الآن أن اشرع في كتابة كتاب مستقل عن الآثار والاماكن التاريخية التي رأيناها في هذه الرحلة وعسى ان لا يكون موعد صدور هذا الكتاب باللغة العربية بعيدا وعندئذ سنرسل اليكم بنسخة منه ان شاء الله .

هذا ، ومن هنا يقرأ السلام عليكم الاستاذ غلام محمد والاخ محمد عاصم الحداد — رفيقاي في السفر — وسائر من عندنا هنا من اخواننا وزملائنا .

وفي الختام تقبلوا منا فائق التحيات و الاحترامات ادامكم الله ذخرا للاسلام و المسلمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، اولا وآخرا .

اخوكم

ابو الاعلى المودودي

استاذنا الجليل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
لا نزال منتظرين [illegible] رسالة "اليمامة" [illegible]
[illegible]
فاذا لم [illegible] ارسالها الينا [illegible]
[illegible] محمد عاصم الحداد

زيد الخيل "الخير"

مع معاصريه

إذا[١] استعرضنا ترجمة زيد الخير ، نجده قد عاش حياةً خصبة ، حافلة بالفروسية والكرم ، والحلم والعفو .. وتتجلَّى هذه الصفات وأمثالها من خلال علاقاته بمعاصريه .. الذين حفظ لنا التاريخ شيئاً من أخباره معهم .. من مشاهير الرجال أو النساء .. ولمن شاء من القراء أن يلقي نظرة ، ولو خاطفة ، على ترجمته في «الأغاني» .. ليعرف أخباره مع بعض مشاهير عصره من أمثال : كعب بن زُهير ، وأخيه بُجَيْر .. ومع حاتم الطائيّ .. وعامر بن الطُّفيل .. وعامر بن مالك .. وطُفَيل الغَنَويّ ، والحُطَيْئة وقيس بن عاصم المِنْقريّ .. وسلامة بن جَنْدَلٍ ومَاوية بنت حُجْر بن النُّعمان .. وغير هؤلاء .. وقد مرّ بنا في قصة وفادته . ذكر صَحبه من وَفْد طيء ومَنْ اتَّصل بهم من الرجال خِلال رحلة وفَادته ..

مع بُجَيْر وكعب ابني زُهَير :

بُجَيْر وكعب شاعران ، أبوهما الشاعر الجاهلي الشهير (زُهَيْر بن أبي سُلْمَى) صاحب المعلقة المشهورة :

أمِنْ أُمِّ أوْفَى دِمْـنةٌ لَـمْ تَـكَلَّمِ

← الإسلامية ، باللغة الانجليزية ، وذكرني في مقدمته ، ولا أدري هل طبع كتابه هذا أم لم يطبع .

وأذكر أنني ذاكرته في استعمال كلمة (الأعلى) ولكنه — رحمه الله — لم يقنع برأيي ، واكتفى بأن ابتسم وقال (أنت دقيق الملاحظة ، ومعاني الكلمات نسبيّة) ولم أرِدْ إحراجه بإطالة الحديث ، مع أنني لم يتضح لي معنى كلامه .

الريـاض : حمد الجاسر

وهما من أُسرة تَتوارَثُ الشِّعْر .

وكعب هو صاحب قصيدة (بانَت سعاد) التي مَدَح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعفَا عما سلف من عِدَائِه للإسلام ، وأجازَهُ بِبُردته .. في قصة معروفة مُستفيضَةٍ ..

لِهَذَين الشاعرين ، أعني بُجَيْراً وكعباً أخبارٌ مع زيد الخيل .. وقد تَختلفُ رواياتُ هذه الأخبار ، ولكنها تدلُّ على اتّصال أمرهما به ، وتتفِقُ على ما قيل في هذه الأخبار من أشعار .

تقول إحدى الروايات : إنَّ بُجَير بن زهير ، والحُطَيْئَة مع رجل من بني بَدْرٍ الفزاريّين ، خرجوا يَقْتَنِصُون الوحش ، وهم عُزْلٌ لا سلاح لهم ، فلقيهم زَيْدُ الخَيل ، بنُ مهلهل الطائي في عدة ، فأخذهم وخلّى سبيلَ الحُطَيْئة لفاقته وفقره ، وافتدى بُجَير نَفْسَهُ بفرس كُمَيْتٍ ، وافتدى البَدْرِيُّ نفسه بمئَةٍ من الإبل[٢] ، وبلغ الخبر كعبا ، وهو كما مَرَّ بنا أخو بُجَير ، وكان نازلاً في بني مِلْقَطٍ ، فادَّعَى أنَّ الفرس له ، وقال شعراً يُحَرِّضُ بني مِلْقط ، على أخذ الكُميت من زيد[٣] .

وتقول رواية أخرى[٤] : إن بُجَيراً خرج مع غِلمةٍ يجتنون جنى الأرض ، فانطلق الغِلْمة وتركوا بُجَيراً ، فمرَّ به زيد الخيل فأخذه ، ودار طَيِّءٍ مُجاورةٌ لدور بني عبدالله بن غطفان ، فسأل الغلامَ : من أنْتَ ؟ قال : أنا بُجَيرٌ بن زهير ، فحمله على ناقة وأرسل به إلى أبيه ، فلما أتى الغلام أباه أخبره أنَّ زيداً أخذه ، ثم خَلاَّهُ وحمله وكان لكعب بن زهير فرس من جياد خيل العرب ، وكان كعب جسيماً ، وكان زيد الخيل من أعظم الناس وأجسمهم ، وكان لا يركب دَابَّةً إلاَّ أصابت إبهامُهُ الأرض ، فقال زهير : ما أدري ما أُثيبُ به زيداً إلا فرس كَعْب (أي إنه فرسٌ فارهٌ يليق بجسامة زيد) فأرسل به إليه ، وكعب غائب ، فلما جاء كعبٌ سأل عن الفرس ، فقيل له : قد أرسل به أبوك إلى زيد ، فقال كعب لأبيه : كأنَّك أردتَ أنْ تُقَوِّي زَيداً على قِتال غَطَفَان ؟! فقال له زهير : هذه إبلي فَخُذ منها عن فرسك ما شِئْت ، وكان بين بني زُهير ، وبين بني مِلْقطٍ الطائيين إخاءٌ ، وكان عمرو بن مِلْقَطٍ وفَّاداً إلى الملوك ، وهو الذي أصاب بني تميم ، مع

عمرو بن هِنْدٍ ، يوم أوارة[٥] ، فسأله فيهم فأطلقهم له ، فقال كعب شِعْراً ، يريد أن يلقي بين بني مِلْقط ، وبين رهط زَيد الخيل شَرّاً ، فعرف زُهير حين سمع الشعر ما أراد به ، وعرف ذلك زيد الخيل ، وبنو مِلْقط ، فأرسلت إليه بنو مِلْقط بفرس نحو فرسه ، وكانَتْ عند كعب ، امرأةٌ من غطفان ، لها شرفٌ وحَسَبٌ ، فقالت له : أما استحييت من أبيك لشرفه وسنّه ، أن تُؤَنِّبه[٦] في هبته عن أخيك .. ولامَتْهُ ، وكان قبل ذلك قد نزل بكعب ضيفانٌ ، فنحر لهم بكراً كان لامراته (التي لامته) فقال لها : ما تلوميني إلا لمكان بَكْرِك الذي نَحَرْتُ لضيوفي ، فلك به بَكْرانِ ، وكان زهير كثير المال ، وكان كعب مجدوداً . فقال كعب :

ألا بَكَرَتْ عِرْسِي بليلٍ تَلُومُني   وأكثر أحْلام النِّساء إلى الرَّدى

وذكر في قصيدته زيداً ، فقال زهير لابنه ، هجوت رجُلاً غير مفحمٍ ، وإنّه خَلِيْقٌ أن يظهر عليك ..

فأجابه زيد بقصيدة...

أما قصيدة كعب ، فقد بدأها يُقَرِّعُ زوجَتَهُ على موقفها منه .. حتى إذا فرغ من ذلك ، انطلق يُوجِّهُ القول الى بني مِلْقَطٍ ، الذي كان نزيلاً لديهم ، يُحَرِّضهم على زيد الخيل وقومه ، وفي هذا المعنى يقول :

فَيَا راكباً ، إمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ   بني مِلْقطٍ عنِّي ، إذا قيل : مَن عنى؟
فَمَا خِلْتُكُم يا قوم ، كنتم اذِلَّة   وما خلتكم كنتم لِمُختلسٍ جَنَى !
لقد كنتُم بالسهل والحزن حَيَّة   اذا لدغَتْ ، لم تشفِ لَدْغَتَها الرُّقى
فإنْ تَغْضَبُوا .. أو تُدركوا لِي بذمةٍ   لعمركم فَمِثْلُ سَعيكمُ .. كفى

فإذا بلغ هذه الإثارة .. مَضى يقصّ قصة فرسه مع زيد الخيل :

لَقَدْ نَالَ زَيدُ الخيل مالَ أخيكم
وأصبح زيدٌ — بعد فقر — قد اقتنى[٧]
وان الكُمَيت ، عند زيد ذمامةٌ
وما بالكُميت من خفاء لمن رأى

يـبين لأفـيـال الـرجـال ومـثـلُـهُ
يبين، إذا ما قِيْدَ في الخيل أو جَرَى[٨]

ويبدو من جواب زيد الخيل، انه استهول أن يكون كُلُّ هذا الغضب والاثارة، من أجل جواد عجوز، لا يقوى على النهوض فَضْلاً عن الجري، يُقام له هذا المأتم، كل عام، وكأنهم فقدوا عظيماً من رجالهم، ومن أجله يُحَرِّضون زعماء القبيلة ليغيروا عليه أو على إبله لينهبوها .. وليس الامر بهذا اليُسْر، فإنَّ وراءها رجالاً شُجْعاناً فوارس، يصيبون المقاتل، في الأَبْهَر والكُلَى .. لكني — في واقع الأمر — لا أُحِبُّ أن أكدّر نعْمَةَ زهير، ولا صَنِيْعَهُ، وإلا .. لشاتَمْتُ كَعباً طوال عمري . أما قولك يا كعب : قد انبعَثَتْ عرسي بلَيْلٍ تلومني .. الخ .. فاعلم ان عطاء الله عليَّ كثير .. فانّني أتموَّلُ من كل غارة .. فإني شُجاع .. أُقْدِمُ إذا أخَذَت الرَّعْدَةُ الجُبَناء ..

أفي كُـلّ عـام، مَـأْتَـمٌ تَـجْـمعونَهُ
على مُـخْـمِـرٍ نَوَّيتمـوُهُ وما رَضـي[٩]
تُـحـدُّون خمشاً، بعد خمش كأنـه
على فاجـع من خير قـومكـم نَعَى[١٠]
تُحَضِّضُ (جَـبَّـاراً) عَـلَـيَّ ورهـطـه
وَمَا صِرمِتي فيْـهم لأولِ مَنْ سَعَى[١١]
تَـرعَّى بِـأَذْنـابِ الشِّـعَـاب، ودونها
رِجَالٌ.. يَصُدُّونَ الظلوم عن الهَوَى[١٢]
ويـركب، يوم الـروع فيهـا فوارسٌ
يـردّون طعنا في الأبـاهـر والكُـلَى[١٣]
فـلولا زهير.. إن أُكـدّر نِـعْـمـةً
لقاذَعْتُ كَعباً ما بَقِيْتُ وما بَقَى[١٤]
قـد انْـبـعَـثَـتْ عِـرْسي بـليـل تَلومني
وأقْـرَبُ أحْلاَمَ الـنِّسـاء إلى الـرَّدى[١٥]

تَقُول: أرى زيداً، وقد كان مُقْتِراً
أراهُ لعمري قد تَمَوَّلَ واقتني

وَذَاك عطاءُ الله من كل غَارة
مُشَمَّرةٍ يوماً إذا قَلَّص الخُصَى

وهناك رواية ثالثة ؛ تتَّصل بقصته مع عامر بن الطُّفيل ، فقد أغار هذا الأخير على بني فزارة ، واستاق نعماً لهم .. فاستعانوا بزيد الخيل ؛ الذي أدرك عامراً .. فتقاتلا .. واستسلم عامر .. فَجَزَّ زيد ناصيته (نكالاً له) وأخذ رمحه .. وردَّ النَّعَمَ الى بني بَدْرٍ الفزاريين .

وعندما عاد عامر إلى قومه .. عَزلوه عن رئاستهم ، وجعلوا علقمة بن عُلاثَة رئيساً لهم ، وخرجوا ومعهم الحطيئة وكعب بن زُهير .. وأرسل عامرٌ الى زَيد الخيل من يُخْبِرُهُ بخروجهم ، فجمع زيد قومه ، وتلاقوا بالمضيق ، فقاتلهم زيدٌ ، فأسر الحُطيئة وكعب بن زهير وقوماً منهم ، فحبسهم ، فلما طال عليهم الأمر ، وطلبوا الفداء ، جعل أمرهم الى عامر بن الطفيل (ليَرُدَّ له اعتباره بين قومه) إلا الحطيئة وكعباً .. فأعطاه كعبٌ فرسه الكُميت .. ولم يكن لدى الحُطَيئة ما يفدي به نفسه فتركه زيد .

ومن هذه الرواية نعلم أن كعباً هو نفسه الذي افتدى من الأسر بفرسه الكميت .. ولكن هذه الرواية لا تنسجم كثيراً مع نقمة اللوم والتَّقريع اللتين تبدوان في قصيدة كعب .. ولو أنه هو الذي افتدى نفسه بفرسه ذاك لما أظهر كُلَّ هذا الجزع واللوم .. وإنَّني لأميل الى رواية تَصَرُّف أبيه زُهير في فداائه أو فداء أخيه بُجَيْر ، بذلك الفرس الفاره ، فقد اختار لزيد ما يجعله يَسْخو بفكاك ابنه . أيا كان منهما .. فهو يعلم أن زيداً يُحبُّ الخيل . كما يعلم أنه جسيم طويل ، لا يصلح له إلا فرس فاره .. فكان الكميت ..

مع الحطيئة :

وقصة الحطيئة مع زيد الخيل ، تتلازم مع قصته مع بُجير وكعب ابني زهير بن أبي سُلْمَى على النَّحو الذي سبق أن سَرَدْتُهُ .. إلا أنَّ موقف زيد الخيل منهُ مُختلف ..

فالحطيئة شاعر فقير.. ولا مطمح من ورائه .. إلا الرغبة في شعره ، أو اتّقاء لسانه المُقذع .

وقد آثر زيد الخيل ، بحصافته أن يشتري حَمْدَه .

ويبدو من الروايات المختلفة ، أنّ لزيد الخيل أكثر من موقف مع الحطيئة.. لاختلاف الأشعار بين موقف وآخر..

تقول إحدى الروايات أن زيداً غزا بني عامرٍ ومن جاورهم من قبائل العرب من قيس ، فلقي جمعاً من غَني بن أعصر ، وإخوانهم الحارث وهم الطفاوة ، وانتصر زيدٌ وجماعته ، وأسر زيد الخَيْل يومئذ الحُطيئة فجزَّ ناصِيتَهُ وأطْلقهُ[١٦] .

ولكن بني عامر ، عادوا فخرجوا للقاء زيد الخيل وقومه.. ومعهم الحطيئة.. الذي أسر أيضاً . ولكنّ زيداً ، يبدو أنه قد تشدَّدَ هذه المرة مع الحطيئة.. وطلب أن يفتَدي الحطيئة نَفْسَهُ بشيء.. ولا يَغْترَ بكونه شاعراً.. ولكن الحطيئة لا يملك إلا الشعر.. فكان هذا الحوار الشعري الطريف.. الذي يقول فيه زيد :

أقول لِعَبْدي جَرْولٍ إذْ أسَرْتُهُ
أَثِبْني ولا يَغْرُرك أنّك شاعِرُ
أنا الفارسُ الحامي الحقيقة والذي
لهُ المكرمات واللُّهى ، والمآثر[١٧]
وقومى رؤس الناس ، والرأسُ قائدٌ
إذا الحَرْب شَبَّتها الأكفُّ المساعر
فلسْتُ إذا ما الموتُ حُوذر وِردُهُ
وأُتْرِعَ حوضَاه ، وحَمَّج ناظِرُ[١٨]
بِوقّافةٍ يَخشَى الحُتوف تَهيُّباً
يباعدني عنها من القُبِّ ضامر[١٩]

ولـكـنـي أغشى الحتوف بصَـعـدتي
مُـجـاهـرةً إنَّ الـكـريم يُـجـاهـر[٢٠]

وأُروي سَـنـاني من دمـاءٍ عـزيـزة
على أهلـها، إذْ لا تُرجَّى الأياصر[٢١]

فيجيب الحطيئة، مُعرباً عن أسفه، فلا مال لَدَيه، ولكنه يستطيع أن يمتدحه بشعره.. لتقرير حقيقة مُهمة، فإنه لم يأسرهم غدراً، ولكنه التقى بهم في حرب سافرة.. كنت فيها بطلاً، تتفاداك الأبطال، كما تتوقَّى الطيور الوادعة الصقر المُفترس، فلا عجب أن كان النَّصْرُ حليفك.. وان كنا أقصَد آل بَدْرٍ لم نجْبُن.

إلا يـكـن مـالٌ يُـثـابُ.. فـإنَّـه
سـيـأتي ثـنـاني زيـداً.. ابـن مُـهَـلـهـل:

فما نِـلْـتـنـا غدراً.. ولـكـن صَـبَـحْـتـنـا
غـداة الـتـقـيـنـا بـالمضـيـق بـأخـيـل

تَـفَـادى كُماةُ الـخَـيـل من وقع رُمْـحِـهِ
تفادي خشاش الطير من وَقع أجدل[٢٢]

وأعـطـتك مـنّـا الـوُدَّ، يوم لَـقِـيْـتـنا
ومـن آل بَـدْر — وقعـةً لم تُـهلل[٢٣]

وفيه قال الحطيئة أيضاً:

وَقَـعْـتَ بِـعَـبْس، ثم أنـعَـمْت فيهم
ومـن آل بَـدْرٍ قـد أصَـبـت الأخـايـرا

فـإن يشـكـروا، فالشكر أوفى الى التُّقَى
وإن يكفروا، لا ألف يا زَيدُ — كافرا

تَـــركْـتَ المـيــاه، من تميم بلاقـــعـاً
بما قـد ترى منهم حلولاً كراكرا[٢٤]

وحيٌّ سُـلَيم قـد أثـرت شريـدهـم
ولا تَـنْـس ما قَـتَّـلتَ يا زَيـدُ عامـرا

وكان ان رضي زيد الخيل عن الحطيئة ، وعفى عنه .. سواء جزّ ناحيته .. كما هو دأب المنتصر.. أو لم يُجزَّها .. وإن لم يكن زيد في حاجة الى أن يَجُزَّ ناصية الحطيئة .. فما هو من زعماء القوم ولا سادتهم ولا فرسانهم المعدودين حتى يُنَكِّل به .. ولعل دمامة الحطيئة ، وما وُصف من قُبحه لم يكن في حاجة الى المزيد .

والمهمُّ في القصة أن الحطيئة التزم تماماً بذلك الوعد الذي قطعه على نفسه حينما قال :

فإن يشكروا ، فالشكر أدنى الى التقى
وإن يكفروا — لا أُلف يا زيد — كافرا

فقد وعد أن لا يُلفي مُنكراً لِيد زَيد عليه .. فقد عاد الى قومه ، من إساره ، وهو يثني على زيد ويشكر نِعْمته ..

وجاءتْ وقعةٌ جديدةٌ بين طيٍّءٍ وبين بني بَدْر ، فطلبت فزارة وافناء قيس الى شعراء العرب أن يَهجوا بني لأمٍ وزيداً ، فتحامتهم شعراءُ العرب ، وامتنعت من هجائهم ، فصاروا إلى الحطيئة ، فأبى عليهم وقال : اطلبوا غيري فقد حَقَنَ دمي ، واطلقني بغير فداء ، فلستُ بكافر نعمته ابداً ، قالوا : نُعطيك مئة ناقةٍ قال : والله لو جعلتموها ألفاً ما فَعَلتُ ذلك ! ! وقال :

كيف الهجاءُ وما تنفَكُّ صالحةٌ
من آل لأمٍ بظهر الغيب تأتينا
المنعمين أقام العزُّ وسطهُمُ
بِيضُ الوجوه ، وفي الهيجا مطاعينا[٢٥]

مع طُفَيْل الغَنَويّ :

ومما يتّصل بقصته مع الحطيئة — أو قصصه معه — حَرْبٌ لِغَنِيٍّ بن أعصر ، وإخوتهم الحارث ، وهم الطفاوة ، وفي غَنيٍّ فرسان وشعراء ، منهم الشاعر طفيل الغَنوي[٢٦] الذي كان بينه وبين زيد الخيل سجالٌ شعريٌّ .. فقد قال زيد الخيل :

وخيبة من تُسجيب على غَنيٍّ
وباهلة بن أعصر والكلاب[٢٧]

فلما دارت الدائرة في وقعة تاليَةٍ ، وانتصروا على طيّء في أرضهم ، وغنموا وقتلوا ، وأدركوا ثأرَهُم ، فلم يَفُت طفيل الغَنَويَّ أن يرُدَّ على أبيات زيد فقال قصيدته :

سمونا بالجِياد الى أعادٍ مغاورةٍ ، بجدٍّ واعتصابِ
نَؤُمُّهم على رعب وشحطٍ بِقُودٍ يَطَّلِعْنَ من النِّقَاب

ويقول أبو الفرج إنها طويلة ، يقول فيها :

أخذنا بالمخَطَّم من أتاهم من السُّود المزَنَّمة الرغاب[٢٨]
وقتَّلْنَا سراتهم جِهاراً وجئنا بالسَّبايا والنِّهاب
سَبَايا طيِّءٍ أبرزنَ قَسْراً وأُبْدلْنَ القصور من الشعاب
سَبَايا طَيِّءٍ من كل حيٍّ بِمَن في الفَرع منها والنِّصاب
وما كانت بناتُهم سَبِيّاً ولا رغبا يُعَدُّ منَ الرِّغاب
ولا كَانَتْ دماؤُهم وفاءً لنا فيما يُعَدُّ من العقاب

مع عامر بن الطفيل :

تأتي قصته مع عامر بن الطُّفيل[٢٩] في قصّة صديق زيد الخيل ذؤاب بن عبدالله ، وهو رجل من طيّء ، قوم زيد ، خرج إلى صهر له من هَوازن ، وبين طيّء وهوازن وقائع وحروبٌ ، فأصيب ذؤاب ، وهو رجل شريف له رياسة في حيّه ، فغضب زيد ، وركب مع بني نبهان ، ومن تبعه من ولد الغوث وأغار على بني عامر ، وجعل كلما أخذ أسيراً قال له : آلَك علمٌ بالطَّائي المقتُول ؟ فإن قال : نعم قتله . وإن قال : لا . خَلَّى سبيله ومَنَّ عليه .. وأصاب رجالاً .. ثم رجع . فقال له قومه : ما صَنَعْتَ ؟ قال : ما أَصَبْتُ بثأرِ ذُؤابٍ ، ولا يَبُوءُ به إلا عامر بن مالك مُلاَعِب الأسِنَّة . فأما عامر بن الطفيل بلا يَبُوءُ به — كأنه يُقلِّل من شأنه — وقال زيد الخَيل في هذه المناسبة :

لا أرى أنَّ بـالـقـتـيـل قـتـيـلاً
عـامـريّـاً يَفي بِـقَـتْـل ذُؤَاب
لَـيْس مَنْ لاَعَبَ الأسِـنَّـةَ في النَّـقْـ
ـعِ وسُـمّي مُلاعِـبـاً بـإراب
عـامـر لـيس عـامـر بن طـفـيـل
لـكن الـعـمـر رأس حيّ كلاب
ذاك إن أُلـفـه أنـال بـه الوتـ
ـر، وقـرَّتْ بـه عُـيُون الصِّحَـاب
أو يَـفُـتْني، فـقـد سَـبَـقْتُ بِوتـر
مَـذْحِـجِـيٍّ، وجـد قومي كِـثَـابِ
قَـدْ تَـقَـنَّصْتُ لِـلضـبـاب رجـالاً
وتـكـرَّمْتُ من دمـاء الضِّـبـابِ
وأَصَـبْـنَـا من الوَحـيـد رجـالاً
ونُـفَـيْـلٍ فما أسـاغوا شرابي

فلما بلغت هذه الأبيات، عامر بن الطُّفيل، وفيها تعريضٌ به، وتَقْليل لمكانته غَضِبَ وقال يُجيبه:

قُـلْ لزيد: قد كُنتَ تُؤثَرُ بالحلْـ
ـم إذا سُـفِّـهَتْ حُـلُومُ الـرِّجَـال
لَـيْس هـذا القـتـيل من سَلَفِ الحـ
ـي، كِلاَعٍ، ويَـحْصُبٍ وكُلال(٣٠)
أو بني آكـل الـمُـرار، ولا صِـيْـ
ـد بَني جَـفْـنَـة الـمُـلُوك الـطِّوال(٣١)
وابن مـاء الـسَّـمـاء قـد علم النـا
سُ، وَلاَ خَـيْـرَ في مـقـالـة غالي(٣٢)

إنّ في قَـتْـل عـامـر بن طُـفَـيْل
لَـبَـوَاءً لـطـيءٍ الأجْـبَـال[٣٣]

إنّي، والـذي يحج لـه الـنـا
سُ قَـلِـيْـلٌ في عـامـرٍ أمـثـالي

يوم لا مـال لـلـمـحـارب في الحر
ب، سوى نَضْل أسْمرٍ عسّال[٣٤]

ولجام في رأس أجـرد كـالـجـذ
ع، طَوالٍ، وأبـيضٍ قصّال[٣٥]

ودلاص، كـالـنِّـهي ذات فُضُول
ذاك في حَـلْـبـة الحوادث مـالي[٣٦]

ولـعـمي فَضْـلُ الـريـاسـة والسِّـ
نِّ، وجَـدٌّ على هـوازن عـالي

غير أني أولى هـوازن في الحر
ب، بِضَـرْب الـمُـتوّج الـمُـخْـتـال

وبِـطَـعْن الكميّ في حَـمس الـنَّـقْـ
ع، عَـلَى مَـتْن هَـيْكَلٍ جَوَّال[٣٧]

وكما نرى، فإنَّ عامر بن الطُّفَيْل، يقول في قصيدته لزيد الخيل: إنّي جديرٌ بتحدِّيك، لو فعَلت، فإني الكُفءُ الذي أمثاله قليل، ولو أنّك قتلتني فستَظلُّ طَيٌّ تَدْفَع ثَمَنَ هذه الفعلَة دَماً مُهْراقاً.. صحيح أن لعَمي عامر بن مالك مكانته.. فهو صاحب الرياسة في قومه.. وأكبر سنّاً.. لكنّني أولى منه بالتَّحدي.. والقصد في الحرب.. وكأنه يقول: إنني أكثر شجاعة.. وهو بذلك يرد على الأبيات الأولى من قصيدة زيد[٣٨].

ويسوق صاحب «الأغاني» قصةً أخرى لزيد مع عامر بن الطفيل، فيقول: خرج زيد الخيل يطلب نعماً له من بني بدر، وأغار عامر بن الطفيل على بني فزارة، فأخذ

امرأة يقال لها هند ، واستاق نعماً لهم ، فقالت بنو بَدْرٍ لزيد : ما كُنَّا قَطُّ الى نَعَمك أحوج منَّا اليوم ، فتبعه زيد الخيل ، وقد مضى عامر.. فأدركه زيد الخيل ، فنظر إلى عامر فأنكره لعظمه وجماله ، وغشيه زيد ، فبرز له عامر : فقال : يا عامر : خلِّ سَبيل الظَّعينَة والنَّعم . فقال عامر : من أنت ؟ قال : فزاريٌّ أنا .. قال : والله ما أنْتَ من الفُلح أفْوَهاً ؟ فقال زيد : خَلِّ عنها . قال : لا أو تخبرني من أنت ؟ قال : أسديٌّ قال : لا والله ما أنت من المنكورين على ظهور الخيل . قال : خل سبيلها . قال : لا والله . أو تخبرني : فاصْدُقني : قال : أنا زيد الخيل . قال : صدقت .. فما تُريد من قتالي ، فوالله لئن قَتلتني لتطلبنَّك بنو عامر ، ولتَذْهَبنَّ فزارة بالذكر . فقال له زيد : خَلِّ عنها . قال : تُخلي عنّي وأدعك والظَّعينْة والنَّعَم .. قال : فاستأسِر : قال : أَفعَل[٣٩] فجزَّ ناصِيَتَهُ ، وأخذ رُمْحَهُ ، وأخذ هِنْداً والنعم فردَّها الى بَني بَدْر ، وقال في ذلك :

إنَّـا لَـنُـكـثِـرُ في قَـيسٍ وقـائِـعَـنـا
وفي تميم ، وهـــذا الحيِّ من أَسَـــد

وعـامِرُ بن طُفَـيْـلٍ ، قَدْ نـحَوتُ له
صَدْرَ القَـنـاةِ بـمَـاضـي الحَدِّ مُطَّرِدِ[٤٠]

لـمَّـا أحسَّ بِـأَنَّ الوَرْدَ مُـدْرِكُـهُ
وصـارمـاً ، ورَبِـيْـطُ الْجـاشِ ذا لُبَدِ[٤١]

نـادَى إليَّ بسَـلْمٍ بـعـدمـا أخـذت
مـنـه المنـيَّـةُ ، بـالحيـزوم والـلُّـغَـد[٤٢]

ولـو تَصَـبَّـرلي حـتـى أخـالِـطَـهُ
أسْـعَـرتُـه طـعْـنـةً كـالـنَّـار بـالـزَّنَـد

قال : فانطلق عامر الى قومه مجزوزاً .. وأخبرهم الخبر .. وغَضِبُوا لذلك وقالوا : لا تَرأَسُنا أبداً .. وتجهزوا ليغيروا على طيّءٍ ، ورأسُوا عليهم ، علقمة بنَ عُلاثَة .. فخرجوا ومعهم الحُطَيْئة وكعبُ بن زُهير فبعث عامر الى زيد الخيل ، دَسيساً يُنْذره ، فجمع زيد قومه ، فَلَقِيَهم بالمضِيْق ، فقاتلهم ، فأسَرَ الحطيئة وكعبَ بن زهير ، وقوماً منهم ، فحبسهم .. فَلَمَّا طال عليهم الأسر ، قالوا : يا زيد فَادِنا .. قال : الأمر الى عامر بن

الطفَيْل (يريد أن يَرُدَّ اعتباره كما نُعَبِر اليوم) فأبوا ذلك عليه ، فوهبهم لعامر .. إلاَّ الحطيئة وكعبا .. فأعطاه كعب فرسه الكُمَيْتَ ، وشكا اليه الحطيئة الحاجةُ فَمَنَّ عليه .

وهكذا نعلم أن العلاقات التي كانَتْ مُتوتِّرَةً بين الرجلين البطلين : زيد ، وعامر بن الطفيل عادت الى الهُدْنة .. والصفاء .. ولكن يبدو أنّ ذلك الى حين .. فقدكان زيد الخيل ، إلى يوم وفاته يخشى ثارات قَيْس .. ويطلب من أصحابه أنْ يُجنِّبُوهُ دِيَار قَيْس ، عند قُفُوله الى دياره ، بعد وفادته على رسول الله صلى الله عليه وسلم..

مع الحارث بن ظالم :

وهذا مُعاصر آخر شهير من معاصري زيد الخيل .. هو الحارث بن ظالم المُرِّيُّ .. (توفي نحو ٦٠٠م) ، وهو أبو ليلى ، أشهر فُتَّاك العرب كثير الحوادث ، تتحامى أحياءُ العرب شَرَّهُ ، وكان سبباً في نشوب معارك كثيرة[٤٣] .

يخبرنا صاحب « الأغاني » في ترجمة زيد ، أنه لما بلغه ماكان من الحارث بن ظالم ، وعَمْرو بن الإطنابة الخَزرجي[٤٤] ، وهجائه إيَّاه ، غضب ، فأغار على بني مُرَّة بن غَطَفَان ، فأسر الحارثَ بن ظالم ، وامرأتَهُ في غارته ، ثُم منَّ عليهما وقال يذكر ذلك :

ألا .. هل أتى غَوثاً ورُومانَ أنَّنا
صَبَحْنَا بني ذُبْيَان إحدى العظائمْ
وسُقْنا نِسَاء الحَيِّ مُرَّة ، بِالقَنا
وبالخيل تَرْدي قد حَوَينا ابنَ ظالم[٤٥]
جَنَبْنَا لأعضَادِ النَّواجِي يَقُدْنَهُ
على تَعَبٍ.. بين النَّواجي الرواسم[٤٦]
يقول : اقبلوا منّي الفِداء وانْعموا
عليَّ ، وجُزُّوني مكان القوادم[٤٧]
وقَدْ مَسَّ حَدُّ الرُّمح قوارة(...)
فصارت كَشِدقِ الأعلم المتضاجم[٤٨]

وسائِل بنَا جار ابْن عوف فقد رأى
حَلِيْلَتُهُ جَالَتْ عليها مقاسمي

تُلاعب وحدان العضاريط بعدنا
جَلاها بسهميه لقيطُ بنُ حَازم(٤٩)

أغَرَّكَ أنْ قِيْل ، ابن عوف ولا أرى
عزيمك إلا واهياً في العزائم

غداة سبينا من خفاجة سبيَهَا
ومرّت لهم منا نُحُوسُ الأشائم

فَمَنْ مُبْلغٌ عنى الخزارج غَارَةً
على حيٍّ عوف، موجفاً غير نائم(٥٠)

مع حاتم الطائي :

وعاصر زيد الخيل ، حاتماً الطائيّ ، الذي يضرب به المثلُ في الكرم ، فنَجده يذكره في أبياتٍ ثلاثة ، مُعَيِّراً إيَّاه ، لأنه خرج ، من طيءٍ ، يوم حرب الفَسَاد الى بني بَدْرٍ :

وفَرَّ منَ الحرب العوانِ ولم يكن
بها — حاتِمٌ — طَبًّا ولا مُتَطبّباً

ورَبَّبَ حِصْناً ، بعد أن كان آبياً
أبُوةَ حصْن ، فاسْتَفالَ واعتبا

أقِمْ في بني بَدْرٍ ولا ما يَهُمُّنا
إذا ما تَقضَّتْ حَرْبُنا أن تُطَرَّبا(١)

ويأتي اسم زيد الخيل في سياق قصة خطبة ماوية بنت حجر بن النعمان ، التي كانت تقيم في دمشق ، وكان يتنافس على خطبتها زعماء العرب ومشاهير رجالهم ، وقد وردت القصة موجزة في تهذيب تاريخ ابن عساكر ، في ترجمة أوس بن حارثة الطائي ، واقْتَرَن اسم زيد الخيل فيها بحاتم الطائيِّ ، بالإضافة الى أوس ، فقد جاء ثلاثتهم يخطبونها ..

فَسأَلَتْ عن أكبرهم ، ثم من يليه فمن يليه ، فكان أوس أكبرهم ، ويليه زيد ، ثم حاتم[٥٢]

وقد تختلف الروايات في قصة ماوية ، وهل أبوها حُجْرٌ أوْ عَفْزَرُ ، فإنَّ كل ذلك محله تاريخ حاتم لا زيد .. ويكفي من هذه القصة ، أن نعرف — في حالة صحة ما أوردته منها — أنَّ زيداً كان يعاصر حاتماً ، وإن كان حاتم أصْغَرَ سنّاً منه[٥٣] ..

ونجد في خبر وفادة زيد على مدينة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، أنه في محاورة مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يَصِفُ حاتماً ، فيقول : الجواد بلا مُجارٍ ، والسمح بلا مُبارٍ ، والليثُ الضرغامة ، قِراع كُلّ هامةٍ ، جوده في الناس علامة[٥٤] :

وفي رواية أخرى يقول له عمر بن الخطاب : — يا زيد .. ما أظنُّ في طيء أفْضَل منك قال :

— بلى والله : : إنَّ فينا حاتماً ، القَاري للأضياف ، والطويل العفاف[٥٥] .

مع قيس بن عاصم والمكشر العجلي :

ومما جاء في معاركه ، أنه حينما وقَعَتْ حرب بين أخلاط من طَيٍّء ، خرج عن قومه مُغْضَباً ، وجاور بني تميم ، نازلاً لدى قَيْس بن عاصم .. وحينما التحمت بنو تميم مع بكر بن وائل في معركة ، وعلى رأس تميم قيس بن عاصم ، وقف زيد مع صديقه قيس ، وانتصرت تميم ، وكان لاشتراك زيد دَوْرٌ في النصر ، فلما رجع قيس بالغنائم ، تطلَّع زيد الى نصيبه منها ولكن قيساً تجاهل الأمر .. فَغَضِبَ زيد وقال :

ألا هـل أتـاهـا ، والأحـاديثُ جَـمَّـةٌ
مُـغَـلْـغَـلـةٌ ، أنـبـاءُ جَـيْش الـلَّـهازم
فَـلَسْتُ بـوقّـافٍ إذا الـخَـيْـلُ أحجمت
ولستُ بـكـذَّاب كـقـيس بـن عـاصم
تُـخَـبِّـرُ مَن لاقَيْتَ أن قـد هزمْتَهُـم
ولم تَــدْرِ ، مــا سِيماهُــمُ والـعَمَائـمُ

(١) أنظر «العرب» س ٤٩٧/١٢ وس ٢١٤/١٣ وس ١٤٢/١٤ .
(٢) قرر (مجمع اللغة العربية) كتابة كلمة (مئة) دون ألف لئلّا تشتبه بكلمة (مائه) وأمثالها (العرب) .
(٣) القصة في «الأغاني» ترجمة زيد .
(٤) هذه الرواية في ذيل الأمالي والنوادر ص ٢٣ ، ٢٤ .
(٥) أوارة آكام بقرب مدينة الكويت ، انظر قسم المنطقة الشرقية من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ويسمى الآن (وارة) على طريقة العامة في حذف الهمزة (العرب) .
(٦) أي تحقره .
(٧) من الواضح ان كعبا لا يعني ما يقول ، وإلا كيف يرمي زيد الخيل بالفقر ، ويعيّره أنه لاجتيازه الكميت قد اقتنى ، بينما هو يناديه في صدر البيت بزيد الخيل .. وهو لقبه الذي أطلق عليه لكثرة خيله ، أو لعناية بطرادها وتضميرها .. وهذا يعني على أيّ حالٍ ، أنه فيها غير فقير ..
(٨) أفيال الرجال ، أي البسطاء ، الذين لا يحتاجون إلى ذكاء كبير ليدركوا أن الكميت هو فرس كعب ، سواء أكان مقيّداً ، أو راكضاً نص الأبيات من ديوان كعب .
(٩) المحمر : الفرس الهجين الذي يشبه الحمار في جريه ، نويتموه : استنهضتموه . رضيْ : بالألف الليّنة والأصل الياء ، ولكن لغة طيء ، إذا كانت الياء متحركة جعلوها ألفاً .
(١٠) تجدون خمشاً : أي تخمشون وجوهكم أو تلطمونها كأنكم فقدتم (فاجعاً) أي رجلاً عظيماً يفجعكم فقده .
(١١) تخضخض : تخض : تحرض (جباراً) اسم رجل ، رهطه : قومه أو جماعته ، والصرمة : المئة من الإبل ..
(١٢) هذه الإبل ترعى بأطراف الجبال ، وخلفها رجال يحمونها ..
(١٣) الأباهر . جمه أبهر .. والكلى : جمع كلية . وموضعها مقتلان .
الشرح مأخوذ من ديواني كعب وزيد الخيل .
(١٤) المقصود بزهير هنا هو زهير بن أبي سُلْمى والد كعب . ويبدو أن زيداً يحتفظ له بعلاقات جيدة معه .
(١٥) كأنه أورد قول كعب ليردّ عليه أو يسخر منه . ويلاحظ أن البيت الثاني يختلف صياغة ومعنى ، عن بيت كعب .. وكأنه يمهد به ليقول : إن غناه ليس لاقتنائه فرساً عجوزاً .. وإنّما هو غنيٌّ قبل ذلك لكثرة غاراته واحتيازه الكثير من المال من هذه الغارات . وهو ما يوضحه البيت الأخير .
(١٦) «الأغاني» ترجمة زيد الخيل .
(١٧) اللُّهى : الأموال ، أو العطايا ، أو أفضل العطايا .. يراجع «لسان العرب» .
(١٨) التَّخْمِيج : تحديد النظر ، أو النظر بشدة .. يراجع «لسان العرب» .
(١٩) القبُّ من الخيل جمع أقب .. وهو الضامر ، والمعنى لست بالجبان المحجم عن الموت ، ساعة الحرب ، فألتمس ما يبعدني عنها ، فراراً على فرس ضامر ، سريع العدو .
(٢٠) الصعدة : نوع من الرماح مستقيمة .
(٢١) الأياصر : الأواصر : (الديوان ص ٥٦) .
(٢٢) الكماة : الفرسان المدجّجون بالسلاح .. وخشاش الطير : أي الطير التي لا تصيد . الأجدل : الصقر .
(٢٣) التّهليل هنا النكوص والفرار ، قال كعب بن زهير :
لا يقع الطعن إلا في نُحُورهم   وما لهم عن حياض الموت تَهْلِيل

يراجع «لسان العرب». فلعل الحطيئة يريد أن يقول: إنّها وقفة حاسمة لا تراجع فيها ولا نكوص.
وهذا البيت الأخير لم يورده صاحب «الأغاني» وهو من ديوان الحطيئة.

(٢٤) الحلول: الذين يحلون أي المقيمون حول هـذه المياه والكراكر: الجماعات. أي تركت المياه التي تحلُّها جماعات تميم بلاقعاً منهم، أي خالية... وللحطيئة نفسه يمدح بشر بن قُرط:

تَصُدُّ مَناكبَ الأعداء عنه كَرَاكِرُ من أبي بكرٍ حلول

ديوان الحطيئة ص ٢٨ و٨٣.

(٢٥) النص من «الأغاني» ترجمة زيد، والمقصود بشعراء العرب — أي شعراء القبائل الموالية.
وفي «ديوان الحطيئة» ص ٨٥ و٨٦ رواية أخرى تدل على أن الممدوح أوس بن حارثة الطائي، أو ابنه زيد الخيل بن أوس بن حارثة الطائي، وهو من بني لأم.. كما تختلف رواية الأبيات.. ومهما يكن الأمر فإن الحطيئة قد امتنع عن هجاء طيّء.

(٢٦) طفيل بن عوف بن كعب، من بني غني، من قيس عيلان، شاعر جاهلي فحل، من الشجعان، وهو أوصف العرب للخيل، وربّما سمي (طفيل الخيل) لكثرة وصفه لها، ويُسَمَّى أيضاً المحبِّر، لتحسينه شعره توفي نحو ١٣ ق هـ. كان معاوية يقول: خلّوا لي طفيلاً، وقولوا ما شئتم في غيره من الشعراء. «الأعلام».

(٢٧) لعله يقصد أن يقول: يا خيبة من يُغِير على غنيّ وباهلة، وهما ابنا أعصر (أخوان).. فإنه لا يجد لديهم فداء. والقطعة في بيتين أوردهما صانع الديوان هكذا:

فخيبة من يُغير على غني وباهلة بن أعصر والركـاب
وأدّى الغُنْمَ من أدّى قُشَيْراً ومن كانَتْ له أسرى كلاب

(٢٨) المخطم: السيف الحاد.

(٢٩) هو أبو علي، فهذه كنيته وإن لم يكن له ولد، فقد كان عقيماً، عمه عامر بن مالك. توفي في السنة العاشرة أو الحادية عشرة من الهجرة، وفد على النّبي يريد الغدر به ولم يسلم، فقد مات بالطاعون في طريقه إلى بلده، كان من فُتّاك العرب وسادتهم، وهو من بني عامر بن صعصعة، له ديوان شعر مطبوع. يراجع «الأعلام»، ومقدمة ديوانه طبعة دار صادر ودار بيروت.

(٣٠) أي ليس هذا القتيل، الذي غضبت لأجله كل هذا الغَضَب، من سلالة الملوك الحميرين: ذي الكلاع ويحصب وعبد كُلال.

(٣١) ولا هو من ملوك كندة من بني آكل المرار، جدّ امرىء القيس الكنْدي الشاعر، ولا من بني جَفْنة: أي الملوك الغساسنة.

(٣٢) ولا هو أيضاً من ملوك الحيرة: من آل ابن ماء السماء.

(٣٣) أي إذا أَرَدْتَ أن تقتلني، فنَبّوه بالجريرة طيء كلها.. أي ستنتقم قبيلتي منها.. وكأنه يشير إلى أنه يعدل قبيلته كلها. ويؤكد هذا بالأسباب التالية التي يُعدِّدُ فيها مفاخره ومآثره.

(٣٤) يريد بالأسمر العسّال: الرمح، الذي يشتهر باستعماله في الحروب.

(٣٥) يريد بالأجرد الطويل، الفرس الأصيل، كما يريد بالأبيض القضّال أو الصقال: السيف.

(٣٦) الدِّلاص: الدرع الملساء اللينة، والنّهيُ: الغدير، أي درع تلمع كمياه الغدير.

(٣٧) الكمي: المحارب المستعدّ بسلاحه. حمس النقع اشتداد المعركة. هيكل — أي جواد فاره. جوال: أي كثير الجولان والحركة. مُدَرَّب على المعارك.

(٣٨) . القصة من «الأغاني» ترجمة زيد الخيل ، مع الاستعانة بديوان عامر بن الطفيل وشرحه .

(٣٩) لا أظن أن فارساً شُجاعاً مثل عامر بن الطفيل ليستأسر بهذه السهولة دونما حرب ولا نزال ..! المصدر : «الأغاني» ترجمة زيد الخيل .

(٤٠) نَحَوت له : وجّهت إليه ، ويقصد بقوله ماضِي الحد مطرد ـــ السنان الحادّ النافذ ، وهذا يُؤيّدُ أنّهُمَا تنازلا ..

(٤١) الورد : أحد أفراس زيد المسمَّاة المشهورة ولعَلّه يقصد نفسه بقوله : رَبيط الجأش ذَا لُبَد ..

(٤٢) أي نادى يَستأسر بعد أن أحسّ أن المنيَّة وصلت إلى الحَيْزوم واللغد . والحيزوم : موضع الحزام واللغدة .. ما بين الحنك والعنق . أي أن الموت وصل إلى المقاتل أماكن الطعن .

(٤٣) «الاعلام» للزركلي ترجمته ، و«بلوغ الأرب» للألوسي . فقد تحدث عنه في أوفياء العرب ج٢ ص ١٣٣ طبعة دار الكتاب العربي ، وسرد صاحب «الأغاني» طرفاً من أخباره عند ذكر مقتَل خالد بن جعفر بن كلاب ص ٩٤ من ج١١ طبعة دار الكتب ، وبعده خبر ابن الإطنابة .

(٤٤) شاعر جاهلي فارسٌ ، والإطنابة أمه ، كانَتْ إقامته بالمدينة وهو صاحب الأبيات المشهورة :

أَبَتْ لي عِفَّتي وأَبَى إبَائِي وأَخْذِي الحَمْدَ بالثَّمَنِ الرَّبِيحِ

«الاعلام» ترجمته في (عمرو بن عامر) .

(٤٥) يقول : سقنا نساء الحي من مُرَّة ، بالقنا (الرماح) وبالخيل تردى (ردى الفرس إذا رجم الأرض رجماً بين العدو والمشي الشديد) . وابن ظالِم هو الحارث وبنو مرة قومه .

(٤٦) الجنيب : الذي يقاد بجنْب الركائب إذلالاً له . كأنه في عداد النواجي الرواسم ، أي النوق الموسومة ..

(٤٧) أي قيل أن تجزّ ناصيته ، أي شعر مقدمة رأسه ، وذلك عندهم سبّة ، وعلاقة الهزيمة ، والمقصود بالقوادم : النواصي .

(٤٨) الأعلم : المشقوق الشفة العليا ، ويطلق على الجمل ، والمتضاجم الذي مال شدقه ، وهو في هذا يشبه الجرح الذي أصابه الرمح .

(٤٩) العضاريط : يراد بهم الخدم والاتباع ..

(٥٠) الوجيف : سرعة السير ، والايجاف : السير إلى الحرب قال تعالى (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) والخزارج : الخزرج : قوم عمرو بن الإطنابة .

الخبر والشعر من «الأغاني» ج١٧ ص ٢٦١ طبعة دار الكتب .

(٥١) النص من كتاب «الحيوان» ص ٣٢٩ ج١ ، والأبيات مثبتة في ديوانه .

(٥٢) الجزء ٣ ص ١٥٧ من تهذيب ابن عساكر طبع مطبعة روضة الشام سنة ١٣٣١ هـ .

(٥٣) لمعرفة المزيد من اخبار حاتم وماوية ، يراجع ديوان حاتم ، صنعة يحيي بن مدرك الطائي ، رواية هشام بن الكلبي تحقيق د . عادل سليمان جمال ص ١١ وص ٣٣٢ وما بعدها و٣٣٥ وما بعدها .

(٥٤) «الأغاني» ص ٩٦ ج ١٦ ترجمة زيد .

(٥٥) «تهذيب ابن عساكر» : ترجمة زيد .

(٥٦) القسم بغير الله لا يجوز ولكن الرجل قال هذا قبل أن يُسْلِم ، والإسلام يَجُبُّ ما قبله .

(٥٧) ياقوت في معجم البلدان مادة (موقق) .

(٥٨) الأبيات من الديوان

(البقية ص ٣٧) ←

نساء في القمة

— ٥ —

امرأة تقتل زوجها غضباً للمسلمين :

ما أشدَّ البَلْوى التي نَزَلتْ ببلاد الشام أيّام الصليبيين ، وما أعظم الدمار والخراب الذي لحق بمدُنِها وقراها ، لا من الصَّليبيين الغزاة الذين أرسلهم الله تعالى نقمةً على البلاد والعباد ، بل ومن أبناء البلاد المفسدين أيضاً .

حَدَّثْتُك في الحلقة السابقة عن مالك بن سالم العقيلي صاحب قلعة (جَعْبر) الذي كان يقطع الطريق على المسافرين بين الموصل وحلب ، والذي مشى مع رجاله اللصوص والحراميّة تحت لواء الصليبيين لحصار مدينة حلب ، طمعاً في مال قَدْ يناله بالنَّهْب والسلب ، إذا غُلِبَ المسلمون هناك ، واحْتُلَّتْ مدينتهم ، وفي هذه الحلقة سأحدثك عن لصٍّ كبير آخر كان أميراً على مدينة (حمص) ، فجمع حوله كثيراً من الحرامية الذين يقطعون الطريق بين دمشق وحلب ، وفي تلك الجهات كلها ، فلما اشتدَّت البلوى منه ، وازدادت الشكوى من أذى عصابته ، قصده جيش العباسيين فاحْتَلَّ مدينة حمص ، وطرده من هناك ، فلجأ إلى الفاطميّين في مصر مُدّعياً أنه من أتباعهم ، طمعاً في ولاية

---

(٥٩) الأبيات من الديوان ص ٦٢ و٦٣ . والمعنى : أن ابنا لشيماء ، ذكرنا بسوء ، وحضّ على قتالنا أعداءنا عامراً (من قيس) ، ولكننا سنحشد لهم ألفاً ، أو تزيد .. إنني لا أخشى الحاجة والفقر ، ما بقي على الأرض قيسي يسوق أباعره .. لأننا سنستولي عليها ، فان في بلادنا حول فردة وعناصر وكتلة ، حيا كراكرا أي غنياً بالخيل ، نملأ الجو في موقق ، بالرماح الخطية والحوافر (الخيل) . وفردة سبق الكلام عليها ، وهي الموضع الذي مات به زيد الخيل ، في بلاد طيء ، أما عناصر فيقول عنها الشيخ حمد الجاسر في المعجم الجغرافي (شمال المملكة) ، إنها بضم العين وهو موضع : (يظهر أنه قرب فردة ، وكذلك كتلة موضع يقول عنه : (يظهر أنه بقرب فردة غرب موفق) . أما موقق ، فقد جاء في الديوان مصحفاً إلى موفق بالفاء الموحدة وقال صانع الديوان إنه من بلاد عامر . والصحيح أنه بقافين . ضبطها صاحب المعجم الجغرافي (شمال المملكة) بالميم المفتوحة والواو الساكنة ، مع فتح القاف الأولى ، وقال إنها تقع في سفح أجا من الناحية الغربية غرب قفار ، وتبعد عن حائل ٧٥ كيلاً غرباً . أما شمجىٰ ، فهو شمجىٰ بن جَرم من طيء .

(٦٠) مجلة العرب ج٧ و٨ محرم وصفر ١٣٩٥ هـ السنة التاسعة ، وفيه بيان مصادره .

(٦١) نفس المصدر ويراجع معجم البلدان مادة (موقق) .

جديدة ، ينالها عن طريقهم ، وتمّ له ما أراد فقد أعاده الفاطميون إلى الشام ، والياً على حصْن . «أفامية» الذي كان لهم ، وهذا الحصن قريب من حمص . فلما دخل هذا اللص واسمه (خلف بن ملاعب الكلابيّ) الحصن واستقرّ فيه عاد سيرته الأولى ، في قطع الطريق ، واجتمع عليه المفسدون فعظم الضرر به ، فاحتال بعض المسلمين حتى دخلوا حصنه ، ولما تمكنوا منه قتلوه وأراحوا البلاد منه ، ولكن أحد أبنائه قاد الْفِرَنجَة إلى هذا الحصن فملكوه سنة تسعٍ وأربعين وأربع مئة ولم يسترده المسلمون إلا في سنة خمس وأربعين وخمس مئة ، لما طَرَد (نور الدين زنكي) الصليبيين منه .

وفي القصة التالية ما يدل على مقدار ما أصاب المسلمين من أحد أتْبَاعه الذي لقي المسلمون من شرِّه كثيراً ، حتى قامت زوجته بقتله ، غضباً للإسلام والمسلمين ، وقد روى أُسَامةُ بنُ مُنْقَذٍ قصة هذه المرأة الفاضلة في كتابه «الاعتبار» فقال :

وما يُنكر للنساء الكرام الأَنَفَةُ والنَّخْوَةُ والإصابةُ في الرأي .

وشاهدتُّ من نَخَوَاتِ النِّساء عَجَباً ، وهو أن رجلاً من أصحاب (خلف بن ملاعب) يقال له (علي بن أبي الرِّيْدَاء) كان الله قد رزقهُ من النَّظر ما رزق (زرقاء اليمامة) فكان ينهض مع ابنِ مُلاعب أمير حمص يُبْصِرُ القوافل على مسيرة يوم كامل .

ولقد حدثني رجلٌ من رفاقه يقال له (سالم العجازي) انتقل إلى خدمة والدي بقلعة (شيزر) بعدما قتل (خلف بن ملاعب) قال سالم هذا : نَهضْنَا يوماً ، وأرسلنا علياً بن أبي الرِّيْداء بُكرَةً يُدَيْدِبُ لنا ، فجاءنا وقال : أبشروا بالغنيمة ، هذه قافلة كثيرة مقبلة ، فنظرنا ما رأينا شيئاً ، فقلنا : ما نرى قافلةً ولا غيرها ، قال : والله إنِّي لَأَرَى القافلةَ وقدَّامُهَا فرسانِ ، يَنفِضَان مَعَارِفَهُمَا ، فأَقمْنَا في الكمين إلى العصر ، فوصلتْنَا القافلةُ والْفرَسَانِ قُدَّامَها ، فخرجنا أخذْنَا القافلة .

وحدثني سالم العجازي ، قال : نهضنا يوماً وصعد عليٌّ بن أبي الريداء يراقب لنا ، فنام ، وما درى إلا وقد أخذه تركيٌّ من سريَّةِ أَتْرَاكٍ ، وقالوا : أيُّ شيْءٍ أنت ؟ قال : أنا رجل صعلوك قد أكْرَيْتُ جملِيَ لرجل من التُّجَّار في القافلة ، عَاهِدُوْني أنكم تُعطُوني جملي ، حتَّى أدُلَّكُمْ على القافلة ، فأعطاه مُقَدَّمُهُمْ يَدَهُ بذلك ، فمشى بين أيديهم إلى

الدرس النحوي

منذ الدولة الفاطمية حتى أوائل العهد الحديث

موجز البحث :

كثر الحديث عند الباحثين عن المدارس النحوية في مختلف العصور بدءاً بالمدرسة البصرية وانتهاء بما سمّي المدرسة المصرية ، وأنكر فريق منهم وجود هذه المدارس من الأساس ، وقال بوجودها كاملة فريق غيرهم ، وتوسّط بينهما قائلون ببعضها منكرون لبعضها الآخر ، ولم يكن من شأني في هذه العجالة أن أخوض في هذا البحث الدقيق الذي كثر القول فيه حتى لم تعد هناك زيادة لمستزيد ، فآثرت لذلك أن أشرع في عرض

← أن أوصلهم إلينا في الكمين ، فخرجنا عليهم وأخذناهم وتعلق هو بالذي كان بين يديه أخذ فرسه وعُدَّتَهُ ، وغَنِمْنَا منهم غَنِيمة حسنة .

فلما قتل خلف بن ملاعب الكلابي ، انْتقل علي بن أبي الريداء إلى خدمة (توفيل) الإفرنجي ، أحد شياطين الصليبيين ، وصاحب حصن (كفرطاب) ، فكان ينهض ابنُ أبي الريداء بالفرنج إلى المسلمين يُعينهم ، ويبالغ في أذى المسلمين ، وأخذ مالهم ، وسفك دمائهم ، حتى قطع سُبُلَ المسافرين ، وله امرأة معه بكفر طاب ، تُنْكر عليه فِعْلَهُ ، وتنهاه فلا ينتهي ، فأرسلت إلى أحد أقْربائها — وأظنه أخاها — فلما حضر أَخْفَتْهُ في البيت إلى الليل ، واجْتَمَعَتْ هي وهو على زوجها قَتَلَاه واحْتَمَلا بجميع مالِهَا ، وأَصْبَحَتْ عندنا بحصن (شيزر) ، وقالت : غَضِبْتُ للمسلمين مما كان يفعل بهم هذا الكافر .

وأراحت هذه المرأة الفاضلة من هذا الشيطان ، ورعينا لها ما فعلت وكانت عندنا في (شيزر) في الكرامة والاحترام .

الكويت : محمد علي العبد

للدرس النحويّ في فترة زمنية محدودة ، وآثرت أن لا أسمي هذا الدرس بالمدرسة النحوية ــ بلفظها الصريح الاصطلاحي ــ في هذه الحقبة ، وذهبت من أجل ذلك إلى الترجمة بالدرس النحويّ منذ الدولة الفاطمية وحتى أوائل العصر الحديث إيثاراً للبعد عن مناط الخلاف وتجنباً لأيّ استشكال والتزاماً بما يدعو له المقام من الإيجاز ، من أجل ذلك قدمت بين يدي بحثي بكلام تاريخيّ موجز يصفُ الحياة العلمية العامة في الدولتين الفاطمية والأيوبية ، ثم يصف هذه الحياة في عصور المماليك وفي عصور العثمانيين التي تلتها مع إيراد طائفة من أسماء أعلام العلماء في مختلف العلوم في مصر والشام ومن أسماء مصنفاتهم ، مع ذكر للمدارس الشهيرة ولدور العلم المرموقة في مصر خاصة خلال هذه العصور المتوالية ، وأخذت بعد ذلك في الحديث عن النشاط النحويّ في هذه العهود بشيء من التّفصيل عهداً بعد عهد ، حسب تواليها في التاريخ ، مُدللاً على ما أقول ممثّلاً لما أعرض بالأسماء والآثار مبيّناً إلى حدّ كاف مستوى هذا النّشاط في كل دولة من خلال عَقْد مقارناتٍ سريعة ، وعُدتُّ لأنهي بحثي بالتّركيز على بيان الطابع المميز للدّراسات النحوية في كل العصور التي حدّدها البحث في تفصيل شامل .

مقدمة في الحياة العلمية العامة في هذه العهود المتعاقبة

ــ في الدولتين الفاطمية والأيوبية :

نشطت علوم اللغة العربية والثقافة الإسلامية في مصر في عهد الدولة الفاطمية التي فتحت مصر سنة ٣٥٨ هـ نشاطاً كبيراً ، وأصابها من الازدهار قسط عظيم ، تجلّى هذا في تقريب خلفاء هذه الدولة وأمرائها ووزرائها للعلماء والأدباء والشعراء ، وفي إكثارهم من تأسيس المساجد في القاهرة لتتخذ إلى جانب كونها دوراً للعبادة دوراً للعلم ، ومن أهمّ المساجد التي أسسوها وخصصت لذلك الجامع الأزهر الذي بني سنة ٣٦١ هـ ، وجامع الحاكم بأمر الله الذي بني سنة ٣٩٣ هـ ، ولم يكن التعليم في القاهرة مقصوراً على المساجد فحسب ، بل امتدّ حتى شمل أيضاً (دار العلم) فيها ، وشمل قصور الخلفاء والأمراء والوزراء ، كذلك انتشر في مدن أخرى من مصر كالاسكندرية وقوص وقفط وأسوان .

وقد فعل الأيوبيون بعد ذلك مثل ما فعل الفاطميون قبلهم ، بل زادوا عليهم ، فقد شجّعوا بدورهم العلماء وأسهموا في المزيد من نَهْضَة علوم اللغة العربية والثقافة الإسلامية ، وذلك على الرغم من أنّهم من عنصر كرديّ ، وقد أضافوا إلى ما وجدوه من دور العبادة والتعليم كثيراً من المدارس كالمدرسة الناصرية والمدرسة الصلاحية اللتين أسسها صلاح الدين الأيوبي عامي ٥٦٦ هـ و٥٧٢ هـ على التوالي ، والمدرسة الصالحية التي أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٣٩ هـ .

في عصور المماليك وما بعدها :

جاء المماليك بعد الأيوبيين ونهضوا بالحركة العلمية في مصر نهضة واسعة ، وقد ساعدهم على ذلك مجيء الأدباء والعلماء إليها من البصرة والكوفة ومن قرطبة والقيروان وغيرها ، وفرارهم إليها من بغداد بعد سقوط الخلافة العباسية فيها وانحلال نظام الدولة الإسلامية على يد التّتار سنة ٦٥٦ هـ الذين أتلفوا الكتب ، وطاردوا العلماء ، بالإضافة إلى شعور حكامهم بالنقص مما حملهم على تعويض ذلك بمناصرة اللغة العربية والعلوم الإسلامية . وقد شعر العلماء أنفسهم بما عليهم من عِبْءٍ ثقيل اقتضته محنة بغداد خاصة ، فتنافسوا على حمله ، ولقوا في ذلك تشجيعاً مادياً وأدبياً من سلاطين مصر وأمرائها من المماليك ، مما أدّى إلى نشاط الحركة العلمية ، وإلى كثرة إنشاء دور التعليم في مصر والقاهرة ، وإلى امتلاء هذه الدور ، بالعلماء والطلاب من مختلف الأقطار ، وقد أضاف ابن خلدون سبباً آخر رآه أيضاً عاملاً مؤثراً أدّى إلى قوة النهضة العلمية ، وازدهارها في القاهرة بالذات في عهد المماليك فقال : (ونحن لهذا العهد نرى أنّ العلم والتعليم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما أنَّ عمرانها مستبحر ، وحضارتها مستحكمة منذ آلاف السنين فاستحكمت فيها الصّنائع وتَفَنّنَتْ ومن جملتها تعلّم العلم)(١) .

وتحدث كذلك عن النشاط العلمي وعمّا خصّص له ما المال وعن أعمال السلاطين والأمراء في هذا السبيل بقوله : (فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والرُّبُط (٢) ووقفوا عليها الأوقاف المغِلّة ... فكثرت الأوقاف لذلك ، وعظمت الصلاتُ والفوائد ، وكثر طالب العلم ومعلّمه بكثرة جرايتهم وارتحل إليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب ، ونفقت بها أسواق العلوم وزخرت بحارها والله يخلق ما يشاء) .

أما ابن بطوطة فقد وصف كثرةالمدارس فقال : (وأمّا المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها لكثرتها)[٣] .

ومن أهمّ مدارسهم في القاهرة المدرسة المعزّية التي أنشأها السلطان عز الدين بن أيْبَك الجاشنكير أول ملوك الدولة البحرية سنة ٦٥٤ هـ والمدرسة الظاهرية التي أنشأها السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٢ هـ والمدرسة المؤيدية[٤] التي أسسها الملك المؤيد شيخ المحمودي سنة ٨١٩ هـ .

ولم تكن الدراسة في المدارس والمساجد في مصر لعهد المماليك مقصورة على علوم العربية والدين بل امتدّتْ حتى شملت الطب والفلك والرياضيات والعلوم والتاريخ ، وقام بتدريس هذه العلوم فيهما أفضل العلماء ، وحرص على التلقي عنهم أنبغ الطلاب ، وساعد كلا الفريقين ما أنشىء آنذاك من دور الكتب في هذه المدارس والمساجد ، فضلاً عن غرام الناس بعامة والسلاطين والأمراء بخاصة باقتناء الكتب .

وقد أصبحت مصر في عهد المماليك الوريثَ الكاملَ لنهضة بغداد العلمية ، وأضحتْ موئلاً لعلوم الدين واللغة وملجأً للعلماء . وإلى جانب هذا فإنّ المماليك لم يهملوا الشطر الآخر من دولتهم وهو بلاد الشام ، فقد عُنُوا بتنشيط الحركة العلمية فيها وأسهموا في انتشار دراسة العلوم المختلفة في دمشق وحلب ، على النحو الذي فعلوه في القاهرة فظهر فيهما كما ظهر في مصر طائفة من الأعلام عملوا على حفظ العلوم والآداب سليمة تناقلتها بعدهم الأجيال .

ولقد نبغ في مختلف العلوم في مصر والشام في عصور المماليك طائفة ضخمة من العلماء نذكر منهم : عزّ الدين ابن عبد السلام المتوفي سنة ٦٦٠ هـ ، وابن مالك المتوفي سنة ٦٧٢ هـ ، وابن خلّكان المتوفي سنة ٦٨١ هـ ، وابن منظور المتوفي سنة ٧١١ هـ ، وابن تيمية الحرّاني المتوفي سنة ٧٢٨ هـ ، والنُّويري المتوفي سنة ٧٣٣ هـ ، وأبَا حيَّان الأندلسي المتوفي سنة ٧٤٥ هـ ، والذهبي المتوفي سنة ٧٤٨ هـ ، وابن قيم الجوزية تلميذ ابن تيمية المتوفي سنة ٧٥١ هـ ، وتقي الدين السبكي المتوفي سنة ٧٥٦ هـ ، وابن هشام الأنصاري المتوفي سنة ٧٦١ هـ ، وابن عقيل المتوفي سنة ٧٦٩ هـ ، وابن خلدون المتوفي

سنة ٨٠٨هـ ، والفيروز آبادي المتوفي سنة ٨١٦هـ ،[٥] والقلقشندي المتوفي سنة ٨٢١هـ ، والدماميني المتوفي مهاجراً في الهند سنة ٧٢٨هـ ، والمقريزي المتوفي سنة ٨٤٥ ، وابن حجر العسقلاني المتوفي سنة ٨٥٢هـ ، والجلال المحلّي المتوفي سنة ٨٦٤هـ ، وابن تغري بردي المتوفي سنة ٨٧٤هـ ، والكافياجي المتوفي سنة ٨٧٩هـ ، والسخاوي المتوفي سنة ٩٠٢هـ ، والجلال السيوطي المتوفي سنة ٩١١هـ ، وزكريا الأنصاري المتوفّي سنة ٩٢٦هـ ، وابن إياس المتوفي سنة ٩٣٠هـ .

ومما يلفت النظر أنّ الاهتمامات العلمية لم تكن شأناً خاصاً بالعلماء في كل الأحوال ، فقد عرفنا ألواناً من النشاط العلميّ لبعض الخلفاء العباسيين في مصر إبّان عهد المماليك ، يقول السيوطي عن الخليفة المتوكل على الله الثاني المتوفي سنة ٩٠٣هـ : «كان له اشتغال على والدي وغيره من المشايخ وأجاز له باستدعائي ، جماعة من المسندين ، وقد خرّجت لهم عنه جزءاً حدّث به ، وألّفت برسمه كتاب : «الأساس في فضل بني العباس» ، وكتاب «رفع الباس عن بني العباس»[٦] :

أما السلاطين والأمراء المماليك أنفسهم فقد كان اشتغالهم بالحروب والفتن وتوطيد السلطان ، بالإضافة إلى عجمتهم السبب الداعي لاقتصارهم على دراسة المعارف العسكرية دون غيرها من علوم اللغة العربية والثقافة الإسلامية التي اكتفوا بتشجيع العلماء فيها والمصنفين في موضوعاتها . وقد عمل العلماء الذين ذكرنا أسماءهم وغيرهم على التأليف والتصنيف ، كلٌّ في فنّه . وتركوا في جميع الفنون مؤلفاتٍ ضخمة خالدة كثيرة ، يقول أحد الباحثين : (لا نبالغ إذا قلنا إنّ مؤلفات علماء مصر في خلال العصر المملوكي وهو أقل من ثلاث مئة عام تبلغ عدة آلاف ، وحسبنا دليلاً على ما نقول أنّ بعضهم عرف عنه أنّه وحده ألّف مئات من الكتب والرسائل كالسيوطي ، فقد قيل : إنّ مؤلفاته أربت على ست مئة ، وكابن تيمية الحرّاني فقد قيل : إنّ مؤلفاته أربت على خمس مئة ، وكابن حجر العسقلاني فقد قيل أن مؤلفاته أربت على مائة وخمسين وهكذا)[٧] .

ومن أشهر المؤلفات العلمية الكثيرة في عصور المماليك في مصر والشام وفي مختلف العلوم : «القاموس المحيط للفيروز بادي» ، وفتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن

حجر العسقلاني ، ولسان العرب لابن منظور ، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ، و« نهاية الأرب » للنويري ، و« المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» المعروف بخطط المقريزي ، و« صبح الأعشى في كتابة الإنشا » للقلقشندي ، و« العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر» لابن خلدون ، و« الضَّوء اللامع لأهل القرن التاسع » للسخاوي ، و« حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» للسيوطي ، و« بدائع الزهور في وقائع الدهور» لابن إياس ، و« النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة» لابن تغري بردي ، و« بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» للسيوطي ، و« طبقات الحفاظ » للذهبي ، وغير ذلك كثير.

وتدلّ هذه المصنفات المشهورة ونحوها بوضوح على خصوبة الحياة العلمية في عصور المماليك ، وعلى أنّ هذه العصور قد تميّزت بظهور الموسوعات الجامعة في نفس الوقت الذي تميّزت فيه أيضاً بالمتون والشروح والحواشي والتعليقات ، مما يعني أنه يصحّ فيها القول بأنّها عصور الاختصار والموسوعية في آن واحد ، وكلاهما كان يهدف إلى التعليم عن طريق حفظ أوسع المعلومات وأكثرها تفصيلاً في الموسوعات ، أو أهمها وأشدّها اختصاراً في المتون وفيما بني عليها ، وذلك تعويضاً عمّا تمّ فقده في بغداد من الذخائر والنفائس من جهة ، وتسهيلاً للحفظ والتعلم من جهة أخرى ، وهكذا تمّ حفظ الأصول والفروع جميعاً في كلا لوني التأليف والتصنيف آنذاك.

ولقد اختلف الوضع العلميّ بعد انتهاء دولة المماليك وخلال أيام الدولة العثمانية ، لما فعله أهل هذه الدولة حين تمّ لهم النصر بفتح مصر سنة ٩٢٣ هـ من نقل المصنفات العلمية الموجودة فيها إلى تركية ، مما أدّى بالضرورة إلى هبوط مستوى النشاط العلمي في مصر شيئاً فشيئاً.

النشاط النحويّ في هذه العهود :

في الدولة الفاطمية :

كان حظّ النحو من النشاط مثل حظّ سائر فروع المعرفة الأخرى في الدولة الفاطمية في مصر ، وكان النحو إلى جانب غيره من العلوم محلّ الدرس والتحصيل في الأزهر

وجامع الحاكم وغيرهما من دور التعليم ، وقد برز في عهد هذه الدولة في مصر كثير من النحويين منهم الأدفوي المتوفي سنة ٣٨٨ هـ ، والحوفي المتوفي سنة ٤٣٠ هـ وهو صاحب « إعراب القرآن » وابن بابشاذ المتوفي سنة ٤٦٩ هـ الذي صنع مسودّة في النحو يقال إنّها بيضت لقاربت خمسة عشر مجلداً وسمّاها النحاة من بعده « تعليق الغرفة » والذي صنّف أيضاً « شرح الجمل » وغيرهما ، وابن القطاع الصقليّ المولد المصريّ الدار والوفاة المتوفي سنة ٥١٥ هـ وله كتاب « الأفعال » وكتاب « أبنية الأسماء » وغيرهما ، وابن بريّ المقدسي الأصل المصريّ الدار المتوفي بمصر سنة ٥٨٢ هـ وقد كان إماماً كبيراً في النحو ، وله « جواب المسائل العشر » وهي المسائل التي استشكلها الحسن بن صافي بن عبدالله أبو نزار المعروف بملك النحاة وسمّاها « المسائل العشر المتعبات إلى الحشر » ، وقد قضي هذا الإمام شطراً من حياته في نهاية الدولة الفاطمية وشطرها الآخر في بداية الدولة الأيوبية .

في الدولة الأيوبية :

تأسست في عهد الأيوبيين الذي بدأ سنة ٥٦٧ هـ المدارس الكثيرة ، وازدهر فيه النحو إلى جانب سائر العلوم ، واشتغل بالنحو خاصة خلق كثير منهم الملوك كالملك الكامل الأيوبيّ الذي منحه ابن برّيْ إجازة في النحو ، والملك المعظّم عيسى الأيوبي الذي قرأ على تاج الدين الكندي المتوفي بدمشق سنة ٦١٣ هـ كتابي « الحجة » و« الايضاح » لأبي عليّ الفارسي ، وكتاب سيبويه وشرحه لابن درستويه ، والذي أحبّ النحو ونبغ فيه ، وشجّع دارسيه حتى أنّه شرط لكل من يحفظ مفصّل الزمخشري مئة ديناراً وخلعةً ، والملك المؤيد عماد الدين بن إسماعيل بن الأفضل صاحب حماه الذي شرح كافية ابن الحاجب .

ولم يكن النشاط النحويّ في عصر الأيوبيين مقصوراً على مصر ، بل كان هذا النشاط موجوداً أيضاً في بلاد الشام التي أسست فيها مدارس خاصة عنيت بدراسة النحو أكثر من غيره .

وكان الملك المعظم عيسى الأيوبي صاحب الفضل في إنشاء أهم هذه المدارس وهي : المدرسة العادلية بدمشق ، ومدرسة أخرى في القدس أسّسها سنة ٦٠٤ هـ .

ومن أهم نحاة مصر والشام في العهد الأيوبي ابن معطي المتوفي بالقاهرة سنة ٦٢٨ هـ وهو صاحب الألفية المشهورة باسمه، وصحاب «الفصول الخمسون» و«العقود والقوانين» وغيرهما، وابن يعيش الحلبي المعروف بابن الصانع المتوفي بحلب سنة ٦٤٣ هـ وهو أستاذ ابن مالك وصاحب الشرح المطوّل لمفصّل الزمخشري، وشرح تصريف ابن جني، وابن الحاجب المتوفي في الاسكندرية سنة ٦٤٠ هـ أو ٦٤٦ هـ ومن مؤلفاته: «الأمالي النحوية»، وشرح لمفصّل الزمخشري سمّاه «الايضاح» ومتن «الكافية»[٨] في النحو وشرحها، ومتن «الشافية» في الصرف وشرحها.

في عصور المماليك:

كثر في عصور المماليك المشتغلون بالنحو والصرف خاصة في مصر والشام، وازداد بذلك النشاط في الدراسات النحوية والصرفية، وبلغ هذا النشاط ذروته بعدما سقطت غرناطة آخر حواضر الأندلس بيد الفرنجة سنة ٧٩٨ هـ واتجه بسبب ذلك جمهرة طيبة من المشتغلين بهذين العلمين نحو مصر والشام، ومن أشهر نحاة هذه العصور في هذين القطرين ابن مالك المتوفي سنة ٦٧٢ هـ الذي برز واشتهر في أواخر العصر الأيوبي وأوائل عصور المماليك، وأبو حيان الأندلسي المتوفي سنة ٧٤٥ هـ، وابن أم قاسم المرادي المتوفي سنة ٧٤٩ هـ، وابن هشام الأنصاري تلميذ أبي حيان المتوفي سنة ٧٦١ هـ الذي قال ان ابن خلدون عنه: (ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه)[٩].

والذي ذكر أحد الباحثين[١٠] أنه يُعَدّ آخرَ أعلام المدرسة المصرية في النحو، إذ لم يظهر في مدرسة مصر مجتهد في هذا العلم بعده، وابن عقيل المتوفي سنة ٧٦٩ هـ، وابن الصائغ المتوفي ٧٧٦ هـ، وناظر الجيش محبّ الدين الحلبي المتوفى سنة ٧٧٨ هـ، والدماميني المتوفي مهاجراً في الهند ٨٢٧ هـ، والشُّمُنّي المتوفي سنة ٨٧٢ هـ، والسيوطي المتوفي سنة ٩١١ هـ الذي قيل فيه: (خدم لغة العرب خدمة قصّر عنها معاصروه ولم يفته فيها سابقوه، وقد ألّف فيها كتباً كثيرة منها ما خصّ به أصولها، ومنها ما خصّ به فروعها، وقلّما غاص في لجّة الا استخرج ما فيها من الدرّ)[١١] والاشموني المتوفي

حوالي[١٢] سنة ٩٢٩ هـ وغيرهم .

ومن الطبيعي أن يصاحب هذه النخبة من النحويين في مصر خاصة في عصور المماليك مصنّفات هامة وكثيرة لهم ، فقد نشطوا في التأليف النَحوِيّ ، وظهرت لهم أسفار قيمة من الموسوعات وكذلك من المتون والشروح النحوية ، ومن أشهر هذه المؤلفات : ألفية ابن مالك وتسهيله ، والتذييل والتكميل في شرح التسهيل ، وارتشاف الضرب من لسان العرب[١٣] ، وكلاهما لأبي حيّان ، وقد قال السيوطي عنهما : (لم يؤلّف في العربية أعظم من هذين الكتابين ولا أجمع ولا أحصى للخلاف والأحوال ، وعليهما اعتمدت في كتابي جمع الجوامع)[١٤] ، ولأبي حيّان أيضاً «منهج[١٥] السالك في الكلام على ألفية ابن مالك» .

ومن الكتب أيضاً : شرح التسهيل ، وشرح الألفية ، وشرح المفصّل ، وهي لابن أمّ قاسم المرادي ، والتوضيح على الألفية ، ومتن شذور الذهب وشرحه ، ومتن قطر الندى وشرحه ، والإعراب عن قواعد الإعراب ، ومغني اللبيب لابن هشام الأنصاري ، وشرح الألفية ، والمساعد في شرح التسهيل وهما لابن عقيل ، وشرح الألفية ، وحاشية على المغني لابن الصائغ ، وشرح التسهيل لناظر الجيش ، وشرح التسهيل ، وحاشية تحفة الغريب على مغني اللبيب للدماميني ، والمنصف من الكلام على مغني ابن هشام للشّمنيّ ، وجمع الجوامع وشرحه همع الهوامع ، والاقتراح في أصول النحو ، وشرح شواهد المغني ، والبهجة المضيّة في شرح الألفية ، والأشباه والنظائر في النحو ، والفتح القريب في شرح مغني اللبيب وهي جميعاً للجلال السيوطي ، وشرح الألفية للأشموني .

في العصر العثماني :

تدنّي مستوى النشاط النحوي في العصر العثماني عمّا كان عليه في عصور المماليك ، ومع ذلك فقد ظهرتْ في هذا العصر في مصر خاصة طائفة من النحويين من ذوي المستوى الجيّد ، قصروا نشاطهم على صنع الحواشي والتقريرات وكتابة التعليقات ، وجمعوا في هذا كله كثيراً من المعارف النحوية وأطرافاً من التحليلات والنظرات الاجتهادية .

ومن أشهر النحويين ومؤلفاتهم في مصر آنذاك : الشنواني المتوفي سنة ١٠١٩ هـ ، وله حاشيتان على شرحي قطر الندى لابن هشام الأنصاري ولجمال الدين الفاكهي[١٦] ، وحاشية على[١٧] شرح خالد الأزهري للإعراب عن قواعد الإعراب لابن هشام ، والدنوشري المتوفي سنة ١٠٢٥ هـ وله حاشية على التصريح لخالد الأزهري ، وياسين الحمصي المتوفي سنة ١٠٦١ هـ وله حاشية على شرح قطر الندى لابن هشام ، وحاشية على مجيب الندا للفاكهي ، وحاشية على تصريح الأزهري ، والمدابغي المتوفي سنة ١١٧٠ هـ وله حاشية على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ، والحفني المتوفي سنة ١١٧٨ هـ وله حاشية على شرح الأشموني لهذه الألفية ، والسجاعي المتوفي سنة ١١٩٧ هـ وله شرح على متن قطر الندى لابن هشام ، والكفراوي المتوفي سنة ١٢٠٢ هـ وله شرح على متن الآجرومية ، والصبان المتوفي سنة ١٢٠٦ هـ وله حاشية على شرح الأشموني للألفية ، والدسوقي المتوفي سنة ١٢٣٠ هـ وله حاشية مطولة على مغني اللبيب لابن هشام ، ومحمد الأمير المتوفي سنة ١٢٣٢ هـ وله حاشية على المغني وحاشية على شرح الأزهرية وحاشية على شرح الشذور ، وحسن العطار المتوفي سنة ١٢٥٠ هـ وله حاشية على شرح الأزهرية لخالد الأزهري ، والخضري الدمياطي المتوفي سنة ١٢٨٨ هـ وله حاشية على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك ، وحسين والي الأزهري المتوفي سنة ١٣٠٦ هـ وله نفحة الآداب على ملحة الأعراب للحريري .

طابع الدراسات النحوية خلال العهود السابقة :

إنّ هذا الدرس النحويّ الذي أسلفنا الحديث عنه في مصر ومعها الشام منذ الدولة الفاطمية وحتى أوائل العصر العثماني بما تضمّنه من حشود العلماء ومن مصنفاتهم المتميّزة بطابع واحد أو بطوابع متقاربة ، يدلّ بوضوح على أنّ قاسماً مُشْتَرَكاً قد ربط بين هؤلاء العلماء من جهة ، وربط بين مصنفاتهم أيضاً من جهة أخرى ، وأنّ خطوطاً عريضة عامة قد جمعت بينهم ، ولعلّ هذا هو الذي حمل من سمّوا هذه الدراسات بالمدرسة المصرية النحوية على أن ينعتوها بهذه التسمية ، وبصرف النظر عن الخلاف المعروف بين القائلين بوجود مدارس نحوية وبين المنكرين لها من الأساس أو المنكرين لبعضها المقرّين ببعضها ، فإنّي أميل إلى القول بأنّ طابعاً عاماً كان يميّز الدرس النحويّ في مصر

والمصنفات النحوية فيها لهذا الزمان ، يتضح هذا تماماً من مناهج تأليفهم ومحتوى هذا التأليف ، ومن شدّة ولعهم ، بالتفصيل والتشقيق وأساليب الجدل في الفروع بما تتضمنه من اعتراضات وإجابات عليها ونحوها ، ولعلّ وحدة البيئة بكل وجوهها والنظام السياسي والتقاليد الاجتماعية وكذلك سائر عوامل التأثير الأخرى في النشاط العلمي وفي الحياة العامة قد أسهمت جميعاً في إضفاء طابع واحدٍ أو أجواء متقاربة على وجوه التفكير والانتاج على صعيد العلوم والمعارف إبّان العهود المتعاقبة في مصر خاصة آنذاك ممّا أساغ لبعضهم القول بالمدرسة المصرية في النحو التي جرت العادة بأن تشمل بلاد الشام أيضاً في ذلك الزمان ، وذلك بصَرف النظر عن صواب تسميتهم بالمدرسة بالإصطلاح العلمي المعروف لهذه الكلمة ، أو عدم صواب ذلك تبعاً للخلاف المعروف في المدارس النحوية بين الباحثين .

وأياً ما كان الأمر فإنّ ظهور عهد الفاطميين في منتصف القرن الرابع الهجري كان إيذاناً بأنّ المدرسة المصريّة أو الدراسات النحوية في مصر ومعها الشام قد أخذت تتبلور وتستقل بشخصيتها عن المدارس السابقة أو عن الدراسات النحوية الماضية ، وتتميّز باتجاهها الذي يبدو أنّه أخذ يميل إلى المدرسة البغدادية أو إلى الدرس النحويّ في بغداد ، وقد بدا ذلك واضحاً من مسلك نحاة مصر ومنهجهم في الدرس ، وهو منهج يعتمد في الفروع على تصويب آراء البصريين فيها تارة وآراء الكوفيين تارة أخرى مع تركها تارة ثالثة والأخذ بآراء البغداديين ، ثم النفوذ إلى آراء اجتهادية تارة رابعة على نحو ما فعل الحوفي وابن بابشاذ وابن بري من نحاة العصر الفاطمي ، ويعدّ هذا الاجتهاد السِّمة الأولى المميزة لما يُسَمَّى بالمدرسة المصرية أو بالدرس النحويّ في مصر ، ما لبثت أن أضيف إليها فيما بعد سمات أخرى أصبحت تعدّ مع الاجتهاد من خصائص هذه المدرسة التي تميّزها عن غيرها من المدارس السابقة ، ومن هذه السمات والخصائص عناية نحاة مصر بمسائل الخلاف خاصة ، والانصراف إلى الاهتمام بالإعراب في القرآن .

وتبعاً لنواميس الحياة وطبقاً لسنن التطور فإنّ العصر الأيوبي التالي لعهد الفاطميين حمل معه مزيداً من الازدهار للدرس النحوي في مصر والشام ، ولكنه أضحى درساً موسوماً بغلبة المذهب البصريّ على اتجاهات أكثر النحويين، وعلى جلّ الدراسات

النحوية كما يتضح من الانتاج النحويّ آنذاك ، ومما يمكن أن يعنيه ما كان عليه شأن مدرسة القدس التي أسسها الملك المعظم عيسى الأيوبي سنة ٦٠٤ هـ لدراسة النحو بخاصة إذ اعتمدت في هذه الدراسة كتاب سيبويه[١٨] فقط ، كما أضحى موسوماً بظهور الاتجاهات الفلسفية والنزاعات المنطقية في دراسات النحاة على نحو ما يبدو بوضوح عند ابن الحاجب الذي يقول عنه أحد الباحثين أنّه كان (أول نحويّ في مصر نزع بالنحو نزعة فلسفية)[١٩] .

أما العصور المملوكية فقد حملت معها تبعاً لنفس النواميس والسنن مزيداً من الازدهار والنشاط للدرس النحويّ في أرجاء الدولة وقد لخّص الدكتور شوقي ضيف طابع ما سمّاه بالمدرسة المصرية في عصورها المتعاقبة فذهب إلى أنّ هذه المدرسة : (أخذت تمزج منذ القرن الرابع الهجري بين آراء البصريين والكوفيين ، وضمّت سريعاً إلى تلك الآراء آراء البغداديين ، غير أنها لم توفق ولم تزدهر إلّا منذ العصر الأيوبي ، وسرعان ما تكامل ازدهارها في العصر المملوكي)[٢٠] .

على كل حال فان علماء الأندلس والمغرب عامة وابن مالك وأبا حيّان خاصة قد أسهموا في المدرسة المصرية لعهد المماليك أو في الدرس النحويّ في الدولة المملوكية إسهاماً بارزاً ، مما جعل ملامح المذهب الأندلسي غالبة على هذا الدرس أو على هذه المدرسة في هذا العهد ، وجعل أسماء نحاة الأندلس وآراءهم الأكثر تداولاً في مصنفات النحويين والأكثر ترجيحاً في مناقشاتهم وخلافاتهم مع غيرهم .

ولقد حفظ لنا نحاة عصور المماليك الثروة التي سبقتهم ، وأضافوا لها إنتاجهم الغزير ، ثم أورثوا ذلك كله إلى ما بعدهم من عصور ما لبث أهلها ينتفعون به زمناً بعد زمن إلى يومنا الحاضر.

ولنا هنا وقفة عند ابن مالك بالذات لما كان له من شهرة في زمانه وبعده ، وللآثار العميقة التي أحدثها في الدرس النحويّ إلى هذا الوقت ، نقول إنّه على الرغم من أنّ المرحوم الأستاذ أحمد أمين قد رأى أنّ ابن مالك كان يدور في فلك البصريين ، وأنه ليس مُجَدّداً بل هو لا يعدو أن يكون قد : (نظم نحو سيبويه ووضّحه وفصّله وقرّبه إلى الناس وعمّمه)[٢١] . وأنّه إن اجتهد (فالذي نسميّه في الفقه اجتهاد مذهب لا اجتهاداً

مطلقاً)[٢٢] وأنّ أهمّ ميزة في عمله كانت (ربط قواعد النحو ربطاً مُحكماً وبسطها كما يتجلّى ذلك بالنظر في ألفيته وقواعده والقواعد التي ذكرها سيبويه في كتابه)[٢١] فإنّ ابن مالك هذا الذي أدرك أيضاً عهد الأيوبيين في مصر والشام — وكذلك أبا حيان وتلميذه ابن هشام الأنصاري — يعدّون بحقّ شيوخ المدرسة المصرية في عصور المماليك على الأقل بدون منازع إن صحّ هذا التعبير، ولم يكن عمل ابن مالك — على ما أعتقد — مقصوراً على ما ذكره الأستاذ أحمد أمين، بل لقد أضاف إلى ذلك على حدّ قول أحد الباحثين مذهباً نحوياً عميق الأثر في النحو العربي: (شغل به النحاة من بعده وظلّ أساساً لأكثر الدراسات النحوية إلى اليوم، وهو مذهب يقوم على أساس المزج والاختيار من المذاهب السابقة كلّها مع ميل واضح إلى الجياد والتيسير وجنوح شديد إلى الاجتهاد والتجديد)[٢٢] كما كان يخالف في أحيان كثيرة آراء البصريين الذين يميل إليهم في الجملة وإلى سيبويه منهم على وجه الخصوص، فيرتضي مذهب الكوفيين إذا صحّت لديه حكمته في بعض المسائل، ورأى أنّ الرواية الصحيحة تؤيدهم، فهو لم يكن يتعبّد بأقوال البصريين، بل كانت له كما يقول السيوطيّ أيضاً (طريقة سلكها بين طريقَي البصريين والكوفيين)[٢٣].

على كل حال يعدّ ابن مالك صاحب الفضل في الإكثار من تقعيد القواعد وتنظيمها وتبويبها وجمع متفرقها، وتحرير مباحث النحو وأبوابه ومصطلحاته، وتذليل مشاكله وصعابه، وتسهيل قواعده وأصوله وتوضيحها وتفصيلها وتقريبها إلى الناس، وتمثّل آراء السابقين على اختلاف مذاهبهم والاختيار منها ثم استنباط الآراء الجديدة والاجتهاد فيها مما يمكن معه اعتباره مجدّداً في النحو ولو بعض التجديد، وهكذا يبقى نحو ابن مالك مزيجاً من ابتكاراته ومن نحو المذاهب جميعاً كما تبقى المسحة البصرية هي الغالبة عليه.

أما أبو حيان وابن هشام فقد سارا عموماً على طريقة ابن مالك ونهجا نهجه، حتى لقد وصف ابن هشام طريقة ابن مالك بأنها (طريقة المحققين وهي أحسن الطريقين)[٢٣]، مع كثير من الاجتهادات الخاصة والنظرات المستقلّة والاعتراضات المتعددة كالذي حدث كثيراً من أبي حيّان إزاء ابن مالك، وكالذي حدث من ابن

هشام إزاء أستاذه أبي حيّان ، كما استمدّا في دراساتهما النحوية : (من ابن الحاجب قليلاً من فلسفته النحوية ، ومن ابن مالك كثيراً من توسعه في الرواية)[٢٤] وإن كان أبو حيّان قد تأثر كثيراً بالبصريين في مقاييسهم وأصولهم وعللهم وفروعهم وجرى وراءهم في كثير من مسائلهم وخالفهم في القليل منها ودافع عن جمهرة اتجاهاتهم وأنكر على ناقديهم أكثر من مرّة .

ولقد نال ابن هشام شهرة فائقة في زمانه وما زال : (لما انفرد به من الفوائد الغريبة والمباحث الدقيقة والاستدراكات العجيبة والتحقيق البارع والاطلاع المفرط والاقتدار على التصرف في الكلام ، والملكة التي كان يتمكن من التعبير بها عن مقصوده بما يريد مسهباً وموجزاً)[٢٥] ولما تميّز به من أنّه استوفى أحكام الاعراب مجملة ومفصّلة ، وتكلّم عن الحروف والمفردات والجمل ، وحذف ما في الصناعة من المتكرر في أكثر أبوابها ... وأشار إلى نكت إعراب القرآن كلّها وضبطها بأبواب وفصول وقواعد انتظمت سائرها[٢٦] ولما اتّصف به من أنّه : (على علم جمّ يشهد بعلوّ قدره في صناعة النحو ووفور بضاعته منها ، وكأنه ينحو في طريقته منحاة أهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جني وتبعوا مصطلح تعليمه ، فأتى من ذلك بشيء عجيب دالّ على قوة ملكته واطلاعه)[٢٧] . ولعلّ هذه الأقوال هي التي حملت باحثاً معاصراً على أن يرى أنّ ابن هشام هو آخر المجتهدين في مدرسة مصر النحوية ، وأنه لم يظهر فيها بعده مجتهد آخر[٢٨] .

وقد سار من جاء بعد ابن مالك وابن هشام بخاصة سيرتهما ، ولم يخرج عمّا رسماه ، بل اتبع منهجهما ، وسار على أثرهما واقتصر في أغلب الأحوال على شرح مؤلفاتهما ودراستها والتعليق عليها ، حتى من وضع منهم ابتداء متوناً أو شروحاً مستقلة لم يخرج عن دائرتهما ، وإنْ تميز بعضهم بنظراته الخاصّة وشخصيته العلمية المستقلة التي تدلّ على نضجه وعمق فهمه ، وكامل إلمامه ودقة ملاحظاته وموازناته وتوجيهاته وتعليلاته على نحو ما يبدو ذلك مثلاً في ابن امّ قاسم المرادي شارح ألفيه ابن مالك ، الشرح الذي بقي مجهولاً فلم ينشر[٢٩] إلّا مؤخراً جداً ، والمسمّى «توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك» ، والذي انتحله الأشموني ونسبه إليه وغيّر اسمه إلى «منهج السالك إلى الفية ابن مالك» وكاد يكون نسخة مطابقة له ، وكنت أول من صرّح بذلك ومثّل له في

رسالتي للماجستير[٣٠] ، فكان هذا إيذاناً للباحثين في أكثر من قطر بأن يتحرّوا الحقيقة ، وأدّى تحرّيهم إلى إثبات صحة ما صرّحت به وضربت الأمثلة عليه ، وتكشفت في نهاية المطاف حقيقة الشهرة العلمية التي بناها الأشموني زماناً طويلاً على شرحه المزعوم ، الذي كان يعدّ على امتداد هذا الزمان من أشهر شروح الألفية إن لم يكن أشهرها على الإطلاق وأكثرها تداولاً بين الدارسين .

أما الدرس النحويّ والتصنيف فيه في عصور العثمانيين فقد اتسم أكثرها بظهور التأثر بالبيئة الأعجمية فيها ، وفي الدارسين والمصنفين في النحو على الرغم من اتساع آفاق كثير منهم وقوة ملكاتهم ومداركهم وغزارة معارفهم ، وقد جعل هذا أكثر هذه المؤلفات على شرف موضوعها وجلال مباحثها وإتقان ضبطها وإحكام ترتيبها صعبة التناول لا تثري اللسان العربيّ بالمقدار الذي تثري فيه المنطق والفلسفة لكثرة ما حُشيت بهما ، ولفرط ما استُخْدِما في بيان الأصول والفروع النحوية ، فضلاً عن أنّ أسلوبهما كان معقّداً ورمزياً موغلاً في الصعوبة والإشارة ، ومع هذا فإن الدراسات النحوية على ما يقول الدكتور شوقي ضيف ظلّت (ناشطة في العصور العثمانية في مصر حتى العصر الحديث)[٣١] وكثرت الحواشي والتقريرات على المنهج الذي وصفناه كثرة بالغة ، واستمرّ حال التصنيف النحويّ على هذا المنوال الى بداية العصر الحديث ، حيث اخذت تظهر محاولات متعددة للتجديد ، قام بها بعض المشتغلين بالنحو مثل الأستاذ إبراهيم مصطفى في كتابه «إحياء النحو» والشيخ أمين الخولي في محاضراته وأبحاثه ، والشيخ عبد المتعال الصعيدي في كتابه «النحو الجديد» والدكتور عبد الرحمن أيوب في كتابه «دراسات نقدية في النحو العربي» وغيرهم ، إلى جانب بعض الكليات التي أخذت على عاتقها عِبْء الدعوة إلى تجديد النحو ككلية دار العلوم وكلية الآداب في جامعة القاهرة ، بالإضافة إلى اللجان التعليمية في وزارات المعارف في البلدان العربية ، والأبحاث الفردية لمثقفين من كل ديار العرب ، ولكن هذه المحاولات على ما يقول به أحد الباحثين وعلى ما يشهد به واقع الحال : (لم يكن لها من القوة ما يكتب لها الخلود لأنه ما زال النحو الموروث بأقيسته وعلله يفرض سلطانه على النحو والنحويين إلى اليوم[٣٢]) .

الرياض : الدكتور عبد الكريم محمد الأسعد

حـواشي المقـال :

(١) ابن خلدون ، المقدمة ٤٠٠ .
(٢) الرباط : الذي يبنى للفقراء ، ويجمع في القياس على رُبُط بضمتين ، وعلى رباطات .
(٣) ابن بطوطة ، تحفة النظار ١ : ٢٠ .
(٤) هي الجامع المعروف الآن في القاهرة بالجامع المؤيد بجوار باب زُويلة .
(٥) العرب : الفيروز آبادي توفي في ٢٠ شوال سنة سبع عشرة وثماني مئة — كما ذكرن تلميذه الفاسي في «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» ج٢ ص ٤٠٠ ، وقد ولد في (كارزين) في جهة شيراز .
جنوب مدينة (شيراز) وعاش أكثر حياته في اليمن متنقلاً بينها وبين مكة ، وزار أشهر المدن الإسلامية كبغداد ودمشق والمقدس والقاهرة .
(٦) السيوطي ، حسن المحاضرة ٢ : ٩٢ .
(٧) محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ٣ : ٩٠ — ٩١ .
(٨) لكافية ابن الحاجب — شروح كثيرة من أشهرها شرح الرضي الاستر اباذي .
(٩) الزركلي ، الأعلام ٤ : ٢٩١ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ٢ : ٤١٦ .
(١٠) أنظر د/عبد العال مكرم ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ١٧٨ .
(١١) الشنقيطي ، الدرر اللوامع ، المقدمة ٢ .
(١٢) رجّح كثيرون أنه توفي سنة ٩١٨هـ .
(١٣) وهو مختصر للتذييل والتكميل في شرح التسهيل ، ويقع الارتشاف في ست مجلدات ، وله مختصر في مجلدين .
(١٤) السيوطي ، بغية الوعاة ١ : ٢٨٢ .
(١٥) طبع بالويات المتحدة سنة ١٩٤٧م بتحقيق سدني غليزر .
(١٦) سمى الشنواني حاشيته على شرح قطر الندى للفاكهي «هداية مجيب الندا إلى شرح قطر الندى وبلّ الصدى» .
(١٧) سمّى الشنواني هذه الحاشية «هداية أولى الألباب إلى موصل الطلاب إلى قواعد الأعراب» .
(١٨) أنظر محمد كرد علي ، خطط الشام ٦ : ١١٧ .
(١٩) عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية في مصر. ٢٢١ .
(٢٠) د/شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، المقدمة ٧ .
(٢١) أحمد أمين ، ظهر الإسلام ٣ : ٩٣ — ٩٥ .
(٢٢) ابن مالك ، التسهيل ، تحقيق محمد كامل بركات ، تقديم الدكتور يوسف خليف :
(٢٣) السيوطي ، الاقتراح في علم أصول النحو ٨٦ .
(٢٤) عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية في مصر ٢٢٦ .
(٢٥) السيوطي ، بغية الوعاة ٢ : ٦٨ — ٦٩ .
(٢٦) أحمد أمين ، ظهر الإسلام ٤ : ٢١١ .
(٢٧) ابن خلدون ،المقدمة ٥١٦ .
(٢٨) أنظر د/عبد العال مكرم ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ١٧٨ .
(٢٩) طبع بمصر في ستة أجزاء بتحقيق الدكتور عبد الرحمن علي سليمان في وقت قريب .
(٣٠) وهي بعنوان «أبو الحسن الأشموني وكتابه منهج السالك إلى الفية ابن مالك» وقد أجيزت سنة ١٩٧٣م .
(٣١) د/شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، المقدمة ٨ .
(٣٢) د/عبد العال مكرم ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ١٧٨ .

مصادر البحث ومراجعه

١ ــ الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ط٣ بيروت .

٢ ــ الاقتراح في علم أصول النحو ، جلال الدين السيوطي ، ط٢ حيدر آباد سنة ١٣٥٩ هـ .

٣ ــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين السيوطي ،البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٦٤ م ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم .

٤ ــ تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ابن بطوطة ، المطبعة الأزهرية بمصر سنة ١٩٢٨ م .

٥ ــ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ابن مالك ، القاهرة سنة ١٩٦٨ م ، تحقيق محمد كامل بركات .

٦ ــ الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول ، عبد اللطيف حمزة ، ط٨ بالقاهرة سنة ١٩٦٨ م .

٧ ــ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، جلال الدين السيوطي ، عيسى البابي الحلبي سنة ١٩٦٧ م ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم .

٨ ــ خطط الشام ، محمد كرد علي ، ط ، بيروت سنة ١٩٦٩ ــ ٢٩٧٢ م .

٩ ــ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ابن حجر العسقلاني ، ط٢ سنة ١٩٦٦ م ، تحقيق محمد سيد جاد الحق .

١٠ ــ الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، الشنقيطي ، مطبعة كردستان بالقاهرة سنة ١٣٢٨ هـ .

١١ ــ ظهر الإسلام ، أحمد أمين ، ط٤ مكتبة النهضة المصرية .

١٢ ــ عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، محمود رزق سليم ، المطبعة النموذجية بمصر سنة ١٩٦٢ م .

١٣ ــ القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ، د/عبد العال مكرم ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨ م .

١٤ ــ المدارس النحوية ، د/شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨ م .

١٥ ــ المقدمة ، ابن خلدون ، دار الشعب بالقاهرة .

من ذكريات أب حزين

ما آلم بكاء القلوب حين تستعصي الدموع

[أنظر جريدة «الجزيرة» : ع ٣٠٧٣]

لن أقابل عتبك — أيها الأستاذ الكريم — بعتب ، وان نكأت كلمتك التي نشرتها هذه الصحيفة (ع ٣٠٧٣ في ١٤٠١/٣/٧ هـ) جرحاً كاد أن يندمل .

وما أحسبها — بعمق تأثيرها في نفسي وبما أثارت من بواعث الذكريات ، الا صادرة من قلب اكتوى بفرقة حبيب ، أو امتلأ بمحبة ابن بار ..

وما أعمق آثار ما يصدر عن القلب المفعم بصادق العواطف بقلب أرهفت إحساسه الام الجراح ..

أما الصحفي اللبق الذي كان حديثه معي مثار التعليق فما أراه جديراً باللوم ، ولا مطالباً بإيضاح ما استغلق فهمه على القراء ، لقد كان صياداً ماهراً ، والصحفي — بطبيعة عمله وبحكم مهنته — يسعى لاصطياد ما يمكنه اصطياده من القراء بمهارته الفنية ، وهي مهارة ترتكز — في صحافة اليوم — على عنصر الاثارة ، وبتلك المهارة اصطاد بجرة قلم صيداً سميناً ، فحظى قراء صحيفته بالاستمتاع بتلك الكلمة المؤثرة حقاً ، ولو استوضح أو أوضح ما كان محلا لتعليق الكاتب الكريم ، وباعثاً لعتبه ، ولما كان للعنوان الجذاب أثره .

أما أنا فانني أحمد له أسلوبه البارع ، الذي لا أراه تجاوز حد الاتزان ، وكان باستطاعته تجاوز ذلك الحد ، كزميله الصحفي الغربي الذي تحدث عن رجل شهير ، زار مدينة (نيويورك) فرأى في الاجابة على أحد أسئلة ذلك الصحفي ما لا يليق بسمعته فتجاهل ذلك السؤال ، غير أن الصحفي اتخذ من ذلك التجاهل وسيلة كانت أعمق أثراً في نفوس قراء صحيفته من الجواب ، إنها أبرزت ذلك الزائر بأبشع صورة من الجهل

المطبق لما يعد من أبرز مظاهر تلك المدينة (الشرق الأوسط عدد الجمعة ٢٦ الحجة سنة ١٤٠٠ هـ) .

وأذكر أنني أردت أن أصحح خطأ وقع فيه أحد مشاهير أدبائنا وقد استشهد بكلام للأمير شكيب أرسلان فذكرت ان مؤرخي هذه البلاد فيما يتعلق بتاريخها أوثق من شكيب . فما كان من ذلك الأديب الشهير إلا ان عمد الى الاثارة (ما رأيكم فيمن يطعن في أمير البيان)؟؟

ويأتي الحديث عن البكاء ، وهو حديث لا أحسنه ، ولا أراني ملوما في ذلك :

أترى البكاء — أيها الأخ الكريم — مقياساً للتعبير عن أصدق العواطف ؟؟

أم هو غريزة من غرائز النفس ، يستعصي حين تشتد الحاجة اليه عند طغيان بواعث الأسى ، واشتداد وقع المصيبة ، فتصاب النفوس بذهول ، وبجمود ، من شدة ما اعتراها ، وما أسعد من يجد لآلامه متنفساً ، ولو من فيض دمعه ، حين تطغى عليه الخطوب فيعجز عن مدافعتها بما هو أقوى وانفع من الدموع ؟؟

لعل انحدار الدمع يعقب راحة
من الوجد ، أو يشفي لظيَّ البلابل

أن أوفر الناس حظاً من هذه النعمة — نعمة القدرة على البكاء هم ذوو الاحساس المرهف ، والطباع الرقيقة ، كالنساء والأطفال ، وما أرى الشاعر مجانباً للصواب حين قال :

ابك مثل (النساء) ملكا مضاعا
لم تحافظ عليه مثل الرجال

فبكاء النساء أشد لوعة ، وأبلغ أسى وحسرة ، وأوقع في النفوس أثراً ..

أما الرجال فهم ذوو قلوب قاسية ، والقسوة مذمومة ، إلا في بعض الحالات .
اتراهم يلامون على ما هو جبلة في طباعهم ؟؟

يبكي علينا وما نبكي على أحد
لنحن أغلظ أكبادا من الابل

ثم لفتة نحو الكاتب العاتب ! !

إن الصحفي الكريم — وقد اتخذ من كلمة (البكاء) وسيلة إثارة — كان دقيقاً في التحري لايراد نص ما قلته فيما أثار التساؤل والعتب : (احتراق المكتبة كان بصراحة أعظم أثراً من موت ابني . ونهب مكتبتي) الخ .. مما لم ترد فيه تلك الكلمة .

ولا أرى القارىء — أي قارىء — يستعصي على فهمه ادراك الفرق بين اثر المصيبتين ، فقدان الابن لا يعني في كثير من الحالات سوى أهله وذويه ، بخلاف احتراق مكتبة هي بالنسبة لصاحبها الباب الذي يلج منه الى نفوس مجتمعه . الذي هو جزء منه ، ولا خير فيه إذا لم يشارك هذا المجتمع في أعماله النافعة . وكيف تتم المشاركة مع عدم وسائلها أو ضعف تلك الوسائل ؟!

إن أثر ضياع مكتبتي لا يزال هو هو ، الى ساعتك الآن ، لم يتغير ، بخلاف أثر مصيبتي بفقد ابني ..

واسمح لي بأن أتحدث موجزاً كيف كان وقع المصيبة ، وما وما منزلة هذا الابن في نفسي لئلا أوصم بالغلظة وبعدم الوفاء ! !

حين بدأت أدلف الى مرحلة الشيخوخة رزقت بابن هو الأول ، وذلك في عام ١٣٧٠ هـ ، ولا يعنيك ما بذلت في سبيل تربيته وتنشئته ، وفق ما أرشحه له في مستقبل حياته ..

ولقد شب ونشأ واجتاز مراحل الدراسة دون تعثر .

وكان يهوى ممارسة كثير من الألعاب . وأنا — حتى في سن الصغر — كنت أكرهها ، لأنني عشت عليل الجسم ، فإذا اضطررت لمشاركة لِدَاتي في بعض ألعابهم فشلت ، فأثر هذا في نفسي ، ولهذا كنت كثيراً ما ألوم ابني على اضاعة وقته باللعب ، خوفاً من تأثيره على سير دراسته ، فكان يقابل لومي قائلاً : (يا أبي) وهكذا كان

يخاطبني بهذه الكلمة بحيث انني اذا سمعتها الآن من أحد ابنائي احس بأنني اسمع صوت ذلك الابن الذي ذهب عني منذ سبع سنوات : (يا ابي سوف آتيك بورقة النجاح فلا تشغل نفسك علي) وهكذا كان ، لم يرسب مرة واحدة في سنة من سني دراسته .

وكنت أرى في حيويته وقوته — جسما وذهناً وفكرا وخلقا — ما ملأ قلبي اطمئناناً وثقة بأنني حين أخلي مكاني في هذا الوجود ، فلن تعدم أسرتي العميد الصالح ، وقد أدرك هو هذا ادراكا حمله على السعي جاداً ليكون قادراً على تحمل التبعة .

وقبل أن يغادر هذه الحياة بشهور ، حين أوشك ان يكمل دراسته في (الجامعة الأمريكية) استشارني في الاشتغال بالتجارة ، مع زميلين له في الجامعة ، عرفتهما حق المعرفة ، هما جميل صلاح دندن ومصطفى عرب ، فحبذت له هذا العمل ، وهيأت له ما استطعت تهيئته ، فاتفق مع صديقيه على فتح مكتبين في الرياض وفي بيروت باسم (مؤسسة الجاسر التجارية) وسجل الاسم في (وزارة التجارة) .

وبعد اتمام الدراسة سافر الثلاثة الى (أوربا) للبدء في عملهم ، وفي العودة كانت الفاجعة بهم ! !

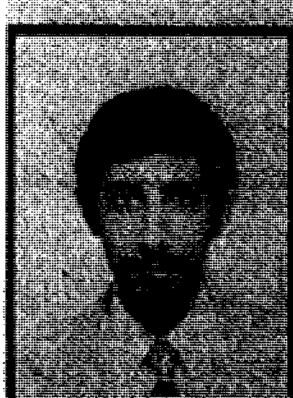
كانت حوادث (بيروت) في عنفوان شدتها ، فقد كثر القتل والخطف . واحرقت الفنادق والمحلات الكبيرة . فانتقلت بالأسرة الى قرية (بعل شميه) لنكون في منأى عن الحوادث ! !

وفي مساء يوم الاثنين — ٢٥ رمضان سنة ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥/٩/٢٩ م) سمعت أم محمد آخر صوت لابنها بواسطة الهاتف : (سنصل غدا الثلاثاء الساعة الخامسة صباحاً) .

لقد هدأت النفوس تلك الليلة بعد سماع الجملة المألوفة في الاذاعة (الطرق سالكة وآمنة) مع أن دوي المدافع وأصوات الانفجارات تصم الآذان .

ما أطولها من ليلة : ان طريق المطار من الجبل — طريق عرمون — لا يزال آمنا ولكن لا بد من المرور بالبيت في بيروت اذ السيارة هناك ، والطريق العام — طريق الحازمية — قد كثر فيه القتل والخطف ، ولكن الله سلم .







وها هو سائق سيارة الجيران الذين سيذهبون لاستقبال ابنهم يتصل بالمطار للتثبت من وقت وصول الطائرة .

ما الأمر؟ انه يهمس في أذن أحد الواقفين بجواره ، فيفتح فاه شاهقاً : (لأ . لأ) ثم يتواصل الهمس بين أفراد أسرة (آل دندن) ولا يقطعه سوى شهيق أم جميل ، ثم ارتفاع نحيبها ! ! (ما الخبر يا محمد شمس ، لا تخف على شيئاً) ! الطائرة احترقت وسقطت في البحر — ثم يضيف وقد رأى ما عراني من شدة الاضطراب بحيث لم أطق الوقوف — فيقول : محمد تخلف عن رفقائه الذين سقطت بهم الطائرة . (أنا لست طفلا . قل لي الحقيقة) ! ! تعال الى (السفارة) — وكانت بجوار البيت — فعندها الخبر فالطائرة من طائراتها ، وتستطيع معرفة اسماء راكبيها .

وها هي عاملة الهاتف بعد ان تتصل بمكتب شركة الطيران وتشاهد ما انا عليه من اضطراب توجه الي الكلام . (ولو ! ! ما تصدقني ، ابنك ما هو في الطائرة) ! ! ولقد صدقت . فابني تلك الساعة جثة هامدة في البحر ، وليس في الطائرة !

إنني لا أزال بين اليأس والرجاء ، لا أصدق ما حدث على حد قول المتنبي :

طوى الجزيـــــرة حـــــتى جـــــاءني خبر
فـــزعت فـــيـــه بـــآمـــالي إلى الـــكـــذب

لقد طغى الحزن على كل أهل البيت . فقد تحققوا فقدان عزيزهم ، ونشرت الصحف في اليوم الثاني (٢٧ رمضان) الأسماء ومن بينها (محمد بن حمد الجاسر) وذهب «معن» لمحاولة معرفة جثة أخيه بين الجثث المحترقة ، التي أخرجت من البحر ، وعرضت في (الكرنتينة) ولكنه عاد بدونها بعد أن كاد يسقط بينها من شدة التأثر؟؟

أما أنا فقد استولى الأسى على جميع مشاعري فترة من الزمن . بحيث كنت أحس أنني في عالم غير العالم الذي أعيش فيه .

ولقد كنت أتوقع في كل لحظة أن أرى محمدا واقفا أمامي ، وكثيراً ما كنت أتخيل انني أسمع صدى كلمته التي كان يرددها حين يراني بحاجة الى إدخال السرور على نفسي (أبي . أبي) ثم يسترسل في الحديث .

لم أبك ، ويا ليتني أطقت البكاء . لأخفف به من وقع المصيبة في نفسي ، وكنت حين أرعوي أردد قول الشاعر مع تحويره :

بكيتك يا (علي) بدمع (قلبي)
فلم يغن البكاء عليك شيا !!
وكانت في حياتك لي عظات
وأنت اليوم أوعظ منك حياً !!

وقد يعتريني من زفرات الحزن ما يملأ صدري فيطغي عليَّ الشهيق بدون ارادة ، فأحس بعد ذلك بالراحة ، وليس هذا الأمر متوقفاً على هذه الحالة ، فقد يحدث لي عند مشاهدة أية حادثة مؤثرة . ولو كانت خيالا في (مسرح) أو (سينما) .

وها أنا الآن — بعد مرور خمس سنوات وستة شهور تنقص عشر أيام بعد فقد محمد — أصبحت أشعر بالعزاء يغمر فؤادي ، وبطمأنينة اليقين تسيطر على جميع مشاعري .

وحين ينتابني من بواعث الذكريات ما يهيج الأسى أغالبه — ما استطعت — بالرجوع الى عقلي .

لقد مضى محمودا مرضيا عنه ، وفاز بالشهادة محترقاً غريقاً ، ورأيته في المنام مرارا ، مستبشراً مسروراً ، فأيقنت — وما كنت شاكاً يوماً ما — بأن الله اختار له الخير ، فلماذا الأسى والحزن ، وهما لا يجديان ، والأمر لله ، من قبل ومن بعد ؟؟

لقد كنت كثير التأسي بتعزية متمم بن نويرة للفاروق . وقد قال له : ليتني كنت شاعراً لأرثي أخي زيدا كما رثيت أخاك مالكاً !! فأجابه : لو مات أخي كما مات أخوك ما حزنت لموته !! فقال عمر : ما عزاني احد كما عزيتني ! وكان أخوه زيد استشهد في وقعة (عقرباء) بقرب موقع بلدة (الجبيلة) الآن !

ان «معنا» أخا محمد قد بلغ الآن مبلغ الرجال ، ونيطت به بعد الله الامال .

وهو وأخواته الأربع قد ملأوا من قلبي ما تركه أخوهم فارغا ، ملأوه بالطاعة ، وبحسن الرعاية ، لا بإثارة الاحزان ، كولدي ابن الرومي :

أرى أخويك الباقِيَين كليهما
يكونان للأحزان أورى من الزند

لقى طغى التشاؤم على نفس ابن الرومي ، واستولى اليأس على جميع مشاعره ، حتى أودى بحياته ! !

إنني حين أشاهد سبطي (صبا نجد) و(محمد) يلعبان أمامي لا أرى في لعبهما ما رآه ذلك الشاعر المتشائم في ولديه :

إذا لعبا في ملعب لك لذعا
فؤادي بمثل النار في غير ما عمد

بل يغمران قلبي سروراً بحيث أترك ما بين يدي من عمل ، لأشاركهما في لعبهما ، فأحس بالراحة طوال وجودهما أمامي ، وإن كان في عبثهما بأوراقي وكتبي ما يسبب لي تعباً ، ولكن على حد المثل : (تعبك راحة) ! ! !

وبعد : فأراني قد أمللت حين أطلت في غير محل الاطالة ، وماذا يعني القاريء باتراح المرء الخاصة أو أفراحه ، ولكنني غير ملوم ، أكثر من أخي الأستاذ الكريم ، الذي حرك في نفسي شجنا لم أحاول يوماً ما التعبير عنه.

وسأعفيه — رعاه الله — من التطلع إلى معرفة ما تحويه (المكتبة المحترقة التي عز فقدها عندي على فقد ولدي) وأعني الابن الكريم الأستاذ محمد الوعيل الذي أجرى معي الحديث من (اللذع).

إنها — يا سيدي — لا تحوي من نفائس الكتب ونوادرها أكثر مما تحويه أية مكتبة خاصة ولكنها حوت جزءاً غير يسير من عصارة فكري طوال حياتي ، وتلك (العصارة) قد لا يهتم بها ولا يأسى لذهابها أحد سواي ، لأنني أرى بها امتداداً لبقائي في هذا الوجود.

كنت أسفه رأي (فلبي) حين قرأت وصيته لمن يريد قتله ، بأن يصون أوراقه ، وأن لا يفعل بها فعل ابن شميلان بأوراق (شارل هوبر) — كيف فضل صيانة أوراقه على صيانة حياته ! !

ولكنني أدركت — فيما بعد — ان موت المرء بموت أثره ، لا بذهاب عمره. فهل لا أزال جديراً باللوم !

حمد الجاسر

هذيل : فروعها ومنازلها

[جاءنا من الأخ الأستاذ محمد جابر الحسني مقال مطول عن قبيلة هذيل حذفنا منه ما يتعلق بالأحلاف أو الأصول القديمة ، وها هو ملخصه] .

المسودة وفروعهم :

١ ــ القرح وعدد فروعها آل محسن وآل ساري وآل كامل وآل دعيج .

٢ ــ الندوية .

٣ ــ بنو صبح .

٤ ــ زليفة وهم يسكنون الشُريف وزليفة ابن صاهلة ابن كاهل ابن تميم .

٥ ــ آل زيد بضواحي الطائف .

٦ ــ بنو خالد .

٧ ــ الطلحات .

٨ ــ آل جاهل ويقال لهم الكباكبة وهم الآن مع ثقيف ترعة .

٩ ــ السوالمة ومنهم آل فرج والبقلة ... الخ .

١٠ ــ آل زيدان ويقطنون بالضحياء .

١١ ــ الجوابرة ويقطنون وادي رهجان وعرعر .

١٢ ــ بنو ياس ويسكنون الضيقة .

١٣ ــ السراونة ويقال لهم الرمدا ويسكنون وادي نعمان .

١٤ ــ محيا ويسكنون المضيق .

١٥ ــ نباتة .

السَّراونة :

وهم :—

آل عليه والجاريش والظهران والمبالشة وآل حميد والسودة وآل حمود ويسكنون شداد هذه فروع من المسودة .

ومن هذيل :

١ — آل خالد ومنهم آل عاطف وآل راشد وآل صالح ويسكنون الشفا .

٢ — الطلحات ومنهم آل مناع وآل منيف وآل عاصب وآل حميدان والبقلة وآل زيد وجميعهم يسكنون الشفا .

٣ — آل فضل وهم الآن يسكنون بأطراف جبل كبكب من الشمال والغرب والجنوب .

وينقسمون إلى ثلاثة أقسام وهم آل محسن والمشابعة وآل دابس .

٤ — السهمة ويسكنون بشعب مدفار في جبل كبكب وأصلهم من ذرية معاوية ابن تميم ابن سعد ابن هذيل ابن مدركة .

٥ — السبعان ويسكنون ضلعة بجبل كبكب في الطرف الجنوبي وأصلهم من خزاعة دخلوا في هذيل وسبب ذلك أن بني لحيان قتلوا حاطم بن جابر وكان جاراً لأبي جندب الهذلي وكان أبو جندب مريضاً وبعد أن شفي طَلَبَ من قومه آل معاوية أن يطالبوا ثأر الخزاعي وزوجته اللذين قُتِلا ولكن لم يفعلوا فتركهم وذهب إلى البيت ثم طاف به وبعد الطواف شقّ ثوبه وصاح في الخلعاء من بكر وخزاعة فاستجاشهم على بني لحيان وطلب منهم النّصرة فخرجوا معه حتى صبح بهم بني لحيان فقتل منهم وأخذ بثأر جاره الخزاعي الكعبي وقاتل جاره الخزاعي هو الأغر اللّحياني ومن ذلك الوقت دخل بنو كعب في هذيل .

ومنهم السبعان والكعوب اللذين يقطنون بعرفه .

ومن هذيل بنو عمير ويسكنون وادي الزبارة .

٦ ـــ آل جابر وهم من بني قرد وهو عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن مدركة سموا بهذا الاسم لإن جدهم عمرو ابن معاوبة قتل قِرْداً والعرب يعيبون ذلك ويسكنون شعب مدفار في الطرف الشمالي الشرقي من جبل كبكب .

٧ ـــ الجلاجلة وأصلهم من خزاعة نسبة إلى جدهم جلجلة ابن عمرو الخزاعي ودخلوا مع بني هذيل بن معاوية ويسكنون وادي الشرًا شمال وادي نعمان .

٨ ـــ الحوازم وأصلهم من حوازم حرب من أهل وادي الصفراء ويسكنون الآن جنوب كبكب في برقة والنمر ووسيق .

٩ ـــ المشاعلة ويسكنون في النقرة جنوب كبكب بوادي نعمان وأصلهم من آل حميدان من قحطان أهل تثليث في خميس مشيط .

١٠ ـــ القمشان ويسكنون بضلعه بوادي نعمان وأصلهم من مطير أهل الحرّة ، ولهم في ذلك رجز يطول ذكره .

١١ ـــ آل مناع وهم ذرية منيعة ابن كاهل ابن سعد ابن هذيل ويسكنون وادي نعمان .

هذيـل آل جميـل :

١ ـــ دَعْد وفروعهم : الصمان وآل يعلا والذيبة والحسنان والضبّان والزمكان وتسكن قبيلة دعد في واديَيْ ملكان وملك.

٢ ـــ الصلحان وفروعهم السواهرة والسعائد والزواهرة ومن الصلحان أيضاً بنو عقيل والضماين ينسبون إلى صخر الغيّ الشاعر المشهور المعروف هم والمطعان ويسكنون نخلة الشامية والزّيمة.

٣ ـــ الحتارشة ويسكنون وادي الصدر ومنهم الرياشا ويسكنون عرفة ووادي نعمان.

٤ ـــ بني مسعود من صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ويسكنون شمال الزيمة ولهم بلدان بوادي مر الظهران.

٥ ـــ المطارفة .

محمد جابر الحسني

ما اتّفق لفظه وافترق مسمّاه من أسماء الأمكنة

للإمام محمد بن موسى الحازمي

(٥٤٨ / ٥٨٤ هـ)

— ٨ —

١٦٩ ــ بَابُ جَبُّلٍ وَجَبَلٍ وَجِيلٍ وحَبْلٍ وَحُبَلٍ وخَيْلٍ وخُتَّل[١]

أَمَّا الأَوَّلُ ـــ بَعْد الجيم المفتوحة بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَضْمومَةٌ مُشدَّدَةٌ ـــ : بُلَيْدَةٌ قُربَ واسِطِ الْعِرَاقِ عَلَى دِجْلَةَ يُنْسَبُ إِلَيْها جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْهُم أَبو عِمْرَانَ مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيْل الْجَبُّلِيُّ رَفِيْقُ يَحْيَى بْنِ مَعِيْنٍ ، حَدَّثَ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ خَثْعَمٍ الْيَمَامِيِّ وحَفْصِ بْنِ سَالِمٍ وغَيْرِهِما[٢] .

---

(١) هذا الباب عند نصر في حرف الحاء : (باب الحَبْل ، والحَيْلِ والْحُبَل ، والخَيْلِ والخَتَل وجبُّل ، وجَيْثَل) .

(٢) لم يزد نصر في تعريف جبُّل على القول : (بفتح الجيم وضم الباء الموحَّدة المشدَّدة : قرية من سواد العراق ، بين واسط ومدينة السلام .

وقال ياقوت في «معجم البلدان» : جَبُّلٌ : بُلَيْدَة بين النُّعمانية وواسط في الجانب الشرقي كانتْ مدينةً ، وأما الآن ، فإني رأيتها مرارا ، وهي قرية كبيرة ، وإياها عنى البُحتريُّ بقوله :

حَنَانَيْكَ من هولِ البطائح سائراً ... على خَطَرٍ، والرِّيحُ هَوْلٌ دَبُورُها
لَئِنْ أوحَشَتني جَبُّلٌ وخصَاصُها ... لَمَا آنستْني واسِطٌ وقُصُورُهَا

وأمَّا الثَّاني — بِفَتْحِ الجِيْمِ وَالْبَاءِ المُوَحَّدَةِ — : جَبَلُ الْفِضَّةِ مَوْضِعٌ يُنْسَبُ إليه أَبو إسْحَاق إبْراهيمُ بْنُ الشَّاذِ بْنِ مُحَمَّدٍ الجَبَلِيُّ ، سَكَنَ هَرَاةَ وحَدَّثَ بِهَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَن السَّامِي الْهَرَوِيِّ ، ومُحَمَّدِ بْن إسْحَاق بْنِ خُزَيْمَة وغَيْرِهما[1] .

وأمَّا الثَّالِثُ — أَوَّلُهُ جِيْمٌ مكْسُورَةٌ ، ثم يَاءٌ سَاكِنَةٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ — : اسْمٌ لِجَيْلاَن نَاحِيَةٌ كَبِيْرَةٌ في بِلاَدِ الْعَجَم ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ ، منهُم أبو عَلِيٌّ كُوشيار الْجِيْلِيُّ ، حَدَّثَ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ خَرَجَةَ النَّهَاوَنْدِيِّ وغَيْرِهُ .

وقِيْلَ : إذَا قِيْلَ : جَيْلانيٌّ فَهُوَ نِسْبَةٌ إلى البِلاَدِ ، وإذَا قِيْلَ : جِيْليٌّ نِسْبَةٌ إلى الْقَوم الَّذِيْنَ سَكَنُوا هٰذِهِ الْبِلاَدِ[2] .

وأَيْضاً : قَرْيَةٌ مِنْ أعْمَالِ مَدِيْنَة السَّلام ، دُوْنَ المَدَائِن ، ويقال : بِالْكَافِ بَدَل

وبقاضيها يُضرب المَثَلُ ، وكان من حديثه أنَّ المأمون كانَ راكباً يوماً في سفينة ، يُريد واسِطاً ، ومعه القاضي يحيي بن أكثم فرأى رجلاً على شاطىء دِجْلَه ، يَعْدُو ، مُقابل السَّفينة ، ويُنادي بأعلى صوته : يا أمير المؤمنين ، نِعْم القاضي قاضينا ، نِعْم القاضي قاضي جَبُّل ، فضحك القاضي يحيي بن أكثم ، فقال له المأمون : ما يُضحكك ؟ قال : يا أمير المؤمنين هذا المُنادي هو قاضي جَبُّل يثني على نفسه . فضحك منه ، وأمر له بشيء ، وعزله وقال : لا يجوز أن يلي المسلمين من هذا عَقْله — ثم ذكر المنسوبين إليها ، وفي مطبوعة «المعجم اليماني» — بدل اليمامي .

وزاد ياقوت في المنسوبين إلى اجَبَّلَ — : قال : (وأبو الخطاب محمد بن علي بن محمد بن ابراهيم الجَبُّليُّ الشاعر ، كان من المجيدين ، وكان بينه وبين أبي العلاء المعرِّي مُشاعرةٌ ، وفيه قال أبو العلاء قَصِيْدته :

غَيْـرُ مُـجْـدٍ في مِلَّتِي واعـتـقـادي   نَوْحُ بـاكٍ ولا تَـرَنُّـمُ شـادي

ومات أبو الخطاب في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وأربع مئة) . انتهى .

(١) لم يذكر نَصْرٌ — في الباب — جبل الفِضَّة . ولم يزد ياقوت على ما ذكر الحازمي سوى قوله — بعد كلمة (خزيمة) : وذكره الخطيب ، وأظُنُّ هذا الجَبَل هو جبل بَنْجهير ، وتقدم ذكره . وذكر (بنجهير) في حرف الباء قائلاً : (بَنْجهير — الهاء مكسورة وياء ساكنة وراء — مدينة بنواحي بَلْخ ، فيها جبل الفضة ، وأهلها أخلاط — ثم وصف كثرة الفضة في أعلى جبل مشرف على البلدة ، وطريقة استخراجها .

(٢) جِيْلُ — لم يذكر الاسم نَصْرٌ — وذكر ياقوت كل ما جاء في كتاب الحازمي غير منسوب ، وسَمَّى كوشيار بن لياليروز) وذكر أن ابن ماكولا رَوَى عنه ، وكل ما ذكر في كتاب «الأنساب» للسمعاني ج ٣ ص ٤٦٢ .

الجِيْم — يُنْسَبُ إِلَيْهَا أبو الْعِزّ ثَابِتُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ الْـمُبَارَكِ الجِيْلِيُّ من أَهْلِ الْـقُرآنِ ، وسَمِعَ الحديثَ الْكَثِيْرَ ، مُتَأَخِّرٌ .

وقال بعْضُهُمْ : اسْمُ الْقَرْيَةِ جالَ — بالألف — وتُمَال[1] .

وأمَّا الرَّابعُ — أوَّلُهُ حَآء مُـهْمَلَةٌ بَعْدَهَا بَآءٌ مُوحَّدَةٌ سَاكِنَةٌ — : حَبْلُ عَرَفَة عِنْدَ عَرَفات[2] .

وأمَّا الْخَامِس — أوَّلَهُ حاءٌ مُهْمَلَةٌ مَضْمُومةٌ بَعْدَها بَآءٌ موحَّدَةٌ مَفْتُوحَة : مَوْضِعٌ بِالْيَمامةِ .

وفي حَدِيْثِ سِرَاجِ بْنِ مُجَّاعَةَ بْنِ مُرَارَةَ بْن سُلْمِيٍّ عن أَبِيْهِ عَنْ جَدِّهِ قال : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فأَقْطَعَنِي الْـفُورَةَ وغُرابَةَ وَالحُبَلَ .

وبَيْنَ الْـحُبَلِ وَحَجْرٍ خَمْسَةُ فَرَاسِخَ .

وقالَ الأَزْهَرِيُّ : حُبَلُ مَوْضِعٌ في شعر لَبِيد :

---

(١) قال ياقوت في تعريف الجيل : والجِيْلُ أيضاً قرية من أعمال بغداد ، تحت المدائن ، بعد زرارين ، يسمونها الكيل ، وقد سماها ابن الحجَّاج الكال فقال :

لَـعَنَ الله لَـيْـلَتِي بـالـكـالِ ‏ ‏ ‏ إِنَّـهـا لَـيْـلَـةٌ تَـمُـرُّ الـلَّـيالي

كأنه ظَنَّ أنّها تُمَالة — واطال ياقوت الحديث عن ثابت بن منصور ، ولم يؤرخ زمانه ، ولكنه ذكر من شيوخه ومن تلاميذه من يحدد الزمن .

(٢) قال نَصْر عن الحَبْل — بفتح الحاء وسكون الباء الموحدة : عرفة (؟) مَرَّةً يقولون الحَبْل ، ومرَّة حَبْل عَرَفة ، وأيضاً بالبصرة ، على شاطىء الفيض ، مُمتدٌّ معه ، وفي عدة مواضع . انتهى .
وذكر ياقوت : الحبل الرمل المستطيل ، وحَبْل عرفة عند عرفات . قال أبو ذُؤَيب الهُذلِيُّ :

فَـرَوَّحَـهـا عـنـد المجاز عَشِيَّـةً ‏ ‏ ‏ تـبـادُرَ أولى السَّابقات الى الحَـبْـل

وقال : والحبل أيضاً : موضع بالبصرة على شاطيء الفيض ، مُمتدٌّ منه . وتحدَّث عن الفيض في موضعه . أما حبل عَرَفَة فلا يزال معروفاً ، وهو حَبْلُ رَملٍ مُمتدٌّ من جَبَل عَرَفة نحو الجنوب يقف عليه الحجاج يوم عرفة .

فَبِخِنْزِيرٍ فَأَطْرَافِ الْحَبَلْ(١)

وأمَّا السَّادِسُ — أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ ثُمَّ يَاءٌ سَاكِنَةٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَان — : بَقِيعُ الْخَيْل

---

(١) المواضع التي أقطعها الرسول صلى الله عليه وسلم مجّاعة بن مُرارة وردت أسماؤها في كثير من كتب المتقدمين محرفة — بصور مختلفة مثل (الغورة — الفورة ، غرابة ، عوانة) إلى صور أخرى ، وقارات الحُبَل لا تعرف الآن ، ولكن كل المواضع بقرب حَجْرٍ ، قاعدة اليمامة قديماً ، التي قامت مدينة الرياض مكانها .

وترجمة مُجّاعة في «الاصابة» رقم ٧٧٢٢ — مطولة — وهو المُقطَّع . واسم هلال — الراوي — سقط من كتاب الحازمي ومن «معجم البلدان» ولا يستقيم الكلام بدون ذكره ، إذ جَدُّهُ المُقطَّع هو مُجّاعة ، وليس مُرارة ، وخبر الاقطاع أورده الأزهري وغيره بهذا النص «تهذيب اللغة» ج ١٠ ص ١٢ وما بعدها

وجدتنا محمد بن اسحاق ، قال : حدثنا يعقوب الدورقي ، قال : حدثنا الحارث بن مرارة الحنفي ، قال : حدثنا المأمور بن سراج بن مجّاعة ، وطريف بن سلامة بن نوح بن مجاعة والأفواق بنت الأغرّ أن مجاعة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال قائلهم :

ومُجّاعُ اليمامة قد أتانا ... يخبرنا بما قال الرسول

فأعطينا المقادة واستقمنا ... وكان المرء يسمع ما يقول

فأقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتب له بذلك كتاباً :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب كتبه محمد رسول الله لمجّاعة بن مرارة بن سُلمي : إنّي أقطعتك الفورة وعَوانة من العرمة والحبل فمن حاجك فاليّ .

قال : فلما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد على أبي بكر فأقطعه الخِضرِمَة ثم وفد على عمر فأقطعه الربا بالحجر .

ثم إن هلال بن سراج بن مجاعة وفد إلى عمر بن عبد العزيز بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما استُخلف فأخذه عمر فقبّله ووضعه على عينيه ومسح يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فَسَمَر عنده هلالُ ليلةً فقال له يا هلال : أبقيَ من كهول بني مجّاعة أحدٌ؟ قال نعم وشكيرٌ كثير . فضحك عمر وقال : كلمةٌ عربيةٌ ، قال فقال جلساؤه : وما الشّكير يا أمير المؤمنين؟

قال : ألم ترإلى الزرع إذا زكا فأخرجَ فنبت في أصوله فذلكم الشكير ، ثم أجازه وأعطاه وأكرمه وأعطاه في فرائض العيال ، والمقاتلة . قلت أراد بقوله : وشكير كثير أي ذرية صغار شبّههم بشكير الزرع وهو ما نبت منه صغاراً في أصوله .

وتحديد المسافة بين حَجْرٍ وبين الحُبَل بخمسة فراسخ (الفرسخ ٣ أميال = ١٥ ميلاً نحو ٣٠ كيلاً) ذكره كثير من المتقدمين كصاحب كتاب «بلاد العرب» وغيره وجاء في كتاب نصر : — عن الحبل — (بضم الحاء وفتح

مَوْضِعٌ بِالْمَدِيْنَةِ عِنْدَ دار زَيْدِ بْنِ ثابِت[1] .

وأَيْضاً : جَبَلٌ قُرْبَ الْمَدِيْنَةِ ، بَيْنَ مُجَنَّبٍ وصِرَارٍ ، لَهُ ذكْرٌ في المغازي[2] .

ورَوْضَةُ الْخَيْلِ نَجْدِيَّة[3] .

وأمَّا السَّابع — أَوَّلَهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَضْمومةٌ بَعْدَهَا تَاءٌ فَوْقَها نُقْطَتَانِ مُشَدَّدَةٌ مَضْمُومَةٌ أَيْضاً — : صُقْعٌ فِي بِلَادِ الشَّرْقِ يُنْسَبُ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ رُوَاةِ الحَدِيْثِ ، وَغَيْرِهُمْ مِنْهُم

← الباء الموحدة : من أرض اليمامة ، روى أبو عُبَيْد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع مُجّاعة بن مُرارة بن سلمى الفورة ، وغرابة ، والحُبَيل ، وبين الحُبَيل وحَجْرٍ نحو خمسة فراسخ) وهذا في كتاب «الأموال» لأبي عُبَيْد القاسم بن سلام .

وللتوسع في خبر الاقطاع وتحديد مواضعه يحسن الرجوع إلى كتابي «القطائع النبوية» .

والحُبَيل الوارد في شعر لَبِيْدٍ هو الوارد في خبر الاقطاع ، وخِنْزِيرٌ حدَّده الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ص ٢٨٠ طبع دار اليمامة — بما نصُّهُ : (ففرع السُّلّيّ من دون قارات الحُبَيل من عن يمين حَجْرٍ ، من قَصْدِ مطلع الشمس ، يُلَبُّ خنْزير بينه وبين بُرْقَةِ السَّخَالِ ، فيه الحفير العليا ، والْحَفِيرة السُّفْلى ، وهُمَا ماءان دِفانانِ ، وفي وسط السُّلّيّ من تَحْتِ خِنْزِيْرٍ هِيْتُ النَّجْدِيّة . انتهى . وإذَنْ فخنزير هو الجبل الممتد شرق السُّلّيّ الذي يقع فيه هيتٌ ، الذي يعرف أحد أنوفه باسم (خَشْم العان) .

(١) زاد نِصْرٌ عن بقيع الخيل : دُفِنَ به عامَّةُ قَتْلَى أُحُدٍ ، وأَظُنُّهُ بقيع (الْغَرْقَدِ) كذا قال وأراه أخطأ ، فشهداء أُحُد دفنوا بقرب جبل أحد بينه وبين المدينة حيث قُتِلُوا ، ولا يزال موضع دفنهم معروفاً . وبقيع الغرقد هو مقبرة المدينة المعروفة الآن ، وهو غير بقيع الخيل الذي كان موقعه داخل المدينة بقرب دار زيد بن ثابت ، ولتحديد موقع الموضعين يحسن الرجوع إلى كتاب «وفاء الوفاء» للسمهودي ، وقد تغيرت أسماء المواضع التي داخل المدينة بتغيُّر العمران في كل زمان .

(٢) كلام نصر : جبل بالمدينة إلى آخر التعريف وقال نصر عن صرار في باب (الصاد) : ماء قرب المدينة محتفر جاهلي على سَمْت العراق ، وقيل أطم لبني عبد الأشهل ، وحدد ياقوت والفيروز آبادي موقع صرار : بأنه على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق ، من ناحية الحرَّة .

أما مُجَنَّب فقد ذكر ياقوت أنه اسم بئر وأرض بالمدينة من ناحية طريق العراق .

(٣) لم يزد نَصْرٌ في تعريف روضة الخيل على ما ذكر الحازمي ، ولكنَّ ياقوتاً — طيَّبَ الله ثراه — قال في «معجم البلدان» : روضة الخيل لبني يربوع ، قال أبو عمرو بن العلاء ، المنجشانية على ستة أيام (كذا) من البصرة ، وفوق ذلك روضة الخيل ، كانت مِهَارَةُ قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشيباني — ذي الجدَّين ، صاحب مَسْلَحَةِ كِسْرَى على الطَّفِّ — تَرْعَى فيها . قال الشَّمَرْدل بن شَرِيكٍ اليربوعي :

دَارُ الْجَمِيعِ بِرَوْضَةِ الْخَيْلِ اسْلَمِي … وسُقِيْتِ مِن بَحْرِ السَّحَابِ مَطِيْرا

وكلمة (ستة أيام) صوابها (ستة أميال) كما نقل ياقوت كلام أبي عمرو بن العلاء في رَسْم (المنجشانية) وكما ورد تحديد هذا الموضع في كتاب «المناسك» .

وَإذَنْ : فروضة الْخَيْل تلك ليست معدودة من بلاد نجْدٍ ، فهي في أحواز العراق ، بقرب البصرة .

عَبَّادُ بْنُ مُوسى الخُتَّليُّ وابْنُه إسحاق بْنُ عَبَّادٍ[١] .

١٧٠ — بَابُ جُبَيْلٍ وَجَبْتَل وَحَنْبَلٍ[٢]

أَمَّا الأَوَّلُ — بَعْدَ الجِيْمِ الْمَضْمومةِ باء مُوحَّدَةٌ مفتوحَةٌ ، ثم يَاءٌ سَاكِنة تَحْتَهَا نُقْطَتان — : منْ مُدُنِ الْعَواصِم ، عِنْدَ بَيْروتَ مِنْ فُتُوحِ يَزِيْد بْنِ أَبِي سُفْيَان ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَبُو سَعِيْدٍ الجُبَيْلِيُّ يَرْوِي عَنْ أَبِي زِيَادٍ عَبْدِ الْمِلِكِ بْنِ دَاوُد ، رَوَى عَنْهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ ، وغيره نَفَرٌ[٣] .

وأَيْضَاً : جَبَلٌ أَحْمَرُ مِنْ أَخْيِلَةِ حِمَى فَيْدَ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ فَيْدَ سِتَّة عَشَر مِيْلاً ، وَلَيْس بَيْنَ الكُوفَةِ وَفَيْد جَبَلٌ غَيْرُهُ[٤] .

---

(١) قال نصرٌ عن خُتَّل : صُقْعٌ واسع بخراسان وقال ياقوت : خُتَّل كورة واسعة كثيرة المدن ، خلف جيحون — وراء النهر — وأطال الكلام ، وذكر المنسوبين إلى خُتَّلٍ وقبله السمعاني في «الأنساب» .

(٢) هذا البابُ في كتاب نَصْرٍ في حرف الحاء : (باب حَنْبَلٍ وخَنْتَلٍ وجُبَيْلٍ وحَبْتَلٍ) .

(٣) عن جُبَيْل قال نصر : — وبضم الجيم وفتح الباء الموحدة وياء ساكنة — : جبل أَحْمَر عظيم ، من أُخَيْلَة حِمَى فَيْد ، ليس بين الكوفة وفَيْد جبل غيره ، بينه وبين فَيْد ستة عشر ميْلاً ، وأيضاً : بين المُشلّل بالمدينة والبحر وأيضاً مدينة بالشام عند بيروت من فتوح يزيد بن أبي سفيان ، وجُبَيلُ بأَنِ جبل بين أقاعية والمسلح ، ينبت البان ، وهو صَلْدٌ أَصَمُّ . انتهى كلام نصر . وقد أورد ياقوت كلام نصر غير منسوب ولكنه قال : وجُبَيْلٌ أيضاً موضع بين المُشَلَّل — من أعمال المدينة والبحر — وهذه الجملة أوضح من كلام نَصْرٍ ، فالمُشلَّل ليس في المدينة ، ولا من أعمالها أيضاً — بل من أعمال مكة ، إذ هو الجبل الذي فيه الثنية التي ينزل منها على قُدَيد .
أما جُبَيْل التي عند بيروت ، فلا تزال معروفة ، وتقع بين مدينة بيروت وبين طرابلس وقد أطال ياقوت الحديث عنها ، وذكر كثيرا ممن ينسب إليها .
كما ذكر ياقوت مواضع يطلق عليها اسم الجبيل أخرى منها :
الْجُبَيْل : ماء لبني زيد بن عُبَيْد بن ثعلبة الحنفيين ، باليمامة . ولا أستبعد الصلة بين الْجُبَيْل هذا وبين الجُبَيْلَة التي أصبحت الآن قرية ، فهي في بلاد بني حنيفة ، وقد سُمِّيت العُيَيْنُ التي من بلادهم أيضاً بقرب الجبيلة — الْعُيَيْنَةَ الآن .

(٤) وأما الذي من أخيلة الحِمَى ، فقد ذكره الهجريُّ بقوله — فيما ورد من كلامه في «معجم ما استعجم» غير منسوب — في الكلام على حمى فيد : (وأول أجبله على ظهر طريق الكوفة بين الأَجْفُر وفيد — جُبَيل عُنَيْزَة ، وهو في شَقِّ بني سعد بن ثعلبة . أما السمهودي في «وفاء الوفاء» الذي صَرَّح بالنقل عن الهجريِّ فأورد العبارة هكذا : (جبل يقال له الجُبَيْلَ أحمر عظيم) إلخ .

وجُبَيْلُ بَانَ : جَبَلٌ بَيْنَ أُفَاعِيَةَ والْمَسْلح ، نَبَاتُهُ الْبَانُ[1] .

وأمَّا الثَّاني ــ بَعْدَ الجِيمِ الْمَفْتُوحَةِ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ سَاكِنَةٌ ثم تاءٌ فَوْقَهَا نُقْطَتَانِ ، مَفْتُوحَةٌ ــ : مَوْضِعٌ بِالْيَمَنِ مِنْ دِيَارِ نَهْد ، لَهُ ذِكْرٌ في الشِّعْرِ[2] .

وَأمَّا الثَّالِثُ ــ أوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ بَعْدَهَا نُونٌ ساكِنَةٌ ثُمَّ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مفتوحة ــ : رَوْضَةٌ في دِيَار تَمِيمٍ[3] .

وزاد الهجريُّ موقع هذا الجبيل تَحْديداً بقوله : (وإلى جنبه ماءة يقال لها الكهفة) . ويرى المستشرق موزل في كتاب «شمال نجد» أنه جبل الوبرية ، ولكن هذا شرق فيد ، وتكاد الأوصاف تنطبق على الجبل الواقع شمال الكهفة بقربها ، المعروف الآن باسم (جبل الحُوَيْض) وطريق الحج الكوفي يَمُرُّ بقربه (يقع بقرب خط الطول ٤٢/٥٨ وخط العرض ٢٧/١٥) وبقربه آثار بركة قديمة تدعى بركة الحُوَيض (وانظر هذا الاسم في كتاب «شمال المملكة» ص ٤٨٦ ــ .

(١) جُبَيْلُ بان : ذكره عَرَّام السلميُّ في كتابه «أسماء جبال تهامة وسكانها» ــ ص ٤٣٧ ــ نوادر المخطوطات ج٢ ــ بما نصُّهُ ــ في كلامه على صُفَينة البلدة المعروفة الآن ــ وحذاؤها مياه أخرى يقال لها النُّجَيْر ، وبحذائها ماءةٌ يقال لها النّجارة .. وأسفل منها بصحراء مستوية عمودان طويلان ، لا يرقاهما أحد إلّا أن يكون طائراً ، يقال لأحدهما عمود البان ــ موضع ــ والآخر عمود السفح ، وهو من عن يمين الطريق المصعد من الكوفة ، على ميل من أُفيعية وأُفاعية هضبة كبيرة شامخة ، وإنَّما اسم القرية ذو النَّخْل ، وهي مرحلة من مراحل الطريق ، وبها مِلْحٌ ، ويستعذب لها من النِّجارة والنُّجَيْر . انتهى كلام عرّام وأراه أصل من ذكروا (جُبَيْل بان) ولكنْ عرّاما لم يَقُل انه ينبت البان ، بل ذكر أن البان اسم موضع ، وكيف يُنْبِتُ البان وهو ــ على ما وصف نَصْرٌ ــ صَلْدٌ أَصَمُّ .

(٢) جَبْتَلُ ــ قال نَصْرٌ : بفتح الجيم وسكون الباء الموحدة تليها تاءٌ عليها نقطتان ــ : موضع باليمن من دِيَار نَهْدٍ . انتهى ولم يزد ياقوت على ما في كتاب الحازمي سوى قوله (علم مرتجل) فلم يورد شعراً . ولا أستبعد أن يكون الاسم مصحفاً . وبلاد نَهْد هي أودية تَثْلِيث وطَرِيب وأعالي بيشة ــ أي بلاد قحطان الآن ، جنوب شرق إمارة بلاد عسير .

(٣) حَنْبَلُ ــ لم يزد تعريف الحازمي هـذا على ما في كتاب نَصْر . وزاد ياقوت : قال الفرزدق :

أعَـرَفْتَ بَيْـنَ رُوَيَّتَيْـنِ وحَنْبَـلٍ   دِمَـنـاً تَـلُـوحُ كـأنَّـهَـا أسْـطَارُ

ولم أعرف موقع هذه الروضة ، ولا أستبعد الصِّلة بينها وبين الْحَنْبَلِيِّ الموضع المعروف قديماً وحديثاً بهذا الاسم ، وهو من بلاد بني تَميم ، بين الدهناء والصَّمَّان ، وفيه رياض ، وانظر عن تحديد موقعه كتاب «المنطقة الشرقية» من أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» أمّا خَنْثَلٌ ــ الوارد في كلام نَصْر ــ وعرّفه بأنه موضع في ديار بني كلاب ، فلا يزال معروفاً بهذا الاسم» وهو وادٍ من أودية عالية نَجْدٍ ــ أنظر عنه كتاب «عالية نجد» للأستاذ سعد بن جنيدل ، وهو من أقسام «المعجم الجغرافي» .

١٧١ — بَابُ جَبَلَة وَحَيْلَة(١)

أَمَّا الأَوَّلُ — بَعْدَ الجِيمِ الْمَفْتُوحَةِ بَاءٌ مُوحَّدَةٌ مَفْتُوحَةٌ أَيْضاً — : عِدَّةُ مَوَاضِعَ(٢) .

مِنْها جَبَلة الْحِجَازِ ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَبُو الْقَاسِمِ سُلَيْمَانُ بْنُ عليٍّ الْجَبَلِيُّ الْحِجَازِيُّ الْمُقيم بِمَكَّةَ ، سمع الْحَدِيثْ ، وروَى(٣) .

---

(١) هذا من أبواب كتاب نصر في حرف الحاء .

(٢) عرَّفَ نَصْرٌ جبلة بقوله : من بُلْدَانِ الثُّغُورْ الشامِيَّة ، وأيضاً : جَبَلٌ بِضَرِيَّةَ ، ذُو شِعَابٍ . وقِيْلَ : هَضْبَةٌ حَمْرَاءُ ، قِبْلِيٌّ أُضاخ . انتهى .

(٣) قال ياقوت في «معجم البلدان» : وجبلة أيضاً موضع بالحجاز ، قال أبو بكر في «الفيصل» : منها أبو القاسم سليمان بن علي الجبليُّ الحجازيُّ ، المقيم بمكة ، حدث عن ابن عبد المؤمن وغيره . قال : والحسن بن علي بن أحمد ، أبو عليٌّ الجبلي — أظنُّه من جبلة الحجاز ، كان بالبصرة ، روى عن أبي خليفة الفضل بن الحُباب الجُمَحيُّ ، ومحمد بن عزرة الجوهري ، وبكر بن أحمد بن مقبل ، ومحمد بن يوسف العُصْفريّ ، ومحمد بن عليّ الناقد ، البصريين . روى عنه القاضي أبو الحسن عليٌّ بنُ محمد بن حَبِيْبٍ الماورْدِيُّ وغَيره . انتهى كلام ياقوت .

وأبو بكر هو الحازمي ، و«الْفَيْصَلُ» من مؤلفاته — ذكرته في المقدمة . ويظهر أن الحازميُّ نقل عن كتاب «الاكمال» لابن ماكولا ، فالكلام فيه — ج٣ ص ٣٢٥ — وعنه نقل السمعاني في «الأنساب» ج٣ ص ١٩٢ .

وأورد ياقوت في كلامه على جبلة الشام ما نصه : قال أبو الفضل محمد بن طاهر : من جبلة هذه أبو القاسم سليمان بن علي الجبلي المقيم بمكة ، وهو من جبلة الشام . فهذا كما ترى نسبه الحازميُّ إلى جَبَلَةَ الحجاز ، ولم أر غيره ذكر بالحجاز موضعاً ينسب إليه يقال له جبلة والله أعلم . ثم قال بعد كلام طويل : وجبلة أيضاً قال أبو زيد : جبلة حِصْنٌ في آخر وادي السَّتَارَة ، بتهامة من ناحية ذَرَة — ثم أورد كلام عرَّام — وقال : ولعلَّ الحازِميَّ أرادَ جَبَلَة هذه . ثم ذكر جَبَلَة أيضاً : قرية لبَنِي عامر بن عبد القيس ، بالبحرين . انتهى . وياقوت كثير التعقب على الحازميّ ، وكثير النَّقد لكلامه . وفاته أنَّ ابن ماكولا نسب سليمان بن علي إلى جبلة الحجاز وهو قبل الحازمي بنحو قرن من الزمان .

وعدَّ صاحب كتاب «المناسك» — ص ٤١٤ جبلة من منابر المدينة فقال — ما ملخصه — المدينة تجبي على أربعة عشر منبرا : خيبر ، ثم وادي القرى ، ثم المروة ، ثم العيص ، ثم ينبع ، ثم الجار ، ثم الصفراء ، ثم ودّان وقد خربت ، ثم الفُرع عامرة ، ثم السائرتين بهما مِنبران ، ثم جَبَلَة ، أكثر أهلها الفرس ، ثم رُهَاط .

وأقدم نَصٍّ قرأته عن جبلة الحجاز ما جاء في رسالة عرَّام السلمي «أسماء جبال تهامة» — ٤٠٨ من نوادر المخطوطات ج٢ — قال : ويزعمون أنَّ جبلة أوَّلُ قَرْيةٍ اتُّخِذَتْ بتهامة ، وَبجَبَلَةَ حصونٌ مُنْكَرَةٌ ، مَبْنِيَّةٌ بِالصَّخْر ، لا يرومها أَحَدٌ . وقال البشاري في «أحسن التقاسيم» — ص ٧٩ — طبعة ليدن سنة ١٩٠٧ —: ←

ومنها جَبَلَةُ : قَرْيَةٌ بِالشَّامِ منها يُوسُفُ بْنُ بَحْرٍ الجَبَلِيُّ سَمِعَ سُلَيْمَ بْنَ مَيْمُونٍ الخَواصَ ، وغَيْرَهُ ، رَوَى عَنْهُ أَبُو الْمُعافَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الأَنْصَارِيُّ الْجَبَلِيُّ[1] .

وَأَمَّا الثَّانِي — أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ بَعْدَهَا يَاءٌ سَاكِنَةٌ تَحْتَها نُقْطَتَانِ — : بَلَدٌ بِالسَّرَاةِ كانَ يَسْكُنُهُ حَيٌّ من العارِبَةِ الأُولى ، أَجْلَتْهُم عَنْهُ قَسْرُ بْنُ عَبْقَرِ بْنِ أَنمارِ بْنِ إراش[2] .

١٧٢ — بَابُ جُبٌ وَحُتٌ وخَتٌ[3]

أَمَّا الأَوَّلُ — بَعْدَ الْجِيمِ المَضْمُومَةِ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مُشَدَّدَةٌ — : مَاءٌ في دِيَارِ بَنِي عَامِرٍ

← (جبلة كبيرة ، بها متاجر ، جَبَلَة عليها حِصْنٌ مَنِيعٌ ، يقال له الْمَهْدُ ، الجامعُ خارجَهُ انتهى .

ومَوْقِعُ جَبَلَةَ هذه لا يزال معروفاً ، في وادٍ يُدعى ظُفُر من روافد وادي قُدَيْدٍ ، في بلاد بني سُلَيْم وأضافها الهجريُّ إلى الْفُرْعِ فقد روى في كتابه «النوادر والتعليقات» : عن شيخ من أهل جَبَلَةِ الفُرْع ، روى شعراً لحاتم بن مُدْرِكٍ الْحَبَشي السُّلَمي — ص ٢٢٢ —

(١) أطال ياقوت الكلام على جبلة الشام ، ولا تزال هذه البلدة معروفة ، ولكن اسمها ينطق بإسكان الباء — وهي مدينة على ساحل البحر ، يَمُرُّ بها الطريق من طرابلس الشام إلى اللاذقية ، وفي هذه البلدة وُلد الشيخ عِزُّ الدين القسَّام ، المؤسس الأول للمقاومة الفلسطينية — أنظر مجلة «العرب» س ٦ ص ٢٦ — وانظر عن جبلة التي في البحرين كتاب «المنطقة الشرقية» .

وأما جبلة الجبل الذي ذكر نَصْرٌ ، فهو من أشهر جبال نَجْدٍ المعروفة ، وهو خارج حِمَى ضَرِيَّة ، ويقع جنوبَ أُضاخ ، بِقُربه ، وقد أطال ياقوت الكلام عليه — وانظر كتاب «عالية نجد» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .

(٢) قال نَصْرٌ عن حَيْلَة : بفتح الحاء وتليها ياءٌ ساكنة — : بلدٌ بالسَّرَاة ، وكان يسكنه بنو ثابر ، حَيٌّ من الْعَارِبَةِ الأولى ، أَجْلَتْهُمْ عنه قَسْرُ بن عَبْقر بن أنمار . انتهى ويظهر أنَّ أصْلَ هذا القول من كلام ابن الكلبي في كتاب «افتراق القبائل» ولكن البكريّ أورد كلام ابن الكلبيِّ بطوله ، ومما جاء فيه قوله — «معجم ما استعجم» — ٥٨ الطبعة المصرية —: فظعنت بَجِيلَةُ وخَثْعَمُ ابنا أنمار إلى جبال السَّرَاوَاتِ فنزلوها ، وانتسبوا فيهم ، فنزلت قَسْرُ بنُ عَبْقر بن أنمار جِقَالَ حَلْيَةَ وأَسَالِمَ ، وما صاقَبَها من البلاد ، وأَهْلُها يومئذٍ حَيٌّ من الْعَارِبَةِ ، يقال لهم بنو ثابر ، فأجلوهم عنها ، وحَلُّوا مساكِنَهم منها ، ثم قاتلوهم فغَلَبُوهُمْ على السَّرَاةِ ، ونَفَوهُمْ عنها . انتهى فأنتَ ترى اسم المكان حَلْيَةَ — بتقديم اللام على المثناة التحتيَّة — وأراه الصَّواب وأنَّ ما ورد في كتاب نَصْرٍ وعنه نقل الحازمي — مُصَحَّفاً ، وياقوت قلَّدهما فنقل كلامها غير منسوبٍ ولا مُحَقَّقٍ ، مع أنه نقل الكلام المتقدم في رسم (حلية) بعد قوله : حَلْيَةُ وادٍ بين أعيار وعِلْيَبَ ، يُفرِغُ في السَّرَيْنِ .

(٣) عند نَصْرٍ : (باب الْجُبُّ والْخَبُّ والْحُتُّ وخَتّ) .

يقالَ لَهُ الجُبُّ[1] .

وجُبُّ عَمْيَرة بمِصْرَ ، يُنْسَبُ إلى عَمِيْرَةَ بْنِ تَمِيْمِ بْنِ جَزءِ التُّجِيْبِيِّ[2] .

وأمَّا الثَّاني — أوَّلُهُ حاءٌ مُـهْمَلَةٌ ثُمَّ تاءٌ فَوْقها نُقْطَتان — : مَحلَّةٌ مِنْ مَحَالِّ الْبَصْرَةِ خَارِجَةٌ عن سُوْرِها ، سُمِّيَتْ بِقَبِيلٍ من الْيَمَن نَزَلُوهَا[3] .

(١) لم يزد على تعريف نَصْر . أما ياقوت فقال : الْجُبُّ : واحد الجُبَاب ، وهي البئر التي لَمْ تُطْوَ —: مدينة قُرْبَ بلاد الزَّنْجِ ، في أرض بَرْبَرَة ، يُجْلَبُ منها الزَّرَافَةُ ، وجُلُوْدَها يتَّخذُها أهْل فارِسَ نعالا والجُبُّ أيضاً : أَحَدُ محاضِرِ طَيِّءٍ ، بسَلْمَى أَحَدِ جَبَلَيْهِمْ ، وبه نَخْلٌ ومياهٌ .
والجبُّ أيضاً : ماءٌ في ديار بني عامر .
والجبُّ أيضاً ماءٌ معروف لبني ضَبِيْنَة بْنِ جَعْدَة بْنِ غَنِيِّ بْنِ يَعْصُرَ ، قال لَبِيْدُ :
أَبَـنِي كلابٍ كـيفَ تُـنْفَى جَعْفَرٌ وبَـنو ضَـبِيْنَةَ حاضِرُو الأَجْـبَاب ؟!
والجُبُّ أيْضاً : ذكره الأَصْمَعِيُّ في كتاب « جزيرة العرب » من مياه جعفر بن كلاب بِنَجْد ، قال : ثم الجُبُّ بيارٌ في وسط وادٍ ، وهو الذي يقال له جُبُّ يوسف عليه السلام — كذا قال !
والجبُّ أيضاً : داخِلٌ في بلاد الضبابِ وبلاد عَبْسٍ ، ثم بلاد أبي بكرٍ — ثم ذكر جُبَّ عميرة .
فكأنَّ الجُبَّ في الأصل وَصْفٌ ، ثم أُطْلِقَ علماً على عدد من المياه ، منها في ديار بني عامر غير واحدٍ ، لأنَّ جُبَّ بني ضبينة كان من مياه جعفر بن كلاب وهُمْ والضِّبَابُ وبنو أبي بَكْرٍ كلهم من بني عَامِرٍ أما جُبُّ يوسف المعدود من مياه بني جعفر ، فقد ورد ذكره في كتاب « بلاد العرب » — ص ١١٢ من منشورات دار اليمامة — بهذا النَّص :— في الكلام على مياه بني جعفر وجبالها — بعد ذكر وَسَطٍ وقُنَيْعٍ والنامِيَةِ ، والأَنْبِجَةِ وذَبْذَب وكلها في حمى ضَرِيَّة جنوبَهُ :— (ثم معروف ، وهو ماء له جبال يقال لها جبال معروفٍ ، ثم الجُبُّ : بئارٌ في بطن واد ، وهو الذي يقال إنَّهُ جُبُّ يوسف — عليه السلام — إلى أن قال :— وجميع ذلك ما بين ضريَّة إلى حَفيرة القُرَشيِّ إلى قُنَيْعٍ إلى مِذْعَا إلى معروف ، فأما الجُبُّ فداخِلٌ في بلاد الضِّباب وناحِيَةِ بلادَ عَبْسٍ — انتهى ومن هذا يتضح أنَّ جميع ما ذكر ياقوت ينطبق على مُسَمًّى واحد . والقول بأنه داخلٌ في ناحية بلاد عَبْسٍ يدل على أنه في شمال حِمَى ضرية ، غير خارج عن الحِمَى ، وليس جنوب الحِمَى حيث يقع معروفٌ الذي ذكر الأصمعي — فيما نقله عنه ياقوت — أنه بجبل كِبْشاتٍ ، إذْ جبل كبشاتٍ يقع جنوب شرق الحِمَى .
أمَّا جُبُّ يُوسُف النبيّ — عليه السلام — فلا صلة له بهذا الجُبِّ الذي في نَجْدٍ ، لأنَّه في بلاد الأردن من الشام ، في الطريق منها إلى مِصْر — نقل ياقوت عن الأصطخري : هو بالأُردُن بين بَانيَاس وطَبَرِيَّة على اثني عشر ميلا من طَبَرِيَّة مما يلي دمشق . ثم نقل عن غير الأَصْطَخْرِيّ : كان منزل يعقوب بنابلس ، والجُبُّ الذي أُلقي فيه يوسف بين قرية من قراها يقال لها سنْجل وبيْنَ نابلس — ويظهر أنه لا يزال معروفاً في تلك البلاد ، فقد قرأت بَحْثاً في تحديد موقعه لأحد أدبائها — ولعله عبدالله مخلص — في إحدى المجلات منذ زمن .
(٢) لم يذكر نَصْرٌ جُبَّ عَمِيرة ، وذكره ياقوت بقوله : ينسب إلى عَمِيرة بن تَميم بْنِ جَزْءٍ التُّجِيْبِيِّ ، قريب من القاهرة ، يبرز إليه الحاج والعساكر ، وحَدَّد المقريزي في « الخطط » موقعه .
(٣) لم يزد الْحَازِمِيُّ على تعريف حُتٍّ الوارد في كتاب نصر ، سوى تغيير كلمة (اختَطُّوهَا) بكلمة (نزلوها) . وقال

العرب في "مدغشقر"

[من أطرف ما قرأت من كتب الرحلات كتاب «مُدَغَشْقَر: بلد المسلمين الضائعين» الذي ألفه العالم الجليل الرحَّالة المحقق الأستاذ الشيخ محمد بن ناصر العُبُوديُّ. ونشره (نادي الرِّياض الأدبي) فصدر حديثاً.

ومن أعجب ما قرأت فيه حديثاً عن ملكة عربيَّة الأصل تحكم جزءاً من تلك البلاد، وقد رأيت إطراف قراء «العرب» بما كتبه الأستاذ العبوديّ عنها في ذلك الكتاب، بأسلوب يستلذه القارىء، ويستهويه لمطالعة الكتاب جميعه].

قاضيةٌ من أصل عربي:

قال الأستاذ العبودي.

بعد هذه الجولة في مدينة (فورديفان) عدنا إلى الفندق بصحبة الأخ (محي الدين بن عبدالله) إمام مسجد القمريين وذلك لنكمل سؤاله عن المعلومات وكان معرفته باللغة الفرنسية محدودة، ومعرفته بالعربية أقل من ذلك بكثير واللغة التي يحسنها جيداً هي

وأمَّا الثَّالثُ — أوَّلُه خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَفْتوحَةٌ، ثُمَّ تاءٌ أيضاً —: مَوْضِعٌ نَاحِيَةَ عُمَانَ(٤).

← ياقوت في «معجم البلدان»: الْحُتُ — بالضم والتشديد —: موضع بِعُمَان، يُنْسَب إليْهِ الحتُّ من كِنْدَةَ، وليس بأمٍّ لهم، ولا أب. وقال الزَّمخشريُّ: الْحُتُّ من جبال القَبَلِيَّة، لبني عَرْكٍ من جُهَيْنَة، — ثم أورد كلام الحازميّ وقال بعده — قلت: أراهم من كِنْدَةَ المقدم ذكرهم.

أما الْحُتُّ الذي في بلاد جُهينة، فالزَّمخشري في كتابه لم يضبط الأسماء ضبْطاً تاماً، وقد نقل أسماء جبال القَبَلِيَّة عن عليّ بن وَهّاس، كما نقل عنه كثيراً في كتابه، وما نقله هو خير ما في ذلك الكتاب، والقَبَلِيَّةُ ما أقْبَلَ سَيْلُهَا نحو المدينة من سلسلة السراة.

(٥) قال نصْرٌ: — وأما بفتح الخاء المعجمة وآخره تاءٌ عليها نُقْطَتَان: — ناحيةٌ بين جبال عُمَان. انتهى وقال ياقوت في «المعجم»: خَتٌّ — بفتح أوله وتشديد ثانيه —: مدينة من نواحي جِبَالِ عُمَانَ، والخَتُّ عند العرب: الطعن، والاستحياء والشيء الخسيس، كأنه لغة في خَسّ. انتهى. وتقدم كلامه أن الحُتَّ موضع بِعُمَان، ولا أستبعد أن يكون أحد الاسمين مُصَحَّفاً عن الآخر.

الملاقاشية التي لا نعرف منها شيئاً . وكنا نلاقي شيئاً من العناء في فهم ما يقوله وفي إفهامه ما نقول .

وبينما كنا على ذلك إذ بالقاضية (سولانج) تحضر إلينا في الفندق ومعها فتاة أخرى ، وبعد أن سلمت وحيت قالت : أرجو أن يكون الحاكم وأهل الفندق قد قاموا بواجب الخدمة لكم فقد أمرتهم بذلك . فقلنا : نعم ذلك ولك الشكر .

وقد بدت لنا اليوم أكثر وقاراً إذ كانت عندما رأيناها أمس ترتدي سروالاً أما اليوم فقد لبست قميصاً طويلاً نوعاً ذا أكمام . وقالت : إن هذه الفتاة ابنة لصديقتي ليس لديها عمل اليوم فأحضرتها لتصحبني .

وكانت فرصة طيبة لكي تقوم القاضية بالترجمة الواضحة ما بيننا وبين إمام المسجد . فكان مما قاله : إننا قوم فقراء ولا يوجد من يعتني ببناء مساجدنا كما يعتني المسيحيون الذين في الخارج بكنائس النصارى في هذه البلاد لذلك جمعنا نحن فيما بيننا مبلغاً قليلاً من المال لبناية المسجد إلا أنه تهدم عدة مرات بسبب الإعصار ونحن نرجو أن يأتي اليوم الذي نتمكن فيه من بناء مسجد ومدرسة إسلامية من الاسمنت لأن أولادنا يضيعون بدون تعليم .

فوافقناه على قوله ذلك . وسألناه عن المبلغ الذي يظنه لازماً لذلك فقال : إذا بنينا بناء متواضعاً يحتاج إلى ٦٠٠ ألف فرنك أي حوالي خمسة وتسعين ألف ريال سعودي . فقلت له : إذا تيسر بناء المدرسة فمن الذي يدرس الأولاد ؟ قال : أنا ، لقد تعلمت على فلان في مدينة ماجنقا . كما قال أن من حاجاتهم العاجلة الحصول على نعش وما يتبعه لتجهيز أموات المسلمين وأن ذلك يحتاج إلى ٢٠ ألف فرنك أي مائتين وتسعين ريالاً سعودياً .

وأردنا أن نفتح الكلام عن الديانة مع القاضية (سولانج) فسألناها عن هذه الفتاة التي معها وعما إذا كانت مسلمة وهي لونها أسمر شديد السمرة إلا أن تقاسيم وجهها ليست كما في وجوه الأفريقيين ، ولا كما في وجوه الملايويين .

فأجابت القاضية : إن أصلها عربي إسلامي فهي من (ديقو) حيث العرب هناك ،

وقد علقت الفتاة على ذلك بقولها : هذا صحيح وعمي لا يزال مسلماً يصلي صلاة المسلمين ، أما والدي فقد أدخله الأوروبيون في المسيحية وصرت أنا مسيحية كاثوليكية تبعاً لذلك .

وقالت القاضية بعد أن أنهت الفتاة كلامها : إن أهلي الأوائل كانوا من المسلمين وأمي مسلمة تتعبد كما يتعبد المسلمون وتقرأ كتاباً لا أعرف حروفه تتعبد بذلك .

وهنا وجدنا الفرصة سانحة فحدثناها عن الإسلام ومزاياه ، وحركنا مشاعرها للعودة إلى أصلها الإسلامي العريق . مع أن أمثالها هنا يعدون بعشرات الآلاف بل بمئات الآلاف . فقالت القاضية : ولكن الإسلام يقيد المرأة ويجبرها على البقاء في البيت كما أنه يجيز للرجل أن يتزوج بأربع زوجات .

فشرحنا لها أن كون الرجال قوامين على النساء بمعنى أنهم ملزمون بالإنفاق على النساء ، فان ذلك بطبيعة الحال يجعل المرأة أكثر راحة ، ويقيها شر الحاجة إلى العمل ويضمن لها أن تتفرغ لشؤون بيتها وأطفالها . أما إذا كان هناك داع لعملها في جو يحفظ كرامتها وصيانتها فلا مانع من ذلك .

ثم شرحنا لها الحكمة في تعدد الزوجات وبعد كلام طويل سألناها قائلين : أتعتقدين أن الرجل الملاقاشي المتزوج بواحدة يقتصر على تلك الواحدة ؟

فأجابت : كلا فكلهم يكون لهم عدد من الخليلات والعشيقات قد يصلن إلى عشر . فقلنا لها : إذاً تلك الخليلات من النساء اللاتي أجاز الإسلام أن يتزوج الرجل منهن واحدة فأكثر حسب شروط الاستطاعة على النفقة والإسكان والعدل بين الزوجات فيكون لها حقوق شرعية واجبة ويكون لها أولاد يقرون عينها يلزم الزوج بأن ينفق عليهم وليس كما هو الحال عليه الآن من أن يستمتع الرجل بالعشيقة في وقت شبابها القصير دون مقابل إلا أن يدفع لها شيئاً مادياً موقتاً ثم يتركها بعد أن تتجاوز مرحلة الإغراء دون حقوق أو حماية فقالت : هذا صحيح . فقلت لها : وشيء آخر فالزوجة المسلمة إذا تزوج زوجها بثانية فهي تعلم وتطمئن إلى أنه لا يعرف غيرهما وهذا كاف .

فسألتنا — مقاطعة — وهل من الممكن ألا يعرف الرجل إلا زوجته ؟

فأجبتها : نعم وهذا هو الواقع من المسلمين في بلادنا حسبما نعرفه ، فقالت : الرجل هنا يعرف في العادة مع زوجته عدداً آخر من النساء .

وهنا سألناها : أتذهبين إلى الكنيسة ؟ قالت : نعم ، في الماضي ، فقلنا : لماذا كان ذلك في الماضي ؟ فقالت ، لأنه كان الذي لا يذهب إلى الكنيسة يعاقب أما الآن فمنذ أن توقف العقاب توقف الناس عن الذهاب للكنيسة فلا يذهب إليها إلا عدد قليل جداً ثم ودَّعَتْ وانصرفَتْ .

وهنا كان موعد الغداء الذي رتبه صاحب الفندق قد أزف ، وذلك لقرب موعد قيام الطائرة وسفرنا إلى مدينة (مانكار) . وقد كررنا الأكل من أفخر أنواع السرطان البحري في العالم وكان معه حَمَامٌ من حمام (فورديفان) المحشيّ .

العرب في مانكار :

ثم قال الأستاذ العبودي — بعد الكلام المفصّل عن مدينة (مانكار) :

بعد ذلك وقفت السيارة عند السوق الشعبي فصرفناها وأخذنا نتمشى ، ونحن نبحث عن الوجوه التي تنتمي إلى قبيلة تيمور التي تشتهر عند الناس بأنها من أصل عربي فوجدناها ظاهرة في هذا السوق بمظهر لا يوجد عند غيرها فيما رأينا من بلاد مدغشقر ولا غيرها في أفريقية ذلك بأن أفراد هذه القبيلة من رجال ونساء وأطفال يلبسون طاقية موحدة لا تختلف في واحد عن الآخر حتى العجائز يلبسنها وهي طاقية من القش الأصفر أعتقد أنها مصنوعة من قش الأرز مستديرة الأسفل مع تربيع يسير أما أعلاها فله أربع زوايا وفي كل ركن من أركانها الأربعة نقطة حمراء مربعة ، من القش المصبوغ . أما وجوه الناس فهي الوجوه العربية التهامية الموجودة في تهامة في السواحل الجنوبية الغربية في الجزيرة بعد أن تضيف إليها بؤساً لا يوجد عند أولئك ، وإهمالاً للنظافة ظاهر وسمرة فوق سمرة التهاميين وصفرة ليس بعدها صفرة إلا في الجنس الصيني ، وحفا في الأرجل عاماً فالجميع مثلهم في ذلك مثل معظم سكان مدغشقر خارج المدن الرئيسية ومثل بعض السكان داخل تلك المدن . إلا أن الملاحظ أن قاماتهم أقصر مستوى من قامات

سكان الشرق الأوسط فهم بذلك يشبهون بعض سكان السواحل الجنوبية من الجزيرة العربية وهم يشبهون بقية سكان مدغشقر في كون النساء يعملن أكثر من الرجال وفي كونهن سافرات إلا أنهن غير متبرجات كما يفعل نساء غيرهم من الأجناس إلا فيما ندر منهن ولا تكاد تجد واحداً أو واحدة منهن في وجنته دم صاف أو على وجهه نضارة وذلك خلاف الذين يسكنون معهم والذين هم من أصول أفريقية فانك ترى بعضهم وبعض منهن عليهن ملامح الجمال وسمات العافية رغم أن الحفاء من شيم الجميع .

وأكبر ظني وهذا ما ليس عليه دليل أن هذا الجو الاستوائي الحار الرطب الذي تسطع شمسه وترسل من الأشعة وسط بحر من الأبخرة التي تنبعث من مياه المحيط شبه الاستوائية أو تنزل مع الأمطار الغزيرة التي يقل مثيلها في العالم أن ذلك كله لا يناسب الجسم العربي ولا يستطيع الصبر عليه لذلك كان وقعه على وجوه أولئك القوم وقعاً شديداً لا يحس بعنفه ومدى تأثيره إلا من هو غريب عن المنطقة لم تألف عينه النظر إلى تلك المظاهر .

وشيء ملفت للنظر وهو أن أولئك التيموريين يتشابهون في مظهرهم وبخاصة مظاهر النساء . حتى يكاد المرء يجزم بأنهم من سلالة رجل واحد . وأنهم لا يختلطون بغيرهم مع أننا علمنا أن الاتصال بالزواج مع الجنس الآخر الذي يسكن في تلك المنطقة والذي هو من أصول أفريقية هو قليل إلا أنه موجود وأن الأنواع الأخرى من الاتصال موجودة متوفرة ليس عليها حجاب أو مانع . . . .

أما أجناس الناس الأخرى في هذه المنطقة كالجنس الذي ينحدر من أصول جاوية أو ملايوية والذي هو موجود في الهضبة الوسطى في منطقة العاصمة (تاناناريف) فهي غير موجودة أصلاً .

ومعروف عند الناس هنا أن هؤلاء التيموريين هم من العرب وكانوا يكتبون لغتهم المحلية التي هي الملاقاشية بعد أن نسوا العربية بحروف عربية ولهم ملوك وملكات يتعاقبون على قيادتهم على مدى السنين معروفون حتى الآن .

وجعلت أتفرس في وجوه الناس وبخاصة وجوه البائعين والبائعات ألتمس التقاسيم العربية وأحاول أن أكون رأياً في ردها إلى إحدى القبائل وأهالي البلاد العربية وإذا بي

أفاجأ قبل أن أحكم على التقاسيم والتقاطع الظاهرة بما يؤكد نسبتهم إلى العرب من طباعهم التي كنا نعرفها في العرب الذين لم يتحضروا وخصوصاً من أهل البدو وأهل القرى من أمور لم ألحها ولم أمر بها في طباع أناس آخرين رأيتهم في مدغشقر من قبل . ذلك بأننا بينما نتفرج عليهم إذ بهم ينقلبون إلى متفرجين علينا ينظرون إلى وجوهنا وأثوابنا ، ويستمعون إلى كلامنا بكل اهتمام بل بكل فضول نعرفه في غير المتعلمين من العرب بل إذا بهم إذا بدرت منا لفتة أو حركة غير مألوفة لهم يضحكون منا ويقهقهون من سماع كلامنا ، وإذا سمع بعضهم ضحك الآخرين أو حتى أن هناك ما يجذب الآخرين إلى الضحك أو إلى النظر سارع يستجلي الأمر وترك بضاعته على الأرض مفضلاً الاطلاع على أمر غريب أو وجوه قوم غرباء على حفظها .

وأمر آخر له أهميته فقد رأيت القوم فجأة من نساء وأطفال وبعض الرجال قد فروا من السوق فجأة كأنما فروا من حريق واتجهوا إلى شارع قريب وصفوا على الشارع وهم يتطلعون بفضول وإذا بموكب عرس لقوم من الهنود المقيمين في البلاد . وعندما فات الموكب رجعوا إلى سوقهم وبضائعهم يتراكضون وهذا شيء لم أره في غير هذه المنطقة العربية أو التي كان عربية من مدغشقر.

أما ألوانهم فقد اعترتها السمرة الشديدة وان كانت لا تزال أكثر بياضاً من وجوه الذين يعيشون معهم من ذوي الأصول الأفريقية بكثير وهي أيضاً أكثر بياضاً من وجوه ذوي الأصل الملايوي بقليل .

هذه هي الانطباعات عن منظر هؤلاء العرب الضائعين الذين لم يبق لهم مما يعتزون به أو يعتز به من ينتمي إليهم إلا التاريخ فقد ضاع سلطانهم الذي كان في هذا الجزء من مدغشقر وقبل ضياعه ضاعت لغتهم .

أما صحتهم التي لا أظن أنها كانت بهذا السوء فلا يمكن الحديث عنها أكانت هكذا قبل أن يصلوا أم ساءت بعد ذلك ولكنني أعتقد أنه لا يمكن أن تصل إلى درك من السوء أنزل مما هم عليه الآن فهم على غاية السوء وقد ضيعوا ارتباطهم بالعالم العربي والإسلامي ، وبذلك فقدوا عاصماً مهماً من أسباب البقاء .

وقد ضيعوا أهم من ذلك كله وهو دينهم فأصبحوا لا يوجد لديهم حتى المساجد التي هي في بعض البلدان مجرد مظاهر دينية وهم لا ينهضون لبنائها لجهلهم وفقرهم وأظن أن الجهل هو السبب وليس الفقر لأنه لن يعجز جماعة مهما كان فقرهم أن يبنوا لهم مسجداً من جنس ما يبنون لهم من بيوت كما رأيت بنفسي المساجد في بعض القرى الأفريقية تبنى من القش إذا كانت بيوت السكن نفسها من القش . ولكنهم فقدوا حتى الاهتمام بالدين فليس لديهم مدرس ولا كتاب ولا مسجد ولا ثقافة ولا لغة إن لم نقل : ولا صحة ، ولا لون ولا .. ولا ... ولا ... حتى نقول : ولا نعل .

إنني أذكر هذه الحقائق التي أعرف أنها ستكون مؤلمة للقراء من العرب لا محبة في جلب الآلام لهم كما جلبتها لنفسي وإنما لإبلاغهم ذلك حتى يشاركوا في حمل مسؤلية إنقاذ هؤلاء القوم الذين يعيشون في كارثة مريعة ، وأن يهب كل شخص لأنقاذهم بقدر ما يستطيع .

وانتقلنا من السوق الشعبي الذي لاحظنا أن معروضاته من الفواكه والخضروات أقل من مثيلاته في مدينة (فورديفان) في الجنوب ومدينة (توليار) في الجنوب الغربي .

وتجولنا فيما حول السوق فإذا بنا نزيد ملاحظة أن النساء من قبيلة تيمور لا تزال فيهن بقية من حياء النساء العربيات فالمرأة تكلم الرجل الأجنبي كما تفعل كل النساء في مدغشقر ولكنها ليس فيها وقاحة نساء الأجناس الأخرى اللاتي يحادثن ويمازحن وقد يغازلن الرجال . بل أن بعضهن إذا أردنا الحديث معها غلبها الحياء فصدت وجهها وأبعدت ، وكنا نريد أن نسأل نستزيد من المعلومات فلم نجد امرأة تسرع إلى الحديث إلا واحدة واضحاً عليها أنها عربية تكلمت معنا فقلنا : إننا نريد شخصاً يرينا المتاجر في بقية السوق فأرسلت أخا لها صغيراً تطلب رجلاً لهذا الغرض فسألناها بعد ذلك : أأنت من تيمور ؟ فأجابت : نعم . فقلنا : أم أنت عربية ؟ فقالتا : تيمور من العرب فسألناها : إذاً مسلمة ؟ فأجابت : لا إنني كاثوليكية . ولكن أهلي كلهم مسلمون ! !

إن نصرانيتها هي التي جعلتها من بين أولئك المسلمات في الأصل تسارع إلى الحديث معنا .

وأمر آخر يلاحظه المرء وهو أن بعض النساء خاصة من قبيلة تيمور تقوم الواحدة منهن بلف فوطة حول جسمها كما يفعل العرب من جنوب الجزيرة والخليج فبعضهن ترسل تلك الفوطة إلى ركبتيها أو أسفل من ذلك وبعضهن ترفعها لتغطي ما بين أسفل أبطيها وما فوق ركبتيها .

وقد عدنا إلى الفندق مع غروب الشمس بعد أن اشترينا فاكهة من السوق بما لا يعد رخيصاً مع أن هذه المنطقة من أخصب مناطق مدغشقر وأكثرها أمطاراً .

وفي النفس ما فيها من الكرب والغم على ما رأيناه ومن التحمل والهم للواجب الذي نرى أن علينا إبلاغه . وكان الفندق نفسه سيئة من السيئات في مرافقه وغرفه حتى البعوض كثير هنا وقد رأيناهم وضعوا في الغرفة دواء يحرق لطرد البعوض وما أظنه ينفع في ذلك لأنها كبيرة كثيرة المنافذ وأبوابها ونوافذها ليست محكمة .

وقبل النوم أخرجت المذياع التمس السلوان في بعض ما أسمع منه عسى أن أتمكن من التقاط إذاعة عربية لأنني لم أستطع أن التقط منها شيئاً الليلة البارحة في فورديفان لبعدها إلى الجنوب وكونها واقعة خلف هضاب مدغشقر الجبلية التي تحجب عنها الإذاعات المنطلقة من البلدان العربية أو الموجهة إليها وفوجئت بأن بعض الإذاعات العربية مسموعة هنا كالكويت والسودان والعراق . فكأنها بذلك تريد تؤكد أن هذه المنطقة هي لا تزال — ولو في الخيال — تحتفظ بما كان للعرب والعربية فيها من سلطان .

يوم الأحد : ١٣ رجب ١٣٩٨ هـ ١٨ يونيو ١٩٧٨ م .

من خطتنا المقررة أن يكون برنامج زيارتنا هذا اليوم لمدينة (وي بن) .

في بلدة وي بن :

ثم قال الأستاذ بعد أن تحدث حديثاً ممتعاً عن بلدة (وي وين) قاعدة تيمور العربية :

لم نكد ندخل الشارع الرئيسي الذي يقع على الطريق الاسفلتي فيها حتى وجدناه قد انتهى لقصره وبيوته والحوانيت فيه مبنية بالخشب ومقامة على أرجل خشبية ترفعها عن

الأرض اتقاء الرطوبة الدائمة ، فوقفنا على رجل حداد قد اتخذ من بيته حانوتاً وقد أخرج معدات له قديمة وهو لا يعمل فسأله الشيخ الدكوري بالفرنسية فلم يفهم شيئاً فسارعت الفتاة الصينية إلى سؤاله بلغتهم ففهم منها بعد تعب فقلت لها قولي له : إننا نريد أن نتصل بأي رجل مسلم من كبار المسلمين حتى يستطيع أن يجمع لنا المسلمين لنتكلم معهم في أمور دينهم . فقال : أنه سيكون هناك اجتماع للمسلمين للدعاء للحكومة لمناسبة حلول عيد الاستقلال ثم ذكر مكاناً ذهبنا نبحث عنه فلم نجده . ويلاحظ هنا أن الحكومة غير إسلامية ولكنها تطلب من المسلمين أن يدعو لها .

وسألت الفتاة رجلاً ورجلين فلم يفيدوها بشيء . وقلنا أخيراً : دلونا على المسجد فسألت امرأة تحدثت معها طويلاً ثم اركبت معنا بالسيارة صبياً ذهب بنا إلى المسجد وقد تبينا البلدة بعد ذلك فاذا بها أكواخ خشبية كثيرة ولكنها منثورة غير متلاصقة وأرض البلدة غير مستوية قد تختفي بعض البيوت فيها كما أن علو الأشجار وكثافتها يخفي البيوت التي هي أكواخ من طابق واحد .

وقصدنا المسجد فوجدناه في ركن من البلدة يقع على منحدر وإذا به صندقة مبنية من الخشب ومسقوفة بالزنك وأرضه قد فرشت بالمشمّع وفي آخره مكان منفصل مخصوص للنساء وقد علق في المسجد لوحتان إحداهما عادية عليها الآية الكريمة (نصر من الله وفتح قريب) والثانية بالخط العربي على الطريقة المحلية التي هي عادية ليس لها طابع خاص (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) الآية وبين سطورها كتبت ترجمة لمعانيها باللغة الملاقاشية . وحالة المسجد جيدة بالنسبة إلى حالة البيوت الأخرى . ورأينا رجلاً يقرب منا فسألناه عن إمام المسجد أو المسؤول فيه فلم يبد جواباً ، كما سألناه عن بيت الإمام أو عن اسم أي شخص من كبار المسلمين في هذه المدينة فكان يفتح فاه كالمتذكر ثم يسكت .

ولا مجال هنا لنزيه الاسماء والعناوين التي حصلنا عليها لأنه لا يعرف الفرنسية أولاً ولأنه كسائر أهل البلدة الذي عرفناهم فيما بعد قد تَبَلَّدَتْ أذهانهم ثانياً بسبب الجهل وقلة الثقافة .

وأخذتنا الحيرة وأخذنا نجول في أنحاء البلدة فإذا بامرأة من نساء البلدة كلمتها الفتاة الصينية بغرضنا . فقالت : إن الناس هنا لا يجتمعون ولا يسمعون ولا يطيعون إلا بأمر الملكة فعليكم الاتصال بالملكة أولاً . ولما سمعنا ذلك ظننا أن في الأمر هزلاً فلم نسمع بنفوذ الملكة لهذا الحد ، ولكن المهم عندنا أن نحصل على ما نريده من معرفة عن أحوال المسلمين في هذه المنطقة .

ولكن كيف الوصول إلى الملكة ؟ وما هو مقدار ملكها واين مكانها ؟

سألنا أحد الأشخاص عن ذلك فلم يجب ، وأخيراً وجدنا شخصاً رضي بأن يدلنا .

في حضرة الملكة :

طلب الدليل منا ان نُوقِف السيارة في الشارع في أسفل تل ، ثم تقدمنا مع درج في التل وسط أشجار كثيفة كأشجار الغابات .

وعندما علونا التل وجدنا بيوتاً خشبية مرفوعة عن الأرض بأعواد من الخشب أو قل هي أكواخ من الخشب قد بنيت على دعائم خشبية واقفة لترفعها عن رطوبة الأرض وهي متفرقة إلا أنها تكاد تكون متلاصقة إذا الفراغ الذي يفصل بينها قد تركوه لحاجات أهل المنزل مثل الحصر التي ينشر عليها الأرز ليجف ، أو مربط العنز ، أو مكان للدجاج الذي رأيناه سائباً وهي بيوت كثيرة فوق هذا التل الذي هو أيضاً يكاد يكون غابة من الغابات وان كان مرتفعاً .

ورأينا عدداً من المارة من رجال ونساء كلهم حفاة في هذا الجو الرطب بل الطيني الذي يجعل الارجل كلها ملطخة بالطين ، وربما كانت هذه الرطوبة الزائدة هي السبب في الحفاء لأنهم لا يعرفون من المواد التي تتخذ منها النعال إلا الجلد وهو يتلف مع الرطوبة والماء الدائم أما اللدائن ونحوها من المواد فانهم لا يعرفونها في السابق لعدم وجودها وفي الزمن الحديث لا يستطيعون الحصول عليها لعدم مقدرتهم المالية وربما لاعتيادهم الحفاء وعدم مبالاتهم به .

ووصلنا كوخاً من الأكواخ لا يكاد يميزه عن غيره شيء . إلا أنه من الأكواخ

الكبيرة . وتأخر الرجل الذي كان يدلنا فنفحناه ما تيسر من النقود فأخذها وانصرف شاكراً ثم تقدمت الفتاة الصينية وصعدت إلى باب الكوخ المرفوع على درجتين من الخشب أمام المدخل وأطلت من الداخل ورطنت لمن كان بالداخل ثم عادت إلينا وقالت : ادخلوا ها هو بيت الملكة : ملكة قبيلة تيمور العربية !!!

لقد سمعت هذا وأنا بين المصدق والمكذب ولكن حب الاطلاع على أحوال هذه الملكة العربية التي احتفظت بعرشها في هذا الزمن الذي صعب فيه على الملوك الصناديد من الرجال الاحتفاظ بعروشهم قد أنساني كل شيء إلا محاولة معرفة كل ما يحيط به .

دخلنا إلى غرفة الاستقبال أو الغرفة الرئيسة في البيت فإذا بها واسعة أقدر أنها في حدود ثمانية عشر متراً مربعاً فيها نافذتان إحداهما إلى الشمال والأخرى إلى الغرب . وإذا بالبيت نفسه يبين من الداخل أكثر وجاهة وأغلى قيمة بل أكثر تكلفة فهو من الخارج خشبي من خشب عادي وأما جدرانه الداخلية فانها من أعواد مظفورة أي أعواد كالعصي منسقة تنسيقاً جميلاً ومضموماً بعضها إلى بعض في شكل متناسق جميل إذا وصلت إلى مستوى النافذة مثلاً وقفت ثم تلتها بقيتها فوق النافذة وإذا بالسقف من أعواد مظفورة بنية اللون مع شيء من الصفرة وهي جميلة ، وقد علق على الحائط عدة لوحات منها وسام منحته الحكومة الفرنسية لزوج الملكة وصور بعض الأسرة وصورة مقطوعة من إحدى المجلات لمنظر جميل . أما أرض البيت بيت الملكة فإنها من الخشب العادي المرصوف الذي هو في الحقيقة معلق لأنه مرفوع عن وجه الأرض بأخشاب كما تقدم .

وجدنا في المنزل أو في غرفة الاستقبال عدداً من الناس هم رجل واحد وأربع نساء وصبي صغير وطفل رضيع مع إحدى النساء .

وكان أول من استقبلنا وانتصب للحديث معنا هو الرجل وهو زوج الملكة في سن الستين حليق الوجه والشارب ما عدا نقطة من الشعر تحت فتحة الأنف تشبه شارب هتلر .

وهو ممتلىء الجسم في غير ترهل أسمر اللون شديد السمرة إلا أنه ليس بأسود ،

وقال : إنني أمير ولكنني ابن ملك ولهذا كان من حقي أن أتزوج بالملكة ملكة قبيلة تيمور ، فسلمنا عليه وأحفينا السلام . وكان يسرع في الحديث وكان حديثه كحركاته سريعاً يتسم بالحيوية بل والحماس ويكاد يكون ظاهرة غير عادية في أهل هذه البلدة الذين رأيناهم فأكثرهم يتّسم بالجمود وعدم السرعة في التصريحات حتى التفكير عندهم قد أصابه الجمود بل الخمود .

قال الأمير زوج الملكة وهو يزهو ويفتخر وحق له ذلك فهو ذو مزايا ذهنية وعقلية نادرة في سائر قومه : إن أجدادي جاؤا من مكة واسمي موسى بن علي ، وهو لا يعرف إلا قدراً قليلاً من الفرنسية . وكانت الفتاة الصينية تترجم كلامه للشيخ الذكوري بالفرنسية فيترجمه إلي بالعربية وهكذا كلامي يترجمه الشيخ الذكوري فتترجمه الفتاة الصينية إلى الملاقاشية المحلية ولولا وجودها معنا لما استطعنا التفاهم معهم بل ربما لم نستطع الاهتداء إلى مقر قيادة هذه القبيلة المتمثلة بالمملكة وزوجها الأمير.

كان يسترسل في الكلام فقاطعته قائلاً : أين الملكة ؟ فأمر إحدى النسوة أن تدخل البيت :

وجاءت الملكة :

امرأة عربية عجوز أو تقرب من أن تكون عجوزاً فهي في حدود الستين من العمر حالما رأيتها تبادر إلى ذهني صورة عجوز من عجائز البدو في بلادنا لولا أن سمرة الملكة أكثر وصفرة لونها أوفر إلا أن ذلك كله لم يخرجها من حد السمرة إلى حد السواد ، ولم ينزع منها مظهر المرأة العربية .

جاءت الملكة متواضعة تمشي الهوينا قصيرة الخطى غير شامخة الرأس ولكنها تمشي مشية الواثق بنفسه المتواضع عن مقامه .

سلمت تسليماً لا يبعد عن تسليم النسوة العربيات على كبار السن من الرجال الأجانب أي بخفر مع عدم استحياء وباعتزاز بالنفس دون وقاحة . ولكن مظهرها لا يوحي أبداً بأنها ملكة لقبيلة كبيرةوواسعة منتشرة في منطقة من أخصب مناطق مدغشقر ، ومعترف بزعامتها رسمياً لتلك القبيلة وبعرشها الذي تتربع فوقه لتصريف شؤونها .

لم يكن لباسها فاخراً ، ولم يكن عليها شيء من الحلى الثمينة . أما الأصباغ والزينة فلا وجود لها في كل من رأيتهن من نساء قبيلة تيمور ولا أدري أمبعث ذلك عدم الرغبة فيه أم عدم القدرة على شرائه ولكنني أظن الأول هو السبب إذ ليس من المعقول أن يكون جميع نساء قبيلة كبيرة تقطن مساحة واسعة وتملك من أشجار القهوة ومن الأراضي الزراعية قدراً كبيراً من لا تستطيع أن تشتري لنفسها ما تتزين به المرأة التي تضع زينتها في المقام الأول من اهتمامها .

وفيما يتعلق بالملكة أكاد أجزم أنه لا يوجد فرق كبير في المظهر واللباس والزينة بينها وبين سائر النساء من رعيتها .

بعد أن جلست الملكة ناحية كما هي عادة النساء العربيات استمر زوجها في الحديث وتصدر الجلسة فقال بعد أن أخبرناه أننا قد زرنا المسجد : إن مسجدنا صغير ونحن نحتاج إلى توسعته ، وقد كتبت للمسلمين في كل مكان في تاتاناريف وفي موريشيوس فلم ترِدنا إجابة .

وكأنه ظن أن تاتاناريف التي لا تبعد عن بلدته (وي بن) إلا بمسافة أربعمائة كيل هي آخر المعمور من الدنيا إذْ قلنا له : أكتبتم للملكة العربية السعودية وغيرها من البلاد العربية ؟ فلم يفهم المقصود بسرعة فقال زميلي الشيخ الدكوري للمترجمة : قولي له : أن هذا الشيخ ــ يقصدني (برفيسور) في مكة التي قدم منها جده فهل كتب إلى مكة ؟

فأجاب : لا إنما كتبنا إلى تاناناريف وتاناناريف كتبت إلى موريشيوس بطلب المساعدة على إصلاح المسجد ولكن لم يستجب لكلامنا أحد .

وكان يتكلم بقوة وكانت عضلات وجهه وحركات يديه تشارك لسانه التعبير إذا كانت المترجمة تتأكد من فهمه لترجمتها وعندما كان يصل إلى جملة (ولكن لم نجد مساعدة) كانت كلماته تخرج من فمه وكأنها تنهدات الحسرة وصيحات الألم ، وكنا نشاركه ذلك بل أكثر من ذلك لأننا نعلم من إمكانات العرب المسلمين على مساعدته أكثر مما يعلم ثم أخرج لنا رسماً لواجهة مسجد حديث على طراز عربي جميل وقال : إننا نريد أن نبني المسجد على هذا الطراز وكان يتكلم وكأنه يحب أن ينتهز فرصة ظن أنها لن

تؤاتيه بأن يجد من يحدثه في هذا الموضوع هذا مع أنه لم يسألنا عن أسمائنا ولا من أي بلد نكون ولا عن مهمتنا ما هي .

فقلنا للمترجمة : بعد أن هدأ كلامه : اشرحي له ما يأتي : إننا وفد من المملكة العربية السعودية قدمنا إلى بلاده لكي نراه ونرى إخواننا المسلمين في هذه البلاد وخصوصاً قبيلة تيمور التي هي ذات أصل عربي وأهم ما عندنا أن نعرف ما يحتاجون إليه في أمور دينهم مثل احتياجهم إلى توسيع المسجد والمساعدة على إنشاء مدرسة إسلامية لذلك نرجو أن يجمع لنا زعماء المسلمين وكبارهم في هذا المساء على أن يكون معهم رجل يحسن الفرنسية لأن المترجمة التي معنا ستتركنا في (فرفنقان) وسوف نبحث كل ما يتعلق بما ذكر في ذلك الوقت . فأبدى استعداده لذلك .

بين الملكة والأمير:

طلبت أن آخذ صورة تذكارية بين الملكة وزوجها الأمير ففرح بذلك ونادى امرأة أحضرت له ملابس عربية لبسها ونحن معه وكان قبل ذلك عليه قميص قصير وسروال وطاقية من القش . أما الآن فقد نزع القميص القصير ولبس ثوباً عربياً واسعاً طويلاً إلا أنه يرتفع عن القدم قليلاً شبيهاً بالقميص العربية الطويلة التي يلبسها العمانيون وطربوشاً أحمر قصيراً في أعلاه مجموعة من الخيوط السوداء والتي كانت العامة في نجد تسميها (فيس) عندما كان الناس في الجزيرة يلبسونها تقليداً للأتراك . ثم أدار على الطربوش عمامة طويلة ولكنها ليست عريضة بحيث أدار عدة طيات منها ولكن أعلا الطربوش بقي بارزاً .

وبدا الرجل مزهواً بهذه الثياب العربية فخوراً يخطو وكأنه يحجل ورفع حاجبيه وهو ينظر إلى كل واحد ، ويزم شفتيه يرفعها إلى أعلى وهو يتكلم . وعندما أخبرته أن الملابس العربية هذه هي التي نلبسها في البلدان العربية في مكة مثلاً ما عدا الطربوش الذي هجر منذ زمن فرح بذلك وازداد فخراً ومن المفارقات الطريفة أن هذا الأمير في هذا الركن القَصِيِّ الخفي من العالم قد امتنع عن أن تؤخذ له صورة إلاَّ وهو يرتدي الملابس العربية وأنا الذي ألبس الملابس العربية في العادة أرتدي الآن ملابس افرنجية ذلك بأن القوم في

العاصمة نصحوني ألا أظهر بمظهر يميزني عن الآخرين التماساً للأمن ولاعتبارات أخرى تتعلق بمهمتنا .

أما الملكة فقد كانت دخلت إلى غرفة في البيت ثم عادت وقد لبست ثيابها الملكية قيصاً أخضر لا أدري عن طوله لأنه مستور من أسفل الصدر برداء مخطط بخطوط قرمزية وسوداء وقد وضعت على رأسها ورقبتها شالاً أبيض وبدت في هذه الثياب أكثر وجاهة ألا أنه بان على وجهها أكثر أن صحتها ليست على ما يرام فقد كانت علامات عدم الصحة وهي في ملابسها الأولى منسجمة مع تلك الملابس غير المعتنى بها

ووقفت بينهما لأخذ الصورة وكانت الملكة تبدو رزينة غير مهتمة بالأمر أما الأمير فإنه فرح جداً بهذه الصورة حتى إذا لمع ضوء المصورة في عينيه يعلن التقاط الصورة قفز وصفق بيديه .

وهذا يدل على اعتزازه بملابسه وعلى أن المصورات عندهم غير موجودة وإلا لما كان يحتفل بالصورة كل هذا الاحتفال .

وعندما انتهى التصوير لم أشأ أن أغادر المكان دون أن أجعل الملكة تتكلم فقلت للمترجمة : أخبريها أننا من المملكة العربية السعودية وأننا سنبلغ إخواننا ونبلغ أخواتها المسلمات أننا قد رأيناها ونحمل لهن تحية منها فمن أين أصلها ؟

فقالت الملكة : أن أصلها من بلاد العرب فقلنا : من أي جزء من بلاد العرب قدم أجدادها قالت : من مكة . فسألناها وما اسم أجدادها قبل أن يغادروا مكة ؟ فقالت : إنها لا تدري وهنا قال زوجها أن أجدادها قدموا إلى هذه البلاد بعد عام ١٥٠٠ م ميلادية بقليل .

وكان في المجلس امرأة يبدو أنها شابة لأن معها طفلاً تخرج ثديها أمام الناس وترضعه مع يقيني أن ذلك الثدي ليس فيه شيء من اللبن لأنه نحيل ضعيف وهي تبدو صفراء اللون كأنها العليلة مع أنها أكثر بياضاً من جميع من في البلدة بل أن لونها في مثل لون البدويات في الجزيرة في الوقت الحاضر إلا أنه يظهر أنها وأكثر أفراد هذه القبيلة في هذا المكان الرطب المليء بالمستنقعات ومع الحلفاء الذي لا يعرف النعال ربما تكون مصابة

بطفيليات معوية تساعد على هدر الغذاء واعتلال الصحة واصفرار اللون. وسألنا الأمير عنها فقلنا: من تكون هذه المرأة؟ فقال: إنها ابنتي.

وجعلت أرقب الملكة وزوجها وابنتها وحفيدتها بالنسبة إلى من يشابهون من العرب فإذا الملكة تشبه عجوزاً بدوية بائسة سمراء والبنت تشبه امرأة مريضة من أهل نجد والطفل يشبه أحد صبيان تهامة. والأمير يشبه أحد الحضارمة البدينين الذين يسكنون بين الساحل والداخل في حضر موت فهو أكثر بياضاً من سكان الساحل الحضرمي وأقل بياضاً من سكان الداخل ولكن تقاطيعه تشبه الحضرميين.

وبقي عليّ أن أعرف اسم الملكة فسألت عن اسمها لأنها كما قلت قد جلست في طرف مجلسنا كما تفعل المرأة العربية المحافظة فأخذ يفكر ويلتفت إلى من حوله ثم قال: اسمها باسولا التي أصلها بتول بنت موسى ونظراً إلى أن هذا الاسم غير واضح أنه عربي فربما كان يتذكر اسماً عربياً آخر. على أن عدم الاهتمام بالاسم أمر ليس مستغرباً. في هذه البلاد كما سنقص ذلك بعد العودة إلى (وي وين) ثانية في هذا المساء.

إلى فرفنقان:

وتنطق بفتح الراء في أولها. وقد حاولت أن أعرف معنى اشتقاق اسمها واسم (وي بن) فلم أعرف.

خرجنا من عرين الملكة مع هذا السلم نازلين من البلدة المقامة على التلة وقال زميلي الشيخ الدكوري: إن بيت الملكة والأمير يكون عادة في مكان عال من البلدة إجلالاً واحتراماً.

كنت أهبط مع الدرج وأنا لا أكاد أصدق ما رأيت بل أقول في نفسي: أأنا في نوم أم في يقظة فقد اختلطت مشاعر الفرح بالحصول على معرفة شيء مجهول بمشاعر المرارة والحسرة على ما علمناه من حال أولئك القوم بمشاعر الأسف على ما هم عليه من الحال مع وجود الامكانات المادية التي تجعلهم أحسن حالاً إذا ما أخذوا بها ولكنهم لم يفعلوا ذلك.

الرياض: محمد بن ناصر العبودي

صُوَيْر : قديما وحديثا

[سيصدر قريباً كتاب «بلاد الجوف — أو دُومة الجندل» تأليف الأستاذ الباحث الشيخ سعد بن عبدالله بن جُنَيدل، ويسر مجلة «العرب» أن تَعْرِض للقاريء الكريم فصلاً من فصول ذلك الكتاب الطريف — وهو من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) و(صُوير) من المناهل القديمة التي تحدثت عنها في كتاب «شمال المملكة» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية»][1].

صُوَيْر :

بضم الصّاد المهملة وفتح الواو ثم ياء مثناة ساكنة وآخره راء مهملة، على لفظ تصغير صُور: ماء قديم وقد أقيمت عليه قرية زراعية، يقع شرقاً من مدينة سكاكة على بعد خمسة عشر كيلاً تقريباً غير أنه يعترض بينه وبين مدينة سكاكة كثبان رملية لا تجوزها السيّارة بسهولة فيؤتى إليه من طريق أطول. تسلك الطريق المسفلت الذاهب إلى مدينة عرعر، حتى تبلغ مركز زلّوم على بعد عشرين كيلاً تقريباً ثم تخرج منه في اتجاه جنوبي شرقي مع طريق وعر غير ممهد يتعثر في منخفضات رملية غزيرة ويتجشّم عقبات جبلية وعرة تارة أخرى، كثير الالتواءات والمضايق حتى تصل إلى قرية صوير على بعد اثني عشر كيلاً من مركز زلوم. تأسست هذه القرية عام ١٣٨٠ هـ، وسكانها قبيلة القعاقعة — واحدهم قعقاع — من الرّولة من عنزة، وعمدتهم مرعي بن مليح القعقاع وابن عمه مهل بن خشم القعقاع.

وصوير قد ورد ذكره في المعاجم القديمة باسم «صَوَر» بفتح أوله وثانيه، وذكر أيضاً بزيادة ألف في آخره مقصور «صَوَرَى». وقد ذكره المتنبي في قصيدة له وذكر معه عدة مواضع قريبة منه، وفيها يقول:

وجَـابَتْ بُسَـيْـطَـةَ جَوْبَ الرِّدا ❊ بـيـنَ النَّعام وبـيـنَ الـمَـهَـا

---

(١) أنظر عن المواضع الواردة في هذا المقال (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي» تأليف حمد الجاسر.

إلى عُقْدَةَ الجوف حتّى شَفَتْ بماء الـجُـراويِّ بَـعْضَ الصَّـدَا
وَلَاحَ لَـهـا صَوَرٌ والصَّـبـاحَ ولاحَ الشـغـورُ لها والضَّـحَـا

قال ياقوت : قال الواحديّ في شرح الأبيات : والصّواب صَوَرَى ، عن الجرميٌّ .

وقال البكري : على وزن فَعَلَى ، ذكره سيبَوَيْهِ .

وقد ورد ذكر صوير مقروناً بذكر الوديان الواقعة شرقاً منه وذكر الجوف في قصيدة للشاعر الشعبي مغبّ الدريعي الرويلي يذكر فيها المعركة التّي جرت بين الشعلان وبين العواجي ، في نقرة الحيران ، وكان قائد الشعلان فيصل بن شعلان ، وقتل في هذه المعركة خلف الأُذُن العواجي ، قال مغبّ الدّريعي في قصيدته : [1]

حرّ شَلَعْ يَوْم البَوَاشِق مَخَامِيرّ عَدْلَ المَنَاكِبْ مِسْفِهِلٌ الْحجَاج
شَهَرْ من الوِدْيَانْ واسْنَدْ من الشّيْر وفي نِقْرة الْحِيْران صَاد الْعَواجيَ
أيْمَن مكاسِيْبهْ وطَا الجَوْف وصْوَيْرْ وأيْسر مـكـاسِيْبه وَطَنٌ الـنّباج
بشْرقي جبال غُنَيْم جِبْنَا المَغَاتِير وضحِ تلَاعَجْ كنّها عَظِمْ عاج

الوديان : عدة أودية متوازية يطلق على مجموعها هذا الاسم ، وقديماً يقال لها الأوداه ، والأودية ، وأشهرها وادي عرعر ووادي أبا القور .

النباج : ماء قديم معروف ، يقع في وادي السرحان وفيه قرية صغيرة ، قريب من ماء الميسري ، غرب بلاد الجوف ، قال ناصر الكذيبة الشّراري :

يَا عَيْن ماكنّك على جَال زَافُورْ دمْعِكْ غَرِيْـف المَيْسِرِي والنَّباج

غنَيْم : جبل أسود يطلّ على بلدة تيماء من الجنوب .

ويقع صُوَير في بطن منخفض ذي تجاويف عميقة ، يحفّ به من الشرق مرتفعات جبلية ذات اتجاه غربي قائم ، وانحرافات شرقية متدرجة ، وسطوحها مستوية قد بدت

فيها آثار التعرية المائية القديمة واضحة كما أن الرياح قد أخذت دوراً ذا أثر واضح في تجاويفها وفي ترسباتها الرملية المتقنة ، وهذا الوصف عام في بلاد الجوف الممتدة من منحدر خشم زلّوم إلى المرتفعات الواقعة غرباً من دومة الجندل .

ويبدو لي أن هذا المنخفض الممتد ذَا التجاويف الهابطة كان في فترة زمنية سحيقة بحيرة مائية طامية ، ويؤيد هذا القول ما تشاهده وأنت تسير في هذه البلاد من القور الصغيرة المخروطية الأشكال والصّخور الطبقيّة التي لا يخالجك شكّ في أنها تكونت نتيجة لترسبات بحرية قديمة ، ويمتد منخفض صوير صوب الجنوب إلى قرية هُدَيب ، حافًّا به من الغرب كثبان رملية متصلة ، ويأتي فيما بينه وبينها واد يأتي من الشمال ، وهو الوادي الكبير الذي يأتي من ناحية قرية الشُّوَيْحِطِيَّة ، وتستقر سيوله في خبة في جانب الكثبان الرملية غرب قرية صُوَيْر .

ويبلغ امتداد هذا المنخفض الذي يشمل قريتي صُوَيْر وهُدَيْب من الشمال إلى الجنوب ما يقارب عشرين كيلاً ، أما سعته من الغرب إلى الشرق فانها تتراوح بين أربعة أكيال إلى خمسة ، بين مكان وآخر .

وسكان قرية صوير رغم أنهم مستقرون ويعملون في الزراعة ، وقد مضت على استقرارهم فيه عدة سنوات فإنهم ما زالوا يسكنون في بيوت الشعر وحالتهم المادية ضعيفة ، لا يملكون شيئاً من الإبل أو الغنم وقد اتجهوا للزراعة ، وفيه (٢٦) بئراً ارتوازية مزروعة و(١٦) بئراً ارتوازية أخرى معطّلة ، لعجزهم عن زراعتها . وعامتهم يستفيدون من مخصّصات الضّمان الاجتماعي .

أمّا ماء الآبار فإنه عذب ووفير ، والتربة طينيّة خفيفة وجيدة للزراعة ، ويعتمد الزارع في الزراعة على محاصيل الخضَر الصّيفية ، كالشمام والخيار والكوسة والباذنجان وغيرها .

وطريقتهم في زراعة هذه الخضر سليمة ، أما أشجار الفاكهة فانهم يزرعونها بطريقة

غير سليمة وبعضها يجود في ثمره كالعنب والمشمش ، وينقصهم الفهم لأمور الزراعة إلى جانب ضعف قدرتهم المادية واعتمادهم في رفع الماء على مِضخَّات (موتورات) غير جيدة ثم حداثة الزراعة والخبرة الزراعية عندهم إضافة إلى قلة الأيدي العاملة وارتفاع أجورهم .

وفي قرية صُوَير مدرسة ابتدائية للبنين ومدرسة ابتدائية للبنات ، وفيها مستوصف صحّي ، فيه دكتور وممرضة وصيدلي ، وقد أُقيم للمدرستين وللمستوصف أبنية بالاسمنت والخشب ، وفيها مركز حكومي فيه موظفون ولهم رئيس مرتبط في جميع شوونه بإمارة الجوف وبهذا المركز تناط شؤون قرية صوير وقرية هديب . ورئيسه في هذا العهد يدعى : عيد بن سلطان من قبيلة الدّعاجين من عُتيبة ، وهو قديم العهد في بلاد الجوف وقد تنقّل في رئاسة عدة مراكز من المراكز التابعة لإمارة الجوف ، وقد لقي منه العاملون في مركز الحملة في هديب وفي صوير حفاوة وإكراماً برهن عن كرم عربي أصيل ، كما دل على مدى تقديره لما يقومون به من جهد في أداء واجبهم في التدريس والتوعية والإرشاد .

الرّولة في صُوَير :

سبق أن ذكرت أنني وصلت إلى مركز الحملة في صوير في الثلاثاء الموافق ١/٦/١٣٩٥ هـ ، والتقيت بأفراد أهله في فصول الدراسة وفي حلق الوعظ والذكر ، ولبثت فيه عدة أيام عملت فيها مدرساً لمواد الدين ومرشداً في كلّ جلسة وفي كلّ مناسبة وأجيب على أسئلتهم مراعياً في ذلك قدرتهم على الفهم وحاجاتهم النفسيّة وملاءمة ذلك لمداركهم وظروفهم ودوافعهم الاجتماعية ، وكانوا — رغم ضحالتهم الثقافية — يصيخون إلى الوعظ ويصغون إلى الإرشاد ويرتاحون كثيراً لقراءة الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ويستجيبون لحصص الدروس الدينية لأنها تلائم حاجتهم الروحية المقفرة ، فهم في حالة فقر روحي يعانون منها الكثير ، وليس في قريتهم مسجد مبني تقام

فيه الصّلاة — رغم أنهم يقيمون صلاة الجمعة — ويؤمهُمُ في الجمعة رجل منهم ضعيف القراءة ، وثقافته في أمور العبادات ضحلة جداً . وبيوتهم متفرقة وبعضهم يصلّون أفراداً ، أو بأعداد قليلة كل رجلين أو ثلاثة يصلون وحدهم .

أما صلاة الجمعة فانهم يجتمعون لها في بيت كبير من الشّعر ، هُيّىء لهذا الغرض يتّسع لهم ، وهذا البيت يظلّ مطروحاً على الأرض خلال أيام الأسبوع لا يصلي فيه شيء من الفرائض . فإذا كان يوم الجمعة رفع قبل وقت الصلاة وصلّوا فيه صلاة الجمعة وبعد انقضاء الصلاة يطرح على الأرض — كعادتهم — فلا يرفع إلّا في الجمعة القادمة .

ويبدو لي أن اختلافهم في موقع بناء مسجد جامع لهم هو أحد الأسباب لتأخير بنائه ، والأولى بهم أن يهتموا بشأن بناء المسجد لصلاة الفرائض وصلاة الجمعة فيه وألّا يتخذوا منه مبعثاً للاختلاف فيا بينهم ، ولا شك أن تعصّبهم وإصرارهم على الاختلاف على موقعه ناشىء عن جهلهم وعدم اهتمامهم بأمر صلاتهم والّا لما بقوا طيلة أعوام يقيمون الجمعة في بيت من الشّعر ، لا يصلى فيه إلا فريضة الجمعة وبقية الأيام يبقى مهجوراً لا يُصلى فيه ، بل ملقى على الأرض ، ومن الواجب أن ينظر في أمرهم من قبل المسئولين ويبنى لهم جامع في الموقع الوسط المناسب ليكون عوناً لهم على إقامة الصلوات فيه جماعة ، وحتى تُقام الجمعة في مسجد معمور بالعبادة في سائر الأيام . وفي زيارة تالية أخبرني أمير الجوف أن موقع المسجد قد حدّد واعتمدت الدولة تكلفة بنائه .

العادات والتقاليد لَدَى أهل صُوَير :

لا يختلفون في عاداتهم وتقاليدهم كثيراً عن غيرهم من القبائل العربية الأخرى ، في ضيافتهم ومناسباتهم في الزواج وغيره ، بيوتهم كبيرة جداً وأعمدتها مرتفعة وهي من الشعر الأسود وبعضها منسوج من القطن الأبيض ، يقسم البيت إلى قسمين أحدهما لأثاث البيت وجلوس النساء وعمل الطعام ، والقسم الثاني لجلوس الرجال ، وفيه موقد محفور في الأرض للنار وتعمل فيه القهوة والشّاي .

وفيه يستقبل الزوار والضّيوف . وتوضع الفرش فيه بشكل دائري لجلوس الرجال ، وتوضع عليها وسائد يتكيُ عليها الجالسون ، بعضها من الاسفنج وبعضها محشوّ بالقطن .

ويقوم من يصب القهوة أو الشاي ويدور على الجالسين قائماً حتى يفرغ منها .

أمّا ضيافتهم فانها تصنع من الأرز واللحم ويوضع بعضه فوق بعض في صحن كبير ، ويتقدم له الضيف والمدعوون ثم يعقبهم الشبان والصبيان كدفعة ثانية فيأكلون بعدهم .

ومن العادات المنتشرة بينهم ظاهرة التدخين ، فالأكثرون منهم يدخنون شيوخاً وشباناً ، ويتعاطونه في مجالسهم ، وفي أحوالهم العادية .

قبيلة القعاقعة :

تمثل قبيلة القعاقعة فرعاً كبيراً من الرولة من عنزة ، وتتفرع هذه القبيلة إلى فروع عدّة وهي :

١ ــ آل عطية ، وعدد بيوتهم أربعون بيتاً تقريباً ، ويرأسهم العاصي المطارح .

٢ ــ آل جرذي ، وعدد بيوتهم ستون بيتاً تقريباً ، ورئيسهم ذيبان بن محيميد .

٣ ــ المُصْطَفقة ، وعدد بيوتهم خمسة وأربعون بيتاً تقريباً ، ويرأسهم وحش بن بطحي المُصْطَفق .

٤ ــ الحمامِيد ، وعدد بيوتهم خمسون بيتاً تقريباً ، ورئيسهم مناحي بن ضاين الحمادي .

٥ ــ آل عوينان ، وعدد بيوتهم خمسة وثلاثون بيتاً تقريباً ، ورئيسهم شهاب بن قليّل .

٦ ــ آل وقيت ، وعدد بيوتهم يقرب من خمسين بيتاً ، ويرأسهم مطر بن مشنهص بن نحيت .

٧ ــ آل ربشان ، وعدد بيوتهم يقرب من ستين بيتاً ، ورئيسهم المنفي بن حنيان الراوي .

٨ ــ آل مانع ، ويقرب عدد بيوتهم من خمسة وسبعين بيتاً .

٩ ــ الغشوم ، ويقرب عدد بيوتهم من ستين بيتاً ، ورئيسهم شبيب بن دغشم .

ويبدو أن هذه الفروع التي يرأس كلاً منها رئيس منه كانت تنقاد لرئاسة بيت القعقاع . وليس كل هذه الأعداد تقيم في بلدة صوير ، بل الأكثرون منهم يعيشون بدوا رحلاً ، والبعض منهم يعيشون في بلدان وقرى غير قرية صوير تبعاً لظروفهم المعيشيّة .

هُدَيْبُ :

بهاء مضمومة ودال مُهملة مفتوحة ثم ياء مثناة ساكنة وآخره باء موحدة ، كأنه تصغير هَدَب : ماء عدّ قديم ، آباره كثيرة ، يقع في جنوبي منخفض قرية صوير ، بينه وبين صوير ما يقرب من أربعة أكيال ، يحف به من الغرب ومن الجنوب كثبان رملية ومن الشرق جبل تقدم وصفه في ذكر صوير ، وفي الشمال منه قرية صوير ، ولا يختلف في تكوين بيئته الطبيعية وظواهره الجغرافية عن صوير ، وقد تقدم الحديث عنه ، ولم أر له ذكراً بهذا الاسم فيما اطلعت عليه من المعاجم الجغرافية وهو واقع شرق مدينة سكاكة ، ويؤتى إليه منها مع نفس الطريق الذي يؤتى معه إلى صوير ، وقد وصفته في ذكر صوير .

وهذا الماء لقبيلة الْفُرجَة من الرُّوَلة من عَنَزَةَ ، وقد استقروا فيه وأقاموا فيه قرية لهم . ولا يختلف هؤلاء في أوضاعهم المعيشيّة والاجتماعية عن إخوانهم سكان صوير ، فهم معدمون من الإبل والغنم ، وقد اتّجهوا للزراعة كحال جيرانهم في صوير ، قد احتفروا آباراً ارتوازية وزرعوها ، وطبيعة المياه والتربة ، وكذلك أنواع المزروعات وأساليب الزراعة عندهم لا تختلف في شيء عما هو قائم في صوير ، غير أنهم أحدث استقراراً في قريتهم من سكان صوير ، وبداية استقرارهم كانت عام ١٣٩٢ هـ .

وهي مرتبطة إدارياً بمركز صوير التابع لإمارة الجوف .

ومازال الأكثرون من سكانهم — رغم أنهم مستقرون — يسكنون في بيوت الشعر ، وقد أخذ العمران يظهر في قريتهم على شكل مساكن صغيرة تبنى بالاسمنت والأخشاب وهي محدودة لعجزهم عن البناء ، وقد شيد في قريتهم مبنى بالاسمنت المسلح لمدرسة البنين ، ومبنى للمستوصف . وليس في قريتهم مسجد معمور تقام فيه الصلاة ، وبيوتهم متفرقة هنا وهناك ولا يجتمعون مع بعضهم لإقامة الصلاة جماعة ، بل كل اثنين أو ثلاثة يصلون معاً لوحدهم . ولم أر منهم اهتماماً كبيراً بأمر المسجد كاهتمامهم بأمر المدرسة .

ويتسم أفراد هذه القبيلة بالهدوء وطيب المعشر رغم فقرهم وخلّو أيديهم من الإبل والغنم ، وعامتهم يستفيدون من مخصّصات الضّمان الاجتماعي .

الرّولة في هُدَيب :

سبق القول أنني انتقلت من مركز صوير إلى مركز هديب في يوم الثلاثاء الموافق ٦/٨/ ١٣٩٦ هـ وقد التقيت في هذا المركز بأفراد قبيلة الفرجة من الرولة سكان هديب ، والدراسة فيه تسير على فترتين ، فترة صباحية يدرس فيها صغارهم ، وفترة مسائية يدرس فيها الكبار ، ويقوم بالتدريس في هاتين الفترتين شابّان من خيرة المدرسين هما : محمد العبلان من أهالي الخرج ، مساعد المدير في (مدرسة اليرموك) في مدينة الخرج ، وسلطان بن خضران العتيبي مدير (مدرسة عمّار بن ياسر) بالرياض اجتمعت بالدارسين في هذا المركز في فصول الدراسة وفي حلق التذكير ، وفي غيرها من المناسبات وقد لاحظت أن لهم رغبة في دراسة القرآن الكريم والثقافة الدينية ، وأنهم يقبلون على حلق الوعظ والإشارد أكثر من إقبالهم على حصص الدّروس في الفصول الدراسية ، وما ذاك إلّا لملاءمتها لحاجتهم النفسية الناشئة عن فقرهم الثقافي وجدب بيئتهم الروحية في هذه المعرفة ، كما أنهم حريصون على حضور الدروس الدينية وفيهم رقة واصغاء عند الذكر ، ولم أر بينهم من العادات والمعتقدات ما يخالف أصول العقيدة الإسلامية .

غير أن الحياة التي عاشوها رُحّلاً في بداوتهم جعلتهم في منأى عن التأثر بالنهضة التعليمية التي شملت أنحاء المملكة مدنها وقراها ، ويبدو لي أن التوعية والإشاد والأساليب التهذيبية أنجع في تثقيفهم من الدروس التي يتلقونها في فصول دراسية ، هذا

بالنسبة لكبارهم ، أما شبانهم وأطفالهم فان المدارس الحكومية الحديثة قد أصبحت موفرة لهم في قريتهم وقد انتظموا فيها ، وهم لا يختلفون عن غيرهم من أبناء القبائل الأخرى في المدن والقرى في إقبالهم على الدراسة وذكائهم الفردي ومستواهم في التّحصيل .

العادات والتقاليد :

لا يختلف سكان هديب عن جيرانهم سكان صُوَير اختلافاً ملحوظاً في عاداتهم وتقاليدهم ، في بيوتهم أو ضيافتهم أو مناسباتهم المختلفة .

عامة بيوتهم من الشعر الأسود ، وبعضها منسوج من القطن الأبيض ، واسعة الأرجاء عالية الأعمدة ، يقسم البيت إلى قسمين رئيسين ، قسم لأثاث البيت وللنساء ، وقسم لاستقبال الضيوف والزوار — وغالباً يكون هو القسم الأيمن في البيت — وفيه موقد للنار محفور في الأرض وتعمل فيه القهوة والشاي ، وتوضع فيه الفرش بشكل دائري ، وتوضع عليها وسائد (مخدّات) بعضها محشوّ بالقطن وبعضها من الاسفنج يتكيء عليها الجالسون ، ويقوم من يصبّ القهوة أو الشاي ويدور بها على الجالسين قائماً حتى ينتهوا منها .

وعامتهم يتعاطون التدخين في مجالسهم ، فالتدخين من العادات الشائعة بينهم ، شيوخاً وشبّاناً ، أما ضيافتهم — وهم بحقّ يَتَحَلَّوْنَ بالكرم ، كرم طبيعي متأصل في نفوسهم — وضيافتهم تتكوّن من الأرز واللّحم ، ويوضع اللّحم فوق الأرز في صحن كبير ويجلس الزوار والمدعوون على الطعام حول الصّحن بشكل دائري . وتتميز قبيلة الفرجة بأن يجلس الضيف والمدعوون على الطعام وحدهم لا يزاحمون عليه ثم يجلس الآخرون بعد فراغهم ، وبأن صبيانهم لا يحضرون عند طعام الوليمة أمام الضيوف والمدعوّين . وإنما يحضر من شبابهم من يخدم في الضيافة ، في حمل ماء الشرب ويناوله من يرغب في الشرب ، وفي صبّ الماء لغسل الأيدي قبل الطعام وبعده ومناولة المنشفة وغير ذلك . وقبل النهوض إلى الطعام يدار على الجالسين بابريق فيه ماء وقدح فارغ فيصب على أيديهم ويغسلونها وهم في مجالسهم ويجمع غسيل الأيدي في القدح الفارغ

ويكفأ بعيداً . أما تقاليدهم في الزواج ، فإنها لا تختلف كثيراً عما هو معتاد عند القبائل الأخرى ، في أسلوب الخطبة والزفاف وحفل الزواج .

تبدأ الخطبة باتصال تمهيدي بين أهل الخاطب وأهل المخطوبة — ونعني بالخطبة طلب التزويج — وليس عقد النكاح كما هو معروف عند أهل تلك البلاد . يتلو ذلك طلب يقوم به ذو وجاهة فيهم فإذا تمت الموافقة تلاها عقد النكاح ، وعند العقد يحدّد مقدار المهر ، وغالباً يكون متوسطاً بالنسبة للمهر عند غيرهم من القبائل التي أخذت تغالي في مهور نسائها ، وفي ذلك دليل على التسامح والتعاون فيما بينهم ، ثم يبعث الصّداق إلى بيت أهل الزوجة ، ومن ثمّ يحدّد موعد الزفاف ، ويتم الزفاف في بيت المتزوج وكذلك حفل الزفاف .

يُعدّ الزوج في بيته طعاماً للأقارب والمدعوين لحفل الزفاف في ليلة الزفاف ، وتحضر زوجته إلى بيته حيث أقيم حفل الزفاف ترافقها أمه أو أخته أو إحدى كبريات النساء من أسرته ، ويقام الاحتفال — وغالباً تقام عرضة تشبه إلى حدّ ما الرقصة البدوية النجديّة قديماً ، ويسمّونها دحّة ، وكذلك في بلاد الجوف يسمّون هذا النّوع من الرقصة أو العرضة دحّة .

وبلغني أنه يشترك فيها نساء مع الرجال غير أنني لم أرَ شيئاً من ذلك فيما أقيم من مناسبات أثناء وجودي هناك . وقد يكون ذلك في زمن غابر .

وبعد مضي ثلاثة أيام أو أربعة على الزفاف يُدعى الزّوجان إلى بيت أبي الزوجة حيث يقيم ضيافة في بيته يدعو إليها أقارب كلّ منهما ، وبنهاية هذه الضيافة يعود الزوجان إلى بيتهما وتنتهي مناسبات الزواج ، ويوجد في هذه القبيلة شعراء كغيرها من القبائل ، غير أنني لم أسمع بأخبار شعراء مشهورين منهم . وسأذكر نماذج من شعر الرّولة .

ومن شعراء قبيلة الرّولة قربان من المرعض له شعر في أخبار قبيلته ، وقصائده جيدة إلّا أنّها مقطوعات قصيرة منها قوله :

عِلْمٍ لِي منْ لَابْتي يبْري الاوْجاعْ ... بْخَشْم اللّبيّد بين خَضْرا ولْيَنَهْ
رَكَبَوْا لِهْ (الفِدْعان) للشِطّ جِذّاعْ ... وكلٌ جَوادِهْ جَاتْ تباري هَجِيْنِهْ(٢)

على فَرِيْق بالخَلَا قِطْم الأَفْزاعْ   تِسْعِيْن بَيْتٍ والصَّنمْ حَاسْبِيْنَهْ
رَكْبُوْا هَل (الهَدْلَا) عَلَى كلّ مطواعْ   مِنْ فَوق شهْب لَوْن صَافي الشّنِيْنَهْ[3]
مِركاظُهُمْ يَشْبَع بهْ الذِّيبْ لِيَاجَاعْ   والضَّبعَهْ العَرْجَا تصَبِّحْ بدِينَهْ
بشِلْف يقطَنْ الفَنَايدْ والاضْلاعْ   وكَمْ رَاس عَنْ متُوْنهُمْ قارِطِينَهْ

كان قربان ذات يوم عند اللكود كبير قرية الحارّة ، في نقرة الجولان ، وكان اللكود فلّاحاً ، وعنده أسراب من الحمام ، أخذت هذه الأسراب تطير ذاهبة وآيبة أمام الشاعر فقال :

الله على رَكْبة حَمَام اللكُودِ   يِصْبحْ عَلَيْهن ضَيِّقَ البَالْ مِنْسَاحْ
يَاشلّهنْ مِن عِنْد خَشْمِ العَمُودِ   مِنْ الحارَّة لهِنْ انْبطِ بَس مِرْوَاحْ[4]
قطْم الخشُومْ مخضِبات الزّنُودِ   شِعْو ، يْلاعَبْنَّ الهَبَايِبْ بالأَجْنَاحْ
سَلِّمْ عَلَى اللِّي سَاكِنْ بالنّفُوْدِ   يُمْضِي كَوانِينَ الشّتَابَسْ بمِرّاح[5]
هَذَا عَلَيْهُمْ منْ لَيَالي السُّعُوْدِ   يَابَا الخَلَا جَاهُمْ ، وقَالَ : المَطَرْطَاحْ
لَا سَايَلَوْا عَنِّي ، وَلَا عَنْ قُعوْدِ   ولَا هِمَّهْ اللِّي قَاعِد عِنْدَ فَلّاحْ

وتنقسم قبيلة الفرجة إلى فروع عدّة ، ولكلّ فرع منها رئيس منهم ، وليسوا مقيمين جميعهم في قرية هديب ، بل الأكثرون منهم بدو رُحّل ، ومنهم من يقيم في مدن وفي قرى متفرقة غير قرية هديب تبعاً لظروفهم المعيشيّة ، وفرعهم كما يأتي :

١ ــ الخُضْعان ، ويبلغ عدد بيوتهم (٦٠) بيتاً تقريباً ، وعامتهم مقيمون في قرية هديب ، ورئيسهم ناصر بن عويضة الخضع ، ويقيم في قرية هديب .

٢ ــ الفلتا ، ويقرب عدد بيوتهم من (١٠٠) بيت ، ورئيسهم عبيد بن مغير الفليتي ولآبائه سابق قيادة فيهم ، وهم مازالوا بدوا رحّلا .

٣ ــ المطلان ، وعدد بيوتهم يقرب من (٤٠) بيتاً ، وعامتهم بَدْو رحّل ، ورئيسهم حومان المشْوِبش ، ويقيم حالياً في قرية هديب ، ولآبائه سابق قيادة وفروسية في عشيرتهم .

٤ ــ السّمدان ، ويقرب عدد بيوتهم من (٣٥) بيتاً ، وعامتهم بدو رحّل ، ويرأسهم جابي ابن زيدان بن متعب .

٥ ــ السبّاح : ويقرب عدد بيوتهم من (١٠٠) بيت ، وعامتهم بدو رحّل ، ويرأسهم رايج بن شعيل بن وايل .

٦ ــ السّواحلة ، وعدد بيوتهم يقرب من (٧٠) بيتاً ، وعامتهم بدو رحّل ، ورئيسهم قابل بن عياط بن جزلة ، ولآبائه سابق قيادة في عشيرتهم .

٧ ــ القفيان ، ويقرب عدد بيوتهم من (٥٠) بيتاً ، وهم بدو رحّل ، يرأسهم بطّاح بن حديج البوّاش .

٨ ــ الرّماح ، بتخفيف الميم ، وعدد بيوتهم يقرب من (١٠٠) بيت ، وهم بدو رحل يرأسهم سُوْدَان ابن جضعان أبا الحشو .

٩ ــ القدران : ويقرب عدد بيوتهم من (٤٥) بيتاً ، وعامتهم بدو رحّل ، ويرأسهم ليلي بن عود بن قدران .

١٠ ــ المُدَهرشة ، ويقرب عدد بيوتهم من (٦٠) بيتاً ، وعامتهم بدو رحّل ، ويرأسهم عبد الله بن جدعان المدهرش .

١١ ــ العزول ، وعدد بيوتهم يقرب من (٤٠) بيتاً ، وعامتهم بدو رحّل ، يرأسهم خلف بن شطيط الْعَزْلي .

١٢ ــ المشيط ، وعدد بيوتهم يقرب من (٥٠) بيتاً ، وعامتهم بدو رحّل ، ويرأسهم معيوف بن فقيرة ابن مشيط .

١٣ ــ البادي ، وعدد بيوتهم يقرب من (٢٠) بيتاً ، وهم لاحقون بالخضعان في قيادتهم .

وحدثتُ أن قيادة بيت الخضع تمثل قيادة عامة لهذه الفروع ، ويترأس قيادتها في هذا العهد ناصر بن عويضة الخضع ، ويقيم في قرية هديب ، وهو شاب نشط ، تبدو ←

مقتطفات :

من كتاب "الإيناس"

[وهذه مقتطفات أخرى من كتاب «الايناس» تتعلق بأخبار العرب وأمثالهم ، استقاها الوزير ابن المغربي من مؤلفات لم تصل إلينا بعد .

وقد صدر كتاب «الإيناس» من مطبوعات (النادي الأدبي في الرياض) ومنشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

ولكن البحث قد أُعِدّ للنشر قبل صدور الكتاب] .

يَقْـنٌ :

في عَادٍ : يَقْنٌ .

وفي تَميمٍ : امْرَأَةٌ اسمُهَا : يَقْنُ بِنْتُ شَرِيْقِ بن غَنْمٍ ، من بَنِيْ جُشَم بن سَعْدِ بن

← عليه سمات الذكاء ، يتحلّى بالكرم ودماثة الأخلاق وبعد النظر ، احتفى بأعضاء الحملة الذين يزاولون التدريس في مركز هديب ، وبذل جهداً ملحوظاً في اجتذاب أفراد قبيلته إلى الانتساب إلى هذه المدرسة واقناعهم بفائدتها وجدواها ، وأشاد بما توليه الحكومة من الاهتمام في سبيل مكافحة الأمية بين أفراد المواطنين بشتى الطرق ومختلف الوسائل ، وكان يتفقد حضورهم بين حين وآخر ، ويجلس معهم في فصول الدراسة وحلق التوعية والتذكير .

الرياض : سعد بن عبد الله بن جنيدل

زَيْدِ مَنَاةَ كانتْ تَحْتَ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهَا ، وَكانَ أَخُوهَا الرَّيْبُ بنُ شَرِيْقٍ من فُرْسانِ بَنِي سَعْدٍ وأَشرافِهِم وكَانَتْ لَهَا ضَرَّةٌ ، ولِضَرَّتِهَا ابْنٌ يُقَالُ لهُ الْحَمِيْتُ ، فوقَعَ بَيْنَ تِقْنٍ وضَرَّتِها شَرٌّ فاستَبَّتَا فَغَلَبتْهَا تِقْنٌ ، فلما سَمِعَ ذَلِكَ الْحَمِيْتُ ، أَخَذَ الرُّمْحَ فَطَعنَ بِهِ في فَخِذِ تِقْنٍ فأَنْفَذ فَخِذَها ، فلمَّا رآى ذلكَ أَبُوه كَرِهَ أن يَبْلُغَ أَخاهَا ذَلكَ ، فاستَكْتَمها إيَّاه عَنْهُ ، على أَن يُعْطِيهَا ثلاثينَ من الإبلِ ، فَرَضِيَتْ ، وأَخَذَتْ الإبلَ فوسَمَتها بِمِيْسَمِ أخيهَا الرَّيْبِ ، وأَلْحقَتْهَا بإبلِهِ فكَانَتْ فِي إبلِهِ ما شَاءَ اللهُ ، ثم إنَّ سُفْيانَ بْنَ شَرِيقٍ ، أَخَا الرَّيْبِ ، وردَ المَآءَ بإبِلِهِ وَكَانَ بينَهُ وبيْنَ الحَمِيْتِ كَلاَمٌ ، فَضَرَبَهُ الْحَمِيْتُ فأَدْمَاهُ : فأَتَى سُفْيانُ أَخَاهُ الرَّيب فأَعْلَمَهُ ، فَرَكِبَ فرساً لهُ يُقَال لهُ : هَدَّاجٌ ، ثم لَحِقَ الْحَيَّ وهُم سائِرُونَ ، فقَالَ : مَنْ أَحَسَّ لي من بَكْرٍ أَوْرَقَ ضَلَّ من إبلي ؟ فيقُولُونَ : مَا رَأَيْنَاهُ ، فمَضَى حتَى لَحِقَ الحَمِيْتَ وَهُوَ يَسِيرُ في سَلَفِ الحيِّ ، فقَالَ : هَلْ أَحْسَسْتَ من بَكْرٍ أورقَ ضَلَّ من إبلي ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتُه ، ثُمَّ إنَّ الرَّيْبَ أَلْقَى سَوْطَهُ كَأَنَّهُ وَقَعَ منه ، وَقَالَ لِلْحَمِيْتِ : نَاوِلْنِي سَوْطِي ، فأَكَبَّ لِيُنَاوِلَهُ السَّوْطَ ، فقالَ الرَّيْبُ : أَعَكْرَتَيْنِ بِالضَّفِيْرِ ؟! ثم ضربَهُ بالسَّيْفِ عَلَى مَجَامِعِ كَتِفَيْهِ ضَرْبَةً كَادَتْ تقعُ في جَوْفِهِ ، ثُمَّ مَضَى عَلَى فرَسِهِ ، وَذَهَبَ قَوْلُهُ «أَعَكْرَتَيْن بِالضَّفِيْرِ» مَثَلاً .

والضَّفيرُ : حَبلٌ مَضْفُورٌ ، يَقُولُ أَتعكرُ عليَّ عَكْرَتَيْنِ ، أَيْ تَعْطِفُ عليَّ مرَّتَيْنِ تَضْرِبُنِي بِالْحَبْلِ ، والعَكْرُ . الرُّجُوعُ .

وقَالَ الرَّيْبُ في هذه القِصَّة :

بَكَتْ تِقْنٌ فأَوْجَعَنِي بُكَاهَا ... وعَزَّ عليَّ أَنْ وَجِعَتْ نَسَاهَا
دَلَفْتُ لهُ بأَبْيَضَ مَشْرَفِيٍّ ... أَلَمَّ عَلَى الْجَوانِح فأخْتَلاَهَا
وَكَانَ مُجَرَّباً سَيْفِي صَنِيعاً ... فَيَالَكَ نَبْوَةً سَيْفِي نَبَاهَا

في أَبياتٍ :

حَبْشِيَّةُ :

في خُزَاعَةَ : حَبْشِيَّةُ ــ مَفْتُوحُ الحَآءِ مُسَكَّنُ البَآءِ مَكسُورِ الشين ، مُخَفَّفُ اليَاءِ .

وقد قَالَ قَوْمٌ : إنه حَبَشِيَّةُ ، مُشَدَّداً ، والأَوَّلُ هُوَ الصَّحِيحُ والحَبْشِيَّةَ عندَ أبي بكْرِ بن دُرَيد : النَّمْلَةُ الكَبِيرَةُ . وهُوَ حَبْشِيَّةُ بن سَلُول ابن كَعْبِ بن عَمْرِو بن لُحَيٍّ ، واسمُ لحَيّ : رَبِيْعَةُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ عَمْرِو مُزَيْقِيَاء بنِ عَامِرٍ مآءِ السَّمَاءِ بن حَارِثة الغِطْرِيف بن امرىء القيس بْنِ ثَعلبة بن مازن بن الأَزْدِ .

وقد قيل الغطريف بن ثعلبة بن امرىء القيس بن مازن .

فَمنْ بُطون حَبْشِيَةَ : بَنُو قُمَيْرِ بنِ حَبْشِيَّةَ ، مِنْهُمْ قَبِيْصَةُ بنُ ذُوَيبِ بْنِ حَلْحَلَةَ بْنِ عَمْرِو بن كُلَيْبِ بْنِ أَصْرَم بن عَبْدِالله بن قُمَيْرٍ ، كانَ على خَاتَمِ عَبْدِ المَلكِ بن مَرْوَان ، وَكانَ كالْوَزِيْر لهُ ، وشَدِيْدَ الخُصُوصِ بِهِ ، وَكانَ يُكنَى أبَا اسْحاقَ . ومَاتَ في أيَّامِ عَبْد المَلكِ .

وقَد أَنْكرَ بَعْضُ أهْلِ السِّيَر ، ذَلِكَ وقَالُوا : إنَّهُ خَدَمَ الْوَلِيْدَ أيضاً وخُصَّ به .

وقبيصةُ كانَ قَدْ بَلَغَ من لَطَافَةِ مَحَلِّهِ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ أنَّهُ كَانَ يَفُضُّ الكُتُبَ وَيقْرؤُهَـا قَبْلَ وُقُوفِ عَبْدِ الملكِ عَلَيْها .

وَكَانَ مَرْوَانُ قَد عَهِدَ إِلَى ابنِهِ عَبْدِ العزيز بَعْدَ عَبْدِ المِلك ، فَلَمَّا تَمكَّنَ عَبْدُ الملكِ هَمَّ بِخَلْعِهِ والعَقْد لابْنَيْهِ الوَلِيدِ وسُلَيْـمَانَ ، فنَهاهُ عَنْ ذَلِكَ قَبِيصَةُ وقَالَ : لَعلَّ المَوْتَ يَأْتِي عَلَيْهِ فَتَسْتَرِيحَ منه .

فَورَدَ الكِتَاب في جمادى الأولى من سنة خمسٍ وثمانين بمَوْتِهِ فَفَضَّهُ قَبِيصَةُ وَقَرَأَهُ ودَخَلَ إلى عَبْدِ المِلكِ فَعَزَّاهُ بأخِيهِ عبدِ العَزيزِ فوَلَّى عبدُ الملك ابنَهُ عَبْدالله بنَ عَبْد المِلكِ مِصْرَ ، وَعَقَدَ لابْنَيْهِ الوَلِيدِ وَسُلَيْمانَ الْعَهْدَ .

ومن بُطُونِ حَبْشِيَةَ ضاطِرُ بْنُ حَبْشِيَةَ ، مِنْهم قَيْسُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مُنْقِذِ بن عُبَيْدِ بن ضَاطِرٍ الشَّاعِرُ المعْرُوفُ بِقَيْس بْنِ الحُدَادِيَّةِ الخُزَاعِيُّ . وَيُنْسَبُ إلى أُمِّهِ . وهيَ الحُدَادِيَّةُ ، من حُدَادَ واسمُ حُدَادَ : رَبيعَةُ بنُ مُعاوية بن بَدَاوَةَ بن ذُهْلِ بن طَرِيْفِ بن خَلَفِ بْنِ مُحَارِب بنِ خَصَفَةَ ابن قَيْس بْن عَيْلاَنَ .

وَقَد قِيْل : إنَّ أُمَّهُ مِن حُدَادِ بْنِ مَالِكِ بْن كِنَانةَ . وَالأَوَّلُ أَثْبَتُ عِندَ أبن حَبِيب ، ومَن قَوْلِ قَيْسٍ هَذَا :

وَمَا زِلْتُ تَحْتَ السِّتْرِ حَتَّى كَأَنَّني ... مِنَ الظَّلِّ ذُوْ طِمْرَيْنِ فِي الْبَحْرِ شَارِعُ
وإنِّي لَأُغْضِي الطَّرْفَ عَنْهَا تَحَمُّلاً ... وقَلْبِي إلى أَسْمَاءِ عَطْشَانُ جَائِعُ
تَقُولُ وَعَيْنَاهَا تَفِيْضَانِ عَبْرَةً :

ـــ الأبيات المعروفة

ومن قوله :

فَأَطْيِبْ بِهَا لِمَنْ تَكُونُ ضَجِيْعَهُ ... إذَا مَا الثُّرَيَّا ذَبْذَبَتْ كُلَّ كَوْكَبِ
مُبَتَّلَةٌ هَيْفَاءُ تُؤْتِيْكَ شِيْمَةً ... عَلَى حَصَرٍ فِي صَدْرِهَا وتَهَيُّبِ

ومن قَوْلِهِ :

وإنَّ ضَعِيفَ الرأْيِ مِنْ هَاجَ شَوْقَهُ ... خِيَامٌ عَلَى قُرَّان بَادٍ ثُمَامُها
مَرَرْتُ بِفَلْتٍ والبُحُورَ كأنَّها ... قِلادَةُ جَزْعٍ سُلَّ مِنْهَا نِظامُها
إذَا سُمْتُها التقبِيْلَ صَدَّتْ وأَعرضَتْ ... صُدُوْدَ شَمُوْسِ الْخَيْلِ ضَلَّ لِجَامُها
وَعَضَّتْ على إبْهَامِها ثُمَّ وَاءَلَتْ ... حِذَارَ الْبُيُوْتِ أَنْ يَهُبَّ نِيَامُها

ومن قَوله :

فَيَوْمَانِ يَوْمٌ في الْحَدِيْدِ مُسَرْبَلاً ... ويَوْمٌ مع البِيْضِ الكَواعِبِ لاهِياً

إِذَا ما طَوَاكِ الْبُعْدُ يَا بِنْتَ مالِكٍ   فشأنُ المَنَايَا الْقَاضِيَاتِ وَشانِيا

وابنُ أخي قَيْسٍ هُوَ : الجَوْنُ بنُ عَبْد العُزّى بْنِ مُنْقِذٍ الشَّاعِرُ القَائِلُ :

فَنَحْنُ خَلَطْنَا الْحَرْبَ بِالسِّلْم فَاسْتَوَتْ   وَأَمَّ هَواهُ كُـلُّ حَافٍ ونَاعِلِ

ومن بُطُونِ حَبْشِيَةَ حُلَيْلُ بْنُ حَبْشِيَةَ ، مِنْهُم أبو غُبْشَانَ ، وهُوَ المُحْتَرِشُ بن حُلَيْل ، وأُختُه : حُبّى بِنْتُ حُلَيلٍ ، أُمُّ عَبْدِ منافِ بْنِ قُصَيٍّ .

حدثني عليُّ بن إبراهيم الدَّهكي ، عن ابن أبي شَيْخٍ القَنويِّ ، عن عَبْدِاللهِ ابن الْمُعتَزّ ، عن أحمد بنْ يَحْيى بن جابرٍ البَلاذُرِيِّ ، عن عبَّاس ابْنِ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ الكَلبيِّ ، وغَيْرَه من أشياخه .

وحدثني الحسن بن عبد الصمد بن الحسين ، عن أبيه ، عن أحمد بْنِ ابراهيم الإِشنانِيِّ عن أحمد بن عُبَيْدٍ النحويِّ ، عن الوَاقديِّ ، عن رِجاله .

وأُخبِرْتُ أيضاً عن محمد بْنِ إسْحاقَ بْنِ يَسَارٍ صاحب «السيرة» ، ومعنى الحديث كله متفق إلا أنَّ ألفاظه والزيادات في شروحه تَخْتَلِفُ ، فَقَصَدْتُ عمودَ [الْمَعْنَى] وزدتُ فنقصت لِيَطَّرِدَ نَسَقُ الْحَدِيْثِ على غَايَةِ الاخْتِصَارِ .

قالُوا : كانَ قَدْ تَزَوَّجَ كِلاَبُ بن مُرَّة فَاطِمَةَ بِنْت سَعْدِ بن سَيَلٍ الأَزْدِيِّ ــ كما قَدْ شَرَحْنَاهُ في غَيْرِ هَذا الموضع ــ فَوَلَدَتْ لَهُ زُهْرَة وزَيْداً ، ومَاتَ عَنْهَا فَقَدِمَ حَاجٌّ مِنْ قُضَاعَةَ . فَتَزَوَّجَ رَبِيْعَةُ بْنُ حَرامِ بْنِ ضِنَّةَ الْعُذْرِيُّ فَاطِمَةَ وأرَاد إخْراجَهَا ، فَرَامَتْ أَخْذَ وَلَدَيْهَا ، فَمَنَعَتْهَا قُرَيْشٌ ، فَتَرَكَتْ زُهْرَةَ وأَخَذَتْ زَيداً لِأَنَّهُ كان صَغِيْراً ، فَسُمِّيَ زَيْدٌ قُصَيّاً لِذَلِكَ ، وقد ذُكِرَ لَهَا شعرٌ قالته كَتَبْنَاهُ في موضعه ، من كتاب «أشْعَارِ النِّسَاءِ» . ثم إنَّ لِحَاءً جرَى بَيْنَ زَيْدٍ وبين رَجُلٍ من بَنِي عُذْرَةَ ، يُقال له رُفَيْع ، فقال له رُفَيْعٌ : إِلْحَقْ بقومِكَ فَلَسْتَ مِنَّا . فرجع إلى أُمِّهِ فأخبرْها وسَأَلَهَا ، فقالت : إِنَّكَ من قوم أَشْرَفُ حَسَباً ، وأعزُّ مَنْزِلا ، وأَظْهَرُ فَضْلاً ، وقدْ قالَتْ لي كاهِنَةٌ رأتْكَ : إِنَّكَ تَلِي أَمْراً

جَلِيلاً ، فَطِبْ نَفْساً ، وارْتَحِلْ إلى أرْضِ قَوْمِكَ حَوْلَ الْحَرَمِ ثُمَّ جَهَّزْتُهُ فأَحسَنَتْ جَهَازَهُ وأخرجتْهُ في الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، فلما وَصَلَ عَرَفُوهُ وأكرمُوهُ وأعظَمُوه وَغلبَ على رياستِهم ، وتَزَوَّجَ حُبَّى بِنْتَ حُلَيْلِ بْنِ حَبْشِيَة ، وكانت خُزاعةُ إذْ ذاك غالِبَةً على ولاَيَةِ الْبَيْتِ بَعْدَ جُرْهُمَ ، ومَاتَ حُلَيْلٌ وجعَل المِفتَاحَ في يَدِ ابْنِهِ المُحْتَرِشِ أبي غُبْشَانَ فيقُولُ المتعصِّبُونَ على اليَمَانِيَة : إنَّ قُصيّاً اِشْتَرى الْمِفْتَاحَ وَوِلاَيَةَ البَيْتِ بِنَاقَةٍ كَانَتْ له ناجِيَةٍ وَزادَهُ زِقَّ خَمْرٍ فصَيَّرَها إليه ، وكان المُحْتَرِشُ مَضعُوفاً .

وقال آخرون . بَلْ أوْصَى حُلَيْلُ بِذَلِكَ لِقُصى إكراماً لِبِنْتِهِ .

فَأَمَّا رِوَايَتُنا عن الواقديّ وابْنِ إسْحَاقَ جميعاً : فهو أنَّ قُصَياً رآى بَعْدَ حُلَيْلٍ أنّهُ أحَقُّ بِالْبَيْتِ ووَلاَيَتِهِ لِشَرَفِ نَسَبِه ، فجمع لِذَلِكَ رِجالاً من قُرَيْشٍ وكنانَةَ ، وكاتَبَ أخاهُ من أمِهِ رِزاحَ بْنَ رَبِيْعَةَ ، فأنجدَهُ رِزَاحٌ ، واقْتَتَلُوا ، فَغَلَبَ قُصيٌّ على الأَمْرِ غَلَبَةً ، وقال فِي ذَلِكَ قُصَيٌّ :

نَحْنُ الْعَاصِمُونَ بنُو لُؤَيٍّ ... بِمَكَّةَ مَنصِبِي وبِهَا رَبَيْتُ
لنا الْبطحَاءُ قد عَلِمَتْ مَعَدٌّ ... ومَرْوتُهَا ، رَضِيتُ بِهَا رَضِيتُ
فَلَسْتُ لِغَالِبٍ إنْ لَم تَأَثَّلْ ... بِهَا أَوْلاَدُ قَيْذر والنَّبيتُ
قُضَاعَةُ نَاصِرَيْ وبِهِمْ أسَامِيْ ... فَلَسْتُ أخَافُ ضَيْماً مَا حَيِيْتُ

فأجابه رِزَاحٌ ، أو قال عَلَى وَزْنِ شِعْرِهِ :

إنِّي فِي الحَيَاةِ أَخُوْ قُصَيٌّ ... إذَا مـا مَسَّهُ ضَيْمٌ أَبَيْتُ
إذَا يَجْنِيْ عَلَيَّ بَذَلْتُ نَصْري ... ويَبْذُل مِثْلَ ذَلِكَ إنْ جَنَيْتُ
نَفَيْنَا عَنْ مَنَازِلِها عَلِيَّاً ... فَمَا مِنْهَا بِذِي الأَطْواءِ بَيْتُ

يُرِيْدُ : عَلِيَّ بْنَ مَسعُودِ بْن مازن الغسَّانِيِّ ، لأنَّهُ كان أخا كِنانَة لأُمِّهِ ، وكَفَلَ ولَدَه من بَعْدِهِ ، فَنُسِبُوا إليه .

وكانَ قال رِزاحٌ في ذَلِكَ أيضاً :

أَجَبْنَا قُصَيًّا على نَأْيِهِ عَلَى الْجُرْدِ تَرْدِي رَعِيْلاً رَعِيْلا
نَهَضْنَا إلَيْهِ نَقُودُ الْجِيَا دَ، ونَطْرَح عنَّا الْمَلُوْلَ الثَّقِيلا
ونُدْمِي مِنَ الخَيْلِ أَقْلاَءهَا مخَافَةَ أنْ يَسْتَرِقْنَ الصَهِيْلا

والشّعر طويْلٌ ، وَإنَّما نكْتُبُ مَا لَعَلَّهُ أنْ يُحْفَظَ مِنْهُ .

وحَبَشِيَّةُ نَفْسُهُ ، الذي سُقْنَا هذا القول كُلَّهُ مِنْ أَجْلِهِ ، كان شاعراً .

وقَالَ بَكْرُ بْنُ غالِبِ بْنِ عامِرِ بْنِ الحارِث بنِ مِضاضِ الجُرْهُمِيُّ ، بَعْدَ أنْ نَفَتْهُمْ خُزَاعَةُ عنْ مَكَّةَ :

ألاَ لَيْتَ شِعْرِيْ هَلْ أبيتنَّ لَيْلَةً وأَهْلِي مَعاً بِالْمَأْزِمَيْنِ حُلُوْلُ
وهَلْ أُبْصِرنّ الْعِيْسَ تنفخُ في البُرَى لَهَا في مِنىً بِالْمُحْرِمِينَ ذَمِيْلُ

فأجابَهُ حَبَشِيَّةُ :

تَمَنَّى أَمانِيَّ الضَّلاَلِ وإنَّما نَفَتْكَ رِجَالٌ ذَادَةٌ وَخُيُوْلُ
تَمَنَّيْتَ أنْ تَلْقَى خُزَاعَةَ بَرْحَةً فَقَدْ مَعَجتْ مِنْهَا عَلَيْكَ سُيُولُ

وبَكْرٌ هُوَ الْقَائِلُ يُخَاطِبُ شَاعِراً من خُزَاعَةَ ، يقال له : عَمْرُو بْنُ الحارث بْنِ عَمْرٍو :

يَا عَمْرُو لاَ تَفْجُرْ بِمَكَّةَ إِنَّهَا بَلَدٌ حَرَامُ
واسأَلْ بِعَادٍ أَيْنَ هُمْ أَمْ كَيْفَ تَخْتَرِمُ الأَنَامُ
أَوْ بِالْعِمَالِيْقِ الَّذِينَ لَهُم بِهَا كَانَ السوَامُ

وَحُلَيْلُ بن حَبَشِيَّةَ حَمْوُ قُصَيٍّ يقولُ الشِّعْرَ أَيْضاً ، وأَنْشَدُونَا له :

نَحْنُ بنُو عَمْرٍو وُلاَةُ المَشْعَرِ نَدُقُّ بالمَعْرُوفِ أَهْلَ المُنْكَرِ
حُمْساً وَلَسْنَا نُهزةً لِلْمُحضرِ

الحُمْسُ ، من قُرَيْش وخُزاعَةُ وكنانَةُ ، سُمُّوْا بِذَلِكَ لِتَنْزِيهِم أَنْفُسَهُم عَنْ مِهْنَةِ الأَغْمَارِ ، وشَرْحُ خَبرِهِم طَوِيلٌ .

حُبَيِّبٌ :

(وفي يَشْكُرَ: حُبَيِّبٌ) بن كَعْبِ بن يَشْكُرَ بْنِ بَكْرِ بنُ وَائِلٍ .

منهُم : بَاعِثُ بنُ صُرَيْمِ بْنِ أَسَدِ بن تَيْم بن ثَعْلَبَةَ بن غُبَرَ بْنِ غَنْمِ بْنِ حُبَيِّبٍ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ غُبَرُ غُبَرَ لِأَنَّ غَنْماً تَزَوَّجَ أَمَّهُ وهي عَجُوزٌ ، فَقِيلَ : ما أَرَدْتَ إِلَيْها ؟ فقَالَ : لَعَلِّيْ أَتَغَبَّرُها غلاماً ، فوَلَدَتْ غُلاَمَاً فسَمَّاهُ غُبَرَ ، وأَصْلُ ذَلِكَ مِن تَغَبَّرَ الحَالِبُ الضَّرْعَ إِذَا طَلَبَ غُبَّرَ اللَّبَنِ ، أيْ بَقَايَاهُ ، وَكانَ وَائِلُ بنُ صُرَيْمٍ ذَا مَنْزِلَةٍ عِنْدَ المُلُوْكِ ، وَكَانَ مَفْتُوقَ اللِّسَانِ حُلْوَهُ جَمِيْلاً ، فبعَثَهُ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ سَاعِياً عَلَى تَمِيمٍ ، فَأَخَذَ الإِتَاوَةَ مِنْهُم جَمِيْعاً ، فَلَم يَبْقَ غَيْرُ بَنِي أُسَيِّدِ بْنِ عَمْرِو بنِ تَمِيْمٍ ، فأَتَاهُم فجَمَعَ النَّعَمَ والشَّاء ، وَأَمَر بإِحْصَائِهِ ، فَبَيْنَا هُوَ قَاعِدٌ عَلَى بِئْرٍ إِذْ أَتَاهُ شَيْخٌ مِنْهُمْ واغْتَفَلَهُ فدَفَعَهُ في الْبِئْرِ ، واجْتَمَعُوا فرَمَوهُ بالْحِجَارَةِ حَتَّى قَتَلُوهُ ، وتَزْعمُ بنُو أُسَيِّدٍ أَنَّهُمْ رَمَوْا مَعَهُ كَلْباً ورَجَمُوهُما حتّى هَلَكَا وَهُم يَرْتَجِزُونَ :

يـأَيُّـهَا الْـمَـائِـحُ دَلـوِي دُوْنَـكَـا ... إِنِّي رَأَيْتُ النَّـاسَ يَـحْـمَـدُونَكَا

وَبَلَغَ الخَبَرُ أَخَاهُ بَاعِثاً ، فَعَقَدَ لِوَآءاً ونَادَى في بَنِي غُبَرَ وسارَ ، وآلَى أَنْ يَقْتُلَهُمْ حَتَّى تَمْتَلِيءَ الدَّلْوُ عِنْدَ إِدْلاَئِهَا في تِلْكَ البِئْرِ دَماً فَوَقَعَ بِهِمْ ، فَلَمْ يَزَلْ يَقْتُلُ حَتَّى أَدْلَى أَحَدُهُمْ دَلْواً فرَفَعهَا مَلْأَى دَماً ، وقال بَاعِثٌ في ذَلِكَ :

سَائِلْ أُسَيِّدَ هَلْ ثَأَرْتُ بِوَائِلٍ ... أَمْ هَلْ شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ بَلْبَالِها؟
إِذْ أَرْسَلُونِي مَائِحاً بِدِمَائِهِمْ ... فَـمَلأْتُـهـا عَـلَـقاً إِلى أَسْبَالِـهـا
وَخِـمَارِ غَانِيَـةٍ عَـقَـدْتُ بِرأْسِها ... أُصُلاً وكَـانَ مُـيَسَّـراً بِشِمَالِـهَـا
وَعـقِـيْـلَـةٍ يَسْعَى عـلَـيْـهَـا قَـائِمٌ ... مُـتَـغَـطِرِسٌ أَبـدَيْـتُ عَـنْ خَلْخَالِهَا

وفَوَارِسٍ سُفْعِ الوُجُوهِ بَواسِرٍ كَالأُسْدِ حِيْنَ تَذُبُّ عَنْ أَشْبَالِها
قَدْ قُدْتُ أَوَّلَ عُنْفُوَانِ رَعِيْلِهَا فَلَفَفْتُها بِكَتِيْبَةٍ أَمْثَالِها

وقَالَ في ذلك أُبيُّ بنُ مَسْعُودٍ اليَشْكُرِيُّ ، الْمَعْرُوفُ بالمُنَخَّلِ :

قَدْ قَرَى بَاعِثٌ أَسَيِّدَ حَرْبا في النَّواحيْ يَشُبُّ فِيهَا الضِّرَامَا
جَرَّدَ السَّيْفَ ثَائِرا بِأَخِيْهِ يَقْتُلُ الكَهْلَ مِنْهُمُ وَالْغُلاَمَا
وَمَلأْنَا الرَّكِيَّ حَتَّى عَرَاهَا عَلَقاً يَبْرُدُ القُلُوبَ السِّقَاماْ

زِبَانُ :

في غَنِيّ : زِبَانُ بْنُ كَعْبِ بْنِ جِلاَّن بْنِ غَنْمِ بْن غنِيِّ بْن أَعْصُرَ وهو مُنَبِّهُ بْنُ سَعْدِ بْنِ قَيْس بن عيلان .

منهم : عُصَيْمَةُ بْنُ وَهْبٍ الزِّبَانِيُّ ، الَّذِي أَسَرَ مَعْبَدَ بْنَ زُرَارَة يَوْمَ رحْرَحَانَ . وكانَ سَبَب هذا اليوم : أنَّ الحارِثَ بْنَ ظالِمٍ المُرِيَّ لما قَتَل خالدَ ابنَ جَعْفرِ بْن كِلاَبٍ ، جاءَ فلجأَ إلى بني زُرارةَ فكان الْمُتَوَلِّي لإيوائِه مِنْهُمْ مَعْبَدُ بْنُ زُرارة ، فلما علم الأَحْوَصُ بْنُ جَعْفَر بِذَلِكَ ثارَ لِلطَّلَبِ بِدَمِّ أخيْهِ والْتَقُوا بِرَحْرَحَانَ ، وطُعِنَ مَعْبَدُ بْنُ زُرارَة طَعْنَةً أَثْخَنَتْهُ فَسَنَدَ في هَضْبَةٍ فَأَبْصَرَهُ عُصَيْمَةُ بْنُ وَهْب فأَخَذَهُ وحَدَرَهُ ، فَأَخَذَهُ مِنهُ عَامِرٌ والطُّفَيْلُ ابْنَا مالك بن جعفر بن كلاب ، وأَثَابا الْغَنَوِيَّ عِشْرِينَ بَعِيْراً .

وأَتَتْ بَنو عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ بِمَعْبَدٍ فَوَضَعَتْهُ بالطَّائِفِ عِنْدَ أَبِيْ عَقِيْلٍ جَدِّ الْحَجَّاج ، فَكَانَ يُوافي بِهِ الْمَوْسِمَ في كُلِّ سَنَةٍ ، لِيُفْدَى ، وطَلَبُوا فِداءهُ أَلْفَ بَعِيْرٍ ، فقال لَقِيْطٌ : صَبْراً أبا القَعْقاعِ ، فإِنَّا لاَ نَقْدِرُ على هَذَا : فَقَالَ مَعْبَدُ : مَا كَانَ لِيَلْقَانِي أَحَدٌ مِنْ إِخْوَتِي أَشدَّ بُغْضاً لِيْ مِنْكَ ، فَمَاتَ هَزْلاً وضَعْفاً ، وكَانُوا يَأْتُونَهُ باللَّبَن فَيَقُولُ : كيف أَقبَلُ قِرَاكُمْ وأنا في الْقِدِّ؟! إِنّيْ إِذَنْ لَمِهْيَافٌ ، أَيْ عَطْشَان ، وكَانُوا يَعْمَدُونَ إِلَى شِظَاظٍ فَيَجْعَلُونَهُ بَيْنَ أَسْنَانِهِ ويُوجِرُونَـهُ لِئَلاَّ يَمُوت . ثم إِنَّهُ هَلَكَ عِنْدَهُم ، وَقَال عَوْفُ

بْنُ الْخَرِعِ التَّيْمِيُّ يُعَيِّرُ لَقِيْطاً بِذَلِكَ :

هَلاَّ كَرَرْتَ عَلَى أُخَيِّكَ مَعْبَدٍ ... والْعَامِرِيُّ يَقُودُهُ بِصَفَادِ
وَذَكَرْتَ مِنْ لَبَنِ الْمُحَلَّقِ شَرْبَةً ... والخَيْلُ تَعْدو بالكُمَاة بَدَادِ
هَلاَّ فَوارِسَ رَحْرَحَانَ هجوْتَهُمْ ... عُشَراً تَنَاوحُ في سَرَارَةِ وَادِ
لاَ تأكُلُ الإبْلُ الْغِرَاثُ نَبَاتَهُ ... ولا تَقُومُ غُصُونُهُ بِعِمَادِ

وكان عُصَيْمَةُ هَذَا شاعراً ، ومن قَوْلِهِ :

سَأُثْنِي عَلَيْكُمْ صَادِقاً آل حَابِسٍ ... ثَناءاً كَرِيحِ الجَوْرب المُتخرِّقِ
فَلَوْ شِئْتُم آذنْتُموني وصَاحِبِي ... جَمِيعَيْنِ لم نَعْطَب وَلَمْ نَتَفَرَّقِ

بنُو حَابِسٍ من غَنِيٍّ ، ثم مِنْ عَبِيْدٍ ، وقد أدرك الاسلامَ وهَاجَرَ ، واستشهد له أولاَدٌ .

سَدُوْسُ :

في مُضَرَ : **سَدُوْسُ** بن دَارِمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَة [بن زيد مناة بن تميم] وَوَلَدَ سَدُوْسِ بْن دارِمِ الْحَارِثَ بْنَ سدوس وَوَلَدَ الْحَارِثُ نَفَراً ، وَأُمُّهُمْ بَسَّةُ بِنْتُ سُفْيَانَ بْنِ مُجَاشِعِ بْنِ دَارِمٍ بهَا يَعْرِفُونَ يُقَالُ لهُم : بنُو بَسَّة .

ويُقَالُ أيضاً لِبَنِي مُعْرِض بْنِ خَيْبَرِيّ بْنِ دَارِمٍ : بنُو بَسَّة لِأَنَّهُ خَلَفَ عَلَى بَسَّة هَذِهِ بَعْدَ عَمِّه .

وفي رَبِيْعَةَ : سَدُوْسُ بْنُ شَيْبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ ذُهْل بن عُكَابَة بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَائِل .

وفي سَدُوْس ، يقول عُبَيْد بن قُراد الْبَهْرائيُّ :

وَلَوْلاَ سَدُوْسٌ وقد شَمَّرَتْ ... بِيَ الْحربُ زَلَّتْ بِنَعْلِي الْقَدَمْ

وكَانَ أَصْلُ ذَلِكَ — فِيْمَا قَالَهُ أَبُو الْمُنْذِر أَنَّ مَلِكاً مِنْ ملوكِ الْيَمَنِ كَانَ فِي يَدَيْهِ أَسْرَى مِنْ رَبِيْعَة وقُضَاعَةَ وغَيْرِهِمْ ، فَوَفَدَ عليهِ وَفْدٌ من وجوهِ مَعَدٍّ وغَيْرِهِمْ فيهم سَدُوْسُ بْنُ شَيْبَانَ ، وعَوْفُ بْنُ مُحَلِمِ بْنِ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَعَوْفُ بْنُ عَمْرِو بْنِ جُشَمِ بْنِ رَبِيْعَةَ بْنِ زَيْدِ مَنَاة بْنِ عَامِرِ الضَّحْيَانِ النَّمرِيُّ ، وجُشَمُ بْنُ هِلاَلِ بْنِ رَبِيْعَةَ ابْنِ زَيْدِ مَنَاةَ الضَّحْيَانِ ، فَلَقِيَهُمْ هَذَا الْبَهْرَانِيُّ ، فَسَأَلَهُمْ أَنْ يُدْخِلُوهُ عِدَّةَ مَنْ يَسْأَلُونَ فِيْهِ . فَكَلَّمُوهُ فِي الْأَسَارَى وفِي جُمْلَتِهِم البهرانيُّ فَأَطْلَقَ لَهُمْ جَمِيْعَهُمْ . فقالَ عُبَيْدُ بْنُ قَرَادٍ فِي ذَلِكَ :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِعَوْفِ الْفَعَالْ ... وَعَوْفٍ وَلاِبْنِ هِلاَلٍ جُشَمْ
تَدَارَكَنِي بَعْدَمَا قَدْ هَوَيْتْ ... مُسْتَمسكاً بِعَرَاقِي الْوَذَمْ
وَلَوْلاَ سَدُوْسُ وَقَدْ شَمَّرَتْ ... بِيَ الْحَرْبُ زَلَّتْ بِنَعْلِي الْقَدَمْ
وَنَادَيْتُ بَهْرَاءَ كَيْ يَسْمَعُوا ... وَلَيْسَ بِآذَانِهِمْ مِنْ صَمَمْ

فَاحْتَبَسَ عِنْدَهُ بَعْضَ الْوَفْدِ رَهِيْنَةً ، وَقَالَ لِلْبَقِيَّةِ : ائْتُوْنِي بِرُؤَسَاءِ قَوْمِكُم لِآخُذَ عَلَيْهِمْ مَوَاثِيْقَهُمْ بِالطَّاعَةِ لِيْ ، وَإِلاَّ فاعْلَمُوا أَنِّيْ قَاتِلٌ أَصْحَابَكُمْ . فَرَجَعُوا إِلى قَوْمِهِم بِذَلِكَ ، فَبَعَثَ كُلَيْبٌ فِي رَبِيْعَةَ فَجَمعهُمْ . وبَعَثَ عَلَى مُقَدَّمَتِهِ السَّفَّاحَ ، وهو سَلَمَةُ بْنُ خَالِدِ بْنِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ تَيْم بْنِ أُسَامَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ بَكْرِ بْنِ حُبَيِّبْ بْنِ عَمْرو بْنِ غَنْم بْنِ تَغْلِبَ . وَأَمَرَهُ أَنْ يُوقِدَ لَهُمْ عَلَى خَزَازٍ لِيَهْتَدُوا بِنَارِهِ فَإِن غَشِيَهُمْ الْعَدُوُّ أَنْ يَرْفَعَ نَارَيْنِ . وبَلَغَ أَهْلَ الْيَمَنِ اجْتِمَاعُ رَبِيْعَةَ فَأَقْبَلُوا بِجُموعِهِمْ ، فَلَمَّا سَمِعَ أَهْلُ تِهَامَةَ بِمَسِيرِ أَهْلِ الْيَمَنِ انْضَمُّوا إِلى رَبِيْعَةَ . وهَجَمَتْ مَذْحِجُ عَلَى خَزَازٍ لَيْلاً ، فَرَفَعَ السَّفَّاحُ نَارَيْنِ .

ومنهُم عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانِ الْقَائِلُ يَهْجُو الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ : وَيَنْسُبُهُ إِلى أَنَّ أَبَاهُ كَانَ حَجَّاماً وجدتُ ذَلِكَ بِخَطِّ عليِّ ابنِ إِسْمَاعِيْلَ الْمِنْطِيقِ اللُّغَوِيّ .

يَا بْنَ الَّذِيْ ذَلَّتِ الرِّقَابُ لَهُ ... قَاتَلَهُ اللهُ أَيَّمَا رَجُلِ

أَبُوكَ أَوْهَى النِّجَادُ عَاتِقَهُ كَمْ مِنْ كَمِيٍّ أَدْمَى ومنْ بَطَل
يَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وِمِنْ دَمِهِ لَمْ يُمْسِ مِنْ ثَائِرٍ عَلَى وَجَل
فِي كَفِّهِ مُرْهَفٌ يُقَلِّبُهُ يَقُدُّ أَعْنَاقَ سَادَةٍ بُطُل

قال ابنُ حَبِيبَ : كُلُّ سَدُوسٍ في الْعَرِبِ فَهُوَ مَفْتُوحُ السِّيْنِ إلاَّ سُدُوْس بْنَ أَصْمَعَ .

سُدُوسٌ :

في مَذْحِج : سُدُوسُ بنُ أَصْمعَ بْنِ أُبَيِّ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ رَبِيْعَة بْنِ نَصْرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ نَبْهَان بن عَمْرِو بْنِ الْغَوْثِ بْنِ طَيِّءٍ ، وَأَخُوهُ خالدُ بْنُ أَصْمَعَ الَّذِي نَزَل بِهِ امْرُؤُ الْقَيْس بن حُجْرٍ الْكِنْديُّ ، وفِيْهِمْ يَقُولُ :

إِذَا مَا كُنْتَ مُفْتَخِراً فَفَاخِرْ بِبَيْتٍ مِثْل بَيْتِ بَنِي سُدُوْسَا
بِبَيْتٍ تُبْصِرُ الرُّؤساءَ فِيْهِ قِيَاماً لا تُنَازَعُ أَوْ جُلُوسا

سَيَلُ :

في الأَزْد : سَيَلُ ، بوزن فعل ، محرّكة العين ، وعينه ياء منقوطة من أسفل نقطتين ، وابنه سعد بن سَيَلُ ، حَمُو كلاب بْنِ مُرَّة بن كعب بن لؤيٍّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر بن كنانة .

وسَيَلُ : اسم جبل عالٍ سُمِّيَ به والد سعدٍ لِطُوْلِهِ ، وهو خير بن حَمَالة ــــ ويقال : (حِمَالة (بكسر الحاء) ــــ بن عوف بن غَنْمٍ بن عامر . وهو الجادر بن عمرو بن جَعْثَمة ــــ وقد قيل : خَثعمة وحعثمة ، والأوّل أصحّ الثلاثة الأقوال ــــ بن يشكر بن مبشّر بن صعب بن دُهْمَان بن نَصْر بن الأزد ، وإنَّما سُمِّيَ عامرٌ : الجادِر فيما أخبرني به رجال من أهل العلم على اختلاف رواياتهم ، لأنه تزوّج بنت الحارث بن مُضَاضٍ الجُرْهُميّ وكانت جُرْهُمُ إذْ ذاك ولاةَ البيت ، وكان الحاجّ يتمسكون بالكعبة ويأخذون من طينها

وحجارتها تبرُّكاً بذلك . وأنّ عامِراً كان مُوكلاً بإصلاح ما تشعَّث من جُدُرِها . فَسُمِّيَ الجادِرَ وسُمِّيَ وَلَدُهُ : الْجَـدَرَة . وقد قيل : إنه بنى جداراً للكعبة فَسُمِّيَ جادِراً لذلك . والأول أثبت .

وفي سعد بن سَيَل يقول أبو دُوادٍ الإيَادِيُّ :

ما أرى في النّاس طُرّاً رَجُلاً   حَضَرَ البَاس كَسَعْدِ بن سَيَلْ
فـارِسٌ أضْبَطُ فيه عُسْرَةٌ   وإذَا ما واقَفَ القِرْنَ نَزَلْ
وَتَراهُ يَطْرُدُ الْخَيْلَ كَما   يَطْرُدُ الحُرُّ القَطَاميُّ الْحَجَل

وكان سعد أولَ من حَلَّى السُّيوفَ بِالْفِضَّة والذَّهب . وكان أهْدَىَ إلى كلابٍ مع ابنتِهِ فاطمةَ سَيْفَيْنِ مُحَلَّيَيْنِ فَجُعِلا في خزانة الكعبة .

أخبرني الدهكيُّ في كتابه الذي سماه بكتاب قريش ، قال : كان كلابُ بن مُرَّة سَيِّداً في قريش . ويدعى ذَا الْغُرَّة ، لنور كان يُشْرِقُ بين عينيه ، وخرج في بعض أسفاره ، فوقع لِحَيٍّ من اليمن ، فرآه منهم شيخ مُسِنٌّ قد عَشِيَ بَصَرُهُ ، وكان عنده علمٌ ، فقال : من أنت ؟ فانتسب له : فقال : نعم ، قد كان جدّك مالكُ بن النَّضر لي أخاً وصاحباً . أخبرني عن الغرّة البيضاء التي كانت في جدّكَ مالكٍ وآبائه مِنْ قَبله ؛ أهي بك ؟ قال : نعم . قال : فإن كنته فتزوّج أطْهَرَ النساء ، ذات الدَّلِّ والحياء ، بنتَ فارس الهيجاء ، الفتاة الناعمة الدهشمة الحازمة ، التي تُدْعى فاطمة . قال : ومن هي ؟ قال : ما رأيتها ببصري ، ولكن بلغها علمي ، هي بنت سَعْدِ بْن سَيَل ، ذي القواطع والأسَلْ ، فانصرف كلاب وقد صارت المرأةُ شُغْلَهُ ، فقال كلاب :

أفاطِمُ هَلْ ما ألْـقَيَنَّكِ مَرَّةً ؟   وهَلْ يَجْمَعُ الدّانِيْنَ صَيْفٌ ومَرْبَعُ ؟
سَأَبْغِيْكِ في الأرْضِ العَرِيْضَةِ جاهِداً   فأيْأسُ أو أُعْطَى الّذِي فيهِ أطْمَعُ

ولم يزل كلاب يُرِيغُ سَعْداً حتَّى وَقَعَ عليهِ ، ووفق في الْخطْبَةَ إليه ، فزوجة ابْنَتَهُ فاطِمَةَ ، فَنَقَلَهَا إلى دَارِ قَوْمِهِ ، فَوَلَدَتْ لَهُ زُهْرَةَ ، وهُوَ بِكْرُهُ وبِكْرُهَا ، وبِهِ كان يَكْتَنِي ، وولدتْ له زَيْداً . ومَاتَ وَزَيْدٌ صَغِيْراً . فَوَرَدَ مكَّةَ رَبِيْعَةُ بْنُ حَرَام بْنِ ضِنَّةَ بْنِ عَبْدِ كَبِيْرِ بْنِ عُذْرَةَ ، فاحْتَمَلَهَا إِلَى بِلاَدِهِ ، فخلَّفَتْ زُهْرَةَ في قَوْمِهِ ، وَأَخَذَتْ زَيْداً لِصِغَرِ سِنِّهِ ، فَسُمِّيَ زَيْدُ قُصَيّاً لِقَصَائِهِ عَنْ قَوْمِهِ وولدت لِرَبِيْعَةَ بْنِ حَرَام : رِزَاحَ بْنِ رَبِيْعَةَ ، وحُنَّ بْنَ رَبِيْعَةَ .

ونَحْنُ نَذْكُرُ هَذِهِ الأَخْبَارَ مُسْتَقصاةً في مَوَاضِعِها ، لِيكون ذَلِكَ أَبْعَدَ بِقَارِيءِ هَذَا التَّعْلِيْقِ مِنْ مَلَلِ بَعْضِ أَبْوَابِهِ وبالله التوفيق .

سَبَـلُ :

وفي بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ : سَبَلُ بْنُ يَثْرِبِيّ بن امْرِىءِ الْقَيْسِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ مالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ شَيْبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَابَةَ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، وهوَ جَدُّ الْمصْقَلَة بْنِ هُبَيْرَةَ بْنِ سَبَلِ بْنِ يَثْرِبِيّ .

سَـامَةُ :

في قُرَيْشٍ : سامَةُ بْنُ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ ابْنِ النَضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاس بْنِ مُضَر . وقد اختلف في أمره وَقيلَ : إِنَّهُ وَكَعْباً أخاه كَانَا يَشْرَبَانِ فَجَرَى بَيْنَهُمَا لِحَاءٌ فَفَقَأَ سَامَةُ عَيْنَ كَعْبٍ وخَرَجَ هَارِباً فَأَتَى عُمَانَ .

وَقَالَ الْكَلْبِيُّ : في كتاب «نواقِلِ بني نزار» : وَقَعَتْ حَرْبٌ بَيْنَ بَني كِنَانَةَ فَافْتَرَقُوا فِرْقَتَيْنِ ، بَنُو النَّضرِ بنْ كِنَانَةَ ، وعَلَيْهِم عَامِرُ بْنُ لُؤَيٍّ ، وَبَنُو عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ وعليهم يَعْمُرُ بْنُ عَوْفِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لَيْثِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ ، ويَعْمُرُ هَذَا هُوَ الشُّدَّاخُ وَقَدْ قِيْلَ : الشَّدَّاخُ : بِفَتْحِ الشِّيْن ، والأَوَّلُ أَثْبَتُ عند الْكَلبِيّ وَإِنَّما سُمِّيَ الشُّدَّاخُ لِشَدْخِهِ الدِّمَاءَ بِتَحَمُّلِهِ لَهَا . قال : ثم أَصْطَلَحُوا فَوَضَعَ عامِرٌ ابْنَهُ سَعْداً عند يَعْمُرَ ،

وَسَعْدٌ هم الذين يُقالُ لَهُمْ : بُنَانَةُ بحاضِنَة لَهُمْ ، فَوَضَعَ يَعْمرُ ابْناً لَهُ عِنْدَ سامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ . فَشَرِبَ سَامَةُ فَسَكِرَ ، فَمرَّ بالْغُلَامِ جَفْرٌ لِسَامَةَ ، فَرمَاهُ الْغُلَامُ فَوَقَذَهُ فَضَربَهُ سَامَةُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ ، وخَرَجَ هارِباً مِنْ عَامِرٍ أَخِيْهِ ، وقُتِلَ ابْنُ عامِرٍ بِهِ فَاقْتُتِلَتْ فِي ذَلِكَ الْفِتَّانِ ، وَكَتَبَ سَامَةُ بْنُ لُؤَيٍّ إِلَى قومه .

رُبَّ كَأْسٍ شَرِبْتُهَا ثُمَّ أُخْرَى   لَمْ تَكُنْ مُرَّةً ولا مُهْرَاقَهْ
وخَرُوسِ السُّرَى تَرَكْتُ رَذِيًّا   بَعْدَ جِدٍّ وجِدَّةٍ ورَشَاقَهْ
وفَتَاةٍ سَبَيْتُ يَا بْنَ لُؤَيٍّ   ذَاتِ دَلٍّ كَرِيمَةٍ بَرَّاقَهْ
أَبْلِغَا عَامِراً وكَعْباً رَسُولاً   إِنَّ نَفْسِي إِلَيْهِمَا مُشْتَاقَهْ
إِنْ تَكُنْ فِي عُمَانَ دَارِيْ فَإِنِّيْ   غَالِبِيٌّ خَرَجْتُ مِنْ غَيْرِ فَاقَهْ

ورُوِي لنا عن ابْنِ هِشَامٍ النَّحْوِيِّ أنه قال : جَآءَ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ سَامَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلم فَانْتَسَبَ إِلَى سَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ ، فَقَالَ : « الشَّاعِرُ » ؟ فقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : يَا رَسُولَ اللهِ ، كَأَنَّكَ أَرَدْتَ قَوْلَهُ :

رُبَّ كَأْسٍ هَرَقْتَ يَا بْنَ لُؤَيٍّ   حَذَرَ الْمَوْتِ لَمْ تَكُنْ مُهْرَاقَهْ

فقال : « أَجَلْ » :

وقال بَعْضُهُم : إنَّ سَامَةَ شرِبَ معَ أَخِيْهِ كَعْبٍ ، فَرَأى كَعْباً وَقَدْ قَبَّلَ امْرَأَتَهُ ، فأَنِفَ مِنْ ذَلِكَ ، فَهَرَبَ إِلَى عُمَانَ ، فقَالَ فِي ذَلِكَ الْمُسَيَّبُ بْنُ عَلَسٍ الضُّبَعِيُّ :

وَقَدْ كَانَ سَامَةُ فِي قَوْمِهِ   لَهُ مَطْعَمٌ ولَهُ مَشْرَبُ
فَسَامُوهُ خَسْفاً فَلَمْ يَرْضَهُ   وَفِي الْأَرْضِ مِنْ خَسْفِهِم مَهْرَبُ

وَاخْتُلِفَ فِي إِعْقَابِ سَامَةَ ، فَكَانَ هِشَامٌ وغَيْرُهُ يَرْوِي عَن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللهِ عليه : أَنَّ سَامَةَ لَا عَقِبَ لَهُ ولذلك خَبَرٌ سَنَذْكُرُهُ فِي مَوضِعِهِ ، مِنْ هٰذا الْبَابِ إن شاء الله وقَالَ آخرونَ : إِنَّهُ وُلِدَ لِسَامَةَ ابْنٌ يُقَالُ لَهُ : الحَارِثُ وَأُمُّهُ هِنْدُ بِنْتُ

تَيْمِ الأَدْرَم بْنِ غَالِبٍ. فَمَاتَتْ هِنْدٌ، فَحَمَلَ الْحَارِثَ مَعَهُ إِلَى عُمَانَ.

وَتَزَوَّجَ سَامَةُ نَاجِيَةَ بِنْتَ جَرْمِ بْنِ رِبَّانَ ـــ وَهُوَ عِلَافُ بْنُ حُلْوانَ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ ـــ بِعُمَانَ، أَوْ سِيفٍ مِن أَسْيَافِ الْبَحْرِ، فَوَلَدتْ لَهُ غَالِبَ بْنَ سَامَةَ. فَهَلَكَ وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَخَلَفَ الْحَارِثُ بنُ سَامَةَ على نَاجِيَةَ نِكَاحَ مَقْتٍ فَعَقِبُ سَامَةَ مِنهُ.

وقَومٌ يقولونَ كانَ لنَاجِيَةَ وَلَدٌ من غَيْرِ سَامَةَ، وَكَانَ سَامَةُ مُتَبَنِّياً لَهُ، فَنُسِبَ إليه، فَالْعَقِبُ لِذلِكَ الْوَلَدِ.

وَأَجْمَعُوا جَمِيعاً أَنَّ سَامَةَ بَيْنَا هُوَ يَسِيرُ عَلَى نَاقَتِهِ، إِذْ وَضَعَتْ رَأْسَهَا تَرْتَعُ، فَأَخَذَتْ حَيَّةً بِمِشْفَرِهَا في حَشِيْشَةٍ فَنَفَضَتْهَا فَوَقَعَتْ عَلَى سَاقِ سَامَةَ، فَنَهَشَتْهُ في سَاقه فَقَتَلَتْهُ، فقَالَ الشاعِرُ: وقِيلَ: إنَّ سَامَةَ قَالَ ذَلك لَمَّا أَحَسَّ بالْمَوتِ.

عَيْنِ بَكِّيِّ لسامَةَ بن لُؤَيٍّ حَمَلَتْ حَتْفَهُ إليه الناقة
عَيْنِ بَكِّيِّ لِسَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ عَلِقَتْ مَا بِسَامَةَ العَلَّاقَة
رُمتَ دَفْعَ الْحُتُوفِ يابْنَ لُؤَيٍّ مَا لِمَنْ ذَاكَ بِالْحَتْفِ طَاقَهْ

قد تُخْلَطُ هٰذِهِ الأبْيَاتِ بالأَبْيَاتِ الَّتِي تَقَدَّمَتْهَا، وقيل: إنَّ قَوماً من وَلدِ سَامَةَ جَاؤُوا إِلَى عَلِيٍّ عليه السَّلام فَانتَسَبُوا إِلَى سَامَةَ فقَال لَهُم: إِنَّ سَامَةَ لم يَدَعْ إِلَّا بِنْتاً يُقَالُ لها: عَاجَةُ، فإنْ كُنْتُم مِن وَلَدِهَا فأنَا خَالُكُمْ.

قَالَ الْهَيْثَمُ: وَبَلَغَنا أَنَّ رَجُلاً من وَلَدِ سَامَةَ دَخَلَ عَلَى عليٍّ بْنِ أبي طالبٍ عَلَيهِ السَّلَامُ فقَالَ: مِمَّن الرَّجلُ؟ فقَالَ: مِنْ قُرَيْشٍ. قَالَ: إنَّ قُرَيْشاً قَدْ فَسَا وَضَرِطَ، فَمِنْ أَيِّهِمْ أَنتَ؟: قَالَ: من بَنِي سَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ. فقَالَ عَلِيٌّ عليه السَّلَامُ: إنَّ سَامَة كانَ لَا يُولَدُ لهُ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ سَوْدَاءُ، فوثبَ عَلَيْهَا عَبْدٌ له أَسْوَدُ، فَإِن كُنْتَ مِمَّن يَنْتَمِي إِلَى سَامَةَ، فأَنْتَ مِن وَلَدِ الْعَبْدِ. فأَغْضَبَ ذَلِكَ الرَّجُلَ وَخَرَجَ فأَخْبَرَ قَوْمَهُ، فغَاظَهم، وكان في جُمْلَتِهِم الْخِرِّيْتُ بْنُ رَاشِدٍ السَّامِيُّ، فَغَاظَ ذَلِكَ الْخِرِّيْتَ حَتَّى حَمَلَهُ على مُخَالَفَةِ عليٍّ عليه السلام، وَكَانَ من مخالفته إياه مَا حُدِّثنا به عن أبي

مِخْنَفٍ ، قال : كَانَ الْخِرِّيتُ بْنُ راشدٍ السَّامِيُّ مع عليٍّ عليه السَّلام ، في ثلاث مِئَةٍ مِنْ بَنِي نَاجِيَةَ فَشَهِدَ مَعَهُ الْجَمَلَ بِالْبَصْرَةِ ، وشَخَصَ معَهُ إِلَى صِفِّينَ ، فشهد مَعَهُ الْحَرْبَ ، فلما حُكِمَ الحَكَمَانِ ، مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْ عليٍّ رضوانُ اللهِ عليْهِ بِالْكُوفَةِ ، فقَالَ لَهُ : واللهِ لا أُطَعْتُ أَمْرَكَ ، وَلَا صَلَّيْتُ خَلْفَكَ . فقال له عليٌّ عليه السَّلامُ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ ، إِذَنْ تَعْصِي رَبَّكَ وَتَنْكُثُ عَهْدَكَ ، ولا تضُرُّ إِلَّا نَفْسَكَ ، وَلِمَ تَفْعَلُ ذَلِكَ ؟ قالَ : لِأَنَّكَ حَكَّمْتَ فِي الْكِتَابِ ، وَضَعُفْتَ عَنِ الْحَقِّ حِينَ جَدَّ الْجِدُّ ، ورَكَنْتَ إِلى الْقَوْمِ الَّذِيْنَ ظَلَمُوا فَأَنَا عَلَيْك زَارٍ ، وعَلَيْهِمْ ناقِمٌ . فَدَعَاهُ عليٌّ عليه السلامُ إِلَى أَنْ يُنَاظِرَهُ ويُفَاتِحَهُ فقال : أَعُوْدُ إِلَيْكَ . ثم أَتَى قَوْمَهُ فَأَفْسَدَهُمْ وَسَارَ مِنْ تَحْتِ لَيْلَتِهِ مِنَ الْكُوفَةِ . وَلَقِيَهُمْ رَجلٌ «مُسْلِمٌ» يقَالُ له : زاذَان فَرُّوْخ ، مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا نفر : فسأَلُوهُ عَنْ دِينِهِ ، فقَالَ : مُسْلِمٌ ، ثُمَّ سَالُوهُ عَنْ عَلِيٍّ ، فقال : إِمَامُ هُدىً . فَقَطعُوهُ بِأَسْيَافِهِم . ولَقُوا يَهُودِيّاً ، فقَالَ : أنا يَهُودِيٌّ ، فَخَلُّوا سَبِيْلَهُ ، وقالوا : احْفَظُوا ذِمَّةَ نَبِيِّكُمْ . وهذا من أعجب ما يكون . فَأَتْبَعَهُمْ زِيَادُ بن خَصَفَة ، مِنْ بَنِي تَيم الله بْن ثَعْلَبَة بْنِ عُكَابَةَ ، مِنْ قِبَل عَلِيٍّ عليه السلام ، في كَنَفٍ مِنَ الْجُنْدِ ، فَلَحِقَهُمْ بِالْمَذَارِ ، وَقَدْ أَرَاحُوا هُنَاكَ ، فَدَعَا زِيَادٌ الْخِرِّيْتَ لِأَنَّ يَنْتَبِذَا فَيَتَنَاظَرَا ، فَتَنَحَّيَا حَجْرَةً مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا خَمْسَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فنَاظَرَهُ فلم يَنْجَحْ فِيْهِ الْقَوْلُ ، فَاقْتَتَلَ الْجَيْشَانِ قِتَالاً شَدِيْداً ، وحالَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ ، فتحَاجَزُوا وصَارُوا إلى الْأَهْوازِ ، واسْتَضَمُّوا أَوْبَاشاً مِنْ أَعْلَاجٍ وأَكْرَادٍ ، ولَفِيْفِ القَبَائِلِ ، وكَتَبَ زِيادٌ إِلَى عَلِيٍّ عليه السَّلام بِذَلِكَ فكَتَبَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ بِالْقُدُوم . وقامَ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ الرِّيَاحِيُّ ، فَقَالَ : أَصْلَحَ الله أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ لِقَاءَنا هَؤُلاءِ القَوْمِ بِأَعْدَادِهِمْ إِبْقَاءٌ عَلَيْهِمْ ، والْوَجْهُ أَنْ تَبْعَثَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ عَشَرَةً مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ لِيَجْتَاحُوهُمْ . فَأَمَرَهُ بِالشُّخُوصِ ، وَنَدَبَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ أَلْفَيْنِ ، فِيْهِمْ : يَزِيدُ بْنُ الْمُغَفَّلِ الْأَزْدِيُّ . وكَتَبَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنْ يُشْخِصَ جَيْشاً إِلَى الْأَهْوازِ ، لِيُوَافُوا مَعْقِلاً بِهَا ويَنْضَمُّوا إِلَيْهِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ خَالِد بْنَ مَعْدَانَ الطَّائِيَّ فِي أَلْفَي رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَلَحِقُوا بِهِ ، فَلَمَّا وافَوْا مَعْقِلاً نَهضَ لِمُحَارَبَة الْخِرِّيْتِ ،

فَاقْتَتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً ، وَقُتِلَ النَّاجِيُّونَ ، وَوَلَّوا مُنْهَزِمِينَ ، حَتَّى لَحِقُوا بِأَسْيَافِ الْبَحْرِ . وبِهَا جَمَاعَةٌ مِنْ قَوْمِهِمْ بَنِي سَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ ، ومن عَبْدِ الْقَيْسِ ، فَأَفْسَدَهُمُ الْخِرِّيتُ عَلَى عليٍّ عليه السلام ، واستضمَّهُمْ إِلَيْهِ ، وكتَبَ عَلِيٌّ عليه السلام إلى أَهْلِ الْأَسْيَافِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ ، وأَمَرَ معْقِلَ بْنَ قَيْسٍ أَنْ يَنْصِبَ لَهُمْ رَايَةَ أَمانٍ ، فَنَصَبَهَا فَانْفَضَّ عَنِ الْخِرِّيْتِ عَامَّةُ أَصْحَابِهِ ، وَكَانَ الْخِرِّيتُ يُوهِمُ الْخَوَارِجَ أَنَّهُ عَلَى رَأْيِهِمْ ويُوهِمُ الْعُثْمَانِيَّةَ أَنَّهُ يُطْلَبُ بِدَمِ عُثْمَانَ . ثُمَّ إِنَّ مَعْقِلاً عَبَّأَ أَصْحَابَهُ ، وأَنْشَبَ الْحَرْبَ . فَصَبَرَ أَصْحَابُ الْخِرِّيْتِ سَاعةً وَحَمَلَ النُّعْمَانُ بْنُ صُهْبَانَ الرَّاسِبِيُّ — وقيل : الْجَرْمِيُّ — عَلَيْهِ فَعَارَكَهُ سَاعَةً ثُمَّ قَتَلَهُ ، وانْفَضَّ جَمْعُهُ . وكَتَبَ مَعْقِلٌ إلى عليٍّ عليه السلام كِتَاباً : إِنَّا نَصَبْنَا لَهُ رَايَةَ أَمانٍ ، فَعَادَتْ مِنْهُمْ طائِفَةٌ ، وبَقِيَتْ أُخْرَى ، فَقَاتَلْنَاهُمْ فَضَرَبَ اللهُ وُجُوهَهُمْ ونُصِرْنَا عَلَيْهِمْ ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ مُسْلِماً فَمَنَنَّا عَلَيهِ وَأَخَذْنَا بَيْعَتَهُ ، وَقَبَضْنَا صَدَقَةَ مَالِهِ ، وَأَمَّا مَنِ ارْتَدَّ فَإِنَّا عَرَضْنَا عَلَيْهِمُ الإِسْلَامَ إِلَّا رَجُلاً واحِداً قَتَلْنَاهُ ، وأَمَّا النَّصَارَى فَإِنَّا سَبَيْنَاهُمْ وأَقْبَلْنَا بِهِ ، لِيَكُونُوا نَكَالاً لِمَنْ بَعْدَهُم مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ .

وكان مَصْقَلَةُ بْنُ هُبَيْرة الشيبانيُّ عامِلاً عَلَى [أَرْدَ شِيْرْ خُرَة] مِنْ فارس . فَمَرَّ بِهِم عليه وهم خَمْسُ مِئَة إِنْسانٍ ، فَصَاحُوا : يَا أَبَا الْفَضْلِ ، يا فَكَّاكَ الْعُنَاةِ ، وَحَمَّالَ الأَثْقَالِ ، وغِيَاثَ الْمُعَصَّبِينَ ، أُمْنُنْ عَلَيْنَا وافْتدِنَا فَأَعْتِقْنَا . فوجه مَصْقَلَةُ إِلى مَعْقِلٍ ، فَاشْتَرَاهُمْ منه .

ويُقَال [........] واسْتَنْظَرَهُ بِالمَال . فَسَلَّمَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَوَرَدَ عَلَى عليٍّ عليه السلام فَصَوَّبَهُ فيما صَنَعَ ، وامْتَنَعَ مَصْقَلَةُ مِنَ الْبَعْثَةِ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَالِ وكسره[٢] ، وخَلَّى سَبِيْلَ الْأَسرى ، ثُمَّ طُولِبَ بِالْمَالِ طَلَباً حَثِيثاً ، فَاحْتَالَ حتَّى مَضَى إلى مُعاوِيَةَ . فقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام : يَرْحَمُهُ اللهُ ، فَعَلَ فِعْلَ السَّيِّدِ وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبْدِ !! . وقالوا لِعَلِيٍّ عليه السلام حين هَرَبَ مَصْقَلَةُ : ارْدُدْ سَبَايَا بَنِي نَاجِيَةَ إِلَى الرِّقِّ فَإِنَّكَ لَمْ تَسْتَوْفِ أَثْمَانَهُمْ .

فقال صلّى اللهُ عَلَيْه : لَيْسَ ذَاكَ فِي الْقَضَاءِ ، قَدْ عَتَقُوا بِمَا أَعْتَقَهُمْ مُبْتاعهم ، وصَارَتْ أَثْمَانُهُمْ دَيْناً عَلَيْهِ .

وقال مَصقلةُ لَمَّا هَرَبَ :

لَعَمْرِيْ لَئِنْ عَابَ أَهْلُ الْعِرَا ... قِ عَلِيَّ انْتِعَاشِيْ بَنِي نَاجِيَهْ
لَقَدْ زِدْتُ فِيْهِمْ لإِطْلَاقِهِمْ ... وَغَالَيْتُ إِنَّ الْعُلَا غَالِيَهْ

قالوا : وَكَتَبَ وُجُوهُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ إِلَى مصقلة يَذمُّونَ رَأْيَهُ فِيْ لِحَاقِه بِمُعَاوِيَةَ وَتَرْكِهِ عَلِيًّا عليْهِ السَّلَامُ ، فَأَقْرَأَ مُعَاوِيَةَ الْكِتَابَ فَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ عِنْدِي لَغَيْرُ ظَنِيْنٍ ، فَلا عَلَيْك أَنْ لَا يَفُوتني مِثْلُ هَذَا .

وحَدَّثَ عليُّ بْنُ إبراهيم التَّميميُّ ، عن ابن أبي شَيْخ القنويِّ ، عن عبدالله بن المعتز ، عن أَحْمَدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ جَابِرٍ ، قال : حَدَّثَني عبدُالله بْنُ صالحِ العجليُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ عَمَّار الدُّهْنِيِّ ، قال : قَدِمْتُ مَكَّةَ ، فَلَقِيْتُ أَبَا الطُّفَيْلِ عَامِرَ بْنَ وَاثِلَةَ الْكِنَانِيَّ ، فَقُلْتُ : إِنَّ قوماً يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلام سَبَى بني نَاجِيَةَ وهم مُسْلِمُونَ . فَقَال : إِنَّ مَعْقِلَ بْنَ قَيْسٍ الرِّيَاحِيَّ لَمَّا فَرَغَ مِنْ حَرْبِ الْخِرِّيْتِ الْحَرُورِيِّ سَارَ عَلَى أَسْيَافِ فَارِس ، فَأَتَى عَلَى قَوْمٍ مِنْ بَنِي نَاجِيَةَ فَقَال : مَا أَنْتُم ؟ فقالوا : قَوْمٌ مُسْلِمُونَ فَتَخَطَّاهُمْ ، ثُمَّ أَتَى قوماً آخَرِيْنَ مِنْ بَنِي نَاجِيَةَ فَقَالَ : مَا أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : نَصَارَى ، وكُنَّا أَسْلَمْنَا ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ ، لِعِلْمِنَا بِفَضْلِهَا عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الْأَدْيَانِ ، فَوَضَعَ فِيهِم السَّيْفَ فَقَتَلَ وَسَبَى ، وهُمُ الَّذِيْنَ بَاعَهُمْ مِنْ مَصْقَلَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِيِّ .

وَمِنْ بَنِي سَامَةَ : كَابِسُ بْنُ رِبِيْعَةَ بْنِ مَالِكِ بْن عَدِيِّ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ جُشَمِ بْنِ رَبِيْعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ سَامَةَ ، كَانَ يُشَبَّهُ بِرَسُولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، وَكَانَ بِالبَصْرَةِ فَبَلَغَ خَبَرُهُ مُعَاوِيَةَ ، فَكَتَبَ إلى عَبْدِاللهِ بْنِ عَامِرٍ ، عَامِلِهِ عَلَى الْبَصْرَةِ ، أَنْ يُوفِدَهُ عَلَيهِ مُكْرماً

فَأَوْفَدَهُ . فلَمَّا دَخلَ عَلَيْهِ نَزَلَ عَنْ سَرِيْرِهِ ، وقَامَ فتَلَقَّاهُ وقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وأَقطَعَهُ المِرْغابَ بِالْبَصْرَةِ .

وكانَ بَنُو الْجَهْمِ بْنِ بَدْرٍ يَدَّعُونَ أَنَّهُم مِنْ وَلَدِ سَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ ، وَمَا أَدْرِي مَا صِحَّةُ ذَلِك . وَكَانَ أَحْمَدُ بنُ أَبِي طَاهِرٍ يَرَى أَنَّهُمْ أَدْعِيَاءُ ، وَأَنَّهمْ إِنَّمَا همْ مَوالٍ لِقَوْمٍ مِنْ آلِ سَامَةَ . ومَا يُوثَقُ عِنْدِي بِابْنِ أَبِي طَاهِرٍ ، لِأَنَّنِي رَأَيْتُهُ مُلْهَماً بِنبْزِ الأَشْرافِ وبتجريحِ الصِّحَاحِ ، وَرَأَيْتُهُ يَنْفِي جَمَاعَةً عَنْ أَنْسَابٍ هِيَ ثابِتَةٌ لَهُمْ فِي كُتُبِ الْعُلَمَاءِ مِثْل آلِ (.....) وَآلِ قَحْطَبَةَ وآل مُوسَى بْنِ كَعْبٍ ، وَغَيْرِهم —

عُدسُ :

في تَمِيمٍ : عُدُسُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بن دَارِمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ هذا قَوْلُ ابْنِ الْكَلبيِّ ، وأَبُو عُبَيْدَةَ يُخَالِفُهُ ، فيقُول : (هُوَ) عُدَسُ ، وكذلك ابْنُ الأَعْرابِي أيضاً يَقُولُهُ بِفَتْحِ الدَّالِ ، وَقَوْلُ ابْنِ الْكَلبِيِّ أَثْبَتُ .

وَأَصْلُ العَدْس فِي اللُّغَةِ الْقُوَّةُ علَى السُّرَى ، قالَ الشَّاعِرُ يَصِفُ رَاعِيَةً :

عَدُوْسُ السُّرَى لاَ يأْلَفُ الْكَرْمَ جِيْدُها .

فَأَمَّا قَوْلهُم لِلْبَغْلَة عِنْدَ إِرادَةِ حَبْسِهَا (عَدَسْ) فَإِنَّ الْخَلِيْلَ ذَكَرَ أَنَّ (عَدْسُ) اسْمُ رَجُلٍ كَانَ عَنِيفاً بِالْبِغَالِ فِي أَيَّامِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، فَإِذَا ذُكِرَ لِلْبِغَالِ اسْمُهُ انْزَعَجَتْ ، وَأَنَّهَا اسْتَمرَّتْ طَبَائِعُهَا عَلَى ذَلِكَ ، ومَا أَدْرِي كَيْفَ هَذَا ؟

فَمِنْ عُدُسٍ هَؤُلاَءِ : آلُ زُرَارَةَ ، وهُمْ رؤَسَاءُ بَنِي تَمِيْمٍ ، وزُرارَةُ هُوَ صَاحِبُ يَوْمِ أُوارَةَ مَع عَمْرِو بْنِ هِنْدٍ مُضَرِّطِ الْحِجَارَةِ ، وكانَ من حَدِيثِ ذلك أَنَّ المُنْذِرَ بْنَ مَاءِ السَّمَاءِ — ومَاءُ السَّمَاءِ أُمُّهُ امْرَأَةٌ مِنَ النَّمِرِ — وَهُوَ الْمُنْذِرُ بنُ امْرِىءِ الْقَيْسِ — وَقَد اسْتَقْصَيْنَا الْكَلاَمَ عَلَى أَنسابِهِمْ وأَخبَارِهِمْ في كِتَابِ «أَدَبِ الْخَوَاصِّ» فَغَنِيْنَا عَنْهُ

في هذَا الْمَوْضع — كان قَد وَضعَ ابْناً لَهُ يُقَالُ لهُ : مَالِكٌ ، ويُقال : أَسْعَدُ — عِنْدَ زُرَارَةَ بْنِ عُدُس ، وَكَانَ صَغيْراً فلمَا كَبِرَ خرجَ يَوْماً يَتَصَيَّدُ ، فَمَرَّ بإبلٍ لِسُوَيْدِ بْنِ رَبِيْعَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِاللهِ بِنْ دَارِمٍ ، وَكَانَتْ عِنْدَ سُوَيدٍ بِنْتٌ لِزُرَارَةَ فَتَعَرَّضَ الْغُلاَمُ لإبلِ سُوَيْدٍ وَنَحرَ بَكْراً مِنْهَا ، فاسْتَيْقَظَ سُوَيْدٌ ، وَكَانَ نَائِماً ، فَشَدَخَ رَأْسَهُ بِعَصاً فَقَتَلَهُ وهَرَبَ إلَى مكَّةَ ، فَحَالَفَ بَنِي نَوْفَل بْنِ عَبْدِ مِنَافِ بْنِ قُصَيٍّ ، فَلَمَا بَلَغَ ذَلِكَ عَمرو بْنَ الْمُنْذِرِ ، وهُوَ عَمرُو بْنُ هِنْدٍ فَاضَتْ عَيْنَاهُ حُزْناً عَلَى أَخِيْهِ ، وَهَرَبَ زُرَارَةُ ، فطَلَبَهُ عَمرو فَلَم يَجِدْهُ ، فوَجَدَ امْرَأَةً لَهُ حُبْلَى ، فقَالَ لَهَا : مَا فَعَلَ زُرَارَةُ الْغَادِرُ الْفَاجِرُ الْمُنْتِنُ ! !

فقَالتْ : إنْ كَانَ واللهِ مَا عَلِمتُهُ لَطَيِّبَ الْعَرَق ، سَمِيْنَ المَرَقِ ، لاَ يَنَامُ لَيْلَةَ يَخَافُ ، وَلاَ يَشْبَعُ لَيْلَةَ يُضَافُ ، فَبَقَرَ بَطْنَها . فقال زُرَارَةُ : إنِّيْ لَمْ أَقْتُل أَخَاهُ ، والصِّدْقُ أَنْجَى فجاء إليه فصَدَّقَهُ فَأَمَرهُ أَنْ يَجِيءَ بِسُوَيْدٍ . فَقَال : قَدْ لَحِقَ بِمَكَّةَ . قَالَ : فَوَلَدُهُ فجاءَ بِوَلَدِهِ وأَهْلِهِ فَأَمَرَ بِأَحَدِهِمْ أَنْ يُقْتَلَ ، فَجَعَلَ يَتَعلَّقُ بِجَدِّهِ زُرَارَة ، فقَالَ زُرَارَةُ : يَا بَعْضِي سَرِّحْ بَعْضاً ، فَذَهَبَتْ مَثلاً ، وَقُتِلُوا أَجْمَعُونَ ، وآلَى عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ لَيُحَرِّقَنَّ مِنْ بَنِي دَارِمٍ مِئَةَ رَجُلٍ فَخَرَجَ يُرِيْدُهُمْ ، وَبَعَثَ علي مُقَدِّمته ، عَمْرو بْنَ ثَعْلَبَةَ بن مِلْقَطٍ الطَّآئيِّ فَوَجَدَ القَومَ قَدْ نَذِرُوا بِهِ ، فَأَخَذَ مِنْهُم ثَمَانِيَةً وَتِسْعِيْنَ رَجُلاً بِأَسْفَلِ أُوَارَةَ من نَاحِيَةِ الْبَحْرَيْن ، وَلَحِقَهُ عَمْرو بْنُ هِنْدٍ فَضُرِبَتْ لهُ قُبَّةٌ وأَمَرَ بِأُخْدُودٍ فَخُدَّ لَهُمْ ، وأُضْرِمَت النَّارُ حتَّى إذَا تَلَظَّتْ قَذَفَ بالثَّمَانِيَةِ والتِّسْعِينَ فِيهَا فاحْتَرَقُوا . وأَقْبَلَ رَاكِبٌ مِنَ الْبَرَاجِمِ مِن بَنِي كُلْفَةَ بْنِ حَنْظَلَةَ ، وَقَدْ رَأَى الدُّخَانَ فَأَنَاخَ بَعِيْرَهُ . وأَقْبَلَ فَاسْتَطْعَمَ ، فقَالَ عَمْرٌو : مِمَّنْ أَنتَ ؟ قَال : مِنَ الْبَرَاجم : قَالَ عَمْرٌو : إنَّ الشَّقِيَّ رَاكِبُ الْبَرَاجِمِ فَذَهَبَتْ مَثلاً ، ورُمِيَ في النَّارِ فَاحْتَرَقَ ، ثُمَّ عَيَّرَتِ الْعَرَبُ بَنِي تَمِيمٍ بِذَلِكَ فقِيْلَ فِيْهِم :

أَلا أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِيْ تَمِيمٍ   بِآيَةِ مَا يُحِبُّونَ الطَّعَامَا

تاج العروس
من جواهر القاموس
— ٢١ —

[تتمة ما نشر في ص ٩٢٦/ ٩٥٦ — من السنة الخامسة عشرة عن الجزء الثالث عشر من الكتاب] .

٣٧ — ص : ٤٦٥ — :

(قال ابنُ أَحْمَرَ :

لا تُقْمِرَنَّ عَلَى قَمْرٍ وَلَيْلَتِهِ   لا عَنْ رِضَاكَ ولا بالكُرْهِ مُغْتَصِبَا

وَأَقَامَ عَمْرُ بْنُ هِنْدٍ ثَلاثاً لا يَرَى أَحداً ، فتَمَّمَ الْمِئَةَ بِامْرأةٍ منْ بَنِي نَهْشَلٍ — وَقِيلَ : إِنَّها ابْنَةُ ضَمْرَةَ بْنِ جَابِرٍ . أُخْتُ ضَمْرَةَ بْنِ ضَمْرَةَ ووَجَدتُ بخَطِّ أبي حَاتِمٍ السِّجْستانيِّ عن الأَصْمعيِّ قَالَ : سَمِعَتُ امرأةٌ زُرَارِيَّةٌ في الإسْلاَمِ مُؤَذِّناً يَقُولُ : أَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلاَّ الله ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله ، فقَالَتْ : مَا لِزُرَارَةَ لا أَسْمَعُ لَه ذِكْراً ؟!

وَابْنُهُ : حَاجِبُ بْنُ زُرَارَةَ ، ويُكَنَّى أَبَا عِكْرِشَةَ ، وَكَانَ اسْمُهُ زَيْداً ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ حَاجِباً لعظَم حَاجِبَيْهِ . في قَولِ أَبِي الْيَقْظَانِ ، وهُوَ صَاحِبُ الْقَوْسِ الّتِي رَهَنَهَا عِنْدَ كِسْرَى .

وأَخْبَارُ آلِ زُرَارَةَ طِوَالٌ مُمْتِعَةٌ ، وَوَقائِعُهُمْ كَثِيرةٌ ، وَلَكِنْ طَلَبُ الاخْتِصَارِ يوجِبُ حَذْفَ ذَلك كُلِّهِ .

أحال المحقق إلى «اللسان» .

ورواية البيت ـــ كما ورد في كتاب «بلاد العرب» لِلُغْدَةَ الأصبهاني ـــ ص ٢٨ غير منسوب ـــ :

لا تُقْمِرَنَّ عَلَى قَرْنٍ ، ولَيْلَتِهِ   لا إنْ رَضِيْتَ ، ولَا إنْ كُنْتَ مُغْتَضِبَا

أورده شاهداً على قَرْنٍ الموضع المعروف .

وهذه الرِّواية أوضح .

٣٨ ـــ ص : ٤٧١ ـــ :

(والقَمْرِيُّ ، بِالْفَتْح : وَادٍ يصُبُّ جَنُوبِيَّ غَمْرَةَ ، وشَمَالِيَّ الدَّبِيْل ، كذا في مُخْتَصَرِ البُلْدَانِ) . انتهى .

وقد ظننته يقصد كتاب «مراصد الاطلاع» وهو مختصر كتاب «معجم البلدان» ولكنني لم أَجِدْهُ في ذلك الكتاب ، ولا في أصله «معجم البلدان» ومهما يَكُنْ فَضَبْطُ الكلمة ـــ كما وردت في مطبوعة «التاج» غَيْرُ صَحِيْحٍ ، والصَّحِيْحُ كَسْرُ القافِ وإسكان المِيْم وفَتْح الرَّاء بعدها أَلِفٌ مقصورة (القِمْرَى) والموضع لا يزال معروفاً وكذا يُنْطَقُ الآن ، وأَوَّلُ مَنْ رأيْتُهُ ذكَرَ هذا الموضع أبو علي الْهَجَرِيُّ ، فقد قال عنه ـــ ص ٣٣١ .

(وسألت الخفاجي عن صاحة ، وهو جبل عظيم أحمر ، فقال : هو بَيْنَ القِمْرَى ـــ مقصورة ـــ وبَيْنَ دَبِيْل العارض ، ولا دَبِيْل غيره ، بلد) انتهى . وهذا في نوادره الهجري ، مخطوطة دار الكتب المصرية (الورقة ٣٥٥) والقِمْرَى وادٍ يقع في جنوب نَجْدٍ ، وانظر لتحديد موقعه «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» قسم (عالِيَة نَجْد) ـــ ص ١٠٨٥ ـــ تأليف الأستاذ سعد بن عبدالله بن جُنَيْدِل .

٣٩ ـــ ص : ٤٧٦ ـــ :

(والقُنُّورُ ، كَتَنُّور : مَلَّاحَةٌ بالبَادِيَة ، مِلْحُها غَايَةٌ جوْدَةً) ، قالَ الأزهريُّ : وقدْ رأيْته بالْبَادِيَة) انتهى .

وأُضِيفُ : ما أوْسَعَ البادية !! وهذا التَّعْرِيفُ وعَدَمُهُ سِيَّان .

قُنُورُ ــ الْمَلَّاحة وهي المَمْلَحة عند أَهْلِ نَجْدٍ ــ لا تزال معروفة باسمها ، إنَّها أرْضٌ سبخة تقع في الشمال الشرقي من قرية ثاج ، بنحو ٣٥ كَيْلاً ، وفي جانبها آبارٌ ، وفيها مَمْلَحَةٌ يُسْتَخْرَجُ مِنْهَا الْمِلْحُ الْحَجَرِيُّ أَلْوَاحاً ، وهو من أجود أنواع المِلْحِ ، ويَمُرُّ بها الطَّرِيقُ الكِنْهِرِيُّ المتَّجه من الجُبَيْلِ إلى نَجْدٍ .

قال الصِّمَّةُ بنُ عبدالله الْقُشَيْرِيُّ :

أَقُول لصاحِبي والْعِيسُ تَـهْوِي ... بِـنَـا بَيْـنَ الـمُـنِيْـفَـةِ فَـالضِّـمَـارِ

عَنَّتْ لي ملاحظة عند قراءة هذا البيت ، وهي وقوع الاختلاف في كلمة (الضِّمار) فقد وردت في كتب أخرى (الغمار) بالغين بدل الضَّاد المعجمة . ووقوع تصحيف أحد الحرفين بالآخر ، سَهْلٌ لِتَشَابُهِهِمَا في الصورة .

وقد ورد البيت في كتاب «المناسك» ومؤلفه من أهل القرن الثالث الهجري ، وفي «الحماسة» لأبي تَمَّام بالغين (الغمار) وفسره صاحب «المناسك» ــ ص ٦٠٣ بقوله : (الغمار غمرة وما وَالاها إلى طريق البصرة . ووجرة من الْغِمار . وهي جبال غمرة) .

أما الضِّمار فلم أرَ ــ فيما اطلعت عليه ــ من حدد موضع الضِّمَار ، بل يقال : الضِّمار موضع ، بدون تحديد .

ولهذا أرى أن صواب الاسم (الغمار) بالغين المعجمة ــ كما ورد في أقدم النصوص التي وصلت إلينا .

أما قائل هذا البيت فالصاغاني في كتاب «التكملة» صَحَّحَ أنه جعدة بن معاوية القُشَيْري .

وصاحب «المناسك» نسبه مع أبيات أخرى لشاعر مجهول يدعى علي بن محمد .

٤١ — ص ١٣ —:

(وعَرْعَر : موضع بل عِدَّةُ مَواضِعَ نَجْدِيَّةٍ وغيرها . وعرْعرٌ : وَادٍ بنَعْمَانَ ، قُرْبَ عَرَفَةَ . قال امْرُؤُ القَيْسِ :

سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَ أَنْ كَانَ أَقْصَرَا   وحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ ظَبْيٍ فَعَرْعَرَا

وَيُرْوَى : بَطْنَ قَوٍّ) انتهى .

بَيْتُ امرىء القيس ينطبقُ على وادٍ يقع خارج مُسَمَّى نَجْدٍ ، في جانب السماوة الشرقي الشمالي بقرب العراق داخل المملكة السعودية ، ولهذا قال عنه أبو زياد الكلابي — وهو من أعلم الناس ببلاد نَجْد —: عَرْعَرٌ موضعٌ ولا نَدْرِي ما هو كما في «معجم البلدان» .

وهو وادٍ مرَّ به امرؤ القيس في رحلته إلى قيصر حيث يقول :

بَكَى صاحِبِي لَمَّا رأى الدَّرْب دُوْنَهُ   وأَيْـقَـنَ أنّـا لاَحِـقَـانِ بِـقَـيْصَـرَا

وقد حَدَّدَ الهجري موقع عَرْعَر وظَبْي فقال — «أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع») ٢٣٤ —: إذا خَرَجْتَ من فَيْدَ تُرِيْدُ بالِسَ وحِمْصَ من الشام ، فأنتَ داخلٌ تَحْتَ مَهَبِّ الشَّمَال ، سلكْتَ ناحيَةَ الصُّحُر ، ثم اللُّغطِ ، أرض بها مياه ، ثم تَهْبِطُ من اللُّغْطِ في أول رَمْل عالج ، ثم الحِزيز حزيز كلب ، ثم تَهْبِطُ من الحزيز في الوصل بين الأوداة . وبين الحزيز ، وَإنَّما هي الأَوْدِيَةُ ، ولكنها لغة طيِّءٍ فأول وادٍ من أودية الأوداةِ : ذُو القُوْر ثم أُحامِرُ ثم عَرْعَر ، ثم أُبْلِيٌّ — وزن عُبْلِيٌّ — ثم تُبَلُ ، ثم بطن ظَبْيٍ — هذه كلها أودية — ثم النَّبِيُّ : بَلَدٌ سَهْلٌ ، والبِشْرُ والفُرَاتُ قريبٌ مِمَّا أَسْمَيْتُ وكل ما أسميتُ يصبُّ في الفرات .

انتهى باختصار —.

وأُضِيْف : لا تزال هذه الأودية معروفة ، وقد تحدثت عنها في (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» . وقد أُنْشِئَتْ مدينةٌ في وادي عَرْعَر بعد مَدِّ أنابيب النفط من شرق الجزيرة إلى الشام ، عُرِفَتْ باسم عَرْعَر هي قاعدة إمارة

الحدود الشمالية الشرقية .

واستشهادُ صاحب «التاج» ببيت امرىء القيس على عَرْعَر الذي قال عنه إنَّهُ وادٍ بِنَعْمَانَ ، قُرْبَ عرفة — استشهادٌ في غيرِ مَحَلِّه .

وعرعر الذي يقصده بعيد عن نعمان وعَنْ عَرَفَة . وإنَّما أخذ الكلام مما جاء في «معجم البلدان» ونَصُّهُ :

وفي كتاب (السكوني) وذكر الأَبَحَّ بْنَ مَرَّة في خَبَرٍ فقال : ضِيْمٌ من عَرْعَر ، وعَرْعَرُ من نَعْمَانَ ، في بلاد هُذَيْلٍ ، قال الأَبَحُّ بنُ مَرَّة الْهُذَليُّ :

لَعَمْرُكَ سَارِي بْنَ أَبِي زُنَيْمٍ لَأَنْتَ بِعَرْعَرَ الثَّأْرُ الْمُنِيْمُ
عَلَيْكَ بَنِي معاوية بْنِ صخر وأَنْتَ بِعَرْعَرٍ، وَهُمُ بِضِيْمِ

وأمَّا نَصْرٌ فقال : عَرْعَرٌ وادٍ بِنَعْمَانَ ، قُرْبَ عَرَفَةَ ، وأيضاً في عدة مواضعَ نَجْدِيَّة وغيرها . فإنَّه لو كان بِنَجْدٍ لعرفه أبو زيادٍ لأنها بلاده . انتهى .

ويلاحظ على كلام صاحب «معجم البلدان» :

١ — السكوني في المطبوعة خطأٌ ، والصواب السُّكَّرِي ، فهو مؤلف كتاب «شَرْح أشعار الْهُذَلِّيِين» . و وفيه شعر الأبح — ص ٦٦٧ — ولكن الكلام المتعلق بعَرْعَر لم يَرِدْ في مطبوعةِ الكتاب وإنَّما ورد : (عرعر وضِيْمُ مكانانِ) ولكن جاء في ص ٨٠٥ من الكتاب ما يفهم منه بُعْدُ عَرْعَر عن نَعْمَانَ ، فقد ورد في ذكر (يوم نِيَاتٍ) ما ملخصه : إن قوما مِن هُذَيل أغاروا على بني خَوْفٍ من فَهْم ، فبَيَّتوهُم ثم عادوا ومرُّوا برَجُل هذليٍّ فأطعمهم ثم أمرهم بالذِّهاب وخرج يسوقهم حتَّى أوصلهم إلى نُمَارٍ ، ثم رجع ، فلقِيَ طلب فَهْمٍ فسألوه عن القوم ، فقال : لقيت قوما بِثَنِيَّة عَرْعَر ، مع الصَّبْح ، وهُمُ الآن بِعُرَنَة أَوْ نَعْمَانَ ، فارْتَدُّوا عَنْهم . انتهى .

وعلى هذا فلا يخلو الأمر من أن يكون ياقوت استنتج مما قرأه في كتاب السكريّ ما نسبه إليه ، وهو استنتاج غير صحيح ، أو أنَّ السكريَّ قال ما نسبه إليه من أن عَرْعَر من نُعْمَان ، وهذا خطأٌ أيضاً .

ويبقى احتمال ثالث هو أن القول لغير السكريّ ، وهو (السكوني) وأرى هذا بَعيداً ، فياقوت وإن أكثر النقل عن السكوني ، إلّا أنَّ ما نقل عن هذا كله يتعلق بمواضع بعيدة عن بلاد هُذَيْل ، بخلاف السكري ، جامع شعر هذيل ، وشارح ذلك الشعر .

وأيّاً كان القائل بأن عَرْعَر من نَعْمَان ، فالواقع أنَّهما مُتَبَاعِدَانِ .

وعَرْعَر — الوارد في شعر الأبحِ الهُذَلِيِّ ، لا يزال معروفاً ، وهو من فروع وادي ضِيْم المعروف الآن أيْضاً ، وهو مِنْ بلاد النَّدَوِيِّيْن من هُذَيل ، واقع جنوب مكة على مقربة من ميقات إحرام القادمين من الجنوب — تهامة واليمن — وادي السعديَّة (يَلَمْلَم) بعيد عن عرفات ، وعن وادي نَعْمَانَ والذي أوقع المتقدمين بالخطأ في قولهم إنه في نَعْمَان وروده في أخبار هذيل وأشعارهم مقروناً بذكر نَعْمَان — وانظر لتحديد عرعر مقال لصعيب بن حِدْرجان النَّدْوي الهذلي نشر في جريدة «النَّدْوَة» تاريخ ٢٥/٤/١٤٠٠ هـ .

٤٢ — ص ٢٦ —:

(و عَزْوَرَةُ ، بلا لام : ع ، قُرْبَ مَكَّة) ، زِيدَتْ شرفاً . وقيل : هو جَبَلٌ عن يَمْنَةِ طريق الحاج إلى مَعْدِن بني سُلَيْم ، بينهما عَشَرَةُ أَمْيَال ، أو عَزْورَة : ثَنِيَّة المَدَنِيِّين إلى بَطْحَاءِ مَكَّة) ، زِيدَتْ شرفاً . انتهى .

كل ما أورده صاحب «التاج» هنا ورد في «معجم البلدان» بدون هاء) عَزْوَرَ — وَأَرَى هذا هو الصواب : إذ أورد ياقوت شاهداً على ثنية المدينيين قول ابْنِ هَرْمَةَ :

وَلَمْ يَنْسَ أَظْعَانَاً عَرَضْنَ عَشِيَّةً طَوَالِعَ مِنْ هَرْشَا قَوَاصِدَ عَزْوَرا

وهي ثَنِيَّة الْجُحْفَةِ التي ذكرها صاحب «التاج» بعد كلامه المتقدم .

والثَّنِيَّةُ المذكورة في طرف حَرَّة تُعْرَف الآن باسم الْعَزْوَرة والثنية تُدْعَى الآن (رِيْع أُم الْكِلِيِّ) — جمع كُلْيَةٍ — أنظر «العرب» س ٨ ص ١٧٥ .

٤٣ — ص ١٤٠ :—

(وبئْرُ عُمَيْرٍ) ، كزُبَيْرٍ : (في حَزْم بني عُوَالٍ) ، بالضّمّ ، هكذا في النُّسَخ ، وضَبَطه الصاغانيْ عَوَال بالفتح . انتهى .

ولكن أين حَزْمُ بني عوالٍ ؟ الكلام هُنَا مبتور من كلام عَرَّام بن الأصبغ السُّلَميّ ، صاحب كتاب «أسماء جبال تهامة وسكانها» قاله في وصْفِ الطّرَف أحد منازل طريق المدينة من نَجْدٍ ، المعروف الآن باسم (الصُّوَيْدِرَة) قال : ثم الطَّرَف لِمَنْ أَمَّ الْمَدِيْنَةَ ، يكتنفه ثلاثة جبالٍ ، أحدها ظَلِمٌ وحَزْمُ بني عَوَالٍ ، وفي عَوالٍ آبارٌ منْها بِئْرُ أَلْيَة ، وبئر هَرْمَة ، وبئر عُمَيْر ، وبئر السِّدْرَة ، وليس بهؤلاء ماء يُنتفع بهِ . انتهى مُلَخَّصاً .

وحزم بني عوال هذا هو حَرَّة سوداء مُطِلَّةٌ على الطَّرَف (الصُّوَيْدِرة) من الجهة الجنوبية ، يخترقها وادي الشُّقْرَة المنحدر من الصُّوَيْدرة ، حتى يجتمع مع وادي العقيق في قاع حَضَوْضَا .

وقد كتب اسم تلك الحرة في المصورات الجغرافية (الخرائط) خَطَأً اسم (حَرَّة كرماء) تحريف كلمة (هَرْمة) التي لا تزال معروفة ومعدودة من هجر هُجَر بني عوف ، من قبيلة حَرْب .

أمَّا ظَلْمٌ الوارد في كلام عَرَّام فيدعى أظلم — ولعله هو الصواب — ويقع شرق الطرف (الصويدرة) .

٤٤ — ص : ٢٨٤ —

(وذات الْغَارِ : وَادٍ بالحِجَازِ فَوْق قَوْرَانَ) انتهى .

يظهر أنَّ مصدر هذا القول ما جاء في كتاب «أسماء جبال تهامة» لِعَرَّام ، ونَصُّهُ : وذُو مَجَرٍ غَدِيْرٌ كبير ، في بطن وادي قَوْرَان ، وبأعْلاهُ ماءٌ يقال له لَقْف ، وما يقال له شَسٌ ، وفوق ذلك بِئْرٌ يقال لها ذات الْغَار ، عَذْبَةٌ ، كثيرة الماء ، تسقي بَوَاديهم . انتهى مُلَخَّصاً . وقال ياقوت : ذات الغار بِئْرٌ عذبة ، كثيرة الماء ، من ناحية السوارقية ، على نحو ثلاثة فراسخ منها .

وعلى ما تقدم فذات الغار بئر ، وليست وادياً كما ورد في كلام صاحب «التاج» .

٤٥ — ص ٤١٠ —:

(وُقْرَةُ : أَيْضاً مَوْضِعٌ بالحِجَازِ ، في ديار فراس ، مِنَ جِبَالِ تِهَامَةَ لِهُذَيْل) انتهى .

وجه الإشكال هُنَا كيف يكون في ديار بني فراس — وهؤلاء من بني مالك من كنانة — ثم يكون لِهُذَيْل .

لا شَكَّ أنَّ الكلام غير مستقيم ، وعادة مؤلف «التاج» رحمه الله — اختصار الكلام اختصاراً ينشأ عنه اضطراب في المعنى وعدم استقامة .

٤٥ — ص ٣٣٩ :

والفَقِيرُ : رَكِيَّة بِعَيْنِها معروفة . قال :

ما لَيْلَةُ الفَقِيرِ إلاَّ شَيْطَانْ مَجنونة تُودي بروح الإنسان

وجاء في ص ٤٦٠ — في رسم (قفر) ما نَصُّه : (والفقير ماء ، ويقال : بِئرٌ بأرض عُذرة — وفي بعض النسخ : في طريق الشام ، كذا في مختصر البلدان) انتهى .

ويظهر أن صاحب «القاموس» وشارحه عَوَّلاَ على ما جاء في «معجم البلدان» لياقوت — رحمه الله . فقد ذكر (القُفَيْر) بضم القاف وأورد شاهداً عليه لابن مُقْبل . ثم أورد الاسم مفتوحاً (القَفِير) وقال : هو ماءٌ في طريق الشام بأرض عُذرَة . كما أورد في رسم (الفَقير) أنَّه ركيٌّ بعينه ، ومفازة بين الحجاز والشام ، وأورد الشاهد :

ما لَيْلَةُ الفقيرِ إلاَّ شَيْطَان

وكلُّ الأقوال تنطبق — فيما أرى على مُسَمًّى واحِدٍ — وهو ماءٌ لا يزال معروفاً ، ولكن باسم الفُقير — بالفاء مضمومة بعدها قاف مفتوحة فمُثَّناةٌ تحتيَّةٌ ، فراء .

فهذا الماء :

١ — بين الشام والحجاز

٢ — كان في بلاد عُذْرَةَ في وادي القُرى

وقد أصبح الفُقَيّر الآن قرية سكانها الفريعات والرشود والمحاسنة أفْخَاذٌ من قبيلة بَلِيٍّ التي حَلَّتْ منازل عُذْرَة ، وكانت قَدِيماً تُجاورها ، وهو من قرى بلدة العُلا ، يَقَعُ غربَها بقرب موقع ذي المَرْوة ، المعروف الآن باسم (أم زَرْب) (وانظر مجلة « العرب » س ١٢ ص ١٨٦) وكتاب « شمال المملكة » ص ١٠٣٥ (وما بعدها) .

٤٦ — ص ٤٩١ — :

(وقُوَارَةُ : موضع بَيْنَ البَصْرَةِ والمَدينة ، وهو من مَنَازل أهْلِ البَصْرَة إلى المدينة) انتهى .

الذي من منازل حاج البصرة إلى المدينة هو الفوّارة — بالفاء لا بالقاف . فما هنا تصحيف وقع فيه السكوني — إن كان نقلُ ياقوت عنه في « معجم البلدان » صحيحاً .

وقد نَبَّهت على هذا في حاشية كتاب « المناسك » في وصف الطريق — طريق حاج البصرة — من النِّباج الى المدينة ، وقد حُدِّد في ذلك الكتاب تحديداً واضحاً .

والقُوارة والفوَّارة بلدتان معروفتان الآن في بلاد القصيم ، أَوْفى الحديث عنهماالأستاذ الشيخ محمد العبودي في كتاب « بلاد القصيم » أحد أقسام المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » .

والتي يقع على الطريق — طريق حاج البصرة إلى المدينة — هي الفوَّارة ، أما القُوارة فنحرفة عنه نحو الشمال .

٤٧ — ص ٤٩٥ — :

(والقَهْرُ : موضع ببلاد بَني جَعْدَة ، قال المُسَيَّبُ بن عَلَسٍ :

سُفْلَى العِرَاق وأنْتَ بالقَهْرِ

وأنشد الصاغاني لِلَبِيْد :

فَصُوائِقٌ إنْ أيْمَنَتْ فَمَظَنَّةٌ منها وحَافُ القَهْرِ أو طلخَامُها

وفي «مختصر البلدان» : هو جَبَلٌ في ديار الحارث بن كَعْبٍ وأسافِل الحجاز ، ممّا يَلي نَجْد ، منْ قِبَل الطائف). انتهى.

القول بأن القَهْرَ الجَبَل من قبل الطائف غير صحيح ، فهو واقع في الطرف الشرقي الجنوبي من سراة قحطان ، وهذه السراة هي أسفل السَّروات . والطائف يقع في أعلى السروات . وأقرب البلاد إلى القهر شرق بلاد عَسِيْر ، وجنوب بلاد الدواسر.

والقَهْر ــ قديماً في جنوب بلاد جَعْدَةَ المتصلة ببلاد بني الحارث بن كعب .

إنه سلسلة من الجبال ، تمتد من الشمال صَوْبَ الجنوب حتى تتصل بسلسلة جبال السراة الواقعة في الجنوب الشرقي من بلاد عسير (تقع سلسلة جبال القهر بين خطي الطول ٤٤/٠٠° و٤٤/٢٨° وبين خطي العرض ١٩/٣٠° و٢٠/٠٠°) . (وانظر مجلة «العرب» س ٨ ص ٣٣) .

استدراك :

يضاف إلى ما ورد في الكلام على (عقر) ص ٩٣١ من مجلة «العرب» السنة الماضية بعد كلمة (فات المحقق تخريجه) :

والبيت من قصيدة طويلة وردت في ــ ص ٢٣٩ من كتاب «شرح أشعار الهذليين» تحقيق الأستاذ عبد الستار فرّاج الذي راجع تحقيق هذا الجزء من كتاب «تاج العروس» ، والقصيدة منسوبة لمالك بن الحارث الهذلي ، ولتأبّطَ شراً الفهمي .

حمد الجاسر

رحلة التميمي التونسي إلى الحجّ

— ١ —

زرت مدينة تونس في شهر رمضان ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) فسعدت برؤية بعض من عرفتهم من الإخوة ، ومنهم أخي الأستاذ إبراهيم شبّوح ، من علماء الآثار البارزين ، ومن المعنيين بتحقيق التراث .

وكنت عَرَفْتُ الأستاذ إبراهيم أثناء طلبه العلم في كلية الآداب في مصر ، وقويت الصلة بيننا ، وتصاحبنا مراراً في السفر ، إلى (اصطنبول) للبحث عن المخطوطات النادرة ، ولبعض البلدان الأوربية .

وآخر عهدي بالأستاذ شبوح كان عند قيام حوادث لبنان . فلما زرت تونس حرصت على لقائه ، فمررت بصاحب (المكتبة العتيقة) بقرب جامع الزيتونة . فبعث معي من أرشدني إلى المكان الذي يعمل فيه الأستاذ (قسم الآثار) فلم أجده ، ولكنه حين علم بذلك أكرمني بالزيارة ، وأفضل بتكرارها .

وقدم لي في إحدى المرات نسخة مُصَوَّرَة لرحلة عالم تونسي زار الحجاز في أول عشر الأربعين من القرن الماضي .

ولقد تصفحت تلك الرحلة ، فرأيتها لا تخلو من فوائد ، وإن كانت لا تندرج ضمن رحلات الحج ، التي حاولت جمع ما استطعت جمعه منها ، ثم دراسة ما جمعت ، ثم محاولة استخلاص ما أرى في استخلاصه فائدة ، وترتيبه حسب موضوعاته ، ثم نشرهُ ، فهذه الرحلات تقف عند نهاية القرن الثالث عشر الهجريّ ، إذْ ما بعد ذلك من الزمن بلغت الرحلات المدوّنة عن الحج درجةً من الكثرة ، يصعب معها حصرها وجمعها .

وها أنا أحاول عَرْض ما عَنَّ لي مما قد يكون في عرضه فائدة للقارىء ولا تفوت الإشارة إلى أن مؤلف تلك الرحلة عاش في عصر جمود فِكْرِيٍّ ، سيطر على العقول في

أكثر الأقطار الإسلامية ، ولهذا يجد القارئ منه اهتماماً عظيماً بأمور اتصفت بالدين وليست منه ، وهذا ما لا أتعرض له ، لأنه يكاد أن يكون صفة عامةً لكثير من العلماء ، منذ قرون طويلة .

ترجمة المؤلف :

أوجز لي الأستاذ إبراهيم شبُّوح ترجمته على هذا النحو :

محمد بن صالح الْجُودي التميمي القيرواني .

ولد في مدينة القيروان — في القطر التونسي — في شوال سنة ١٢٨٧ هـ .

وقد بلغ من العلم مبلغاً أهله لتولِّي الفتيا في بلده في سنة ١٣٢٩ هـ .

ثم في سنة ١٣٥٧ أصبح رئيساً (باش مفتي) وله مؤلفات منها :

١ — رحلته إلى الحج .

٢ — قضاة القيروان ، من الفتح إلى الآن .

٣ — مورد الظمآن ، في تراجم علماء وصُلحاء القَيْروان — يقع في جُزْءيْن كبيرين .

٤ — ثبت شيوخه ، وإجازات من لقيه من العلماء وقد توفي — رحمه الله — ليلة الثلاثاء التاسع من ذي الحجة سنة اثنتين وستين وثلاث مئة وألف (٢ ديسمبر سنة ١٩٤٣ م) .

وصف النسخة :

يظهر أن المؤلف عاجلته المنيَّة قبل نقل رحلته من المسودة ، ولهذا وقع فيها كثير من الإضافات في الهوامش ، مع عدم وضوح كثير من الكلمات مما يدل على أنه كان يكتب لنفسه ، لا ليقرأه غيره .

وتقع في نحو ٨٨ صفحة في الصفحة نحو ٢٥ سطراً بخط مغربي .

محتواهــا :

استهل المؤلف رحلته ــ بعد حمدالله والصلاة على محمد وآله وصحبه ، بقوله : (وبعد فيقول العبد الفقير لرحمة ربه ، الراجي غفران ذنبه ، محمد الجودي القيرواني : إني تعلق غرضي بحج بيت الله الحرام ، وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام ، وذلك في سادس عشر شوال عام ١٣٣١ ــ فاستأذنت الوزارة التونسية في السفر ، لحيث ذكر ، بمكتوب مؤرخ بالتاريخ المذكور ، فأجابني جناب الوزير الأكبر الشيخ يوسف جعيطا بمكتوب نصه : الحمدلله ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم :

الفاضل الزكي ، الثقة الشيخ محمد الجودي ، المفتي بالقيروان ، دام حفظه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد بلغنا مكتوبك المؤرخ ١٦ شوال و١٧ سبتمبر الجاريين ، في التعريف بعزمكم على السفر لحج بيت الله الحرام ، عام التاريخ ، وعلمناه .

ونعرفكم أنه لا مانع من ذلك .
ونسأله سبحانه لكم الأَمْنَ ، وأن يتقبل أعمالكم ودمتم بحفظ الله والسلام .

من الفقير إلى ربه تعالى ، أمير الأمراء ، يوسف جعيط ، الوزير الأكبر وفقه الله تعالى ، وكتب في ٢٨ شوال و٢٩ سبتمبر سنة (١٣٣١) ثم ذكر أنه شرع في بيع ما يلزم بيعه من الحيوان ، ليتهيأ للسفر . وأنه وَدَّع أهله وسار إلى تونس ، ونزل ببيت في المدرسة السليمانية ، في انتظار مجيء (البابور) يقصد الباخرة .

وأنه في ٢٤ ذي القعدة سافر بَحْراً فوصل (برت سعيد) وقال : (أقام البابور ببرت سعيد يومه ، إلى الليل ، ووجدنا صورة من نحاس ، قيل إنها صورة الأوروبي الذي فتح الفتحة بين البحرين الأحمر والمتوسط ، ووجدنا هنالك من البابورات كثيراً على أشكال مختلفة ، كاد أن يَمرَّ بنا بعد كل ربع ساعة بابور . وعند غروب ليلة الجمعة غرة ذي الحجّة أقلع بنا البابور ، وسِرْنَا بوسط الْفَتْحَةِ الليل كله .

وهاته الفتْحَة يكتنفها جَسْرَانِ ، أحدهما وهو القِبْلِيُّ يمرُّ ... السكة الحديدية التي


الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله
وصحبه وبعد فيقول العبد الفقير لرحمة ربه الراجي
غفران ذنبه محمد الجودي القيرواني إني تعلق غرضي بحج
بيت الله الحرام وزيارة نبيه عليه الصلاة والسلام وذلك
في سادس عشر شوال عام ١٣٣١ واحد وثلاثين وثلثمائة
وألف فلما صممنا فتحت الوزارة التونسية في السفر لحج [illegible]
بمكتوب مؤرخ بالتاريخ المذكور فجاءني جواب الوزير الأكبر الشيخ
يوسف جعيط بمكتوب نصه الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم العالم الزكي الثقة الشيخ السيد
محمد الجودي [illegible] المفتي بالقيروان دام حفظه السلام عليكم ورحمة الله
وبعد فقد بلغنا مكتوبكم المؤرخ في ٦ شوال و١٧ سبتمبر الجاري
في التعريف بعزمكم على السفر لحج بيت الله الحرام على التاريخ وعليه
فنعرفكم أنه لا مانع من ذلك ونسأل الله سبحانه لكم الأمن وأن يتقبل
أعمالكم ودمتم بحفظ الله والسلام من الفقير إلى ربه تعالى [illegible]
[illegible] جعيط الوزير الأكبر وفقه الله تعالى وكتب في ٢٨ شوال و٢٣
سبتمبر ١٩١٣ [illegible] ولما
وصل المكتوب تحببت للسفر وشرعت في بيع ما يلزم بيعه
من الحيوان وغيره [illegible]
الأولياء [illegible] أبي زمعة
عبيد الله بن [illegible] سنة ٣٤ من الهجرة
أوصى أن توضع ثلاث شعرات من شعر النبي صلى الله عليه وسلم كانت
عنده في قلنسوة [illegible] تحت لسانه [illegible] وموضع ذلك
[illegible]
[illegible]
قوله تعلى

(الصفحة الأولى من رحلة التميمي)
بخطه

تذهب للسويس ومصر، وأمام ذلك بحرٌ قيل: هو نيل مِصْر.

وكان وصولنا لحيث ذكر بعد أنْ مررنا بِبَحْرٍ يُسَمَّى جون الكبريت، وقع للناس فيه دَوْخَةٌ عظيمة، وقاسينا الشَّدَائِدَ في البابور المذكور، إذْكان بابور سِلْعَةٍ وفَحْمٍ، ليس به (سكوندة) ولا ...

في مدينة جدة:

ثم ذكر أنه وصل (جدة ليلة الاثنين رابع حجة، فأرسى بنا (البابور) وفي صبيحة الاثنين نزلنا بِـ(فَلَايك) وسارت بنا إلى جدة، وهي مَرْسى بعيدة عن البلد.

فدخلنا جدة وسلمنا (السراحات) للمكلّف من طرف الحكومة، ودخلنا البلد فأول ما لاقيْنَاه أنه لا يطلب الإنسان شَرْبَةً من ماء إلّا بثمنٍ قدره (هلاله) لكل شَرْبَةٍ، و(الهلالة) عبارة (مولوي؟).

وسألنا عن (الميضات) فَأُرْشِدْنَا إليها، حَذْوَ جامعها، فوجدنا لا يتوضَّأُ الانسان إلّا بماء، ذي ثمن قدره (هلالة) مع رداءة الماء، وملوحته، فتوضأنا وصلَّينا الظهر بجدة.

وأكترينا جمالاً حَمَلَتْنَا لمكة، الجمل الواحد بثلاثة وعشرين (فرنكاً) ونصفاً.

فركبنا بعد صلاة الظهر، وسار بنا الجمَّالون، ولما خرجنا معهم وَجَدْنَا فَضَاضَةً وغِلْظَةً من الجَمَّالِين، يطلبون من المال، يسمى (البقشيش) فلم يسعنا إلَّا دفْعه، وقدره نحو فرنكين).

وسِرْنَا لَيْلاً، وقبل نصف الليل وصلنا لمكان يُسَمَّى (بَحْرَة) بِتْنَا فيه على خوف شديد، إذ أصحابه من البَدْو، والجمَّالون منهم، وكلهم مُسلحون.

وفي آخر الليل رَفَعْنَا، وسِرْنَا، ووصلنا مكة يوم الأربعاء، عند الظهر،

(للبحث بقية)

الزارة : قاعدة بلاد الخط قديما

(الخطُّ : ما يعرف الآن باسم القطيف والدمام والظهران ، المتد على الساحل من الخفق إلى قطر)

[كتب الأخ حسين علي القديحي من مدينة القطيف ، يستوضح عن مدينة الزَّارَة التي لها ذكر في كتب التاريخ ، في أخبار صدر الإسلام ، وفي حروب الرِّدَّة .

وقد تحدثت عنها في كتاب «المنطقة الشرقية — البحرين قديماً» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» في الجزء الثاني ،

ويظهر أن السائل الكريم لم يطلع على ذلك الجزء .

وها هو ما أوردت فيه] .

الـزَّارَة :

— بعد الزاي ألف مهموزة وقد لا تهمز تخفيفاً ، ثم راء فهاء ، وهي لغة الأَجَمَة — أي الشجر الكثير الملتف ، والسِّباع تأوي الآجام ، ومن هنا قال بعض اللغويين أن اسم الزأرة مشتق من زَئير الأسَد .

والزَّأرة اسم بلدة من أقدَم مُدُن الْخَطِّ ، عُرِفَتْ إبَّانَ ظهور الإسْلام ، وجُهل تاريخها قَبْلَ ذلك .

وكانت مَقرَّ وَالي البحرين ، من قِبَل الفُرْس حين كان نفوذهم مُمْتَداً إلى هذه البلاد في العهد الجاهلي .

ذكر ياقوت في «معجم البلدان» في كلامه على المدينة ما نصه : (وكان على المدينة وتهامة في الجاهلية عامل من قبل مرزبان الزارة يَجْبي خراجها) انتهى .

وهذا النَّصُّ — مع غرابته — يَدُلُّ على سعة نُفُوذ مَرْزُبان الزَّارة ، وهو واليها من قبل الفُرْس ، ولكن لم يُعَرف امتداد نفوذ هذه الدولة إلى غرب الجزيرة .

قال في «معجم ما استعجم» : الزارة مدينة من مدن فارس ، وهي التي بارز البراء بنُ مالكٍ مَرْزُبَانَها فصرعه ، فقطع يديه فأخذ سِوَارَيْه ومِنْطَقَتَهُ ، فقال عمر : كُنَّا لا نَخْمِسُ السَّلَبَ ، وإنَّ سَلَبَ الْبَرَاءِ بلغ مالاً ، وأنا خامسُهُ . فكان أوَّلَ سَلَبٍ خُمِسَ في الإسلام .

قال أبو عبيد : حدثنا يونس عن ابن سيرينَ أن ذلك السلب بلغ ثلاثين ألفاً .

ووقع في كتاب الرِّدَّة أنَّ الأساورةَ الذين كانوا مع المنذر بن النُّعمان المعروف بالغرور ، وهو الذي مَلَّكَتْ بكرٌ على أنفسها — حين ارتدوا انحازوا إلى الزارة فحُصِرُوا ، فنزلوا على صُلْح ابن الحضرميِّ . فهذه الزارة هي بناحية البحرين ، لأنَّ هناك كانَتْ حروبهم عنْد رِدَّتِهم : انتهى .

وقال البلاذري في «فتوح البلدان»[1] : وتحصن المكعبر الفارسي صاحب كسرى الذي كان وجهه لقتال بني تَميم حين عرضوا لِعِيْرِهِ — واسمه فيروز بن جشيش — بالزَّارة ، وانضم إليه مجوسٌ تجمعوا بالقطيف وامتنعوا من أداء الجزية ، فأقام العلاءُ على الزارة لم يفتحها في خلافة أبي بكر ، وفتحها في أول خلافة عمر .

— ثم قال — : ثم غزا مدينة الغابة فقتل من بها من العجم ، ثم أتى الزَّارة وبها المُكَعْبِر فحصره ، ثم إنَّ مرزبان الزَّارة دعا إلى المبارزة ، فبارزه البراء بن مالك فقتله وأخذ سَلَبَهُ فبلغ أربعين ألفاً . ثم خرج رجل من الزارة مُسْتأْمناً على أن يدل على شرب القوم ، فدلّه على العين الخارجة من الزَّارة فسدَّها العلاءُ ، فلما رأوا ذلك صالحوه على أن له ثُلُثَ المدينة ، وثُلُثَ ما فيها من ذهب وفضة ، وعلى أن يأْخذ النِّصْف مما كان لهم خارجها .

وأتى الأخنسُ العامريّ العَلاء فقال له : إنهم لم يصالحوك على ذراريهم وهم بدَارين .

ودَلَّهُ كَرَّارُ النُّكْرِيُّ على المخاضة إليهم .

— إلى أن قال : بارز الْبَرَاءُ بنُ مالك مرزبان الزارة فطعنه فوق صُلبه وأخذ سوَارَيْه ، ويَلْمَقاً[2] كان عليه ، ومنطقةً ، فخمسه عُمَرٌ لكثرته ، وكان أَوَّلَ سَلَبٍ

خُمسَ في الإسلام .

وقال ابن الأثير في «النهاية» : وذكر مرزبان الزارة : الزأرة هي الأجمة سُمِّيت لزئير الأُسْدِ فيها . والمرزبان الرئيس المقدم ..

ومنه الحديث أن الجارود لما أسلم وثب عليه الحُطَمُ ، فأخذه وشَدَّهُ وِثاقاً ، وجعله في الزأرة . انتهى .

وجاء في «معجم البلدان» أيضاً قال أبو منصور : عَيْنُ الزارة بالبحرين معروفة .

والزَّارة قرية كبيرة بها ، ومنها مَرْزبان الزارة ، وله ذكر في الفتوح[٣] .

وفتحت الزارة سنة ١٢ في أيام أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه وصُوْلحُوا . قال أبو أحمد العسكريُّ : الخطُّ والزارة والقَطِيفُ قرى بالبحرين وهَجَر .

وفي كتاب «البلدان»[٤] للحازمي : قال الأزهريُّ : عين الزارة بالبحرين معروفة ، الزارة قرية كبيرة ، وكان مرزبان الزارة منها ، وله حديث معروف في الفتوح . وقال الْعَسْكَرِيُّ : الخَطُّ والزارة والقطيف ودُرْنَا قرى بالبحرين وهجر .

وفي كتاب «المناسك»[٥] في الكلام على البحرين : (ثم الزأرة) ، وهي فرضة من فُرض البحر ، وهي لأحمد بن سالم العبدي ، وهو رئيس أهل القَطيف ، وساكنها عبد القيس ، أكثر غِلّتها النخل والسمك .

وعن أبي القموص زيد بن علي قال : حدثني الوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عبد القيس : فقال لنا رسول الله صلى الله عليه : «أيُّ هَجَر أَعزُّ؟» قلنا : الزَّارة .

وعن أنس ابن مالك قال : بارز البراءُ بنُ مالك مَرْزبانَ الزارة ، فطعنه طعنة فكسر القربوس[٦] ، فَخَلَصَتْ إليه فقتلته ، فَقَوَّمَ سَلَبُهُ بثلاثين ألْفاً ، فلما صلينا الصبح غدا علينا عُمَرُ فقال لأبي طلحة : إنّا كُنّا لا نَخْمِسُ الأَسْلَابَ ، وإنَّ سَلَبَ الْبَرَاءِ قد بلغ مالاً ، ولا أراني إلّا خامسه ، فقوَّمناه بثلاثين ألفاً ، وأُدِّيَتْ إلى عمر ستَّةُ آلاف . انتهى .

وخبر سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم عن أعزّ بلدة في هجر ، وإجابة الوفد بأنّها الزَّارة يَدُلُّ على مكانة الزَّارة في ذلك العَهْدِ . وأنها أقوى مدينة في تلك المنطقة .

ثم وصفها بأن أكثر غلّتِها السَّمَكُ والتَّمْرُ ، لأنها متوسطة في واحة حدائق النخل ، ثم هي قريبة من شاطىء البَحْر ، فقد كانت ميناء — كما في النَّصِّ المتقدم .

وجاء في كتاب « الروض المعطار » ما نصه الزرادة[٧] : مدينة بناحية اليمن ، كان أبو سعيد الْجَنَّابِيُّ ، وهو من جزيرة جنابا ، من جملة من قام بدعوة القرامطة ، وكان يبيع الطعام بالزرادة ، وكان بها أيضاً رجل يعرف بإبراهيم الصائغ وكان داعيتهم أيضاً وجهوه غير مرة إلى ناحية فارس الأهواز لدعاء الناس ، وكان قيام القرمطي بالقطيف . انتهى . والزرادة تحريف الزارة ، وليستْ باليمن .

واتخذت الزَّارة منفى ومَحْبِساً لمن تَغْضب عليهم الدولة في العهد الأموي :

ففي أخبار عبيدالله بن زياد حينما ولي البصرة سنة ستين ذكر ابن جرير[٨] أنه قال : — بعد أن عَرَّف العرفاء على الناس : (وأيُّما عريف وُجد في عرافته من بُغيَة أمير المؤمنين أحدٌ لم يرفعه إلينا صُلِبَ على باب داره ، وأُلغيت تلك العرافة من العطاء ، وسُيِّرَ إلى موضع بِعُمَان الزارة) كذا ورد النص . ولعل صوابه (بعمان والزَّارة) .

وذكر أيضاً[٩] : أنه سيّر عمر بن سعد إلى الزَّارة .

وتقدم — في أول الكتاب — أنّ هذه البلاد كانت مَنْفًى لمن تغضب الدولة عليه .

والزارة هذه قاعدة الخطِّ الذي يضرب المثلُ بحُمَّاه : (حُمَّى قَطِيْفِ الْخَطِّ أَوْ حُمَّى فَدَكْ) .

وبقيت الزَّارة — حتى النصف الأخير من القرن الثالث الهجري — تُعَدُّ أكبر مدينة في الخط (القطيف) كما يفهم من وصف صاحب كتاب « المناسك »[١٠] لها ، بأنها مَقَرُّ رئيس أهْل القطيف ، وأنها فُرْضَةٌ على البَحْرِ ، وهذا يدل على سَعَتِهَا وكِبَرِها ، نتصوَّرُ هذا حين نعلم أنَّ موقعها هو موقع قرية الْعَوَّامِيَّة التي أرى أنها في الأصل محلة من مَحَلَّاتها .

وقرب انتهاء القرن الثالث حرّق القرامطة مدينة الزّارة ، كما حرّقوا مدينة هَجَر.

وفي الزارة نشأت دعوة القرامطة ، ومنها امتدت حركتهم حتى شملت البلاد ، كما فصّل ذلك متقدمو المؤرخين .

وجاء في «ديوان ابن مقرب»(١١) : كانت رئاسة القطيف لبني جذيمة فجمع أبو سعيد القرمطيُّ جيشاً فأغار على القطيف حتى ملكها بعد أن حرّق الزارة وهي مدينتها ؛ ودار مملكتها . وكانت الرئاسة فيها لبني أبي الحسن ، علي بن مسمار بن سلم بن يحيي ، من كَلْب عبد القيس وأبو سعيد هذا قتل سنة ٣٠١ .

وجاء في الديوان المذكور ما مُلَخَّصُه :

وذلك أن عبد القيس حين اختلفت كلمتهم ، وكثرت بينهم الحروب ، ضعفوا ووهنوا ، ووهن أمْرُهُم بالبَحْرَيْن ، فوثب الْقِرْمِطيُّ وهو أبو سعيد الحسنُ بن بهرام بن بهرشت على القَطيف ، وهو يومئذ ضامِنُ مُكُوسِها وضامِنُ فُرْضَتِهَا ، وكان قد جمع مالاً عظيماً استمال به قلوب الناس ، وكانت رياسة القطيف يومئذ وملكها لبني جَذِيْمَة ، من عبد القيس .

وكان أولو الأمْر فيهم بنو أبي الحسن عليّ بن مسمار ، وجمع القرمطيُّ جيشاً من أهلها ومن البادية ، ومن أهل عُمَان ، وحارب بهم أهل القطيف ، حتى ملكها بعد أنْ حرّق الزارة وهي مدينتها ، ودار مملكتِها ، وسار حينئذ إلى الأحساء بجمـوع عظيمة . انتهى .

وآثار الحريق كانت باقيةً إلى عهدٍ قريب ، في موضع يُدْعَى الرَّمادة ، في المكان الذي كانت الزَّارة تقع فيه ، وقد غُرِسَ ذلك المكان بالنخيل ، وامّحت آثار العمران القديمة منه .

وكان اسم الزارة معروفاً إلى عهدنا الحاضر ، يطلق على موضع يقع في الجنوب الشرقي من قرية الْعَوَّاميَّة ، بجوارها .

وفي القرية نفسها حَيٌّ يعرف باسم (فريق الزارة) والْفريق يرادف كلمة المحلّة .

وموقع الزارة غرب مدينة القطيف الآن بنحو خمسة أكيال ، قد أحاطت النخيل بها ، ويظهر أن شاطىء البحر قديماً كان يتصل بها ، أو أنها كانت تشمل مساحة من الأرض واسعة تصل إلى الساحل ، وبعد خرابها اتُّخذت تلك الأرض بساتين للنخيل .

ويحسن التنبيه على بعض أوهام وقعت في نصوص بعض المتقدمين حول الزَّارة :

١ ـــ قول البكري وياقوت[١٢] وغيرهما أن الزارة من مُدُنِ فارس خطأ ناشىء عن وجود مرزبان من مرازبة الفرس فيها أثناء حصار المسلمين لها في حروب الردّة .

٢ ـــ ذكر الزمخشريُّ في «الفائق»[١٣] ما نَصُّهُ : أن الجارُوْدَ لما أسلم وثب عليه الْحُطَمُ فأخذه وشَدَّهُ وثاقاً ، وجعله في الزارة .

ثم أضاف الزمخشري : في تفسير الزارة ـــ: هي الآَجَمَةُ . ويقال للأسدِ : مرزبان الزأْرة انتهى .

فالزمخشري قصد المعنَى اللغوي ، ولم يُدْرك أنَّ الزأرة ـــ في الموضعين ـــ عَلَـمٌ لهذه المدينة .

٣ ـــ أورد صاحب «الروض المعطار»[١٤] الزَّارة باسم (الزَّرادة) وعَدَّها من مُدُنِ اليمن ـــ كما تقدم ـــ وهذا خطأٌ مع أنه أورد اسم الزَّارة صحيحاً[١٥] وعَدَّها من مدن فارس ، وذكر مبارزة مرزبانها للبراء ، وساق خبره .

حواشي المقال :

---

(١) ص ٩٠ الطبعة الأولى .
(٢) اليلمق : القباء . والكلمة فارسية أصلها (يلمة) فعربت .
(٣) في «التهذيب» : ٢٤١/١٣ بدل كلمة (وله في الفتوح) : (وله حديث معروف) وكذا في «التاج» فيما نقل عن الأزهري . وأبو منصور هو الأزهري صاحب «التهذيب» .
(٤) الورقة : ٩ .
(٥) ص ٦٢١ .
(٦) القربوس : الخشبة المنحنية من سرج الفرس ، وللسرج قربوسان .

الزرق : الواردة في الأشعار

.. رأيتُ الشاعر ذَا الرُّمة ، يذكر الزُّرْقَ — في الدَّهناء — كثيراً ، ولكنني لم أهْتَدِ إلى معرفة موقعها من صحراء الدهناء الواسعة ، فهل من الممكن إرشادي إلى موقعها ؟

رماح — سعد بنساير العتيبي

العرب : لقد جمع مؤلف كتاب «المنطقة الشرقية» أكثر النصوص الواردة في تحديد ذلك الموضع .

وها هو نَصُّ ما أورده في الكتاب المذكور ، وهو من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

الزُّرْقُ :

— على لفظ جمع أزْرَق بضم الزَّاي —: هذا الموضع فيما يظهر من النصوص التي

---

(٧) ينقل المؤلف عن البكري (مخ ٦٨ وهو المصدر الوحيد الذي ورد عنده اسم هذا الموضع (الزرادة) — فيما أعلم — ولا أدري هل التسبت هنا بـ(الزارة) إحدى مدن البحرين أولاً ، على أن البكري نفسه ورد الإسم لديه في صورة (الواردة) وذكر الاسم في الترجمانة : ٤٩٢ — وقارن بالطبري ٣ : ٢١٢٤ وأخبار القرامطة : ١١٣ .

(٨) ج٥ ص ٣٥٩ .

(٩) المصدر ص ٤٥٤ .

(١٠) : ٦٢١ .

(١١) مخطوطة الأستاذ صادق الكردي .

(١٢) مادة (زأر) .

(١٣) ذكر ياقوت أيضاً أنها من مدن البحرين ، فكان الاسم عنده يطلق على مدينتين وهذا غير صحيح .

(١٤) ٢٨٥/٢٨٦ .

(١٥) ٢٨٢ .

سأوردها يقع خارج المنطقة التي أُلِّف هذا القِسْمُ من المعجم لتحديد مواضعها ، فهو في الدَّهْنَاء . ولكنَّ موضعاً ذكره ذو الرُّمَّة أكثر من ثماني عشرة مرَّةً ، وذكر مواضع داخلة في نطاق بحثنا أَلَيْسَ جَدِيْراً بأن يُذْكر هنا ، لا سيَّما وهو من المواضع التي ينبغي ذكرها في «المعجم» في أحد أقسامه الأخرى وقد تحدثت عنه بإيجاز في قسم (شمال المملكة)[1] .

قال البكري في «معجم ما استعجم» : الزُّرْقُ هي أنقاء بأسفل الدّهناء لبني تميم .

قال ذو الرُّمَّة :

وَقَرَّبْن بِالزُّرْقِ الْجَمَائِلَ بَعْدَمَا تَقَوَّبَ مِنْ غِرْبَانِ أَوْ راكِهَا الْخَطْرُ

وفي «معجم البلدان» : الزُّرْقُ رمال بالدهناء وقيل : هي قرية بين النباج وسُمَيْنَة ، وهي صعبة المسالك .

قال ذُو الرُّمَّة :

فَيَا أَكْرَمَ السَّكْنِ الَّذِيْنَ تَحَمَّلُوا عَنِ الدَّارِ ، والمُسْتَخْلَفِ المُتَبَدَّلِ
كَأَنْ لَمْ تَحُلَّ الزُّرْقَ مَيٌّ وَلَم تَطَأْ بِجَرْعَاء حُزْوَى ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَجَّلِ

وجاء في كتاب «المناسك»[2] : والسُّمَيْنَةُ بَيْنَ مُضْرِطٍ ومُرْبِخ ، ينحدر من أحدهما ويصعد في الآخر بصعوبة شديدة ، فالأول منهما الذي يلي البصرة أصعبها ، فكان الحَجَّاج لما انحدر ، انْحَدَرَ ومعه جارية ، فلما استصعب على الجمَّالين الرَّمْلُ في هذا الموضع سألوا أصحاب الحجاج أن ينزلوا عن الإبل ، ليخَفِّفُوا عنها ، فيمشوا ، فلم يَبْقَ إلّا الحَجَّاجُ وجاريته فقال الراجز :

الرَّمْلُ لَا يَرْكَبُ فيه أَحَد إلَّا النِّسَاء وأبو مُحَمَّدْ

فالرجَّازُ حتى الساعة يرتجزون في هذا الموضع بهذا ، ويرتجزون أيْضاً :

يَا حَبَّذا الْقَمْرَاءُ ، واللَّيْلُ سَاجْ وطُرُق مِثْلُ مِلَاءِ النُّسَاجْ

وهذه الرملة بها الزُّرْق التي يذكر ذو الرُّمَّة ــ ثم ذكر السُّمَيْنة وقال ثم من وراء هذا الرِّمل الشَّقائق وهي سبعة أحبُلٍ ، بينها سَبْعُ شقائق ، لكل حَبْلٍ منها اسمٌ ، ولكل شقيقة اسمٌ ، فزعم الناسُ أن قوماً ضَلُّوا في شقيقة منها ، فأخذوا ذاتَ اليسار ، وَمَضَوْا في الشقيقة ، فلم يزالوا في ضلالٍ حتى خرجوا في وادي اليمن[٤] من وراء بلاد اليمامة . وآخر شقيقة منها مِمَّا يلي مكة المَغَرَةُ وهي أرض حمراء ، كأنها صُبِغَت بالعصفر ، وحجارتها كذلك ، تتَّصِلُ بالحَبْلِ الذي يقال له حَبْلُ الحاضِرِ وهو آخرها ، وهو يُشْرِفُ على النَّبَاجِ نِبَاج ابْنِ عَامِرٍ . انتهى . ونقلته بطوله لأُوَضِّحَ خطأً ياقوت في قوله : (هي قرية بين النِّباج وسُمَيْنَة) فهي ليست قرية بل رمالٌ عظيمة ، وهي شرق السُّمَيْنَةِ وليست بينها وبين النباج ، بل بينها وبين الينسوعة .

ويظهر من قول صاحب «المناسك» : (وهي رَمْلَةٌ بها الزُّرْقُ) أي إنَّ الزُّرْق متصلة بهذه الرَّمْلَةِ الْعَظِيْمَة . إذ يفهم من شعر ذي الرُّمَّة الذي سنورده بعد هذا أنَّ الزُّرق تقع شرق الدَّهْنَاء ، على مقربة من حُزْوا والدَّحْل والشماليل والقرينة ، وتلك المواضع تقع في الجهة الجنوبية بعيدة عن طريق حاج البصرة الذي يَمرُّ بفلج ، ويخترق شمال الدهنا من الينسوعة إلى السُّمَيْنَة وهناك الرملة العظيمة التي قال صاحب «المناسك» (بها الزُّرْق) ولم يقل : إنَّها الزُّرْق . ولهذا بعد أن عَرَضْت لقوله في قسم (شمال المملكة) قلت :

وخلاصة ما يفهم من النصوص المتقدمة :

١ ــ أن الزرق من أنقاء الدهناء ، ومنها نَقَا مُشْرِفٍ من أَطوَل الأنقاء .
٢ ــ أنَّ الشمالِيْلَ من الزُّرقِ ، والشماليل بناحية معقلة ، وهذه لا تزال معروفة .
٣ ــ أنَّ ذا الرُّمة يقرن الزُّرق بحُزْوا وحُزْوا معروفة وهي بجهة مَعقُلَة .
٤ ــ مَعقُلَة وَحُزْوَا يقعان جنوب طريق الحجِّ البصري ــ أي جنوب الحفر حفر الباطنِ .

٥ ــ تحديد الحربي ــ وأقصد صاحب «المناسك» ــ وياقوت ، وقد أخذ عنه فيما يظهر من مقارنة النَّصيْن ، يدل على أنَّ الزُّرْق تقع في الطريق البَصْرِيِّ بين الينسوعة

والسُّمَيْنَةِ ، وهذا التَّحديد يُخَالِفُ القول بأنَّها قُرْب مَعْقُلَة وحُزْوا .

ولا مَخْرج من هذا الا أن يقال إنَّ الزُّرق يُقْصَد بها أعظم أنقاء الدهناء وأقصد الحبال ـــ وأطولها ، ومعروف أنَّ حبال الدهناء تمتدُّ من الجنوب إلى الشمال مسافاتٍ طويلة ، فقد تكون أطراف الزرق الجنوبية غرْب معقلة وحُزوا ، وتمتدُّ حتى تبلغ طريق البصرة من حَجْر ، وشماله إلى طريق البصرة إلى مكة .

وأضيف الآن : يظهر أن ياقوتاً اعتمد على ذاكرته في تعريف الزُّرق ، ولم يتقيّد بنص صاحب « المناسك » فوقع فيما وقع فيه من الخطإ .

وأما القول من أنَّ الشماليل من الزرق فصدره ما جاء في حاشية على قول ذي الرَّمة : فَوَدَّعْن أقواع الشماليل .

الشماليل : موضع في الزُّرق ، وعرف ياقوت الشماليل بأنها حبال رمْل متفرقة بناحية مَعْقُلة ونعود لعرض بعض النُّصوص المتعلقة بتحديد موقع الزرق .

جاء في وصف طريق حَجْر (الرياض الآن) إلى البصرة في كتاب « بلاد العرب »(٥) بعد أن ذكر الدّهناء قال : والصُّبَيْغَاءُ وهي بَرْقَاءُ بِمُنْقَطَع الدهناء ، إذا جُزْتَ الصُّبَيْغَاءَ وَقَعَتْ في أبْرَق يقال له القُنْفُذ والأبْرَقُ رَمْلٌ مختلطٌ بآكام ـــ ثم إذا جُزْتَ القُنْفُذَ استْقبَلْتَ أول الصَّمَّان . وعَنْ يسارك قبل ذلك الزُّرق التي ذكرهُنَّ ذو الرَّمة ، وهي أجارع من الرمل ، وهي من أرْض سَعْدٍ ، من الدَّهْنَاء .

فأول ما تستقبلُ مِنَ الصَّمَّان حين تَدْخُلُهُ دَحْلٌ على الطريق يقال له خُرَيْشِم انتهى .

هذا الطريق الذي ذكره يخترق الدهناء بمقابلة خُرَيْشِم ، هو طريق مَعْقُلَه ، إذْ خُرَيْشِم الدّحْل لا يزال معروفاً ، وهو واقع غرب مَعْقُلة غير بعيدٍ عنها ، بَيْنَ حُزْوَا وقريَةِ شَوْيَةَ . والزُّرقُ ـــ على ما يفهم من الكلام المتقدم ـــ تقع قبل الوصول إلى هذا الدَّحْلِ الواقع في طرف رِمَال الدَّهْنَاء في الجهة الشمالية منه : (وعن يسارك قبل ذلك الزُّرَق) وما عن يسارك من الحبال العظيمة عرق جَهَام وعرق جُهَيِّم ، ولا أدري هل يَصِحُّ الاستئناس باسم الزُّرق ـــ جمع أزرق ـــ للبحث عن صِلَةٍ بَيْن هذا اللَّون وبين لَوْنِ

الجُهْمَة التي منها سُمِّي الْحَبْلَانِ المذكوران . قد يكون ذلك بجامع عدم صفاء اللَّون ، وما أقرب الزرق التي ذكرها صاحب « بلاد العرب » ووصفها غيره بالصعوبة والعظم من ذَينك الجبلين وما شرقها وجنوبها من الحبال إلى قرب مَعْقُلَة ، وتقدمت الإشارة إلى نحو هذا في رسم الخلصاء .

والآن لنعرض من شعر ذي الرُّمَّةِ ما ذكر فيه الزُّرْق لقد ذكرها أكثر من ثماني عشرة مرة :

فقال[٦] : في وصف الأطلال :

بِجَانِبِ الزُّرْقِ لمْ تَطْمِسْ مَعَالِمَهَا ... دَوَارِجُ الْـمَوْرِ والأمْطَارُ وَالْحِقَبُ

الزُّرقُ : أكثبة رمال بالدهناء .

وقال[٧] : يصف الغيث .

أسْقَى الإلـه بـه حُزْوَى فجادَبه ... ما قابَلَ الزُّرْق من سَهْلٍ ومن جَلَد

وقال[٨] :

وعَيْنٌ أرَشَّـتْـهَا بأكْنَافِ مُشْرِفٍ ... من الزُّرْقِ في سَفْكٍ ديارُ الْحَبائِبِ

وقال[٩] : في وصف الظُّعْنِ :

فَوَدَّعْـنَ أقْواعَ الشَّـمَالِيْلِ بَعْدَمَا ... ذَوَى بَقْلُـهَا : أحْرَارُها وذُكُوْرُهَا
ولم يَبْقَ بالْخَلْصَاء مِمَّا عَنَتْ به ... مِنَ النَّبْت إلا يُبْسُهَا وهَجِيرُهَا
فَمَا أيْاسَتْنِي النّفْسُ حتَّى رأيتُها ... بِحَوْمَانَةِ الزُّرْقِ ٱحْزَألَّتْ خُدُوْرُهَا

الزرق : أكثبة بالدهناء :

وقال[٩] :

طـوالعُ مِنْ صُلْبِ الْقرِيْنَةِ بَعْدَمَا ... جرى الآلُ أشباه المَلَاءِ اليقايِقِ
وَقَدْ جعَلَتْ زُرْقَ الوَشيج حُدَاتُها ... يَـميناً وحَوْضاَ عَنْ شِمَالِ المرافِقِ

وقال[10] :

وَقـرَّبْن بِـالزُّرْقِ الجمائِلَ بَـعْـدَمَـا ... تَقَوَّبَ عَنْ غِرْبَانِ أوْراكِهَا الْخَطَرُ

الزرق : أكثبة الدهناء . تقوّب : تَقَشَّر . غربان أوراكها : طرف رؤوس الأوراك الذي يلي الذنب .

الْخَطَرُ : هنا مصدر .

وقال[11] :

إذا شِئْتُ أبْكَاني بجَرْعَاءِ مَالِكٍ ... إلى الدَّحْلِ مُسْتَبْدَى لِمَيٍّ ومَحْضَرُ
وبـالزُّرْقِ أطْلَالٌ لِـمَـيَّـةَ أقْـفَـرَتْ ... ثَلَاثَـةَ أحْوَالٍ تُـرَاحُ وتُـمْـطَـرُ

الزرق : أكثبة بالدهناء .

(للحـديث صلة)

حواشي المقال :

---

(١) ٦٢٨/٦٣٢ .
(٢) الجمائل : جمع الجمالة . والغربان هنا : الأزراك من خلف الظهر وقيل : رأس الورك تتوب : انقطع وانقشر .
الخطر : ما لصق بالوركين من البول .
(٣) ٥٨٤ .
(٤) لعل الصواب : (في وادي الرمل من اليمن) لأنه ذكر وادي الرمل وراء يبرين إلى حضرموت في اليمن .
(٥) ٣١٢ .
(٦) ديوانه : ٢٢ .
(٧) ١٦٨ .
(٨) ١٩٠ .
(٩) ٢٢٦ .
(٩) ٢٥٠ .
(١٠) ٥٦٦ .
(١١) ٦١٥ .

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم :

الكباكبة : سكان كبكب

هذا الاسم يطلق على سكان جبل كَبْكَبْ ، المُطِلّ على عرفات ، وأكثرهم يرجعون في نسبهم إلى قبيلة هُذَيل ، وكان هذا الجبل وما حوله منذ العصور القديمة من منازل تلك القبيلة .

ولهذا ورد في كتب النسب الحديثة ومنها كتاب «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» . أنّ الكباكبة من فروع قبيلة هُذَيل . بصرف النظر عن أصول هؤلاء .

وقد كتب الأخ الأستاذ محمد جابر الحسني — وهو من آل حسن سكان تلك الجهة يقول : إن إطلاق كلمة (الكباكبة) على أولئك خطأ يرتكبه العامة في تلك الناحية ، إذ السكان ينتمون إلى قبائل ذات أصول عريقة ومنهم آل حسن الذين يسكنون شمال وادي نعمان ، وأن أصلهم من الأشراف — أشراف المغرب العلويين ، انتقل جدهم محمد بن القاسم من ينبع إلى المغرب في حدود سنة ٢٥٠ هـ مع الحجاج — ثم قدم أحد أجدادهم وهو يوسف بن إسماعيل الصالحي الحسني التلمساني مع الجيش العثماني سنة ٩٢٣ إلى مكة برتبة (باشا جاويش) وعين ناظراً على عين زبيدة التي تنبع من وادي نعمان ، ثم اشترى بلاداً في هذه الجهة استقر بها بعض أعقابه إلى الآن وذكر الأخ الكاتب أن فروع أسرة آل حسن :

آل عبد المحسن ، وآل شاقي ، وآل حسين ، وآل حمدي ، وآل محسن وآل حاسن ، وآل أحمد ، وآل مشبّب وآل عالي .

وأنهم لا يزالون يسكنون شمال وادي نَعْمَان ، ومنهم من استوطن مكة المكرمة . وغيرها من مدن المملكة .

الزَّلّال في الدّرْعِيَّة :

جاء في مجلة «العرب» س ١٥ ص ٢٨٧ في حواشي مقال (المرأة في حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» ـــ رقم الحاشية (١٢) ما نصه : الزَّلّالُ من الأمكنة القريبة من الدّرْعِيَّة . ويقول الأستاذ عبدالله بن خَميس ، وهو من أهل هذه البلدة إنه غير معروف الآن . انتهى وهذا القول اعتماداً على ما ورد في كتاب «معجم اليمامة» ج١ ص ٥٣٥ ـــ تأليف الأستاذ عبدالله ونَصُّهُ : الزَّلّالُ مكان قرب الدرعية ، ورد له ذِكْرٌ في تاريخها . ولكننا الآن لا نعرفه ، وقد ورد ذكره في بيتين ينسبان إلى ابنة محمد بن سعود ـــ ثم أوردهما كما وردا في أصل المقال .

وأُضيف الآن أنَّ الأستاذ عبد المحسن الطَّوِيْل ـــ وهو من أهل الدّرعيَّةِ ورئيس مركز التنمية فيها ـــ أخبرني أنَّ الزَّلّال لا يزال معروفاً ، وقال في وصفه : إنه صِنْعٌ ـــ مجرى سَيْلٍ ـــ ينحَدر من شرق الدرعية إلى جهة نخيل البلدة . بجانب (قُرَيوة) الموضع الذي فيه المقبرة القديمة التي فيها قبر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـــ رحمه الله ـــ بجانبها من الجنوب ، وكان طريق الدرعية القديم يَمُرُّ به ، وهو بقرب (الناصريَّة) الجبل الواقع في تلك الجهة لا الناصرية المحلة التي غرب مدينة الرياض ، فتلك كانت تُعْرف باسم (الْفَوَّارة) والناصرية اسم حديث . وطريق الدرعية المُعَبّد الحديث المسلوك الآن من الرياض إلى الدّرعيَّة ، يَدَعُ الزَّلّالَ شماله .

«غَايـة الأمـاني»

ورد في ص ٧٨٤ س ١٥ ـــ في مقال الدكتور يوسف شلحُد اسم كتاب «بغية الأماني ، في أخبار القطر اليماني» ليحيي بن الحسين بن القاسم . وصواب الاسم «غاية الأماني» .

وقد نبَّه إلى هذا الخطإ الأخ يحيي بن علي عكور ، من بلدة الروشن ، في بيشة . شكرا لله له ، ووفقه .

آل (أبا القرب) : من واهب ثم من شهران

اطلعت على مجلة العرب (ج ٧ و٨ س ١٥ / محرم وصفر ١٤٠١ هـ) . على مقالة د. محمد بن سعد الشويعر . حيث ذكر في مقالته آنفة الذكر أن قبيلة (آل أبا القرب) في منطقة الجنوب وقد لحقوا (بِسُبَيْع) حينما سرد أفخاذ الْحُقْبَان من الدواسر ومساكنهم .

وبما أن لحمة (آل أبا القرب) المشار إليهم يسكنون في المنطقة الممتدة بين بِيْشَة وتَثْلِيث الجنوب ، وأنهم من فروع بني واهب الآن من شَهْران وليسوا من سُبَيْع كما ذكر الدكتور محمد .

وقد أشار إليهم الدكتور جابر الطيب بن علي في أحد اعداد مجلة العرب عندما ذكر سكان وادي هِرْجاب .

لذا أحببت ايضاح ذلك .

الباحة/ إمارة العقيق : سعيد بن مناحي الشهراني

المراشدة من فروع عتيبة

عند مراجعتي للمقال الوارد في مجلة العرب ج ١١ و١٢ س ١٥ لاحظت بعض الأخطاء التي وقعت مني في المقال المذكور نبهني عليها بعض الإخوان العارفين وهذه الملاحظات هي :

١ ـــ ورد في المقال : أن الضعفان المعروفين من المثاقبة من المراشدة اليوم ورد أنهم حلفاء من بني عبدالله من مطير هذا لا يوافق عليه اليوم العارفون بالنّسب من الضعفان مع اعترافهم بأنهم من قبيلة مُطير والحقيقة أن ما ذكرته في مقالي السابق عن : الضعفان هو : ما سمعته من كبار السن العارفين بالأنساب والله أعلم (ثم مدحهم الكاتب وأورد ثلاثة أبيات من نظمه في مدح الضعفان نسل عواض بالكرم والشجاعة .

٢ ـــ وقع خطأ وهو رسم صفة الوسم المعروف الذي يتخذه المراشدة اليوم وسماً لهم

على الإبل فقد جاء رسمه في المقال ناقصاً وصفته المعروفة هي |•| ومن تحته الشاهد وهو كما ذكرت على رقبة المطيّة واسمه : الأثاثي ــ بالثاء ــ تشبيهاً بالأثاثي المعروفة ولا يسمى الباب وليس الباب من وسم المراشدة .

٣ ــ وقع خطأ مطبعي في اسم عايد حيث ذكر عابد وصوابه : عايد ــ بالياء المثناة .

٤ ــ عندما قرأ شاعي بن غازي المرشدي وهو من العارفين بالأنساب عندما قرأ ذلك المقال أبدى لي عدة ملاحظات أجملها فيما يلي :

أ ــ الطرورة : ليسوا من ذوي حميد وإنما هم خصلة من الغرامين من ذوي محمد من المراشدة أيضاً .

ب ــ ليس من المراشدة فخذ يسمى الخذمان .

جـ ــ ذوي جحرف ليسوا من الحسانية بل من الفهارين من ذوي حميد .

د ــ خصلتا : القوسة والكسور ليستا من الفهارين بَل من العناترة من ذوي حميد .

هـ ــ المقارنة : ليسوا من العناترة بل هم فخذ آخر من ذوي حميد ، ويقال إنهم عناقر من أهل ثرمداء . قلت وهذا هو المشهور عند قبيلة المراشدة والمعروف عندهم اليوم والله أعلم .

و ــ اللوابين من ذوي مطيع هم : ذوي سفر ، وذوي جداع . واللوابين هم : بنو لوابان بني ذيخان بن مطيع .

ويرى الأخ شاعي ــ عند قراءته اسم هوازن في صدر المقال ــ يرى أنه من الاحسن أن أوصل نسب هوازن إلى عدنان جد عرب الحجاز . ونسب هوازن كما هو معروف في كتب النسب :

هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، فهم من بني قَيْس من مضر من عدنان ويلتقي نسبهم مع النبي صلى الله عليه ←

[لا تتحدث العرب إلا عن الكتب التي تصل إليها ، إذ الموضوع من السعة بحيث لا تتسع صفحات المجلة له] .

* الاجتهاد في طلب الجهاد :

العالم المفسر المؤرخ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المتوفي سنة ٧٧٤ — من المكثرين في مجال التأليف وقد طلب منه نائب السلطنة في الشام في عهده أن يكتب له

← وسلم في مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وعدنان من نسل اسماعيل بن إبراهيم عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، والله أعلم .

الرياض عبد الرحمٰن بن زبن المرشدي العتيبي

حول «معجم المطبوعات السعودية»

ومن الأخ الأستاذ محمد بن علي عكور من بلدة الروشن — في بيشة :

اطلعت على مقال معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية ، الذي يوالي نشره د./ علي جواد الطاهر الحلقة ٥٠ الملاحظة هي على اسم كتاب ابن القيّم الذي أورده الدكتور في صفحة ٧٥١ ج ٩ و١٠ س ١٥ لعام ١٤٠١ هـ وهو : «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» وليس (والدليل) .

الملاحظة الثانية في صفحة ٧٥٤ سطر ٩ عند ذكر عبدالله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسّام «تيسير العلوم» ويضاف الى ط ٢ ضبطه ونسّقه وباشر تصحيحه محمد زهري التجاري والصواب محمد زهري النّجار وهذه الأخطاء يظهر أنها مطبعية .

(ما تيسر من الكتاب والسنّة والآثار الحسنة في المرابطة بالثغور الإسلامية ، ليرغب أهلها في ثواب ما أهّلهم الله له من الرباط في الثغور التي هي حفظ حوزة الإسلام) فاختصر من مجلد كان جمعه هذه الرسالة . التي قام الأستاذ الدكتور عبدالله عبد الرحيم عُسَيْلَان — في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية — بتحقيقها ونشرها نَشْراً عِلْمياً .

وقد قدم للرسالة بمقدمة ضافية عن حياة المؤلف ابن كثير ، وعما يتعلق بموضوع كتابه هذا ، وأَلْحَقَ به فهارس وافية .

فجاء كتاباً في ١٣٦ صفحة . والطباعة جيدة . وصدر عن مؤسسة الرسالة في بيروت هذا العام — ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .

* مواقف من السيرة النبوية :

مؤلف هذا الكتاب هو الأستاذ مصطفى حسين عطار ، من رجال التربية والتعليم في هذه البلاد المعروفين . وكان الأستاذ العطار يذيع بحوثه في السيرة من إذاعة مكة ، ثم جمعها في كتاب قدمه الأستاذ الجليل الشيخ عبدالله خيَّاط بمقدمة ضافية جاء فيها : (إن المؤلف جمع الكثير من فصول السيرة ، مما يجد فيه القارىء لذة ومتعة وانسجاماً مع المؤلف يدفعه إلى طلب المزيد ، وخاصة في المقدمات التي يقدم بها كل موضوع يتحدث عنه ، وفي النتائج التي يستوحيها من كل قصة) .

وَيتَّضِح الجهد الذي بذله المؤلف الفاضل في تأليف هذا الكتاب لكل من طالعه من محاولة الاستقصاء والتعمق في دراسة الموضوعات التي طرقها ، مع كثرة ما رجع إليه من المصادر .

والكتاب يقع في ٣٦٠ صفحة ، وليس فيه ذكر اسم المطبعة ولا تاريخ الطبع ، ويظهر من مقدمته أنه صدر هذا العام .

* صبوات وصلوات :

هذا هو الديوان الثاني للشاعر الأستاذ عبد الملك عبد الرحيم ، المذيع المعرف ،

جاء في مقدمته للأستاذ العوضي الوكيل : (موزع على شعر الغزل والشعر الديني ، والشاعر من أبناء الرِّيف وفي أهل الرِّيف إيمانٌ بالله ، واستسلامٌ للقضاء والقدر ، وائتمار بأوامر الدين ، وانتهاء عن نواهيه) .

ويحوي الديوان ٣٨ مقطوعة من رقيق الشعر الموزون المقفّى سوى مقطوعة واحدة ص ٦٧ : (فوق الأزاهر والنجوم) متعددة القوافي ، وأبياتها مستقيمة الوزن .

وصفحات الديوان ١٢٠ — وتاريخ طبعه : ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م وطباعته حسنة بمطابع (وَجٌّ) والناشر (وكالة تبر للدعاية والنشر والإعلام) .

٭ أضواء على الأدب في جازان :

وصدر في منشورات (نادي مكة الثقافي) الجزء الأول من كتاب «أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان» لمؤرخ المخلاف السليماني وباحثه وأديبه الأستاذ الشيخ محمد بن أحمد الْعَقِيْلِيّ . وقد تناول الحديث عن مشاهير شعراء المخلاف القدماء : عمارة الحكمي ومحمد بن عيسى الطفاري ، ومنصور بن سحبان الضمدي وابن هُتَيْمِلٍ والقاسم الذروي ، وخيري زمّار .

ومن العلماء : الحسن بن أحمد (عاكش) والوزير الحسن بن خالد الحازمي ، ومن الأُسر العلمية : آل البهكلي ، وآل الحكمي وآل شافع ، وآل الأسدي .

والمؤلف يعرض تراجم موجزة . ثم نماذج من الشعر والنثر ، ويستطرد بذكر جوانب من التاريخ ذات صلة بلمحات أدبية موجزة .

ويقع الكتاب في ١٤٢ صفحة ، بطباعة حسنة ، بإشراف (دار مكة للطباعة والنشر) .

وقد صدر في العام الماضي — ولم يذكر تاريخ طبعه .

٭ الموجز في تاريخ الطائف :

يحوي هذا الكتاب لمحات تاريخية عامّة عن الطائف قديماً وحديثاً ، بطريقة موجزة .

ومؤلفه الأديب الأستاذ مناحي بن ضاوي القثامي ، من أنشط أعضاء نادي الطائف الأدبي في مجال النشر والتأليف .

ويقع الكتاب في ٨٤ صفحة ، بطباعة حسنة في (مطابع دار الحارثي للطباعة والنشر) .

وقد صدر هذا العام (١٤٠١ هـ) .

• **الحضارة تَحَدٌّ :**

هذا الكتاب هو الحلقة الرابعة والعشرون من سلسلة (الكتاب العربي السعودي) التي تقوم مؤسسة (تهامة) بنشرها .

ومؤلفه الأستاذ الدكتور محمود محمد سفر — وكيل وزارة التعليم العالي للشؤون الفنيَّة .

وموضوع الكتاب يفهم من عنوانه ، وأهم مباحثه : التحدي الحضاري جوهره و(ديناميكيته) — عناصر التحدي — الفعالية الروحية — استيعاب حضارة العصر — تبنِّي أساليب الحضارة المعاصرة — حماية المنجزات الحضارية — فكرنا والحضارة المعاصرة — قيود البحث الحضاري — الكثافة السكانية شرط من شروط الحضارة — التباهي بين الأمم — تأثير المكان والبيئة على الإبداع الحضاري — للزمن تأثيره على نشوء الحضارة — أثر النموذج البشري في المسيرة الحضارية — سلمان الفارسي مشاهد ميلاد حضارة — مواقف ومشاهد حضارية من (بَدْر) .

وخاتمة ما أوجزه المؤلف : (فلنعلن للدنيا بَدْءَ فَجْرٍ جديدٍ لحَضارة القيم .. ولنُسمع الدنيا هَدِيْر مصانعنا ، ولتُبصر إشراقة فِكرنا ، ولتُشاهدَ أصالة فَنِّنا في نَغَمٍ مُتجانسٍ ، وإبداع متقن ، لنَنْفكَّ من التِّيْهِ المُقفر ، الذي يعيش العالَمُ المعاصِرُ أسيراً له . تُظَلِّلنا العقيدة الموحية ، ويغمرنا الإيمان الصادق) .

ومع إيجاز الكتاب (١٤٠ ص) فإن المؤلفات التي رجع اليها المؤلف شغلت عشر صفحات ، وكثير منها غير عربي .

والطباعة حسنة بمطابع (دار البلاد) في جدة وصدر عام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

الاشتراك السنوي
٤٨ ريالاً للأفراد و١٠٠ ريال لغير الأفراد
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء : ٨ ريالات

العَرَب

مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري

صاحبها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل هاتف ٤٠٢٢٩١٥
الرياض . المملكة العربية السعودية

ج٣ و٤ س١٦ رمضان وشوال سنة ١٤٠١هـ تموز ـ آب (يوليو ـ أغسطس) سنة ١٩٨١

صفحات مطوية :

من تاريخ جزيرة أوال (البَحْرَيْن)

[في تاريخ بلادنا حلقاتٌ مفقودة ، لم تُدوَّن ، أو لم تصل إلى أيدي الباحثين ، ومن تلك الحلقات ما يتعلق بإزالة حكم (القرامطة) من شرق الجزيرة . فالمعروف أن الفضل في ذلك يعود للدولة العيونية ، التي قام مؤسسها عبدالله بن علي العبقسي العيوني في سنة ست وستين وأربع مئة بالقضاء على القرامطة ، ثم حكم البلاد وتداولت بنوه وأحفاده الحكم بعده ، على ما أوضح أحدهم وشاعرهم علي بن المُقرَّب في كثير من شعره .

إلاَّ أن في ذلك الشعر ما يُوضِّح أنَّ مؤسس الدولة العيونية قام إبان ضعف القرامطة بسبب خروج أجزاء واسعة من تلك البلاد من حكمهم ، ونشوء إمارات كان لها أثر في اضعافهم منها إمارة بني الزَّجاج في جزيرة أوال (البَحْرَيْن) ، التي احتفظت الآن بالاسم القديم لما يعرف الآن باسم (المنطقة الشرقية) .

وهذه الامارة ذات أثر قويٍّ في إزالة حكم القرامطة ، فقد حالت بينهم وبين الاتصال بالعالم الخارجي بعد استيلائها على جزيرة أوال ، وتخريبها لميناء العُقَيْر ، الذي كان أقوى الموانيء في مملكتهم .

وكما كان شعر ابن المُقَرَّب أوفَى مَصَدرٍ للباحث في تاريخ الدولة العيونية ، فإن في ذلك الديوان لمحات تاريخية عن إمارة بني الزجاج ، وفي بعض شروح ذلك الديوان تفصيل وايضاح لتلك اللمحات القصيرة .

ومن تلك الشروح ما لم ينشر حتى الآن .

وقد اطلعني الأخ الدكتور عبد الفتاح الحلو على قطعة من أحد تلك الشروح لبعض أبيات القصيدة الميميَّة فرأيت فيها معلومات عن إمارة بني الزجاج ، لم أرها فيما آطلعت عليه من نسخ الديوان .

ولهذا أردت إشراك المعنيين بتاريخ هذا الجزء الحبيب من بلادنا بإطلاعهم على تلك النصوص .

وتجدر الإشارة إلى أن جمع ديوان ابن مقرب بما فيه من شروح كان في عصر مُتقدِّم ، ولا أستبعد أن يكون في عصر الشاعر[1] .

وقد نقل ابن لَعْبُوْن مقتطفات يسيرة من شرح ديوان ذلك الشاعر[2] ومنه ما يتعلق بإمارتي ابن الزجاج وابن عياش الذي انتزع الإمارة ومنه انتزعها العيونيون[3] .

أما تحديد زمن قيام إمارة ابن الزجاج في جزيرة أوال ففي رسالته إلى ديوان الخلافة ما يشير إليه .

١ — فقد ذكر في الرسالة أنه مضى لقيام دولة القرامطة ١٧١ سنة ، ومعروف أنهم قاموا سنة ٢٧٦ + ١٧١ = ٤٤٧ .

٢ — ذكر في الرسالة أن حكم القرامطة لجزيرة أوال امتدَّ ١٤٠ سنة ، فكأن خروج الجزيرة من حكمهم كان قبل سنة ٤٤٧ (٢٧٦ + ١٤٠ = ٤١٦) .

٣ — ورد في أول البحث الإشارة إلى الخطبة للمستنصر بالله العبيدي وهذا تولى الحكم سنة ٤٢٧ — إلى سنة ٤٧٨ .

٥ — ومعروف أن الخليفة القائم بأمر الله تولى الخلافة فيما بين سنتي (٤٢٢/ ٤٦٧) .

إمـارة بني الزجـاج

جاء في «شرح ديوان ابن مُقَرَّب» :

حديث ملك أبي البُهْلول جزيرة أوال :

وأبو البهلول اسمه العوام بن محمد بن يوسف الزجاج من عبد القيس ، وكان ضَامِناً

لِخَرَّاج أوالٍ ، من والي القرامطة ، وكان له أخٌ يقال له مسلمٌ يكنى بأبي الوليد ، وكان خطيب أوال ، وهو من أهَل الدين والمتظاهرين بالسُّنَن انَّهُمْ بذلوا للقرامطة على يد جعفر بن أبي محمد بن عَرْهَم ، وهو الناظر يومئذ بجزيرة أوال للقرامطة ثلاثةَ آلاف دينار على تمكينهم أن يَبْنُوا جامِعاً ليجتمع إليه الْعَجَم والمسافرون إليهم ، فإنهم نافرون من خُلُوِّ البلد من جَامع تُصَلَّى فيه الجمعة وهم خائفون من انقطاعهم لذلك عنهم بالجملة .

وذكر أن هذا مما يجلب العجمَ إلى جزيرتهم ، ويضاعف لهم الفائدة في معاملتهم ، ومبايعتهم ، وكتب ابن عرهم إلى القرامطة لِذلك واستأذنهم فيما قالوا ، فأجابوه بأن يأْخُذَ منهم ما بذلوه ، ويفسح لهم فيما التمسوه ، فأعطوه ما ضمنوا له ، وتشاغلوا ببناء الجامع الذي ذكروا ، فلما تَمَّ بناؤه صعد أبو الوليد علي بن الزجاج المِنْبَر وخطب للخليفة القائم بأمر الله ، وصلَّى الجمعة ، فقال من يَهْوى القرامطة هذه بِدْعةٌ قد أَحْدَثَهَا بنو الزَّجَّاج بالحيلة والخُداع ، ويجب أن يُمْنَعوا من الخطبة ولا يمكنوا من صلاة الجماعة ، فلما خوطبوا عن ذلك قالوا : ما بَذَلْنا ولا سَلَّمنا أموالنا إلا لهذا الأمر ، ولأَجْل هذا الدّين قَصْداً ولاستجلاب العجم إلينا ، وإرغابهم في معاملتنا فإن كرهتموه فَرَدُّوا علينا ما أخذتموه منَّا ونحن نُمْسك عما قصدناه ، وإن نقصتْ به معاملتنا ونقصت به فائدتنا فكتبوا إلى القرامطة[٣] بالحال فأجابوا بأن لا يُعْتَرَضُوا في مذهبهم ، ولا يُمنَعُوا عن خطبتهم فجَرَوا على سُنَّتهم ، وصار لهم بما فعلوه السوقُ الكبيرة والفائدة الكثيرة ، لأن أكثر تلك النواحي إلى ذلك مائلون ، وبِهِ مُتَديّنون ، واتَّفق ان اعْتَرض المخالفون لهذا المذهب ابا الوليد بْنَ الزَّجاج ، ومنعُوهُ الخطبة وقالوا له : الذي كنت تخطب له قدْ بطل وصارتِ خطبةُ العراق للمستنصر بالله ، — صاحب مِصْرَ ويجب أن تكون الخطبة له دون من بطل حكمه ، فامتنع عن ذلك ، وانفذ أبو البهلول إلى القرامطة هَدِيَّة قَرنها بالمسألة لهم في إجرائهم على رَسْمهم من غير تغيير لعادتهم ، فرجع الجواب بأن لا يُغَيَّر لأبي البهلول رَسْمٌ ، ولا يُفْسَخَ له شَرْطٌ ولِيَخْطُبَ أخوه لمن شاء وأحبَّ .

وكان ابن عَرْهم مُعيناً لهم ، وكتبه ماضية إلى القرامطة بما يُحَسِّنُ فعلهم . ويبلغهم أملهم ، ومضتْ على ذلك مُدَيْدَة[٤] وأبو البهلول يزيد أمرُهُ ويَنْمو ويقْوى ويعلو وكتب القرامطة إلى ابن عَرْهَم بتقسيط يَضَعُهُ على أهل البلد ويحمله إليهم ، فَلِحُسْن سيرته فيهم

وجميل طريقته معهم استدعى ابن عرهم بالبهلول ومن يجري مجراه . وأطلعهم على ما ورد عليه ووافقهم على النُّفور عنه ، واذا خاطبهم بالتقسيط المتقدم يمتنع جانبهم منه حتى يجعل ذلك سَبباً يعتذر به إلى القرامطة ، ففعلوا .

وكتب إلى القرامطة باضطراب القوم عليه ، وأنه لم يمكنه مخاشنتهم ، فكفَّ عنهم وقال : والأمر إليكم في ذلك فغاظهم فعلهم وفعله . فأنفذوا بمن عزله ، وتولى عليهم بدله وأمروه بالقبض على من له مال ، ومصادرتهم على ما اقدموا عليه من عصيانهم ، واستعملوا من أشناعهم فجمع أبو البهلول أهله وعشيرته وأقاربه ومن وثق به وأنس إليه من متقدمي البلد وعرفهم ما ورد في معناهم ، فلما عرفوا ذلك خافوا فعاهدهم على أن يسمعوا له ويطيعوا . وقال لهم : لا يتمُّ لنا الأمرُ إلا بأبي القاسم بن أبي العريان فأدخلوه فيما فعلتموه ، وكان ابن أبي العريان متقدماً في أوال ، ومن ذوي العشائر والأصحاب ، فقالوا له : افعل ما ترى ، فقد رددنا أمرنا إليك ، فقام بهم إليه وحكى له مثل ما حكى لهم . وقال : هؤلاء القوم قد حضروا وسمعوا لي وأطاعوا ، وأنا لا أصلح لذلك ، إلا أن تدخل فيه معي ، وتكون يدي ويدك فإن فعلتَ تعاضَدْنَا وتساعدنا وحَمَينا أنفسنَا وأموالنا . هذا وقد بنوا القول على أن لا يطيعوا القرامطة إلا بعد إعادة ابن عرهم ، وأن يحفظوا أنفسهم من الناظر مكانه ، فحالفهم ابن أبي العريان على ذلك ، وأخذ هو وأبي البهلول في استدعاء متقدمي الضياع والسواد ، وإظهارهم على ما فعلاه ، وادخالهم فيما اعتزما عليه ، فما منهم مخالف لها ولا ممتنع عليهما إيثاراً لعودة ابن عرهم (....)[٦] ممن يتولى مكانه وقال لهم : الخراج موقوف على أربابه ، وغير مأخوذ فإن رجع ابن عرهم سلم إليه ، وإلا فليفرَّ[٧] كل منكم بما عليه . فسروا بهذا ، وكان أكبر الأسباب في اتساق الأمر .

وحصل معهما نحو ثلاثين ألف رجل . وعلم الوالي الجديد فاهتم من ذلك ، فجمع إليه من يتعلق به ، واعتزم على أن يقبض على ابن أبي العريان ، وعلى أبي البهلول بغتة ، فعاجلاه بالرجال ، وراجعاه للقتال ، فهرب إلى الشدَّات وانصرف عنهما ، بعد أن قُتل من أصحابه عدَّةُ رجال ، وكتبا إلى القرامطة : بأننا لا نعود إلى الطاعة ، ولا نرجع عن المخالفة إلا بعد رَدِّ ابن عَرْهَمَ إلينا ، ويكون نظره علينا . فوردَ الجواب إليهما بالصعب

الأشَدَّ ، وبأن لا سبيل لابن عَزْهَم إلى العودة ، وأن العساكر تجيئهم وتتحكم فيهم .

فأنفذ أبو عبدالله بن سنبر وزيرُ القرامطة بعضَ أولاده إلى عُمَان لحمل مال وسلاح من عُمَان ، فعرف أبو البهلول وابنُ أبي العريان ذلك ، فكمنا له في عوده من عُمَان وقتلاه وقتلا معه أربعين رجلاً معه صَبراً بين أيديهما ، وأخذا ما صحبه ، وكان خمسة آلاف دينار وثلاثة آلاف رمح ، ففرقاها في رجالها ، وبلغ الخبر ابن سنبر بما جرى فعدل إلى مكاتبة ابن أبي العُرْيان سراً ، وبذل له البَذْلَ الجَزِيْل ووعده الوعد الجميل ، وأن يُوَلِّيَهُ الجزيرة . ويمكنه منها فمال ابنُ أبي العريان إلى ذلك ، وأجاب بالسمع والطاعة والانحياز عن الجماعة ، وأشار بإنفاذ عسكرٍ في البحر إلى الجزيرة . فإذا قرب منها العسكر وثَب هو على أبي البهلول فقتله وقال لأصحابه وعشيرته : هذا الذي نحن فيه ، أمْرٌ لا يتم ، وما لنا بالقرامطة قدرة ولا في إزالة ملكهم حيلة ، ونُحبُّ أن ندبِّر أمرنا بغير ما دبرناه ، ونُعَجِّل تلافي ما فَرَّطنا فيه ، فقالوا له : الأمر لك ، ونحن معك ، واتفق مع قومه على فسخ ما استمر ، ونقض ما استقر ، وعرف أبو البهلول الحال فانزعج من ذلك ، ثم جمع أهله وأقاربَهُم فأطلعهم على ذلك الأمر ، وقال لهم :

ما لنا قدرة بابن أبي العريان إلا بوجه لطيف لأنه أقوى منا جانباً وأكثر رجالاً وهو أن ترصدوا منه فرصة تنتهزونها في قتله وإلا فهو آكلنا ومتقرب بنا .

وقرر أبو البهلول مع ابن عم أبي العريان ابن عم أبي القاسم قتل ابن أبي العريان وتفرقوا على ذلك .

ثم إن أبا العريان مضى في بعض الليالي إلى عين تُسَمَّى (بُوزيْدَان)[٨] يغتسل فيها ومعه غلام له ، فقصداه ومعه ابنُ عمه فقتلاه ، وقتلا غلامه وَقْتَ عَتمة ، وتأخر ابن أبي العريان عن أهله وأصحابه ، فانثنوا في طلبه ، فوجدوه مقتولاً فجاؤا إلى أبي البهلول فاتهموه بقتله ، وطالبوه بدمه ، فحلف لهم أربعين يميناً أنه ما قَتلَهُ ، وأرضى وجوههم بما كان له من المآكل فأغمضوا عنه ورضوا .

وجاء أبو عبدالله بن سنبر بنفسه على ما استقر بينه وبين ابن أبي العريان في مئة وثمانين شدَّة ، بها من عامر ربيعة خلق كثير ، وجمع أبو البهلول الشدَّات الذي له ،

ونزل على حاله ، فلما التقى الفريقان ، وكانت شدَّاتُ أبي البهلول مئة قطعة ، قد شحنها بالرجال ، وكان عند نزوله إلى الشدات قد وقع عن الفرس ، فانكسر ساقه ، واجتهد به أخوه أن يرجع فلم يفعل ، وتقدَّم وأمر برفع الأعلام ، وضرب الدَّبادِب والبوقات ، فاتفق من اتفاق السوء لابن سنبر أن حطَّ معه في الشدَّات خمس مئة فرس ، أكثرهُا لعامر ربيعة تَصَوُّراً منه دخول البلد من غير حرب ، ولم يشعر بما حدث لابن أبي العريان وتجدد ، فلما سمعتِ الخيلُ ضَرْبَ الدبَادب والبوقات ، ورأت المطارد والعلامات ، وهي خيل بَدَويَّة نفرت فغرقت بعضُ الشدات ، ووقع العرب في البحر ، وهربَ ابنُ سنبر إلى الساحل ، واستولى أبو البهلول على بقية الشدَّات ، وأخذ منهم نحواً من مئتي فرسٍ وشيئاً كثيراً من السلاح واستأمن إليه من كان فيها من أهل السواد ، وحلفوا أن ابنَ سنبر أخذهم قَهْراً لا إيثاراً ، وقسراً لا اختياراً وظفر بأربعين رجلاً من أصحاب القرامطة فقتلهم .

وعاد وقد ثبتت قدمه وقوي أمره وتمَّ غرضُهُ ، وحسنتْ حالتُه فرد إلى أخيه أبي الوليد وزارته .

وكتب إلى ابن أبي منصور يوسف صاحب ديوان الخلافة[٩] .

نسخة كتاب أبي البهلول إلى ديوان الخلافة .

بسم الله الرحمن الرحيم

أطال الله تعالى بقاء الشيخ الأجل الأوحد ، وأدام تمكينه ورفعته ، وعُلُوَّهُ وقَدرته وبسطته ، وحرس أيَّامَهُ ونعمته ، وكبت عَدُوَّه وخذل حسدته .

من المستقر بجزيرة أوال ، لسبع بقين من ذي القعدة[١٠]

والسلامة مُسْتَدِرَّة الأخلاف والنعمة مستقرة الائتلاف ببركته وبيمن طائره ، والحمدلله حمداً يرضيه ، ويستمدُّ المزيد من مواهبه ويقتضيه ، والصلاة الدائمة على نبيه محمد المصطفى وعترته الطاهرين .

ولا يخلو ناقل عِلْم وخَبَر وحامل فهم وأثر ، من المعرفة بمن أجاب داعي الله وأطاع

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، واتخذ طاعته شعاره وتلى فيها لذات الله أَخْبَارَه ، وكَانَتْ ممن صفت سريرتُهُ ، وخلصتْ لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم طَوِيَّتُهُ ، وهاجر من وطنه إليه ، وقدم من مُستقرهِ ومسكنه عليه ، مع الفئةِ الهَجَرِيَّة[١١] والفِتية القَطَرِيَّة من آل عبد القيس ، ذوي الحفيظة والحَمِيَّة ، والنفوس العزيزة الأَبِيَّة ، قطعوا إليه المفاوز والقفاز ، وواصلوا نحوه سير الليل بالنهار ، له طائعين ، ولأمره تابعين ، ولدينه راضين ، وللإسلام قابلين ، وباعوا أنفسهم لله تعالى بين يديه مجاهدين ، ولثوابه مُحْتسبين ، ولجزائه يوم الدين راجين ، ثم نَصَروا من بعده الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين ، ولم يزالوا بالدعوة العباسية قائلين ، ثبت الله أركانها ، وقرن بالخلود سلطانها ، ولدعاتها مُجيبين ، ولكلمتها مُعلين ، طوى على ذلك الأعمارَ منهم السلفُ بعدَ السلف ، وأخذ بحميد أثرها منهم الخلفُ بعد الخلف ، حتى ظهر ذلك الملعون الصابي ، أبو سعيد الجنابي ، فشهر الدعوة القرمِطِيَّة ، وبدَّل الشريعة الحنيفية واستغوى من شايعه ، واستهوى الذي أطاعه وبايعه ، ومال بهم عن الطريقة الإسلامية بالزخاريف الكاذبة المتمرتحية[١٢] واشتدت بالفئة الباغية شوكته ، وكثرت في الفرقة المسلمة فتنتُه ، وفشت فيهم نقمتُهُ ، فقتلَ الأبطال ، واستباح الأموال ، وخَرَّب المساجد ، وعطل المنابر والمشاهد ، وبدَّل القرآن ، ومال به عن طريقه في البيان والبرهان ، وحمله داعيه من الكفر والطغيان على أن جمع العدد الجمَّ من الحجاج والمصاحف التي كانوا يتلون فيها بموضع من جانب بالأحساء يعرف بالرَّمادة إلى الآن ، فأضرم فيها وفيهم النار ، ولم يكن لهم منه ومن تعذيبه أنصار .

ثم أخذ مَأْخَذَهُ ولدُهُ المعروف بأبي طاهر وقصد مقصده ، وبلغ من الكفر غايته وأَمَدَه ، فسار إلى البلاد وأوسع فيها غاية العبث والعناد حتى هجم على بيت الله الحرام ، وقتل به سائر المجاورين ومن يَتسمَّى بالإسلام ، وسلب الكعبة نفيس ما عليها واستخرج منها ذخائِرَها التي كانت تَجْمَعُها وتحويها واقتلع الحجر الأسود مُجَاهراً بالكفر والعناد وأراد أن يَنْصبه في كعبة بناها لنفسه في جانب القطيف المعروف بأرض الْخَطِّ ، فكان كلما أثبته في كر[١٣] منها في نهاره ، وظنَّ أنه قد أخذ مُسْتَقَرَّهُ وقراره أصبح في اليوم الثاني مباعداً عنها .

ثم إنه حجب الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى في هذه الأقطار للشهادة بربوبيته ووحدانيته ، والإقرار له ، بذلك وأوهم من والاه من حفدته حزب الشيطان ، وتابعه من أولي الغي والطغيان ، أنه هو الله المدبر ، والخالق المصور والمقدر ، لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يشركون .

وسيرتهم أعني القرامطة في الفجور وتعاطي المنكر أكثر من أن أُحُدَّ أقلها قَدْراً وأن أبلغ منها عُشراً ، وهم على هذه السنة المشؤومة جادين ، وبها آخذين[٥] ، والمسلم بين أيديهم يقاسي الامتحان ، والذّل والاستهان ، ولم يبق بالبحرين من ينطق بالدين ، ويتمسك بعُرى الحق المبين ، صابراً على كثرة الأذى يسأل الله تعالى إماطة البلا ، غير هذه الجزيرة المعروفة بأوال ، يدفعون طامي شرَّهم ، وداعي أذاهم وضرهم ، بالتي هي أحْسَن ، وإنْ لم يكن في ذلك نيلاً يُسْتَهُون (؟) وكانت الأيام تنطوي وتمضي ، والسنون تندرج وتنقضي ، والقرمطيُّ في قوة من مملكته ، وشِدَّة من سلطنته متمكِّناً من أغراضه وطلبته ، نحو مئة وأربعين سنة ، مُنْذ ملك هذه الجزيرة بفرعَنته آمناً في ذلك كله من مُقاومٍ يُزاحمه ومضادٌ يضادده وكلما رأى رأساً ذا حالٍ ، وجاهٍ ومال يتوسَّمُ فيه إمارة الشهامة ، ويدل على سمته الصرامة والزعامة ، قتله ، وبالهلاك بَدَره وعاجله ، حتى لأن حَبْلُ دولتهم واضطرب ، وَوَهَى رُكنُ مملكتهم ، وكثرت منهم الأطماع في الأرواح والأموال ، واستصفاء الأملاك والأحوال .

وكنتُ أرصد الوقتَ الذي جاء حِيْنُهُ أغمزُ قناتهم ، وأقْرَعُ عند أوانه صَفَاتَهم ، فنَهَضَتُ متعصِّباً للدولة العباسية ، والدعوة الهاشمية — أدامها الله ما دام الديموم ، وأزهرت النجوم — مُنْتصراً لِدين الله تعالى ، ومُعيداً ما طُمِس من شرعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبعثتُ إلى مَنْ بهذه الجزيرة المعمورة من وَلَد عبد القيس أعزهم الله على التوازر ، والتظاهرُ والتناصر في ذات الله ، وطلباً لما عند الله (ومَا عِنْد الله خَيْرٌ للأبْرار) فأقبلوا نحوي داعين ، ولقولي مطيعين ، وإلى نِدائي مبادرين ، فطردنا من كان عندنا من وُلاةِ القرامطة بعد خَذْلِهِم ، ومن يقول بقولهم ، ويَتمذْهَب بِمذهبهم ، ولم يَبْقَ بهذه الجزيرة — حماها الله تعالى — ناظِرٌ يلي أمرها ولا آمِرٌ ولا ناهٍ يُدبِّرها .

وتَصَوَّر مَن بِهَا أن لا بُدَّ لهم من زعيم يلي أمْرهُم ، ويسدد لما فيه استقامتهم وصلاح أمورهم ، وقد تحققوا أنني أنهَضُهُمْ بالأكفاء وبالأعباء ، وأقومُهم طريقة إلى تهذيب الآراء ، وأكثرهم طلاقة وأوفرهم ديانه ، وعفافة ، وأعرفهم بمصادر التَّرتيب ، وأبصِرهم بموارد التَّصعيد والتصويب .

فاجتمع رأيُهُم على ترقيتي درجة الإمارة ، ورتبتها ، وتقليدي أمور المحكة وكلفتها ، فامتنعتُ من قبولها ، ونَـأَيْتُ عنها ، فأكثروا ترددهم إليَّ وعقدوا خناصرهم عليَّ فالتزمتها بعد عهود إليهم عهدتُها ، وعقود وثيقة عليهما عَقَدتُها أنهم يبذلون الأرواح في سبيل الله ، ومجاهدة القرامطة أعداء الله .

مستشعرين طاعة (الدولة العباسية) والكلمة المباركة الهاشمية ، مدة أعمارهم ، ومنتهى آجالهم ، وتكونُ طريقتُهُم الطاعة ، ومذهبهم السُّنَّةُ والجماعة ، مذهب الإمام أبي حَنيفَة ، به يُعرَفون وعليه يحيون ويموتون ، مُستَبِصراً فيما آعتمدتُه وتوخَّيتُهُ وعليه صِحَّة نِيَّتي ومحض عقيدتي طويته ، مستعيناً بالله تعالى ، وواثقاً منه بحسن المعونة على ما أولانيه ، وجميل المقابلة فيما أنَالَنِيْه .

فتحوَّلت إلى (دار الإمارة) ومكان الإيالة والأصالة .

وأُقيم لمولانا الإمام (القائم بأمر الله) أمير المؤمنين ـــ أطال الله بقاه وأعلى كلمته ، وثبت دولته ـــ في المسجد الجامع رَسْمَ الْخطْبة على العادة المعروفة ثم لي بعده ،

إذْ لا جَامع في هذه الأقطار كلها مع عَرْضِهَا وطولها ، يذكر فيه اسمُ الله إلاّ هو ، وتُقام الصلوات في سواه .

وقد تَجَرَّدتْ لمناصبة القرامطة خذلهم الله ، ومُحَاربتهم في ذات الله ، فعمدت إلى طرف من أطراف مملكتهم ، يعرف بـ(العُقَيْر) وهو دِهْليز الأحسا ، ومصبُّ الخيرات ، منه إليها وكثرة الانتفاعات التي جُلُّ الاعتماد عليها ، فخَرَّبته وبالحضيض الأسفل ألحقته .

وقطعت المادة منه عنهم ، وضَيَّقْتُ فجاجَ ما كان يتَّسع لهم وما عليهم ، وحميت موارد ارتفاعات دورها وعدوت بالمدد الأوفي والعدد الأكني والكماة الأنجاد ، والحماة

الأمجاد ، إلى ناحية الخَطّ وتعرف بـ(القطيف) وقد حصل فيها صنمٌ من أصنامهم ، وهو من بعض وزرائهم ، يعرف بابن سنبر — خذله الله وخذل أشياعه ، وأباد أنصاره وأتباعه — فقتلتُ عِدَّةً وافيةً من رجاله ، وقد استَعَدَّ بخيل كن للأعراب ، يجعلها بيني وبينه كالحجاب ، وهي حواليه تَحْميه من أن تُخضدَ شوكته وتُجتث أصيلته ، وقد اجتهدت في اجتذاب مراكب كان قد أعدَّها للعبور فيها إلينا والانصباب بها علينا ، ولم يبلغ ما تمنَّاه فينا أبداً إن شاء الله فمانع عنها بهذه الخيل[١٥] ودافع بها دونها .

ولو كان لأهل هذه الجزيرة حماها الله مكنة ، أو في أيديهم من المال فُسحَةَ لأكفَفْتُ من جهتهم ما أرضى من الأعراب ، وسددتُ بذلك بيننا وبينهم الأبواب ، ونزلت القرامطة[١٦] بالهوادي والأعالي والقوادم والخوافي لأنهم بهم يطيرون وبمكانهم يغترّون ، وعن بابهم لا يفترون ، بل جهلوا ما فيها من الارتفاعات وبغتة ساكنيها وقاطنيها وقت الإدراك[١٧] .

ولو قيَض الله برحمته لنا مُرَتَّباً يُرتِّبنا ومساعداً يساعدنا بمال ينفقُه لوجه الله سبحانه وتعالى ، أو زكاةٍ يصرفها إلينا رغبة فيما عند الله لحططت بها أقدار هذه الكفرة ، وأمتُّ بقوته آثار القرامطة الفجرة ، ولأرضَيْتُ الأعراب المطيفين بهم ، المتفرقين حول بابهم .

ولَسِرْتُ إلى الأحساء بالأحشاد والرجال ، والصناديد والأبطال ، ولملَكتُها واحتويتها بلا منازلة ولا قتال ، وكان ذلك أقرب زلفة إلى الله تعالى ، وأفضل عنده ، فيما توصل به أجنحة مجاهدي الروم .

فبالله الذي لا إله إلا هو يَميناً بَرَّة وقسماً حقّاً لجهَادُ القرامطة وقتالهم أفضل من قتال من سواهم ، وإنَّ رَشْقاً واحداً يُرْمَى به في وجوههم ، وسَهْماً مُرسلاً يصلُ إلى رَجُلٍ من عديدهم لَيُوْزَنُ بسبعين سهماً يُرْمَى في الهند والروم ، لأنهم من ذوي الدين المذموم ، وفيهم تقدم القول شعر :

وحَرَّموا الصلوات الخَمْسَ في هَجَرَ   والكفر ينزل والإيمان يرتحل

آخر غيره :

وغَيْرُ حَرامٍ أن يُباح لِمَعْشَرٍ   أغاروا على البَيْت الْحَرام حَرِيمُ

فهل طائفة أحق بالمساعدة وأولَى بالمرافدة والمعاونة والمهاكنة بالزكوات والأموال المعدّة للمثوبات من هذه الطائفة المرابطة لهؤلاء القرامطة .

وقد تُحْمَل الأموالُ الْجَمَّةُ إلى الرباطات وسائر الثغور ، يُطْلَبُ بها وجهُ الله تعالى ، والنَّصْرُ على عَدُوِّهِ ، وهذا والله هو الثّغْرُ الأعظم ، ومساعَفَتُهُ بما فوق المكنة أو قدرها آثَرُ وأجْسَم ، ومَا أنْفَق فيه الفرد من الدراهم أصاب به عند الله الفائدة وأجلَّ المغنم .

وقد أكّدتُ عند الله النذور ، إن ساعدني على ما أنويه المقدور ، وكفيت هؤلاء الأعراب ، واقتدرتُ لهم على الإرضاء والاستجلاب ، وملكتُ بتوفيق الله وعزّته الأحساء ووطِئت أرضَها واحتويتُ طولها وعَرْضها وخرَّبْتُ قصور القرامطة التي أُسست على الصراح[١٨] ، وعمروها بطاعة الشيطان في الإمساء والإصباح ، واستَبْدَلْتُ بها جوامع ومنابر ، وابتنيتُ بها مشاهد ومنابر ، وشيَّدتُها بذكر الله تعالى وأوضَحت للحاج إلى بيت الله الحرام السَّبيل ، وأقمتُ لهم على ذلك أكرم شاهدٍ ودليل ، وأظهرتُ الشريعة الإسلامية ، وأعْلَيْتُ مَنارها ، وأوضْحْتُ في الأيام والآنام أنوارها ، وصرفْتُ الاهتمام إلى افتتاح البلاد التي يظهرني الله عليها ، ويوصلني بركة طاعة سيدنا ومولانا الإمام (القائم بأمر الله) أمير المؤمنين — ثبت الله دعوته ، وأعلى كلمته — إليها وكنتُ للدولة العباسية ثبَّتها الله ، والدعوة النبوية أدامها اللهُ عَبْداً مطيعاً ، وخادماً مُذْعناً سميعاً ، وقصدت بسعودها كثيف جنودها وخافق بنودها (الشراة) الخوارج بأرْض عُمان ومردة حزب الشيطان الداعين إلى إمام منهم نَصَبُوه وأخذوا مأْخَذَهُ وأطاعوه واتّبعوه ، ولم يغادروا بعده إماماً إلا كفّروه واطّرحوه ونبذوه ، فأقتلُ بمشيئة الله وعونه مُحاربهم وأزيلهم عن مراتبهم ، وأزعجهم عن جوانبهم ، حتى يَفِيئُوا إلى طاعة سيدنا ومولانا الإمام (القائم بأمر الله) أمير المؤمنين — أدام الله أيامه — وأنفذ في الورى أحكامَه ويأْخُذُوا سُنَّتها ، ويسلكوا سبيلها .

ولا زال العبدُ يتسلى[١٩] الجهاد في طاعته ، وباذلٌ الْجُهْدَ لإشادة دعوة دولته ، حتى يَنْفَذَ أجلي المكتوب ، وينقطع نياطُ نَفْسي ونَفَسي المعدود المَحْسُوب .

وقد أُنهِيَتْ هذه الأحوال المتجددة والأسباب الحادثة إلى حضرة سيدنا الأجل السيد الأوحد — أدام الله بسطته — وهي منَ البشارة السَّارّة للقلوب، القاضية لإرادة المحبوب، ليأخذ حظَّهُ من الابتهاج بها، والاجتذال بمكانها لا سيَّما فيما سَهَّلَهُ الله تعالى بلطفه في أيام سيدنا ومولانا الإمام (القائم بأمر الله) أمير المؤمنين — أطال الله في العز الدائم بقاه، ونصر جنده ولِوَاه — وكبت حسدَتَهُ وعِدَاه.

وقد مضت لهذه الدولة القِرمطيّة المشؤومة مئة واحدى وسبعون سنة على عهد من سلف من الأئمة وولاة العهد من الخلفاء المتقدمة، ولم يبق أحدٌ من الملوك الماضية إلاَّ رام مملكة من ممالك هؤلاء القرامطة، فعزَّ عليه مَطْلَبُهُ وقد مكَّنني الله تعالى من بعض مملكتهم، ولَوْ يتطول[20] علي بالمساعدة والموازرة والمرافدة لرأيتُ من ذلك المقام الأشرف[21].

والدين النبوي المعظم، نور الله بإنفاده إلى سائر القُرى من مواضع الإسلام بالمبادرة إلينا، والاجتماع لِنُصْرتنا، وصِلَةِ جناحنا من جهة تُرْجِع إلى حال، وسلاحٍ أو عدد بالمساعدة لنا وما يتَّفق من الرجال، ويتسهَّل من المال، لوقع الاستظهار به والقوة بمكانه، لبلغتُ المأمول، وأدركتُ السُّؤل، بعد أن لا يكون علينا طاعةٌ ملتزمة إلا لسيدنا ومولانا الإمام القائم بأمر الله، أمير المؤمنين — أطال الله بقاه، ونصر لواه دون من سواه من ولاة عهده وقائدي جنده.

وقد انهيت هذه الجملة التي أنا لابِسُها ومباشرها ومُمارسها، إلى حضرته — أدام الله علوها — لينعم أعلى الله شأنه بالوقوف عليها والإنعام بإنهائها إلى هذا المقام الأشرف النبويّ — نَوَّره الله وعَظَّمه — وتشريفي بالجواب الذي أدفع به عني صَدْمَةَ النوائب، وأكتشفُ بمكانه فورة الحوادث وأتقدَّمُ بشرفه في الأنام وأتيَمَّنُ بيمنه بين الخاص والعام.

وقد شافَهْتُ الشيخ الجليل أبا يَعْلَى ظافر بن علي الرحبيِّ — أدام الله تأييده، وسلمه لما يريده، بعالي حضرته وعند المنزلة بسامي مدته — لمشاهدته بهذا المكان ما شاهده من مخالصتي وحسن طاعتي ولرأيه — دام عالياً — في استماعه واستيفاء تشريفي بالجواب عنه، بما يَهُزُّ عِطْفِيَّ ويرفع طَرْفِي واستنجادي بالأوامر النامية، والمراسم العالية التي

أنتهي إليها وأبتهج بالسعي فيها من يد القدرة .والجلال إن شاء الله تعالى .

وقد تَجَدَّدَ بعد الفراغ من الخِدمة ما أُنْهِيْهِ على وجه الاختصار ، وذلك أنَّ الملعون أبن سنبر ــ خذله الله ــ جمع رجاله وحفدته وأشياعَهُ وفرقَتَهُ في العدد الكثير والجم الغفير وشحن بهم الدوانيق والمراكب ، وسار بهم يريد قتالي وهلاك رجالي ، فاستقبلتهم بجيوش الله ذوي الدين ، وصِحَّة اليقين ، وهجَمَتْ عليهم في البحر فقتلت منهم أكثرهم ، وغرَّقَتْ أوفرهم وغَنِم الأصحابُ ــ نصرهم الله ــ ما كان عندهم من عُدَّةٍ وسلاح وخيل ، وأفلتَ هُوَ من تَحْتِ القبضة هارباً بنفسه ، وأتى القتلُ والأسر على وجوه جُنْده ورؤساء رجاله ــ لعنهم الله ــ[٢٢] .

وطالعت بذلك لِيَنْعمَ بالوقوف عليه ، ويُرَى بصائب الرأي العالي إمدادي بما أُسِيْرُ به وبقوته إلى الأحساء بمشيئة الله .

وهو حسبي ونعم الوكيل وصلواته على خير خلقه محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

انتهى نصٌّ ما في الشرح المذكور .

إمارة آل عَيَّـاش[٢٣] :

ليس لدى الباحث في تاريخ جزيرة أوال من المصادر العربية المعروفة ما يفصِّل أحوال إمارة بني الزجَّاج ، ويوضح أسباب زوالها سوى ما ورد في «شرح ديوان بن المُقَرَّب» أو ما نقل عن ذلك الشرح ، ومنه ما جاء في تاريخ محمد بن حمد بن لعبون من قوله :

وكانت اليمن قد شركت القرامطة في الأمر عند ضعفهم ، وهلاك خلق كثير من ربيعة ، بعثتهم القرامطة إلى أوال لينتزعوا الملك من أبي البهلول العوَّام بن محمد بن يوسف بن الزجاج أحد عبد القيس ، وكان قد غلب القرامطة عليها ، وخُطب له فيها بالإمارة[٢٤] .

وقال أيضاً :[٢٥] وأما أوال فانتزعها يحيي بن عياش . وصارت إلى زكريّا بن يحيي ، وكان حين قُتل أخوه الحسن بن يحيي جهز جيشاً إلى الأحساء فلما بلغ قرية من سوادها تسمى ناظرة أتى الصريخ عبدالله بن علي بجنوده[٢٦] ، فالتقوا هناك ، فهُزِمَتْ سرية زكريا ، ونُهبت أمتعته ورجاله ، وانهزم ، واتبعه عبدالله في الف فارس أو أكثر

حتى بلغ القطيف فلم يطمع زكريا أن القطيف تمنعه ، فعبر إلى جزيرة أوال ، فأتبعه الفضل بن عبدالله ، وقاتله بمن معه ، حتى قتل الأمير فضلُ العكروت ، أشجع أصحاب زكريا ، فانهزم زكريا وركب البحر ، وخرج منه إلى العُقَيْر ، واجتمع بقوم من البادية ، وجند جنودا من العرب ، وأغار بهم على القطيف ، فلقيه عند الله وحمل على جنوده فهزمها ، وقتل زكريا بن يحيي واستقر ملك البحرين جميعاً في يد عبدالله . انتهى .

وفي «شرح ديوان ابن المقرب» : لما كان العقدُ السادس من القرن الخامس ، ظهر الضعفُ في حكم القرامطة ، وكانت جزيرة أوال تحت ولاية القرامطة ، وكان أبو البهلول العوام بن محمد ابن يوسف بن الزجاج ضامناً لمكوسها ، فطمع في الاستبداد بها ، وأظهر العصيان ، وامتنع من أداء المكوس ، فأرسل القرامطة إلى قبائل عبد القيس ، وقالوا لهم : استرجعوا جزيرة أول من أبي بهلول ، وهي لكم دوننا ، فاجتمع جيش من عبد القيس ، ورئيسهم بشر بن مفلح ، فنزلوا في موضع من جزيرة أوال يسمى كسكوس ، وخرج أبو البهلول لقتالهم بجيشه ، والتقى الفريقان ، فكانت الهزيمة على جيش القرامطة ، فانهزموا .

وتم استيلاء أبي البهلول على جزيرة أوال ، وخطب له فيها بالإمارة ، وقوي أمره .

وخرج في القطيف يحيي بن العياش ، وطرد منها عمال القرامطة ، واستولى عليها ، وقويت شوكته ، وعجزت القرامطة عن استرجاع القطيف من ابن العياش .

ثم طمع في ضم جزيرة أوال إلى القطيف ، ولم يقدر له ذلك ، ولما مات خلفه ابنه زكريا ، فجهز جيشاً وسار به إلى أوال ، فظفر بأبي البهلول وقتله ، واستولى على جزيرة أوال ، فكانت القطيف وجزيرة أوال ملكاً لزكريا بن يحيي بن العياش .

وجاء في شرح ديوان ابن المقرب على قوله في القصيدة الميمية :

ولم يُنَجِّ ابنُ عيَّاشٍ بمهجمته ... يَمٌّ إذا ما رآه الناظر ارتسما
أَتَى مُغِيْراً فوافَى جَوَّ ناظِرةٍ ... فعايَنَ الْمَوْتَ مِنَّا دُون ما زعما

فَرَاحَ يُطْرُدُ طَرْدَ الوحش لَيسَ يَرَى   حَبْلَ السَّلاَمَةِ إلا السوط والقَدَما
فانصَاع نَحْوَ أوالٍ يَبتَغي عصما   إذ لم يَجِدْ في نواحي الْخَطِّ مُعتَصَما
فأقْتَحَم الْبَحْرَ مِنَّا خلفه مِلكٌ   ما زال مُذْ كان للأهوال مُقْتَحِما
فحاز ملك أوال بَعْدَ ما ترك العـ   ـكروت بالسَّيف للنبوغاء مُلْتَزِما
فصار ملكُ ابن عَيَّاش وملك أبي الـ   ـبهلول مَعْ مُلكِنَا عِقْداً لنا نُظِمَا

اليَمُّ البحر وارتسم كَبَّر ودعا قال الشاعر :

وصلى على ذاتها وارتسم ،

وناظره قرية من سواد الأحساء

والعكروت رجل من أهل أوال كانت فيه شجاعة

وابن عياش يعني زكريا بن يحيي بن عياش صاحب القطيف ، وكان أيضاً قد ملك جزيرة أوال بعد أخيه الحسن بن يحيي وكان أبوهما قد ملك جزيرة أوال قبلهما على أبي البهلول .

الحـواشي :

(١) بالإضافة إلى ما هو معروف ومنشور عن ابن المقرب ، وطبعات ديوانه ومخطوطاته الكثيرة ، فإن للدكتور علي بن عبد العزيز بن عبدالله الخُضَيري دراسة مُفَصَّلة نال عنها إجازة (الدكتوراه) من جامعة الإمام محمد بن سعود بعنوان (علي بن المقرَّب العيوني — حياته وشعره) .

(٢) ص ٥١٠/ ٥٣ ، ٥٤ طبع مكة المكرمة .

(٣) في هامش الأصل : (فكتب ابن عرهم صح) وفي المخطوطة الماجدية : (وكوتب القرامطة بالحال) .

(٤) في الأصل (هنية) .

(٥) كذا ولعل الصواب : (وتقسيط مال) .

(٦) كلمة غير واضحة .

(٧) في الأصل : (فليفكّر) .

(٨) بوزيدان : موضع لا يزال معروفاً الآن .

(٩) في المخطوطة الماجدية : (يطلب العون والمدد على القرامطة ، ليصير إليه ملك البحرين ، ويزيل دولة القرامطة ويقيم الخطبة للدولة العباسية) .

(١٠) لم تذكر السنة في الأصل .

(١١) كذا والصواب حذف كلمة (مَعَ) .

(١٢) كذا وردت الكلمة (المتمرتجبة) .

نساء في القمة

— ٦ —

امرأة عفيفة تهلك عجوزاً وتقتل وزيراً

لما حمل العرب لواء الإسلام ، ودخلوا بلاد الشام ثم مصر ، طاردِيْنَ الرُّومَ من هذه وتلك ، ثم لم يقفوا بل ساروا إلى بُرْقَةَ ، ومنها بدأتْ جموعهم تعبر صحارَى شمال أفريقيا ، كأنهم الشمس المضيئة تفلُّ جحافل الظلام ، وجدوا هناك أولئك الروم لهم بالمرصاد .

وعلى صحراء أفريقيا استطاع الروم المهزومون في الشام ومصر ، أن يَثْأَرُوا لأنفسهم ، بقتل بعض قادة المسلمين العظام كعقبة بن نافع الذي عبر شمال أفريقيا مُنْدَفِعاً كالعاصفة ، لم يصدها سوى البحر المحيط ، فلَوَى عنانَ حصانه عائداً إلى مدينته

(١٣) كذا بدون نقط والمقصود الجانب وهو (الكتر) باللغة العامية ولها أصل بالفصحى .

(١٤) أنظر ج ٣ ص ١١٧٤ إلى ١١٨١ من كتاب «المنطقة الشرقية — البحرين قديماً» تأليف حمد الجاسر .

(١٥) وقد وقعت الحرب بين القرامطة وبين قوم ابن الزجاج في جزيرة (كسكوس) الواقعة بين الدمام وبين جزيرة أوال (البحرين) . وانظر عنها كتاب «المنطقة الشرقية» رسم جزيرة كسكوس .

(١٦) مع وضوح المعنى كلمة (نزلت) غير واضحة .

(١٧) الكلام غير واضح .

(١٨) كذا والصواب (الكفر الصراح) .

(١٩) كلمة (يتسلى) كذا وردت في الأصل وهي غير صحيحة .

(٢٠) لم يتضح لي صواب كلمة (يتطول) .

(٢١) كلمة (المقام الاشرف) لا تتصل بما بعدها مما يدل على أنه سقط من الأصل صفحة كاملة إن لم يكن الساقط أكثر .

(٢٢) أنظر الحاشية رقم ١٥١ .

(٢٣) يرد هذا الاسم في كثير من المؤلفات (عباس) بالموحدة والسين المهملة .

(٢٤) ص ٥٣ .

(٢٥) ص ٥٣ .

(٢٦) كذا والصواب : (فاتبعهم عبدالله بجنوده) .

(القيروان) ، وحينئذ هاجمهُ الروم مع أعوانهم من أهل البلاد بغتة ، وقد تفرق عنه جيشه ، ولم يكن معه سوى عدد قليل من جنده ، فقتلوه .

ولما قادَ المسلمين بعده زُهَيْر بن قَيس تمكن الروم أيضاً من قتله ، حين نزلوا بجموعهم الكثيفة من أساطيلهم الكبيرة على برقة ، فجاء مع جنده مُنْجداً لأهلها ، فأحاط الروم بهم ، وأبادوهم قتلاً وأسْراً ، ثم رحلوا بأساطيلهم يحملون غنائمهم إلى (صِقِلِّيَة) آمنين .

ولم تجد الدولة بُداً حينئذ من إرسال أدهى قادتها ، وأمهر رجالها موسى بن نُصَيْر ، وفكر هذا البطل ودبَّر ، ــ والرأيُ قبل شجاعة الشجعان ــ فرأى أن البحر هو الذي يأتي بأولئك الأعداء من حيث لا يشعر بهم المسلمون ، فَسُفُنُهُمْ تشرِّق فيه وتُغرِّب آمنةً مطمئنة ، فإذا وجدتْ فرصةً انتهزتْها ، فأنزلت الجنودَ إلى البر ، فضربوا ما شاءوا ثم هربوا ، والساحل طويل ، وأهل البلاد إليهم مائلون ، فماذا فعل موسى ؟

لقد أمر ببناء دار صناعة في مدينة (تونس) ، وجر البحر إليها مسيرة اثني عشر ميلاً ، حتى أقحمه دار الصناعة ، ثم أمر بصناعة مئة مركب ، فلما تَمَّ له ذلك دعا جنوده إلى ركوب البحر فركبوه ، وأخذوا يطاردون سفنَ الأعداء ، التي فَرَّتْ من جزر البحر الأبيض المتوسط الذي أصبح بُحيرةً عربية بعد ذلك .

وحين أَمِنَ جانبَ البحر ، ولم يبق سوى البرّ أخذ يتقَدَّمُ بجنوده آمناً ، لقد ارتفع عَلَمُهُ على جبال تونس والجزائر والمغرب ، حتى البحر المحيط ، وأخذ يرنو ببصره إلى ما وراء البحر ، ورأى (أسبانيا) فوجه أسطوله بقيادة مولاه طارق بن زياد إليها ، ثم لحق به بنفسه ، فلما دانتْ له تلك البلاد تقدم إلى (فرنسا) ، فلما صعد جبال (البرانس) ورأى (أوربا) تحت قدميه صاح : لأعودنَّ إلى دمشق عن طريق القسطنطينية . لكن الخليفة الوليد بن عبد الملك استدعاه ليراه ، فلبّى الدعوة مسرعاً ، لكنه لَقِيَ في دمشق خليفة آخر ، ابتلي به المسلمون إذْ قتَلَ الفاتِحَ المقدامَ قُتَيْبَةَ بنَ مسلم ، وبطل السند محمد بنَ القاسم ، وعذَّب موسى بن نُصَيْر ، عذاباً شديداً ، وأرسل إلى الأندلس من قتل ولده عبد العزيز بن موسى الذي خلف أباه في قيادة جيوش (أسبانيا) وأساطيل بحار الغرب .

لقد رسم كاهن أوربيٌّ على جدران كنيسته موسى بن نصير بهيئة صيَّادٍ معه شبكتان يرمي إحداهما في البحر فيصيد ، ويرمي بالأخرى في البَرِّ فيصيد .

وجاءت الدولة العباسية ، وفترت العزائم عن الغزو والجهاد ، بعد إذ ملأ القوم قُصُورهم في بغداد بالجواري ، وغَضبَ أهل شمال أفريقيا ، وأنِفُوا من هذه الحال ، فانفصلوا عن الدولة العباسية ، وقامتْ على أرضهم دولة (الأغالبة) التي رفعتْ علم الجهاد ، فغزا جنودها (صقلية) ، واحتلُّوا أقساماً كبيرة منها .

ومن أعظم أمراء هذه الدولة إبرهيم بن الأغلب ، الذي كان يجلس للعدل في جامع القيروان ، يوم الخميس ويوم الاثنين ، فيسمع شكوى الخصوم ، ويصبر عليهم ، ويُنْصِف بينهم ، فأَمِنَ الناسُ إذْ بَنَى الحصون والمحارِس على الشواطىء ، حتى كانت النار توقد من (سَبْتَة) في أقصى المغرب فيصل الخبر إلى الاسكندرية في الليلة الواحدة .

عزم هذا الأمير على الحج . وعلم أنه إن جعل طريقهُ إلى مكة على مصر منعه صاحبها — ابنُ طولون الوالي العباسي — فتجْري بينهما حربٌ ، فَيُقْتَلُ المسلمون ، فجعل طريقه على جزيرة (صقلية) ليجمع بين الحج والجهاد ، فأخرج جميع ما ادخره من المال والسلاح ، وخرج وعليه فَرْوٌ مُرَقَّعٌ في زي الزهاد أول سنة تسع وثمانين ومائتين ، وركب الأسطول إلى (صقلية) . وندع أخباره في صقلية وانتصاراته على الروم وفتوحاته ، وقصة استشهاده لكتب التاريخ ، ونذكر من أخباره القصة التالية كما رواها ابن الأثير في كتابه «الكامل» :

كان له فطنة عظيمةٌ بإظهار خفايا العملات ، فمن ذلك أنَّ تاجِراً من أهل القيروان كانت له امرأة جميلة صالحة عفيفة فاتصل خبرها بوزير الأمير إبراهيم ، فأرسل إليها فلم تُجِبْهُ ، فاشتد غرامه بها ، وشكا حاله إلى عجوز كانت تغشاه — وكانتْ أيضاً لها من الأمير منزلة ومن والدته منزلة كبيرة ، وهي موصوفة عندهم بالصلاح يتبركون بها ، ويسألونها الدعاء — فقالت للوزير : أنا أَتَلَطَّفُ بها ، وأجمع بينكما ، وراحتْ إلى بيت المرأة ، فقرعت الباب وقالت : قد أصاب ثوبي نجاسةٌ أريد تطهيرها ، فخرجتِ المرأة

ولقيتها ورحَّبَتْ بها ، وأَدْخَلَتْها وطَهَّرَتْ ثوبها ، وقامتِ العجوز تُصَلِّي ، وعرضت المرأة عليها الطعام فقالت : إني صائمة ، ولا بُدَّ من التَّردُّدِ إليك ، ثم صارتْ تغشاها ، ثم قالت لها : عندي يتيمة أريد أن أحملها إلى زوجها ، فإنْ خَفَّ عليك إعارة حُلِيِّكِ أُجَمِّلُهَا به فَعَلْتِ ، فأحضرتْ جميع حُلِيِّها وسلمتْه إليها ، فأخذته العجوز وانصرفت ، وغابتْ أيَّاماً ، وجاءتْ إليها فقالت لها : أَيْنَ الْحَلِيُّ ؟ فقالت : هو عند الوزير عَبَرْت عليه وهو معي فأخذه مني . وقال : لا يُسَلِّمُهُ إلا إليك ، فتنازعتا ، وخرجت العجوز وجاء التَّاجِرَ زَوْج المرأةِ فأخبرتْهُ الخبر ، فحضر دارَ الأمير إبراهيم وأخبره بِالْخَبَر ، فدخل الأمير إلى والدته ، وسألها عن العجوز فقالتْ : هي تَدْعُو لك فأَمَرَ بإِحْضَارِها لِيَتبرَّك بها ، فأحضَرَتْها والدتُه ، فلما رآها أكرمها وأقبل عليها ، وانبسط معها ، ثم إنه أخذ خاتَماً من أَصْبعِهَا وجعل يُقَلِّبُهُ ويعبث به ، ثم إنه أُحْضَرَ خَصِيًّا له وقال له : انطلق إلى بيتِ العجوز وقُلْ لابنتها تُسلِّمُ الْحُقَّ الذي فيه الحلِيُّ ، وصفته كذا وهو كذا وكذا ، وهذا الخاتَمُ علامةٌ منْها ، فمضى الخادم ، وأحضر الحُقَّ فقال للعجوز : ما هذا ؟! فلما رأتِ الحُقَّ سُقِطَ في يدها ، فقتلها ودفنها في الدار ، وأعطى الحقَّ لصاحبه وأضاف إليه شيئاً آخر ، وقال له : أما الوزير فإن انتقمتُ منه الآن ينكشف الأمر ، ولكن سأجعل له ذنباً آخذه به فتركه مدة يسيرة ، وجعل له جُرْماً آخَذَه به فقتله .

رحم الله المجاهد الشهيد إبراهيم بن الأغلب .

وسلام على المرأة العفيفة الصالحة ، التي ولدت هي ومثيلاتها أبطال المغرب ، الذين قارعوا (أوربا) على مرِّ الزمن وما يزالون ،

ولله دَرُّ كُلِّ فتاة ترتفع بطهارة عرضها ونقاوة شرفها فوق مَتَاع الدنيا وزخرفها وزينتها ، وتحتقر كُلَّ فاسدٍ مُفْسد فيها عظم شأنه أو قل ، راجت بضاعته أَوْ خسرت تجارته ، كما فعلت تلكم المرأة الكريمة بهذا الوزير الخسيس .

الكويت : محمد علي العبد

مذكرات تاريخية

كتبها الشيخ محمد بن مانع (١٣٠٠/١٣٨٥)

(١)

[أطلعني الصديق الكريم الأستاذ أحمد بن الشيخ محمد بن مانع على دفتر صغير، سجل فيه والده بعض مذكراته، ومن بينها معلومات تأريخية، وقد نقلت جُلَّ ما دونه من المعلومات التاريخية في هذه الأوراق، ويظهر أنه سجل تلك المعلومات في أوقات مختلفة من سنة ١٣٢٩ وفيما بعدها كما يفهم من عبارة في أوله هي (شوال سنة ١٣٢٩ ملك لفَقِير رَبِّه، وأسير ذنبه محمد بن عبد العزيز بن نافع)، وأنه كان يسجل خبر كل حادثة عندما يبلغه ذلك، وقد يصحح بعض ما يكتب بإضافة كلمة أو حرف أو بِمَحْوٍ، وقد نقلتُ ما نقلتُ من ذلك حسبما جاء في كتابة الشيخ حرفاً بحرف.

ويلاحظ أن الشيخ رحمه الله لم يكتب الأخبار بحسب تسلسلها التاريخي، بل وضعها في ورقات من الدفتر غير متصلة، أما أنا فقد رتبت أهمها بترتيب السنين سوى:

١ — وفيات بعض العلماء والمشاهير التي وجدت الشيخ كتبها متصلة فأوردتها كما أوردها.

٢ — أخبار تتعلق بالشيخ نفسه، فقد أوردتها مفردة.

٣ — نبذة تاريخية نقلها عن جَدِّه الشيخ محمد بن عبدالله بن مانع عن آل سعود، فقد أوردتها منفصلة حسبما أوردها الشيخ ولم أُرَاعِ ترتيبَهَا الزمنيَّ، لأنها تشمل أخبارَ فترة من الزمن تمتد من سنة ١١١٥ تقريباً إلى سنة ١٢٥٠.

وقد حَذَفْتُ — بمشورة أخي الأستاذ أحمد بن الشيخ محمد بن مانع كلماتٍ وجُمَلاً لا تَتَّسِع لها صدور كل القراء، ولَوْ نشر الشيخ هذه المذكرات لحذفها وأبقيت عبارات الشيخ مع ما في بعضها من اللحن على ما هي عليه، ويظهر أنه كتب ما كتب على أمل

أن يعيد النظر فيه ليصححه فلم يتمَّ له ذلك .

وما سجله الشيخ من حوادث القرن الثالث عشر ذكره ابن عيسى في كتابيه «عقد الدرر» و «تاريخ بعض الحوادث الواقعية في نجد» وبمقارنة ما في هذه المذكرات على ما ذكر ابن عيسى يَتَّضِحُ بعض الاختلاف .

أما عن حوادث القرن الرابع عشر ، فيعتبر ما كتبه الشيخ ابن مانع من المصادر التي يُرجَعُ إليها ، لأنه سجل حوادث عاصرها] .

١٢٣٨ — في شعبان سنة ١٢٣٨ قتل يحيي بن سليم الجمعيَّ أميرَ عنيزة من قبل تركي بن عبدالله ، وسبب ذلك أنه لما خرجت العسكر من المدينة إلى نجد كان معهم رجل من أمراء أهل عنيزة الأقدمين الذين أبادهم سعود بن عبد العزيز ، وهم الرَّشيد ، واسم هذا الرجل عبدالله بن رشيد وكان في قصر الصفا عسكر ، وعبدالله بن رشيد يتردد عليهم فوشى به الجمعيُّ عندهم فقتلوه ، ثم إنه كان في عنيزة امرأة من نساء الرشيد فأتى إلى عنيزة رجل خالدي من بني خالد وتزوجها وجاءت منه ببنتين ، فتزوجت إحداهما وبقيت الأخرى وهي جميلة جداً فطلب الناس من أمها زواجها فأبتْ أن تزوجها إلا رجلاً يقتل الجمعي فقتله يحيي بن سليم ، وتزوج بالبنت وجاءت منه بالأمير عبدالله بن يحيي بن سُليم ، وببنتٍ تزوجها عبدالله بن سليمان بن محمد البسام ، وقيل في قتل الجمعي أنه يُدَاخِلُ العسكر ويودُّهم أشدَّ مِنْ وُدِّه لأهل بلده ، فقتله يحيي غيرةً وحِميَّةً ووطنيَّة ، وهو اللائق بالأحرار .

١٢٤٦ — يوم عَرْوَى من أيام عربان نجد ، وهو بين قبيلة عَنَزَة وقبيلة مطير ، وقد تصابر الفريقان ، وتجالد الشجعان أربعين يوماً وذلك في حدود سنة ١٢٤٦ .

١٢٤٦ — وفاة محمد البسام التي صارتْ تاريخاً عند أهل عنيزة سنة ١٢٤٦ .

١٢٥٧ — في سنة ١٢٥٧ وقعتْ محاربة بين أهل الجبل وأهل القصيم في موضع يقال له (بَقْعَا) ، صارت الهزيمة فيها على أهل القصيم ، وقتل من أهل عنيزة قريب من ٥٥ رجلاً ، وأهل بريدة كذلك ومن بقية أهل القصيم عدد كثير .

وممن قتل في هذه الوقعة بعد الأمان يَحيَى بن سُلَيم .

١٢٦١ — في سنة ١٢٦١ تجهز عُبَيْد بن رشيد غازياً على أهل عنيزة وأخذ غنمهم ، فخرجوا مع أميرهم عبدالله بن سُلَيْم ليستردوا الغنم ، فحصل بين الفريقين مقتلةٌ في مقطع الوادي ، ويعرف بالْغَرِيْس ، وذلك في ٥ رمضان وصارت الغلبة فيها على أهل عنيزة وقتل الأمير عبدالله وأخوه محمد .

وفيها تأمّر في عنيزة إبراهيم السُّلَيْم .

١٢٦١ — لما ولي إبراهيم السليم الإمارة سنة ١٢٦١ بعد قتل أخويه أقام فيها أميراً ، إلى سنة ١٢٦٣ فرفض الإمارة ، وحاول منه أهل عنيزة البقاء فيها فأباها ، فعزل نفسه ، واختار أهل عنيزة السُّحَيْمي أميراً عليهم فقبلها واستقام بها إلى سنة ١٢٦٥ .

وذلك أن الأمير عبدالله بن يحيي بن سليم والأمير زامل حَاولا قتله ، بدعوى أنه قتل عمها إبراهيم السُّلَيْم ، فأطلقا عليه مُزَنَّداً وكَبَتْ فلم تَمسَّهُ بسوء ، فذهب الرجلان إلى الإمام فيصل خوفا من السُّحَيْمي ، فجاء بهما الإمام فيصل إلى عنيزة ، وانهزم السحيمي إلى أعالي القصيم خوفاً من ابن سعود فدخل الأميران بلدهما ، وجعل الإمام فيصل أخاه جلويَّ بن تركي بن عبدالله أميراً في عنيزة ، وكان رجلاً فيه جراءة و(...) فأخرجه أهل عنيزة في شعبان سنة ١٦٢٩ ، وقصد بُريدة وأخذ يَشنُّ الغاراتِ على أهل عنيزة وأعلنت الحرب بينهم وبين ابن سعود إلى جمادى الأولى سنة ١٢٧٠ ثم صار الصلح بينهما على أن يخرج زامل ويحيي الصالح فخرجا ، وقصد الأولُ الرَسَّ والثاني حائل ، فلما رجع الإمام وسكنت الفتنة رجعا إلى بلادها .

١٢٧١ — في سنة ١٢٧١ وقع وباء عظيم في مكة . فرجع أهل القصيم قبل أن يحجُّوا الا زاملاً حيث أنه معه حجاج من العجم .

١٢٧٦ — في سنة ١٢٧٦ قتل أهلُ بريدة أميرَهُم ابْنَ عَدْوَانَ .

١٢٧٧ — في سنة ١٢٧٧ أغار عبدالله بن فيصل على العُجْمَان في رمضان ومعهم الحكر ، فقتل وهلك منهم خلق كثير في البحر ، تسمى سنة الطَّبْعة .

١٢٧٧ — وفيها أي سنة ١٢٧٧ في شوال نزل عبدالله بُريدة ففرَّ أميرها عبد العزيز بن محمد ، وأُناسٌ معه قاصدين الحجاز فلحقهم محمد بن فيصل بسرية فقتل عبد العزيز

ومن معه ، وهم ثلاثة عشر رجلاً .

١٢٨٧ — في سنة ١٢٨٧ في رمضان حصلت الوقعة العظيمة على المسلمين في أرض الحسا من سعود والعجمان ، وقتل من المسلمين خلق كثير وجمّ غفير[٢] (تعرف بِجُوْدَةَ ، وهي آبار تبعد عن الحساء ٦ ساعات) .

١٢٩١ — وفي سنة ١٢٩١ خرج جماعة من آل (أبو عليّان) من عُنَيْزَة وقصدوا بريدة بلدهم ، ودخلوها وقتلوا أميرها مهنا بن صالح أبا الخيل الذي اغتصب الإمارة منهم ، وذلك يوم الجمعة ، وهو خارج للصلاة ثم دخلوا في قصر الإمارة وتحصّنوا فيه فلما قَضَى الناسُ صلاتهم اجتمع أمراء بريدة إلا [آل] أبا الخيل ومعهم جماعة من أهل بريدة وحاصروا الذين في القصر ، يريدون إخراجهم منه وقَتْلَهُم ، فلم يقدروا على ذلك ، ثم إن الذين في القصر اجتمعوا في إحدى مقاصيره فجاء آل (أبا الخيل) ومن معهم فحفروا حفرة تحت المقصورة ، وجعلوا فيها بَارُوْداً ، ورموا عليه ناراً من بُعْدٍ ، فثار البارود ، وهدم المقصورة ، وأهلك من فيها إلا رجلاً واحداً أو رجلين كانا في جانب بعيد من محلّ البارود فنجوا (؟) .

١٣٠٨ — في سنة ١٣٠٨ يوم السبت ١٤ جمادى الآخرة حصلت الوقعة العظيمة على أهل القصيم من ابن رشيد أمير الجبل فقتل من أهل القصيم خلقٌ كثير ، وصارت الغلبة لابن رَشيدٍ ، وممن قتل أميرٌ عنيزة ، زامل بن عبدالله بن سُلَيم ، وخالد بن عبدالله بن يحيي بن سُلَيْم ، وعلي بن زامل . وأُخذ أميرُ بُرَيدة حسنُ بن مهنّا أسيراً عند ابن رشيدٍ إلى أن مات في السجن .

١٣٠٩ — وقعة حُرَيْمِلَا بين محمد بن عبدالله بن رشيد وعبد الرحمن بن فيصل ، وصارت الغلبة للأول وذلك في سنة ١٣٠٩ .

١٣١٨ — في سنة ١٣١٨ خرج مبارك بن صباح أمير الكويت إلى نجد غازياً ابْنَ رشيد ومعه أمراء نجد الذين هربوا منه خوفاً من ابن رشيد لما استولى على بلادهم سنة ١٣٠٨ — أي سنة غَزْوَةِ الْمُلَيْدَا —

وسبب ذلك أنَّ ابنَ صباح مباركٌ[٣] لما قتل أخويه محمد وجرّاح سنة ١٣١٣ انهزم

أولادهما إلى يوسف بن إبراهيم من أهالي الكويت وهو خالُ أولاد محمد . وكانا[٤] (؟) في البَرِّ للعيد ، وهو من أكبر التجار ، بل آل إبراهيم أكبر تجار العرب على الإطلاق ، فلما وصلوا إليه وأخبروه بما حدث خاف على نفسه ، وهرب هو ومن معه إلى الزُّبَيْر والبصرة ، وحاول الإنتقام من مبارك وعمل أموراً وأسباباً لذلك فلم ينجح بأعماله ، ولم يَرَ من الحيلة إلا أن يخرج إلى ابْنِ رَشِيْدٍ في نجد ، ويفسد ما بينه وبين ابن صباح من الصُّحْبَة ، فخرج إليها[٥] ، وأسس العداوة بين هذين الأميرين ، فخاف ابنُ صباح على نفسه ، وخرج ليناجز ابْنَ رشيدٍ ويَسْلم من شرِّ ابْنِ إبراهيم : فلما وصل إلى نجد تفرق أمراؤها إلى بلادهم ، فابن سعود دخل العارض ، وآل سُلَيْم دخلوا عنيزة ، وآل مُهَنَّا دخلوا بُريدة وقد خَاف أهلُ نجد من ابن صباح خوفاً شديداً لما معه من كثرة الجنود . فمن معه سعدون أمير المُنْتَفِق ، ومعه غزو كثير ، وأَبْدَا بسالةً في هذه الغزوة هي اللائقة بمثله من الأشراف ، ومعه مُطَيْر والعجمان والْمُرَّة وغيرهم .

فلما وصل القصيم ورأى أمراءه دخلوا بلادهم بدون قتال ، وابن رشيد بعيد عنه ظنَّ أنه استولى على نجد ، وأنَّ حياد ابن رشيد عنه خوفاً منه ، أَذِنَ لمن أراد الرجوع من قومه إلى أهله أن يرجع ، فرجع بعض البدو فقط ، ثم إنه نزل في موضع يقال له (الطَّرْفِيَّة) من أرض القصيم فجاءه ابنُ رشيدٍ في ٢٧ ذي القعدة سنة ١٣١٨ فدارت رحى الحرب بين الفريقين وحمي الوطيس وتجالدت الأبطال فانهزم ابنُ صباح ومن معه شرَّ هزيمة وكان أهل عنيزة حاضرين في هذه الوقعة ، فإنهم تأخَّروا في الخروج من بلدهم ، فلما خرجوا وقربوا من مكان المحاربة بحيث أنهم يسمعون الرَّمْيَ لقيهم من لقيهم من المنهزمين ، وكانوا قد صَلَّوا صلاة العصر . فأخبرهم بأن أصحابهم قَدْ هُزِمُوا ، فانقلبُوا راجعين ، لا يلوي أحَدٌ منهم على أحدٍ ، ثم إنهم حاولوا الإقامة في بلدهم والمحاصرة فيها إن جاءهم ابن رشيد ، فلم يسعفهم أهل البلد ، وخاصَّة آلُ بسام ، فإنهم مع ابن رشيد قَلْباً وقالباً ، فخرجوا من بلادهم في اليوم التَّالي خائفين ، مُتَرَقِّبينَ لأنْ يُرْسِلَ ابنُ رشيد في طلبهم من يأتيه بهم أو يقتلهم ، فنجواوقصدواوالكويت ، ولحقوا ابن صباح في موضع يقال له (قبة)[٦] ماء من أمواه نجد ، فخافهم لما رآهم ظنَّ أنَّ ابنَ رشيد مُرْسِلٌ في طلبه ، فآل الأمر إلى أن عرف بعضهم بعضاً ، وقصدوا الكويت جميعاً ، ومعهم

أمراء بريدة .

وكان عبد العزيز بن سعود في العارض ولما بلغه انكسار ابن صباح هرب هو من معه إلى الكويت ، أما جنود ابن صباح فإنهم تفرقوا شذراً مَذَراً ، فمنهم من هرب مع الأعراب ، ومنهم من قصد القصيم ، وتفرقوا في عنيزة وبريدة ، وأرسل ابن رشيد في طلبهم سرايا ، وأمرها بقتل من وجدتْ من جنود ابن صباح ، أما من دخل بريدة فإنه قُتِل حتى أنه أُخرج من الجامع خمسون رجلاً كانوا داخلين فيه ليأمنوا ، فقتلوا عن آخرِهم صَبْراً ، وأما الذين دخلوا عنيزة وهم قريب من أربع مئة رجل أكثرهم من أهل الكويت وقليل منهم من الأعراب ، فإنهم سلموا جميعهم من القتل ، حيث أن أهل عنيزة أبْدُوا من الشفقة والرحمة لهاؤلاء المساكين ما لم يعلم به إلا الله ، فإنهم أخفوهم ، وكل من رأى أحداً من هاؤلاء المنهزمين أدخله بيته ولم يعلم به أحد .

وجعلوا يطوفون بالأسواق يتطلبونهم ، ليخلصوهم من القتل ، تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى بذلك ، حتى إنه يجتمع في بيت الرجل الواحد من الثلاثة إلى العشرين ، ثم إنّه لمَّا هانتِ الفتنة وظن ابنُ رشيدٍ أنه لم يبقَ أحدٌ إلا قُتِل أو انْهزَمَ ، أخذ أهل عنيزة يجهزون مَنْ عِنْدَهم ، ويرسلونهم إلى الكويت ، فمقتدر الحال يجهز من عنده بنفسه ، فيشتري لهم الإبل ، ويزودهم ويرسلهم ، والفقير يتديَّنُ حتى يُجَهِّزَ مَنْ عِنده ، وهذه فضيلةٌ لأهل هذه البلد ، لم يسبقهم إليها غيرهم ، ولم يقتل في بلدهم رجل واحد ، وإنما قُتِل رجلانِ أو ثلاثة خارج البلد ، وجدهم أعوان ابنِ رشيد قبل أن يدخلوا البلد فقتلوهم في موضع قريباً (؟) من البلد يسمى غبنة ، ومع هذه الأفعال كلها ومخاطرة أهل عنيزة بأنفسهم وأموالهم وتعريضهم بأنفسهم للهلاك لم يَرَ لهم أهلُ الكويت حقهم فإن الرجل من أهل عنيزة يأتي إلى الكويت ويراه من كان عنده فكأنه لم يعرفه أو يعرف بلده ، وهذه لآمة ما فوقها لآمة مع أن أهل عنيزة لم يأتوا الكويت ليجازيهم أهل الكويت عما أسدوه إليهم من الجميل ، فإنهم لا يطلبون الجزاء إلا من الله ، ولكن المجازاة من واجبات الإنسانية على المقتدر ، وإتيانهم إلى الكويت للتجارة والبيع والشراء كغيرهم من أهل نجد .

ثم إن ابن صباح لما وصل الكويت هو وأمراء نجد ، وبلغهم ما فعله ابنُ رشيد من

ظلم أهل نجد واضطهاده إياهم علموا أن الأمر ينعكس عليه ، وأن الدائرات تدور .

١٣١٩ — ثم دخلت سنة ١٣١٩ — وفيها خرج عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود من الكويت ومعه ثلاثون رجلاً ، وقصد العارض لطلب الاستيلاء عليه ، وكان فيه أمير من قبل ابن رشيد يسمى عجلان ، وكان قد تزوج فيه ، فلما قرب ابن سعود من العارض نزل وأبقى ركابه وبعض قومه خارج البلد بعيدين عنها ، وأوصاهم بأنه إذا قرب الظهر ولم يأتكم منا أحدٌ فارجعوا من حيث جئتُم فإنَّنا مقتولون ، وذهب هو وأخوه محمد وعشرة أو أقل معهم من أتباعهم فدخلوا البلد ليلاً ، ولم يشعر بهم أحدٌ ، وقصدوا بيت امْرأة عجلان وكانت تعرفهم حيث أنها من أهل بلدهم ومن أقربائهم ، وكان عجلان ينام بالليل في القصر ، ويأْتي إذا طلعت الشمس إلى أهله ، فقصد ابن سعود أنْ يترقب مجيئه في البيت ويفتك به ، فجاء إلى بيت رجل من المحبين لآل سعود وقرعه ليلاً ، فأطلَّ عليهم صاحبُ البيت ، وكان مجاوراً لبيت عجلان فقال : من بالباب ؟ فقال : أنا عبد العزيز بن عبد الرحمن . ففتح له الباب ودخل ومن معه ، وتستّروا على بيت عجلان ، فوجدوا فيه امرأته ، وامرأتين أخريين معها فسألوها عن مجيء عجلان إليها فأخبرتهم بذلك .

ثم أمر عبد العزيز بعض من معه أن يحافظوا على النساء عن الخروج أو الكلام ، وجلسوا ينتظرون مجيء عجلان ، فلما طلعت الشمس فتح بابُ القصر ، وأُخرجت منه الخيل ، وربطتْ قريباً من بابه ، ثم خرج عجلان وجلس قليلاً عند باب القصر ، ثم قام وجعل يطوف على الخيل ويمسح ظهورها بيده ، وعبد العزيز ابن سعود ومن معه ينظرون إليه ، حيث أنَّ البيت مقابلاً (؟) للقصر ، فلما رأوا عجلان تأخر عن مجيئه للبيت خرجوا إليه مسرعين ، وأطلقت عليه الطلقات منهم فلم يصبه منها شيء ، ففرَّ هارباً إلى جهة القصر. وجَدُّوا في طلبه ، وكان باب القصر قد أُغْلِقَ وفتح في وسطه خَوْخَة فلما أقبل عليها عجلان ، وأدخل رأسه منها وإذا بهم قد مسكوا رجليه وقتلوه بالرصاص والسيوف ، وأخرجوه من باب الخوخةِ ، ودخلوا منها ففتحوا الباب ، وتحصن الذين كانوا بالقصر من أتباع عجلان ، في مقاصِير كانت فيه ، وهموا بالمدافعة عن أنفسهم ، فلما علموا أنهم مغلوبون طلبوا الأمان لأنفسهم من ابن سعود فأمَّنَهُمْ ونزلوا إليه وسلموا

له جميع ما في القصر من الخيل والسلاح والأموال ، وذلك في خامس شوال من هذه السنة — أي سنة ١٣١٩ — .

ثم جهز من كان منهم من أهل حائل وساروا إلى ابن رشيد ، ثم جمع ابن سعود أهل العارض وعاهدوه على السمع والطاعة فأمرهم حالاً أن يشتغلوا بإنشاء سور للبلد حصين ، فامتثلوا أمره ، وأنشأوا السور بجدٍّ واجتهاد ، وأتمّوه على أحسن ما يرام .

فلما بلغ ابن رشيد ما فعله ابن سعود قال لمن عنده من كبراء قومه : إنا نريد أن نُمْهلَهُ يفعل ما يشاء ، وهو في قبضتنا متى أردناه ! !

١٣٢٢ — في ٥ محرم افتتاح سنة ١٣٢٢ سطا آل سُلَيْم في عنيزة ومعهم ابن سعود ، وأَهْل بُرَيْدَة ، مع أميرهم صالح بن حسن بن مهنا . أما ابن سعود فنزل بقومه الجُهَيْميَّة ولم يدخل البلد . وأما صالح بن حسن فدخل هو وأهل بُريدة مع آل سُلَيْم في عُنيزة ولم يبالوا بممانعة البسَّام ومن معهم ، فدخلوا قهراً مع الباب الجنوبي المعروف بالتِّتْقَة . ولم يقفوا إلا في المجلس — أي وسط البلد — وأما أعداؤهم ومن معهم فلما رأوا ما حل بهم تفرقوا شذراً مذراً ، ولم يبق منهم أحد متبيِّناً إلا محمد العبدالله البراهيم المعروف بالعِبْدي ، فإنه أخذ يناوش السَّاطِيْن الطلقات ، وهو في بيته ، وعنده رجال من أهل حايل ، وآخر أمرهم أنهم تفرقوا كأصحابهم ، ولما استولوا على البلد وتفرق آل بسَّام ، وانهزم أمراؤها من قبل ابن رشيد وهم آل يحيي الصالح وقُتِل معتمد ابن رشيد فيها وهو فهيد السَّبهان ، خرج رجل من رعاة الغنم وأخبر ابن سعود بأن ماجد بن حمود الْعُبَيْد في الجهة القبلية من البلد ، فعليك به ، فقام عبد العزيز بن سعود بقومه وأغاروا على ماجدٍ ومن معه ، فانهزموا وغنم منهم غنائم ، وتأمر في عنيزة عبد العزيز بن عبدالله آل سُلَيْم .

١٣٢٢ — في المحرم سنة ١٣٢٢ أخذ ابن سعود أهل الحل والعقد من البَسَّام خوفاً منهم ، وأرسلهم إلى العارض ، واستقاموا عنده مدة ، ثم أذن لهم بالذهاب فتوجهوا إلى العراق ، واستوطن بعضهم بلد الزُّبَيْر ، وبعضهم أذن له بالرجوع إلى نجد . كان سبب إطلاقهم ا نه(٧) (...) الشيخ المرحوم قاسم الثاني (.....) فتوجهوا إلى قطر(٨) ثم

إلى البحرين ، ثم إلى البصرة ، ثم تفرقوا في العراق وغيره .

١٣٢٢ — في سنة ١٣٢٢ أقبل شعيب البُوَيْطن ليلاً على عُنَيْزَة ، ولم يشعر به أهلها بل جاءهم بغتةً ، فلما قرب من البلد ، وإذا بعبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود نازلٌ بقومه في الجهَيمية ، فلما رآه مقبلاً على البلد كالسَّبع الكاسر أرسل خيلاً تُنبِّه أهل البلد فصاحت بالأسواق (السَّيْل جاكم) فانتبه به أهل البلد ، فلم يقدروا على صرفه عنهم ، فسلموا أمرهم إلى الله ، واشتغوا بإخراج غالي أموالهم من بيوتهم ، ونزلوا خارج البلد ، فضرهم هذا السيل ضرراً عظيماً ، وانهدم بسببه ثلاث مئة وستون بيتاً (؟) ولم ينزل عليهم في تلك الليلة مطر من السماء فسبحان الله .

١٣٢٢ — وفي سنة ١٣٢٢ أقبل عبد العزيز بن متعب من العراق ، ومعه عسكر كثير ، وجَمٌّ غفير ، وقصده أن يهلك القصيم وأهله ، كما كان يُحَدِّث قومه بذلك ، والله لا يصلح عمل المفسدين ، فإن الله تعالى خذله وخذل قومه ، وجعلهم كأمس الدابر ، فإنه لما وصل إلى (قُصَيْبا) بلغه أن سَرِيَّته التي في بريدة قد خرجتْ ، فاغتَمَّ لذلك اغتماماً شديداً ، حيث أن ابن سعود استولى عليها ثم إنَّ الله سبحانه وتعالى أنزل عليهم الوباء العظيم ، فكلُّ يوم يموت منهم خلق كثير ، والله على ذلك قدير ، ثم إنه ارْتحلَ ونَزَلَ (الْبكَيريَّة) فحصلت الواقعة المشهورة بينه وبين ابن سعود ، وكان أهل القصيم مع ابن سعود ، وذلك يوم الخميس غرة ربيع الثاني من هذه السنة ، فجمع ابنُ رشيدٍ عساكِره ، وأكثر جموع قومه ، وجعلها في مقابلة ابن سعود ، عِلْماً منه أنه إذا انهزم انهزم بقية قومه ، فانهزم ابن سعود لما نزل به ، ومن التوفيق أن أهل القصيم لم يعلموا بهزيمته ، فثابروا على الحرب ، وهزموا الذين تجاههم ، ثم إنهم لن يلبثوا قليلاً إلا والرمي يسمعونه من خلفهم ، وإذا هو ابن رشيد ومن معه قد هزموا ابن سعود وجدُّوا في طلبه ، فتلقَّاهم أهل القصيم وحمي الوطيس بينهم ، وانهزم ابنُ رشيد ، ونصر الله أهل القصيم ، وقُتل في هذه الوقعة جماعة من رؤساء حايل وأمرائهم .

١٣٢٢ — في رجب سنة ١٣٢٢ صارت الوقعة الهائلة بين ابن سعود وأهل القصيم ، وبين ابن رشيد ومن معه من عساكر الأتراك وشمَّر وغيرهم ، في موضع يقال له : (قصر ابن بطَّاح) من أرض القصيم ، فانتصر ابن سعود وقومُه ، وانكسر ابنُ

رشيد ومن معه وقُتِل منهم خلق كثير لا سيَّما العساكر ، وغنم منهم ابن سعود ومن معه أموالاً عظيمة ، وحصل ضررٌ وتلفٌ على شمَّر لم يُعْهَدْ مثله .

وهذه هي الوقعة الثانية من الوقعات الكبار بين ابن سعود وابن رشيد والأولى وقعة البكيرية ، والثالثة وقعة (روضة مُهنَّا) وفيها قتل ابن رشيد عبد العزيز المتعب وتأمر في حائل متعب ابنه أشهراً ، ثم قتله خاله سلطان بن حمود العبيد ، وتولى الإمارة أشهراً قليلة ، ثم قام عليه أخوه...(٩) فقتله وتولى الإمارة مقدار سنة ثم جاء ...(٩) سبهان فقتله ، وتولى الإمارة أياماً ثم مات وتولى الإمارة زامل بن سالم السبهان وهو الآن الأمير حقيقة وسعود بن عبد العزيز بن رشيد مَجَازاً ، وقد حررت هذه الكلمات في ٢٢ شوال سنة ١٣٢٩ في عنيزة .

وفي هذه الأيام بلغنا عن الشريف حسين مَنَع أهل نجد من القدوم على مكة وحج البيت الحرام .

١٣٢٤ ــ في ١٧ من شهر صفر سنة ١٣٢٤ ــ سار عبد العزيز بن سعود من موضع يعرف بِمَجْمَع البِطْنان ، قرب القصيم ، ومعه غزو كثير من أهل العارض والوشم وسدير والقصيم ، عادياً على عبد العزيز بن رشيد وقومه . وكان معه قوم كثيرون من أهل حائل وشَمَّر وغيرهم ، فَبَيَّتَهُم ابن سعود لَيْلاً وهم في موضع يعرف بروضة مُهَنَّا من أرض القصيم ، فثارتْ بينهم الحربُ العوان ، وصار النَّصْرُ لابن سعود وقومه ، فانهزم أهل حايل ومن معهم ، وقُتِلَ عبد العزيز بن رشيد ، وقطع السُّفَهاءُ رأسه حنَقاً وغَيظاً وكراهية له ، ولم يَرْضَ بهذا التمثيل الأمراء والعقلاء ، وطيف برأسه في أسواق عُنَيْزَة وبريدة ، وبعد ذلك قيل : إنه دفن في عنيزة والله أعلم .

وقد جاء تاريخ هذه الوقعة في بيت نظمه بعض العوام بقوله :

في سبع عشرين من صَفَرْ : (غَمٌّ جلاه ما جَرَى) .

١٣٢٤ ــ في سنة ١٣٢٤ أَخَذَ عبد العزيز بن سعود صالح بن حسن بن مهنا وأخويه عبد الرحمن وعبد العزيز من بلدهم بريدة ، وأرسلهم إلى العارض وحبسهم فيه ، وسبب ذلك أن أمير بريدة صالح بن حسن حصل منه أمور توجب عزله من

الإمارة ، منها — على ما هو المشهور — أنه يريد أن يحتمي بالدولة عن ابن سعود وأن يكونَ تابعاً لها ، ومنها أنه أخذ يجاري ابن سعود في الضيافة وإعطاء أمراء العربان فحنق عليه عبد العزيز بن سعود ، وأخذُهُ بَعْدَ طلب ومعاهدة من أهل بريدة ، فإنهم أيضاً قدْ مَلُّوا إمارته إلا قليلاً منهم ، ونصب فيها أميراً محمد بن عبدالله ابا الخيل ، فلما استوى على كرسي الإمارة أَغْوتْه نفسه ، وصالح سلطان بن حمود العُبَيْد سنة ١٣٢٦ وعادى ابن سعود ، فتأهب هو وأهل حايل لمحاربة بن سعود ، فحصل بينهم عدة وقائع منها : وَقْعَةُ الصباخ . وهو نخل بريدة (؟) ، وكان النصر حليف بن سعود ومن معه من أهل القصيم ومنها هجوم أهل بريدة وأهل حايل على ابن سعود ومن معه في الطرفية فتنبه بهم أهل العارض وأهل عنيزة بعد أن أطلقوا عليهم الرصاص فثبتوا لهم ، وقتل من أهل عنيزة ستة رجال ومن أهل حائل ، وهم الذين تجاه أهل عنيزة قتل خلق كثير ، ودارت رحَى الحربِ بينهم حتى انهزم الهاجمون وانكسروا .

ثم إن أهل بريدة ملُّوا من أميرهم محمد بن عبدالله لما نالهم من الضرر بسببه ، إذْ هو المسبّب لنهب ١٧ خبًّا من خبوب بريدة نهبتها جنود ابن سعود بأمره ، فصار أهلها عالةً بعد أن كانوا أغنياء ، فكاتبوا عبد العزيز بن سعود وذلك سنة ١٣٢٧ وواعدوه أن يأتيهم ليلاً ويفتحوا له باباً من أبواب البلد وعيَّنوا له الباب الذي يأتي منه ، فلما جنَّ الظلام جاءهم ودخل البلد وحصر أميرها محمد بن عبدالله بن مهنا ، فآل أمره إلى التسليم مؤَمَّناً على سلاحه وماله ، فرضي بذلك ابنُ سعود ، ووفى له بذلك ، فخرج من القصر وقصد العراق — أي سوق الشيوخ — فلم يطلب له المقام ، وضاقت عليه المعيشة والقوت الضروري ، فتوجه إلى الكويت ، ثم منه إلى البصرة فبغداد ، ثم سار إلى مصر واشتغل بتجارة الإبل مع عُقَيْل ، وهم أهل نجد الذين هناك .

أما صالح بن حسن فإنه حاول الخروج من السجن في العارض فلم يتمكن على ذلك إلا بقتل السجان فقتله ، وخرج هو وأخوه عبد الرحمن وعبد العزيز ، فلم يهتدوا لطريق يعرفونه فافترق هو وأخواه وكلٌّ أخذ جِهَةً غير جهة الآخر ، فوافقهم محمد بن عبد الرحمن بن فيصل وردّهم إلى العارض فأودعهم السجن ، وكان الذي وافق محمد بن سعود عبد الرحمن وعبد العزيز ، وأما صالح فإنه قتل في مَفَرِّه ذلك ، قيل : قتله ابن

سعود قصاصاً وقيل غير ذلك والله أعلم بحقيقة الحال .

ثم إن ابن سعود أفْرَجَ عن عبد الرحمن وعبد العزيز وخيرَّهم (؟) بين الإقامة عنده في العارض والمسير إلى بلدهم بريدة فاختاروا المسير إلى بريدة ، ثم قتل عبد العزيز وسار عبد الرحمن إلى العراق .

١٣٢٤ — في غرة شوال سنة ١٣٢٤ ولي قضاء عنيزة الشيخ صالح بن عثمان القاضي ، بطلب واختيار من أهلها واستمر قاضياً إلى أن مات سنة ١٣٥٠ فتولى القضاء بعده عمي إلى وفاته سنة ١٣٦٠ وكان فيها قاضياً قبله [يعني الشيخ صالحاً] الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر من أهل بريدة[١٢] ، ومدة إقامته فيها قاضياً سبع سنين . وكان القاضي بدله عبدالله بن عايض ، ومدة إقامته قاضياً أيضاً سبع سنين ، كما أفادني بذلك الشيخ صالح العثمان القاضي مشافهة في عنيزة سنة ١٣٢٩ .

١٣٢٧ — في الساعة الثانية من ليلة النصف من جمادى الثانية سنة ١٣٢٧ جاءتنا ريحٌ غربيَّةٌ في بغداد ، تحمل قناطير مقنطرة من التراب الأحمر ، فأظلم الجوُّ ، وغاب القمر إلى الساعة الرابعة من تلك الليلة ، واعترى الناس خوف شديد ، لما رأوه من عظم تلك الريح الهائلة التي ما شوهد مثلها منذ أمدٍ بعيد ، ومن الغرائب العجائب أنَّ المنجمين أشاعوا أنه في ١٤ من الشهر المذكور سيظهر نَجْمٌ من المشرق له ذَنَبٌ ممتَدٌّ ، وأنه يَصْطدِمُ مع الأرض فيهلك العالم بأسره ، فلما رأى ضعفاء العقول تلك الريح المزعجة جزموا بأن ما قيل من تلك التُّرهات قد وقع فصيَّحوا بالدُّعاء والنِّداء . فلا تسمع من شيعي إلا : يا علي يا أمير المؤمنين ، يا صاحب الزمان ، ولا من سنِّي إلا : يا عبد القادر يا حامي بغداد . وبعض أهل السنة — وهم الموحدون المكذِّبون بما يقوله المنجمون — يقول قائلهم : اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها رِيْحاً يا قريب الفرج ، يا الله ! !

١٣٢٧ — في سنة ١٣٢٧ قتل ابنُ سعود الشيخ عبدالله بن عمرو ، وكان رجلاً مبغضاً لأهل العارض ، ويستطيل على مشايخهم بالذم ، وعلى أمرائهم وله ردٌّ على عبدالله بن عبد اللطيف وأهل العارض ، غالبة خطا ، وهذا الرجل له اسم كبير ،

وشهرة عظيمة عند أهل بريدة في العلم والزهد ، وقد رأيته في بغداد قبل قتله بأشهر ، وبحثت معه في مواضع علمية فوجدت الرجل جاهلاً صِرْفاً جَدليًّا عِنَادِياًيذمّ العلماء والأشراف الذين يميلون إلى طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مع أن عقيدته كعقيدتهم ، ولكن كراهةً لعلماء عصره .

وكيفية وقوعه في مخالب ابن سعود أنه لما توجه من بغداد وكان مجيئه إليها من الشام قصد الكويت ، ثم ظهر إلى نجد ، فلما قرب من بريدة علم بمجيئه عبدالله بن جَلَوِيّ بن تركي بن سعود ، وكان بها أميراً من قبل ابن عمه عبد العزيز ابن سعود ، وكان عبد العزيز قد أمره بالقبض عليه ، فأرسل رجالاً يتلقّوْنه قبل أن يصل البلد ، فأدركوه في الشِّمَاسِيّة من أعمال بريدة ، واختفى في أحد بيوتها ، فتتبعوا أثره حتى وجدوه ، وأرسله ابن جَلَوِي إلى العارض فقتل هناك ، واختلف في سبب قتله فقيل : سياسة ، فإنه رجل داعية إلى إثارة الفتن وتشويش الأفكار ، وقيل : دِيْناً ، فإنه داعية إلى البدعة ، ويعتقد أن أهل العارض ومن وافقهم خوارج ويَدْعُو إلى هذا القول وأمثاله ، وكان قد شقّ عَصَا طُلّاب العلوم في بريدة حتى صاروا حزبين كل حزب يقذف الآخر ويرميه بما هو منه بَرِيءٌ . وكل ذلك معاداة للشيخ محمد بن سَلِيْمٍ رحمة الله تعالى عليه .

(للموضــوع صلـة)

---

(١) فوق هذا الكلام بخط الشيخ (هذا غير محقّق) .

(٢) ما بين القوسين مكتوب في أعلى الصفحة فوق الكلام على هذه الوقعة .

(٣) كذا والصواب (مباركا) .

(٤) كذا والصواب : (وكان) .

(٥) كذا والصواب (إليه) إلا إذا قصد نجْداً .

(٦) الصواب (قُبة) ولكنها هكذا تنطق عند العامة .

(٧) ما بين القوسين مُرَمَّجٌ ومكتوب فوقه (طلب) .

(٨) ما بين القوسين مُرَمَّجٌ ولكنه واضح ، وهذا شيء معروف عند أهل قطر كما حدثني به الأمير فالح بن ناصر آل ثاني .

(٩) بياض في الأصل .

(١٠) : أنظر عنه مجلة «لغة العرب» التي كان يصدرها ببغداد الأب انستاس الكرملي فقد كتب الأستاذ سليمان الدخيل مقالاً عنه .

لمحة عن الشعر في المملكة

(محاضرة للأستاذ الشاعر حسن عبدالله القرشي ، سفير المملكة في السودان ألقاها في الجلسة السادسة من جلسات (مؤتمر مجمع اللغة العربية) .

لعام ١٩٨٠ — ١٩٨١ في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين ٢٥ من ربيع الآخر سنة ١٤٠١ هـ (الموافق ٢ من مارس سنة ١٩٨١ م)

وجاء في محضر تلك الجلسة : اجتمع مؤتمر المجمع برياسة الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع وبحضور السادة الأعضاء :

الدكتور أحمد عمار نائب رئيس المجمع ، والدكتور مهدي علام الأمين العام للمجمع ، والدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش ، والأستاذ أحمد توفيق المدني (الجزائر) ، والدكتور أحمد الحوفي ، والدكتور أحمد السعيد سليمان ، والدكتور أحمد عز الدين عبدالله ، والدكتور إسحاق موسى الحسيني (فلسطين) ، والدكتور تمام حسان ، والدكتور حامد جوهر ، والدكتور شوقي ضيف ، والدكتور عبد الرزاق محيي الدين (العراق) ، والدكتور عمر فرُّوخ (لبنان) والدكتور مجدي وهبة ، والأستاذ محمد شوقي أمين ، والأستاذ محمد عبد الغني حسن ، والأستاذ محمد عبدالله عنان ، والدكتور محمد محمود الصياد ، والدكتور محمود حافظ ، والدكتور محمود مختار .

وشهد الجلسة من الأعضاء المراسلين الأستاذ حسن عبدالله القرشي (السعودية) ، والأستاذ سعيد الأفغاني (سوريا) ، كما شهدها للدكتور عدنان الخطيب عضو مجمع اللغة العربية بدمشق ، والدكتور محمد توفيق الطويل عضو المجمع المنتخب .

وبعد النظر في أعمال لجنة الأصول ، والاستماع إلى بحث (مجالات اللغة العلمية في أصول البيان العربي) للدكتور عبد الرزاق محيي الدين والتعليق عليه قال الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع : نستمع الآن إلى بحث الزميل الأستاذ حسن عبدالله القرشي .

(لمحة عن الشعر في المملكة العربية السعودية) فألقى هذا البحث :

ليس ريبٌ في أنَّ الحياة الفكرية والأدبية بوجه خاص تحتاج إلى مقومات وركائز ، وإلى مناخ يُهَيِّءُ لها النُّمُوَّ والأزدهار .

والمواطن التي نتحدث عن الشعر فيها ، وتُكَوِّنُ الآن (المملكة العربية السعودية) كان لها منذ عهد الجاهلية مكانة مرموقة في عالم الأدب ، ففي أرباضها كانت تتجلى أعياد العرب الموسمية ، وفيها كانت تقام أسواقه كسوق عكاظ وذي المجاز ومجنة ، مختلطين متمازجين يتناظرون ويتجادلون في شتى مناحي الأدب والحباة ، محتكمين فيما بينهم من أشتات هذه المسائل إلى أشخاص مجلّين ، ذوي حيثية ونبوغ ممن لا يغزوهم الهوى والميل ، راضين بما ينالهم من أحكام هؤلاء الأشخاص الجهابذة والتي غالباً ما تكون فَصْلاً في قضايا الشعر والأنساب .

وكانت لهذه المواطن في العصر الإسلامي الأول تلك الحياة الطريفة الجديدة التي جعلت منها مهبط الوحي ومَقَرَّ التنزيل ، فتهذبت الحياة الفظة ، وتحرك طابعها الجامد ، وزهت حواشيها ، ورقت أشعار الناس كثيراً عن ذي قبل ، مع التمسك بمتانة السبك وقوة الأسلوب فكان للشعر سوقه النافقة .

وفي العصر الأموي والعباسي الأول انطلق الشعر الغزليُّ انطلاقةً كبرى على أيدي أساتذة مرموقين كعمر بن أبي ربيعة ، وعبدالله بن قيس الرُّقَيَّات ، ووضَّاح اليمن ، وقيس بن المُلَوَّحِ وعدي بن الرِّقَاع ، والأحوص ونُصيب وكُثَيِّر والقُطامي ، وجميل بن معمر والطرمَّاح ، وابن الدُّمَيْنَةِ وغيرهم .

وازدهر فنُّ الغناء ، ولا نغالي إذ قلنا إن منبثق الغناء كان من هذه المواطن ومنها تسلل إلى البلدان العربية المجاورة .

كما هبط الأدب في العهد العباسي الثاني وما تبعه للحالة السياسية التي اجتاحته وبعده عن المضمار الجياش في العواصم التي انتقلت إليها الخلافة الإسلامية .

ثم توالت عصور السقوط ...

وفي الحقبة التي نتحدث عنها كان الحكم الأجنبي ..

وربما كان مَنْ أَسْوَئِهِ في مجالات الثقافة والفكر بالنسبة للبلاد العربية ، الحكم التركي هذا الحكم ظل سبباً للتخلف ومدعاة للتأخر في كثير من هذه الأقطار ... بما كان يلتزم من سياسة الضغط على الشعوب ، وسوطها بسياط الإدارة العسكرية التي لم تكن في يوم من الأيام مستطيعة أنْ تنهض بالشعب لأنَّ هدفها أن تنفذ سياسة السلاطين والصُّدور والرؤساء ... الذي لم يكن يعنيهم إلا امتداد رقعة (الامبراطورية) وبسط نفوذها .

ولم تكن هذه البلاد شذوذاً في القاعدة فابْتُلِيَتْ بما ابتلي به سواها من أقطار العروبة ، ومُنِيَتْ بوباء التأخُّر والتقهقر ، لذلك ضعفت فيها حركة الفكر .. وكادت تتلاشى وتندثر .

وقد انتعشت بعض المناطق العربية التي تتألف منها المملكة الآن ، إبان الانتفاضة العربية على الحكم التركي ... واستنشقت قليلاً من أنسام الحرية ... ثم ما فتئت شبه الجزيرة أن تهيا لها دور سياسيٌ جديد بِتَزَعُّم المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود حركة الانبعاث العربي واستطاعته في زمن وجيز جداً أن يحقق لأجزاء كبيرة من شبه الجزيرة وحدةً متماسكة قوية ، ويجعل من تمزق أوصالها وتفرق أجزائها كياناً صلباً ، يواجه الأحداث ويقف في وجه العقبات ويصد الأزمات .

وكان طبيعياً أن تبدأ في البلاد نهضة ثقافية فنية ، وأن يقود هذه النهضة فريق من الشباب الواعي المؤمن بربه ثم بوطنه وقوميته .

وقد شجعت الحكومة الوطنية هذه البذور النامية ، وأَمَدَّتْهَا بوسائل النجاح وأسباب النماء ، وقامت بنشر مجموعة من الكتب الثقافية في مجالات عدة .

وشجعت على بروز مجموعة من الصحف والمجلات كانت رئاتٍ يتنفس منها الشباب ويطِلُّون من خلالها على عالم الثقافة الرحب . عدا حرصها على إشاعة نور العلم والمعرفة في سائر أرجاء البلاد ، مما أتاح لأبنائها أن ينهلوا من مناهل المعرفة والثقافة على أوسع نطاق .

كما حرصت ــ وهي بسبيل دَعْمِ حركة التعليم والتربية ــ على أن تستوفد كثيراً من الأساتذة والعلماء لدفع ركب التطور العلمي إلى الأمام ، وقد أسهم هؤلاء الوافدون الفضلاء أيما إسهام في هذا المجال .

كما ظهرت في الأفق الفكريّ كثير من أفانين الأدب وألوانه ، على أن أبرزها قد كان وما يزال في الشعر .

إن البيئة العربية الخصبة بروافد التراث الأصيل ، والممتدة جذورها إلى أعماق الماضي الشعري المزدهر ، منذ عصر الجاهلية فعصر المخضرمين فالأمويين فالعباسيين ، حتى العصر الحديث ، قد أنجبت للجزيرة مجموعة من شعراء الصفّ العربي الأول المبرزين ، وقد مشت هذه المجموعة في صناعتها على عرق ، ونَمَتْ في تُربة سمحة معطاء .

وكان أن برزت في سماء الأدب والفكر أسماء رائدة لامعة ، أعطت البلاد إنتاجاً قوياً ومكنت لها أن تساهم في الحقل الأدبي العربي بنصيب وافر .

ومن أصحاب الأسماء اللامعة في هذا المجال ــ مع حفظ ألقابهم ومع تفاوت أسنانهم ــ الأساتذة :

محمد سرور الصبان ــ محمد حسن عواد ــ محمد حسن فقي ــ محمد بن عبدالله بن عثيمين ــ أحمد إبراهيم الغزاوي ــ حمزة شحاتة ــ أحمد قنديل ــ محمد عمر عرب ــ عبد الوهاب آشي ــ أحمد العربي ــ محمد حسين زيدان ــ حسين سرحان ــ عبدالله بالخير ــ حسين عرب ــ عبدالله الفيصل ــ محمد حسن كتبي ــ محمود عارف ــ عبد القدوس الأنصاري ــ محمد سعيد العامودي ــ أحمد عبد الغفور عطار ــ حمد الجاسر ــ عبدالله بن خميس ــ عبدالله بن ادريس ــ ضياء الدين رجب ــ محمد علي مغربي ــ طاهر الزمخشري ــ علي حافظ ــ عثمان حافظ ــ عزيز ضياء ــ أحمد السباعي ــ عبد العزيز الرفاعي ــ عبد العزيز الربيع ــ عبدالله الغاطي ــ هاشم الزواوي ــ أحمد محمد جمال ــ أحمد عبد الجبار ــ إبراهيم فودة ــ عبدالله عريف ــ عبد السلام الساسي ــ وغيرهم .

ومع هذا فليس هنا مجال حصر أدباء وشعراء المملكة الأصلاء الذين لبعضهم ممن

عرفهم العالم العربي شهرته وبروزه والذين لم تسمح الظروف لبعضهم بأن ينال ما يستحق من شهرة ونباهة وذكر ، ولكنه مجال الإشارة العابرة ، والإيماءة القصيرة إلى مجموعة منهم وأكثر أدباء المملكة ومعظمهم قد مارس النثر والشعر معاً مما يصعب معه التفريق بينهما .

واعتقادي أن إنتاج الشاعر هو خير مقدم له ، وأصدق شاهد على أصالته وصدق شعوره .

وقد اخترت في هذا الحديث إيراد نماذج قصيرة لبعض الشعراء وهي نماذج لم تُنَسَّقْ لتكون النماذج العليا لانتاج هؤلاء ولكنها نماذج مما يقع عليه أيٌّ باحث عن الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية .

كما أنني لم أتَحَرَّ في إيراد هذه النماذج سنَّ الشاعر أو اسبقيته أو وفرة إنتاجه ولكنني أورد ما عرض لي من قريب ، وما رأيت أنَّ فيه ما يدل على النبض الشعريّ العريق في بلادي .

ومن النماذج الأصيلة قول الشاعر حسين عرب بعنوان (النفس المغتربة) :

يَا سَارِي اللَّيلِ هلَّا استَصْبَحَ الساري ؟ ... أم ضلَّ مسراه في بيداء مقفار ؟
قضى الحفاظ على حُبِّي ومقتبلي ... واستهدف اليأسُ آمالي وأفكاري
فلست أعجبُ من شعري وهاجستي ... ولست أطرب من لحني وقيثاري
ذابت أماني في نفسي وما برحتْ ... نفسي رهينة أحباس وأغمار
يومي كأمْسي ولا أصبو إلى أمل ... صافي البريق . وإقلالي كإكثاري
وكم تمرست باللِّواء وانخدعت ... نفسي بمستقبل كَالآلِ غرَّارِ
سئمت ظلَّ حياتي جاهداً لغباً ... مُرَنَّحاً ، بين إقبال وإدْبار
وما أَسِفْتُ على إفلات سانحة ... ولا فَرِحْتُ إذا استَحْلَيْت أَوْطاري
وقد بكيت لإنسانية نفقتْ ... هوناً ، وساوَمَ فيها البائعُ الشاري
أنا الهزاز [شدَا حيناً] فأخرسه ... شُؤمُ الحياة — وبؤس الأهل والدار
هجرتُ روضيَ لا مستبدلاً عِوَضاً ... عنه . وغادَرْتُ بين الدَّوْح أوكاري

* * * * *

يا ساري الليل — خذني في غياهبه … واْضرب بنا في غيابات وأقفار
فما الحياة سوى أشجان مغترب … وما النعيم سوى إدْلَاجَةِ الساري
ويْلٌ أمِّهَا — بَرَّتِ الأعلات معلية … سودَ الضمائر ، وانحطّتْ بأحرار
صوتُ النُّهَى في براها خافتٌ وهن … وفي معالمها ترديد ثَرثار
وقد تشابه لوناً في مساربها … لمحٌ من النور أوْ لَفْحٌ من النار
إن الصحاري محاريب تنوف على … مرابع حَفَلَتْ بالإثْم والْعَارِ
وما السعادةُ في رَأيي سوى شَبَحٍ … من الظنون — تراءَى خلفَ منظار
أَلومُ نفسي ولا أُلفي لها خطأً … فأنطوى بغياباتي وأسراري
كأنني وحياتي حين أبصرها … خَوَّاضُ معركة جَوَّابُ أسفار
فإن شكوت ، فشكوى ضَيْغَمٍ أنِفٍ … وَرُبَّ مُنْتَحِبٍ في بأس زَاْءارِ
وقيمةُ النفس أغْلَى في النُّهَى ثمناً … من أنْ تُباع بِدِيْنَارٍ وقنطار

* * * * *

ويقول الشاعر حسين سرحان بعنوان : القريب البعيد :

ظلت ألقاك ليلتين وأخرى … فمضت ليلة ، ومرت ليال
والثواني كأنهن شهور … والليالي تربى على الأحوال
وقف الدهر وقفةَ الطود قُدًّا … مي وأمسيت قابَ قوسٍ حيالي
أيٌّ قربٍ؟ لكنه أبعدُ البعـ … ـدِ وأنأى من النجوم العوالي
لو تَقَرَّيْتُ باليدين محيا … ك لأقربت منك غير مبالي
والزمانُ الرجيمُ أَضْحَكُ من قر … دٍ على فرطِ خيبتي وضلالي
يَتَحَدَّى صبابتي وغرامي … ويُمَاري عزيمتي واَحتمالي
وتلظيتُ من صدى وزلال الـ … ـماء عندي وخالص الجريال
ضاق ذرعي بما أُجِنُّ وضاقت … عن أَمَانِيَّ حيلة المحتال
ونبا بي رحبُ المكان وأملـ … ـتُ (الأفاريزَ) أَيَّمَا إملال
موفضا ناظرا إلى غير شيء … سالياً ، لا ، فلست عنك بسال

وخلا البال ما عداك فما يَخـ   ـطُرُ لي كائنٌ سواك ببال
ومضى القلب لا ينيب إلى وا   شٍ ، ولا يستجيب للعذال
خبر ما قيل فيك ما ضاء فيه اسـ   ـمك ضَوْءاً كـدرة اللألِ
وسوى ذاك فـريـة وهُـراء   لا أبـالي بها على أي حـال
حب بالوعد صادقاً وبه مطلا (م)   وبـاثـنيها ولست أغـالي
وبما تخطرين فيه من الوشي (م)   ومـا تملـثـيـنه من مجالي
وبعين تـراك أو أُذُنٍ تَسْـ   ـمَعُ نجواك في أرق مقال
بالأديم الذي عليه تَسِيرِ يـ   ـنَ فيعلو بروحك المتعالي
بالهواء الذي يعود أريجا   حين توليـنه أقلَّ احتفال

* * * * *

وإذا عدت تسأل البارح السا   نح عنها فما غناء السؤال ؟
حلم ما تَنِي طَلِيْح هواه   عالقاً منه في الكرى بالمحال
فـإذا مـا أَلـمَّ بعد ارتحال   أو أَجَـدَّ الوصال بعد تقال
فهو شيء لا تستطيع الليالي   والمنى أن تصوغه في مثال

وللشاعر محمد حسن فقي بعنوان (بين الشاطئين) :

يا ليلتي هل أنت من واقعي   أم أنت حلم عبقري الرُّؤى ؟
مررتِ خطفا كالسنا اللامع   وجزت في المجهول للمنتأى
كما يجوز الأمل الخالب
عرفتُ فيك الخلدَ في غَمْرَةٍ   يَنْشَى (هيولاه) بها الشاعرُ
وانطلقت روحي إلى زرورة   علوية بجمدها الزائرُ
في عالم حاضره غائبُ
على ضفاف الشاطىء الحالم وبين   أحضان الهوى والسَّحَرْ
وتحتَ طيَّات الدُّجَى النائم   يوقظه حيناً شعاعُ الْقَمَرُ
والكون خمر وأنا الشارب

تـــــــــــرنم المَلّاحُ في زورق ينساب في الماء آنسياب النسيمْ
بـــأعـــذب الألحان من شـيِّقٍ للحبِّ والروض وطعم النعيمْ
(يا ليل إني عـاشق خـائـب)
(يا لـيل هل تحفل بالعاشقين أم أنت قاس لم يُلِنْهُ الغرامْ)
(أم أنت لا تحمل كـالعالمين قـلبـاً فلا تعرف حَرَّ الأُوَامْ)
(ولم يُلَوِّعْكَ الجـوى اللاهـب)
(يا ليل يشجيني فأشكو بالحنين إلى حبيب صَدَّ عني الكرى)
(أدنو فـيقصـيني فأُخفي الأنين وازجـر الدمع إذا ما جرى)
(فلا يفـيء الظالـم الغاضـب)
(لا البَثُّ يرضيه ولا سلوتي تَـجَـلُّداً عـنـه ولا الانقياد)
(فكيف أفدى للهوى مهجتي وقُـرْبُـهُ يحطمني بـالبـعـاد ؟؟)
(ويحتوينـي حسنـه اللاعـب)
(يا ليل كم عذبت من لاهف لم يرتشف من سلسبيل الهوى)
(وكـــــم تخونت قُوَى دالف إلـيك أضنته عوادي النوى)
(وضل في حندسك الجائـب)
فـقـلت لـلـملاح جـدف بـنـا لـلشاطىء النائم بين الصـخور
فقد ينيل الليل بعض المنى إذا أتانا الليل بعض السرور
فالليـل روح مثلنـا ساغـبُ
كم أنصَفَ الليل ولم تنصفِ وكم أَجَدَّ الليلُ من ذكرياتْ
وكـان كـالمدنف لـلـمدنفِ يـبـثه الأشجان في الأُمسياتْ
فيستريح المدنـف اللاَّغِـبُ
وكم أظل الليل من عاشقينْ تَـحَـرَّقـا شوقـاً إلى دَجْـنِـهِ
فـرَّا إلـيــه فـرَّة الطـائـرين فـألـفـيـا الجنـة في حِضْـنِـهِ
وسعـد المنهـوب والنَّاهِـبُ
أنظر فـهذا البدر يلقي الشعاعْ على أديم الـعَـيّـلم الساكـنِ

الجانب الشرقي فيه التماعْ والجانب الغربي كالداكنِ
كأنه من ضوئه هاربُ !
يحملنا الموج على غاربِ رَقَّتْ حواشيه فما يصخبُ
إلى دُنَى الأحلام في قارب الحب في أفيائه موجبُ
والسحر في أجوائه سالبُ
والبدر والبحر وهذي السماءْ نجومها خافتة حانيهْ
والحبُّ والخمر وهذا المساءْ كأنه جنتنا الآنِيَهْ
لا كاسف فيها ولا ناصبُ
يا ليلتي يا كل ما في الحياةْ من نعمة يصبو لها الشاعرونْ
الجسم لولاك بقايا رفاتْ والروح صحو حافل بالشجونْ
فهل يواتي أمْسُك الذاهبُ

أمَّا الشاعر أحمد عبد الجبار فَيُصَوِّرُ غَدَ الشاعر بقوله :

غَدِي يا غدي الأملُ الأشْقَرِ ودنيا ربيع الهوى المُسْكِرِ
ساطوي الزمانَ جناحاً إذا خطرت مع الشفق المبكرِ
وألوي فؤادي وقيثارتي تغنيك للكون والأعصر

* * *

غَدِي يا غَدَ اليُمْنِ يا فرحةً تُطِلُّ على يومي المُقْفِرِ
أرى نجمَك الحلوَ خفاقة أمانيَ في رَحْبَةِ النَّيِّرِ
أرى عالمَ الأمس منظورة لياليه في عالم أغبر
طوته الهموم ، وفي كَرْمِه بقايا من الهمِّ لم تُعْصَرِ

* * *

غدي ياشروق الغموض ولحـ ـن الغروب على مزهري
أنا لن أفض جفوني وفي جفونك دَمْع وفي المَحْجَرِ

ويُحَيِّي الشاعر (حمزة شحاتة) الشباب بقوله :

مَنْ لِلغلاب سوى الشبا ب إذا تكاتفت الصعابْ
الموفضين إلى الوفا يتواثبون على الرقابْ
والسابحين على العبا ب يغالبون قوى العبابْ
والراقصين على الثّرى والطائرين على السحابْ
يتلهبون على الصرا ع تلهب الأسْدِ الغضابْ
لم تثنهم نارُ الحصا د ولم يصدهم المصابْ
هم في الخنادق صامدون فلا ارتدادِ ولا انقلابْ
شهب ينوء بها الفضاء كما ينوء بها التّرابْ
لا يَأس أو يغدو العدو على سيوفهم نهابْ
غاروا على حرماتهم والحر يَأنَفُ أن يعابْ
يا منقذي شرف الحضا رة أنْ يَذِلَّ وأنْ يُصَابْ
شرف الحضارة دون هيكلـ ـها أحق بأن يهابْ
فلتدفعوا عنه التعا سة بالفناء وبالخرابْ
فالمجد للحر المظفر لا لِمُمْتَلِيءِ الوطابْ
أَغْلَى المبادىء ما أقا م الحق مَحْمِيّ الجناب

ويحي الشاعر ضياء الدين رجب «الهجرة» بقوله :

أذكري يا بطاح كيف أقام اللهُ مَجْداً مخلَّداً في بطاحكْ
صافحته السماء فانتثرت فيه نجوماً تألّقت في وشاحكْ
ثم ألقتْ على الأديم من الفجر شُعَاعاً مقطَّرا في صباحكْ
وادياً أسفع الرُّوى غير ذي زرع محيل ضَممْتِهِ بجناحكْ
فتندّى كأنما اعتصر الفجر سُلافاً من البدور الضواحكْ
وتندَّت حصباؤه مِنْ عَقِيقٍ خاضبا لونُهْ زكيٌّ جراحكْ
خضخض السحب فاستهلت تعاطيه نضارا مصفّقاً في قداحكْ
نهلته الحياة أحلَى من الشهد وروّتْ به كريم صفاحكْ
وهْيَ نَشْوى بِسِرِّ معناكِ ، بالماء نَقيًّا سَلْسَالُهُ من قَرَاحِكْ

وهفا بالحمام لاعجُ شَوقٍ عبقريٌّ هديله من صُدَاحِكْ
شادياً بالأمان في الحرمِ الآمِنِ من بَعْدِ شَدْوِهِ بنُواحِكْ
إنها فرحة الهدى بموكب طه تَتَخَطَّى الدُّجَى على أَفْرَاحِكْ

وبعنوان (صلاة النفس) يقول الشاعر محمد حسن عواد :

قالت النفس : قم نصل إلى الله   فشر النفوس مَنْ لم تُصَلِّ !
قلت : يا نفس سَبِّحي الله طوعا   وأَصِيْخي واستَنْكِري أن تملي

* * *

أبذري فيك رحمةَ الناس فالنا   س حريُّونَ بالمراحم طُرَّا
وأَحِبِّي الْوَرَى ولا تَفْتَحِي القلـ   ب لما يَنْفُثُ الخبيثات سِرًّا
واسحقي فكرةَ التقييد بالشكـ   لِ ولا تَغْمِطي منَ الْخَيْرِ نَزْرا
فالصغير الحقير والرائع الضخـ   م ، وذاك الذي تَوَسَّطَ أَمْرَا
كلهم واحد ، وليس بناجٍ   مِنْهُمُ من يَدُسُّ للنَّاسِ شَرَّا
والورى كلهم سَوَاسِيَةٌ ما   مِنْ سَعِيْدٍ سوى الَّذِي رَامَ طُهْرَا
والفُرُوقُ الَّتِي تُمَيِّزُ ، أصبا   غٌ ، وإنْ شِئْتَ فَهْيَ آلاتُ وَصْلِ

ويهتف الشاعر عبد الكريم بن جُهَيْمان «للمرأة» :

نظرتُ في المرآة يوماً إلى   صورة وجهي المدنف الشائبِ
فأنكرتْ عيني من شكله   وأنكرت من لونه الشاحبِ
وأنكرت فيه أخاديدَهُ   وشَعْرَهُ الْمُبَيَضَّ في الحاجبِ
وليس هذا كِبراً إنَّما   أراه فَجْرَ الأَمَلِ الكاذِبِ
ماذا دهَى وَجْهِي وماذا جرى   لمائِهِ الْمُسْتَوْشِلِ النَّاضِبِ
كانَ زماناً مشرقاً ناضراً   وكان في الحسن على جانبِ
وكان وجهاً مالئاً جِلْدَهُ   ليس له في الناس من عائبِ
وكان في عينيه نُوْر الصِّبَا   وكان فيها نظر الثاقبِ
فانقلبت أوضاعه كُلُّها   وصار كَالْمُسْتَوفِزِ الهاربِ

لا تعتبوا يا صحب إنّي آمرؤ سَئِمْتُ عَتْبَ الناصح العاتبِ
تُعْطِي الفتَى في دَهْرِهِ بَسْطَةً في جسمهِ ، في كَسْبِهِ الواصِبِ
ثم تراها خَلسَةً قد غدتْ تأخذ أَخْذَ الْحَاقِدِ الْغَاضِبِ
قد عجبت نفسي ألاعيبها فصرت لا آسو على ذاهبِ
وصرتُ أرمي بَصَرِي يَمْنَةً ويَسْرَةً كالناظر العاجبِ
أرى انهماكَ النَّاسِ في كسبها ونشوةَ الرابح والكاسبِ
وسطوةَ الأقوى على خَصْمِهِ وذلَّةَ المغلوب للغالِبِ
وعدت من هذا وذا ضاحكاً ضحكةَ شَهْمٍ عالم حاسبِ
لم يَبْقَ لي في الْكَوْنِ من لَذَّةٍ سوى سرور الشاعر الكاتِبِ
يا رب إنّي مُذْنِبٌ تائب وأنتَ تَرْضَى تَوْبَةَ التَّائِبِ

ويقول الشاعر إبراهيم فوده بعنوان «قصة النور» :

اسمعوا ! اسمعوا ! فهذا (حِرَاءٌ) يتهادى — مُهَلِّلاً — يتكلمْ
إنَّ فيه (النبيُّ) يستلهم الوحـ ـيَ و(جبريل) بالهدى يترنَّمْ
وعلى الأرض للسماء لقاءٌ هو للأرْض في السموات سُلَّمْ
غَطَّةٌ ثم غطة يلتقي الروحا ن فيها ، والنور بالنور مُفْعَمْ
و(حِرَاءٌ) في قمَّة الأرْض تَيَّا هُ علاءً وتحت (أحمد) أسْلَمْ

* * *

وسرى النور سابحاً في الدياجي يولج الليل في النهار ، ويُقْحِمْ
و(حِرَاءٌ) منارة يسطع الإشعا عُ منها والشمس و(الغار) تَوْأَمْ
هي نُورُ الْعُيُونُ في ساحَةَ الأر ضِ وهذا نور القلب الأعظم
واسْتنار الوجودُ وانجابت الْعُتمَةُ والليلُ بالضياء تبَرَّمْ
ومشى (موكب الرسالة) ينداحُ نشيداً إلى الحياة الأقوم

* * *

فاسمعوا !! اسمعوا !! فهذا (حِرَاءٌ) يتهادى — مُهَلِّلاً — يتكلمْ

اسمعوه ذِكْـرَى تَرَدَّدَ في الـكـو ... نِ صداها في كل جِيْلٍ ومَعْلَمْ

وإذا كان هناك فريق من شعراء البلاد يكتبون الشعر الحر فإن هناك من ينقم هذا الاتجاه منهم حيث يقول الشاعر (عبدالله بن خميس) :

ما أنصفتِك قوافي الشعر يا دارُ ... وفيك لِلْمُلْهَمِ الْمِنطِيْقِ أسرارُ
ضَنُّوْا عليكِ بأوزانٍ وتقفية ... يشتارها — مثل أرْيِ الفَحْلِ — مِشْتَارُ
وأركبوا الشِّعْرَ إمَّا قَصَّرُوْا شَطَطاً ... وبعضهم عن ثمين الشعر قُصَّارُ
عَجِبْتُ يُكْدِي وتحت السَّرْجِ سابحةٌ ... تَشْأى الْجِيَادَ وفي يُمْنَاهُ بَتَّارُ
يزاوج اللفظ أَحْيَاناً ويُفْرِدُهُ ... ويَصْطَفِي تارةً مِنْهُ وَيَخْتَارُ
عُوْنٌ عِجَافٌ ، وأَمْشَاجٌ سَوَائِمُهُ ... وأُمَّـهَـاتٌ وأَضْـآرٌ وأَبْـكَـارُ
ما بَيْنَها وَأَصِيْلِ الشعرِ مِنْ نَسَبٍ ... هي الحروفُ وألفاظٌ وأَسْطَارُ
جَوْفَاءُ مَا أَلْهَبَتْهَا نارُ عاطفةٍ ... أَوْ سارَ فيها مِنَ الأفكارِ تَيَّارُ

* * *

دَعَوْهُ (حُرّاً) ويَا لَلنَّاسِ مِنْ زَمَنٍ ... قال المُخفقُوْنَ وزْناً : نَحْنُ أحرار ! !
حُرِّيَّةٌ ظلموها واسمها لُغَةٌ ... فَوْضَى ، وسِيَّانِ شَاؤُا الْحَقَّ أَمْ جَارُوا

* * *

لِأَنَّهَا بِدْعَةُ التَّقْلِيدِ نافِقَةٌ ... قَالُوا فَقُلْنَا ، وسِرْنَا حَيْثُمَا سَارُوا
رُمِيْتَ يَا شِعْرُ بالدَّاءِ الَّذِي رُمِيَتْ ... بِهِ الْعُرُوبَةُ ، والأَيَّامُ أَطْوَارُ
قَدْ أَثْخَنُوهَا جِرَاحاً والْتَقَوا مَدَداً ... يَقُومُ منها عليها — ويْكَ — أَنْصَارُ
إِذَا سَرَتْ في لِسانِ الْقَوْمِ بَادِرَةٌ ... عجماءُ فَاسْتَمْرَأُوْها بِئْسَ مَا اخْتَارُوا ! !

* * *

وقبل أن أختم هذا البحث أحب أن أشير إلى الروافد والمنابع التي ساعدت على بروز الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية وهي :

أولاً : الأدب العربي المشرقي القديم في أدواره وعصوره المختلفة ، فأكثر الأدباء

عندنا بنوا ثقافتهم الشعرية على أساس عربيٍّ صرف .

ثانياً : الأدب الأندلسي .

ثالثاً : الأدب المهجريُّ الذي استأثر بإعجاب الكثير عندنا في مطلع النهضة الثقافية وارتسمت سماتٌ منه في إنتاج بعضهم .

رابعاً : الأدب العربي المعاصر في كافة الأقطار العربية ولا سيا مصر.

خامساً : الأدب الغربي والشرقي عموماً مترجماً إلى اللغة العربية ، ومَقْروءاً من مصادره الأصلية .

وأعود أكرر أنني حرصت على إعطاء نماذج عارية من التحليل والتعليق والشرح ، بعيدة عن الولوج إلى نسبتها . إلى المناهج والمدارس الشعرية التي تنتمي إليها ، لأنَّ المجال لا يتسع لكل أولئك .

ولمن شاء من النقاد أن يستقصيَ إنتاج الشاعر ، ويصدر الحكم الذي يتراءى له عنه بضمير مسترح .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ....

وبعد الانتهاء من إلقاء البحث جرى التعليق عليه على هذا النحو :

الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع : نشكر الزميل المحاضر على هذه الصورة الشاملة عن الشعر في المملكة العربية السعودية ، والواقع أنه ليس هناك تبادل كافٍ بين الشعراء في الأقطار العربية ونَتَمنَّى هذا التبادل كي يُثْرِي الأدبُ العربيُّ والعقل العربيُّ معاً .

الدكتور مهدي علام : ليس لي إلا أن أقول بعد ما سمعناه : (ما زال الشعر ديوان العرب) .

الدكتور محمد محمود الصياد : أكرر الشكر للزميل المحاضر على هذا البحث الممتع ، ولكن ما دام البحث هو (لمحة عن الشعر في المملكة العربية السعودية) فكان الأولى أن يشير إلى ظاهرة الشعر الجديد الذي لا أُعِدُّه شِعْراً ، فهو كلام منثور بعضه إلى جانب

بعض ، وكنت أود أن يعرض نموذجاً لهذا الشعر .

الأستاذ حسن عبدالله القرشي : توجد بعض النصوص داخل البحث ، ولكني اختصرته خوفاً من إطالة الوقت .

الأستاذ محمد عبد الغني حسن : الواقع أن حديث شاعر عن شعراء ليس بمستغرب ، فالمحاضر الأستاذ القرشي شاعر رقيق ، حدثنا عن شعراء الجزيرة وطاف بنا من القديم إلى الحديث . والواقع أنَّ النماذج الأولى كانت ممتازة ، وأخصُّ الأولى لأنه رتب الشعر الذي استشهد به ترتيباً تنازلياً ، لأنه بدأ بشعراء يذكرنا شعرهم الرصين بشعراء الجزيرة العربية الأوائل الكبار من أمثال عمر بن أبي ربيعة ، وكُثيِّر عزَّة ، وجَميل ، والأحوص ، وغيرهم . لقد ذكر الزميل الشاعر أسماء بعض الشعراء المعاصرين في السعودية ، ولكنه أغفل آخرين وليته ذكرهم على سبيل المثال ، ومع ذلك أود أن أشير إلى حسن الصيرفي (وهو غير حسن كامل الصيرفي المصري) ، وعلي حسن غسال ، وعبد العزيز الرفاعي ، وله قصيدة في الأحداث المؤسفة السيئة التي مرت بالمسجد الحرام ، نشرت في كتاب مستقل ، والأبيات التي جاء محدثنا عن الشاعر إبراهيم فودة جاء فيها أبيات متضمنة أساليب قرآنية ، وهذا ذكَّرنا بشاعر جاهلي هو أمية بن أبي الصلت ، الذي كان يدخل في شعره ألفاظاً قرآنية ، وهو على دينه ويبدو أن شاعرنا السعودي المعاصر إبراهيم فودة تأثر بالقرآن مثله .

الدكتور أحمد الحوفي : لي كلمة بسيطة بعد شكر الزميل المحاضر وهو أنه أغفل أسماء بعض الشعراء وفي مقدمتهم اسمه هو ، وهو في مقدمة شعراء الجزيرة العربية كلها .

الأستاذ حسن عبدالله القرشي : أشكر الزملاء الكرام الأساتذة الكبار الذين تلطفوا بالتعليق على بحثي ، وأحب أن أشير إلى أنني فيما يتعلق بالنماذج التي أوردتها لم أنتقِ النماذج انتقاءً ، ولم أخترها اختياراً ولكنني رأيت أن أوردها كما يعرض لكل باحث .

وقد اختصرت في إلقاء البحث كثيراً من ذلك .. كما أنني اقتصرت في إلقاء البحث على إيراد بعض الأسماء حتى لا يطول الإلقاء فيمل السامع .

وأما ملاحظة الدكتور الصيّاد عن عدم إيراد نماذج من الشعر الحر فإن البحث

تصحيح الأعلام اليمنية

في كتاب «معجم المؤلفين» تأليف عمر رضا كحّالة

كثر إسهام المعاصرين في التراث الإسلامي ، وما يتعلق به ولم يعد حكراً على فئة قليلة من الناس ترى في البحث عنه هواية نفسية عميقة ومتعة لا تعادلها متعة . وعَمَّت البحوث فيه كل شيء حتى أصبحنا نجد دوراً قائمة بذاتها لنشر ذلك التراث والانغماس فيه بالكلية وكاد الناس أن ينسوا حاضرهم ، فاعتبروه صناعة من الصناعات المربحة . وتلك ميزة حسنة لولا أنهم لم ينظروا إليه كتراثٍ ، وكروح حيّ يجسد ما للإسلام من حركة وحيوية وإلاَّ فإن كثيراً من دراسات الباحثين المعاصرين تُصَوِّرهُ كجسد ميت يجد فيه المشرّح بُغيَتَهُ لعرض مقدراته . وكأنهم نقلوا في كثير من بحوثهم تلك الروح الاستشراقية البغيضة التي تتناول الإسلام وتراثه من جانب الاستغراب والاستعجاب الممزوج بنوع من التعالي وتلك آفة كثير من الدراسات العربية عن التراث .

أضف إلى ذلك هذه الأفواج الكبيرة التي تخرجها الجامعات كل سنة من الدارسين والدارسات في التراث الإسلامي ، وربما درس أحدهم شخصية إسلامية عظيمة لم مكتملاً فيه نماذج من ذلك حتى يكون مستوفياً .

وكذلك فإن ملاحظة الأستاذ محمد عبد الغني حسن عن عدم ورود بعض الأسماء هي ملاحظة قيمة ، ولكن الأسماء موجودة فعلاً ولم أكمل إلقاءها حتى لا يطول ثبت إيراد الأسماء .

وأكرر الشكر لكل من علّق على المحاضرة ..

حسن عبدالله القرشي

يستفد منها ذلك الباحث في سلوكه ودينه ، ولم يتعظ بما فيها من أخلاق إسلامية ومُثُل ، بَلْ ربما ان ذلك الباحث الذي عُني بتلك الشخصية الإسلامية لم يعرف عنها شيئاً إلا من خلال توجيه أستاذه الموجّه له ثم يحصل على شهادة يعتبر بها أحد رجال التراث الإسلامي فيحق له أن يتناول كتبه بالتحقيق وأن يبدي آراءه بكل ثقة واطمئنان وتلك آفة الباحثين والدَّارِسِيْنَ في عصرنا الحاضر.

ومن هنا تكثر غلطاتهم ويصبحون آلة تقليد ومحاكاة للمستشرقين الذين كتبوا عن تراثنا الإسلامي.

وكأمثلة لمحاكاتهم وكأمثلة المشرفين في البحث إكثارهم من ذكر المراجع في كتبهم ومقالاتهم ، وحشرهم تلك الكتب دون تمييز لِغَثِّهَا من سمينها ويكفيهم في كل ذلك هذه العناوين الطنانة والأسماء الاعجمية الغريبة وربما وقعوا في أخطاء كبيرهم نتيجة لعدم التمييز في ذلك.

وعند كُتَّاب التراجم يكثر الوقوع في الخطأ لعدم تمييزهم بين الصحيح من الكتب والسقيم منها كما أشرنا ، وربما وثَّقوا المُحدث المُستغرب ووهَّوا القديم الأصيل.

وقد رأيت كثيراً ممن تعرض لكتابة التراجم يقع في الخطأ بسبب النقل من مصادر معاصرة غير جيدة ، وغالباً ما تقع تلك الأخطاء بسبب كتابين انتشرا بين الناس وتقبّلوهما كمصدرين هامَّين وهما :

أولاً : كتاب «تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان الذي يعتبر عند المتأخرين أهم مصدر لفهم التراث الإسلامي ويكفي أن يَسْتَشْهِدَ احدهم باسمه ليكون حجة عندهم وقد تقبلوه بكل أخطائه ، وربما كان أحدهم يجهل اسم الشخص الذي يطلب ترجمته فيقع في الخطأ والتَّصحيف نتيجة عدم التوفيق في ترجمة نَصّ بروكلمان الأجنبي.

وعندي ان هذا الكتاب ضَرَره أكثر من نفعه ، وأنَّ الرجل ليس إلا حاطب لَيْل لا يُفَرق بين اسم واسم بل إنَّه ربما لا يُمَيِّز بين الاسم واللقب فيترجم للرجل الواحد فيأتي ذكره في موضعين أو ثلاثة أو أكثر ومن هنا كان الخطأ إضافة إلى عدم فهمه لأحوال الرجال وعصورهم فكان هذا التكرار وهذه الأخطاء مما سبب وقوع أشباه الباحثين من

بعده في الأخطاء المتكررة .

وثانيهما : كتاب «هدية العارفين» للعلامة المحقق محمد أمين الباباني البغدادي .

وهذا العلامة قمة في التحقيق والتدقيق إلاَّ أنّ الرجُل توفي وكتابه لا يزال مسودةً فوقع في يد من قام بطبعِهِ دون عناية وتحقيق فوقعت فيه أخطاء كثيرة كبيرة .

وعندما انتشر هذان الكتابان تقبَّلها الناس وحملوهما محمل السلامة فكانت أخطاؤهما هي الصواب ، وهَفَوَتُهُمَا لا رجوع فيها وقد سلم لها عند هواة الشهرة السريعة والثقافة الضحلة تلك الأخطاء . وإلاَّ فإن فنَّ التراجم فَنٌّ عظيم يحتاج إلى ثقافة عالية يميز بها أحوال الرجال وعصورهم وكتبهم وتخصصاتهم .

وكان كتاب «معجم المؤلفين» للأستاذ عمر رضا كحالة واحد من هذه الكتب التي وقعت صريعة أخطاء كتابي بروكلمان والبغدادي وغيرهما .

وقد لاقى هذا الكتاب شهرة واسعة لاستقصائه وتدقيقه فالرجل ترك كثيراً من المؤلفين وأدل على ذلك من أنني اختبرته في تراجم مؤلفين مررت عليهم أثناء تحقيقي كتاب «انتهاز الفرص» فلم يُسعفني بترجمة واحدٍ ممن ذكرهم صاحب «انتهاز الفُرص» وكلهم أصحاب مؤلفات .

وأغلب الظنِّ أنه اكتسب شهرته من أجزائه الخمسة عشر ، وهي أجزاء صغيرة ثم من نُدْرَة نَسَخهِ في طبعته الأولى قبل المصورة .

وفي هذه الأجزاء من الأخطاء والتصحيف وغير ذلك ما فيها .

وكنت أَتَلَهَّفُ للحصول على هذا الكتاب ، قبل انتشار طبعته المصورة حتى حصلته ، فما كدتُ أتصفحه حتى خاب أملي فيه وظهر لي بعد التدقيق أنَّ الكتاب يغني عنه في عمومه كتابان هما «الأعلام» للعلامة خير الدين الزركلي ، وكتاب «هديَّة العارفين» للبغدادي فالكتاب في أغلبه ليس سوى نَقْلٍ لكل ما جاء في الكتابين على أنَّ صاحب «الأعلام» قد سبقه من حيث الترتيب والتَّبويب واستقصاء المراجع للمترجمين ، بل إنَّ صاحب «الاعلام» قد انفرد عن «معجم المؤلفين» بالدّقة

والاستيعاب في حين وقع الأخير في الأخطاء الفاحشة والتصحيف والتكرار، وحينما تتكرر الترجمة في هذا الكتاب فلا بُدَّ أن تكون إحداهما صحيحة والأخرى خطأ وهذا ما وقع في «معجم المؤلفين».

وقد رأيت أن اتتبّع أخطاء هذا الكتاب في تراجم رجال قطر إسلامي واحد هو اليمن، فخرجتُ منه بمادة كبيرة متجاوزاً فيها الأخطاء اليسيرة، كالخطأ في تحديد اللقب الذي اشتهر به المترجم ووضع اللقب الذي لم يشتهر به أو نسبَتهُ الى مدينة لم ينتسب إليها أو إهماله أهمّ مصدر من مصادر ترجمة المترجم له، إلى غير ذلك فلو تتبعته في هذه الناحية لأتى النقد أوسع، ولكن رأيت أن اقتصر على ما كان خطأً تاريخياً مِمَّا تستوعبه هذه المجلة الغراء:

إبراهيم بن أبي بكر بن علي العرشاني:

ورد ذكره في الكتاب ج١ ص ١٦ الفرساني بالفا وصوابه بالعين المهملة انظر (كتابنا «مصادر الفكر الإسلامي» ص ٤٠٩.

إبراهيم بن الحسين الحامدي ص ٢٣

لم يذكر من كتبه سوى مؤلف واحد وهو له عدة كتب أوردناها في كتابنا السابق ص ٩٤.

ابراهيم بن عبدالله جمان:

ورد فيه ص ٥٠ جمعان بتقديم الميم على العين وهو خطأ تكرر مرّتين.

إبراهيم العدني ص ٥٨:

هنا وقع المؤلف في وهم كبير إذ تسرع في فهم عبارة من ترجم لابن أبي الجديد (أبو الحديد) خطأ، فقد ورد ذكر هذا الرجل في تاريخ ثغر عدن هكذا «وأدرك أبي بن جديد إبراهيم بن أحمد القريضي» وليس العدني فأخذ عنه «المستصفى» بأخذه له عن مؤلفه (انظر ص ١٥٧ من تاريخ ثغر عدن).

ومن هنا نجد نسبة مؤلف «معجم المؤلفين» كتاب «المستصفى» لابراهيم العدني

الذي يعني به القريضي نسبة غير صحيحة والصواب أن مؤلف كتاب المستصفى هو العلامة محمد بن سعيد القرضي (أنظر كتابنا «مصادر الفكر الإسلامي» ص ٤٠) وسيُنَاقض المؤلف نفسه في ذلك. ويترجم للقرضي هذا وينسب له كتابه هذا في ج ١٠ ص ٤٠ ومن هنا يتضح لنا ان صاحب «معجم المؤلفين» حاطب لَيْلٍ لا يميز بين ما ينقله.

إبراهيم بن علي بن منصور الأصبحي :

ورد ذكر جده باسم محمد والصواب ما أوردناه هنا (أنظر ج ١ ص ٦٧).

إبراهيم بن محمد حوريه ص ٨٥.

ورد ذكر كتابه «الروض الباسم» أنه في أنساب مدينة صعدة والصواب أنه في أنساب آل الامام القاسم نقلاً عن المصدر الذي نقل عنه.

إبراهيم بن محمد اليمني ص ٨٦ :

عرف بابن عباد وهذا لم يذكره المؤلف وسيرد ذكر عمه بابن عباد ج ٣ ص ٣٥.

إبراهيم بن محمد الوزير ص ١٠١ :

ورد ذكر كتابه «منهج الانصاف» بعنوان مهجة الانصاف خطأ.

أحمد بن ابي بكر الاحنف :

ضبطه المؤلف بالاخنف بالخاء خطأ ص ١٧٧.

أحمد بن أبي بكر الرداد ص ١٨٦ :

ورد ذكر كتابه «عدة المسترشدين» بعنوان (عدة المسترشدين أولى الألباب من الزيغ والزعل والشك والارتياب) وصوابه الزلل بدل الزعل.

أحمد بن حسن حميد الدين :

لقبه بابن المطهر خطأ (أنظر ص ١٨٩).

أحمد بن زين الحبشي ص ٢٢٨ :

قال واستقر في ضلع راشد بالضاد والصواب بالخاء.

أحمد بن صالح بن أبي الرجال ص٢٥٣ :

قال في ترجمته من مؤلفاته «مطلع البدور» ومعجم في رجال الزيديه والصواب أنهما كتاب واحد فمطلع البدور هو معجم في رجال الزيدية .

أحمد بن الطيب الطنبداوي ص ٢٥٦ :

ضبطه لقبه هكذا الطبنداوي بتقديم الباء على النون وذال معجمة ، والصواب أنه الطنبداوي بتقديم النون على الباء ودال مهملة .

أحمد عبد الرحمن الوصابي :

ضبطه لقبه بالحبشي ص ٢٦٧ والصواب أنه بالتصغير (الحُبَيْشِي) .

أحمد عبد القادر باعشن :

ضبط كنيته بالدوعني والصواب ما أوردناه ثم انه حدد وفاته سنة ١١٥٢ والصواب سنة ١٠٥٢ بإلْغَاء قرن كامل أنظر كتابنا «مصادر الفكر الإسلامي» ص ٢٨٠ .

أحمد بن أحمد بن عبد اللطسف الشرجي :

تكرر ذكره مرتين الأولى في أحمد بن أحمد ص ١٥٠ وهي الصواب والأخرى في أحمد بن عبد اللطيف ص ٢٨٢ خطأً حدّد زمن وفاته في الأخيرة سنة ٧٣٥ خطأً فاحش .

أحمد بن عبدالله الوزير :

حذف كنيته الشهير بها وهي الوزير وكناه بالحسني وهي نسبة لم يشتهر بها (أنظر ص ٢٨٣) .

أحمد بن عبدالله الشجري ص ١٩٤ :

ورد في هذه الترجمة خَطَآنِ :

الأول أنه أحمد بن عبدالله بن عبد الرحمن الشحري بالحاء المهملة .

الثاني أنه نفس المترجم له في الصفحة المقابلة ص ٢٩٥ باسم أحمد بن عبدالله بن عبد الرحمن بافضل فهما رجل واحد .

أحمد عبدالله الرازي ص ٢٩٤ :

نقل نفس الخطأ الذي وقع فيه العلامة خير الدين الزركلي رحمه الله في كتابه «الأعلام» ثم صححه الزركلي رحمه الله بعد ذلك في مستدركه وهذا الخطأ هو نسبة كتاب «دَرُّ السَّحابة في وفيات الصحابة» للرازي المذكور والصواب أنه من تأليف الحسن بن محمد الصَّغاني بالصاد والغين ومن الغريب أنه ينقل كثيراً عن صاحب «الاعلام» خطأه دون أن يعزو إليه إلا في النادر .

أحمد بن عثمان بن بصيص :

ضبطه هكذا بصبص بباء واحدة ص ٣١٠ والصواب ان بالبا والياء .

الجـزء الثاني

أحمد بن محمد بن فليته :

كرر ذكره مرتين الأولى في أحمد بن علي خطأ ص ٢٠ ومن الغريب أنه خَطَّأَ صاحب «الاعلام» في ترجمته وما جاء هو الصواب .

والثانية في أحمد بن محمد بن فليته ص ١٣٦ وزعم أن وفاته سنة ٢٣١ وهو خطأ فاحش وصوابه ان وفاته سنة ٧٣١ كما جاء في الترجمة الأولى .

أحمد بن عمر المنقش ص ٢٨ :

ورد ذكر كتابه «شرح الطاهرية» بعنوان الظَّاهرية بالظاء وصوابه بالمهملة وتعرف أيضاً بالمقدمة المحسنية في النحو للطاهر ابن باشاد .

أحمد بن أحمد الآنسي :

كرر ذكره مرتين الأولى في أحمد بن أحمد ج ١ ص   وهو الصواب والثانية في أحمد بن محمد خطأ ج ٢ ص ١١٣ .

أحمد بن محمد الرصاص ص ٩٠ :

ضبط وفاته سنة ٦٥٦ والصواب سنة ٦٢١ وله مؤلفات كثيرة انظر مؤلفي «مصادر الفكر الإسلامي» ص ١٠٤ .

أحمد بن محمد قاطن ١٢٥ :

وفيه الجباني نسبة إلى جبابة قرية كذا بالجيم والصواب بالحا المهملة .

أحمد بن محمد الشرواني ١٢٩ :

قال في نسبته الهمذاني فتحقق اذ لا تعرف عنه هذه النسبة .

أحمد محمد لقمان ص ١٤٦ :

قال ودفن بقلعة غمار من جبل ذازح بالغين والدال والصواب عمار بالمهملة ورازح بالراء المهملة .

أحمد بن ناصر المخلافي ص ١٩٢ :

نسب إليه كتاباً بعنوان «أرجوزة العيد» وقد بحثت عن هذا الكتاب في المصادر التي ترجمت له فلم أجد له ذكراً ثم اتضح لي أنه تسرع في نقل ما جاء في ترجمته في «نشر العرف» ج ١ من ١٩٨ وهو قول المؤلف (وله في أرجوحة العيد ، وهي المعرفة بالمِدْرَحَة هذان البيتان :

مدرهة بالظباء دارات كأنهم البدور في فلك ايامهم عيد
قالت لهم حين قالوا رايحين وقا لوا كيف حالك يا أهل الهوى عودوا

فاتضح أن كحالة صحف أرجوحة العيد إلى أرجوزة العيد ليأتي بكتاب مزعوم .

أحمد بن نسر العنسي :

أورد المؤلف نسبته هكذا أحمد بن نصر العنسي بالصّاد خطأ ص ٠٩٥ .

إدريس بن علي الحمزي ص ٢١٨ :

ضبط وفاته سنة ٧١٣ وهو خطأ ، صوابه سنة ٧١٤ . ونسب له كتاباً بعنوان «الأدب المذهب» تفرد بذكره فيحقق .

إسحاق بن عبد الباعث ص ٢٣٠ :

قال كان حيا سنة ٤٨١ والصواب أن وفاته سنة ٥٥٥ وقبره بصعده (يراجع كتابي «مصادر الفكر الإسلامي» ص ١٧٣ .

إسحاق محمد جمان :

ورد ذكر نسبته هكذا جمعان يتقدم الميم على العين خطأ كسابقة ابراهيم بن عبدالله جمعان ص ج ١ من ٥٠ والصواب ما ضبطناه سابقاً .

اسماعيل بن محمد بن اسحاق ص ٢٨٨ :

تكرر ذكره ثلاث مرات في نفس الصفحة (العمود الثاني كله) .

الجـزء الثالث

أبو بكر بن أحمد دعسين :

وردت نسبته هكذا برعين براء مهملة وعين وباء ونون ص ٥٦ والصواب (دعسين بالدال والسين وقد أورد الصواب بالهامش بصيغة التضعيف ومن الغريب أنه كثيراً ما يضعف الصحيح ويقوي الضّعيف .

أبو بكر بن عبد الرحمن العلوي :

تكرر ذكره ثلاث مرات الأولى في ص ٦٣ تحت اسم أبوبكر بن شهاب الدين وضبط وفاته بأن قال : كان حياً سنة ١٣٠٣ خطأ .

والثانية ص ٦٤ وهي الصَّواب .

والثالثة في عبد الرحمن بن مَحمَّد بن شهاب الدين ج ٥ ص ١٧٦ (خطأ) .

الحسن بن محمد الرصاص :

ورد اسم أبيه أحمد خطأ ص ١٩٦ .

الحسن بن اسحاق ص ٢٠٥ :

ورد ذكره مرتين في نفس الصفحة وفي الترجمة الاخيرة نسب إليه كتاباً بعنوان «المِرآة المبينة للناظر فيها هو الخالق ومسألة الكافر» والصواب في اسم هذا الكتاب هو «المِرآة المبينة للناظر فيما هو الحق في مسألة الكفاءة» وكثيراً ما يقع في مثل هذه الأخطاء بسبب نقله عن بروكلمان دون روية .

الحسن بن محمد النحوي ص ٢٨٠ :

تكرر ذكره في نفس الصفحة مرتين الأولى باسم الحسن بن محمد بن يعيش أول الصفحة والثانية في الحسن بن محمد النحوي في آخر الصفحة ومن الغريب أنه كرر نفس مؤلفاته في الترجمتين ولم يتنبه لذلك .

الحسن بن أحمد الجلال ص ٢٠٢ :

نفس مؤلفاته في كلا الترجمتين .

الحسين بن الحسن الأخفش ص ٣٢٠ :

كرر ذكره مرتين الأولى في الحسين بن الحسن الشامي خطأً ص ٣١٩ والثانية ص ٣٢٠ وهي الصواب .

الجـزء الرابـع

الحسين بن عبد الرحمن الأهدل ص ١٥ :

ورد ذكر قريته القحزية بالزاي خطأً والصواب بالمهملة (القحرية)

الحسين بن علي الحبيشي ص ٣٥ :

صَحَّفَ اسم كتابه «روض المسار في شروط فسخ النكاح بالاعسار» إلى «روض المساء في شروط منح النكاح بالاعسار»

حسين بن عبدالله بافضل ص ٤٠ :

هذا الرجل تكررت ترجمته في ثلاثة مواضع كلها غير صحيحة

الموضع الأول في ج ٣ ص ٣٥ تحت اسم بافضل حسين بن عبدالله (خطأً) .

والثانية تحت اسم حسن بن عبدالله بافضل ج ٣ ص ٢٤١

والثالثة تحت اسم حسين بن فقيه بافضل ج ٤ ص ٤٠ .

وكل هذه التراجم خطأً والصواب في اسمه أنه حسين بن عبدالله بافضل انظر ترجمته ومصادره في كتابنا «مصادر الفكر الإسلامي» ص ٢٨٦ .

الحسن بن محمد المغربي ج ٤ ص ٥١ :

أورد ذكره مرتين الأول في الحسن بن محمد ج ٣ ص ٢٨٢ وهو الصحيح والثانية في

الحسين بن محمد ج ٤ ص ٥١ خطأ .

الحسن بن محمد بن عقامة / ج ٤ ٩ ٥٢ :

أورده مرتين الأولى في الحسين بن محمد بن عقامة ج ٣ ص ٢٨٦ وهي الصواب . والثانية في الحسين بن محمد الشافعي ج ٤ ص ٥٢ «خطأ» وضبط وفاته فيها سنة ٧٧٧ «خطأ آخر» وقال : إنه شافعي خطأ ثالث والصواب في كل ذلك أنَّ وفاته في القرن الخامس الهجري وانه حنفي المذهب (أنظر كتابي «مصادر الفكر الإسلامي» ص ١٧١) .

حمود بن محمد شرف الدين ص ٨٢ :

ضبط اسمه حمودة بهاء زائدة والصواب حمود بدون هاء أنظر كتابنا «مصادر الفكر الإسلامي» ص ٣٩٤ .

حميد بن أحمد المحلي :

ساق ذكره مرتين الأولى في حميد بن أحمد المحلي ج ٤ ص ٨٣ وهو الصواب والثانية في حميد الدين بن أحمد المحلي ج ٤ ص ٨٤ وزعم فيها أنه كان حيّاً سنة ١٠٠٩ والصواب أنَّ وفاته سنة ٦٥٢ هـ .

سعيد بن عبيد بن عبد الحق الحضرمي من ٢٢٧ :

ورد اسم كتابه «ديوان الوقائع فيما جرى بين التريم ويافع» بالراء المهملة وصوابه «فيما جرى بين آل تميم وآل يافع» .

سالم أحمد بن شيخان اليمني :

كرر ذكره مرتين الأولى في سالم بن أحمد بن شيخان ج ٤ ص ٢٠٢ ، وهي الصواب والثانية في سليم بن أحمد بن شيخان خطأ ج ٤ ص ٢٤٢ .

شرف الدين بن شمس الدين ص ٢٩٧ :

هو المتوكل على الله يحيي بن شرف الدين كرر ذكره مرتين .

المرة الأولى في شرف الدين بن شمس الدين بن أحمد (خطأ) ج ٤ ص ٢٩٧ .

والثانية : في يحيي شرف الدين وهي الصحيح .

صالح بن داود الآنسي ج ٦/٥

ورد ذكر كتابه «مختصر شرح العلقي للجامع الصغير» وصوابه العلقمي بالعين واللام والقاف والميم وآخره ياء مثناة من تحت قلت وهذا هو خطأ مطبعي وقع في ملحق «البدر الطالع».

صالح بن عمر البريهي ص ٩ :

قال : وله «شرح الكافي» في الفرايض : وشرح كافي الحساب انتهى وعبارته توهم أنهما كتابان والصواب أنه كتاب واحد وهو من تأليف الصردفي .

أحمد بن صالح بن أبي الرجال :

ورد ذكره ثلاث مرات الأول في أحمد بن صالح بن أبي الرجال ج ٢٥٢/١ والثانية في صالح بن محمد خطأ ج ٥ ص ١١ . ومن الغريب أنه يحيل في الترجمة الأخيرة على الشوكاني في «البدر الطالع» ج ١ ص ٥٩ وانت تطالع ما كتبه فتجد ترجمته صحيحة واضحة وإنما حرفها مؤلف كتاب «معجم المؤلفين» سامحه الله .

والثالثة في صفي الدين بن صالح خطأ ج ٥ ص ٢٠ وانما صفي الدين كنية لأحمد .

صلاح بن عبد الخالق الجحافي الحبوري ج ٥ ص ٢٣ :

أشار إلى ذكره مرتين الأول في أحمد بن يحيي الجحاف ج ٢ ص ٢٠٢ خطأ والثانية في صلاح بن عبد الخالق وهي الصواب .

عباس بن منصور البريهي ص ٦٥ :

صَحّف نسبه من البريهي بالهاء إلى التريمي بالتاء والميم خطأ .

عبدالله بن عبد المجيد اليماني ص ٧٣ :

أورد ذكره مرتين الأولى في عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني وهو الصواب والثانية في عبد الباقي بن علي بن المجيد اليمني ص ٧٤ خطأ .

عبد الحميد بن أحمد المعافي ج ٥ ص ٩٩ :

قال : إنه شرح «الهداية» للمرغيناني والصواب شرح الهداية لابن الوزير في فقه

الزيدية وليس كتاب الهداية للمرغيباني في فقه الحنفية .

عبدالله بن أحمد بامخرمة :

أورد ذكره مرتين المرة الأولى في عبد الرحمن بن أحمد بامخرمة ج ٥ ص ١٢٠ خطأ والثانية في عبدالله بن أحمد بامخرمة ج ٦ ص ١٢٠ صواب .

عبد الرحمن محمد الجحافي ص ١٧٥ :

ضبط لقبه الحجافي بتقديم الحاء على الجيم والصواب العكس نِسبَةً إلى جبل شهير باليمن .

عبد الرحمن بن محمد العيدروس ص ١٧٨ :

ورد ذكره مرتين الأولى في عبد الرحمن بن محمد مُخّ الرؤس ج ٥ ص ١٧٦ خطأ أوقعه فيه صاحب «هدية العارفين» رحمه الله والثانية في عبد الرحمن بن محمد العيدروس وهي الصواب ،

عبد الرحمن بن محمد الخضرمي ص ١٧٨ :

هنا وقع في لَبْس كبيرٍ حيث خلط بين المتوفى سنة ٧٢٤ المترجم له في «العقود اللؤلؤية» ج ٢ ص ٢٣ وبين عبد الرحمن بن محمد الخطيب الحضرمي المتوفي سنة ٨٥٥ وهو صاحب كتاب «الجوهر الشفاف» المذكور في هذه الترجمة المختلطة .

عبد الرحمن بن محمد العلوي ١٩٣ :

خلط بينه وبين عبد الرحمن بن إبراهيم العلوي المذكور ص ١١٢ ونسب إلى الثاني كتاب «البديعية» والصواب أنها للأول فيحقق ذلك .

عبد الرحيم بن علي البرعي ص ٢٠٢ :

قال في ترجمته : عبد الرحيم بن أحمد بن علي الهاجري خطأ والصواب عبد الرحيم بن علي البرعي المهاجري بميم زائدة .

عبد الصمد باكثير ص ٢٣٥ :

قال توفي بشحر هكذا بدون تعريف والصواب أنها لا تلفظ إلا بأداة التعريف .

سعد الدين بن عبد العلي الهندي اليمني :

ذكره مرتين المرة الأولى في سعد الدين بن هبة بن عبد الرحيم الهندي ج ٤ ص ٢١٦ .

والثانية في عبد العلي بن هبة الله بن عبد الرحيم الهندي اليمني ج ٥ ص ٢٦٦ وكلا الترجمتين خطأ ، ولو أنه تحقق من المصدر الذي نقل عنه الترجمة الأخيرة ص ٢٦٦ لوجدنا المؤرخ زَبَارة يُتَرْجِمُهُ هكذا :

سعدالله بن عبد العلي بن هبه الله الخ أنظر «نيل الوطر» ج ٢ ص ٨ فأسقط اسمه الثاني من الترجمة الأولى وأسقط اسمه الأول من الترجمة الثانية فجاء هذا التكرار والخطأ نتيجة عدم التثبت في النقل .

الجـزء السادس

عبدالله بن حسين بلفقيه ص ٤٦ :

هنا وقع في لبس كبير في ترجمته وترددت ترجماته أربع مرات المرة الأولى في عبد الرحمن بن عبدالله بلفقيه ص ج ٥ ص ١٤٨ والثانية في عبدالله بن أحمد بلفقيه ج ٢ ص ٢١ ، والمرة الثالثة في نفس الصفحة بعد الترجمة الثانية ص ٢١ ، والمرة الرابعة في عبدالله بن الحسين ص ٤٦ وهي الصواب من كل هذه الترجمات المتكررة .

عبدالله بن أحمد باسودان ص ٦/٦٠ ص ٢٦ :

تكرر ذكره في عبدالله بن أحمد الحضرمي ص ٢٣ .

وفي عبدالله بن أحمد باسودان ص ٢٦ وكثيراً ما يُضَلِّلُهُ كتاب بروكلمان بعد أن يضل الترجمة الصحيحة لنصِّه الأعجمي .

عبدالله بن أحمد السرحي :

ضبطه المؤلف بالشرجي بالشين المعجمة والجيم ، والصواب بالمهملتين (السرحي) .

عبدالله بن أحمد الوردسان الشاجذي ص ٣٣ :

شخص مجهول نسب إليه كتابا ليس من تأليفه وهو كتاب «الدراري المشرقات في بواهر المخلوقات» والصواب أنه من تأليف عبدالله بن يحيي شرف الدين المتوفي سنة ٩٧٣ .

وقد وقع في هذا السهو نقلاً عن البغدادي في «هدية العارفين» ج ١ ص ٤٧٢ ولكن البغدادي رحمه الله استدرك هذا الخطأ في نفس الصفحة في الترجمة التي كتبها لعبدالله بن يحيي شرف الدين السابق ذكره .

عبدالله بن سليمان الجرهزي ص ٦٠ :

صَحّف لقبه بالجوهري خطأ .

عبدالله بن أحمد بامخرمة (الطّيب)

كرر ذكره مرتين خطأ الأولى تحت اسم الطيب بن عبدالله بامخرمة ج ٥ ص ٤٥ والثانية باسم عبدالله الطيب بن عبدالله بامخرمة ج ٦ ص ٦٥ والصواب ما حققناه في كتابنا «مصادر الفكر الإسلامي» وهو عبدالله بن أحمد بامخرمه ص ٥٢ .

عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي عبيد التريمي ص ٧٠ :

تكرر ذكره في عبدالله بن عبد الرحمن باعبيد ص ٦٧ .

والثانية في عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي عبيد ص ٧٠ .

والثالثة في محمد بن عبد الرحمن التريمي ج ١٠ ص ٢٣٨ .

عبدالله بن علوي بن عبدالله العطاس ص ٨٥ :

تكرر ذكره في ص ٨٥ والتي تليها وفي الترجمة الأخيرة صَحّف العطّاس بالعباس .

عبدالله بن علي العنسي ص ٨٩ :

قال : إنه كان حيّاً سنة ١٢٩٨ وتجديد وفاته بالضبط سنة ١٣٠١ .

عبدالله بن عيسى الكوكباني ص ٩٩ :

كرر ذكره مرتين بالتتابع ، وورد ذكره مرة ثالثة في عيسى بن محمد خطا ج ٨ ص ٣١ .

عبدالله بن محمد بن أبي عقامه ص ١٣٣ :

زعم أن وفاته سنة ٦٥٠ وهو خطأ لأن عُمارة ترجم له ، وذكر أنه عاش في القرن الخامس ، وقتل عمارة كان سنة ٥٦٩ . وفيه خلط بينه وبين أخيه الحسن بن محمد ، وقد سبق التنبيه على ذالك .

الهادي بن ابراهيم الوزير ٢٠٢ :

أورد ذكره مرتين الأولى في عبد الهادي بن ابراهيم الوزير ج ٦ ص ٢٠٢ ، والثانية في الهادي بن ابراهيم الوزير ج ٦ ص ٢٠٢ والثانية في الهادي بن ابراهيم الوزير ج ١٣ ص ١٢٥ وهي الصواب .

عبد الواسع عبد الرحمن العلفي ص ٢١٥ :

صحف بلدته حيدان بحيدار ، بالراء ، خطأ

الجـزء السابـع

علي بن أحمد الشامي العاملي ج ٧ ص ١٨ :

صحف الشامي الى الشبامي خطأ

علي بن أبي بكر العرشاني :

كرر اسمه مرتين الأول في علي بن أحمد العرشاني خطأ ص ٢١ وزعم أن وفاته سنة ٦٢١ خطأ آخر .

والثاني في علي بن أبي بكر بن حمير الهمداني (فقط) ص ٤٤ والصحيح في وفاته انها سنة ٥٥٧ .

علي بن أبي بكر الناشري ص ٤٦ :

صحف اسم كتابه « الجواهر المثمنات » إلى الجواهر المسمنات بالسين والصواب بالثاء المثلثة .

علي بن الحسين القعيطي ص ٧٢ :

صحف لقبه القعيطي الى القطيعي بتقديم الطاء خطأ والصواب انه القعيطي نِسبة الى الأقعوط في وصاب .

علي بن زيد الشظبي ص ٩٦ :

قال في ذكر كتبه له (التذكرة) في فروع الفقه المالكي فوقع في خطأين الأول ان كتاب التذكرة ليس من تأليفه وانما هو من تأليف الحسن النحوي وانماله عليه حاشية ذكرها زبارة ، والخطأ الثاني زعمه أنَّ كتاب التذكرة في فروع الفقه المالكي ، وهذا

خطأ ، وجسارة والصواب أنه في الفقه الزيدي ، ومثلما نسب هذا الرجل كُتُبَ المذهب الزيدي الى المذاهب الأربعة كالحنفي والمالكي وغيرهما .

علي بن صلاح الدين الكوكباني ص ١١١ :

ترجم له مرتين في المرة الأولى قال : إن وفاته سنة ١٠٧٠ خطأ هي ١١١١ وفي الثانية نسب إليه كتاب (درر الأصداف) وهو ليس من تأليفه وانما من تأليف يحيي بن ابراهيم جحاف وهو ديوان شعر .

علي بن محمد التهامي ٢١٩ :

تكرر في الحسن بن محمد التهامي ج ٣ ص ٣٥ وفي علي بن محمد ج ٧ ص ٢١٩ .

عمر بن محمد بن معيبد الفتى ص ٢١٣ :

صحف اسمه جده مُعَيبد الى عبيد خطأ

الجزء الثامن

عيسى بن لطف الله ص ٣٠ :

قال وله تاريخ سماه «فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح» وله «روح الروح» . والصواب في ذلك انه كتاب واحد ، وانما قدم الاسم على الصفة .

القاسم بن علي بن هُتَيْمل ص ١٠٩

قال في ترجمته أبو القاسم بن علي بن هُتيمل بزيادة أبو على اسمه وضبط وفاته سنة ٢٨٥ وهو خطأ والمعروف أنه منْ أهل القرن السابع الهجري وقد حقق هذا الأستاذ العقيلي في دراسته عن ابن هُتَيْمِل .

أبو بكر بن محمد الحرضي ج ٨ ص ١٩٦ :

تكرر في أبو بكر بن محمد الحرضي ج ٣ ص ٧١ .
وفي محمد بن ابراهيم الحرضي ج ٨ ص ٩٦ خطأ .

محمد بن ابراهيم المفضل ج ٨ ص ٢٢٠ :

سمى كتابه «السلوك» الذهبية بالأصول الذهبية خطأ .

محمد بن أحمد بن حسن ص ٢٥١ :

قال في ترجمته الحنفي وصوابه الزيدي وقال شرح الهداية للمرغباني في عقه الحنفية ، وصوابه وشرح الهداية لابن الوزير في فقه الزيدية وقد نبهنا على شيء من هذا فيما سبق .

محمد بن أحمد بافضل ص ٢٨٣ :

تكرر اسمه المذكور

وفي محمد بن أحمد بن فضل وقال : كان حيًّا سنة ٩٨٧ خطأ ج ٨ ص ٣٠٨ :

محمد بن أحمد بن مُظَفَّر :

تكرر في اسمه الصحيح ج ٨ ص ٢٢ .

وفي ص ٢٨ وزعم في الأخيرة ان وفاته سنة ٩٧٠ والصواب انها بعد سنة ٩٢٥ هـ .

محمد بن حسين الجفري ص ٢٤٥ :

تكرر في اسمه الصحيح ص ٢٤٥ وفي صفحة ١٥٨ في محمد الجفري :

محمد بن حسين بن سليمان المرهبي ص ٢٤١ :

تكرر في اسمه الصحيح ص ٢٤١ وفي محمد بن حسين المرهبي ص ٢٦١ وفي الأخيرة زعم ان وفاته سنة ١٠١٣ خطأ والصواب سنة ١١١٣ هـ .

محمد بن الحسين الكوكباني ٢٦٣ .

قال في ترجمته الحسيني الحميري والصواب الحمزي

محمد بن ابراهيم الحضرمي :

تكرر في موضع اسمه الصحيح ج ٨ ص ١٩٧

وفي محمد بن الخضر بالخاء والضاد خطأ ج ٩ ص ٢٨١

محمد بن عبدالله بن اسعد العمراني ج ١٠/ ١٩٩ :

تكرر في محمد بن اسعد ج ٩ ص ٥٠ خطأ

محمد بن عبدالله شرف الدين ج ٢١٩/١٠ :

تكرر في مادته الصحيحة

وفي محمد بن عبدالله الزيدي وفيها حدد وفاته سنة ١٠١١ خطأ والصواب سنة

١٠١٦ وأسمي كتابه الدر المزهوم بالدر المرحوم بالميم والراء المهملة والحاء المهملة أيضاً .

محمد بن عبدالله المؤيد ج ٢٢٦/١٠ :

ضبط وفاته سنة ١٠٣١ والصواب سنة ١٠٤٤ .

محمد بن موسى الذؤالي ج ١٢ ص ٦٧ :

ضبط الذوالي بالمهملة والصواب بالمعجمة .

محمد بن أحمد الناشري :

تكرر في اسمه

وفي محمد الناشري ج ١٢ ص ٧١ .

مسلم بن محمد اللحجي :

اسماه مسلم بن اسعد بن عثمان العمراني خطأً كبير ج ١٢ ص ٢٣٢

عز الدين بن الحسن المتوفي سنة ٩٠٠ ج ١٣ ص ٥٢ :

اسماه موفق الدين بن الحسن خطأً

نافع بن عبدالله الْحِمْيَرِيُّ الصنعاني المتوفي سنة ٢١١ ج ١٣ ص ٧٥ :

كذا وقد اشتبه عليه بعبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري المتوفي سنة ٢١١ أنظر ترجمته في موضعها .

نشوان بن سعيد الحِمْيَري المتوفي سنة ٥٧٣ ج ١٣ ص ٨٦ .

نسب إليه كتباً ليست من تأليفه ككتاب «التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض» وهو من تأليف ابن متوية الزيدي المعتزلي .

الهاديّ أحمد الجلال ج ١٣ ص ١٣٥ :

قال في نسبه : الرباعي والصواب الجلال كما في المصدر الدي نقل عنه .

يحيي بن الحسين الامام الهادي المتوفي سنة ٢٩٨ :

نسب اليه كتاب «المسالك في ذكر الناجي من الفرق والهالك» ج ٣ ص ١٩٢ والصواب أنه من تأليف يحيي بن الحسين المتأخر المتوفي سنة ١١٠٠ هـ .

صنعا : عبدالله الحِبْشي

أبو ذؤيب الهذلي
حياته وشعره

مشاركة نساء الأمة في ميادين البحث والدراسة والتأليف من أبرز الأدلة على تقدّمها ، وتكامل التّعاون بين أفرادها .

والمرأة في بلادنا — فتاة أو سيدة — بدأ تعليمها منذ عهد قريب ، ومع ذلك فلها في ميدان الكتابة والتأليف آثار تدعو للتفاؤل ، وتبعث في النفس الاستبشار بمستقبل حسن .

أما الدراسات الأدبية والتاريخية وغيرهما مما يستدعي من الجهد وسعة الإطلاع ، وطول الزمن والفراغ ، مِمّالا يتلاءم مع متطلبات حياة المرأة في هذه البلاد ، ولا مع طبيعة هذه الحياة في الوقت الحاضر ، فإنَّ من عدم الانصاف ومن التسرّع أيضاً — استعجال مالها من جهد وأثر في تلك الدراسات ، فضلاً عن مطلابتها بالتبريز ، في ذلك الأثر أو محاولة تقييمه باعتباره عملاً متكاملاً .

ولهذا فإنّ السيدة الجليلة نورة الشعلان — المحاضرة في كلية الآداب في جامعة الرياض باقتحامها هذا الميدان تعتبر مغامرة ، وقد تكون رائدة بالنسبة لبنات جنسها في هذه البلاد ، بمؤلّفها «أبو ذؤيب الهذلي : حياته وشعره» وهو الرسالة التي نالت بها درجة (الماجستير) في الآداب من مجلس جامعة الرياض في ١٢/١١/ ١٣٩٨ — ثم طبعتها الجامعة سنة ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م — بمطابع (شركة الطباعة العربية السعودية) في الرياض ، في كتاب بلغت صفحاته ١٧٨ — من القطع الكبير — وقدّمه الدكتور محمد زغلول سلّام ، الموجّه للمؤلفة الكريمة ، ومما قال في التقديم : (وأرى في هذا البحث — وهو باكورة عمل علمي جامعي جادّ — أملا في مستقبل طيّب لصاحبته .. وأرجو أن توالي جهودها في هذا الميدان ، وتتبع هذا البحث ببحوث تنال بها ما هو أرفع في الدرجة العلمية ، وتثبت قدمها في طريق هذا العلم) .

لقد فكرت حين طالعت الكتاب ولاحظت أثناء مطالعتي أموراً يسيرة تستحق أن ألفت نظر المؤلفة الكريمة إليها فكرت في كون هذا المؤلف جديراً بأن يقابل بما يتلاءم مع ما أشرت إليه في أول هذا الكلام من أن المرأة في ميدان الدراسة جديرة بأن يبذل لها من وسائل التشجيع ما يكون عوناً لها على أن تساير الباحثين في كل ميدان وهذا يستلزم الإغضاء عما يقع في بواكير أعمالها من الهفوات .

إلّا أنني لاحظت أمرين :

أحدهما : أن تبعة تلك الهفوات تنصب في المقام الأول على الأستاذ المشرف على توجيهها للحصول على الشهادة الجامعية فقد فاته إرشادتها إلى أن مصادر البحوث كل ما تقدم زمنها كانت أعمق في الأصالة وأبعد عن الخطإ .

وجلّ الهفوات ناشئة عن الاعتماد على أصول حديثة بالنسبة لما هو أقدم منها .

الأمر الثاني : أن كتاب السيدة نورة أصبح كتاباً جامعياً فقد نشرته جامعة الرياض . ولهذا فسيكون بين المصادر التي يرجع إليها .

وأمر ثالث : هو أن عقل الفتاة وتفكيرها تجاوز المرحلة التي وصفها الشاعر بقوله :

خطرات النسيم تجرح خدّيـ ـه ولمس الحرير يدمي بنانه

وإذا لم تتدرّع الباحثة الناشئة بالقوة والجلد وتحمل ما يوجه إلى أفكارها من نقدٍ تعثرت في سيرها وضعفت عن الاستمرار في شق طريقها .

ومن هنا رأيت أن أبدي ما عن لي من ملاحظات قد يكون في إبدائها بعض القسوة ولكنها قسوة الأب البر بأبنائه .

وقبل ذلك يحسن توضيح أمرين يتعلقان بقبيلة هذيل التي صدرت الكتابة الكريمة بحثها في الكلام عنها .

الأول : بقاء القبيلة محافظة على نسبها القديم ، وإن اختلطت بعض فروعها بمن يجاورهما من القبائل التي أصبحت أقوى منها .

الثاني : ملازمتها لبلادها القديمة باستثناء أجزاء منها زاحمتها قبائل قوية فأزاحتها عنها إلى أمكنة ليست بعيدة منها ، بخلاف غيرها من القبائل التي غادرت بلادها فهاجرت إلى بلاد نائية .

أما قول ابن خلدون بأنه : (لم يبق في الحجاز حيّ يطرق ، لهذيل) فهو ككثير من أقواله عن قبائل أخرى مما يشهد الواقع بعدم صحته ، إذ لا يزال كثير من فروعها في بلادها القديمة .

وقد لا يتضح هذا بدون ذكر فروع قبيلة هذيل المعروفة في الوقت الحاضر ، ثم إيراد نصّ من أقدم كتاب اطلعت عليه حاول مؤلفه تحديد منازل القبائل العربية في القرن الثالث الهجري وما قبله — على طول ذلك النص —.

أ — فروع قبيلة هذيل في عصرنا :

عن كتاب «معجم قبائل المملكة العربية السعودية — ص — ٨٧٨ — جاء في هذا الكتاب : هُذَيْل :

واحدهم هذليّ[١] :
ومنهم جميل والمِسْودة .

فمن جميل : القرّح (العلويّون) ودعد ، والنّدويّون (بنو ندا) والسّراونة وبنو أياس ، والجوابرة (بنو جابر) وبنو كعب ، والطلحات (الطلوح) .

ومن المسودة : لحيان وبنو عمير ، وبنو مسعود والمطارفة ، وصليم (الصّلمان) ومن صليم : السعايد والحتارشة والسواهرة وعقيل ، ومن المسودة أيضاً زليفة والسوالمة ، والكباكبة .

وهذيل بلادها حول مكة والطائف في وادي نخلة اليمانية والشاميّة وفي الجعرانة ، وفي وادي فاطمة وفي جبل كبكب وفي عرفات وفي أودية نعمان ورهجان وضيم إلى يلملم (السّعديّة) .

ومنهم من يسكن سراة الطائف ,[٢] وما أشرف منها غرباً وسال من أوديتها إلى

تهامة ، ولهذا تُقْسَم هذيل باعتبار منازلها إلى هذيل الشام ، وهذيل اليمن ، فهذيل الشام (الشمال) هم الذين تقع بلادهم شمال مكة وشرقها ، وهذيل اليمن هم الذين تقع بلادهم جنوب عرفات (وادي نعمان) ومنهم هذيل الطائف وهم :

١ ـــ الطّلحان .   ٢ ـــ الخلّد (آل خالد) .
٣ ـــ الحساسنة .   ٤ ـــ زليفة .
٥ ـــ العَبَدَةُ .

فالطّلحات والخلّد يسكنون في سراتهم المعروفة ببلاد الطّلحات ، بين بني سفيان من الجنوب وقريش من الشمال[٣] .

والحساسنة يسكنون الأصدار وشعاف الجبال غربي بلاد النّمور ، مما يلي يعرج .

وزليفة في شفا زليفة بوادي الشُّرَيْف شمال الهدأة (الهدة) .

والعبدة في وادي الشّقة . شمال الهدأة .

ب ـــ منازل قبيلة هذيل قديماً :

أما ما يتعلق بإيضاح منازل هذيل القديمة فقد جاء في كتاب « بلاد العرب » ـــ وهو من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) ص ١٧ ما نصه ـــ:

ولهذيل جبل يقال له كبكب .
وجبل يقال له كِنْثِيْل .
وجبل يقال له عَسيب .
ولقريش جبل يقال له عسيب أيضاً .
ولهذيل جبل يقال له أراك .
وجبل يقال له صُدَاصِد .
وجبل يقال له المُشَقَّر ، وهو الذي قال فيه أبو ذؤيب :ـــ

حتّى كأنّي للحوادث مروة   بصفا المشقّر كلّ يوم تقرع

ولهم جبل يقال له عُصْم .

وجبل يقال له الوتير ، وفيه لكنانة أيضاً شرك لبني عبد بن عديّ وثمّ أودية واسعة .

وجبل يقال له لباب وهو لبني خالد .

وجبل يقال له فَحْل يصبّ منه واد يقال له شَجْوة ، وأسفله لقوم من بني أميّة .

وجبلان يقال لها لُبْنَان ، لُبَنٌ الأسفل ، ولبن الأعلى ، وفوق ذلك جبل يقال له المبرك وفيه برك الفيل بِعُرنة .

وفوق ذلك جبل يقال له وَصيق ، أدناه لكنانة لقوم من بني عبد بن عديّ ، من بني الديل ، وشقّه الآخر لبني هذيل .

ثم ما بنعمان من جبال هذيل .

ونعمان واد يسكنه عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ، وبين أدناه وبين مكّة نصف ليلة ، وفيه جبل يقال له المدراء وبنعمان الأصدار ، وهي صدور الوادي الّتي يجيء منها العسل إلى مكّة .

وبالاصدار جبل يقال له ذات الأقبر .

وجبل يقال له يَعْرج ، فيه طريق يظهر إلى الطائف أسفله لبني الملجّم من هذيل أيضاً ، وأعلاه لزليفة من هذيل أيضاً . ولهم أيضاً واد يقال له رَهْجَان يصبّ في نعمان به عسل كثير .

وجبل يقال له مَكّا .

وجبل يقال له الوَتَر ، عليه الطّريق من اليمن إلى مكّة ، به ضيعة يقال لها المظهر ، لقوم من كنانة ، في بلاد هذيل .

وواد يقال له الضَّجَنُ ، أسفله لكنانة .

ووادي يقال له مَلْكَان ، وهو من مكّة على ليلة ، وأسفله لكنانة .

وواد يقال له إدام ، أسفله لكنانة .

وواد يقال له حدثة أسفله لكنانة .

وواد يقال له يلملم ، ومنه يحرم أهل اليمن . وخَلْفَ ذلك واد يقال له مركوب ، أسفله لكنانة .

وخلف ذلك واد يقال له بشائم وهو لهذيل ، وبشائم يصب في بَشَمى وهو واد أيضاً .

وسعْيا أسفله لكنانة وأعلاه لهذيل .

وحلية أعلاها لهذيل ، وأسفلها لكنانة .

ومن بلاد هذيل ، في طريق مكة المكرمة ، من مكّة على ليلتين : نَخْلَتان ، نخلة اليمانية يصبّ فيها يدعان ، وهو واد به مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وبه عسكرت هوازن يوم حنين .

ونَخْلَةُ الشَّامِيَّةُ .

ومجتمعها بطن مرّ .

وسبوحة واد يصبّ في نخلة اليمانيّة .

وأبام وأبيّم وهما لهذيل ، وهما شعبان (بنخلة اليمانية) بينهما جبل مسيرة ساعة من النهار ، وقد قال فيهما السّعديُّ من سعد بكر :

وإنّ بهذا الشّعب بين أبيّم وبين أبام شعبة من فؤاديا

ثم فوق ذلك شعب يقال له نحا وهو لهذيل .

ثم المراح وهو لهذيل ، وهي ثلاثة شعاب (تتناظر) من داءة .

وداءة هي الجبل الذي يحجز بين نخلتين .

ثم عشر وهو شعب لهذيل ، يصب من داءة أيضاً .

وقبالة عشر من شقّ نخلة الأخرى شعبان يقال لها — الضهياتان يجيئان من السّراة .
وبينهما وبين يسوم جبل يقال له المرقبة كان مرقبة لهذيل ، تكون رُقباؤُهُمْ فيه .

وشعب يقال له هُلال يجيء من السّراة أيضاً من يسوم .

ثم شعب مثل هذا أيضاً يقال له خيص .

ويسوم : جبل لهذيل .

وشعبان يقال لها الكفوان الكفو الأبيض والكفو الأسود ، وهما طريقان مختصران ، يصعدان إلى الطائف وهما مَغَاني ، لا تطلع عليهما الشمس إلا ساعة من النّهار وهما شَعْبَا ثَأْدٍ ، وهما بلاد مهايف ، تهاف الغنم من الرّعي الّذي في الثّأْد ولا يرعيان إلا في الصّيف .

وهذه كلها أعلى (نخلة اليمانية) انتهى .

وجلّ هذه المواضع إن لم يكن كلها لا يزال معروفاً ، ويطول القول في تحديد مواقع تلك المواضع ، ولكنّها كلها حول مكة شرقها وغربها وشمالها وجنوبها . وهي منازل تلك القبيلة في عصرنا .

وبعد هذه المقدمة عن فروع قبيلة هذيل في هذا العهد ، وعن منازلها القديمة . يحسن السير مع المؤلفة الفاضلة لابداء ما يعنّ من ملاحظات .

١ ـــ ص ٣ : (تجمع المصادر على أنّ هذيلاً قبيلة شمالية ، تنتهي بنسبها إلى معد بن عدنان) .

ثم الإحالة إلى كتاب «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم والملاحظة من ناحيتين : الأولى كلمة (شمالية) من حيث تقسيم أصول قبائل العرب إلى شمالية وجنوبية لم ترد في المصادر القديمة ، وانما حدثت في عهد قريب في كتب المستشرقين ومن أخذ عنهم ، ممن يرى عدم صحة الانتساب إلى عدنان وقحطان ، بل تقسيم سكان الجزيرة إلى قسمين سكان الشمال وسكان الجنوب .

الناحية الثانية : تصح الإحالة إلى كتاب «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم لو استُعْمِلَ التَّقْسِيمُ الصحيح المعروف عند علماء النسب القدماء وهو استبدال كلمة (عدنانية) بكلمة (شمالية) التي لم ترد في كتاب ابن حزم ـــ لتكون الإحالة صحيحة .

٢ ـــ ص ٣ ـــ : (ولهذيل من الأبناء لحيان وسعد) . مع الإحالة إلى كتاب

«سبائك الذهب» ..

ومفهوم هذا أنه ليس لهذيل سوى هذين الابنين ، وهذا لا يتفق مع ما ذكره علماء النسب ، ومنهم صاحب كتاب «سبائك الذهب» فقد جاء فيه : (وكان لهذيل من الولد سعد وخباب (؟) بطن . وعمير وهرمة بطن . قاله في «نهاية الأرب») . ولكن الذي في كتاب «نهاية الأرب» ص ٣٩٥ — تحقيق علي الخاقاني طبعة بغداد : في الكلام على هذيل (كان له من الولد سعد وجناب بطن ، وعميرة وهرمة — بطن) . وأرى كلمتي (خباب) و(جناب) تحريف (لحيان) .

وأما ابن حزم صاحب كتاب «جمهرة أنساب العرب» قال : (ولد هذيل بن مدركة : سعد ولحيان) ثم فرّع القبيلة من هاذين ، وابن حزم لا يذكر إلّا الفروع المشهورة .

ولهذا كان من المستحسن قول : (وأشهر فروع هذيل : سعد ولحيان) .

ويلاحظ أن كتاب «سبائك الذهب» للسويدي ليس من الكتب الموثوق بها لتأخر مؤلفه — فقد توفي سنة ١٢٤٦ (٤) . ولعدم تثبت هذا المؤلف وعدم تحقيقه ، فهو قد نقل ما في كتاب «نهاية الأرب» للنويري نقلاً بدون تمحيص ، فذكر قبائل مشهورة النسب ، وذكر أن نسبها غير معروف .

٣ — ص ٣ : (وسعد هو جد أبي كبير الهذلي ... كما أنه جد الصحابي المشهور عبدالله بن مسعود — على رواية السويدي ، إذ يورد نسب عبدالله بن مسعود هكذا : عبدالله بن مسعود بن غافل بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن سعد بن هذيل) ثم الإحالة إلى «سبائك الذهب» ص ٢٣ — ويلاحظ على هذا :

أ — لم أجد هذا النسب في تلك الصفحة من الكتاب المذكور ، ونص ما فيها : (فبنو صاهلة بطن من هذيل من العدنانية ، منهم عبدالله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم) انتهى بدون زيادة ولكنّ نسب ابن مسعود الصحابي الجليل مذكور في كثير من كتب النسب ، وفي الكتب المؤلفة عن الصحابة ، مثل كتاب «الإصابة» و«الاستيعاب» وقد أورده ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» ص ١٨٦ وهو من

مراجع كتاب «أبو ذؤيب الهذلي» فلعل الإحالة فيه إلى «سبائك الذهب» خطأ غير مقصود .

ب ــ سقط من أسماء أجداد عبدالله بن مسعود في نسبه الوارد ــ ص ٣ ــ أسماء ثلاثة أجداد هم : فار بن مخزوم بن صاهلة ــ إذ شمخ هو ابن فار ، وقد تكون غرابة الاسم هي التي حالت دون ذكره . والحارث بن تميم بن سعد ــ أبو كاهل . وتميم بن سعد ــ أبو الحارث .

٤ ــ ص ٤ ــ القول بأن قبيلة هذيل : (توزعت في العصر الجاهلي على جبال الحجاز الفاصلة بين تهامة ونجد) وكذا قول ابن خلدون : أن لهذيل أماكن مياه أسفل الطائف من جهة نجد . هذان القولان من الأقوال التي تحتاج إلى تأمل . فمن المعروف :

أ ــ أنّ القبائل كلها في العصر الجاهلي تتجمّع ولا تتوزّع في منازل ، لأنها بحاجة إلى القوّة والتماسك ولتحافظ على حياتها ، لتمنع بلادها وتصدّ الطامعين في الاستيلاء على تلك البلاد .

ب ــ إذا رجعنا إلى كتب المتقدمين الذين تحدثوا عن منازل القبائل ، ومن أقدمهم لغدة الأصفهاني صاحب كتاب «بلاد العرب» وكتابه أقدم كتاب وصل إلينا في تحديد منازل القبائل ــ إذا رجعنا إليه وجدنا منازل هذيل متّصلة ، لا يتخللها منازل قبيلة أخرى مما يدل على أنها لم تكن متفرقة (متوزعة) ولا يخالطها أحد من القبائل في المنازل ، إلا في أطراف تلك البلاد ، ومن قبائل بينها وبين هذيل روابط جوار ، وصلات قويّة ، كقبيلة كنانة ، وهي قبيلة متحضّرة ، لا تَطْمَعُ بأن يمتدّ نفوذها إلى بلاد جيرانها بالقوة .

جـ ــ لا نجد بين أيدينا من نصوص المتقدمين ممن تقدم عصر ابن خلدون (القرن الثامن الهجري) من ذكر أنّ لهذيل مياها أسفل الطّائف من جهة نجد ، بل نجدهم ذكروا أن تلك المياه التي أسفل الطائف لهوازن القبيلة التي هي أثرى من هذيل عدداً وأقوى ، وأوسع بلاداً .

هـ ــ كلام ابن خلدون عن القبائل ومنازلها في جزيرة العرب يعتريه كثير من

الأوهام ، ولهذا لا يصحّ الاعتماد على ما انفرد به ، ما لم يذكر مصدره ، والمجال لا يتسع للبحث في هذا الموضوع الواسع ، وحسب الباحث أن يقارن بين ما ذكر عن انتقال القبائل ، وهجرتها من الجزيرة في الجملة التي يكررها كثيراً (ولم يبق منها في بلادها أحد) وأمثالها — يقارن بينها وبين ما هو معروف ومشاهد الآن عن تلك القبائل ، ومنها هذيل التي قال عنها (ولم يبق في الحجاز حيّ يطرق لهذيل) .

٥ — ٤ — : (وهذيل قبيلة كبيرة ، استوطنت شمال الحجاز) .

منازل هذيل تقدم الحديث عنها ، وكلها حول مكة ، وهي في تهامة سوى أفخاذ يسيرة من القبيلة سكنت سراة الطائف الغربية ، وفي سفوحها المنحدرة إلى تهامة في الجنوب الشرقي من مكة .

ولم يذكر متقدّمو العلماء — ممن اطلعت على كلامهم — من ذكر أن تلك القبيلة استوطنت شمال الحجاز — أي في الجانب الواقع شمال مكة من تلك المنطقة باستثناء الأودية المنحدرة من الحرة وما بقربها كوادي الهدأة ، وأسفل رهاط وعسفان وما حولها .

٦ — ومثل هذا القول ما ورد — ص ٤ — نقلاً عن ابن خلدون : لهذيل أماكن ومياه أسفل الطائف من جهة نجد . فإنّ الدّارس لمنازل القبائل في عهودها القديمة لا يجد في المصادر المعروفة الموثوق بها اسم ماء واحد ، أو اسم موضع واحد في بلاد نجد لقبيلة هذيل ، وقد حدّد صاحب كتاب «بلاد العرب» بلاد هذيل تحديداً خلص منه إلى القول بأنّ قبيلة هذيل : (لا تفارق تهامة)(٥) .

كما أوضح أن سكان أسفل الطائف من جهة نجد بطون من هوازن — ذكر أسماءها وسمّى منازلها ومياهها — مما لا يتّسع المقام لذكره . ومن قوله :

وأما بنو سعد بن بكر ، فليست لهم أعداد ، وانّما مياههم أوشال بمنزلة مياه هذيل ، وهم جيران هذيل ، إلا أنهم ربما جلسوا إلى فروع نجد . انتهى — ص ١٤ — .

والعلّامة ابن خلدون أُخذ عليه في تاريخه «العبر» أنّه لم يسر وفق القواعد التي رسمها في «المقدمة» عندما ألّف التّاريخ ، ويعتذر المدافعون عنه في ذلك بأن توفي قبل إعادة

النّظر فيه ، ويستدلون على ذلك بكثرة المواضع التي ورد الكلام فيها مبتوراً ، مع ترك بياض في تلك المواضع .

٧ ــ ص ٤ ــ ما ذكر الهمداني عن أوطاس وأنه من بلاد هذيل ، ليس صحيحاً ، والهمدانيّ قد يذكر اسم الموضع في منازل القبيلة إذا وجد أحد شعرائها يذكره في شعره ، وهذا لا يصح دائماً فقد يذكر الشاعر أسماء مواضع كثيرة خارجة عن بلاد قومه .

والصحيح ما ذكره صاحب «معجم البلدان» وغيره من أنه من بلاد هوازن (ص ٥) .

ولكنّ صاحب «المعجم» حين قال : حدثت فيه معركة حنين ــ قد يفهم منه أنّ أوطاساً وحنيناً موضع واحد ، وهذا غير صحيح ، فهما موضعان بينهما عشرات الأميال أحدهما في تهامة والثاني شرق جبال الحجاز ، خارجاً عنها .

حنين هو أعلى وادي الشرائع ، واسمه يدعان ، معروف الآن ، ولكن أهل تلك الجهة يبدلون الياء جيماً فيقولون (جدعان) قال نصر الاسكندريّ في كتابه ــ الذي لا يزال مخطوطاً ــ : يدعان واد به مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم ، وبه عسكرت هوازن يوم حنين ، في وادي نخلة . انتهى .

ونقل هذا ياقوت ، ولم يذكر مصدره . والقول بأنه في وادي نخلة فيه تجوّز ، فهو بقرب وادي نخلة اليمانية يقع جنوبها ، وليس فيها .

أمّا أوطاس فأقرب المواضع المسكونة منه عشيرة ، التي كانت منهلاً من مناهل طريق الحجاز من نجد ، فأصبحت الآن قرية .

إذا اتجه السائر منها مشرّقاً أفضى إلى البراح ، فعلى يساره سهل ممتد شمالاً إلى مقربة من (البركة) ، يقع هذا السهل غرب وادي العقيق ، ممتدّا فاصلاً بينه وبين مرتفعات الحرّة ، التي من أبرز أعلامها هناك بسّ ، وهو أنف أسود من الحرّة يطلّ على عشيرة[٦] .

ويتّصل سَهْل أوطاس شرقاً بسهل ركبة يفصل بينهما العقيق ، ويقع سهل أوطاس

بين خطّي الطول ٤٠/٤٠° و٥٠/٤٠° وبين خطّي العرض ٤٥/٢١° و١٠/٢٢°) .

ومن شعر العباس بن مرداس السّلميّ في يوم أوطاس يذكر انهزام هوازن من حنين :

ركضنا الخيل فيهم بين بسّ إلى الأوراد ، تنحط بالنّهاب

وقال بجير بن زهير بن أبي سلمى :

كانت علالة يوم بطن حنين وغداة أوطاس ، ويوم الأبرق

ففرّق بين الموضعين — والغزوة واحدة ، ابتدأت في حنين وهو — كما جاء وصفه في كتب المغازي —: [7] واد من أودية تهامة أجوف ، حطوط ، يُنْحَدَرُ فيه انحداراً — فوقعت الهزيمة على المسلمين في أول الأمر ، ثم ثبتوا وانتصروا حتى هزموا أعداءهم ، فمنهم من هرب نحو الطائف ، ومنهم من فرّ إلى أوطاس ، وتوجّه بعضهم إلى نخلة .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثار من توجّه قِبَلَ أوطاس بعثا من المسلمين هزم من تجمع هناك من الأعداء .

وأكتفي بإيراد نصّين في تحديد موقع أوطاس من مؤلَّفَيْنِ هما أقدم ما اطلعت عليه من الكتب التي عنيت بتحديد المواضع :

أ — قال صاحب كتاب « المناسك » [8] وهو من أهل القرن الثالث الهجري :— وعلى ثمانية أميال من غمرة يسرة أمّ خرمان ، ومنه يعدل أهل البصرة ، وهو الجبل الذي عليه علم ومنظرة ، وعنده بركة أوطاس ، وأوطاس بها قصور وأبيات وحوانيت ، وبركة ، يسرة ، فاذا انحدرت منه صرت إلى تهامة ، ثم ذات عرق الخربة — انتهى . ويقصد جبل أمّ خرمان بقوله : (فاذا انحدرت منه) .

ب — وجاء في كتاب « بلاد العرب » [9] ومؤلفه من أهل القرن الثالث أيضاً —: ثم تجوز مرّان فترد الشبكة ، ثم ليس دون وجرة الا مُتَعَشّى يقال له بُسّيَان ، ثم أوطاس ، فاذا جزت أوطاس أشرفت على غور تهامة . وفيه أيضاً [10] : وغمرة منهل بواد يقال له العقيق ، وفوق ذلك أوطاس ، وهي أرض بريّة ، طيّبة ، لبني سليم . ثم إذا جاوزت أوطاس أشرفت على غور تهامة . انتهى .

جـ — وأورد ابن هشام في «السيرة»[11] : في وصف أوطاس ما نصّه : قال دريد بن الصّمة :— لما نزل الناس بأوطاس —: بأيٍّ واد أنتم؟ قالوا : بأوطاس . قال : نِعْمَ مجال الخيل ، لا حزن ضرس ، ولا سهل دهس . انتهى — وتقدم وصف وادي حنين .

٨ — ص ٤ — كان يحسن التنبيه على خطإ قول ابن خلدون إنه لم يبق في الحجاز من هذيل حيّ يطرق ، لكثرة من هاجر منها ، فقبيلة هذيل من بين القبائل القليلة التي لم تغادر بلادها القديمة في تهامة ، وفي أطراف سراة الطائف الغربية .

٩ — ص ٤ — : عرنة واد لا يزال معروفاً ، إذا اجتازه المرء مشرّقا دخل عرفات ، فهو متّصل بها ، ولهذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الواقفين في عرفات أن يرتفعوا عن بطن عرنة ، وسيله يجتمع مع سيل وادي عرفات على مسافةٍ غير بعيدة من الموقف في الجنوب الغربيّ منه .

١٠ — ص ٤ — نعمان واد لا يزال معروفاً يقطعه المتّجه إلى الطّائف بعد اجتياز أرض عرفات بنحو خمسة أكيال ، أي أنه قريب من عرفات ، وليس على (ليلتين) منها . وأرى أن (ليلتين) تصحيف (ميلين) .

١١ — ص ٥ — : الرُّحَيل الذي هو منزل بين البصرة والنّباج ، يقع أسفل وادي الباطن (فلج قديماً) شرق الحفر ، في حدود العراق — أنظر كتاب «المنطقة الشرقية» .

ولا أرى الهمداني مصيباً في ذكره من منازل هذيل ، والهمداني قد يذكر اسم الموضع في منازل قبيلة من القبائل ، إذاورد ذكره في شعر أحد شعرائها ، وهذا لا يصحّ دائماً ، فكثيراً ما يذكر الشاعر مواضع لا صلة لها ببلاد قومه .

وقد تكون كلمة (رحيل) في كتاب الهمداني محرّفة ، ولا أستبعد أن يكون صوابها : (وجبل كبكب) والواو والراء الزائدتان لا محل لها ، فعطف بذكر الجبل على (بطن نعمان ونخلة) وهما واديان مشهوران ، معروفان حتى عصرنا — عطف بذكر (جبل) لئلّا يتوهم متوهّم أن كبكب واد كالموضعين اللّذين عطف عليهما ، وهو بينهما .

وكبكب شهرته تغني عن تحديده ، فهو الجبل العظيم الواقع شرقيّ عرفات ، وما

أورده ياقوت في تحديده صحيح ، فهو خلف عرفات ــ أي شرقها ــ وهو الجبل الذي يجعله الحاج في ظهره إذا وقف بعرفات واستقبل القبلة ، وهو مشرف على عرفة ، والأقوال الثلاثة مدلولها واحد .

وياقوت ــ وغيره من المتقدمين ــ ينقلون تحديد المواضع من مصادر مختلفة ، ترد فيها أقوال متعدّدة في تحديد الموضع الواحد ، وهذا ناشيء عن كون الذين حدّدوا الموضع يختلفون في أسلوب التحديد ، فيقول أحدهم عن جبل كبكب مثلاً : من جبال هذيل ، ويقول الثاني : هو جبل يشرف على عرفة ، ويقول الثالث : قولا يتفق مع قولي الأولين في المعنى ، ويخالفهما في الأسلوب ، فيضطر ياقوت ــ وهو لم يشاهد الموضع ــ أن يورد تلك الأقوال كلها ، وربّما أوردها بصيغ يفهم منها التّضارب ، مع أنها كلها متفقة وصحيحة .

١٢ ــ ص ٥ ــ : لا صلة بالنباج ببلاد هذيل ، فبلادهم في تهامة ، وما حولها غرب الحجاز والنّبَاجُ شرق الجزيرة وشمالها إذ الاسم يطلق على مواضع :

أ ــ أشهرها الواقع في طريق الحاجّ البصريّ ، وهذا يعرف الآن باسم (الأسياح) شرق بلاد القصيم ــ أنظر كتاب « بلاد القصيم » أحد أقسام « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » رسم (الأسياح) .

ب ــ والنباج أيضاً شرق الصَّمَّان ــ في المنطقة الشرقية ــ وهذا كثيراً ما يقرن باسم (ثيتل) والموضعان الآن يعرفان باسم (قرية العليا) وهي النباج قديماً ، و(قرية السُّفلى) وهي ثَيْتل ، وانظر لتحقيق ذلك كتاب « المنطقة الشرقية » أحد أقسام « المعجم المذكور » .

جـ ــ والنّباج في شمال المملكة ، في وادي السّرحان ، من قرى الشرارات ، ذكر في كتابي « في شمال غرب الجزيرة » و« شمال المملكة » من « المعجم الجغرافي » أيضاً .

١٣ ــ ص ٥ ــ : القول بأنّ البوباة صحراء بأرض تهامة على صحّته لا يحدّد الموضع ، فما أطول تهامة وما أعرضها ؟! وهو كتعبيرات بعض المتقدمين (موضع في طريق البصرة إلى مكة) أي في جزيرة العرب !

والبوباة هي الأرض التّي يتّصل أعلاها ببلدة السّيل الكبير (قرن المنازل قديماً) الذي يحرم منه القادم من نجد مع الطريق القديم ، وتمتدّ إلى قرية الزّيمة يخترقها وادي نخلة اليمانيّة ، ويعرف أعلاها باسم البيتاء (بُهَيّتَة) . وانظر لتحديدها كتابَيْ «بلاد العرب» و«صفة جزيرة العرب» .

١٤ ــ ص ٦ ــ عن هذيل : (كذلك فقد سكنت منطقة نخب التّي وردت في قول أبي ذؤيب :

لعمرك ما عيساء تَنْسأُ شادِنا يعنّ لها بالجزع من نَخِبِ النَّجْل

وقد حدد البكري هذه المنطقة إذ قال : نخب بفتح أوله واسكان ثانيه : واد من وراء الطائف) .

يلاحظ على هذا :

أ ــ ليس كل موضع يرد اسمه في شعر أحد الشعراء يعتبر من منازل قبيلته ، ووادي نخب يقع شرق الطائف ، في بلاد هوازن وليس من منازل هذيل ، ولا تصل بلاد هذه القبيلة إلى شرق الطائف ، بل لا تبلغه .

ب ــ لم أر للبكري قولاً بأن وادي نخب من بلاد هذيل ، بل ذكر ما يفهم منه أنه ليس من بلادهم فقد أورد خبر الحرب التّي وقعت بين الأحلاف من ثقيف وبين بني نصر من هوازن ، ومعهم بنو مالك من ثقيف أيضاً ضدّ إخوتهم الأحلاف . فانتصر الأحلاف حتّى أَخَرُّوا أعداءهم من الطائف قال البكري (فساقتهم الأحلاف حتى أخرجوهم منهم إلى واد من وراء الطائف يقال له نخب) .

والعادة أن الحرب بين قبيلتين تكون في أرض إحداهما ، لا في أرض قبيلة ثالثة ، إلّا نادِراً .

ولم أر فيا اطلعت عليه من نصوص المتقدمين من قال أن نخبا من بلاد هذيل سوى ما نقل ياقوت عن الأخفش ، والأخفش من علماء النّحو ، ويظهر أنه رأى الاسم ورد في شعر هذليّ فظنه من بلاد قومه ، كما وقع لكثير من العلماء المتقدمين مثل هذا في

الكلام على تحديد كثير من المواضع ، كالهمداني في «صفة جزيرة العرب» والبكري في «معجم ما استعجم» وغيرهما على أن البكريّ بعد أن أورد بيت أبي ذؤيب قال : (هكذا الرّواية بلا اختلاف فيها ، فان كان أراد هذا الموضع الذي هو معرفة ، كيف وصفه بنكرة ؟ وقد رأيته مضبوطاً (من نخب النّجل) على الإضافة انتهى فكأنه لم يتيقن بكون أبي ذؤيب أراد الموضع الذي هو أحد أودية الطائف .

جـ ــ نخب هذا الوادي لا يزال معروفاً باسمه ، ويسمى أيضاً وادي النّمل ، وسكانه الآن من قبيلة وقدان ، التي هي من هوازن ، وتعدّ الآن من قبيلة عتيبة ، وأكثر فروع هذه القبيلة من هوازن أيضاً .

وتحديد البكريّ لوادي نخب تحديد واسع ، فما أكثر البلاد الواقعة وراء الطائف ، وما أوسعها . والوادي المذكور أوشك عمران مدينة الطائف أن يبلغه من الناحية الشرقية ، وبعدّ الآن من ضواحي تلك المدينة .

١٥ ــ ص ٨ ــ في الكلام على وقعة أحد : (وكسرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم ، وشجّ وجهه الشريف ، وكلمت شفته ، على **رواية صاحب «معجم البلدان»** . انتهى .

جملة (على رواية صاحب «معجم البلدان» يفهم منها عدم التثبت مما وقع للرسول صلى الله عليه وسلم في وقعة أحد ، هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى صاحب «معجم البلدان» ــ على جلالة قدره ــ ليس من العلماء الذين تقبل الأقوال التي ينفردون بروايتها ، فهو في كتابه ينقل عمّن تقدمه ــ إلا في مواضع يسيرة حين يصف موضعاً رآه ، وأحوال الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ ألّفت عنها المؤلفات الكثيرة التي تعتبر مراجع يصح الرجوع إليها ومنها «المغازي» للواقدي و«الطبقات» لابن سعد ، و«السيرة» لابن هشام التي لخصها من مؤلف ابن اسحاق ، ثم كتب التاريخ ومن أشملها وأولاهـــا بالاعتماد ، تاريخ ابن جرير الطبريّ .

وفي تلك الكتب وغيرها من كتب الحديث إيضاح واف لتلك الأمور التي وقعت للرسول (ص) في غزوة أحد .

١٦ ـــ ص ١٠ ـــ عن الطائف : (التي برز منها **أشهر** قادة المسلمين) .

يظهر أنه سقط من هذه الجملة ما أخلّ بمعناها وأن صوابها (برز منها رجال من أشهر قادة المسلمين) . إذ أشهر قادة المسلمين عند انتشار الإسلام كانوا من غير الطائف ، من المدينة وغيرها .

١٧ ـــ ص ١١ ـــ في الكلام على عبادة هذيل : (ويذكر المؤرخون أنَّ صنم سواع كان بِمنطقة رهاط ، ورهاط واد على ثلاث ليال من مكة ، ويقال : إنه جبل بقرب مكة ، على طريق المدينة ، قرب قرية صغيرة تسمى الحديبية) ثم الإحالة إلى «معجم البلدان» .

يظهر أنّ بلاد هذيل في تهامة كانت تمتدّ إلى أسافل وادي رهاط ، ولهذا عُدَّ من بلادهم ، وكان صنم سواع وموقعه في ذلك الوادي من معبوداتهم في الجاهلية . فأين يقع رهاط ؟

للباحث أن يرجع إلى النصوص القديمة التي حددت المواضع لدراستها لتطبيق ما تدل عليه تطبيقاً يمكن من معرفة موقع الموضع المراد الاهتداء إلى موقعه ، إذا كان ذلك الموضع لا يزال مجهولاً . أما إذا كان معروفاً فإنّ دراسة تلك النصوص أو الاستدلال بها تكاد تكون عديمة الجدوى ما لم تتضمن إيضاح مبلغ مطابقتها للواقع .

فرهاط ليس جبلاً بقرب مكة ، وليس بقرب قرية الحديبية ـــ التي كان موقعها بقرب قرية الشّميسي المعروفة بين مكة وجدّة ، إنه واد لا يزال معروفاً تضاف إليه ـــ في المصورات الجغرافية الحديثة (الخرائط) أشهر حرّة في بلادنا وهي حرّة بني سليم ـــ قديماً ـــ فترسم في تلك المصورات (حرة رهاط) .

من السفوح الغربية من تلك الحرّة تنحدر فروع ذلك الوادي ، متجهة غرباً حتى يبلغ امتدادها وادي خليص ـــ نحو مئة وعشرين كيلاً ، بعد أن تجتمع بأودية وروافد لها أسماء معروفة ويبعد ما يطلق عليه اسم وادي رهاط عن مكة المكرمة ، شمالاً نحو مئة وثلاثين كيلاً . ويمر طريق المدينة من مكة أسافل الوادي بعد أن يفقد مسماه فيما بين عسفان وخليص .

ووادي رهاط فيه عيون ، وسكّانه من الزّوقة ، من قبيلة عتيبة . وفي أسفله آخرون من غيرهم وكان هذا الوادي من بلاد بني سليم ، ولهذا أقطع الرسول صلى الله عليه وسلم راشد بن عبد ربه السّلميّ عيناً وأرضاً في ذلك الوادي .

١٨ ــ ص ٢١ ــ : (انتشار عادة ختان النساء والوأد بين قبيلة هذيل ، ويبدو لي أنه لولا انتشار عادة الختان وعدّها مفخرة لما هجا الشاعر خصمه بتركها إذ قال :

إلى معشر لا يختنون نساءهم وأكل الجراد فيهم غير أفند

ثم الإشارة إلى «شرح أشعار الهذليين» : ٣٩٣/١ .

عادة الختان من العادات العامّة عند قبائل العرب ، وجاء الإسلام بإقرارها ، ولكنها كانت شائعة في الحضر ، لا في البادية . مع أنَّ مفهوم القصّة التي ورد فيها الشعر أن الشاعر يهجو قوماً غير هُذَيْل ، وأنه يمدح هُذَيْلاً بعدم ختان النساء ، وبأن أكل الجراد فيهم لا يُعَدُّ حُمْقاً . فالشاعر كان عند ملك الحبشة ، وعرض عليه البقاء عنده ، ليزوّجه ، فقال الشعر ، ومنه :

أَلَا مِنْ حَوَالِ الدَّهْرِ أَصْبَحْتُ جالِساً أُسَامُ النِّكَاحَ فِي خِزَانَةِ مَرْثَدِ

إلى معشر ــ البيت ــ

فقلت لهم : قَوْمٌ بأعناءِ نَخْلَةٍ وأحوالها ، فيها قراري ومولدي

وأرى أن ترتيب الأبيات في الأصل مختلف ، وأن الصواب وأن البيت الثاني : فقلت لهم : والثالث : إلى مَعْشَر .

فالحبشة هم الذين يختنون النساء ، وهم الذي يرون أكل الجراد حمقاً .

١٩ ــ ص ٢٣ ــ : (هذيل من القبائل البدوية التي لم تعرف الاستقرار ، فهي دائمة الانتقال من مكان إلى آخر ، طلباً للماء والكلأ) .

تعتبر قبيلة هذيل من أكثر القبائل العربية استقراراً في بلادها ، فهي لم تغادرها إلّا بعد أن انتشرت قبيلة حرب فيا بين مكة والمدينة ، فزحزحت فروعاً من هذيل عن بعض

مواطنها ، فانحازت نحو الجنوب ، بقرب مكة ، وجنوبها .

واختلطت بعض فروعها في بعض القبائل التي تجاورها في الجنوب ككنانة وفهم .

٢٠ — ص ٢٩ — : (ولما كانت حياة هذيل تعتمد على الرعي والصيد ، لذا انتقلت من مكان إلى آخر ، ويبدو أنّ عدم استقرارها هذا هو الذي جعلها تذوب في المجتمع الإسلامي) .

لم تذب تلك القبيلة في المجتمع الإسلامي كما ذابت قبائل كثيرة ، بل بقيت ذات كيان متميّز ، وذات نمط خاصّ من أنماط الحياة ، معتصمة بالجبال القريبة من مكة . حتى انتشر الأمن في ربوع هذه البلاد ، فقضى على ذلك النمط من الحياة ، وهو السعي للحصول على الرزق بطريقة معروفة .

٢١ — ص ٥٥ — عن قصيدة أبي ذؤيب العينية : (قالها في أبنائه الخمسة الذين ماتوا في عام واحد ، بسبب الطاعون الذي حلّ بمصر) .

كان يحسن أن يشار إلى سبب آخر لموت أبناء أبي ذؤيب ، هو ما جاء في «ديوان الهذليّين» رواية أبي سعيد السكري عن الأصمعي — على ما جاء في مقدمته — جاء في مقدمته — جاء في أوله : (قال أبو ذؤيب وقد هلك له خمسة بنين في عام واحد ، أصابهم الطاعون ، وفي رواية : وكان له سبعة بنين ، شربوا من لبن شربت منه حيّة ثم ماتت فيه ، فهلكوا في يوم واحد) . وكلمة (ماتت فيه) خطأ صوابها (قاءت فيه) كما في المخطوطة التي اعتمد عليها مصححو مطبوعة (دار الكتب) ولكنهم لم يحسنوا قراءتها . وقد اطلعت على تلك المخطوطة .

٢٢ — ص ٦٨ — عن أبي ذؤيب : (وكانت أكثر المناطق وروداً في شعره هي التي تقع في ديار هذيل ، كالثّراء ... وعكاظ .. ونخب) .

تقدم القول بأن وادي نخب ليس في بلاد هذيل . وعكاظ أيضاً ليس في بلادهم فهو أسافل أودية الطائف العرج وشرب وغيرهما ، وتلك من بلاد بني نصر من هوازن ، لا يشك في هذا كل من تعمّق في دراسة نصوص المتقدمين عن تحديد منازل قبائل العرب .

ولم أر فيما اطلعت عليه من تلك النصوص من عدّ عكاظاً في بلاد هذيل.

٢٣ — ص ١٦٩ : (في منطقة شمال الحجاز، وعلى سلسلة جبال السراة كانت تسكن قبيلة هذيل).

بلاد قبيلة هذيل قديماً ما كانت تتجاوز شمالاً وادي رهاط الواقع شمال مكة بمسافة تقرب من مسيرة ثلاثة أيام للإبل.

والسراة التي كانت قبيلة هذيل تحل سفوحها الغربية هي سراة الطائف، وليست في شمال الحجاز، بل في جنوبه.

٢٤ — وملاحظة أخيرة هي أن الإحالة إلى المعاجم المرتبة على الحروف تكون بذكر المادة — اسم موضع أو كلمة لغوية، أو ترجمة — إذ الكتب يتكرر طبعها، فتختلف أجزاؤها وصفحاتها، بخلاف ترتيب المادة فهو ثابت. وقد لا تكون الطبعة التي أحال اليها المؤلف تحت يدي القارىء.

والمؤلفة الفاضلة أحالت إلى «معجم البلدان» مع ذكر الجزء والصفحة — كما في ص ٤ و٥ و٦ و٧ وغيرها وقد ذكرت المطبوعة التي أحالت إليها.

وبعد: فان إطالتي الحديث عن هذا الكتاب إطالة مبعثها الإعجاب والتقدير، فكثير من المؤلفات الحديثة لا أشغل نفسي بقراءتها، فضلاً عن الكتابة عنها.

حمد الجاسر

---

(١) العامة في نجد يقولون هذلي.

(٢) أي الذين يسكنون شمال البلاد والذين يسكنون جنوبها — بالنسبة لمنازل القبيلة.

(٣) أنظر «العرب»: ١٣ ص ٤٢٦ وما بعدها.

(٤) ترجمته في كتاب «مشاهير العراق» للألوسي ص ١٣٣ — ولد سنة ١٢٠٠ وتوفي سنة ١٢٤٦ في بلدة بريدة، وهو قافل من الحج.

(٥) ص ١٤.

(٦) يلاحظ وقوع تداخل في هذا التحديد، وقع في مجلة «العرب» س ٨ ص ٣١٣ غيّر المعنى، فليصحح مما هنا.

(٧) أنظر «السيرة النبوية» لابن هشام القسم الثاني — ص ٤٤٢ — طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٥٧ هـ.

(٨) : ٣٤٦.

(٩) : ٣٧٢.

(١٠) ٤٠٥.

(١١) : القسم الثاني ص ٤٣٧.

نقد كتاب

معجم قبائل
المملكة العربية السعودية

أثناء زيارتي للرياض في هذا الشهر ، اطلعت على «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» الذي قام بجمعه وتأليفه الشيخ حمد الجاسر والذي يقع في حوالي ٩٥٩ صفحة ، استعرضت هذا المعجم فوجدته قد حوى كل قبائل المملكة العربية السعودية تقريباً وأوضح كثيراً من أفخاذها وأماكنها وروافدها . وهو عمل ضخم قلَّ من يستطيع القيام به في مثل هذه الدقَّة والإتقان .

ولقد طلب الشيخ الجاسر من القراء أن يبدو ملاحظاتهم حول المعجم فهو لا ينزه نفسه من الخطإ واستجابة لرغبته يسرني أن أُورِد هنا بعض ما لاحظته في هذا المعجم الهامّ من ملاحظات ليست بالشيء الذي يقلل من مكانته .

١ — ورد في ذكر قبائل (رجال ألّمع) بعض الأخطاء حيث جاء بأن قبيلة ألمع في تهامة على روافد وادي حلي مثل وادي كسَان بضم الكاف أو كسرها وفتح السين المهملة مخففة بعد ألف فنون ووادي ريم وفي جبل (حَسْوه) و(قلوة) وغمرة ،

والخطأ هنا في كلمة (حسوه) حيث جاءت بفتح الحاء والصحيح أنها (حُسْوَهْ) بضم الحاء — وقال قلوه — ولا أدري كيف جاء هذا الاسم إذ أن (قلوة) موجودة على ما أذكر في تهامة زهران ولا يوجد في بلاد عسير إطلاقاً مكان يعرف باسم (قلوة) ولعل الصواب (فقوة) .

٢ — وورد في المعجم أيضاً أن قبيلة بني بكر من قبيلة ألمع من عسير تهامة ، ومنازلهم جبل (صُلَب) ومضائق وادي كُسَان وراوفده جنوب بلدة الشّعبَيْنِ ، على بعد ثمانية أكيال . وقال : إن منهم آل عراف وآل (جودة) والصواب أن (صلب) التي وردت

بضم الصاد وفتح اللام — هي صَلَب بفتح الصاد واللام معاً ، ومنهم آل (حدرة) وليس حدوة) كما ورد في المعجم .

٣ — وورد أيضاً في صفحة ١١٥ أن قبيلة بني جونة من قبائل ألمع من عسير تهامة وبلادهم جبل (القادية) وجبل بني جونة وما بقربه من وادي كُسَان — ووادي ريم جنوب بلدة الشُعبَين على بعد ثمانية أكيال . والخطأ واضح في كلمة جبل القادية — فإن الصحيح هو (القارية) وكسان وردت بالضم بينما الصواب هو (كِسَان) بكسر الكاف وليس بضمها .

٤ — وجاء أيضاً في صفحة ٢٦٢ — ذكر قبيلة ربيعة ورُفَيْدَة من بني مالك عسير وذكر بعض فروعهم وقال في الحاشية أنظر (رُفَيْدة) والذي يبدو أن قبيلة ربيعة ورُفيدة ليستا من بني مالك عسير فهي قبيلة مستقلة ، وقبيلة بني مالك قبيلة مستقلة .

٥ — وورد في صفحة ٢٧٩ ذكر قبيلة رفيدة قحطان وقال : إنَّ واحدهم رُفَيْدِي بينما الصحيح أنه يقال له (قحطاني) ولا يعرف أحد بهذه التَّسْمِيَة (رُفَيْدِي) .

٦ — وجاء أيضاً في صفحة ٣٨٨ — ذكر قبيلة شديدة حيث قال بأن بلادهم جبل غَمرة ومنهم من يسكن الخَبْتَ المحاذي لبلدة القحمة وفي وادِيَيْ رِيْم وعَرمَرَم في الشمال الغربي من بلدة الشِعبَيْن بنحو تسعة أكيال وقال : إن منهم الصواعقة وصوابه (الصواقعة) ، والمحلوطة والصواب (المحلوطة) على أنهم في الجنوبْ الغربي من بلدة الشعبين ، وليس في الشمال .

٧ — وورد أيضاً في صفحة ٣٩٨ ذكر قبيلة الشّعف وقال : إنَّ النِّسبَةِ (الشّعْفي) والأصح (شَعَفي) بفتح العين وليس بالسكون .

٨ — وفي صفحة ٤٠٦ — ذكر قبيلة شمْران بكسر حرف الشين والصواب شمران بِضَمٍّ حرف الشين وليس بفتحها .

٩ — وجاء في صفحة ٦٢٦ بأن قبيلة الفقى فخذ من آل غَراء من بني الأسمر من الْحَجْر ، في جبل (هَادِي) بتهامة ببني الأسمر ، والصواب هو جبل (هادا) وهو جبل مشهور في تهامة بني الأسمر . [العرب : أنظر كتاب «بلاد الحجر» ص ١٢ فقد ضبطه

الجلاس . من عنزة

قرأت في « العرب » جـ ٧ و ٨ س ١٥ لشهر محرم وصفر سنة ١٤٠١ هـ من صفحة ٦٠٠ إلى صفحة ٦٠٥ موضوع (قبيلة عنزة فروعها وأفخاذها) بقلم عبدالله بن عبّار العنزي وإنني أقدم شكري أيضاً للأخ عبدالله وأبدي بعض الملاحظات تختص بقسم الجِلَاس من بطن ضَنَا مسلم ، من قبيلة عنزة ومعروف إن اسم الجلاس يشمل فخذين كبيرين وهما الرولة والمحلَف .

وهذه بعض الملاحظات :

ينقسم فخذ الرُّوَلَةِ من الجلاس من بطن ضنا مسلم من قبيلة عنزة إلى ثلاثة أقسام وهي :

بفتح الدال (هادَا)] .

هذه هي الملاحظات التي استَرعَت انتباهي في هذا المعجم ، وأحبَبتُ المشاركة في التصحيح استجابة لرغبة الشيخ الجاسر الملحة .

ولا شك أنه معجم ضافٍ يهمُّ كل قارىء ممن يود معرفة هذه القبائل المنتشرة في أنحاء المملكة .

وإنه لجهد عظيم بَذَلَهُ الشيخ حمد الجاسر في جمع هذا المعجم وتأليفه — يجب أن يقابل بالتقدير والإكبار .

الرياض — يحيي إبراهيم الألمعي

العرب : شكراً للأستاذ الكريم مع التَّطلُّع للمزيد منه ومن جميع القرَّاء في نقد ذلك الكتاب .

آل جمعان .
وعيال زايد .
والكواكبة .

فمن آل جمعان عشيرتان هما عشيرة المرعض وعشيرة الدغمان .

ومن عيال زايد عشيرتان وهما عشيرة القعاقعة وعشيرة الفرجة .

وأما الكواكبة فهم عشيرة واحدة .

وهذه تفاصيل كل عشيرة .

أولاً : عشيرة المرعض من الجمعان من الرولة تنقسم إلى الأقسام التالية :

الشعلان وهم شيوخ الرولة عامة وينقسم الشعلان إلى أربعة فروع هي النائف والمشهور والمجول والزيد وآل غرير ويطلق عليهم اسم الموسرين وهم البنية والمعهبل والدكنان والفنيخ والصبيح والروضان والسبتة ويتبع هؤلاء من دون بقية المرعض كلٌّ من النواصرة والحمودية والقطاعاء وجميع هؤلاء يطلق عليهم اسم القسم الأول من المرعض .

أما القسم الثاني من المرعض فهم آل نصير ، وهم من أكبر أقسام المرعض .

ومن أهم فروع النصير : الجديع والعشيران والزوايدة والفججة والكبوش ويتبع هؤلاء النصير من المرعض .

أما القسم الثالث من أقسام المرعض فهم العلمة وهم عدة أقسام معروفة هذا عن عموم عشيرة المرعض من الجمعان من فخذ الرولة من الجلاس .

ثانياً : عشيرة الدغمان من الجمعان من الرولة تنقسم إلى ثلاثة أقسام وهي :

الجميل .
والصوالحة .
والدرعان .

فمن أقسام الجميل : الدغمي والمهنّا والعقشاء والحسن والبرابرة .

أما الصوالحة فينقسمون إلى قسمين هما الوابل والسالم .

وأما الدرعان ويطلق عليهم اسم السيافا فهم ثلاثة أقسام : المشاعلة والجنفان والبطنان .

ثالثاً عشيرة القعاقعة من عيال زايد من الرولة .

وعشيرة القعاقعة تنقسم إلى قسمين القسم الأول المانع .

والقسم الثاني الربشان .

وهذه تفاصيل كل قسم على حدة ينقسم المانع من القعاقعة إلى الأقسام الآتية : القعاقيع وهم أصحاب الشيخة ، والدويرج والرشيدان ويتبعهم المصطفقة وهم ثلاثة أقسام : الرشيد والشراطين والكواتلة . أما القسم الثاني من المانع فهم آل غشوم ويطلق عليهم بالسابق اسم الشيوخ .

ومن أهم أقسام الغشوم : آل غشم .

ويتبع الغشوم من دون بقية المانع قسم الحاميد .

أما القسم الثاني من القعاقعة فهم الربشان وهم يعادلون المانع بالكثرة والعدد وهم ثلاثة أقسام : ضَنا نَصّار وعيال جدوع والعطية .

وهذه تفاصيل أقسام الربشان الثلاثة :

أولاً : ضنا نصار بن أربش ، وهم أكثر الربشان عدداً وفروعاً وهم : عيال جمعة والجرذي والكوتة ، والسليم .

ومن عيال جمعة الرحمة والبثيني والعوينان .

ومن الرحمة الخضير والسبعة .

ومن البثيني الرياحية والقحاماء .

ومن العويناان الزهمول والسهو .

ومن الجرذي آل غرير والفريج والحيزان .

أما الكوتة والسليم فهم فرعان صغيران .

ثانياً : عيال جدوع بن أربش وهم الوقيت والمحيسن .

فمن الوقيت السليمان والنبهان والعقل .

أما عن المحيسن فهم فرع صغير .

ثالثاً : آل عطية وهم عيال عَطِيَّة بن أربش .

ومن العطية المعارة والفنيسان .

رابعاً : عشيرة الفرجة من عيال زايد من الرولة .

تنقسم عشيرة الفرجة إلى الأقسام الآتية القدران والخضعان والهطلان والقفيان والسمران والمشيط والفلتاء والسواحلة والسباح والرماح والعزول والمدهرشة والبادي .

ومن المعروف أن عشيرة الفرجة من أكبر عشائر الرولة الخمس .

خامساً : عشيرة الكواكبة من الرولة تنقسم عشيرة الكواكبة إلى قسمين .

القسم الأول الجرفة .

ومنهم الفروع الآتية : المقيبل وهم الذين منهم الكويكب والخمسي والعرضان والختام هؤلاء الأقسام الأربعة يطلق عليهم اسم الجرفة أما القسم الثاني من الكواكبة فيقال لهم السويط .

وهم في نفس الوقت ينقسمون إلى قسمين : القسم الأول المديغم ، وهم الذين منهم الوكلان ، والشقير والقسم الثاني الوهيب ، ومنهم الجليدان ، والوادي .

بتعريف الكواكبة من الرولة ينتهي التعريف بعموم فخذ الرولة عامة من الجلاس من

بطن ضنا مسلم من قبيلة عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

أما القسم الثاني من الجلاس فهم فخذ المحلف.

وينقسمون إلى ثلاث عشائر: وهي عشيرة الأشاجعة، وعشيرة عبدالله العبادلة، وعشيرة السوالمة.

أولاً: عشيرة الأشاجعة من المحلف.

تنقسم إلى الأقسام الآتية: المعجل وهم شيوخ الأشاجعة والحذاق والخليفات والبدور والبلاعيس والمهيوب.

ثانياً: عشيرة عبدالله العبادلة من المحلف.

وهي تنقسم إلى هذه الأقسام المجيد وهم شيوخ عبدالله عامة، والحرزة والغشوش والشفيع والخمسة.

ثالثاً عشيرة السوالمة من المحلف.

وهي تنقسم إلى هذه الأقسام الجندل، وهم شيوخ السوالمة، والمزاودة، والفراهدة، والمساعدة، والملحاق واللهيب.

وفي نهاية التعريف عن فخذ المحلف ينتهي التعريف بعموم الجلاس وهما الرولة والمحلف خاصة من ضنا مسلم من قبيلة عنزة، ومعروف أيضاً أنّ ضنا مسلم يشمل بني وهب ولكن هذا شرحه يطول ومقصدنا الاختصار وتوضيح بعض المعلومات الخافية.

المدينة المنورة: مطرد بن عياط الفالح العنزي

الحرس الوطني اللواء ٤١

العرب: شكراً للأخ الكريم كاتب هذا البحث وليته لم يختصر القول، بل أورد كل ما يعرف عن قبيلته الكريمة (عنزة) فمجلة «العرب» يسرها نشر كل ما هو صحيح ومفيد عن قبائل العرب.

رحلة التميمي التونسي إلى الحج

محمد بن صالح الجودي القيرواني
(١٢٨٧/١٣٦٢ هـ)

— ٢ —

في مكة المكرمة : بلغ مكة ظهر الأربعاء (١٣٣١/١٢/٦) واستأجر منزلاً علوياً بقرب حمام العمرة بسبعين (فرنكاً) .

وفي عشية الجمعة (١٣٣١/١٢/٨) اكترى خيمةً وجمالاً كل جمل بعشرين فرنكاً ، وسار إلى عرفة فبات بها ليلة السبت ، قال : (وتلف[١] ابْنُنا أحمد ، فبحثنا عنه ليلاً فلم نجده ، لكبر الجبل وكثرة النازلين فيه ، وأخيراً بعد البحث سلمت الأمر لله ، وبِتُّ مُتَقَلِّباً على الجمرْ ، لما أنَّ الحراميَّة كثيرون بالجبل ، ولا يُؤْمَنُ منهم القَتْل ، لأنَّ القتلَ عندهم أقرب شيء يكون ، ولكن في صبيحة غد — يوم السبت — أتانا به جماعةٌ من السواحِلِيَّة الذين صاحبونا في (الفابور)[٢] ذكروا أنهم وجدوه صباحاً ، وأخبر أنه لما تلف بات يطوف من مكانٍ إلى مكان ، إلى أن لقيه السواحليَّة ، فحمدنا الله على ذلك .

وعند عصر يوم السبت أقبل الإمام ، بمكان بالجبل يسمى (الصُّخيرة) وهو عبارة عن حوطة بها محراب ، قيل : هو الموضع الذي خطب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم في حجّه ، فخطب الإمام راكباً على ناقةٍ ، ومعه ناقة أُخْرَى مُجَلَّلَةٌ ليس عليها راكب ، قيل : هي الْهَدْيُ الذي قد قدمه الإمام — (وهو الشيخ عبدالله سراج مفتي الحنفية)[٣] بل قاضي زمانه ، إذ العادة أنَّ الخطيبَ هو القاضي ، وناقة أخرى عليها راكب يحملُ سحابة[٤] يُظَلِّلُ بها على الإمام ، وناقة أخرى ركبها أحد الأتراك ، قيل : إنه (باشا)

المحمل الشامي ، وشرع الإمام في الخطبة من العصر إلى أن غربت الشمس ، وكثيراً ما يُلَبِّي الإمامُ ، ويُشيِّر للحجاج بالتلبية فيُلَبُّونَ ، مثل التكبير في خطبة العيْد .

وكان بلصق الإمام راجلاً محرماً السلطان عبد الحفيظ سلطان فاس سابقاً) وبعد أن تحدث عن الانصراف من عرفات وعدم المبيت بمزدلفة إذ لم يتيسَّر والمبيت بمنى ورمي الجمرة والإفاضة ، ثم الرجوع إلى منى . تحدث عن وقوع (احتفال بمنى عظيم ، يوم العيد ، والأيام بعده ، بحضور الأركاب الثلاثة فيها ، وهي الركب الشامي والركب المصري والركب العجمي ، والمدافع تطلق بعد كل رُبْع ساعة ، وفي أوقات الصلوات بكثرة لا تحصَى من الأركاب الثلاثة ، وانتَصبت (أوطاق)[٥] عدة ، من أرفع ما يكون ، يسع الواحد منها ما ينيف على متَي نفس ، احدها لوالي مكة العسكري ، وأمام (وطقه) عسكر نظامي ، والثاني لسلطان فاس ، وأمامه أيضاً عسكر نظامي ، وحذوه (وطق) السيد الشريف حاكم مكة ، وحرَّاسه من البدو ، ولهم لباسٌ مخصوص رفيع ، بكيفيّة مخصوصة ، وله سلطة كبرى ، وهو الشريف حسين بن عبدالله بن عون[٦] ، والموسيقا تصدح بألحانها المختلفة ، إذ كلٌّ بلد له اصطلاح ، وابتهج بسلطان المغْرب ابتهاجاً قالوا : إنه لم يقع لباشا مصر حين حَجَّ) .

قطع يد السارق في أيام منى :

وقال : وأعجب ما وقع في أيام منى أن اثنين من البدو ثبت عليهما السرقة ، قيل : إنَّ أحدهما اختطف (بُوكَا)[٧] فيه مئة وخمسون جنيهاً ، بمِنَى ، عند زحمة رَمْية العقبة ، ولما عُثِرَ عليه ، وأُوْثِقَ ، وُجد عنده مِئَةُ جُنَيه فقط ، فَسُئِلَ عن الخمسين الباقية فأجاب أنه ابتلعها . فأُحْضِرَ له حكيم سقاه دواءً حتى أخرجها من أسفله . فحكم عليهما الشريف بِقَطْعِ أيديهما[٨] فقطعت .

ووقع مني ذلك موقعاً حسناً ، حيث أقيْم هذا الحدُّ الشرعيُّ الذي انعدم العمل به منذ أزمان .

كما بلغنا أنه قطع في ذلك اليوم لسارقٍ يَدَيهِ معاً ، وقُتِلَ آخر ثبت عليه قتلُ نَفْسٍ) .

عدد الحجاج سنة ١٣٣١ هـ :

وقال : (ولم يقع في هذا الموسم مَرَضٌ ، ولا كثرة مَوْتٍ ، مع كثرة الحجاج في هذا العام ، بكيفيَّةٍ لم تُعْهَد ، قيل : إنَّ عدد الحجاج في هذا العام على ما حصره شيخ المطوفين سِتٌّ مئة ألف نفس ، وثمانية وتسعون نفسا ، وهذا العدد هو الذي ورد بالبحر ، على طريق المطوفين ، وخلاف (فابورين) عِيْقَ أصحابهم عن الحج ، من أهل الهند) .

ثم ذكر عودته إلى مكة ، ووصف الحرم وما بداخله كالمطاف والحجر والحجر الأسود ومقام إبراهيم وبئر زمزم ، وما للحرم من أبواب وذكر أنه في يوم الجمعة ١٥ ذي الحجة صلى في الحرم وقال : (وخطب الخطيب خطبة تتضمن تمام الحج ، والتحريض على الزيارة لطيبة ، فأثرت في النفوس تأثيراً عجيباً ، يخطب الخطيب عن غير ورقة) .

مقابلة شريف مكة :

وذكر أنه بعد صلاة الجمعة ذهب هو و(سي العربي بسيبس) و(سي بلقاسم شيخ الطريقة القادرية بنفطه) وولده (الشيخ البحري التونسي) لشريف مكة بداره قال : (وتلقانا بأحسن قبول ، وفرح بنا ، وأعلمه سي العربي بأني من أهل القيروان ، ومن (مَفَاتِيْهَا)[9] فشملتني عنايته ، وأثنى على القيروان ، وذكر ما كان من العلماء والصلحاء ، الصحابة رضوان الله عليهم ، حتَّى كأنه منها . ورأيت منه لطفاً عظيماً ، وقدم لنا القهوة المعنبرة ، وفرح بنا وأثنى خيراً — ثم أورد الحديث الذي دار بينه وبين الشريف الحسين ، وذكر أن الشيخ بلقاسم سَرَدَ قصيدة في الثناء عليه وأنه أشار عليهم بالذهاب للزيارة على طريق الدرب الطويل ، وحسَّن لهم ذلك خشية البقاء في (ينبع) في انتظار الإبل التي تحمل الناس من (الينبع)[10] ومع غلاء السِعْر بـ(الينبع) وقلة الماء ، وإن كان كلٌّ من الطريقين مأمون .

ثم ذكر أنه عزم على السفر على طريق (الينبع) مع جماعة (القراوة) و(جلاص) .

السفر إلى المدينة :

قال : (فتواعدنا يوم الاثنين الثامن عشر من حجة ، لكن حصل لي مرض عاقني

عن السفر ، فبقيت في مكة ليوم الأربعا العشرين من حجة ، وسافر أغلب الناس يوم الأحد ، ولم ينتظروني ، فخرجنا يوم الخميس من مكة ، وبتنا أول ليلة بالمرحلة الأولى ، وتسمَّى (وادي فاطمة) والمرحلة الثانية تسمى عُسْفان ، والثالثة تسمى (الخُلَيْصا)[11] .. بتنا في خوف شديد ، فرد أهل البدو الحرامية فقتلوا رجلاً تركياً ، تخلف قليلاً لقضاء الحاجة .. وفي آخر الليل ارتحلنا ، وبينما نحن نرفع الأحمال إذ سمعنا صائحةً وصارخاً ، فبحثنا فبلغنا أنَّ أحد المصريين أركب زوجه على جمل ، وبينما هو واقف أمام الجمل إذْ عرض له أربعة من الحرامية ، ورفعوه من أمام زوجه ، وصعدوا به الجبل ، وهو وزوجه يصيحانِ ولا يقدر أحد على إنقاذه . قيل إنهم (فتكوا) (؟) له (بوكا) فيه تسع مئة فرنك ، وصاروا يضربونه ، وأخيراً أطلقوه ، هكذا قيل . وقيل : إنهم قتلوا ...

وسرنا من (الخلصا)[11] إلى محطة تسمى (أحواش السيد) قيل : إن صاحبه المدفون به لا يقرب منه الحرامية ، ومن أراد سوءاً بالحجاج من الحرامية يناله مكروه ، فلذلك تهيبوه ، فبتنا .

وبعده (رابغ) وهي بلد به[12] .. متفرقة ، وسوق كبيرة ...[12] والحوت العظيم لكونه بقرب البحر ، وفيه مزار يقال له الشيخ حسن بن فرج مهدَم ، وفيه قصر فيه عساكر سلطانية ، أمر ببنائه إبراهيم بن محمد علي باشا مصر ،

وفي ليلة الثلاثاء بتنا بمحطة تدعى (المسطورة)[13] ثم محطة تسمى (بير الشيخ) ثم (ديار بو حصانه)[14] ثم الحمرا ، ثم بير عبَّاس ، وجميع المحطات مأمونة ، يبيت بكل محطة حرَّاس يحرسوننا بقرشين على كل (شُقْدُف) .

وقيل لنا إن المحطة التي بعد تسمى (الْفُرَيْش) وأنها مخوفة جداً ، لكثرة الحراميَّة بها ، مع معاداتهم لجمَّالتنا ، كانت وقعت بينهما مقاتلة منذ شهر وقتل أحد أهاليها جمالتنا ، فَتَوَاعَدُوا لِأَخْذِ الثأر بعد الحج ، فبقينا لصلاة العشاء ، ورحلنا بعد أن قرأت ...، .

ولما انتهيت من قراءة ذلك وكان الوقت قبل نصف الليل بساعة ، انكسر الجمل الذي حملنا ، وسقط بنا ، ومن لطف الله لم يحصل لنا أدْنَى ضرر .

ومن عجيب الاتفاق أن سار الركب ، ولم يبق معنا إلا جماعة قليلة ، حملونا على جمالهم معهم ، وعِنْدَهَا نزل ثلاثة من البدو الحراميّة ، ومن لطف الله ما وصلونا حتى ركبنا وسار بنا الجماعة معهم ولحقنا الركب ، ورجع الحرامية ، ثم ذكر أنه وصل المدينة يوم الاثنين (١٣٣١/١٢/٢٥) .

وينبغي ملاحظة حذف كثير مما ذكره ، لأنه متأثّر بأفكار أهل عصره في أمور من العبادة تتنافى مع ما عليه السلف الصالح .

للحديث صلة

الحواشي :

(١) : (تلف) أي فُقِد .

(٢) : (الغابور) : الباخرة .

(٣) : ما بين القوسين مُضَبَّبٌ عليه .

(٤) : (سحابة) هي (الشمسية) .

(٥) (الأوطاق) الخيام الكبيرة – الوطاق : المخيم ، والكلمة تركية .

(٦) كذا والصواب : (حسين بن علي بن عبدالله بن محمد بن عبد المعين بن عون ، وتولى إمارة مكة من سنة ١٣٢٦ هـ .

(٧) (البوك) : وعاءٌ من جلد تحفظ فيه النقود .

(٨) كذا ولعله يقصد يَدَيْها .

(٩) أي مشايخ الافتاء .

(١٠) كذا يكتب اسم ينبع في كثير من رحلات المتأخرين وهو خطأ إذ (أل) لا تدخل على الأعلام إلا بسماع من العرب الذين يُحتَج بكلامهم ، ولم يرد ذلك عنهم .

(١١) الصواب (خُلَيْص) بدون (أل) .

(١٢) مكان النقط كلمات غير واضحة .

(١٣) الصواب (مَسْتُورة) .

(١٤) الصواب (أبيار ابن حصاني) .

مَا اتَّفَقَ لَفْظُهُ وَافْتَرَقَ مُسَمَّاهُ مِنْ أَسْمَاءِ الأَمْكِنَةِ

للإمام محمد بن موسى الحازمي
(٥٤٨ / ٥٨٤ هـ)

— ٩ —

١٧٣ — بَابُ جُبَّةَ وحَنَّةَ[(١)]

أمَّا الأَوَّلُ — بَعْدَ الْجِيمِ الْمَضْمُومَةِ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَفْتُوحَةٌ مُشَدَّدَةٌ — : جُبَّةُ الْعِرَاقِ، مِنْ أَعْمَالِ مَدِينَةِ السَّلَامِ ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَبو الحُسَيْنِ أَحْمَدُ بنُ عبدالله بن الحسين بن إسماعيل الجُبيُّ المُقْرِيُّ ، روَى حُرُوفَ القِرَاءاتِ عن مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ رَجاءٍ حدَّثَ عَنْهُ أَبُوْ عَلِيٍّ الأَهْوَازيُّ[(٢)] .

---

(١) في كتاب نصر، في باب الحاء : (باب حَيَّة وحَنَّة وخَبَّة وجَبَّة) .

(٢) قال ياقوت : جُبَّة من قرى النهروان من أعمال بغداد ، ثم نقل قول الحازمي ، وفيه زيادة عمَّاهنا في ترجمة الجُبّي المقرىء ، وقال ياقوت أيضاً : وجُبَّة أيضاً : قرية من نواحي طريق خُراسان ، منها ابو السعادات محمد بن المبارك بن الحسين السلمي الجُبّي ، دخل بغداد ، وأقام بها ، وطلب العلم ، وسمع الكثير من الشيوخ ، مثل أبي الفتح عبيدالله بن شاتيل ابي السعادات نصر بن عبد الرحمن القزّان ، ولازم أبا بكر الحازميَّ ، وقرأ وكتب مصنَّفاته ، ولازمه حتى مات ، وكان حسن الطريقة ، ومات سنة ٥٨٥ بِجبَّة ، ودُفِنَ بها ، ولم يبلغ أوان الرواية . انتهى ولم أر في أنساب السمعاني ولا في «الإكمال» ذكراً لِجُبَّة التي من نواحي طريق خُراسان ، وأوردتُ ما يتعلَّق بها لصلته بالحازمي مؤلف هذا الكتاب .

وفي كتاب نَصْر : (وأما بجيم وباء : موضع في أعلى رمل عالج من ديار بُحْتُر ، من طَيِّء . وأيضاً مواضع من سواد العراق ، بأكناف دِجْلَة والفرات) انتهى .

وجُبَّة التي في أعلى رمل عالج ، لا تزال معروفة ، ورمل عالج يعرف الآن باسم (النُّفود الكبير) وقد أوفيت الكلام في تحديد موقعها في شمال المملكة ، من المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية .

وأَيْضاً : مَوْضِعٌ بِمِصْرَ ، يُنْسَبُ إِلَيْهِ أَبو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ موسى بن عبد العزيز الكِنْدِيُّ الصَّيْرفِيُّ ، ويُعْرَفُ بِابْنِ الجُبيِّ ، مِنْ أَهْلِ مصر ، ويُلَقَّبُ سِيبَوَيْه ، كانَ أَوْحَدَ الفُصَحَاءِ ، وَمِنْ أَهْلِ الفَضْلِ سَمِعَ أَبا يعقوب اسحاقَ الـمنجَنِيقيَّ ، وأبا عَبْدِ الرَّحْمَن النَّسائيَ ، ماتَ في صَفَر ، سنَة ثمانٍ وخَمْسِينَ وثلاث مئة[1] .

وأَمَّا الثَّاني ــ أَوَّلُه حاءٌ مُهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ نُونٌ مُشَدَّدَةٌ ــ : دَيْرُ حَنَّة بِظَاهِرِ الْكُوفَة[2] .

(للبحث صلة)

(١) قال ياقوت في «معجم البلدان» : وجُبَّة أو الجُبُّ : موضع بمصر ، وذكر ما أورده الحازميُّ هنا مُفَصَّلاً عن «الاكمال» لابن ماكولا ــ ج ٢ ص ٢٣٢ ــ .

ونقل ياقوت عن ابن نقطة أنَّ جُبَّة أيضاً قرية من أعمال طرابلس الشام ، وذكر أحد المنسوبين إليها .

(٢) قال نصر : دير حَنَّة بظاهر الكوفة . انتهى .

وتحدث ياقوت عن دَيْرحنَّة ــ في حرف الدال ــ قائلاً : هو دَيْرٌ قديم بالحيرة ، منذ أيام بني المنذر لقوم من تَنُوخ ، وأورد فيه شعراً ، وذكر دَيْرَحَنَّة بِالأُكَيْراح بظاهر اللكوفة والحيرة قائلاً : لا أدري أهو هذا المذكور أم غيره . انتهى .

وزاد نصر : حَيَّةُ : بعد الحاء ياءٌ تحتها نقطتان ، من جبال طيءٍ انتهى . وأقول : هو واد من أودية أجا ، لا يزال معروفاً ــ تحدثت عنه في قسم (شمال المملكة) من «المعجم» .

خُبَّة : قال نصر : بضم الخاء المعجمة وباءٍ موحدة : موضع بنجد . انتهى . وفي «معجم البلدان» : خُبَّة أرْض ذات رَمْلٍ بِنَجْدٍ عن نَصْر . قال الأخطل :

فَتَنَهْنَهَتْ عَنْهُ وَوَلَّى يَقْتَرِي رَمْلاً بِخُبَّة تارَةً ، وِيَصُومُ

ولا أستبعد أن تكون (خبة) تصحيف (جُبَّة) فهي الواقعة وسط الرمال ، وورد تصحيف هذا الاسم في «معجم ما استعجم» على أن الخُبَّة من أوصاف الأمكنة ذات الرمل ، وهي في لغة أهل عَصْرِنا تطلق على الحومانة الواقعة بين حِبَال الرَّمل ، فهي وَصْفٌ وليست علماً . ثم أُطلقت حديثاً على مواضع ذكرت بعضها في كتاب (شمال المملكة) .

العتوب في البحرين

[بعث الصديق الكريم الأخ الاستاذ سعود الجمْران العَجْمي — في الكويت — بنسخة معربَّة عن وثيقة تركية ، ويظهر أن الأخ سعوداً نقلها من مَصْدَرٍ فاته أن يذكره ، للرجوع إليه — وهذا نَصٌّ ما بعثه مشكوراً] .

ترجمة الوثيقة التي تؤكد تواجد العتوب في البحرين منذ سنة ١١١٣ هـ الموافق (١٧٠١ م)

الوثيقة مؤرخة في ٢١ رجب ١١١٣ هجري في أرشيف رئاسة الوزراء العثماني في اسطنبول في دفاتر المهمة رقم الدفتر ١١١ ورقم الصفحة ٧١٣ .

من والي البصرة (علي باشا) إلى السلطان العثماني :

نحيط علمكم السامي أن في البحرين التي يحتلها العجم (وقتئذ) أناساً على مذهبهم ، وللعجم اهتمام كبير بهذا المكان .

ويقيم في البحرين قبيلة العتوب والخليفات[١] ويسكنون قرب بندر فريحة[٢] وبندر (كونك)[٣] وكانوا سبع أو ثماني عشائر وكلهم عرب شافعيون وحنابلة ، وقد حلت بينهم الفتنة بين أهل البحرين ، وهؤلاء العشائر (الهولة) الذين يقيمون حول بندر (كونك) وقد قتل منهم كثيرون ، وكان التجار وأصحاب السفن يخافون أن يذهبوا إلى

---

(١) الخليفات فخذ من الأشاجعة من الحلف من الجلاس — من المسلم والخليفات ينتسبون إلى بني عبيدة في اليمن ، وهم ماليكون يسكنون البحرين وقطر ، ولا يزال بقاياهم في قطر والبحرين ، وهناك في البحرين حالة الخليفات تقع في جزيرة المحرق . وترجم الدكتور ساحلي كلمة (الخليفات) بـ(الخليفة) . أنظر «معجم قبائل العرب» ، عمر رضا كحالة ، ٣٥٥/١ . ودليل الخليج ١٢٥١/٣ . وترجمة الدكتور ساحلي في ص ٤٤ .

(٢) فريحة : مدينة في قطر وترجمها (دليمة) والأرجح (فريحة) .

(٣) كونك : ميناء على الساحل الشرقي للخليج العربي . وكون : جزيرة عربية . و(كونك) تقع على بعد عشرة أكيال غرب رأس مسندم أما رأس مسندم فهو رأس وجزيرة تقع على بعد ١٦٥ كيلاً شمال شرقي الشارقة . و(كنك) بضم الكاف مدينة صغيرة على ساحل منطقة (لنجة) في ايران على بعد حوالي أربعة أميال شرقي مدينة لنجة وتقع على شاطىء رملي على امتداد نصف ميل ويقع إلى غرب المدينة بقايا مصنع كبير أبيض كان يمتلكه البرتغاليون ويقابل هذا المصنع قلعة مستديرة تحيط بها المياه عند ارتفاع المد وفيها بقايا بعض أحواض السفن ويبعد المرسي عن الشاطىء حوالي ميل ونصف . أنظر دليل الخليج ١٢٣٩/٣ و١٢٥١ و١٢٩٠ .

البصرة خشية منهم لأن (سفنهم) تَمُرُّ من هذا البندر (الميناء) ومن رأى منهم سفينة يأخذها غصباً.

وفي أحد الأيام تقاتل العتُوبُ والخليفات ومن معهم من العشائر الأخرى من جهة ، والهولة من جهة أخرى ، بتحريض من والي العجم في البحرين ، وبينما كان العتوب في غفلة إذ أنْقَضَّ عليهم الهولة ، وقتلوا منهم نحو أربع مئة رجل ، وأخذوا أموالهم ، وهرب من بقي منهم ، وبعدئذ اتفق العتوب والخليفات وقالوا : إن العجم ألقوا بيننا هذه الفتنة ، فلنذهب إليهم ونحاربهم ونخرب البحرين واتفقوا على هذا وأتوا إلى البحرين ، وخربوا ما حولها وأحرقوها ، وأخذوا أموالهم وقتلوا رجالهم ورجعوا . ومنذ ذلك اليوم اتفق العتوب والخليفات وكانوا يقولون : لا نسكن في بلاد العجم لأنهم ليسوا على مذهبنا ، ونذهب إلى البصرة إلى حماية الدولة العثمانية فجاؤا كلهم إلى البصرة وكانوا نحو ألفي أسرة (بيت) وكتب والي البصرة إلى السلطان في اسطنبول يقول : جاؤا العتوب والخليفات ومن معهم من العشائر الأخرى وقالوا : نحن مسلمون وتركنا العجم وجئنا إلى بلاد سلطان الأسلام ، والتجأنا إليه ، وهذا رجاؤنا فإنهم يريدون أن يسكنوا البصرة ، ولم يعين الوالي لهم المكان الذي يسكنون فيه ، وبقوا على تلك الحال — ويقول الوالي : إذا أرادوا يسكنون البصرة فسنعين لهم المكان.

وكان لهم نحو مئة وخمسين مركب (سفينة) وعلى كل مركب مدفعان أو ثلاثة مدافع وعلى كل مركب ثلاثون أو أربعون رجلاً محارباً يحمل بندقية . وكانوا دائماً يكونون على المراكب وعملهم نقل التجّار ونقل أموالهم من مكان لآخر..

ويستطرد الوالي في رسالته إلى السلطان بقوله : يجب أن نصلح بين القبيلتين العتوب والخليفات من جهة والقبائل العربية الأخرى من الهولة لأنه إذا لم نصلح بينهم لا يمكن أن يأتي الأتراك إلى البصرة (يحتمل خوفاً منهم) لأن في مجيء الأتراك سيصير عليهم ضرر ، أي سيصبح ضرر على عسكر العثمانيين ، ثم يقول الوالي في رسالته : إذا جاء رجل كبير موفد من (اسطنبول) واصطلح معهم فاننا نأمن شرهم ، وحينئذ يسود الأمن والاستقرار هناك.

ترجمة أحمد أغراقجة جامعة استطنبول
والسيدة زليخة المترجمة في (الأرشيف العثماني)

مع الشعراء

كانت لفتة كريمة ، أن يقدم المحقق الثقة الأستاذ حمد الجاسر كتابه «مع الشعراء» لنادي بريدة الأدبي ، فالنادي بحاجة إلى الإعلان ، وإلى التفاف أدباء القصيم حوله ، وتحمسهم له ، وبكتاب حمد الجاسر ، تخطى النادي حدود القصيم بنجد إلى أرجاء المملكة ، بل تخطى أرجاء المملكة كافة إلى أقطار العالم العربي ، وهكذا نجح في إثبات وجوده ، وإذاعة صيته ، ونشر اسمه في كل مكان يحل به كتاب «مع الشعراء» .

ولست بحاجة للتعريف بحمد الجاسر ، فهو أعرق وأشهر من أن أقدمه لقراء العالم العربي عن طريق مجلة «**الفيصل**» بيد أني أخشى أن يحتاج باحث خارج العالم العربي أن يلم بشيء عن حياة العلاّمة مفخرة الجزيرة ، فلا بأس من ذلك[1] .

أقسام الكتـــاب :

وينقسم كتاب «مع الشعراء» إلى قسمين كبيرين ، القسم الأول وموضوعه «**شعراء مترجمون**» وهم : عبدالله بن همام السلولي ، والصمة بن عبدالله القشيري ، وجحدر العكلي ، ويزيد بن الطثرية ، والقحيف العقيلي ، وعروة بن أذينة ، ومحمد بن صالح الحسني ، ومحمد ابن عبد الملك الأسدي ، وابن المقرب الأحسائي .

والقسم الآخر وموضوعه «**دواوين قرأتها**» وهي : كتاب «طبقات فحول الشعراء» تحقيق **محمود محمد شاكر** ، ورسالة جامعية موضوعها «شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين» ، وديوان «حاتم الطائي» تحقيق **الدكتور عادل سليمان جمال** ، وكتاب «زهير بن أبي سلمى.. حياته وشعره» **للدكتور إحسان النص** ، وديوان «الحادرة» تحقيق **الدكتور ناصر الدين الأسد** ، وديوان «زيد الخيل الطائي» جمع وتحقيق **الدكتور نوري حمودي القيسي** ، وكتاب «شعر المتوكل الليثي» جمع وتحقيق **الدكتور يحيى الجبوري** ، وديوان أبي دهبل الجمحي ، تحقيق **الأستاذ عبد العظيم عبد المحسن** ، وشعر عبدالله بن الزبير ، جمع وتحقيق **الدكتور يحيى الجبوري** ، وديوان جميل

بن معمر ، تحقيق **الدكتور حسين نصار** ، وديوان الطرماح بن حكيم الطائي ، تحقيق **الدكتور عزت حسن** .

وفي المقدمة يقول الأستاذ الجليل حمد الجاسر : (أما عن العنوان «مع الشعراء» فللقارىء أن يضيفه إلى أسماء الكتب التي اعتبرها المنفلوطي في «النظرات» تخدع القارىء ، ولكن لن يعدم المتكلف أن يوجد بين ذاك العنوان وبين مضمون الكتاب صلة ، وإن لم تكن قوية من جمع الوجوه) (ص ١٣) ، ولا خديعة للقارىء انما هي الفائدة كل الفائدة .

وثمة صلات بين هؤلاء الشعراء ، وبين اقليم نجد ، الذي تقع فيه منطقة القصيم ، حيث النادي في مقدمة إصداراته ، وهذه الصلات ــ فيما أعتقد ــ هي السبب في ضم هؤلاء الشعراء في كتاب ، وتقديمهم إلى النادي الأدبي ، بغض النظر عن قوة الصلة أو ضعفها . فبنو سلول ، ومنهم الشاعر عبدالله بن هَمَّامٍ السلولي ، كانت بلادهم فروع الأودية التي تنحدر من جبال الحجاز جنوب الطائف ثم تفيض في نجد ، وموطن الصمة القشيري الشاعر ، قلب نجد ، وجحدر العكلي ، من أهل نجد ، ويزيد بن الطثرية والقُحَيْف عاشا وماتا في بلادهما العقيق «وادي الدواسر» ، أما عروة بن أذينة فقد ذكر نجداً في شعره ، والشاعر محمد بن عبد الملك الأسدي كانت قبيلته تحل أعالي القصيم .

وفي قسم «دواوين قرأتها» ورد في كتاب (طبقات الشعراء لابن سلام) «طمية» ، من أشهر جبال نجد ، و«القنان» وهو واقع شمال القصيم يميل نحو الغرب ، و«رامة» وتقع غرب مدينة عنيزة ، و«الرقم» في عالية نجد ، و«الأسياح» في شرق القصيم .

وفي بحث «شعر الدعوة الإسلامية» ، وردت القطعة رقم (٣٧٨) على أنها لامرأة نجدية وهي لامرأة مدنية . وثالث الموضوعات في هذا القسم عن «حاتم الطائي» وديوانه ، وحاتم نجدي ، ورابعها عن زهير بن أبي سلمى ، وزهير نجدي ، وخامسها عن «الحادرة» الشاعر وهو من غطفان ، ومن غطفان «عبس» ومنازلهم غرب القصيم ، ومنهم بنو عبدالله ومنازلهم ضفاف وادي الرمة ، ثم يأتي الحديْث عن زيد الخيل ، أو زيد الخير ، كما سماه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهو نجدي من طيء ، ثم المتوكل

الليثي ، وقد مثَّل ثنايا صاحبته بأقاحي الرمل ، والأقاحي نبات لا يزال معروفاً في نجد ، ويُحرِّف العامة اسمه إلى قحويان ، ثم عبدالله بن الزبير الأسدي الشاعر النجدي الأصل ، الذي ذكر عادة الاستشفاء بدماء الشجعان من داء الكلب ، وهي عادة شائعة عند العرب منذ الجاهلية وظلت في نجد إلى عهد قريب ، وفي شعره مواضع نجدية مثل «خو» وهو وادٍ لبني أسد ، ووادي الكلاب المنحدر من جبل ثَهْلَان إلى عالية نجد ، ثم جميل بن معمر الذي يذكر في شعره ذا الأجفر ، وهو تابع لإقليم جبل طي ، وأخيراً الطرماح وهو طائي ، وذكر في شعره «البطاح» ويقع بالقرب من بلدة الرس في القصيم .

هذا عن **الصلة المكانية** ، أما **الصلة الزمانية** ، فنجد شعراء القسم الأول إسلاميين ، ما عدا محمد بن صالح الحسني العباسي اليَنْبُعي وابن المقرب الأحسائي المتوفى في القرن السابع الهجري .

ويشترك شعراء القسم الثاني في انتسابهم إلى العصر الإسلامي ، ما عدا حاتم الطائي ، وزهير والحادرة الجاهليين ، وزيد الخير المخضرم .

وبجوار الصلة المكانية والزمانية نجد **صلة فنية** جمعتهم ، هي قلة شعرهم الموجود بين أيدينا ، لتفرقه في المصادر المختلفة ، أو لظهور دواوينهم ناقصة بعض أشعارهم .

وإذا تركنا هذا الجانب وانطلقنا إلى آفاق أرحب ، لننتقل إلى منهج الجاسر في البحث ، استوقفتنا قصة حدثت له في مطلع حياته التعليمية أمام تلاميذه ، يحكي الجاسر :

«أسند إليَّ تدريس المحفوظات ، فكان أول درس قمت به أمام الطلاب في السنة السادسة شرح أبيات من قصيدة أبي العلاء المعري المعروفة :

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل
عفاف وإقدام وحزم ونائل

وكنت قد راجعت شرح بعض مفرداتها ، ومنها البيت التالي :

يهم الليالي بعض ما أنا مضمر
ويثقل رضوى دون ما أنا حامل

فكان مما قلتُ في أول يوم دخلت المدرسة ، وفي أول درس ألقيته : **رضوى** جبل قريب من المدينة ، سهل ، ترقاه الإبل — ولعلي رجعتُ في ذلك إلى أحد شروح «مقامات الحريري» — فما كان من الطلاب عندما سمعوا هذا الكلام مني إلا أن قالوا بصوت واحد : لا يا أستاذ ، ها هو جبل رضوى أمامك — وكانت النافذة مفتوحة — وليس قريباً من المدينة ، ولا تستطيع الإبل أن ترقى أعلاه ! ..

سررت بهذا التصريح ، وشكرت الطلاب ، وبيَّنت لهم أن أكثر الذين يحددون المواضع في بلاد العرب كانوا يعتمدون على النقل ، وما كانوا يكتبون عن مشاهدة ، فجاءت كتاباتهم ناقصة خاطئة ، وحمدت لتلاميذي موقفهم» (ص ٣٨٩ — ٣٩٠) .

وتعمل سنوات النضج والثقافة والخبرة عملها في دفاع الجاسر عن نفسه أمام تلاميذه ، ويتحول إلى شكل عملي محدد ، يذكره في أثناء عرضه لكتاب «طبقات الشعراء» لابن سلام قائلاً : «إن العلماء الذين ألّفوا مؤلفاتهم في ذلك ليسوا من أهل البلاد التي يحاولون تحديد مواضعها ، وإنهم ينقلون ما يذكرون عن رواة أو عن كتب ، ومعروف ما يتصف به كثير من الرواة والنقلة ، وما اعترى كثيراً من الكتب من التحريف ، وإن تحديد المواضع لم يكن في أول العهد بالتدوين عِلْماً قائماً بذاته ، وإنما كان وسيلة لفهم بعض معاني الأشعار أو الأخبار ، ولهذا لم يجد من متقدمي العلماء الموثوق بهم عناية تامة ، وإن كثيراً من المواضع التي تصدى المتقدمون من العلماء لتحديدها وردت في الشعر ، وفيه المنحول وغير الصحيح ، وكذلك ما ورد فيه من أسماء المواضع ، وإن تحديد المتقدمين للمواضع وقف قبل مئات من القرون» (ص ٢٣٧ ، ٢٠٨) .

وهكذا تحولت مبررات الوقوع في الخطأ في تحديد أي موضع في الجزيرة العربية إلى أسباب ملحة لتصحيح هذا الخطأ ، ومن ثمَّ تحددت معالم منهج الجاسر في عمله الفذ الذي آلى على نفسه أن يضطلع به وهو «تصحيح خطأ القدماء في تحديد المواضع التي

وردت في الشعر، وإكمال ما قاموا به من جهد».

وفي نهاية سنة ١٣٨٧ هـ، كتب في **مجلة العرب** مقالاً بعنوان «دعوة إلى تأليف معجم جغرافي لبلادنا»، وشرح فكرته قائلاً: «إن بلادنا لسعتها ولتعدد أقطارها بدرجة تجعل الباحث، مهما أوتي من سعة اطلاع وعمق معرفة، لا يستطيع أن يقوم بعمل كامل من جميع النواحي لتقديم معجم جغرافي عام، ولكن في استطاعة المرء ولو كان محدود الثقافة، أو قاصر المعرفة، أن يقدم شيئاً نافعاً مفيداً عن الإقليم الذي يعيش فيه، ومن ثم يصبح لدينا مجموعة من تلك الدراسات يمكن اتخاذها أساساً لوضع ذلك المعجم الشامل»[٣].

وتبدو في هذه الدعوة حقيقة ناصعة، فالجاسر مع شغفه[٤] بوضع معجم للمملكة، يعي بوضوح، أن المعجم عمل جماعي ولا يستطيع فرد أن يتصدى له مهما أوتي من ثقافة وجَلَد على العمل، وفي اللقاء الذي عقد معه في مجلة «**الفيصل**» قال: «وكنت قد عرضت الفكرة على بعض الإخوان على أن أقوم بالكتابة عن جميع المدن والقرى والمناهل الواقعة في شمال المملكة من القصيم شمالاً إلى الأردن والعراق إلى نهاية الحدود، أي إمارة حايل والجوف وعرعر وتبوك والقريات.. هناك الشيخ محمد العبودي وضع كتاباً عن القصيم، والشيخ **عبدالله بن خميس** وضع كتاباً عن مسمى اليمامة أو إمارة الرياض في الوقت الحالي، وهناك **ابن جُنَيْدل** وضع كتاباً عن عالية نجد، وهناك **عبدالله الوهيبي** وضع كتاباً عن شمال الحجاز»[٥] وهذه الكتب وغيرها بين أيدي القراء.

منهج الجاسر في تحديد المواضع

يطّرد هذا المنهج في دراسات الجاسر، ويتركز في:

(١) دراسة كتب المتقدمين في تحديد الموضع، وتتبع أخطائهم في كتبهم، وفي دراسات المحدثين الذين أخذوا عنهم مع تحقيق بعض الموضوعات التي تحدد المواضع.

(٢) الاعتماد على البيانات الرسمية وشهادة السكان المقيمين بالإضافة الى المعرفة الشخصية.

(٣) الاعتماد على الشعر العامي .

ودراسة الجاسر لكتب المتقدمين في تحديد الأماكن وفي الأنساب والأدب والتاريخ مسألة لا تحتاج إلى تعديل ، إنما تحتاج إلى تقديم نماذج منها لتثير الإعجاب ، ولتقدم صورة حقيقية لجهد الجاسر وقيمته العلمية في حياتنا الأدبية .

في موضوع «ديوان شعر الحادرة» يقول : «ظن الدكتور الكريم **ناصر الدين الأسد** أن «مختصر جمهرة النسب» مخطوطة خزانة راغب باشا في اصطنبول ، المصورة في معهد المخطوطات ، ظن أن هذا الكتاب مختصر كتاب «النسب الكبير» لابن الكلبي ، وصرح بهذا في ص ٢٩٧/ ٣٥٠/ ٣٨٧ ، وهذا غير صحيح ، فابن الكلبي له مؤلفات في الانساب منها «جمهرة النسب» وقسم منه مخطوط في **المتحف البريطاني** ، وله مختصرات منها «المقتضب في جمهرة النسب» **لياقوت** ، محفوظة بقلمه محفوظة في **دار الكتب المصرية** ، ومنها «مختصر جمهرة النسب» **مخطوطة خزانة راغب باشا** ، ومن مختصراتها «كتاب النسب» لأبي عبيد القاسم بن سلام ومنه مخطوطة في **مكتبة مانيزيا في تركيا** ، ومن مؤلفات ابن الكلبي في النسب كتاب «النسب الكبير» أو «نسب معد واليمن الكبير» ومنه قسم في **مكتبة دير الأسكوريال** ، والخلط بين كتابي «الجمهرة» و«النسب الكبير» وقع فيه كثير من الباحثين ، **كالدكتور المنجد** في «فهرس الكتب المصورة في معهد المخطوطات» قسم التاريخ ، **والدكتور جواد علي** في مقال له عن «الجمهرة» نشر في المجلد الأول من «مجلة المجمع العلمي العراقي» ، **والدكتور ورنر كاسكل** حينما نشر الكتابين بعد تحويرهما ودراستهما ، وغير هؤلاء» (ص ٣٥٠) .

وليس تصحيحه أخطاء المتقدمين بأقل روعة واستاذية من جانب دراسته الواعية لكتبهم ، يقول «جَو» تصحيف «خَوّ» الموضع الذي في بلاد بني أسد ، تصحيف قديم ، أي قبل تسعة قرون ! ! في كتاب «فرحة الأديب» ما نصه : «قال السيرافي : قال زُهير:

لَـئِنْ حَـلَلْتَ بِجَوٍّ في بني أَسَدٍ   في دِيْنِ عَمْرٍو، وَحَالَتْ بَيْنَنَا فَدَكُ

قال : الجَوُّ الوادي . والدِّين الطاعة ، وعمرو : ابن هند الملك . قال (س) :

زهير .. وكثيراً ما يُصَحِّفُ ابن السيرافي في أشياء ظاهرة ، لا يصحف فيها صبيان المكاتب» . (ص ٣٧٥) .

وفي نسب جحدر العكلي يقول : «والاختلاف في نسب جحدر في كثير من المؤلفات القديمة ، ولعل أصح ما ورد فيه ما جاء في كتاب «منتهى الطلب» من أنه جحدر بن معاوية بن جعدة العكلي من بني محرز فهو محرزي عكلي ، أما نسبته لبني حنيفة ، فلعل منشأ ذلك صلته بأهل حَجْرٍ ، وكلمة «العجلي» تصحيف «العكلي» كما صحف في «التكملة» و«تاج العروس» بـ«الكلبي» ، وأغرب ياقوت حين عَدَّهُ من بني جشم بن بكر» (ص ١١٦) .

وكما وقع التحريف من الحموي والآمدي (ص ٨٣) وغيرهما ، وقع أيضاً من البكري ، وسببه — كما يقول الجاسر — «أن البكري — رحمه الله — عالم جليل ، ولكنه كان يحدد مواضع الجزيرة وهو يعيش في بلاد الأندلس معتمداً على مصادر ومستنتجاً استنتاجات ، وبعض تلك المصادر لا تخلو من التصحيف والتحريف ، الذي لم يستطع هذا العالم الجليل ، إدراك وجه الصواب منه واستنتاجه» (ص ٣٨٨) .

إذن ، لم يقتصر الأمر على تصحيح التصحيف عند المتقدمين ، بل تعداه إلى متابعة أثره في كتابات المحدثين ، ومعظمهم سلّم بما ورد في كتبهم من معلومات ، لكن الذي أفزع الجاسر ، أنه حين استشكل يوماً ما قاله علماء اللغة في شرح قول لبيد في معلقته : فعلى فروع الأيهقان ، من أن مقصوده «النهق» — بالنون — وهو عندهم الجرجير البري ، وعرض رأيه على بعض علماء العصر لم يرتح لرأيه بحجة «أن اولئك العلماء من المتقدمين لا ينبغي الإقدام على تخطئتهم على أية حال من الحالات» (ص ٣٦٥) .

وبدلاً من أن ينتظر الجاسر وقوع المحدثين في الخطأ نقلاً عن المتقدمين حاول درء هذا الباب بتحقيق بعض المخطوطات فقد حقق كتاب الإمام أبي إسحاق الحربي «المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة» ، وكتاب «بلاد العرب» للأصفهاني[٦] .

وبالرغم من اعتماد الجاسر على البيانات الرسمية ، إلا أن الرحلة إلى الموضع الذي يريد تحديدهُ ، كانت عاملاً مهماً في التحديد لم يغفله . مثال ذلك يقول : «وكنت

كتبت حينما زرت مدينة «**حايل**» أول مرة في محرم سنة ١٣٨٨ هـ ، كلمة بعنوان «في مرابع حاتم الطائي» ، حاولت فيها تحديد (القريَّة) ، ورجحت أن يكون موقعها (السويفلة) أسفل مدينة حائل على مقربة منها ، وكان هذا قبل مشاهدة وادي «توارن» حيث يعتقد السكان هناك أن قرية حاتم كانت فيه ، فلما شاهدته ، وشاهدت المكان الذي ذكرت أن «**تنغة**» قرية حاتم تقع فيه اتضح لي..» (ص ٢٩٦).

ويقول في اللقاء الذي عقد معه في مجلة «**الفيصل**» سنة ١٣٩٩ هـ : «وقد شرعت الآن في تأليف القسم المتعلق بالمنطقة الشرقية وأكملت التأليف ، ولم يبق لي إلا أن أزور بعض الجهات لكي أضيف ما أشاهده إلى ما كتبت وأعلم»[٧] .

ويعتمد على السكان المقيمين بالإضافة إلى ما يعلم ، فحين يحاول تحديد مكان **قبر حاتم** يقول : «أما الكلام على قبر حاتم فنحن أمام أربعة أقوال : (١) أنه في «تنغة» قريته على ما ذكر نصر وياقوت ، (٢) أنه في جبل عوارض على ما ذكر الزمخشري والبكري وياقوت والجوهري والفيروزأبادي ، (٣) أنه في جبل أظايف على ما ذكر الهجري ، (٤) أنه في وادي تُوارن على ما هو معروف عند أهل هذه الجهة . وليس من مرجح لأحد هذه الأقوال سوى الرجوع إلى أقدمها أو أكثرها شيوعاً ، وهما القولان الأول والرابع ، ومن الممكن الجمع بينهما بالقول بأن تنغة في وادي توارن» (ص ٣٠٠).

وليس معنى ذلك أن أقوال أهل الجهة التي يريدها لا تقبل الشك ، فقد تكون معلوماتهم محدودة ولا يعول عليها . (ص ٣٠٧ ، ٣٠٨).

ويعتمد الجاسر فيا يعتمد على **الشعر العامي** مصدراً لتحديد الأماكن ، ففي تحديده عن «**بلطة**» وهي «شعبة في جوف أجأ ، فيها عين تسقي نخيلات قليلة» ، وسيل هذه الشعبة يفضي إلى وادي الرصف ، فوادي حايل ، وتُعتبر هذه متنزهات حايل ، استشهد **بالشاعر عبد العزيز بن عبدالله الجريفاني** الشاعر الشعبي في قوله معدداً متنزهات حايل :

وبلطة ومعها جو   قالوا عليها نو
السيل جاها تو   والكل مليان

أما الأقاحي ، فهو نبات لا يزال معروفاً في نجد ، ولكن العامة يحرّفون اسمه فيقولون «قحويان» .. ويقول شاعرهم في وصف ثنايا صاحبته :

أبو ثنايا كُنّها حب رمان أو قحويان طاغي في مسيله

وثمة ظاهرة جديرة بالتنويه في معرض الحديث عن منهج الجاسر ، وهي تبسيطه للرسم الإملائي واستخدامه ألفاظاً محدثة ليحقق الدقة والوضوح لأسلوبه ، فيفضل (يحيي) هكذا (يحيا) قائلاً : «خالفت القاعدة المشهورة في كتابة هذا الاسم وفي كتابة غيره من الأسماء ، فقواعد الإملاء وسيلة لصحة القراءة ، وليست غاية في نفسها» . (ص ١٣) . وتطرد هذه الظاهرة فنرى «هاؤلاء» و«بذالك»و«مئة» و«رأفة» .

ويستعمل مصطلح (التطبيع) ويشرحه بأنه (الأغلاط المطبعية) ، و(كيلا) أي الكيلومتر ، وتطويع اللغة حاجة يحس بها الكاتب المدقق ، وهو شهادة على عظمة اللغة العربية وقدرتها على المرونة والاستيعاب .

ولن نملّ التزود من كتاب «مع الشعراء» ، فهو مورد عذب بالرغم من بعض التساؤلات التي نطرحها مستفسرين .

فكتاب «مع الشعراء» ليس كتاباً ذا موضوع واحد ، إنما هو مختارات ومطالعات جمعت بينها وشيجة حميمة ، وسبق نشرها في مجلة «العرب» ، وقد درج الكتّاب على جمع مقالاتهم وبحوثهم التي نشرت في مجلات وصحف قديمة العهد ، أو بعيدة المنال ويعيدون نشرها لتعم الفائدة ، والأمر يختلف بالنسبة لمقالات الجاسر ، فقد نشرت في مجلة أدبية مشهورة ، تصدر منذ أربعة عشر عاماً ومتداولة بين القراء ، وقد يكون للجاسر رأي في هذا ، فمقال (حوضا وحوضا وحوضا) الذي يرد فيه على مقال الدكتور **محمد عبد المنعم خاطر** «مسح جغرافي يرتكز على الشعر القديم» نشرته **مجلة «العرب»**[٨] ، ثم أعيد نشره بعد شهر واحد في «**مجلة الفيصل**»[٩] !!

وجرى العرف أن يدخل الكاتب التعديلات اللازمة على مقالاته التي سيعيد نشرها في «كتاب» وكذلك يعيد مراجعتها . وقبل أن نستعرض التعديلات ، كنا نتمنى أن يزود

الكتاب بفهرس أعلام ومواضع ليسهل على الباحث الوصول إليها ، ولا سيما أن الجاسر يلفت نظر **الدكتور علي جواد الطاهر** إلى هذه النقطة قائلاً : «حبذا لو وضع الأستاذ الجليل فهرساً لأسماء هذه المواضع ليسهل للباحث الوقوف عليها» . (ص ٣٥٨) .

التعّديلات

١ — وَضع مقال «الشاعر القحيف العقيلي» قبل مقال «الشاعر يزيد بن الطثرية» ، فقد وردت في مقال القحيف العبارة التالية :

نحن نورد ما ذكره الأستاذ كرنكو من شعره مضافاً إلى ما عثرنا عليه مما لم يذكره ، وقد تسنح الفرصة لنتبع ذلك بشعر صديق هذا الشاعر يزيد بن الطثرية» (ص ١٧٤) . والحديث عن يزيد قد انتهى من الصفحة واحدة .

٢ — ورد في هامش ص ٢٥٤ ، إحالة على مخطوط «بلاد القصيم» ، وقد طبع .

٣ — ورد في هامش ص ٢٥٧ ، إحالة على مخطوط «شمال المملكة» ، ثم تأتي إحالات أخرى عليه في صفحاته المطبوعة[١٠] ، وكذلك الأمر بالنسبة لمخطوط «أبي علي الهجري»[١١] .

مـراجعـات

١ — ورد ذكر مصادر اعتمد عليها بدون إشارة إلى الصفحات المعنية وذلك بالنسبة لتاريخ ابن جرير ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ، وابن خلكان ، والشعر والشعراء ، والأغاني ، ومعجم البلدان ، والوافي بالوفيات ، ومعجم ما استعجم * .

٢ — ورد في ص ٩٧ ثلاث كلمات في الشعر وضع بجوارها رقم (١) وهي «عاطلاً» و«فتثنت» و«القحاقح» ، وفي الهامش رقم (١) بجوارها : الهجري : (هـ ٤٥ إلى ٥٠) ، ورقم (٢) : «الأغاني» !! هكذا .

٣ — في ص ١٢٢ ورد ما يلي «الرِّجام — بكسر الراء وفتح الجيم بعدها ألف فميم — من جبال حمى ضرية ، يقع شرقها غير بعيد» ، وفي الهامش هذه العبارة «١ —

أنظر تحديده في كلامنا على شعر لبيد في مجلة «العرب» !

٤ — ورد في ص ٦٨ «إن من أوضح ما ورد عن المتقدمين في تحديد بلاد بني قشير، ما جاء في كتاب «بلاد العرب»[1]، وفي الهامش «١ — نشرته «دار اليمامة» بتحقيق صاحب العرب» !!

٥ — وردت كتب بلا أصحاب من مثل «منتهى الطلب» و«فرحة الأديب».

٦ — جاء في ص ٢٩٣ «وعندما زرت مدينة حايل في شهر المحرم سنة ١٣٨٤ هـ، أنظر س ٢، ص ١٠٥٧..»، وفي ص ٢٩٦ يقول: «وكنت كتبت حينما زرت حايل أول مرة في محرم سنة ١٣٨٨ هـ، كلمة بعنوان «في مرابع حاتم الطائي» !!

وكل هذه ملاحظات لا تقلل من روعة وقيمة ما كتب علاّمة الجزيرة أستاذنا الجليل حمد الجاسر.

[عن مجلة «الفيصل» جزء رجب سنة ١٤٠١ هـ] د: منيرسلطان

---

١ — من منشورات النادي الأدبي في بريدة بالقصيم رقم (٢) طبع بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م.

(٢) من مواليد سنة ١٣٢٩ هـ — ١٩١٢م، بقرية «البرود» من إقليم السر، حفظ القرآن الكريم وتعلم في الرياض ومكة المكرمة، ودرس الآداب بجامعة القاهرة، وعمل في التعليم والقضاء وإدارة المعارف، أنشأ مطبعة في الرياض، وأصدر مجلة «اليمامة» ومجلة «العرب» وألف «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية — شمال المملكة»، و«المعجم الجغرافي للبلاد العربية — مقدمة تحوي أسماء المدن والقرى وأهم موارد البادية»، و«المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية — المنطقة الشرقية»، وحقق كتاب «بلاد العرب للأصفهاني»، و«المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة لأبي إسحاق الحربي» وكذا غيرها تأليفاً وتحقيقاً وتقديماً، وهو عضو في المجامع اللغوية العربية، وما زال ثرَّ النتاج موفور العطاء.

(٣) مجلة «العرب»، ج ٦، س ٢، ذو الحجة ١٣٨٧هـ، ص ٤٨١ — ٤٨٣.

(٤) يقول: «ومن عادتي أن أعفي نفسي من عناء مطالعة الكتب التي لا أراها جديرة بالمطالعة، أو التي لا تتصل بما اهتم به من دراسات تتصل بتاريخ أمتنا وبأدبها وبجغرافية بلادها»، «مع الشعراء» ص ٣٢٧، ٣٢٨.

(٥) «الفيصل»، ع ٢١، ربيع الأول ١٣٩٩هـ، ص ١١٠.

(٦) «الفيصل»، ع ٤٠، شوال ١٤٠٠هـ «دائرة المعارف» الجاسر.

(٧) «الفيصل»، ع ٢١، ص ١١٠.

(٨) في ج ٥ و٦ س ١٤، ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٩هـ، أكتوبر ونوفبر (تشرين الأول وتشرين الثاني) ١٩٧٩م، ص ٤٦٥.

العرب في القرن السابع

في كتاب «مسالك الأبصار» :.

أحمد بن يحيي بن فضل الله العمري٭ القرشي (٧٠٠/٧٤٩هـ) من مفاخر الأمة في مختلف أنواع االمعرفة ، وله مؤلفات من أجلّها كتاب «مسالك الأبصار ، في ممالك الأمصار» قال عنه ابن شاكر الكتبي المؤرخ : كتابٌ حافلٌ ، ما أعْلَمُ أنَّ لأَحَدٍ مثله ، وهو شامل لأنواع العلوم والفنون في عدة أجزاء . طبع الجزء الأول بتحقيق شيخ العروبة أحمد زكي باشا (١٢٨٤/١٣٥٣ هـ) سنة ١٣٤٢ (١٩٢٤ م) طبعةً أنيقةً ، يُشاهد المرءُ حين يُدَقِّقُ النظر في كل ورقة من أوراقه (طغراء) باسم (عباس حلمي) حاكم مصر المعروف ، ولعل هذا ما دَفَع حكام تلك البلاد الذين جاؤا بعده إلى عدم الاستمرار في نشر كِتابٍ كان الفضل في البَدْءِ بنشره لغيرهم .

وفي هذا الكتاب مَبحثٌ خصصه المؤلف لذكر العرب الموجودين في زمانه ، عوَّل فيه ـــ أكثر ما عوَّل على الحمداني ـــ يوسف بن زمَّاخ ـــ وهو مترجم في «الدرر الكامنة» وفي كتاب «أعوان النصر ، في أعيان العصر» ومن مؤلفاته الباقية كتاب في علم البديع في (دار الكتب المصرية) .

---

(٩) «الفيصل» ، عدد ٣١ ، باب مناقشات وتعليقات ، ص ١٥٤ في المحرم من سنة ١٤٠٠هـ .

(١٠) ورد ذكر المخطوط ص ٢٥٧ ، وصفحات المطبوع ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١١ ، ٣١٤ ، ٣١٧ .

(١١) ورد ذكر صفحات المخطوط ص ٢٠ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١١٢ ، وصفحات المطبوع ص ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٩٢ ، ٣٠٣ ، ٣١٥ ، ٣١٩ .

(٥) العرب : لعل الأمر لا يحتاج إلى ذكر الصفحات في هذه الكتب ، فكتب التاريخ كتاريخي ابن جرير وابن الأثير يرجع إلى السنوات المتعلقة بحياة المترجم ، وكتاب ابن خلكان مرتب على الحروف ، فيرجع إلى اسم المترجم فيه وكذا «الوافي بالوفيات» وأسماء المواضع في معجمي ياقوت والبكري مرتبة على الحروف والرجوع إليها أدق من ذكر الصفحات التي تختلف باختلاف الطبعات ، أما «الأغاني» و«الشعر والشعراء» فالرجوع إلى ترجمة الشاعر أيسر من الاصالة إلى صفحات مطبوعة قد لا تكون لدى القارىء .

وما أورده ابن فضل الله في كتابه «مسالك الأبصار» صار عمدة من جاء بعده ممن كتبوا عن قبائل العرب كصاحب «صبح الأعشى» و«نهاية الأرب» وصاحب «سبائك الذهب» الذي هو تَشْجِيرٌ لكتاب «نهاية الأرب» وغيرهم كالمقريزي والسيوطي .

ومع أنَّ ما في كتاب «مسالك الأبْصار» عن عرب وسط الجزيرة يوشك أن يكون خلاصة ما هو معروف من أنساب هؤلاء ، إلّا أنَّ قبائل جنوب الجزيرة — اليمن ونواحيه — لا ذِكْرَ لهم في هذا الكتاب ، مع أنَّ عِلْمَ الأنساب ، وقد عُدِم من حيث التأليف في وسط الجزيرة ، استَمَرَّ مُتَّصِلاً إلى القرن الحادي عشر ، حيث نجد مشجَّر ابن أبي علامة ، وقبله بأزمانٍ نجد مؤلفات عن أنساب اليمنيين مثل «طرفة الأصحاب» وغيره . كَمَّا لم تُفَرَّع في كتاب «المسالك» قبائل شَهيرة كقبيلة بني تميم وغيرها .

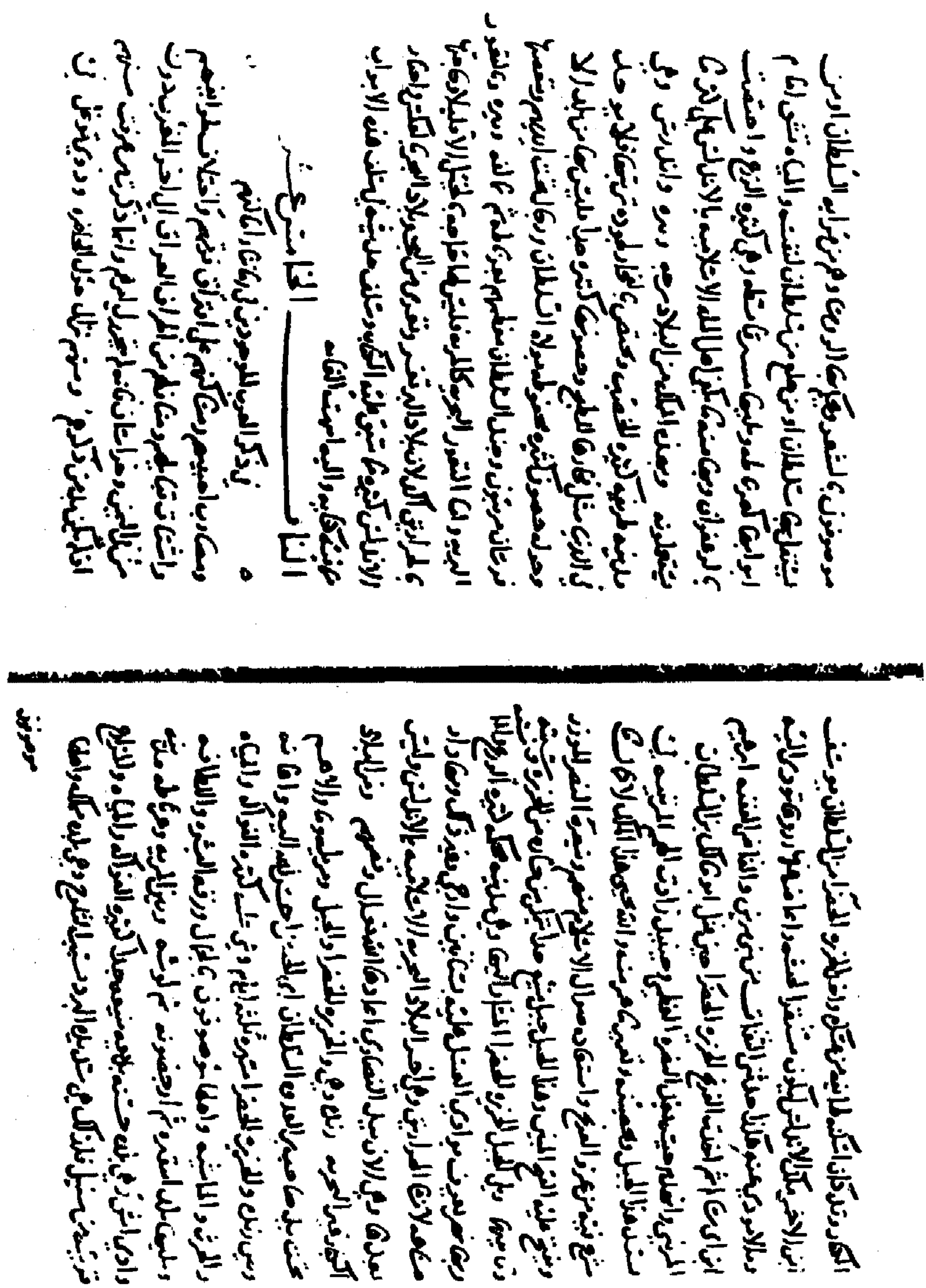
وقد رأيت إطلاع المعنيين بدراسة الأنساب ، على ما ورد في ذلك الكتاب ، فرجعت إلى أوثق مخطوطة عرفتها ، وهي نسخة (أيا صوفيا) في تركية ورقمها (٣٤١٧) فنقلت عن الجزء الرابع منها (من الورقة الـ٦٣ إلى الورقة الرّابعة بعد المئة) . وهي مع قدم خطها صعبة القراءة ، كثيرة التحريف ، وقابلت ما نقلته عنها على مخطوطة أخرى ، كانت مكتوبة (برسم خزانة السلطان الملك المؤيد شيخ) في حياته ، أحد ملوك الجراكسة بمصر ، تولى السلطنة من سنة ٨١٥ إلى سنة ٨٢٤هـ وهي كثيرة التحريف أيضاً .

وعسى أن يتمكن أحد القراء من العثور على نسخة أوثق ، أو أَنْ يفضل بتصحيح ما لم أَهْتَدِ إلى وَجْهِ الصَّوَاب فيه .

وها هو نصٌّ ما في كتاب «مسالك الأبصار» :

الباب الخامس عشر

في ذكر العرب الموجودين في زماننا وأماكنهم ، ومضارب أخبيتهم ومساكنهم ، على افتراق فِرَقِهِم واختلاف طوائفهم ، وأشتات قبائلهم ومنازلهم ، من أطراف العراق ، إلى آخر المغرب ، دُوْنَ من في اليمن وخُراسان ، فإنه لم يَتَحَرَّرْ لي أمرهم ، وإنَّما ذكرتُ من عرفت منهم ، إذْ لَمْ يكُنْ بُدٌّ من ذكرهم ، ومنهم نُزَّال حول الحاضرة ، وذوي[1] تَوَغُّلٍ في البادية ، وهم أسوار المُدُنِ ، وحفظة الطرق .



(صفحتان من مخطوطة آيا صوفيا)



(طرة نسخة خزانة الملك المؤيد)

ولم يزل منهم أئمة الطلائع ، وجناحًا الجيوش . ومنهم بممالكنا مِصْرَ والشام حفظة الدروب ، والْقَوَمَةُ بخيل البريد والْحَمَلَةُ للسبّاق في غالب المملكة .

ولم تزل الملوك تهش لوفادتهم ، وتهب لهم جزائل الأموال ، وتُقْطِعُهُمْ جُلَّ البلاد ، هذا[٢] إلى التَّنْوِيْهِ بأقدارهم ، والتعويل على أخبارهم ، ورفعهم في المجالس .

وقد ذكرناهم على ما هم عليه الآن من النسب ، مع ما حصل من التداخل في الأنْسَاب ، والتباين في الأسبا َب ، والتنقل في الدّيار ، والتبدُّل في الأقطار .

واعتمدت في أكثر ذلك على ما ذكره الأمير الثقة بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن أبي المعالي ابن زماخ ، المعروف بابن سيف الدولة الحمداني ، المَهْمَنْدَار .

وما حدثني به الشيخ الدليل النَسَّابة محمود بن غَنَّام[٣] ، من أصحاب قناة بن حارث ، وهو من ذوي الثقة والعلم بقبائل العرب وأنسابها وبلادها ، ومُفْتَرق فِرَقِهَا [في أغوارها وأنْجَادها .

وأبوه عزام بن كريب بن حليل بن ماجد بن ثابت][٤] بن ربيعة ، الذي ينسب إليه آل ربيعة قاطبة إلى ما كنت نقلته عن أحمد بن عبدالله الواصلي ، وغيره من مشيخة العرب .

وقد كان كُلٌّ من الأمير فضل بن عيسى وموسى بن مُهَنَّا يحدثني بطرف من أخبار العرب .

وكذلك ما نقلته عن الشريف أبي عبدالله بن عمر بن الإدريسي من أخبار عرب الغرب وعن الشيخ زكريا المغربيّ .

وقد صَحَّحْتُ ذلك بحسب الجهد ، وما أُلَامُ في تقصير في هذا الباب الذي لم أُتَأَسَّ[٥] قبلي بداخل منه ، والطريق الذي لم أَجِدْ غَيْرِي سالِكاً فيه ولا مُسْتَخْبِراً .

على أنه يَلْزَمُ من ذكر العُرْبَان الموجودين في زماننا الكلام على قبائل العرب البادية[٦] والعاربة ، والمستعربة ، لأن هؤلاء أغصان تلك الشجرة ، وفروع تلك الأصول .

فلنتكلم عليهم على مقتضى ما ذكره المؤرخون . ونسوقهم إلى أن بزغت شمسُ

الاسلام ، وآن مولد النبي عليه الصلاة والسلام .

وكان الأَوْلَى أن نذكر ذلك في جملة سُكَّان الأرض ، لِنُلْحِقَ بعضه ببعض ، وإنما أتينا به لمناسبة بينه وبين الأبواب السابقة في ذكر الممالك ، إذْ مساكن العُرْبان مُتَخَلِّلَةٌ لأكثر الممالك التي ذكرناها ، أو مُجَاوِرةٌ لها .

وإذا تقدم شيء عن موضعه لمعنى اقتضاه ، وأُحِيْل على المتقدم في موضعه كانَ أَوْلَى من تأخيره وإلفات النظر إليه .

فَنقول : قسم المؤرخون العربَ إلى ثلاثة أقسام بادية[٦] وعاربة ومستعربة .

أمَّا البادية[٦] فهم العرب الأُولى الذين ذهبتْ عنَّا تفاصيلُ أخبارهم لتقادم عَهْدِهم ، وهم عاد وثمود ، وجُرْهُمُ الأُولى .

وأما العرب العاربةُ فَهُمْ عرب اليمن من ولد قحطان .

وأمَّا العرب المُسْتَعْرِبَةُ فهمْ من وَلَدِ إسماعيل من إبراهيم عليهما السلام .

فالعرب البادية[٧] طَسْمُ وجَدِيْسُ . وكانت مساكن هاتين القبيلتين باليمامة ، من جزيرة العرب ، وكان الملك عليهم في طَسْمٍ ، واستَمَرُّوا على ذلك بُرْهَةً من الزمان ، حتى انتهى المُلْكُ إلى رجل ظلومٍ غشوم ، قد جعل سُنَّتَهُ أن لا تهدى بِكْرٌ من جَدِيس إلى بَعْلِها حتَّى تُدْخَلَ عليه فَيَفْتَرِعَهَا .

ولمَّا استَمَرَّ ذلك على جَدِيْس أَنِفُوا منه ، واتَّفَقُوا على أن دفنوا سُيُوفَهُمْ في الرَّمْلِ ، وعَمِلُوا طعاماً للملِك ، ودَعَوْهُ إليه ، فلما حضر في خَوَاصِّهِ من طَسْمٍ عَمدتْ جَدِيسُ فانتزعوها من الرَمل ، وقتلوا الملك وغالِبَ طَسْمٍ . فهرب رجلٌ من طَسْمٍ ، وشكَا إلى تُبَّعِ بن حسَّان ملكِ اليمن ، فسار ملكُ اليمن إلى جَدِيْس ، وأوقع بهم وأفناهم ، فلم يَبْقَ لِطَسْمٍ وجديس ذِكْرٌ بعد ذلك .

والعرب العاربة : بنو قحطانُ بن عابر بن شالخ بن أرفَخَشْد بن سامٌ .

فمنهم بنو جُرْهُمَ بْن قحطان ، وكانتْ منازلهم بالحجاز . ولمَّا أسكنَ إبْراهيمُ الخليلُ ابْنَهُ إسماعيلَ عليهما السلام ـــ مكَّة ، وكانتْ جُرْهُمْ نازِلِيْنَ بالقرب من مكة ، واتَّصَلُوا

بإسماعِيلَ ، وزَوَّجُوهُ منهم .

وصار ولد اسماعيل العرب المستعربة ، لأن أصْلَ إسماعيل ولِسَانُهُ كان عِبْرَانياً ، فلذلك قيل له ولولده العرب المستعربة .

ومن الْعَرب العاربة بنو سَبَأٍ — واسم سَبَإٍ عَبد شمس ، — فلما أكثر الغزو والسَّبْيَ سُمِّيَ سَبَأ — وهو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان — وسيأتي نسبُ قحطان —

وكان لِسبإٍ عِدَّةُ أولاد : حِمْيَرٌ وكهلان وغيرهم . وجميع قبائل العرب وملوكها المتتابعة[٨] من ولد سَبَا المذكور .

وجميع تبابعة اليمن من ولد حِمْيَر بن سَبَإٍ ، خَلَا عِمْرَانَ وأَخيه مُزَيْقِيَا ، فإنهما ابنا عامر بن حارثة بن آمرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأَزد .

والأَزْدُ من ولد كهلان بن سَبَإٍ . وفي ذلك خلاف .

فنذكر هنا أخبارَ عرب اليمن وقبائلهم المنسوبين إلى سَبَإٍ المذكور ، ونَبْدَأ بذكر بَنِيْ حِمْيَرِ بْنِ سَبَإٍ ، فإذا انْتهوا ذكرنا كهْلان بنَ سَبَإٍ حتى آخِرهم — إن شاء الله تعالى —

فمن بني حِمْيَرَ بْنِ سَبَإٍ : التَّبَابِعَةُ ، ومنهم قُضَاعة ، وهو قضاعةُ بنُ مالك بنِ حِمْيَرَ بن سبأ .

وقيل : قضاعة بن مالك بن عمرو بن مُرَّة بن زَيْد بن مالك بن حِمْيَرَ .

وكان قضاعة مالِكاً لبلاد الشِّحْرِ ، وقبر قضاعة في جبل الشحر .

ومن قضاعةَ كَلْب ، وهم بنو كَلْب بن وَبَرَة بْنِ ثعلبةَ بن حُلوان بن الْحاف بن قُضَاعَة .

وكانت بنو كلبٍ في الجاهلية ينزلون دُوْمَةَ الجَنْدَلِ ، وتَبُوْكَ وأطرافَ الشَّام .

ومن مشاهِير كَلْبٍ زُهَيْرُ بن جَنَابٍ الكلبيُّ ، وهو القائلُ :

أَلَا أَصْبَحَتْ أَسْمَاءُ فِي الْخَمْرِ تَعْذِلُ ... وتَزعمُ أَنِّي بالسَّفَاهِ مُوَكَّلُ
فَقُلْتُ لها : كُفِّي عِتَابكِ نَصْطَبِحْ ... وَإِلَّا فَبِيْنِي فالتَّعَزُّبُ أَمْثَلُ

ومنهم حارثةُ الكلبيُّ ، وهو أبو زَيْد بن حارثة مَوْلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد أصابَ ابنَهُ سَبْيٌ في الجاهِلِيَّة ، فصار إلى خديجةَ زوج النبي صلى الله عليه وسلم — فوهبَتْهُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم

وأنشد ابْنُ عَبد البَرِّ في كتاب الصحابة»[7] لحارثة المذكور يبكي ابنَه زيداً لَمَّا فقده :—

بَكَيْتُ عَلَى زَيْدٍ وَلَمْ أدْرِ ما فَعَلْ   أَحَيٌّ يُرَجَّى أَمْ أَتَى دُونَهُ الأَجَلْ
تُذَكِّرُنِيهِ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا   وَتَعْرِضُ ذِكْرَاهُ إذا قاربَ الطَّفَلْ
وَإِنْ هَبَّتْ الأَرْواحُ هَيَّجْنَ ذِكْرَهُ   فَيَاطُولَ مَا حُزْنِي عليهِ وَيَا وَجَلْ!!

ثم اجْتمع حارثةُ بزَيْدٍ وَلدِهِ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَخَيَّره — رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاختاره على أبيه وأهله

ومن قُضَاعَةَ بَهْرَاء .

ومن قُضَاعَةَ جُهَيْنَةُ ، وهي قبيلةٌ عَظِيْمَةٌ تُنْسَبُ إليها بطون كثيرة ، وكانتْ منازلها بأطراف الحجاز الشمالي من جهة بَحْرِ جُدَّة .

ومن قضاعة بَلِيٌّ .

ومن قضاعة تَنُوخُ ، وكان بينهم وبين اللَّخْمِيِّينَ ملوكِ الْحِيَرة حُرُوبٌ .

ومن قُضَاعَةَ : بنو سَلِيْح . وكان لهم باديةُ الشام ، فغلبهم عليها ملوكُ غَسَّان ، وأبادُوهم .

ومن قُضاعة : بَنُو عُذْرَة ، منهم عُرْوة بن حِزامٍ ، وجَميلُ صاحبُ بُثَيْنَةَ .

ومن قُضاعة : بنو نَهْدٍ ، منهم الصَّقْعَب بن عَمْرٍو النهدِيُّ ، وهو أبو خالد بن الصَّقْعَبِ ، وكان رَئِيساً في الإسلام .

ومن بطون حِمْيَر : شعبان ، ومنهم عامِرٌ الشعبيُّ الفقيه . انتهى الكلام في حِمْيَر .

ومن بني كَهْلَان بن سَبَإٍ المذكور أفناءٌ[8] كثيرة ، والمشهور منها سبعة وهي : الأَزْدُ ، وطَيِّءٌ ، ومَذْحِجٌ ، وهَمْدَانُ ، وكِنْدَةُ ، ومُرَادُ ، وأَنْمَار .

أمَّا الأُزدُ فهم من ولد الأزْد بن الغوث بن نَبْتِ بن مالك بن أُددِ بن زيد بن كهلان .

فن قبائلهم : الغساسِنَةُ ، ملوك الشام ، وهم بنو عَمْرِو بن مازن بن الأَزْد .

ومنهم الأَوْسِ والخزرَجُ ، أَهْلُ يَثْرِبَ ، وهم الأنصارُ ، رضي الله عنهم .

ومن الأزد خُزَاعةُ ، وبارِق ، ودَوْسٌ والْعَتِيْكُ ، وغافِقُ — فهؤلاء بطون الأزد .

أمَّا خُزَاعة فإنها لما[٩] انخزعتْ من غيرها من قبائل اليمن الذين تفرقوا من سَيْلِ الْعَرِمِ ، وسكنتْ ببطنِ مرٍّ قُرْب مكَّة ، وجُعلَتْ لهم سِدَانَةُ البيتِ ، والرياسة .

ولما اصطلح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مع قُرَيشٍ في عام الحُدَيبيَّة دخلتْ خزاعةُ في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد اختلِفَ في نسب خُزَاعة بين المَعَدِيَّةِ واليمانِيَّة ، والأكثَرُ أنَّها يَمَانِيَّة .

والذي تُنْسَبُ إليه خزاعة هو كعب بن لُحَيٍّ بن حارثة بن عمرو بنِ مُزَيْقيا بن عامر بن حارث بن امرىء القَيْس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ، وقد ذكره[١٠] عمرو بن مزيقيا .

وما زالت سِدانةُ البَيْتِ في خزاعة ، حتى انتهي إلى رجل منهم يقال له أبو غَبْشَانَ ، وكان في زمن قُصَيّ بنِ كلابٍ ، فاجتمع مع قُصَيٍّ بالطائف ، على شُرْبٍ ، فأسكرَه قُصَيٌّ ، وخدعه ، فاشترى منه مفاتيح الكعبة بِزِقٍّ خَمْرٍ ، وأشهد عليه ، وتسلَّم المفاتيحَ ، وأرسلَ ابْنَهُ عَبْدَ الدار بن قُصَيٌّ بها إلى مكة ، فلما وصل إليها رفع صوته ، وقال : يا مَعْشَرَ قُرَيْش هذه مفاتِيْحُ بَيْتِ أبيكم إسماعيل ، قَدْ رَدَّهَا الله عليكم من غير عارٍ ولا ظُلْمٍ . فلما صَحَا الخُزَاعِيٌّ نَدِمَ حَيْثُ لا تَنْفَعُهُ النَّدَامَة ، فقيل : أخسرُ من أبي غَبْشَانَ ، وأكثرتِ الشعَرَاءُ القولَ في ذلك ، فمنه :

بَاعَتْ خُزَاعَةُ بَيْتَ الله إذْ سَكِرَتْ   بِزِقٍّ خَمْرٍ ، فَبِئْسَتْ صَفْقَةُ الْبَادِي
باعَتْ سِدَانَتَها بِالنَّزْرِ وانْصَرَفَتْ   عنِ المَقَامِ ، وظِلِّ الْبَيْتِ والنَّادِي

وجمع قُصَيٌّ أَشْتَاتَ قُرَيش ، وأخرج خُزَاعَةَ من مكة[١١] .

ومن خزاعة بَنُو الْمُصْطَلِق ، الذين غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأَمَّا بارِقٌ فَهُم من ولد عَمْرِو بْنِ مُزَيْقيَا الأَزْدِيِّ ، نزلوا جَبَلاً بجانب اليمن ، فَسُمُّوا به . ومنهم مُعَقَّر بن حِمَارٍ البارقي ، ذكره صاحب «الأغاني» وهو صاحب القصيدة التي من جُمْلَتِها البيتُ المشهور[١٢] :

وأَلْقَتْ عَصَاهَا واسْتَقَرَّ بِهَا النَّوى كَمَا قَرَّ عَيْناً بالإيابِ المُسَافِرُ

وأما دَوْسُ فهو ابن عدثان بن عبدالله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن مالك بن نصر بن الأزد . وسكنتْ دَوْسُ إحدَىٰ السَّرَواتِ المُطِلَّةِ على تهامة ، وكانتْ لهم دولةٌ بأطراف العراق ، وأول من مَلَكَ منهم مالك بنُ فَهْم بن غنم بن دَوْس — وقد تقدَّم ذكرُ مالك بن فَهْم ، ومَنْ ملك بعده —

ومن الدوس[١٣] : أبو هُرَيْرَة ، وقد اختُلِفَ في اسمه ، والصحيح عُمَيْر بن عامر[١٤] .

وأمَّا العَتِيك وغافق فقبيلتان مشهورتان في الإسلام وهم من ولد الأزد .

ومن الازد : بنو الجَلَنْدَى ، ملوك عُمَان ، والجَلَنْدَى لقب لكل من ملك عُمَانَ منهم .

وكان مُلْكُ عُمَان في أيام الإسلام قد انتَهَى إلى جَيْفَرَ وعَبْد ابني الجَلَنْدَى ، وأسلما مع أَهْلِ عُمَانَ على يد عَمْرِو بن العاص .

انتهى الكلام على الأزد .

وأما طيّ فَإِنَّها نزلتْ بعد الخروج من اليمن بسبب سَيْل الْعَرِمِ نَجْدَ الحجَاز ، في جبلي أجا وسَلْمَى ، فَعُرِفَا بِجَبَلي طيّ ، إلى يومنا هذا .

وأما طيّ فهو أُدُد بن زيد بن كهلان .

فمن بطون طي : جَدِيلَةُ ، ونَبْهانُ ، وبولان ، وسلامان ، وهني ، وسُدُوس —

بضم السين — وأما سَدوس الذي في قبائل ربيعة بن نزار فمفتوحة السين —

ومن سلامان : بنو بُحتُر .

ومن هنيّ : إياسُ بن قبيصة ، الذي مَلَك بعد النُّعْمَان .

ومن طي : عمرو بن المشيح — وهو من بني ثعل — الطائي ، وكان عَمْرو أرْمَى الناس ، وفيه يقول آمرؤ القيس :

رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثُعْلٍ مُخْرِجٍ كَفَّيْهِ من قتره

ومن بني ثُعْلٍ الطائي : زيد الخيل ، وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زَيْدَ الْخَيْرِ .

ومن طي : حَاتِمُ طيّ ، المشهور بالكرم .

وأما بنو مَذْحِج — واسم مَذْحِج مالك بن أدد بن زيد بنِ كهلان فهم بطون كثيرة ، فمنهم خولان ، وجَنْبٌ . ومنهم معاوية الخير الجنبي ، صاحب لواء مَذْحِج ، في حَرْب بني وائل ، وكان مع تغلب .

ومن مَذْحِج : أوْدٌ ، قبيلة الأَفْوَهِ الأوْدِي الشاعر .

ومن بني مَذحِج : بنو سَعْد العَشيرة ، وسُمِّيَ بذلك لأنه لم يَمُتْ حتى ركب معه من ولده وَوَلَدِ وَلَدِهِ ثلاثُ مِئَةِ رَجُلٍ ، وكان إذا سُئِلَ عنهم يقول : هؤلاء عَشِيرتي ، دَفْعاً للعين عنهم ، فقيل له سعد العشيرة لذلك .

ومن بطون سَعد العشيرة جُعف ، وزُبَيْد قبيلة عَمرو بْنِ معد يكرب الزُّبَيْدِيِّ .

ومن بطون مَذْحِجَ : النَّخَعُ ، ومنهم الأشْتَرُ واسمه مالك بن الحارث ، صاحِبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

ومن النّخع سنان بنُ أنسٍ قاتل الحسين ، ومنهم القاضي شَرِيكٌ .

ومن مَذْحِج : عَنْس — بالنون — وهي قبيلة الأسود الكذَّاب العنسيِّ .

وَعَنْسُ أيضاً رهط عمَّار بن ياسِرٍ ، صاحبِ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأمّا همدان فهم من ولد رَبيعة بن الْخِيَار بن مالك بن زيد بن كهلان ، ولهم صِيْتٌ في الجاهلية والإسلام .

وأما كِنْدَةُ فهم بنو ثَوْر — وثَوْرٌ هو كِنْدَةُ — بن عُفَيْر بن الحارث مِنْ ولد زيد بن كَهْلَانَ ، وسُمِّيَ كِنْدَةَ لأنَّه كندَ أباه ، أي كَفَرَ نِعْمَتَهُ .

وبلاد كِنْدَةَ باليمن ، تلي حَضْرَمَوْت ، وقد تقدم ذكر ملوكهم .

ومن كندةَ : حُجْرُ بنُ عَدِيٌّ ، صاحبُ علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه — قتله مُعاويةُ صَبْراً ، ومنهم شُرَيْحُ القاضي .

ومن بطون كِنْدَةَ : السَّكاسِكُ والسَّكُون بنو أشْرَس بْنِ كِنْدَةَ .

فمن السكون معاوية بن حديج ، قاتل محمد بن أبي بكْرٍ الصدِّيق ، رضي الله عنهما .

ومنهم حُصَيْنُ بنُ نُمَيْرٍ السكوني ، الذي صار صاحبَ جيش يَزِيْدَ بنِ معاوية ، بَعْدَ مُسْلِم بن عُقبة ، نَوْبَةَ الحرَّة ، بظاهر مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأمَّا مُراد فبلادهم إلى جانب زُبَيْدٍ ، من جبال اليمن ، وإليه يُنْسَبُ كلُّ مُرادِيٌّ من عرب اليمن

وأمَّا أنمار فَفَرْعَانِ وهما بُجَيْلَةُ ، وخَثْعَم .

وبَجِيْلَةَ رَهْطِ جَرِيْرِ بن عبدالله ، صَاحِبِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يُقال لهذا جَرِير يوسف الأُمَّةِ ، لِحُسْنِهِ ، وفيه قيل :

لَوْلَا جَـرِيْـرٌ هـلـكَـتْ بَـجِيْـلَـهْ   نِعْـمَ الْفتَى ، وبِئْسَـتِ الْقَبِيلَهْ ! !

وأما القبائل المنتسبةُ إلى عَمْرِو بْن سَبَإٍ فنهم لَخْمُ بنُ عَدِيّ بن عَمْرِو بن سبا .

ومن لَخْمٍ بنو الدَّار ، رهط تميْم الدَّارِيّ .

ومن لخم المناذِرَةُ مُلوكُ الحِيْرةِ ، وهم بنو عَمْرِو بن عَدِيّ بن نَصْرٍ اللَّخْميِّ ، وكانت دَوْلَتُهُمْ من أعظم دُوَلِ العرب . وقد ذكرناهم .

ومنهم سبا(١٥) ، وهو أخو لخم ، وجميع جذام من ابنيه حرام وحِشم . وكان في

بني حرام الشرف .

ومن بطون حِشْم بن جذام عَتِيبْ بن أسْلُم .

أما بنو الأشعر بن سبا فهم الأشعَرِيُّونَ ، رهط أبي موسى ، واسمه عبدالله بن قيس .

وأما بنو عاملة بن سبا من القبائل اليمانية التي خرجت إلى الشام ، زَمَنَ سَيْلِ العَرِمِ ، ونزلوا قُرْب دمشق ، في جبل عاملة .

فمن عاملة : عَدِيٌّ بنُ الرِّقاع الشاعر

وأما العرب المُسْتَعْرِبَةُ

فهم ولد اسماعيل ، وقيل لهم المستعربة لأنَّ اسماعيل لم تكن لُغَتُهُ عَرَبِيَّة ، بلْ عِبْرَانِيَّةً ، ودخل في العربية ، فلذلك سُمِّيَ وَلَدُهُ المستعربة .

سبب سُكْنَى إسماعيل وأُمّهِ مكة : وأنَّ ذلك كان بِسَبَبِ سارة رضي الله عنها وأن الله تعالى أمر إبراهيم أن يُطِيع سارة ، وأن يُخْرِج إسماعيل عنها ، فخرج إبراهيم من الشام ، ومعه إسماعيل [وأمه هَاجَرُ][16] فقدم بهما مكة وقال : (رَبِّ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) فأنزلها إبراهيمُ هناك ، وعادَ إلى الشام ، وكان عمر اسماعيل أربع عشرة سنة ، وذلك لِمُضِيِّ مئة سنة من عُمُرِ ابراهيم ، فمن سُكْنَى اسماعيل مكة إلى الهجرة ألفان وسبع مئة وثلاث وتسعون سنة .

وكان هنالك قبائل جُرْهُمَ ، فتزوَّج إسماعيل منهم امرأةً ، وولدت له اثْنَيْ عَشَرَ ولداً ذكراً ، فمنهم قيذار . وماتت هاجر ، ودُفِنَتْ بالْحِجْر ، ومات اسماعيلُ ودُفِنَ معها .

وقد اختلف المؤرخون اختلافاً كثيراً في أَمْرِ مُلْكِ جُرْهُمَ على الحِجازِيِّيْنَ وبَني اسماعيل ، فَمِنْ قائل : المُلْكُ للحجازيِّيْن في جُرْهم ، ومفتاح الكعبة في ولد اسماعيل ، ومن قائل : إن ولد قيذار تَوَّجَتْهُ أخوالُهُ ، وعقدوا له الملك عليهم بالحجاز .

وأما سِدَانَةُ البيتِ ومفاتيحه فكانت مع بني اسماعيل بغير خلاف ، حتى انتهى ذلك إلى نابت من بني اسماعيل . فصارت السِّدَانَةُ بعدهُ لجُرْهُمَ ويَدُلُّ على ذلك قول عامر بن

الحارث الجرهمي. من قصيدته — منها[١٧].

وَكُنَّا وُلَاةَ الْبَيْتِ مِنْ بَعْدِ نابتٍ نَطُوفُ بذلك الْبَيْتِ، والْأَمْرُ ظَاهِرُ
كَانْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُونِ إلى الصَّفَا أَنِيْسٌ، ولَمْ يَسْمُرْ بمكة سامِرُ
بَلَى نَحْنُ كُنَّا أهلها فأبادنا صُرُوفُ اللَّيَالِي، والْجُدُودُ الْعَوَاثِرُ[١٨]

ثم وُلِدَ لقيذار ابنُهُ حمل، ثُمَّ وُلِدَ لحمل نَبْت ويقال: نابت، وقيل، هو ابن قيذار، وقيل: ابن اسماعيل وفي ذلك خلاف.

ثم ولد لنبتٍ سلامان. ثم ولد لسلامان الهَمَيْسع، ثم ولد للهميع الْيَسَعُ، ثم ولد لليسع أُدَدُ، ثم ولد لأُدَدٍ أدّ، ثم ولد لِأُدّ ابنه عدنان ثم ولد لعدنان ولدان: هما عكٌّ — ومنه بنو عَكٌّ — ومَعَدٌّ، ثم وُلد لِمُعَدٍ قُضَاعة — ومنه بنو قُضَاعة[١٩] — ونزارٌ.

ثم ولد لنزار أربعة فنهم مُضَرُ — على عمود النَّسَب النَّبِويِّ — وثلاثة خارجون على عمود النسب.

أولهم إياد: وكان أكْبَرَ من مُضَر، وإليه يرجع كل إياديٌّ من بني مَعَدٌّ.

وفارق إيادٌ الحجازَ، وسار بأهله إلى أطراف العراق.

فن بني إياد كعب بن مامة الإياديٌّ وكان يُضرب بِجُوْدِه المَثَلُ.

والثاني ربيعة: ويعرف بربيعة الْفَرَسِ لأنه ورث الخيلَ من أبيه.

وَوَلد لربيعة أسَدٌ وضُبَيعة، فوُلِد لأسد جَديلة وعَنَزَة.

ومن جَديلة وائلٌ، ومن وائل بكرٌ وتغلب.

فن تَغْلِبَ كُلَيْب ملك بني وائل، وقتله جَسَّاسٌ.

ومن بكر بن وائلٍ بنو شيبان، ومن رجالهم مُرَّةُ وابنه جَسَّاسٌ قاتلُ كُلَيْب، وطَرَفَةُ بنُ العَبْد الشاعِرُ.

ومن بكر المرقَّشَانِ الأكبر والأصغر.

ومن بكر بنو حَنِيفَة ، ومنهم مُسَيْلِمةُ الكذَّابُ .

وأما عَنَزَةُ بن أسد بن ربيعة فمنه بنو عنزة ، وهم أهْلُ خَيْبَر ، ومن بني عَنَزَة القارِظَان[٢٠] .

وأمَّا ضُبَيْعَةُ بن ربيعة فمن ولده المتلمِّسُ الضَّبَعِيُّ الشاعر .

ومن قبائل ربيعة : النَّمِرُ ، ولُجَيْم ، وعِجْل ، وبنو عبد القيس ، وهم من ولد أسد بن ربيعة .

ومن ولد رَبيعة : سَدُوس — بفتح السِّين — واللهازم .

والثالث : أنْمَار ، ومضى أنمار إلى اليمن ، فتناسل بنوه بتلك الجناب ، وحُسِبُوا من اليَمَنِ[٢١] .

لما حضرتْ نزار الوفاة دعا إياداً ، وعنده جارية شَمْطَاءُ ، وقال : هذه الجارية الشمطاءُ وما أشْبهَهَا لك ، ودَعَا أنْماراً وهو في مجلس له وقال : هذه البَدْرَةُ والمجلس وما أشبهها لك ، ودَعَا رَبيعةَ فأعطاه حِبَالاً سُوداً من شَعرٍ ، وقال : هذا وما أشبهه لك ، وأعطى مُضَرَ قُبَّةً حَمْرَاءَ وقال : هذه وما أشبهها لك . ثم قال : وَانْ أشْكَلَ عليكم شيءٌ فأْتُوا الأَفْعَى ابنَ الأفعَى الجُرْهُميَّ ، وكان ملك نَجْرَانَ ، فلما مات نزارُ ركبوا رواحلَهُمْ ، آمِّينَ الأفعَى ، فلمَّا كانوا من نجرَان على يوم إذَا همْ بأثَرِ بعير ، فقال إياد : بعير أعور ، فقال أنمار : وإِنَّهُ لأَابتَرْ . فقَالَ ربيعةُ : وإنَّه لأَزْوَرُ . وقال مُضَرُ : وشاردٌ لا يَستَقِرُّ .

فلم ينبشوا أَنْ رُفِعَ لهم راكبٌ ، فلما غَشِيَهُمْ قال : هل رأيتُمْ من بعير؟ قال : فوصفوه له فقال إنَّ هذه صفتُهُ عَيْناً فأَيْنَ بعيري ؟ قالوا : ما رأيناه . قال : أنتم أصحاب بعيري ، ما أخطأْتُمْ من نَعْتِهِ شيئاً .

فلما أناخوا بباب الأفْعَى ، واستأذنوه وأذِنَ لهم ، صاح الرجل بالباب ، فدعاه الأفْعَى وقال : ما تقول ؟ قال : أيُّها الملك ذَهَبَ هؤلاء ببَعِيري . فسألهم الأفعى ما

شأنه ، فأخبروه . فقال لإيادٍ : ما يدريك أنه أعور ؟ قال : رأيته قد لَحَسَ الكلأ من شِقٍّ ، والشِّقُّ الآخَرُ وافِرٌ ، وقال أنمار : رأيته يرمي بَعَرَهُ مُجتمعاً ، ولو كانَ أهْلَبَ لمصَع به ، فعلمتُ أنه أبتَرُ . وقال ربيعة : أثَرُ إحدى يديه ثابتٌ وأثر الأُخرَى فاسد ، فعلمت أنه أزور . وقال مُضَرُ : رأيته يرعى الشُّقَّةَ من الأرض ، ثم يَتَعَدَّاها فيمرُّ بالكلإ الغَضّ فلا ينهشُ منه شيئاً ، فعلمتُ أنه شرود . فقال الأفعَى : صدقتُمْ ، وليسوا بأصْحَابك ، فالتَمِسْ بَعِيرك .

ثم سألهم الأفعَى عن نسَبهم فأعلموه ، فَرَحَّبَ بهم وحيَّاهُمْ ، ثم قَصُّوا عليه قِصَّةَ أبيهم ، فقال لهم : كيف تحتاجون إليَّ ، وأنتم على ما أرى ؟ قالوا : قَدْ أَمَرَنَا بذلك أبونا . فأَمَرَ خادِمَ دار ضِيافته أنْ يُحْسِن إليهم ويُكرِمَ مثواهم ، وأمرَ وَصِيْفاً له أن يَلْزَمَهُمْ ، ويتفقَّدَ كلامَهُمْ ، فأتاهم القَهْرَمَانُ بشهْدٍ ، فأكلوه ، وقالوا : ما رأينا شهْداً أعْذَبَ ولا أحسن منه . فقال إياد : صدقتم لولا أنَّ نَحْلَهُ في هامَةِ جبَّارٍ . ثم جاءهم بشاةٍ مَشْوِيَّةٍ فأكلوهَا ، واستطابوها ، فقال أنمَارُ : صدقتم ، لولا أنَّها غذيتْ بِلَبَن كَلْبَةٍ . ثم جاءهم بالشراب فاستحسنوه ، فقال ربيعةُ : صدقتم ، إلَّا أنَّ كَرْمَتَهُ نَبَتَتْ على قَبرٍ . ثم قالوا : ما رأينا منْزِلاً أكْرَمَ قِرًى ، ولا أخْصَبَ رَجُلاً من هذا الملك . فقال مُضَرُ : صَدَقْتُمْ ، لولا أنه لِغَيْرِ أبيه . فذهب الغُلَامُ إلى الأفْعَى ، فأخبره . فدخل الأفعَى على أمِّهِ فقال : أقسمْتُ عليكِ إلَّا ما أخبرْتِني من أبي . قالت : أنت الأفعى بن الملك الأكبر قال : حقًّا لتصدقيني . فلما ألحَّ عليها قالتْ : أيْ بُنَيَّ إنَّ الأفعى كان شيخاً قد اثقل[٢٠] فخشيتُ أن يخرج هذا الأمر عنَّا أهل البيتِ ، وكان عندنا شابٌّ من أبناء الملوك ، اشتَمَلَتُ عليك منه . ثم بعثَ إلى القهرمان فقال : أخبرني عن الشهد الذي قدمته إلى هؤلاء النَّفر ما خطبه ؟ قال : اجْتَزْنا بِدَبْرٍ في كهف فيه عظام نَخِرة ، وإذا النَّحْلُ قد عسلت في جمجمة من تلك العظام ، فأمرت باشتياره ، فأتوا بِعَسَلٍ لَمْ يُرَ مِثْلُهُ قط ، فقدمته إليهم لجودته .

ثم بعث إلى صاحب مائدته فقال : ما هذه الشاة التي أطْعَمْتَها هؤلاء النَّفَر ؟ قال : إنِّي بَعَثْتُ إلى الراعي أن يبعث إليَّ أسْمَنَ ما عنده ، فبعث بها ، فسألته عنها ، فقال : إنها أول ما ولدتْ من غنمي فماتَتْ أُمُّها ، وأنِسَتِ السَّخْلَةُ بِجرَاءِ الكلبة ترضع معهم ،

فلم أجِدْ في غنمي مِثْلَهَا ، فَبَعَثْتُ بها إليك .

ثم بعث إلى صاحب الشراب وسأله عن شأنِ الخَمْرِ . فقال : هي كَرْمةٌ غرسْتُهَا على قبْرِ أبيك ، فليس في بلاد العرب مثلُ شرابها .

فعجب الأفعى من القوم ، وقال : ما هُمْ إلَّا شياطين ، ثم أحضرهم وسألهم عن وصيَّةِ أبيهم . فقال إيَادُ : جعل لي خادماً شمطاء وما أشبهَها . فقال الأفْعَى : إنه ترك غنماً بُرْشاً فهي لك ورعاؤها مع الخادم .

وقال أنمارُ : جعل لي بَدْرَةً ومحلبته وما أشبهها . فقال : لك ما ترك من الرقة والأرض .

وقال ربيعةُ : جعل لي حِبَالاً سُوْداً وما أشبهها . فقال : ترك أبوك خَيْلاً دُهْماً وسلاحاً ، فذلك لك . وما فيها من عَبِيْدٍ ، فقيل : ربيعة الفرس .

وقال مُضَرُ : جعل لي قُبَّةً حمراء وما أشبهها . قال إنَّ أباكَ تركَ إبلاً حُمْراً فهي لك — فقيل : مُضَرُ الحمراء .

وكانوا كذلك حيناً من الدهر إلى أن أصابتهم سَنَةٌ ، فهلكَتِ الشاءُ عامةً والإبلُ ، وذهبتْ بالرقة والمتاع .

وكان ربيعةُ يغزو على خيلهِ ، ويُغير ، ويَعُولُ إخواتَهُ .

وكان سببُ تَحوُّلِ أنمارٍ إلى اليمن أنه تَعرَّق عَظْماً في جُنْحِ الليل ، ثم رَمَى به وهو لا يبْصِرُ ، فَفَقَأَ عَيْنَ مُضَر ، فصاح مُضَرُ ، وتشاغل به إخوتُهُ — فاعْرَوْرَى أنْمَارُ بعيراً من إبِلِهِ ، فلحِقَ بأرض اليمن .

ثم وُلِد لِمُضَر المقدَّم ذكره الياس ، على عمود النسب .

وولده خارجاً عن عمود النسب قيس عيلان بن مُضَر ، — بالعين — وقيل : إنَّ عيلان فرسه ، وقيل كلبه ، وقيل : عيلان أخو قيس ، وهو الناس بن مضر . وقد جعل الله تعالى من الكثرة لقيس أمْراً عَظِيماً .

فمن ولده قبائل هوازن . ومن هوازن بنو سعد بن بكر بن هوازن ، الذين كان فيهم رسول الله صلى الله عليهم وسلم رَضِيعاً . ومن قبائل قيس بنو كلاب ، وصار منهم أصحاب حَلَب ، أو لهم صالح بن مِرْداس . ومن قبل قبائل [ ][22] ، الذين كان منهم ملوك الموصل ، المقلّد وقرواش وغيرهما .

ومن ولد قيس : بنو عامر ، وصعصعة ، وخفاجة . وما زالتْ لخفَاجَةَ إمْرَةُ العراق ، من قديم ، إلى الآن .

ومن هوازن أيضاً بنو ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان .

ومن هوازنُ أيضاً : بنو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن . ومن جُشَمٍ دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ .

ومن قيس أيضاً : بكر ، وبنو هلال ، وثَقِيف ، واسم ثقيفٍ عمرو بنُ مُنَبِّه بن هَوازن — وقد قيل : إنَّ ثقيفاً من إياد ، وقيل : من بقايا ثمود — وهم أهل الطائف .

ومن قيس عيلان أيضاً : بنو نُمَيْرٍ ، وباهِلَةُ ، ومازِنُ ، وغَطَفَانُ — وهو ابن سعد بن قَيْس عيلان .

ومن قَيْسٍ أيضاً : بنو عَبْس بن بَغِيضِ بن رَيْثٍ بن غَطَفَانَ بن سعد بن قيس عيلان .

وكان بين عبس وذبيان حروب دَاحِسٍ المقدَّم ذكرها . ومن بني عَبْسٍ عَنْتَرَةُ العبسيِّ ، وادَّعاه أبوه شدَّاد بعد أن كَبُرَ .

ومن قيس أشجع ، وهم أيضاً من ولد غطفان .

ومن قيس : قبائل سُلَيْمٍ .

ومن قيس : بنو ذُبْيَانَ بن بغيضٍ ومن بني ذبيان المذكورين بنو فزارة ، فمنهم حِصْنُ بن حُذَيْفَةَ بن بَدْرٍ الذي يمدحه زُهير ، بقوله :

تـراهُ إذا مـا جِـئْـتَـهُ مُـتَـهَـلِّلاً   كـأنَّك تُـعْـطِـيْـهِ الـذي سـائِـلُـهْ

وأسلم حِصْنٌ ابن ثمانين .

وكان بين بني ذبيان وبين عبسٍ داحس ، وحروب معروفة .

ومن بني ذبيان النابغة الذبياني .

ومن قيسٍ : عَدْوَانُ بنُ عَمْرِو بنِ قيسِ عيلانَ ، وكانوا ينزلون الطائفَ قبل ثَقِيفٍ ، ومنهم ذُو الأَصْبعِ الْعَدْوَانِيُّ الشاعر — انتهى الكلام على قيس —

وَوُلِدَ لإِلْيَاسَ مُدْرِكَةُ — على عمود النسب — وَوُلِدَ لَهُ خارجاً عن العمود طابخَةُ .

وبعضهم ينسبُ مُدْرِكة وطابخة إلى أُمِّها خِنْدِفَ ، واسمها لَيْلَى بنتُ حُلْوَانَ بن عَمْرانَ بن الحاف بن قضاعة ، وجميعُ أولاد الياس من خندف ، وإليها يُنسبونَ دونَ أبيهم فيقولون : بني خِنْدِفَ ، ولا يذكرون إلياس وصار من طابخة الخارج عن العمود قبائل ، فمنهم بنو تميم بن [أُدّ بن](٢٣) طابخة ، والرِّبابُ ، وبنو ضَبَّةَ ، وبنو مُزَيْنَة — وهم بنو عَمْرِو بْنِ طابخة ، نُسِبُوا إلى أُمِّهِمْ مُزَيْنَة بنتِ كلب بن وَبَرَة .

ثم وُلِدَ لِمُدْرِكة بن الياس خُزَيْمَةُ على عمود النسب ، وَوُلِدَ له خارجاً عن العمود هُذَيْلٌ ، وغالبُ وسعد وقيس المنسوب إليهم أبناؤهم .

ومن هذيل : جميع قبائل الهُذَلِيِّينَ ، فمنهم عبدالله بن مسعود ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو ذُؤَيبٍ الهُذَلِيُّ الشاعر ، وغيره .

ثم وُلِدَ لِخُزَيْمَةَ المذكور كِنَانَةُ ، على عمود النسب ، وَوُلِدَ له خارجاً عن العمود الْهون وأسد ، ابنا خُزَيمة ، فمن الهون عَضَلُ وهي قبيلة أبوها عَضَلُ بنُ الهون بن خُزَيمة . ومنه الدِّيش بن الهون ، وهو أخو عضل ، ويقال لهاتين القبيلتينِ — وهما عَضَلُ والدِّيش — القارة .

وأمَّا أسَدُ بنُ خزيمة فمنه الكاهلية ودُوُدان وغيرهما ، وإليه يرجع كُلُّ أسَدِيٌّ .

ثم وُلِدَ لِكِنَانَة المذكور النَّضْرُ بن كِنَانةَ ، على عمود النَّسبَ .

وكان للنَّضْر عِدَّةُ إخوة ليسوا على عمود النسب ، وهم مَلْكَانُ ، وعبد مَنَاة ، وعمرو ، وعامر ، ومالك ، أولاد كنانة . فصار من ملكان بنو ملكان .

وصار من عبد مناة عدَّة بطونٍ وهم بَنُو غِفَارٍ ، رهْطُ أبي ذَرٍّ ، وبنو بَكْر ، ومن بني بَكْرٍ الدِّيْلُ ، رهط أبي الأسود الدِّيلي .

ومن بطون عبد مناة : بنو لَيْث ، وبنو الحارث ، وبنو مُدْلج ، وبنو ضَمْرَة .

وصار من عمْرو بن كنانة العَمْرِيُّون ، ومن أخيه عامر العامريون .

ومن مالك بن كنانة : بنو فِرَاس .

ومن بطون كنانة : الأُحابِيش ، وليسوا من الحبشَةِ ، بل هُمْ من عَرَب كنانة — فهؤلاء إخوة النضر وولدهم — وأما النَّضْرُ فقيل : إنه قُرَيش ، والصَّحيحُ أنَّ قُرَيْشاً هم بنو فِهْرٍ .

وَوُلِدَ للنَّضْرِ مالكٌ على عمود النَّسب ، والصَّلْتُ ويَخْلُدُ .

وَوُلِد لمالكٍ فِهْرٌ ، على عمود النسب ، وفِهْرٌ هو قريش ، وكل من كان من ولد فِهْرٍ فهو قُرَشِيٌّ ، وسُمِّيَ قُرَيشاً لِشِدَّتِهِ ، تشبيها له بِدَابَّةٍ من دوابِّ البحر ، يقال لها القِرْشُ . وقيل : إنَّ قُصَيًّا لما استولى على البيت ، وجمع أشتات بني فِهْرٍ حَوْلَ الحرم ، سُمُّوا قُرَيشاً لأنه قَرَشَهم أي جَمَعَهُمْ — كذا نقل ابنُ سعيدٍ المغربيُّ — فعلى هذا تكون لفظة قريش اسْماً لبني فِهْرٍ لَا لَهُ .

ولم يُوْلَد لمالكٍ غَيْرُ فِهْرٍ على عمود النسب .

ووُلِد لفِهْرٍ غالبُ ، على عمود النسب ، وَوُلِدَ له خارجاً عن العمود وَلَدانِ محارب والحارث ، فمن محارب بنو محارب ، وهُمْ شيبان . ومن الحارث بنو الْخُلْج ، ومنهم أبو عبيْدة بنُ الجرَّاح — أحد العشرة ، رضي الله عنهم — .

ثم وُلِد لغالبٍ لُؤَيٌّ على عمود النسب ، ووُلد له خارجاً عن العمود تَيْمٌ الأَدْرَمُ — والأدرم الناقص الذقن — ومن تَيْمٍ بنو تَيْمِ الأدرم .

وكان لُؤَيٌّ سيِّد قومِهِ ، فاق شجاعةً وكرماً وحِلْماً وخطابةً ، وكان ذا مالٍ وإبلٍ كثيرة . وحُكِيَ أنَّه نَدَّ لَهُ بَعِيرٌ فخرج يَرُدُّهُ ، فاستصْعَبَ ، فتناول حَجَراً فضربه به في جبهته ، فأنفذه من الجانب الآخَرِ ، فعجب لذلك ، ثم أخذ الحَجَر ، فوجده حَدِيداً أخْضَرَ ، فأتى به قيناً من يَهُوْدَ ، فقال له : اطْبَعْ هذا سيوفا . ثم أتاه يتقاضاه نَجَازَها ، وكانت قد نجزت ، فأخذ القَيْنُ سيْفاً منها وهَزَّه بيده ، ثم قال :

سُيُوفُ حِدَادٌ يا لُؤَيَّ ابْنَ غالِبٍ حِدَادٌ ، ولكنْ أيْنَ بِالسَّيْفِ ضَارِبُ؟

فَتَنَاوَلَهُ لُؤَيٌّ بِيَدِهِ ، وضَرَبَ بِهِ عُنُقَهُ .

ثم وُلِدَ لِلُؤَيٍّ أولادٌ ، كعْبٌ على عمودِ النسب ، وإخْوَتَهُ خارجون عن العمود ، وهم سعد وخُزَيمة والحارث وجُشَم ، وعوف ، وعمرو ، وعامر ، وأُسامة أولاد لؤيٍّ بن غالب . ولِكُلٍّ منهم ولدٌ ينتسبون إليه ، خَلَا الحارث .

ومن ولد عامر بن لُؤَيٍّ عَمْرو بْنُ عَبْدِ وُدٍّ ، فارس العرب قَتِيْلُ علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ثم وُلِدَ لكعب مُرَّةُ ، على عمود النسب ، وَوُلِدَ له خارجاً عن العمود هُصَيْصُ وعَدِيٌّ ابنا كعب .

فمن هُصَيْصٍ بنو جُمَحٍ ، ومن مشاهيرهم أُمَيَّةُ بنُ خلَف عَدُوُّ النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخوه أُبَيٌّ بنُ خلف ، وكان مثله في العداوة . ومن هُصَيْصٍ أيضاً : بنو سَهْمٍ ، ومن بَنِي سَهْمٍ عَمْرو بنُ العاصِ السهميُّ .

ومن عديٍّ بنِ كعبٍ بنو عديٍّ . ومنهم عُمَرُ بنُ الخطَّاب ، وسعيد بنُ زيْدٍ ، من العشرة ، رضي الله عنهم .

ثم وُلِد لِمُرَّة على عمود النسب ابنُهُ كِلَابٌ ، ووُلد له خارجاً عن العمود ، تَيْمٌ ويَقَظَةُ .

فمن تَيْم بنو تَيْم ، ومنهم أبو بكر الصدِّيقُ ، وطَلْحَةُ ، من العشرة رضي الله عنهم .

ومن يقظة : بنو مخزومٍ ، منهم خالد بن الوليد — رضي الله عنه — وأبو جهل بن

هشام ، واسمه عمرو ـــ المخزومي .

ثم وَلد لكلاب قُصَيٌّ ، على عمود النسب ، وَوُلِد له خارجاً عن العمود ، زُهَرة ، ومنه بنو زُهْرَة [من بني زُهْرَة][٢٤] سعد بن أبي وقَّاص أحد العشرة .

ونَسَبُ آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونَسَبُ عبد الرحمن بن عوف ـــ رضي الله عنهم ـــ[٢٥] .

وقُصَيٌّ كانَ عظيماً في قريش ، وهو الذي استعاد سِدَانَةَ البيت من خُزَاعة ، وجمع قريشاً ، وأثَّلَ مجدهم ، وجاء الإسلام وهم على ذلك في التعظيم لشأنه ، وكانوا لا يُبْرِمُوْنَ أمْراً إلَّا بِدَارِ النَّدْوة ، لأنها كانتْ دارَهُ ، وبِهِ اجتمعتْ قبائل قريشٌ في الحرم ، وفي ذلك يقول الشاعر :

أَبُوكُمْ قُصَيٌّ كانَ يُدْعَى مُجَمِّعاً ... بِهِ جَمَعَ اللهُ الْقَبَائِلَ مِنْ فِهْر

ثم وُلد لِقُصَيٌّ عَبْدُ منافٍ ـــ واسمه المُغيرة ـــ على عمود النسب ، وولد له خارجاً عن العمود عبد الدَّار ، وعبد العُزَّى ابنا قُصَيٌّ .

فمن بني عبد الدَّار بنو شَيْبَة الحَجَبَةُ . ومن ولد عبد الدار النَّضْرُ بن الحارث ، وكان شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يَوْم بَدْرٍ صَبْراً .

ومن بني عبد العُزَّى خَدِيجَةُ بنتُ خُويلدٍ ، زوجُ النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن بني عبد العُزَّى وَرَقَةُ بن نَوْفل بن أسدِ بن عبد الْعُزَّى .

ولبني عبد منافٍ في قريش النَّسبُ الصَّميم ، والحسبُ الكريم وإلى هذا أشارَ أبو طالب عَمٌّ النبي صلى الله عليه وسلم بقوله :

إذَا افْتَخَرَتْ يوماً قُرَيْشٌ بِمَفْخَرٍ ... فَعَبْدُ منافٍ أصْلُها وصَمِيْمُهَا

وولد عبد مناف أربعة أبناء ، وهم نوفل وعبد شمس ، والمطَّلِب وهاشم . ويقال : إنَّ عبد شمسٍ وهاشمَ وُلِدَا لِبَطْنٍ وجلداهما ملتصقان ، فلما فُرِّقا سال بينهما الدَّمُ قالوا :

إنه سيكون بينهما ،[٢٦] وهكذا كان ، وقد تظارف من قال :

عَبْدُ شمسٍ قَدْ أوْقَدَتْ لبني ها شم ناراً يَشيبُ منهَا الوليدُ
فَابْنُ حَرْبٍ للمصطفى وابن هِنْدٍ لـعـلـيٍّ ، ولـلـحُسَينِ يَـزِيْـدُ

وكان هاشم والمطلب[٢٧] متآلفين بينهما ، مُنَافِرَيْن لنوفل وعبد شمس مُذْ كانوا ولم يفترق هاشم والمطلب في جاهلية ولا إسلام ، وإلى هذا أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله[٢٨] .

ولهذا حُرِّمَتِ الصدقة على بني هاشم مع بني المطلب ، ولم تُحَرَّم على نوفل وعبد شمس ، وكلهم لأبٍ .

فأما عبد شمسٍ فهو أبو أميَّةَ المنسوب إليه كُلُّ أمويٍّ ، ومنه أمير المؤمنين ، عثمان بن عَفَّان رضي الله عنه ، وهو عثمان بن عَفَّان بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف — ومنه معاوية بن أبي سفيان صَخْرِ بْنِ حَرْبِ بن أميَّة . ومنه مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية .

وسيأتي ان شاء الله تفصيل ذكر معاوية ومروان وأبنائهما فيما بَعْدُ ، لمكانِهما هُمَا وأولادهما من الخلافة في موضعه

ومن ولد المطلب : الإمام الشافعيُّ محمد بن إدريس بن العباس بن شافع بن السائب بن عُبَيْد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب

وأما الابن الرابع من بني عبد مناف الذي علا قدره بأبنائه هو هاشم ، وعليه عمود النسب ، فإليه انتهت سيادة قومه وكانتْ إليه الرِّفادةُ والسِّقَايةُ ، وكان رَجُلاً مُوْسِراً ، وكان إذا حَضَرَ الحجُّ قام في قُريش فقال : يا مَعْشَرَ قُرَيْش ! إنكم جيرَانُ الله وأهلُ بيته ، وإنه يأتيكم في هذا الموسم زُوَّارُ الله ، وحُجَّاجُ بيته ، وهم ضيوف الله ، وأحقُّ الضيف بالكرامة ضيفُهُ ، فاجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاماً ، أيَّامَهُمْ هذه التي لَا بُدَّ من الإقامة بها ، فوالله لَوْكَانَ مالي يَسَعُ ذلك ما كلَّفتموه ، فيخرجون لذلك خَرْجاً من أموالهم ، كل أمريء بقدر ما عنده ، فَيَصْنَعُ به للحاجّ طعاماً ، حتى يَصْدُرُوا منها .

وكان هاشم أوّلَ مَنْ سنَّ الرِّحْلَتَيْنِ لقريش ، رحلةَ الشِّتَاء والصَّيفِ .

وأول من أطعم الثَّريد بمكة . وإنَّما كان اسمه عَمْراً فَسُمِّيَ هاشماً لهشمه الثَّريد بمكة فقال بَعْضُ العرب :

عَمْرُو الذي هَشَمَ الثَّريد لقومِهِ قوم بمكة مُسْنِتِينَ عِجَاف
كانَتْ إلَيْهِ الرِّحْلَتَانِ كلاهُما سَفَر الشتَاء ، ورِحْلَةُ المصطافَ

وقُبِرَ هاشم بِغَزَّة من الشام .

وَوَلَدَ وَلَدَيْن .

أحدهما أسَدٌ أبو فاطمة أُمِّ أمير المؤمنين علي عليه السلام .

وعبدُ المُطَّلب ، وعليه عمود النسب ، وهو الذي حفر بئْرَ زَمْزَم ، لرؤياً رآهَا ، وكانتْ قد تتابَعَتْ على قريش سنون ، أقْحلتِ الضرع ، وأذهبت العظم ، فَرَأَتْ رقيقة بنتُ صيفيٍّ بن هاشم في منامِها هاتفاً يقول : يا معشر قريش إن هذا النبيَّ المبعوث منكم قد أظلّتكم أيامه ، فحيَّ هلا بالخصب ، فانظروا رَجُلاً منكم وسيطا — ووَصَفَ صِفَةَ عبد المطلب ، فليخلص هو وولده وليهبط إليه من كل بطن رجلٌ ، فليسنُّوا من الماء ، وليمسُّوا منَ الطيب ، وليستلمُوا الرُّكن ، ثم ارقوا أبا قُبَيسٍ وليستسق الرجل ، وليؤمِّن القومُ . فَغِثْتُمْ ما شئتم . فأصبحتْ رقيقة مذعورة ، وقصَّتْ رؤياها . فقيل هو شيبة الحمد عبد المطلب ، ففعل ، ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام قد أيْفعَ أو كربَ فقال : اللهمَّ سادَّ الخلة ، وكاشف الكُرْبة ، أنت تعلم غير مُعَلَّمٍ ، ومسؤول غير مُبَخَّلٍ ، وهذه عبيدك وإماؤك ، بعذِراتِ حرمك(٢٩) ، يشكون إليك سنتهم ، أذْهَبَتِ الخُفَّ والظِّلْفَ ، اللهم فأمْطِر علينا مُغْدِقا مريعا .

قالت رقيقة : فوربِّ الكعْبَةِ ما راحوا حتى تفجَّرتِ السماءُ بمائها ، واكتظ الوادي بسحيجه . فسمعتُ ساداتِ قريش يقولون لعبد المطلب : هنيئاً لك أبا البطحاءِ — أي عاش بك أهلُ البطحاء وقالت رقيقة :

بشَيْبَةِ الحَمْد أسقَى اللهُ بَلْدَتَنَا لمَّا فَقَدْنَا الحَيَا ، واجْلَوَّذَ المَطَرُ

فجاد بالماء حَتَّى ما له سبل سَحًّا فعاشت به الأنعام والشجرُ
مُبَارك الأَمْرِ يُسْتَسْقَى الغمامُ بهِ ما في الأنام لَهُ عِدْلٌ ولا خَطَرُ

وولد لعبد المطلب عشرة أولاد ، الذين أعْقَبَ منهم ستّةٌ : حمزة ، والعبَّاس — رضي الله عنهما — وأبو طالبٍ وأبو لَهَبٍ ، والحارث وعبدالله .

فأما حمزة فانقرض عقبُهُ .

وأمَّا العباس — رضي الله عنه — فكانتْ إليه السِّقَايَةُ والرِّفَادَةُ بعد أبيه عبدِ المطلب . وفي سُقْيَا الحجيج والفخر بزَمْزَم يقول القائل :

ورِثْنا الفَخْرَ من آبا ئنا ، فَسَمَا بنا صُعُدَا
أَلَم نَسْقِ الحجيجَ و نَنْحَرُ الدلافة الرفدا
فإنْ نهلَكْ ولم نَمْلِكْ فمَنْ ذا خالِدٌ خَلَدا
فزمزمُ في أرُومَتِنَا ونَفْقَا عَيْنَ من حَسَدا

وهو أبو الخُلفاء ، قدس الله أرواحهم — وسيأتي ذكرهم إن شاء الله في مكانه —

وأمَّا أبو لهَب والحارثُ فلهما عَقِبٌ باق .

وأما أبو طالب فقد كثَّر الله ببركات البضعة الطاهرة النبوية أَبْنَاءَهُ ، ووصل نسبَهُ وحَسَبَهُ .

وكان عمر — رضي الله عنه — خطب أمَّ كلثوم إلى عليٍّ — رضي الله عنه — فقال عليٌّ : إنَّها صغيرة . فقال عُمَرَ : زَوِّجْنِيْها يا أبا الْحَسَن ، فإني أرصد من كرامتها ما لا يرصده أحد . فقال له عليٌّ : أنَّا أبعثها إليك فإن رَضِيتَها فَقَدْ زَوَّجْتُكَهَا . فبعثها إليه بِبُرْدٍ ، وقال لها : قولي له : هذا البُرْدُ الذي قُلْتُ لك . فقالتْ ذلك لِعُمَرَ ، فقال : قولي له : قد رَضِيتُهُ ، رضي الله عنك ، ووضع يده على ساقِها فكشفها . فقالت له : أتفعلُ هذا ؟ لولا أنّك أميرُ المؤمنين لكسَرْتُ أَنْفَكَ . ثم خرجتْ حتى جاءت أباها ، وأخبَرَتْهُ الخَبَر ، وقالت : بعثني إلى شيخ سوء . فقال : مهْلاً يا بُنَيّة . فإنه زوجُك . فجاء عمر إلى مجلِسِ المهاجرين في الروْضة ، كان يجلس فيه المهاجرون الأولون . فجلس

إليهم . فقال : رَفِّئُوني . فقالوا : بماذا ؟ يا أمير المؤمنين . فقال : تزوجت أمَّ كلثوم بنتَ عليّ بن أبي طالب ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «كل نَسَبٍ وسَبَب وصِهْرٍ منقَطِعٌ يومَ القيامة ، إلا نَسَبِي وسَبَبِي وصِهْرِي» فكان له به صلى الله عليه وسلم النسبُ والسبب ، وأرَدْتُ أن أجمع إليه الصِّهرَ . فَرَفَّؤوهُ .

وولد أبو طالب أبناءً ثلاثةً — وهم عَقِيلٌ وجعفرٌ الطيَّار ، وأمير المؤمنين ، وآبن عَمِّ سيّد المرسلين ، الواجب الحبّ أبو الحسن [والحسين] ، عليٌّ عليه وعليهما السلام .

ولكلّ من عَقيلٍ وجعفر وعَلِيٍّ أبناءٌ .

وسنذكر المشاهير من أبناء علي رضي الله عنه ، فعليهم عمود النسب المتَّصل بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم .

وأما عبدالله فعليه عمود نسب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أبو سيدنا ونبيّنا وشفيعنا محمد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم .

انتهى الكلام على طوائف العرب البادية[٣٠] والعاربة والمستعربة ، بتوفيق الله سبحانه .

(للبحث صلة)

---

(١) كذا والصواب (وذوو) .

(٢) في (ب) : هدنا .

(٣) كذا وسيأتي (غذام) .

(٤) ما بين المربعين ليس في (ب) .

(٥) في (ب) : (أتانس) .

(٦) كذا تكررت(البادية) والمعروف (البائدة) .

(٧) كذا ولعل الصواب (فمن العرب البادية) إذ تقدم ذكر العرب البادية .

(٧) هو كتاب «الاستيعاب» .

(٨) في (ب) : (أحياء) .

(٩) كذا ولا محل لكلمة (لما) إذ لم يرد لها جواب .

(١٠) كذا في (ا) وفي (ب) : و(قد ذكر) ولعله : (وقد ذكرتُ عمرو بن مزيقيا) .

(١١) أنظر خبر انتقال السدانة إلى قصي ما جاء في كتاب «الايناس» لابن المغربي ص١١٣ من منشورات (دار اليمامة

للبحث والترجمة والنشر) .

(١٢) على اختلاف في نسبته أنظر كتاب «المناسك» ص ٣٥٠

(١٣) كذا بتعريف (الدوس) والاسماء لا تعرف إلا سماعاً .

(١٤) أورد ابن حَجَر في «الإصابة» أن اسم أبي هُرَيرة تبلغ الأقوال فيه من حيث صحة النقل إلى ثلاثة : عمير وعبدالله وعبد الرحمن ونقل نسبه عن ابن الكلبي : أبو هريرة بن عامر بن عبد ذي الشَّرى بن طريف بن عتَّاب بن أبي صعب بن منبّه بن سعد بن ثعلبة بن سُلَيم بن فهم بن غَنم بن دوس بن عدثان بن عبدالله بن زهران — وانظر عن قبيلة دوس كتاب «في سراة غامد وزهران» وفيه طرف عن بلاد أبي هريرة وقومه .

(١٥) كذا والصواب ومن سبا (جُذَام) كما في التفريع .

(١٦) ما بين المربعين ليست في الأصل ولا يستقيم الكلام بدونها .

(١٧) أنظر القصيدة في كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام ج١ ص ١١٥ طبعة الحلبي بمصر سنة ١٣٧٥ هـ .

(١٨) من هنا في (أ) تبدأ قصة أبناء نزار مع الأفعى الجرهمي .

(١٩) على رأي من ينسب قضاعة إلى عدنان ، وهو رأي مرجوح كما أوضح الهمدانيُّ في كتاب «الاكليل» ج١ ص ١٣٧ — في (باب تصحيح نسب قضاعة) وأطال في ذلك .

(٢٠) القارطان اللذان يضرب بهما المثل في انقطاع الغيبة رجلان من عنزة ذهبا يطلبان القَرَظَ وهو شجر من أشجار السَّراة ، تُدْبَغُ به الجُلُود ، فانقطع خبَرُهما فَضُرِب بهما المثل . قال أبو ذُؤَيب :

وحَتَّى يَؤُوبَ القَارظان كِلَاهُمَا ويُنْشَرَ في القَتْلَى كُلَيْبٌ لِوَائِلِ

وقال بشر بن أبي خازم الأسديُّ :

فَرَجِّي الخَيْرَ وانتَظِري إيَابِي إذا ما القَارِظُ العَنَزِيُّ آبا !!

(٢١) في (ب) تبدأ قصة أبناء نِزَارٍ مع الأفعَى الجُرْهُمِي ، أما في (أ) فقد وردت بعد شعر عامر بن الحارث بن مضاض الجرهمي : وكنا ولاة البيت الخ .

(٢٢) بياض في الأصل ، والمقلد وقرواش من بني عُقيل من بني عامر من هوازن ...

(٢٣) في الأصل (اثقل) بدون نقط الثاء .

(٢٣) ليست في الأصل .

(٢٤) ليست في الأصل .

(٢٥) كذا في الأصل .

(٢٦) كذا بدون ذكر ما سيكون بينهما . والمعنى ظاهرٌ — أي عداوة تُسِيل الدَّمَ بينهما —

(٢٧) في الأصل : (وكان نوفل وعبد شمس) . ولا معنى لهذا .

(٢٨) لم يذكر القول .

(٢٩) الْعَذِرَاتُ : الأَفْنِيَةُ ، وهي قُرْب من المكان .

(٣٠) في (ب) : (البائدة) .

حول مقال «علماء عرفتهم ففقدتهم»

ورد إلى «العرب» كتاب كريم من الأخ الجليل الأستاذ الدمرداش زكي العقالي — المستشار في هيئة التحقيق والتأديب — جاء فيه ما ملخصه :

استجيز لنفسي أن أتوجه إليك بالسؤال : أكان لزاماً لدى تدبيجك موضوعك المنشور بصدد مجلة العرب «من أصداء الذكريات — علماء عرفتهم ففقدتهم» لدى تذكرك للمرحوم الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله وعفا عنه ، أن تورد رسالته إليك بعدم رغبته في ذهابك إلى مصر ، ثم تنشر نص الرسالة مصورة بخط يده ، وفي سطورها تعليل نصحه لك بقوله :

«وإلى أين تذهبون ومساكنة الكفّار ما **تخفاك**.. الخ» ج١ س١٦ ص : ٩ .

وإذا كان ما نشرته لزاماً ، أليس في درجة لزومه وألزم أن تعرض لعبارة الرجل بتعليق وبيان يرفع عن الصدور حرج الحديث ، في مسألة الكفر والإيمان .

يا أستاذنا ما أحوج أمة الإسلام اليوم إلى أن تُسدِّدَ وتُقَارِب فتحسن الظن ببعضها بعضاً بدلا من التراشق بدعاوي الكفر والإيمان .

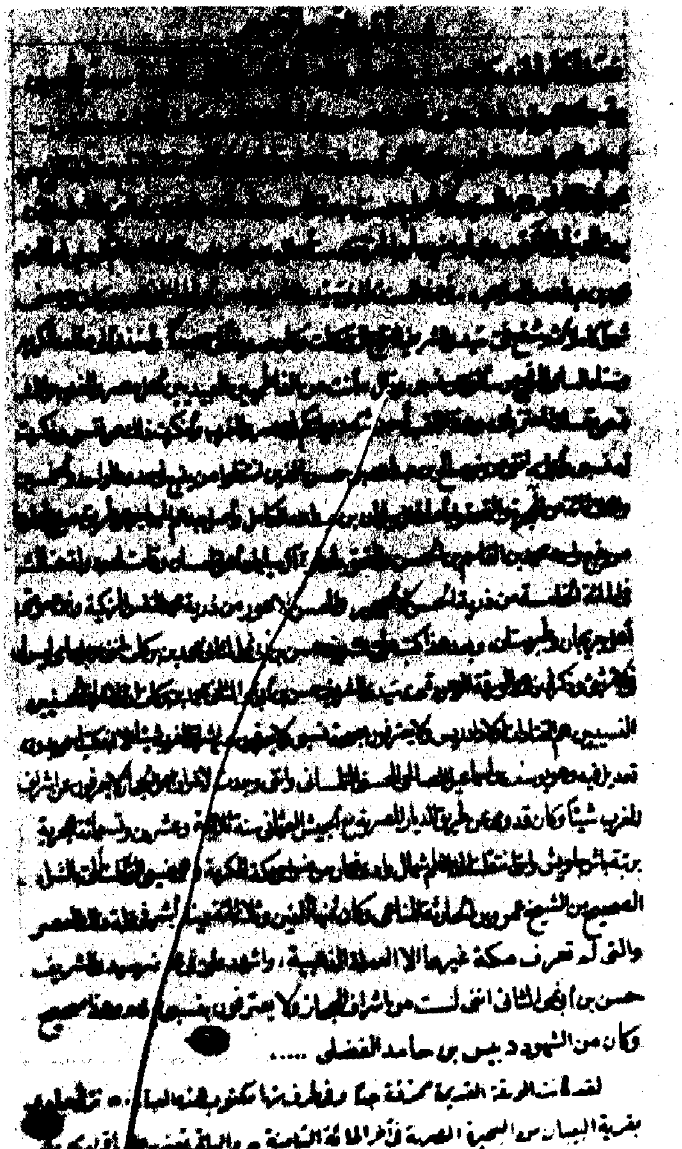
أما ما نسب إلى مصر في ذاته فليس بذي بال فمصر كانت وستبقى كنانة الله من أرادها بسوء قصمه الله .

العرب : ليس في رسالة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم — رحمه الله — التي أشار إليها الأستاذ الكريم ذكر اسم (مصر) وإنما ورد الاسم في الكلمة التي وردت في مقالي ، وكنت ذكرت له أنني أفكر في السفر إلى الخارج ، وذكرتُ اسم مصر وبلادا أخرى ليست عربية ، فكتب إليَّ ما كتب من قبيل النصيحة ، ولا أعتقد أنه يقصد بكلمته بلاد مصر ، ولكنه عَمَّم — ولعل الكاتب الكريم يعيد قراءة تلك الرسالة ، ليدرك أنه لم يذكر مِصْر ، ولم ينسب إليها ، ولم يُرِدْها بسوء .

وللأخ الأستاذ أطيب طية

حول (آل حسن)

بعث الأستاذ محمد بن جابر الحسني ، المدرس في (مدرسة وادي نعمان الابتدائية) في ضواحي مكة المكرمة بهذه الوثيقة المتعلقة بأسرته (آل حسن) من أهل كبكب — (الكباكبة)[1] . وها هي صورتها .



(١) أنظر «العرب» س ١٦ ص ١٥٣ .

كنانة . وخزاعة

كتب إلى «العرب» الأخ الأستاذ محمد جابر الحسني ما ملخّصه :

١ ــ الجحادلة وهم بقايا كِنَانَة ، وهم فروع :

آل شيّن ، وآل مُنيف وآل جميل والراشد ، وبنو شعبة وهم يسكنون قرب الليث ، وشيخهم حمود الراشدي ، توفي عام ١٣٩٨ ــ وخلفه ابنه محمد سعيد بن حمود الراشدي .

٢ ــ خُزَاعة : ويسكنون جنوب مكة ، قرب خط الخواجة ، وفي وادي فاطمة في صَرْوعَة (سَرَوَعَة) ودَفّ خزاعة ، ومنهم الطلاحات دخلوا في هذيل ، وبنو ياس .

العرب : أنظر عن كنانة ــ الجحادلة الذين هم من بقايا كنانة (ص ٨٧) من كتاب «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» تأليف صاحب هذه المجلة وعن خزاعة (ص ٢٠٠) من الكتاب المذكور ، ففيه تفصيل عما هنا .

جُدَّة : في بيتين من الشعر

في مجلة «العرب» السنة العاشرة ص ٨٥١ ــ بعنوان : (ابن عبد الشكور يتحدَّث عن جدَّة ــ: ما هذا نصه : وأهل مكة مفاليس ، على ما يقال ، وجدة لا تصلح إلا لمن له مال :

وجُـدَّةٌ لـذوي الأمـوال طـيـبـة ... ولـلـمـفـالـيس دار الهمّ والضّيـق
أقمتُ فيها مضاعاً بين ساكنها ... كأنني مِصْحَفٌ في بيتِ زِنْدِيقِ

وفي الهامش : (البَيْتَانِ قِيْلَا قديْماً في غير جُدَّة) .

فمن قائلها ، وما هي البلدة التي قيلا فيها ؟!

جدة : شارع قابل ــ أحمد عتيق عبد الشكور

العـرب :

١ ــ قائلها أحد علماء القرن الرابع الهجري ، القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر

المالكي كان ببغداد ففارقها إلى مصر عن ضائقة . ولد سنة ٣٦٢ وتوفي بمصر في ١٤ صفر سنة ٤٢٢ وكانت وفاته بسبب أُكلة اشتهاها فأكلها ، فصار يقول : وهو يتقلب من وجعه : لا إله إلا الله عندما عِشْنَا مِتْنَا !!

٢ — والبيتان أوردهما ياقوت في «معجم البلدان» في (بغداد) بهذا النصّ :

(بَغْدَادُ) أَرْضٌ لأَهْلِ المالِ طيِّبة ... ولِلْمَفَالِيس دارُ الضَّنك والضِّيقِ
أَصْبَحْتُ فيها مُضاعاً بينَ أظهُرِهِمْ ... كأنني مصحفٌ في بيت زِنْدِيْقِ

— نقلاً عن الخطيب صاحب «تاريخ بغداد» ولم ينسبهما للقاضي عبد الوهاب ، ولكنه قال : وكان القاضي قد نبا به المُقَامُ في بغداد فرحل إلى مصر ، فخرج البغداديُّونَ يودِّعونه ، وجعلوا يتوجعون لفراقه فقال : واللهِ لو وجدتُ عندكم في كُلِّ يوم مُدًّا من الباقِلَّا ما فارقتكم !! ثم قال :

سلامٌ على بغدادَ من كل منزل ... وحُقَّ لها مني السلام المضاعَفُ
فَوَاللهِ ما فارقتُها عن قِلَى لها ... وإني بشطيْ جانِبَيْهَا لعارِفُ
ولكنَّها ضاقتْ عليَّ برَحْبِها ... ولمْ تكنِ الأرزاقُ فيها تُسَاعِفُ
وكانت كَخِلٍّ كُنْتُ أَهْوَى دُنُوَّهُ ... وأخلاقُهُ تنأى بهِ وتُخالِفُ

وقد أورد الزركلي البيتين في «الإعلام» في ترجمة القاضي المذكور ، وذكر مصادر ترجمته ومما لم يذكره «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي .

حول قبيلة المراشدة

ورد إلى مجلة «العرب» رسالة مطولة هذا ملخصها :

كنت قد كتبت في مجلة العرب (جزء ١١ و١٢ من السنة الخامسة عشرة) عن قبيلة المراشدة وفروعها وكنت أظن أني سأجد تأييداً على ذلك إلا أني أصبت بخيبة أَمَلٍ ، عندما علمت من شيوخ المراشدة والعارفين منهم أَنَّ كل ما كتبته في ذلك المقال عن قبيلة المراشدة كان ليس صحيحاً والآن أعتذر إلى كل من قرأ ذلك المقال من قبيلة المراشدة

أعتذر إليهم أني والله لم أقصد التقليل من شأن تلك القبيلة العزيزة ، ولا أسمح لأحد بذلك ، وإنما كان الدافع لكتابة ذلك المقال مساهمة مني في العلم والمعرفة بأنساب العرب وتاريخهم . وأحب أن أنبه القراء الكرام سواء من قبيلة المراشدة أو من غيرهم أحب أن أنبهم إلى أني في ذلك المقال المذكور الوارد في مجلة العرب السنة الخامسة عشرة أنني لم أكتبه ضِدّ أحد ، ولم يساعدني أو يأمرني بكتابته أحد ، وإنما كان القصد منه ما ذكرت من المساهمة في معرفة أنساب العرب وتاريخهم .

وأنا هنا أعترف بكل أخطائي في ذلك المقال إلى كل من قرأه من قبيلة المراشدة ومن هذا المنطلق أقول اعترافاً بخطإي .

أقول : إن كل ما ورد في ذلك المقال المذكور عن قبيلة المراشدة كله أخطاء لا تعتمد على معرفة صحيحة ولا تستند على شيء من الصحة فلا يصح الأخذ بها كمعلومات صحيحة بل هي معلومات خاطئة لم تؤخذ من مصدر وثيق وأريد هنا أن أُنَبِّه على الأخطاء التي وقعتْ في ذلك المقال عن بعض فروع المراشدة وقد وقعت هذه الأخطاء عن غير قصد مني وقد نبهني عليها العارفون بالأنساب من قبيلة المراشدة .

١ ــ ما ذكرته في المقال عن الضعفان ليس صحيحاً بل خطأ لا يعتمد على قول صحيح فالمعروف من الزمان القديم أن الضعفان من المثاقبة من المراشدة من قبيلة عتيبة وهذا هو الذي أدركنا عليه أجدادنا وأخبرونا أن الضعفان من المثاقبة من قبيلة المراشدة ونظراً لما اشتهر به الضعفان من كرم وشجاعة وطيب وغيره من عادات حميدة طيبة جعلت بعض شعراء البادية يمدحهم لما رأى عندهم من الكرم والخصال الحميدة وكُنْتُ من أولئك الذين أثر فيهم ذلك فقلت قصيدة طويلة : (أورد الكاتب بعض أبياتها) .

٢ ــ المقارنة والعناترة المعروف عنهم أنهم من ذوي حميد من قبيلة المراشدة من عتيبة وكلهم مشهورون بالكرم والشجاعة من قديم الزمان وإلى اليوم .

٣ ــ ما ذكرته في المقال السابق عن الزويان ليس صحيحاً فالمعروف عن الزويان من القديم أنهم من المهنّين من المراشدة من قبيلة عتيبة ، وهم معروفون بالكرم والشجاعة والطيب .

٤ — سبق أن ذكرت في ذلك المقال السابق اسم صالح ومدله من المراشدة والحقيقة أن المذكورين ليس لهما صلة بالموضوع المذكور وإنما جرى ذكرهما خطأً .

٥ — وقع خطأ في رسم الوسم وهو بلا شك خطأ مطبعي ولا يسمى هذا الوسم الباب وإنما اسمه الأثاثي بالثاء .

الرياض عبد الرحمن بن زبن العتيبي
متوسطة تحفيظ القرآن الكريم

المراشدة أيضاً

وورد للمجلة رسالة أخرى هذه خلاصتها :

اطلعت على ما نشر بمجلة (العرب) عموماً الجزء الحادي عشر من السنة الثانية عشر عام ١٤٠١ هـ ص ٨٩٤ — ٩٠٠ حول قبيلة المراشدة من فروع عتيبة ولا ننكر اهتمامكم بالمعلومات الموثقة مهما كان مصدرها وأن المقال المشار إليه ينطوي على معلومات تهم المؤرخين وباحثي الأنساب . إلا أن هذه المعلومات القيمة أُريد بها الترويج لدعاوي تافهة الغرض منها النعرة وإثارة الحزازات والفرقة بدليل أن كاتب المقال تقنع تحت اسم صبي لا يتجاوز سنه الثامنة عشرة ولهذا لفتت هذه المقالة انتباه معظم رجال القبيلة لا سيما الأشياخ الطاعنين في السن لأنها مكابرة للواقع .

ولتمحيص الحقيقة الخص استدراكي في :

١ — ذكر الكاتب أن الخشمان شيوخ شمل المراشدة من عتيبة أما اليوم فقد اقتصروا على قومهم المهنين ، وهذا عجيب فما الذي جعلهم يقتصرون على بعض قومهم دون بعض ، ومن الذي نَزَعَ مشيختهم دون زملائهم وها هو شيخ المراشدة قاعد بن بجاد أبو خُشَيِّم أمير الحنابج وشيخ شمل المراشدة .

٢ — ذكر الكاتب أن المسمى أبو خشيم جدهم راجح بن رويشد بن مهنا . ولا خلاف في التسمية وانما إيراد الخبر بهذه الصيغة يوحي أن المشيخة بدأت براجح وليس هذا بصحيح فقبله مبيريك ومسعد ثم راجح ثم بجاد ثم سلطان ثم قاعد .

قريش .. سكان ضواحي مكة

فروع قبيلة قريش الذين يسكنون ضواحي مكة ومنى والمُغَمَّس والطارقي وعرفات والسقيا والشعاب .

ينقسمون إلى قسمين القُنْعَان والسوالمة .

السوالمة وهم المهادية والمُعْطان والبطلان .

١ ـــ الرقعان ويسكنون منى ومكة والسُّقْيا ، ومزدلفة .

٢ ـــ الْعُشَّيْق ويسكنون الشعاب ضواحي منى وهم من بقايا بني مخزوم .

---

٣ ـــ ذكر أن مشيخة المراشدة الآن لابن تَنْبِيْك . والواقع أن الأخ ابن تنبيك كبير جماعته الأدنين ، وهو أخونا وابن عمنا ولم يدع هو ذلك .

٤ ـــ ذكر الكاتب أبياتاً تتضمن بعض المناقب ، ولا ريب أن كل الناس لهم نصيبهم مما يستخفون به المدح والمنقبة إلا أن هذه الأبيات المذكورة مصنوعة غير معروفة ولا متداولة وللحقيقة التاريخية حرر .

صنهات بن صالح المرشدي

عز الدين البدوي ـــ لا مطاع الطرابيشي :

قلت في فاتحة مجلة « العرب » لسنتها الخامسة عشرة ـــ في الحديث عن كتاب « النسب » لأبي عبيد القاسم بن سلّام ـــ ص ٤٨٢ ـــ ما نصه : (وفي هذا العام زارني الأستاذ مطاع الطرابيشي) وهذا سَهْوٌ يجب تداركه فالذي زارني هو الأستاذ عز الدين البدوي النجار ، وهو الذي يعنى بجمع شعر شعراء بني عامر ، وهو الذي قدمت له كتاب « النسب » .

والأستاذان دمشقيان ، وقد عرفتهما ومن هنا وقع الخلط بين اسميهما .

والعُشَيْقُ ثلاثة أفخاذ وهم بقايا عبد الرحمن ابن عبدالله أبي ربيعة ابن أبي حذيفة ابن مخزوم ومساكنهم الآن الطارقي والشعاب وبلاد يقال لها ظبية في الطرف الغربي من وادي المُغَمَّس ومنهم من يسكن مكة ومنهم رزيق ومرزوق ابنا هُنَيدي القرشي ولهم أبناء .

٣ ـــ الْغُجَرَةُ : ويسكنون السّقيا ، وأكثرُ ظني أن اسمهم محرف لأنه لا يوجد في قريش غُجير بل يوجد عُجير وأظنهم من ذرية عجير بن ظهيرة المخزومي القرشي .

٤ ـــ البقاقير ومساكنهم المغمَّس ومنى ومكة ووادي فاطمة .

وينقسمون إلى ثلاثة أقسام الصعاعيق والمضاين والدشامين والمضاين دخلوا مع قبيلة حرب والظواهر .

٢ ـــ وهذا القسم الثاني ويطلق عليهم القنعان وهم :

١ ـــ الغلالية ويسكنون المغمس ومنى .

٢ ـــ الحواذين ويسكنون المغمس وعرفة وهم من بقايا كنانة دخلوا في قريش لأنهم من بني عبد الديل .

٣ ـــ المواسية ويسكنون عرفة وهم من بقايا بني عامر من بني زهرة وشيخهم كافة خيشان القرشي الزهري ومعهم حلفاء ويطلق عليهم الغشامرة وهم من غشامرة الهداء .

٤ ـــ الحمادين ويسكنون المغمس .

٥ ـــ النخلة ويسكنون المغمس ووادي فاطمة .

٦ ـــ (الْحُجَرَة) ويسكنون المغَمَّس .

مكة المكرمة **محمد جابر الحسني**

أسرة الحمادي في الشقة

[بعث الأخ الكريم عبد العزيز بن سليمان البُعيمي إلى «العرب» كتابا عن أسرته الكريمة و«العرب» حين تنشر خلاصته تأمل من جميع الإخوة القراء المهتمين بما تحدث عنه الأخ البُعَيمي — موافاتها بما لديهم في الموضوع ، لتتسنى إضافته إلى كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة» الذي سيصدر قريباً] .

إنكم ستقومون بطبع كتاب عن «الأسر المتحضرة في نجد» ورغبة منا بتزويدكم بمعلومات يسيرة عن حمولة (الحمادي) بفتح الحاء والميم والدال من غير تشديد ، والتي تقطن الشقة السفلى من القصيم قرب بريدة والتي تبعد عن مدينة بريدة بحوالي عشرة أكيال وإليكم تقاسيم هذه الحمولة والأسر التي تنتمي إليها .

الحمادي :

لقب للجد الأكبر لهذه الحمولة التي هي من قبيلة عنزة من فرع السلقاء من العمارات .

واسم الحمادي (حتايت) هاجر من بلدة أُشَيْقِر في نهاية القرن الثاني عشر الهجري ، أو بداية القرن الثالث عشر الهجري ، هاجر إلى بلدة الشِّقَّة في القصيم واستقر بها ومنزلهُ باقٍ إلى اليوم وهو معروف :

هذا وقد أنجب حتايت العنزي خمسة أولاد وهم : محمد وسليمان وسالم وعبدالله وعلي ، وقد تفرع من هوالاء الخمسة العوائل الآتية :

فمن ذرية محمد عائلة : البُعَيمي والغازي والكُلَيْبَة والعقيل .

ومن ذرية سليمان عائلة : السُّدَيْسي والحُظَيْفي والجُفَيْري والفرَّاج .

ومن ذرية سالم : عائلة الشوَيْهي والخَضِيري والمدَيْهش والجَوْعي .

ومن ذرية عبدالله عائلة : القصيِّر .

ومن ذرية علي : الحمود العَصَالي والخوالدة (بالتاء المربوطة) وآل عبدالله والفهد والفواويز .

وكذلك توجد عائلتان بالشقة وهما الرشيد والسُّعُود وهما من فرع ولد محمد المتقدم ذكره ولكنهم ليسوا بأشقاء للعوائل الأربع المنتمية لمحمد ، بل هم أبناء عمومة لهم ولم أذكرهم مع أولاد محمد لأنهم يعرفون بالشقة السفلى بآل عبدالله المحمد ولم أذكرهم في آل عبدالله لئلا يختلطوا بآل عبدالله فينسبون إلى غير أبيهم .

وبعد لقد أطلت عليكم يا سيدي ولكن عذري أن ما أرسلت به إليكم أمر يجب التحري فيه والدقة والتروي كي لا تختلط العوائل وينسب أناس إلى غير نسبهم .

ملاحظة : استقيت هذه المعلومات من شيوخ كبار من سكان الشقَّة السفلى وقد دونت تلك المعلومات من أفواههم .

كما اطلعت على ورقة قديمة فيها معلومات نافعة عن هجرة حتايت جدنا الأكبر وعن أبنائه وما تفرع عن أولئك الأبناء من أبناء وهكذا .

المدينة المنورة : عبد العزيز بن سليمان بن ابراهيم البعيمي

العرب : ما ذكره الأخ عن (حتايت) يخالف ما ذكره ابن لعبون وابن عيسى في تأريخيهما ، ومن نقل عنهما — في أمرين :

أوَّلُهَا نسب حتايت : فقد جاء في تاريخ ابن لعبون — القسم الذي لم يُطبَع — ما نصُّهُ :

أوّلُ مَنْ سُمِّيَ لنا من أجدادنا حُسَيْنٍ — أبو علي ، وهو من بني وائل ثم من بني وَهْب ، من الحسنة .

وكان لوَهْب ولدانِ وهما مُنبِّه وعلي — وهو جَدُّ وِلْد علي المعروفين اليوم .

ولِمُنبِّه وَلَدَان وهما حسن ، جَدُّ الحسنة ، وصاعد جَدُّ المصاليخ .

ولصاعد ولدانِ وهما يَعِيش وقوعي (؟) ، والنَّسْلُ لهما .

وحتايت — جَدُّ آل حتايت المعروفين من وَهْب ، من النُّوَيطات — وذكر أنَّ وهبا من بني وائل .

كما ذكر أن حتايت جد سَلِيم الذي هو جَدُّ آل عقيل .

والأمر الثاني : زمن انتقال حتايت من أُشيقر : فقد ذكر ابنُ لَعْبُون أنَّ انتقال بني وائل من أُشيقر كان قبل القرن الثامن ، حيث ذكر أنَّ آل مُدْلج ، وهم من بني وائل الذين انتقلوا من أُشَيْقر ، عمروا التُّوَيم في حدود سنة ٧٠٠ .

وأنَّ آل (ابو ربَّاع) سكنوا حَرْمة في ذلك الوقت ، وآل أبو ربَّاع من وائل ، وأنهم عمروا حُرَيملا (سنة ١٠٤٥ وأنَّ سَلِيْماً جَدَّ آل عَقِيل جَدَّ آل هُوَيْمل — الذين منهم آل عُبَيِّد في التُّوَيم ، والقَصَارَى في الشِّقَة وآل نصرالله في الزُّبير — استوطن التُّوَيم مع آل مُدْلج الذين عمروا التُّوَيم ، وأن سليماً جدّ آل عقيل قدم على ابن مُعَمَّر من بلدة التُّوَيم فنزل عنده في بلد العُيَيْنة ، فأكرمه ، ونشأ ابنه عَقِيل بْن سُلَيم ، وصار أشهر من أبيه . انتهى .

و« **العرب** » ترجو أن تَتَلَقَّى من المعنيِّين بهذه الأمور — عن هذه الأسرة وغيرها — ما تحسن إضافته إلى الكتاب الذي سيصدر قريباً .

« بلاد الجوف - أو - دومة الجندل »

[صدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر كتاب « الجوف — أو — دُومة الجندل » تأليف الأستاذ الشيخ سعد بن جنيدل . وها هي مقدمته التي كتبها صاحب هذه المجلة . ويجد القارىء — في موضع آخر مبحثا من مباحثه من الجزء الآتي] .

قدّم لي الأخُ الكريمُ الأستاذُ سعدُ بنُ عبدِالله بنِ جُنَيْدِل هذا الْمُؤَلَّفَ عن « بلاد الجوفِ » وَرَغِبَ نَشْرَهُ ضِمْنَ ما تنشره (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) فرأيتُ أنه بتقديمه لي قد أَفْضَلَ عليَّ .

فأنا مِمَّنْ يَرَوْنَ أَنَّ الجوانِبَ الاجتماعيةَ والجغرافيةَ في بلادنا لم تَنَلْ من الدراسةِ والبحثِ ما يوضّحها للدارسين المعنيّين ببحث تلك النَّواحِي توضيحاً وافياً .

والأستاذ سعد ممن عَانَى طرفاً من ذلك بتأليف القسم المتعلق بـ(عالية نجد) من كتاب « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعوديّة » معاناةً أبرزت فيه الباحثَ المتعمِّقَ ، الواسِعَ الاطلاع .

وكنت أَتَمَنَّى لو أَنَّ جُزْءاً مما يُصْرَفُ في سبيل نشر كثير من المؤلفات الحديثة — شعراً وقصّة ومقالاتٍ — خُصِّصَ لنشر كتب أخرى ، أعمق صلة بحياتنا ، وأوثق ارتباطاً ببلادنا .

وبلاد الجوف — التي أُلِّفَ عنها هذا الكتاب — أَثِيرَةٌ في نفسي ، فقد سعدت بزيارتها مرّاتٍ ، وعرفت — بين من عرفت من أهلها — أميراً من خيرة من عرفت من الأمراء خُلُقاً وتَوَاضُعاً ، ومَحَبَّةً لفعل الخير ، وحرصاً على أن ينال هذا الجزءُ الحبيبُ من بلادِنَا نَصِيبَهُ من التَّقَدُّمِ والإصلاحِ كامِلاً غير منقوص . وما أسعد بلاداً ينظر أميرها إليها هذه النظرة ! !

ولهذا لَمْ أَستَطِلْ ما تَحَدَّثَ به المؤلفُ عن هذا الأمير الجليل .

وهي بلاد تحدَّثت عنها ــ وأطلت الحديث ــ في كتابي «في شمال غرب الجزيرة» وفي «شمال المملكة» أحد أقسام «المعجم» وهي إطالة لم تُوْفِهَا حَقَّهَا وإنْ حَاوَلْتُ فيها الاستقصاء والشمول .

وَتَمَنَّيتُ أن تتوالَى الكتابةُ عنها ، وأن أَجدَ فيما كتبه الأستاذُ سعدٌ ، وأنْ يَجدَ غيري من القرّاء ما يُضِيْفُ جديداً أو يجلو غامضاً ، أو يبحث جانباً من الجوانب الجديرة بالدراسة ، لَمْ يُبْحَثْ من قبل .

والقارىء ــ متى كانت نظرته إلى هذا الكتاب مُنْصَبَّةً على موضوعه فحسب ــ سيجد فيه الكثير مما يتطلع إلى معرفته عن تلك البلاد .

أمّا أنا فقد وجَدْتُ فيه ما اعتَدْتُ أن أجده في كثير من كتابات أخي الأستاذ سعد من الإمتاع والفائدة ، مع التجاوز عما فيه من الاستطراد ، والتوسع في الحديث عما ليس في صميم الموضوع ، أو عن بعض النواحي الخاصة .

لقد صحّح كثيراً من أخطاء الْغَرْبِيِّيْنِ اللَّذَيْنِ زارا بلاد الجوف ، بعد أن قارن بين أقوالها وبين ما شاهده وما عرفه من أحوال هذه البلاد .

ومما تجب ملاحظته أن ترجمة رحلة (فالين) المعربة باسم «صور من شمال جزيرة العرب» فيها أخطاء ، وفيها تصرف من المعرب بحذف وتغيير ، بحيث لا يصح الاعتماد عليها .

ولقد حوى هذا الكتاب معلوماتٍ عن جغرافية عن هذه البلاد بصفة عامَّة . وعن أحوال سكانها ، وأوفى الحديث عن تاريخها القديم ، وتوسع في الحديث عن باديتها .

وفي هذا مَغْنَمٌ كبير ، إذا قُورن بما ليس من صميم الموضوع وهو يسير :

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا
كَفَى الْمَرْءَ نُبْلاً أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ ؟!

☐ — **الأمثال :**

(مركز البحث العلمي واحياء التراث الإسلامي) في (كلية الشريعة) في (جامعة الملك عبد العزيز) له نشاط في نشر التراث ، وآخر ما أُصْدَر من الكتب كتاب «الأمثال» لأبي عبيد القاسم بن سلاَّم (٢٢٤ هـ) ومعروف أن هذا الكتاب قد نُشر شرحه لأبي عبيد البكري الأندلسي ، ومعروف أيضاً أن الشرح يمتاز على المتن ويفضله غالباً .

ولعلَّ مما حدى إلى نشر هذا الكتاب وجود أصول جيّدة مخطوطة له ، أو أن الدكتور عبد المجيد قطامش الذي تولى تحقيقه كان بدأ في عمله قبل نشر شرح البكري الذي حاول أن يقلّل من عمله بأنه (شديد الاعتداد بنفسه مما دعاه إلى التعريض بأبي عبيد تارة ، والتسرع في تخطئته بغير حق ومؤاخذته بذنب النساخ) .

ومهما يكن فعمل (مركز البحث العلمي) عمل نافع . وحبَّذا لو اتجه لما لم ينشر من

← و(دار اليمامة) بنشر هذا الكتاب ، لا تُقَدِّمُ أثراً من آثار أحدِ أدباء هذه البلاد . وأحد المهتمين بالدراسات الجغرافية من أبنائها اهتماماً مُجْدِياً فحسب ، بل تُضِيْفُ إلى ذلك إتحافَ القُرَّاء بمعلوماتٍ قد تكون أَوْفَى ما جُمِعَ عن جُزْءٍ حبيب من بلادهم .

وما أحوجنا إلى أن نَجِدَ عن كلِّ جزء من أجزاء بلادنا من المعلومات مِثْلَ ما قدمه لنا الأستاذ الكريم سعد بن جنيدل في هذا الكتاب !!

الرياض جمادى الأولى ١٤٠١ هـ

حمد الجاسر

الكتب ككتاب «النسب» لأبي عبيد الذي يظهر أن محقق كتاب «الأمثال» لم يعرف أن له مخطوطة في مكتبة (مغنيسيا) في (الأناضول) في تركية[1].

ولقد طبع كتاب «الأمثال» طبعاً (مُوَسَّعاً) بالقطع الكبير، فجاءت المقدمة من ٣٢ صفحة، ثم الكتاب في ٣٦٣ صفحة ثم الفهارس في ١٤٧ = ٥١٠ والطباعة وضوحاً وجودة ورق وحسن إخراج مما يبهج.

وقد طبع الكتاب في العام الماضي (١٤٠٠هـ ١٩٨٠م).

☐ — فرحة الأديب:

الحسن بن أحمد المعروف بالأسود الغندجاني من أبرز الأدباء في القرن الرابع الهجري[2].

ومن مؤلفاته: «فرحة الأديب في الرد على ابن السيّرافي في شرح أبيات سيبويه».

وقد قام الدكتور محمد علي سلطاني الأستاذ المساعد في كلية الآداب بجامعة دمشق، بتحقيق هذا الكتاب، تحقيقاً يدل على بالغ جهد، فجاء في ٣٨٠ صفحة — بطباعة حسنة في (مطبعة دار الكتاب بدمشق) وصدر هذا العام ١٤٠١هـ (١٩٨١م).

ويظهر أن المحقق الفاضل سيصدر مؤلفات أبي محمد الاعرابي الغندجاني، فقد عنون هذا الكتاب بعنوان (مكتبة الغندجاني).

والواقع أن مؤلفاته تحوي من المعلومات عن أخبار العرب وأشعارهم الكثيرَ مما لم يصل الينا فيما بين أيدينا من المؤلفات، أو مما يصحح كثيراً منها. فهي لهذا جديرة بالنشر.

☐ — الإبحار في ليل السجن:

هو اسم ديوان الأستاذ الشاعر محمد الفهد العيسى سفير المملكة الآن في دولة الكويت.

وهو ثالث ديوان له طبع، وسابع دواوين شعره. وهو مصدر بدراسة وافية عنه تقع

---

(١) أنظر العرب س ١٥ ص ٤٨٢ وس ١٦ ص

(٢) له ترجمة مطولة في «العرب» س ٩ ص ٢٧٠، ٣٥٠، ٦٠١، ٤٧٨.

في ٣٢ صفحة كتبها الأستاذ رجاء النقاش ختمها بجملة : (وأخيراً فإننا نستطيع دائماً أن نقول عن محمد الفهد العيسى : هذا شاعرٌ وإنسان).

وبَدَأها بقوله : (هذه التجربة التي تسيطر على الديوان هي تجربة الروح التي تريد أن تتحرر من القيود ، وأن تنطلق بغير سدود).

أما محتوياته فأربعون مقطوعة ، لا تخضع كلها لبحور الشعر وأوزانه المعروفة.

وأما طباعته — من حيث الاناقة والجودة حَرفاً وورقاً وحسن إخراج فاذا يمكن أن يقال عن مطبوعات (تهامة) فهو الحلقة الـ(٢١) من السلسلة التي تصدرها بعنوان (الكتاب العربي السعودي) ويقع في ٢٩٢ صفحة ، وصدر عام ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م).

☐ — فهرس مخطوطات جامعة الرياض

وأصدرت (عمادة شؤون المكتبات في جامعة الرياض) المجلد الرابع من (فهرس مخطوطات جامعة الرياض) يحوي (الحديث وعلومه) في مجلد بلغت صفحاته ٤٣٠ من القطع الكبير على أحدث طريقة وأوضحها في عمل الفهارس ، مما يُيَسِّر للمطالع الاهتداء إلى اسم الكتاب الذي يبحث عنه بسهولة وسرعة.

وقد طبع على الآلة الكاتبة ، ثم صُوِّرَ في (مطابع جامعة الرياض).

وصدر عام ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م).

☐ — موجز تاريخ الطب :

وصدر للدكتور يوسف عبدالله الحميدان الجزء الثاني من كتاب «موجز تاريخ الطب» مرحلة ما قبل الإسلام.

والدكتور الحميدان أنشط طبيب عرفته بلادنا في مجال الكتابة ، منذ كان طالباً حتى أصبح ذا اعباء ثقيلة في عمله الآن في (وزارة الصحة) التي يشرف الآن — بالإضافة الى عمله — على المجلة التي تصدر الوزارة . ويشارك في النشاط الثقافي في (النادي الأدبي) و(جمعية الثقافة والفنون) التي أصدرت مؤلفه عن تاريخ الطب الذي مزج فيه

بين قضايا طبية بحتة وبين عرض جوانب تاريخية عن بعض الأطباء المتقدمين ، مما جعل المرء عندما يقرأ هذا الكتاب يستهويه أسلوبه فيسترسل في القراءة بدون ملل والكتاب موجز ــ كاسمه ــ في أقل من ١٧٠ صفحة وفيه رسوم . وقد صدر الكتاب هذا العام ــ فيما يظهر ــ اذ لم يؤرخ زمن طبعه .

☐ ــ **ديوان ضياء الدين رجب :**

وصدر ديوان الأستاذ الشاعر ضياء الدين رجب (١٣٣٥ / ١٣٩٦ هـ) مطبوعاً بنفقة سمو الأمير عبدالله الفيصل ــ أجمل طباعة عرفتها الطباعة العربية في ٤٥٦ صفحة ــ من القطع الكبير ــ ويقع في ثلاثة أقسام :

١ ــ زحمة العمر من ص ٢٣ الى ٣٤٠

٢ ــ سبحات من ص ٣٤٥ إلى ٤٠١

٣ ــ رثاء من ص ٤٠٧ الى ٤٧٠ .

ثم الفهارس .

أما المقدمة فقد كتب الأستاذ هاشم دفتر دار الذي تولى الإشراف على طبع الديوان مقدمة عن عمله ، وكتب الأستاذ الشيخ محمد علي مغربي دراسة عن شعر الأستاذ ضياء الدين ، دراسة المعجب به .

وشعر الديوان شعر عربي أصيل من حيث بحوره وقوافيه ، وجزالة الفاظه .
وقد صدر في سنة ١٤٠٠ (١٩٨٠) عن (دار الاصفهاني بجدة) .

☐ ــ **قبائل الطائف واشراف الحجاز**

مؤلف حديث للأستاذ الشريف محمد بن منصور آل عبدالله بن سرور . يتَّصِفُ بالعمق ودقَّة التَّحري كما يحوي تفصيلاً وافياً في تفريع القبائل التي تقع بلادها في منطقة الطائف .

وفي الكتاب بحث وافٍ عن فروع الاشراف في الحجاز .
ولهذا يعتبر الكتاب في موضوعه من المصادر التي لا يستغنى عنها من يُعْنى بدراسة

أنساب العرب .

وطباعة الكتاب حسنة في ١٦٤ صفحة من القطع الكبير — مطبوعاً هذا العام (١٤٠١هـ) بمطابع (دار الحارثي للطباعة والنشر في الطائف) .

☐ — **مصادر اللغة** :

ومن منشورات (عمادة شؤون المكتبات في جامعة الرياض) كتاب «مصادر اللغة» تأليف الدكتور عبد الحميد الشلقاني في معهد اللغة في (جامعة الرياض) .

ويحوي الكتاب بعد المقدمة التي تناولت البحث عن اللغة هل هي توقيف وإلهام ووحي ، أم اصطلاح ووضع — مع التطرق لمباحث أُخرى .

الباب الأول : القرآن الكريم

الباب الثاني : دور الحديث في مصادر اللغة .

الباب الثالث : الشعر .

الباب الرابع : العربي والمعرب من الكلام .

وتحدث في هذا الباب بتوسُّع عن كتب الأمثال .

ثم المصادر والمراجع وقد شغلت من الكتاب أكثر من ثُلُثِ صفحاته (من ص ٢٥١ الى ص ٣٥٠) وقد طبع بمطابع جامعة الرياض سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) .

☐ **رحلات وذكريات**

سجل الأستاذ عبدالله بن حمد الحُقَيْل جوانب من ذكرياته في رحلاته العديدة في كثير من اقطار العالم في كتاب دعاه «رحلات وذكريات» جاء في ٢٠٨ من الصفحات ، قدمه الأستاذ عبدالله بن خميس فوصف المؤلف بأنه (أديب بارع ذوّاقة ألَّف في الثقافة والادب والتربية والتراث والاجتماع) وأن أسلوبه لانشاز في تعبيره ، ولا تكلف في لفظه ولا مبالغة عندما تدعوه العاطفة) .

وقد صدر الكتاب في العام الماضي (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) مطبوعاً بمطابع الفرزدق في الرياض .

□ — لبيد بن ربيعة العامري :

وكرم الأستاذ الدكتور يحيي الجبوري الأستاذ المساعد بجامعة بغداد وجامعة قطر باتحاف مجلة «العرب» بنسخة من كتابه «لَبِيْد بن ربيعة العامري» طبعته الثانية التي صدرت هذا العام (١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م) عن (دار القلم في الكويت).

وأصل الكتاب — كما أوضح المؤلف الكريم (رسالة جامعية تقدم بها لكلية دار العلوم في القاهرة، فحازت درجة الدكتوراة بمرتبة الشرف الأولى).

والدكتور يحيي الجبوري من أبرز المعنيين في هذا العصر، بالاهتمام بالشعر العربي القديم، إن لم يكن أبرزهم. فله نحو عشرين مؤلفاً تتعلق به، وقد جمع أشعار ثلاثة عشر شاعراً وقدم دراسات عن شعر المخضرمين وعن الشعر الجاهلي، وله غير ذلك من البحوث المتعلقة بالشعر.

وكتاب «لبيد بن ربيعة» حافل بما يتصل بحياة هذا الشاعر أو بشعره، وقد وقع في مجلد بلغت صفحاته ٥٥٨ بطباعة حسنة.

□ — جريمة الرشوة

وكتاب «جريمة الرشوة في الشريعة الإسلامية مع دراسة نظام مكافحة الرشوة في المملكة» من الدراسات الحديثة التي قُدّمت للمعهد العالي للقضاء، لنيل درجة (الماجستير) أعَدَّ هذه الدراسة عبدالله بن عبد المحسن الطُّريقي. وقامت (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) بطبع الكتاب، وأفضل الدكتور صالح الفوزان مدير المعهد العالي للقضاء بنسخة منه لمجلة «العرب» وهو يعالج مرضاً اجتماعياً خطيراً ما تفشَّى في أمة إلا حلَّ بها الفناء إذا لم يعالج بالاستئصال قبل استشرائه.

وصدر في عام ١٤٠٠ عن مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض في ٢٣٦ صفحة بطباعة حسنة.

---

(١) أنظر عن (المواضع التي ذكرها لبيد في شعره : «العرب» س ٧ ص ٣٢١ ، ٤٢١ ، ٥١٥ ، ٥٩٧ ، ٦٥٣ ، ٧٥٩ ، ٨٢٩ ، ٨٩٨ وس ٩ ص ١٠٤/٢٩ .

□ — من وحي الرسالة الخالدة :

أبحاث قال مؤلفها الأستاذ محمد علي قدس في مقدمتها : (وما بين يدي القارىء ليس إلا جهد سنوات عكفتُ خلالها على البحث في شؤون المسيرة الإسلامية الخالدة ورسالتها التي دونها كل الرسالات) .

ومن تلك الأبحاث : قصة بناء البيت — في ذكرى مولد النور — مصعب الخير — شرعة الصيام — الحضارة الإسلامية — النظم الإدارية في الدولة الإسلامية .. وغيرها .

في كتاب بلغت صفحاته ١٠٨ نشره (نادي جدة الأدبي) وطبع في مطابع الروضة في جدة . ويظهر أنه صدر هذا العام (١٤٠١هـ) إذ لم يؤرخ زمن صدوره .

□ — تَسَالي

«تَسَالي» من التَّسلية مجموعة من شعر الزَّجل العاميِّ الفكه ، للدكتور حسن يوسف نصيف ، من مطبوعات (تهامة) جاء في المقدمة بعد ذكر المصادر التي تأثر بها الزَّجال الدكتور حسن : (وقد كوَّنتُ من هذا الخليط زجلاً شعبياً سعودياً ، مفرداته وأسلوبه باللغة الدارجة في منطقة الحجاز) .

والزجال في هذه المجموعة يجذب القارىء ويستهويه لمتابعة القراءة بأسلوبه الفكِهِ الساخر ، وباختيار كلماتٍ وجُمَلٍ مُثيرة للضحك . وان كانت لا تخلو من النقد اللاذع .

وتقع هذه المجموعة في ١٤٨ صفحة والطباعة حسنة (لم يُذكر اسم المطبعة) وصدرت هذا العام (١٤٠١هـ ١٩٨١م) وللدكتور حسن نصيف أسلوب مرح ساخر يُحبِّبُ القرَّاءَ في قراءة مؤلفاته ولهذا طبع كتابه «مذكرات طالب» ثلاث طبعات في زمن قصير .

الاشتراك السنوي
٤٨ ريالاً للأفراد و١٠٠ ريال لغير الأفراد
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء : ٨ ريالات

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل هاتف ٤٠٢٢٩١٥
الرياض، المملكة العربية السعودية

ج٥ ، ٦ س ١٦ ذوا القعدة والحجة ١٤٠١هـ أيلول تشرين ١ (سبتمبر/ اكتوبر) ١٩٨١م

حول نوادر الهجري

(الدكاترة) : وَالْعَبَثُ بِالتُّرَاث !!

لي أساتذة وإخوة وأبناء ممن شُرِّف بهم هذا اللَّقَبُ الأعجميُّ ،

ولهذا فإنني أُحِسُّ بأَلَمٍ شَدِيدٍ حِيْنَ أتَحَدَّثُ عَمَّن حاول أَنْ يَضِيفه إلى اسمه بِمُخْتَلَفِ الوسائل حتى إذا تمَّ له ذالك — وما أَيْسَرَ أَنْ يَتِمَّ في أيامنا !! ظهر بَيْنَنَا بمظهر العالم ، وأغار على ما خلَّفه سلفنا الصَّالح من عِلْمٍ بأسوإ أنواع الإغارات ، تَحْريفاً وتشويهاً وسَرِقَةً ومَسْخاً .

ثم وَجَدَ في عَالَمِنَا من يَتَقَبَّلُ منه كُلَّ ذالك وكيف لا و(الجامعات) التي هي معاقل العلوم ، ومنارات الهداية والرشاد هي التي مَهَّدَتْ له الطريق ، لكي يحمل ذالك اللقب الذي يفتح أمامه كل الأبواب ليلج من أيِّها شاءَ ، مُدَرِّساً في الجامعة ، أَوْ بَاحِثاً أو مُوَجِّهاً في أيِّ جانبٍ من جوانب الثقافة ، وفي أيِّ معهد من معاهد العلم .

وليت الأمرُ وقف عند حدٍّ ما ذكره الأستاذ (الدكتور) حسين مؤنس عن الألقاب من أنَّها أغطية وأقنعة نَسْتُرُ بها الجهل أحياناً ، ونكسب بها لقمة العيش في أكثر الأحيان «العرب» هذا الجزء — وأنَّ الأساتذة يَنْسَوْنَ أنه إذا كانت الشهادات حقاً للطالب ، لأنها رِزقٌ ومعاش فإنَّ الدراسات العليا حقٌّ للجامعة ، لأنها المعمل الذي تُعدُّ فيه الجامعات هيئآت التدريس ، وإطارات البحث والدراسات ، والتعليم الجامعي القادمة .

لا ! ! إن الأمر لم يقف عند حدِّ تهيئة وسائل العيش لهذا الذي مُنح تلك الشهادة بالطريقة التي يصفها (الدكتور) حسين مُؤنس بأنها كلها (مَسْرَحِيَّة) مرتبة محبوكة .

إنّ الجامعة التي تمنح تلك الشهادات تُقَدِّمُ للطالب آلات (التشريح) لكي يقدم على جِسْمٍ سَويٍّ خُلِقَ في أَحْسَنِ تَقْوِيم ، حتى يُبْرِزَهُ في أَبْشَعِ صُورَةٍ ، ثم ينال كفاء عمله ذالك اللقب الذي يلوّح به — كسيف أبي زَيْدٍ الهلالي — دائماً وأبداً في ميادين العلم ، غير هيَّابٍ ولا وَجلٍ ! وَوَيْلٌ لمن يقف في وجهه إنَّه (دكتور) و(أكاديمي) ! ! لا أقول بأَنّني ابتُلِيْتُ بأحد هاؤلاء ، ولكنني أُعبِّر والأسَى يعصر قلبي رحمة بأخٍ انتظم حديثاً في سلك أولئك وأنا السبب من حيث لا أشعر ومن حَيْثُ لا أُرِيْد .

كنتُ عُنِيتُ بدراسة كتاب «التعليقات والنوادر» للهجري .

حين اطلعت على قطعة منه في (دار الكتب المصرية) منذ أكثر من ربع قرن ، ثم كتبت عن الهجري في «اليمامة» أول مجلة صدرت في الرياض في سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٣) ثم في «مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق» المجلد الـ٢٨ — في جزء شوال سنة ١٣٧٢ وجزء محرم سنة ١٣٧٣ .

ثم في سنة ١٣٨٨ (١٩٦٨م) ألفت كتاباً بعنوان : «أبو علي الهجريُّ ، وأبحاثه في تحديد المواضع» صدر في ذلك العام ، وبعد صدوره بثلاث سنوات زارني — وأنا في بيروت — إنسان قدم لي نفسه بأنه من إخواني طلبة العلم في بغداد ، وبعد الاستئناس قال : إنه يريد أن يُقَدِّم رسالة جامعية (ماجستير) ويريد مني مساعدته . فاستوضحتُ منه عن الموضوع الذي يريد تقديم الرسالة عنه فقال : (في الأدب أو اللغة) ! ! فأوضحت له ضرورة حصر موضوعه في جانب من جوانب هذين الْعِلْمَيْنِ ، وتوسَّمْتُ فيه الرَّجُلَ الْبَعِيْدَ عن الجوّ العلمي . فبادرني قائلاً : عرفت أن عندك كتاب الهجريّ مخطوطاً ، فهل تسمح لي بالإطلاع عليه لعلي أستفيد منه ، فأفهمته أن لدي قطعتين مصورتين من كتاب «النوادر والتعليقات» للهجري ، إحداهما أصلها في الهند والأخرى في مصر ، وأنني أَلَّفتُ كتاباً عن الهجري ، وتناولتْ نسخة منه وقلتُ له : هذه هديّة مني لك . فقال : أُحِبُّ الاطلاع على المصورة فناولته مصورتي القطعتين ، فقال :

ارغب الاطلاع عليهما في وقت أطول من هذا الوقت. فسمحت له بأخذهما معه على أن يعيدهما إليّ.

غاب الرجل شهوراً وكدتُ أنْسَى الأَمْرَ، حتى دخلي علي في مكتبي في بيروت قبل الحرب التي حدثت فيه بزمن قصير، فقدم لي (لُفَافَةً) قال: إنها تحوي مصورتي كتاب الهجري، فشكرته وانصرف مُسْرِعاً.

ثم في جمادى هذا العام لم أشعر إلا بكتاب يصل إليّ من الأستاذ الدكتور علي جواد الطاهر من بغداد كِدتُ أقْفِزُ مِنَ الْفَرَح لمَّا قَرَأْتُ عنوانه «التعليقات والنوادر» لأبي علي هارون بن زكريا الهجريّ، لأنني عرفت هذا الكتاب مصدراً من مصادر اللغة والأدب والنسب وتحديد المواضع في الجزيرة في القرنين الثالث والرابع الهجريَّين، لا يتقدّمُهُ مصدر، بل قد يكون الوحيد في ذالك بالنسبة لما يتعلق بجزيرة العرب في ذالك الوقت.

ولكن ما أسْوَأ الصَّدْمة حين قرأت صفحات من ذلك الكتاب — وهو الجزء الأول — دراسة وتحقيق الدكتور حمود عبد الأمير الحمادي — نشر وزارة الثقافة والإعلام — في العراق — مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل.

ما كنتُ أتوقع أن صاحبي الذي زارني في بيروت هو الذي أصبح (دكتُوراً) وحقق هذا الكتاب حتى قرأتُ في المقدمة قوله: (فاضطررت للسفر إلى بيروت للاستعانة بالنسخة المصورة لدى الشيخ حمد الجاسر، ذالك الفاضل الذي لا يَبْخَل على تلاميذه بعلمه، فقد وضع أمامي تجاربه، ونفعني بالشيء الكثير)!!

ولكن أيها (الدكتور) الفاضل بِمَ كافأته؟! إنك أغْرَتَ على جُهْدِهِ وعَمَلِهِ في كتابه، فجعلته مادَّة ما قدمته لنيل شهادتك، وَلَمْ تَتَوَرَّعْ مِن أن تُوَجِّهَ إليه سهام نَقْدٍ هو نَفْسُهُ الذي يَرَى تلك السِّهَامَ، فَلَمْ تَكُنْ من الأمانة بالمكانة التي توسَّمَك منها.

ولقد أشَرْتُ إلى عمله في «العرب» س ١٥ ص ٨٠٥ — عند نشر النقد الذي بعث به المحقق الدكتور إبراهيم السامرائي، والذي افتتحه بقوله: (لقد أقتحم الدكتور الحمادي هذا الأمر اقتحاماً، لم يَتَهَيَّأْ له، ولم يَحْسبْ له الحساب).

إنَّ هذا هو الحقُّ ولكن ماذا يقال للدكتور رمضان عبد التواب الذي شجعه على اختيار الكتاب موضوعاً لرسالة الدكتوراه ، ولزميليه الدكتورين بدوي طبانة ومصطفى الشكعة ــ حين منحوه درجة (الدكتوراه) على هذا العمل الذي أوله سَطوٌ على جُهْدِ غيره وآخره عَبْثٌ وإفْسادٌ وتحريفٌ وتشويهٌ لنصوص كتاب جدير بالصيانة عن عَبَثِ العابثين .

لا أريد أن أُطيل الحديث عن الجانب الأول من عمله ففي استطاعة كل قارىء أن يرجع النصوص والآراء التي أوردها إلى أمكنتها من كتابي «أبو علي الهجري وأبحاثه في تحقيق المواضع» حتى المصادر التي اعتبرها من مصادره نقل أسْمَاءها من ذالك الكتاب ولم يَطَّلِع على شَيْءٍ منها .

ولا أريد أن (أَصِمَ) الدكتور رمضان عبد التواب وزميليه بوصمة عدم الاطلاع على كتابي ، ولا بأنه ــ وقد أقام في الرياض ــ قد عرف كتابي عن الهجري ! !

ولكنني أعجبُ حقاً كيف مُنح الحمادي شهادة (الدكتوراه) وعمله الذي سأعرض نماذج منه أوضح دليل على أنه لا يحسن قراءة النصوص فضلاً عن فَهمها وتحقيقها .

إنه لم يستطع قراءة المخطوطة ، فاكتفى بنسخة حديثة نسخت عن الأصل المحفوظ بدار الكتب ، ولم يَسْتَفِدْ من المصورة التي استعارها مني .

أما القسم الآخر من الكتاب الموجود في إحدى مكتبات الهند ، الذي قدمت له صورته ، ووصفته في كتابي ، الذي أهديته نُسخة منه ، فلعجزه عن قراءة الخط القديم تجاهل هذا القسم ، قال في المقدمة ــ ص ٣٢ ــ: (وذكر الشيخ حمد الجاسر أن هناك نسخة أخرى أو رُبَّما قطعة أخرى في مكتبة الجمعية الآسيوية في مكتبة الهند لم نحظ بها ، رغم محاولاتنا العديدة) .

ما هذا ؟ لقد قدمت لك صورتها فصورتها ثم إنني لم أُقل إنها نسخة أخرى ــ كما نَسَبْتَ إليَّ ، وأحَلْتَ إلى ص ١٥٨ من كتابي ــ بل قلتُ إنها قطعة أخرى من الكتاب ، ووصفتها وصفاً تامًّا (من ص ١٥٦ إلى ١٦٢) وصَوَّرْتُ ثلاث صفحات منها ونقلت عنها كثيراً في كتابي .

بسم الله الرحمن الرحيم

بغداد في ٨ / ٢ / ١٩٨٦

سيادة العلامة الفاضل الاستاذ حمد الجاسر حفظه الله

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

سيدي الكريم أكتب لكم مع الأخ الفاضل الأستاذ عبد الكريم الحاجم حاملاً اياه الجزء الأول من (كتاب التعليقات والنوادر للهجري) راجياً أن ينال رضاكم. وهو من ثمار أفضالكم التي سعدت بها والتي أشرت اليها في مقدمة الكتاب المذكور، راجياً المعذرة من التقصير ... والله يبقيكم ذخراً لهذه المعاجم الكبيرة.

سيدي الفاضل أرجو أن أحظى - لو تفضلتم - بملاحظاتكم وما ينشر عنه في مجلتكم الغراء ان شاء الله

سيدي المحترم بذلت المزيد من الجهود للحصول على (ميكروفلم) للنسخة الهندية المتممة له والتي أشرتم اليها في كتابكم - ابو علي الهجري - لأتمكن من مواصلة العمل اتماماً للفائدة، وبعد وصولها - ومع الأسف - لم تتم الفرحة، لعدم العناية بتصويرها حيث لم تظهر أكثر صفحاتها برغم ما بذله الأخ الدكتور نوري القيسي في المجمع العلمي من محاولات.

فان أمكن - لو تفضلتم علينا - بصورة منها بواسطة يد أمينة لي أو عن طريق سيادة الدكتور نوري القيسي أكون عاجزاً عن تقدير أفضالكم وعواطفكم الشريفة.

كما أرجو لطفكم - ان سمحتم - بعنوان الاستاذ العلامة اسماعيل الأكوع لأتشرف بارسال نسخة له. لأنني لم أحفظ بعنوانه.

ختاماً أسأل الله لسيدي الصحة والعافية مع شكري واعتزازي وتحيتي وتحية الاستاذ: الدكتور نوري القيسي وأنا الأكرم من رعايتكم،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المخلص

د. محمود الحادي

بغداد - حي الجامعة ٢/٢/٨٦

وها أنت حين علمت بأنَّ هناك من يضع أمام القرَّاء الأمر جليًّا كتبت إليَّ تطلب صورة أخرى متعللاً بعدم وضوح الصورة التي لديك ولا أدري إلى مَنْ يُوَجَّهُ الملام ، وعلى مَنْ تُلْقَى التَّبِعَةُ في العَبَثِ بهذا الكتاب الذي لا يزال مجهول القَدْر ؟!

إنَّ الأخ الحمادي ـــ وإنْ كانَ أداةَ ذالك الْعَبَثِ ـــ عَمِلَ حِيَالَهُ ما وَسِعَهُ عَمَلُهُ ، ولو قدر على أحسن من ذالك لما بخل به .

لا أحق في ذلك من (الدكاترة) رمضان عبد التواب وأحمد طبانة ومصطفى الشكعة الذين تولوا كِبْرَ ذالك الأمْر ، ومن قسم النَّشْر في (وزارة الإعلام) الذي أقدم على نَشْر الكتاب ـــ على عِلاَّتِهِ وعِلَلِه قَبْلَ عَرْضِهِ على أحد العلماء ـــ هاؤلاء أولى وأوَّل مَنْ يُؤاخذ على عمل الأخ الحمادي ، الذي اكتفى بعرض أمْثِلَةٍ منه ، قد تكون كثيرة ، ولكنَّ عَرْضَها يُفِيدُ مَنْ وقع في يده نسخة من ذالك الكتاب . ويوضّح أنَّني لم أتَجَنَّ على الرَّجُل .

١ ـــ ص : ٣٩ ـــ فقالت : قف بالله يَا فَتَى ، فإنَّكَ لا تَجِدُ مزيداً إلَّا دون هٰذا وغُشْي عليها) .

قرأها (الدكتور) الحمادي ونشرها : (قف بالله ناقتي) . ولا وجود للناقة في تلك القصة ، ولكنه اعتمد على المخطوطة الحديثة ، وهي مملوءة بالتحريف والتصحيف .

٢ ـــ ص ٣٩ ـــ (وقال : فلم يبْهو بالصباح . أبه يأبه . وقد أَبْتَهَ الرجلُ بالأمر وبالقوم إذا علموا به وفطنوا به) .

غيَّرها إلى (فلم يأبهو ... وقد أبه . وكتب في الحاشية : (في أب : ينتهوا انتهى . وهو تحريف إذ ليس في اللغة أنهى الرجل بالأمر بمعنى فطن إليه . وإنما فيها : أبه له يأبه أبها وأبه أبها فطن) وأحال على «اللسان» .

٣ ـــ ص ٤٠ :ـــ

سلالي أم الـعـمـر فيم يـلـومـهـا	ولم تَأْتِ مكروها ولم تَغْش مأتَمَا
دَعَوْتَ ولَبَّى الناسُ فيها دَعَوْتَهُ	يـلـقَـه مـن شـيبان جَيْشاً عرمرما

كذا قرأ البيتين ، وصوابهما في الأصل :

سَلَاليِ أُمَّ الْعَمْرِ فِيْمَنْ يَلُوْمُهَا ولَمْ نَأْتِ مَكْرُوهاً وَلَمْ نَغْشَ مَأْثَمَا
دَعَوْتُ وَلِيَّ النَاس فما دَعَوْتُهُ يُلَقِّبْهِ مِنْ شيبانَ جَيْشاً عَرَمْرَمَا

٤ ــ ص ٤١ :

جزى الله عَنَّا والِدَيْهَا مَلَامَةً وأصْلَاهُمَا يوم الْحِسَابِ جَهَنَّمَا

قرأ والديها (والبيها) لأنَّ الدال في الأصل مختلطة بالياء .

٥ ــ ص ٤١ ــ كنت ذكرتُ في كتابي عن الهجري ــ ص ١٦٢ ــ أنَّ في نسخة دار الكتب المصرية اضطراب في ترتيب الصفحات ، وعدم اتصال بين بعضها ، مما قد يكون من آثار سقط فيها . فقال (المحقق) هذا أيضاً ــ ص ٣١ ــ فكان عليه أن يحاول إزالة ما في ترتيب الصفحات في الاضطراب ، وهذا من أقل ما يعمله من يتصدَّى لقراءة كتاب فَضْلاً عن دراسته ، أما أخونا فقد ترك ما كان على ما كان ، فبقي ما نَشَرَ ــ كأصله ــ يحوي صفحات وُضِعَتْ في غير موضعها ، ومن ذلك ما جاء في نهاية الصفحة الرابعة من صفحات الأصل : (وليس لك إثبات الهاء في حال الرضاع والعصوف) ثم أول الصفحة الخامسة : (وحضرموت) من هذا ، لأنها في طرف الدَّهْنَاء ، وفيها رَمْلٌ ، حارَّة في القيظ :

ثم تَمَنَّتْ والمُنَى لا تُجْدِي
بئر بني ضميرة بن سعد
ــ إلى آخر الرجز ــ

لقد أشار في الهامش إلى عدم اتصال الصفحتين قائلاً : (خرم في أب لا أعرف مقداره) ولكنه لو تفقد بقيَّة الصفحات ، لوجد صفحتين موقعها قبل الصفحة الخامسة وهما مُتَّصِلتَانِ بها ، وفيهما أول الرجز ، وأَوَّلُ الكلام المتعلق ــ بِحَضْرَمَوْتَ ، وها هُوَ نَصٌّ ما فيها :ــ مع ملاحظة عدم اتصال الكلام بين ما فيهما وفي الصفحة الرابعة الا أنَّ مَحَلَّهُمَا قبل الصفحة الخامسة لاتصالها بها ــ

لما رعى بأرض الشام وشط الفرات[1] ، وما كثر النَّدَى به ، وهو بأرض تميم وأسدٍ السِّهَامُ ، ولولا أنَّ السِّهام مَعْرُوف ، وقد شرحه أبو مُحلِّمٍ في كتاب «الأنواء» لشرحناه .

والمشارُ يَحُثُّ أوبارها . وأنشدني :

هَلَّا سَأَلْتَ والخَبِيْرُ مَنْ سِيْلْ
مَنْ أَخَوَاهَا إنْ تَبَاعَدَ المِيْلْ
واعْتَنَّ مِنْ حَرْشٍ مَلِيعٍ مَجْهُولْ
مَرْتٌ تَغَنَّى بِفَيافِيهِ الْغُوْلْ

المِيْلُ والبِيْنُ واحدٌ .

وسَأَلْتُ أبا سليمان الهُذَلِيَّ فقال : ثمانية أَمْيَالٍ في مثلها .

وقال المُطَرِّفيُّ — من بني أبي بكر بن كلاب — وكان مِنْ أَفْقَهِ مَنْ رأيتُ بِشَرْحِ اللُّغَةِ ، فقال : هو مَدَى طَرْفِك ، وليس يقصي البَصَرُ أكْثَرَ من عشرة أميال [ ] إلى ثمانية أميالٍ ، فأمَّا إذا أَيْفَعْت فأكثر . وأنشد :

أَوْدَى بِصَفْوِ الماءِ من كان بَكَرْ
مَنْ نَامَ نَوْماتِ الضُّحَى مَصَّ الكَدَرْ

وقال : لكل شيء قَفْرٌ ، في مَعْنَى الأُنُفَةِ ، إن لَمْ يَنَلْهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ ، وهو ما اسْتُؤْنِفَتْهُ أيضاً :

ظَلَّتْ قِبَالاً بِرَوابٍ كُبْدِ
وظَلَّ راعِيْهَا بِرأْسِ المُهْدِ

الكُبْدُ : الضِّخَامُ ، والْكَبَدُ الضخامَةُ .

والمُهْدُ واحِدٌ ، والْجَمْعُ أَمْهَادٌ ومُهْدَانٌ ، وهو ما بين الشُّعْبَتَيْنِ ، معناه ارتفاعٌ بَيْنَ انْخِفَاضَيْنِ .

تَرْفَعُ لِلشَّمْسِ وحَرِّ الصُّخْدِ

جَـمَـاجـمـاً في سـالـفـاتٍ جُرْدِ

صَخَدْتُهُ وصَهَدْتُهُ — بالدال — وصَيْهَدٌ للفلاة التي بين نَجْرَانَ).

ثم كلمة (وحضرموت) وما بعدها.

٦ — ص ٤٣ — (الوقيفة والوقائف جميعها الاروى).

أخِّر هذه الجملة عن موضعها وهو قبل (أنشدني المزني) — ص ٤٢ — حيث الشعر ورد بعدها شاهِداً عليها.

٧ — ص ٤٢ — أنشدني المُزَني، لابن نعمة وتَعزَّبَ فقال:

على غِرَّةٍ مِنْ والِيَيْهَا ورُبَّـمَا رُمِيْنَ على الغِرَّات رَمْيَ الوقائف

قرأها: (ولعزب) على غرة والييها).

وقال عن (ولعزب): لم تفصح عنها المصادر شيئاً.

وقال عن المُزَني ما نصه:—
الْمُزَني: أعتقد هو عبدالله ذُوْ الْبِجَادَيْنِ.

المُزنيّ. انظر/ ٣٤ — وأورد — فيما أحال إليه خبر عبدالله بن ذي البجادين حين ساق بالنبي ﷺ سانداً في المغاير من الركوبة، ورجزه المشهور.

ومعروف أن عبدالله هذا توفي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك. و(الدكتور) الحمادي قرّرَ أن الهجريَّ هذا الذي قال إنَّ المزني أنشده من أهل القرنين الثاني والثالث!!

أتُرَى المزنيَّ وهو ممن مات في أول القرن الأول خرج من قبره ليحدث الهجري!! وكم لأخينا الحمادي من أمثال هذه الطرفة من طُرَف.

٨ — ص ٤٣ —

إذَا ما أَتَيْتُمْ منزلاً تَجْهَرُوْنَه به السِّدْرُ عادِيًّا وَبَنِي السَّقَائِفِ

قرأهُ : (وبَيْنَ السقائف) .

٩ — ص ٤٤ :

لها أَجْبُلٌ من حافَتَيْهَا كِلَيْهِا طوالُ الذُّرَى تَرْمِي بِهِنَّ الْوَقَائِفِ

قرأه : (أجْهل) و(تُرْمَى) .

١٠ — ص ٤٤ —:

حَرْب تُوَلِّي غيرها ضَرْبَ الْعَصَا

قرأ الشطر : (تولى غير ضرب)

١١ — ص ٤٥ — من تحقيقات (الدكتور) : (المُزَني : نسبة إلى مُزَينة بنت كَلْب) . لأنه وجد هذا في الكتب .. ومعروف أن كلباً من قحطان ومزينة بن أد بن طابخة من عدنان .

١٢ — ص ٤٧ —:

آخر :

١ — أَفْرِغْ عَلَى جماجم اللِّقَاحِ .

٢ — من بارد في الظل غير ضاحِ

كانت كلمة (آخر) في المخطوطة الحديثة التي اتخذها أصلاً : (الغر) فاعتبرها صحيحة ، وأرهق نفسه في البحث عن معناها حتى فتح الله عليه بما جعله الحاشية الرابعة ، نعفي القارىء منها .

وقرأ كلمة (ضاح) بالصاد المهملة .

وفَسَّرَ الشطر الأول :

(جماجم العرب : رؤساؤهم ، والجمجمة ستون من الابل) ثم أطال الكلام ، وأيَّةُ صِلَةٍ بين جماجم العرب وجماجم اللقاح ؟!

١٣ — ص ٤٨ —: قال عن أُمّ قُرَيْدٍ إحدى اللواتي كتب الهجريُّ نوادرها : (هي

أم قُرَيد الزُّهَيْرِيَّة مِن جشم نسبة إلى زهير بن جشم) — ثم ساق النسب إلى تغلب، فأخطأ إذْ هيَ من زهير من الضباب من بني كلاب من جذم عَدْنان، لا من تغلب الذين من جذم ربيعة وقد أوضحت هذا في كتابي عن الهجري.

١٤ — ص ٤٩ —: لا يعتمد على المحقق الفاضل فيما ينسبه إلى الأصل لأنه لا يحسن قراءته، فقد جاء في هامش (٤٩): (هامش الأصل: جر الحاء في حِوَارٍ أجود، ولك الضم فأما حوار بالكسر الكلام فليس فيه الإحالة هو وحده) كذا وما في هامش الأصل هو: (فأما حوار الكلام فليس فيه إلا الجرّ وحده).

ومثل هذا كثير في الصفحات.

١٤ — ص ٥٠ —:

لَعَمْرُ ابْنَةِ الْفَهمِيِّ خَوْلَةَ إنَّني ... لها بَعْدَ مَنْسِيٍّ الْهَوَى لَذَكُورُ
وإنِّي لَهَا مِنْ غَيْرِ بُغْضٍ ولا قِلًى ... ولا إحْنَةٍ مَحْمُولَةٍ لَهَجُورُ

غير كلمة (الفهمي) إلى العَمْري، إذ لم يستطع قراءة الأولى، وقال: (في أ — ب: الغمسي وهو تحريف) وما في الأصل (الفهمي) لا كما قال. وكسر البيت الثاني بحذف (مِنْ) مِنْ صَدْرِهِ.

١٥ — ص ٥١ —:

أقول لِعَمْرٍ وهو يَعْذِلُ في الصِّبَا ... ونحن بوادي ذي النُّخَيْلِ نَسِيرُ

قرأه وكتبه: (في الضبى).

١٦ — ص ٥٠ —: فسَّر البيت:

وإني بِنَارٍ أوْقَدَتْهَا بِذِي حُسًا ... على ما بعيني من قَذًى لَبَصِيرُ

قائلاً: حسي ذي تمني نخل لبني العنبر، باليمامة. أنظر المراصد.

وأُضيف: واضحك — ان وجدت مَحَلًّا للضَّحك. فأين ذو حُسًا الموضع الذي يعرف الآن باسم (الحسو) و(حسو عليا) في عالية نَجْد، وأين ما ذكره؟!

١٧ — ص ٥١ — : فَسَّرَ اليفاع في البيت :

فَلَا تُشْرِفِي رَأسَ الْيَفَاعِ فإنَّني لِذِي الشَّوْقِ مِنْ رأس الْيَفَاعِ نَذِيرُ

قائلاً : اليفاع : من قرى ذمار في اليمن — أنظر المراصد .

اليفاعُ معروف لغة ، والشاعر نجدي من بني عامر ، وقد ذكر في القصيدة (ذا النُّخيل) الوادي الواقع غرب الحناكية (نَخْل قديماً) ولا يزال معروفاً . فما صلة قرية ذمار ؟ لا صلة إلا أن صاحب «مراصد الاطلاع» ذكرها وهو المصدر الذي يعرفه المحقق الفاضل .

١٨ — ص ٥٢ —: والطلوب من البئار : بعيدة القعر ، والطلوب : اسم بئر بعينها ، وهي بين السُّقيا وبين العرج) .

جاء اسم الطلوب الأولى (الطلون) .

وفَسَّرَ الثانية بأنها : قليب عن يمين سَمِيْرَاء ، في طريق الحاج ، طيب الماء ، قريب الرشاء — المراصد — وفَسَّرَ العرج بأنه قرية جامعة في وادٍ من نواحي الطائف—

ما هذه التعليقات ، إنها ظُلمات بعضها فوق بعض ، فأين الطلوب التي بين السُّقيا والعَرْج الموضعين المعروفين في الطريق بين مكة والمدينة من البئر التي بقرب سَمِيْرَاء أو العَرْج الذي بنواحي الطائف .

١٩ — ص ٥٢ —: الصحابي الجليل الغفاري الذي كانت الطلوب مَنْزِلهُ اسمه نضلة بن عَمْرٍو — بالنون — لا فضلة كما ورد في المخطوطة التي لم تَخْلُ من الأخطاء ككتابة القريتين : (الفريش) ونضلة هنا (فضلة) . وغيرهما من الكلمات .

٢٠ — ص ٥٣ —: علق المحقق على قول الهجري : (وسألت الباهلي) : (واعتقد هو أحمد بن حاتم الباهلي أبو النصر(؟) صاحب الأصمعي المتوفي سنة ٢٣١ هـ ... وتحدث عن باهلة وأحال على «عجالة المبتدي» للهمداني (؟) .

ولا أُطيل : فالباهلي أعرابي روى عنه الهجريُّ كثيراً و«عجالة المبتدي» للحازمي — لا للهمداني .

٢١ — ص ٥٣ :— وسَأَلْتُ الباهليَّ عن تَيْمَنَ فقال : هضبة براس الزرود ، الشريف مَغْرب الشمس من حصن ابن عصام بيوم .

كذا قرأ الحمادِيُّ ما نَصُّهُ في الأصل : (... فقال : هَضْبَةٌ بِرَأسِ الذِّرْوِ ، ذِرْوِ الشُّرَيْفِ) وعَلَّقَ قائلاً : (في أ — ب) : الزرودرو) وهو تصحيف — ثم أضاف خطأً ثانياً فقال : (زرود موضع في طريق مكة بعد الرمل ، فيه قَصْرٌ أصفر ، لعلها سُمِّيَتْ به ، وبركة وآبار — أنظر «المراصد» ٢/٢٦٤) إنه صحَّف (الذِّرْوَ) الذي هو الأعلى ، فأتى بكلام عن (زَرُوْد) وهو موضع يَبْعُدُ عن ذِرْوِ الشُّرَيف مسيرة أيام ولَيَال ، ونقل تعليل صاحب «مراصد الاطلاع» في تسمية زَرُود وهو تَعْلِيلٌ خاطىء فالموضع يعرف باسم زرود قبل بناء القَصْرِ فيه ، الذي قد يكون بني في العهد الإسلامي لمن يحمي المنهل حين يرده الحجاج ، وخير من هذا التعليل ما أورده ياقوت في «المعجم» من أن الاسم من (الزَّرْد) الذي هو البلع ، وقال ما معناه أن زرود في رمال تبتلع الماء فلعلّها سُمِّيَتْ لذلك .

وزرود المنهل لا يزال معروفاً ، وقد تحدثت عنه في كتاب «شمال المملكة» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .

أمَّا تَيْمَنُ الواردة في كلام الهجري فهي — كما قال — تقع في ذِرْوِ الشُّرَيف — أي أعلاه — بقرب ثهلان ، وهي هضبة لا تزال معروفة — أنظر عن تحديد موقعها كتاب «عالية نجد» أحد أقسام «المعجم الجغرافي» وتُدْعَى الآن (تَيْمَا) وهي بقرب بلدة الشَّعْراء .

وهناك تَيْمَنُ ذي طَلَالٍ ، هضبة أخرى بِقُرْب طَلَال — المنهل المعروف الآن ، شرق ذي حُسَا (حِسْوِ عَلْيا) تعرف الآن باسم (تَيْمَا) .

٢٢ — ص ٥٤ :— وقرأ الأخ الحماديُّ : (وكُلُّ ماءٍ سَمَّيْنَا بالشُّرَيْفِ ، وجُذْنَةُ هضْبَةٌ عن الكلاب بِمِيلَيْنِ ، تدفع في الكلاب) وشرح قراءته قائلاً : في (أ — ب) : وكل ماء ، وهو تحريف — وعن جذنة —: لم أجدها في المصادر) ! !

إنَّ صواب تلك الجملة كما في الأصل المخطوط : (وكل ما أسمينا بالشُّرَيف ، وحُذُنَّة

هضبة عن الكلاب بميلَيْن ، تدفع في الكلاب) فهو عَدَّد مواضع كثيرة : ثهلان وذو فلجى وذو يقن والريّان — ومواضع أخرى قال بعدها : (وكلٌّ ما أسمينا) الخ .

وحُذُنَّةُ — بالحاء لا كما صَحَّفَها الأخ — هضبة ليست بعيدة عن ثهلان ولا عَنْ مُجَيْرَات التي قال فيها مُحْرِزُ بن مكَعْبَر الضَّبِّيُّ :— في خبر يوم الكلاب —:

ظَلَّتْ ضِبَاعُ مُجَيْرَاتٍ يَلُذْن بِهِمْ   والحَمُوهُنَّ مِنْهُمْ أَيَّ إِلْحَامِ
حتَّى حُذُنَّةَ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا ضَبُعاً   إلَّا لَهُ جَزَرٌ مِن شِلْوِ مِقْدَامِ

ونُكَلِّفُ الأَخ المحقِّق عَنَتاً لو رُمْنَا مِنْهُ العُمْقَ في البحث ، ولكن الأمر المطلوب منه هو ما في قُدرة القارىء — أي قارىء — أن يقيم النَّصَّ وأن لا يُحَرِّفَهُ حين يعجز عن قراءته ، ثم ينسب إلى الأصل ما ليس فيه .

٢٣ — ص ٥٤ —: وحرف قول الهجري : (وانشدني ابنُ بذَّال الكلابيِّ ، وهذا ابنُ عمِّ ابنِ ثُوَمَةَ ، وراوِيتُهُ في النُّميري ، زوج ابنتها) فَضَمَّ الكاف من (الكلابي) خطأً ، وجعل (النميري) (النمِري) وأتى بحاشية طويلة نسبه فيها إلى النَّمِر بن قاسط . ونسب إلى الأصل ما ليس فيه فقال في (١) : (وروايته) . ولم يُلاحظ أن كاتب الأصل أصلح الكلمة فجعل واواً قبل الياء .

وقرأ (زوج ابنتها) : (زوج ابنته) وادَّعى أن ما في الأصل تصحيف . وَلِمَ لا يرجع الضمير على (ثومة) .

٢٤ — ص ٥٤ —: وصَحَّفَ الجُنَيْبَة في البيت :

أَلَمْ تَرَيا يَوْمَ الْجُنَيْبَةِ لِلْهَوَى   وَلِلأَمْرِ لَمَّا عَزَّنِي الأمر فَاعِلُهْ

فجعلها (الجنينة) وحكم بأن ما في الأصل تصحيف ، لأنه وجد اسم الجنينة أطلقه صاحب «المراصد» على عدة مواضع !! ما أسهل الأمر إذا ما سار (المحقق) على طريقه أنَّ كل ما لم يعرفه فهو غير صحيح !!

٢٥ — ص ٥٦ : ومثال من تحريف الحمادي للنصوص لقد قرأ ما هذا نصه :

(أنشدني الخثعميُّ أَحَدُ بني أوس وهم إلى شَهْرَان) .. قرأه : (أنشدني الخثعمي أحمد بن أُوَيْس ، وهو إلى شهران) وعَلَّقَ على هذا تعليقاً عجيباً ناسباً إلى الأصل ما ليس فيه : (في (أ) : أحد بني أويس . هو تحريف . ورد أحمد بن محمد الخثعمي شاعر ، أنظر ابن خلكان ، ترجمة المهلب بن أبي صفرة) .

ما هذا أَكُلُّ ما وجدنا اسماً يقارب الاسم الذي لم نستطع قراءته على وجهه الصحيح حكمنا على أن الأصل مُحَرَّف ، وجزمنا بأن ذالك الاسم الذي وجدناه في أيّ كتاب وفي أيّ عصر كان ، هو ما ورد في الكتاب الذي وقع فريسة لنا ؟!

وأَيْنَ عَصْرُ الهجريّ من عصر المُهَلَّب بن أبي صُفْرة ؟! إنَّ الخثعمي أحد الرواة الذين روى عنهم الهجري في مواضع ، وهو من بني أوس ، إخوة الأواس ، من شهران .

٢٦ — ص ٥٦ : ومثال آخر في تحريف الاسماء في الحاشية السابعة في سطر واحد ثلاثة أسماء مصحفة الْفَزَع صحف (الفريج) وخَلْف صحف (خلف) وأفتل : (أقيل) .

٢٧ — ص ٥٧ : ومن التحريف في مفردات اللغة : — في ذكر ولد الضان : (وجَمْعُ الطُّليِّ طُلْيَانٌ ، وهو الشُّصْرُ ، وجمعه شِصْرَانٌ ، وبُرْغُزٌ ، وجَمْعُهُ بَرَاغِزُ) . فقرأ الجملة : (وبو غِزٌ وجَمْعُهُ بَوَاغِز) ثم فَسَّرها تَفْسِيراً عجيباً : (البغز : النشاط في الإبل . فيقال لها باغز ، أنظر «اللسان») !! لقد تأَبَّلَ الطُّليُّ !!

ووارحمتاه للغة بل وارحمتاه لأمة يَصِلِ الْعَبَثُ بها على أيدي رجال جامِعَاتِها إلى هذا الحدّ !!

٢٨ — ص ٥٩ :— وصَحَّفَ كلمة (حَيْفَس) في قول الهجري : (رَجُلٌ حَيْفَسٌ ، الشَّدِيْدُ ، المُفْرِطَةُ شِدَّتُهُ) فقرأها : (حَنْفَس) وفَسَّرها فأغرب وأعجب : (الحنْفَسُ والحنْقَسُ الصغير الخلق «اللسان») .

٢٩ — ص ٥٩ : ولا أرى أن يؤاخذ الأخ الحمادي برفع المجرور حين يقول :

(بملتقى الطريقان) فقد (طفح الكيل) !!

٣٠ — ص ٦٠ : والخُمَيْرِيُّ أحد من يروي عنهم الهجري ، يجزم أخونا الحمادي أنه منسوب إلى خمير ، ماء فوق صعدة لبني ربيعة بن عبدالله ، ومصدره «مراصد الاطلاع» الذي ليس فيه كلمة عن الهجري ولا عن رُوَاته .

٣١ — ص ٦١ : وحين تقرأ فيما حققه (المحقق) هذه الجملة : (وبنو محمد تنظر بني جعفر أجمعين ، فكل قبيل عن النبي يليه) يستغلق عليك فهمها ، ولكنك حين تستعين بشرح المحقق يساورك الشكُّ في أنه تصرف في الكلام ، وهكذا كان فالأصل : (وبنو محمد شَطْرٌ بني جعفر أجمعين ، فكل قَبِيلٍ عَمٌّ الذي يليه) ولا عبرة بقول (المحقق) عن تحريف وقع في أصله .

٣٢ — ص ٦٣ : ولما عَدَّ الهجريُّ فصائل بني ماللك بن جعفر قال باختصار (بنو سَلْمَى .. ثم معاوية وهذان ابنا السُّلَمِيَّةِ ، ثم بنو أُمِّ البنين وهم أربعة ... فذاللك ستة) ولكن صاحبنا صحف كلمة وهذان إلى (وهمدان) وعلى هذا غيَّر كلمة (ستة) إلى (سبعة) وقال : (في أ — ب : (ستة) تحريف .

فَهَلْ من عَبَثٍ أسوأ من هذا ؟!

٣٣ — ص ٦٤ : ولم تعجب صاحبنا جُمْلَةُ : (بطون بني عبدالله ، وهم عمارة الضِّباب بن عمرو بن معاوية) فغيَّرها بحذف جملة (وهم عمارةُ الضباب) وقال عنها : إنَّها من خَطَأ النُّسَّاخ ، لماذا ؟ لأنه لم يَفْهَم مَعْنَى العمارة ! إنَّها لطريقة مُرِيْحة ، كل كلمة أو جملة يستغلق على (المحقق) فهمها فَلْيَطْرَحْهَا ، وليحكم بأنها من خَطَإِ النُّسَّاخ .

٣٤ — ص ٦٥ : وقد يضيف (المحقق) كلاماً ليس في الأصل ومثال عمل صاحبنا أنَّ في أصل الكتاب (ذكر الدارات : وحدثني قال : من دارات العرب) فوضع بعد كلمة (حدثني) : منيع بن معضاد الجعفري . وقاعدة التحقيق تقضي بوضع مثل هذا في الحاشية ، وإيراد ما يدل على أنه الذي حدث الهجري .

٣٥ — ص ٦٥ : فَسَّر قول الهجري (دارات العرب بِسُرَّة النجد) قائلاً : البسرة

ـــ بسكون السين هكذا وردت من مياه بني عُقَيل بنجد الأعراف ، أعراف غمرة ، أنظر «المراصد» .

أَخُونا لم يدرك أنَّ الباء حرف جرٌّ ، وأنَّ السُّرَّة هنا يقصد بها وسط نَجْد ، ومسكين صاحب «مراصد الاطلاع» الذي يلقي عليه صاحِبُنا ما أثقله من الأعباء ! وهو أضعفُ من أن يحمل أَخَفَّهَا ! !

أما قوله بأن السين ساكنة فخطأ ، عليها في الأصل ضمةٌ كبيرة .

٣٦ ـــ ص ٦٥ : (ودارة خَتْزَرٍ ، ودارةُ جُلْجُلٍ .

وجِلْجِلُ يمانيةٌ من دور بني الحارث بن كعب) .

قرأ الجملة صاحبُنا : (ودارة خَتْزَة) ولَمْ يُفرِّق بين جُلجُل الموضع المضموم الجيم ، الذي في سُرَّةِ نَجْدٍ ، وجِلْجِل بكسر الجيم الذي في ديار الحارث بن كعب اليمانية ، فضبط الاسمين بالكسر .

٣٧ ـــ ص ٦٦ : (وناحية ضَرِيَّة جَوَّان ، مثل اللَّذَيْنِ في طريق البصرة واليمامة ، فأحدهما جَوُّ هضْبِ الخَيْل شرقي .

والجوّ الآخر جَوُّ الوبرية ، يذكرها الأَعْشَى حين مدح هوذة :

قاد الجياد من الْجَوَّين

غير هذين . جملة (غير هذين) لم ترد في أصل مطبوعة الأخ الحمادي وظَنَّها هامشاً لكتابتها في الهامش ، ولكنها مُتَّصلة بالأصل .

أما تعليقه على اليمامة بكونها (مدينة من جانب العوالي) وعلى الوبرية بقوله : (وبرة : قرية على عين ماء يخرُّ من جبل آره) فهو مبلغه من العلم . ومعروف أن اليمامة إقليم واسع ، لا مدينةٌ وأن الْوَبرِيّة لا صلة لها بِوَبْرة التي في جبل آره ، الواقع في الحجاز ، لأنها في ناحية ضَرِيَّة في سُرَّة نَجْدٍ .

٣٨ ـــ ص ٦٦ : (ثم عسعس ولونه أَحْمَرُ ، وله دارةٌ ، ثم الهَضْبُ هَضْبُ الرَّدْهِ) .

قرأ أخونا الجملة : (ثم عسعسُ وله دائرةٌ ، وهضب الرّدَةِ) .

ودارة عسْعَسٍ لا تزال معروفة ، والكلام عن الدارات التي بسُرَّة نَجْدٍ .

وفَسَّر هَضْبُ الرَّدْهِ : (جبال صغار والقليب في وسط هذا الموضع) أيْ ظَنَّ أنَّ هَضْبَ الرَّدْهِ ، هو هضب القَليب .

٣٩ — ص ٦٧ : (ثُمَّ هَضْبُ غَوْلٍ ، وغَوْلٌ ماءٌ ، ثم هَضْبُ الخِصَافَةِ وهي بئر عَذْبَةٌ) .

حذف صاحبنا كلمة (غول) الثانية ، فصار الهَضْبُ ماءً ، والهضب جبال ، لا ماء .

٤٠ — ص ٦٨ : (أباناِن : ومَسِيْلُ الرُّمَّةِ بَيْنَهُمَا ، وتَنْتَهِي الرُّمَةُ عندَ أَبْرَمِيّ الكلبة ، من شقيق النِّباج) . كان كاتب الأصل قد وضع فوق الميم من كلمة (الرُّمة) كلمة خف) إشارة إلى تخفيفها ، فأدْمَجَها الناسخ المتأخِّر وسط السطر في النسخة الحديثة التي اتخذها الحمادِيُّ أصْلاً ، وسار على ذالك هو أيضاً فجاء الكلام : (ومَسِيْلُ الرُّمَةِ خف بينهما) .

وفَسَّر شقيق النباج — الذي هو اسم رمل معروف بقوله : (شقيق النباج : شقيق الشيء أحد جُزْءَيْه . والنِّباج قيل : في بلاد العرب نِبَاجَان إلى آخر الكلام الذي نقله من كتاب «مراصد الإطلاع» مُصَدِّراً بكلمة (قِيْل) !!

٤١ — ص ٦٩ : (وحُبْشِيٌّ جبل أسودُ إلى جَنْبِهِ القنانُ أسود أيضاً) . الكلام في الجبال الواقعة في نَجْدٍ ، ولكنَّ صاحِبَنَا شطح به التفكير فتجاوز نَجْداً والْحِجَازَ حتَّى بلغ — بفضل «مراصد الاطلاع» — تِهَامَةَ ، فَوَجَدَ (حبشي جبل أسفل مكة بِنَعْمَان الأراك) .

٤١ — ص ٦٩ : (ثم الْحَزِيْزُ حَزِيزُ كَلْبٍ ، وبه الْهُبكة والأوقَةُ ، وهُنَّ عِذابٌ ، ثم تَهْبِطُ من حزيز كَلْب في الوَصْل ، بينَ الأوْداة وبين حزيز) .

قرأ صاحبُنا كلمة (الحزيز) في مواضعها الثلاثة (الحُزَيْن) — بالنون وضم الحاء .

وقال في تفسيره : (حُزَيْنُ كَلْب : الحُزَيْن منَ الحَزن : ماء بِنَجْد) فَصَحَّفَ، ثم فَسَّرَ ما صَحَّفَ بما هو أَعْجَبُ وأغرب من تصحيفه . وكيف يَفْعَلُ والناسخ قبله هو الذي صَحَّفَ كما فعل في كلمة (الهُبكة) فجعل الباء نوناً (الهنكة) .

والهُبكة والأوقة وسماها ياقوت (اللوقة) وتنطق الآن (لَوْقة) لا تزالان معروفتين — أنظر «شمال المملكة» من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ص ١١٦٥ و١٣٨١ .

٤٣ — ص ٧٠ : (والغِمَار بركٌ تَمْتَلِىءُ من ماء السَّماء مثل الحياض ، ثمَّ أُبَليٌّ — وزْنُ عُبْليٌّ — ثم تُبَلُ ، ثم بَطْنُ ظَبْيٍ — ثم النَّبِيُّ بلدٌ سَهْلٌ) .

صَحَّفَ (المحقق) بِرَك التي هي جمع بِرْكَة — فقرأها (نِوَك) بالنون والواو .

ورأى في «مراصد الاطلاع» : أبلي جبل معروف عند أجا فظنَّه الوادي الواقع في السماوة في نواحي الشام ، كما ظَنَّ وادي أُحامر المذكور قبله وهو بقربه الْجبل الواقع في حِمَى ضريَّة . وجعل بطن ظَبْي أحد الأودية المتقاربة في السماوة — جعله في أرض بني كلاب ، ولم كل هذا الخلط بَيْنَ المواضع ؟! إنَّه وَجَدَ ذالك في كتاب «مراصد الاطلاع» وهو — على حدّ المثل النجدي — (لا يَعْرِفُ من المِعْزَى إلّا غَرَّاء) .

أما (النبي) فصحف الكلمة (البني) وفَسَّرها (بُنَي بلفظ تصغير ابن . قال أبو زياد : وهو أجرع من الرمل في جانب رَمْل عبدالله بن كلاب أنظر (مراصد ٢٥٢/١) كذا !! ورمل بني عبدالله يقع في عالية نجد . وكلام الهجريّ واضح ، ففيه بعد ذكر الموضع : (والفُرات قريب مما أسميت) .

٤٤ — ص ٧١ : (أوَّلُ الْحزيْز وأنتَ تريد الشرْقَ الرَّيَّان ، وإِمَّرَةُ ، ماءتَانِ ، وأَنْتَ تُريدُ اليمامة ، وآخره النَّشَّاش ، وعَرِجَةُ ، وهي ماءة) .

صحف الْحَزِيز — إلى (الحُزَين) ولَعَلَّهُ لم يفهم (ماءتان) إذ كتبها (ماتان) وأحال في تفسير الرَّيان إلى ما أورده — ص ٥٤ في الكلام على الرَّيَّان الذي هو من مياه جبل ثهلان ، وقال فيه : (الرَّيَّان وادٍ في حجرِ ضريّة) إلى آخر ما نقل عن «مراصد

الاطلاع» وحَقاً فالريَّان الذي في حمى ضرية — حجر تحريف — هو الذي بقرب الحزيز وإمّرة ، لا الماء الواقع في جبل ثهلان .

وبقرب وادي الريَّان هذا هَضْبٌ يُعْرف بهضب الريَّان ، ولكن المحقق الفاضل نقله من موضعه فجعله — ص ٦٧ — من جبال ديار طيء .

فخلط بين المواضع التي تُسَمَّى بالريَّان ، وذالك مبلغه من العلم .

٤٥ — ص ٤٧ : في الكلام على الْوِثْر (وجمعه وثُورٌ ، أدوات المركوبات والمَرْحولات ، للركوب والحمل . قال النُّمَيْريُّ — وذَكَرَ الْفُرسَان :—

وِمِنْهُم رَاكِبُون بِلَا أُثُورِ .

مِثْلِ جِسْمٍ وجُسُومٍ .

وقد فَسَّر صاحبنا كلمة (أُثُور) الواردة في شعر النميري — وما ظَنَّهُ شعرا — فَسَّرها (الاثْرُ والإِثْرُ والأُثُر ، وهو واحد ليس يجمع فِرِنْد السَّيْف ورونَقَهُ والجمع أُثُور «اللسان» — ثم أحالَ على الجزء والصفحة بعد ذكر المادّة .

إن الهجريَّ أورد قول النُّمَيْريّ شاهداً على الوِثْر الذي هو من أدوات المركوبات والمرحولات وَأَنَّ النُّميريّ أورده بقلب واوه أَلِفاً فأيُّ صلة بين هذا وبين فِرِنْد السَّيْف ؟!

٤٦ — ص ٤٧ : (أَيْنَ الْمَقِرُّ بِجَرِّ القاف — من قَرَرْتُ أَقِرُّ ، والْمَقِرُّ ينبغي أن يكون من قَرِرْتُ أَقَرُّ ، لإنَّ المَفْعِلَ لا يَجِيءُ إلاَّ مِنْ فَعَلَ يَفْعِلُ) تَصَرَّف أخونا بهذه الجملة الواضحة بأنواع من التَّصَرُّف منها :

١ — ضبط المقر المجرور القاف بوضع حركة فوق القاف .

٢ — وفَسَّر الكلمة تفسيراً غريباً : (القُرُّ بالضم القَراء في المكان) ثم حمل الوزر كتاب «اللسان» .

٣ — حَرَّف كلمة (المَفْعِل) فجعلها (الْفِعْل) .

٤٧ — ص ٧٦ : جاء في الكلام على عُمارة الخُثَمي : عمارة بن راشد الخُثَمي

الهذلي «معجم الشعراء» . والخثمي نسبة إلى ختم ، وهو اسم لِجَدِّ حُمَيد بن مالك بن ختم الخثمي يروي عن أبي هريرة «اللباب» وجاء في «معجم الأدباء» هـ٢٤٨ — أنشد الهجريُّ لعمارة بن راشد الخُثمي) .

ويؤخذ على هذا .

١ — لا صلة للخثمي الراوي عن أبي هُريرة ، وهو منسوب إلى ختم أحد أجداده ، بالهذلي الذي هو من خُثَيْم بن عَمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذيل .

٢ — كلمة «معجم الأدباء» خطأ والصواب «معجم الشعراء» .

٤٨ — ص ٧٦ : (وهو النِّمْر وجمعه نُمُورٌ ، ونُمْرٌ ، ونِمْرَان ، ونِمارٌ ، وأنمار ، وأفْصَحُها النُّمْر والنِّمْرَان في الجمع) .

جاءت هذه الجملة في مطبوعة صاحبنا : (... ونُمْرٌ ونَمَرات ... وأفصحها النُّمُوور والنمران) .

٤٩ — ص ٧٨ : فعل حَرَم يَتَعَدَّى بنفسه ولكنَّ أخانا أورده : (إذا أحْرَمته من العطاء ولم تُعْطِهِ) وهي في الأصل : (إذا حَرَمْتَهُ) .

٥٠ — ص ٧٩ : (نَمِيَّةُ التي يذكرها ساعدةُ بن جُؤَيَّة هي شعبة من الصُّفرِ ، تدفع في ملك وادي المُهَلِّ من أَلَمْلَم) .

فَسَّرَ المُحَقِّقُ الفاضِلُ كلمة (ملك) قائلاً : وادٍ بمكة ، قيل : بين قَرْقَرَى وبين مَهَبِّ الجنوب اليمامة ، أنظر «مراصد» : ١٣٠٩/٢) .

كيف يكون الموضع الواحد في وادي المهل من أَلَمْلَم الذي نقل المحقق أنه على ليلتين من مكة وفي مكة ، وفي اليمامة ؟!

(ملك) في كلام الهجريِّ هنا ليست اسم موْضع ، لقد فسَّرها الهجريُّ نفسه حين أوْرَدَ قول الأنْعَمِيَّةِ من مُراد :

أَلَا حَبَّذَا مِنْ مِلْكِ جُرْبَانَ نَظْرَةٌ ... وجُـربـان مِـنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ بَعِيْدُ

جُرْبَان : سائلة إلى قرب ذَهْبَى .

ومِلْكُ الوادي الذي يَملأُ سيْله (٣٢٢ القطعة الهندية) .

٥١ — ص ٧٩ : لم يلاحظ المحقق الفاضل عدم اتصال الكلام بين صفحتي (٣٥ و٣٦) حيث جاء آخر الكلام عن ثَميْنَةَ : (تدفع في مِلْكِ وادي المُهِلّ في ٱلْمَلَم ، وأقرب) .

ثم في الصفحة الأخرى : (مفتوحة ، بَضَعْتُ وأبضعني ، ورَويتُ وأرواني) الخ .

وكنت اطلعت على مخطوطة من كتاب « معجم ما استعجم » لأبي عُبَيْدٍ البكريّ في (مكتبة الأزهر) في القاهرة ، فيها هوامش منقولة عن الهجريّ ، ومنها الكلام على (ثمينة) وبعد كلمة (وأقرب) (المزالف إليه) الخ . فنقلت الكلام ، ولكنني فقدته ، ولما زرت تلك المكتبة في شهر جمادى الآخرة هذا العام لم يمكنني الإخوةُ المشرفون على المكتبة من الإطلاع على تلك المخطوطة .

٥٢ — ص ٧٩ : (ولحِقهُمُ الغَيْثُ : للذين يُغيثُونهم) .

قَرَأها أخونا : (للذين يغشونهم) ! !

٥٣ — ص ٨٠ — قرأ أخونا : (والتَّأسُّنُ التَّذَكُّر) : (والتأسين التذكر) .

٥٤ — ص ٨١ : (نَميرَةُ : جَبَلٌ عَنْ يَمينك وأنتَ بَعَلَمَيْ عَرَفَة ، بَهَ غِيْرانٌ ، وَجَبَلُ الزَّنْج ، الجَبَلُ المُشْرِفُ على نَجْدِ الحِقَابَةِ عَنْ يَسَارِ الذَّاهِبِ إلى عَرَفَة) .

صَحَّفَ أخونا كلمة (غِيْرَان) وهي جمع غَارٍ ، فقرأها (عيران) بالعين المهملة ، وفَسَّر ما قرأ بما هذا نصه : (عيرانِ عير الوارد وعير الصادر ، أنظر ٣/٩٧٤) وما الذي يُنظر ، لعله يقصد كتاب « مراصد الاطلاع » فهو لا يعرف من الكتب المتعلقة بتحديد المواضع سواه .

٥٥ — ص ٨١ : (ووادي وَسيق الذي يدفع في نَعْمَان ، منشعة من كبكب يدفع منه حَيْثُ يَدْفَعُ رَهْجَان) .

صَحَّفَ كلمة (وَسِيْق) اسم وادٍ لا يزال معروفاً وقد تبدل السين صاداً (وَصِيْق) فجعلها بالفاء (وسيف).

وقال عن نعمان الوادي المعروف جنوب عرفة بجوارها: (نعمان وادٍ في مكة والطائف، وقيل واد الهذيل (؟) على ليلتين من عرفات — أنظر (مراصد).

٥٦ — ص ٨٢:

إذا نَـزَلَـتْـهـا رفـقـة مُضَـرِيَّة وأخـرى يَـمَـانيٌّ أَمَدَّ ثَرِيْدُها

قرأ صاحبنا البيت: إذا أنزلتها رفعة الخ.

٥٧ — ص ٨٣: وقال القرديُّ:

وهْبٌ المنسبةُ — بِجَرِّ السين — تشبيبُ القصيدة).
كذا كتب أخونا الجملة!!.

ظَنَّ أن كلمة (وَهْب) من مقول القول، وفَسَّرها في الهامش: (ولعلها رهب بمعنى الشيخ المُسِنّ. أنظر الخبر رقم ١٢٠) وفي الخبر الذي أحال إليه: (والشيخ المُسِنُّ رَهْبٌ).

ما هذا؟ إنَّ وَهْباً هو اسم القِرْدِي، وقد ورد (ص ٩٨): وقال وهب. ولكن المحقِّق فعل هناك ما فعل هنا من إضافته إلى القول.

٥٦ — ص ٨٤ — في الكلام على العسل: (وإذا رَعَتِ النَهِمَةَ جاء العَسَلُ شِرْواً وهو شرٌّ العسل).

قرأ الأخ الحماديُّ الكلمة (شرِدواً) أي بزيادة حرف الدال، ولَمْ يُكَلِّف نفسهُ عناء البحث عن معنى الشِّرْوِ ليعرف أنه العسلُ — مقلوب الشَّوْرِ.

٥٧ — ص ٥٨: (ولا يكون الطَّرْمُ إلَّا من رَعْي الْجَلْسِ عن الضُّرْم). وقرأ الجملة: (ولا يكون الطَّرِمُ مَنْ رَمَى الجَلْسَ عن الضُّرْم) فَعَمَّى المعنى، والكلامُ عن العسلِ والطَّرْمُ من أنواعِهِ.

٥٨ — ص ٨٥ : (وكُلُّ ما تَأْرِيهِ النَّحْلُ فَهُوَ نَوْرٌ ، ولا تَأْرِي مِنَ الوَرَق شيئاً) حرَّف الأخُ الجملة فقال : (وكلها تأرِيةُ النَحْل) .

٥٩ — ٨٥ : علَّقَ بعد الآية الكريمة : (كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرات) . قائلاً : (طَمْسٌ وبَيَاضٌ بالأصل) وليس ما قال صحيحاً ، فكتابة الأصل واضحة ، ولا طَمْسَ ولا بياض ، والكلام مُتصل بما بعده .

٦٠ — ص ٨٥ : نسب الزهيري — أحدِ مَنْ يَروي عنهم الهجريُّ إلى زُهَيْر بْنِ جشُم ، مُحِيْلاً إلى « جمهرة أنساب العرب » ص ٢٨٧ — والمذكورون في هذه الصفحة جشم بن بكر ، من تغلب من ربيعة ، وهم غير قوم الزُّهيري ، فهو من جشم هوازن ، من قيس عيلان من مضر .

وقال عن الخثعمي : (نسبة إلى خشام (أقيل) بن أنمار) يريد أن يقول : نسبة إلى خَثْعَم ، وهو أفتل بن أنمار ، ولكنه لم يدرك تصحيف الاسم في مطبوعة « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم .

٦١ — ٨٦ : ورد في الأصل : (تميم بن أبي مقبل) ولا شك أن هذا خطأ من الناسخ ، لم يدركه المحقق ، إذْ تميم هو ابن أُبَيِّ بنِ مُقْبل ، لا كما ذكر في الهامش حيث جارى ناسخ الأصل ، وما أحال إليه من الكتب أثبتت اسمه كما ذكرتُ .

٦٢ — ص ٨٦ : (وجله الوادي ، وجَهْوتُه ، والصَّنَقَةُ — مفتوحة الكل — والسَّبْتأُ ، والكَرَبة ، والفائجَةُ ، كُلُّ ذالك ما اتَّسَعَ مِنْهُ) هذا كلام واضحٌ ، فما ذكر من صفات الوادي . ولكن الأخ الحمادي يشرح هذه الكلمات شَرْحاً يبعدها عما قصده الهجريُّ ، فيقول : (في النوادر : يقال جَمَلٌ صَنَقَةٌ إذا كان ضخماً كبيراً إلخ و(الجهوة الأرض التي ليس فيها شجر ، وأجهت الطريق انكشفت ووضحتْ إلى آخر ما ذكر من هذا القبيل مما لا صلة له بما ذكر الهجريُّ .

٦٣ — ص ٨٦ : (والجِهَاءُ — ممدودٌ — جَمْعُ جهوَةٍ . قال الهُذلي :

وأَضْحَتْ جِهَاءُ الماءِ ، قَفْراً مَوَارِدُه .

وجاءت كلمة (جهاء) : (جهار) بالراء — خطأ —

٦٤ — ص ٨٧ : (قال عمارة الخثَميُّ :

أَبَتْ كَرِبَاتٌ بَيْنَ جُبْلَانَ فالشَّرى فـوادي نُـمَارٍ أَنْ تَرَى أَبَداً نُعْما

جاء في المطبوعة (فوادي غار) تحريف . وفسَّر المحقق جبلان بما نَصُّه : (جبلان العريكة بلد واسع باليمن بين وادي زبيدة ووادي رِمع يسكنه الشراحيُّون — أنظر مراصد ١/٣١١) .

بصرف النظر عن التحريف في هذا النَّصِّ في كلمتي (زَبيدَ) و(العَرْكَبَة) إلَّا أنَّ ما ذكر الشاعر في بلاد هُذَيل قومه بقرب وادي نُمَار . ولا صلة له ببلاد اليمن .

وكذا الشَّرى — الذي ذكر المحقق أنه جبل بنجد ، في ديار طيِّء ، وجبل بتهامة ، وموضع عند مكة .

٦٥ — ص ٨٧ : (ما بِي أُوِيَّةٌ لَكَ — اليَاءُ مُشَدَّدَةٌ — أيَّةٌ لَكَ ، مَصْدَرُ أوَيْتُ لِزَيْدٍ) . قرأها الأخ محرَّفة ؛ (مِلي مَاوِيَّةٌ لك) .

وورد في شرح أويت تحريف في بعض الكلمات ، قد يكون تطبيعا .

٦٦ — ص ٨٨ : (وأنشد لابن الدُّمَيْنَةِ :

وَلَا نَلْتَقِي إلَّا لِمَاماً على عُدَّى أَلَا إنَّمَا تِـلْكَ اللِّـمَامُ الغـنـائِـمُ

عُدَى — بالضم والكسر .

وجاء في المطبوعة : (وأنشدني لاين الدمينة .. و(اللحام) بدل (اللمام) ولعله تطبيع .

وظن الأخ أن قول (عُدَىّ) بالكسر للدال فوضع تحتها كسرتين ، والمراد بضم العين وكسرها .

٦٧ — ٨٩ : (وسألته عن فِرْثَة . فقال : هَضْبَةٌ بِجِلْدَانَ ، وجِلْدَانُ بَيْنَ الفُتق وتُرَبَةَ أَرْضٌ سَهْلَةٌ ، والجِيْمُ من جِلْدَانَ مكسورة) .

كلمة (الفتق) وردَتْ في مخطوطة الأصل غير واضحة وكأنها (القنن) ولهذا فليس غريباً أنْ لا يهتدي أخونا إلى وجه الصواب فيها .

— وانظر عن الفتق كتاب «صفة جزيرة العرب» للهمداني ، ص ٣٣٩ و ٣٤٠ .

— طبع دار اليمامة — وأسماء المواضع مرتبة على الحروف في الفهرس فلا داعي لذكر الصفحة .

٦٨ — ص ٨٩ : (وقال الْعَرِيْنِيُّ مِنْ هِلالٍ : شَحُبَتْ — بضم الحاء) . قرأ أخونا الاسم بالزاي (العزيني) إذ فوق الراء في الأصل علامة الإهمال فَتَوَهَّمَهَا نُقطة ، وكتب في الهامش : (لم تُفْصِح عنه المصادرُ المختلفة ، ولعله القريني نسبة إلى بني قرين بطن من تميم — «اللسان» — عرقا (؟) ٢/٤٦٧ م ء؟ .

وأعجب من هذه الحاشية أنه اعتبر كلمة (مِنْ هِلالٍ) من قول العريني ، ففصل بين الكلمتين ، وجعل الأخيرة أوّل السّطر ، وما أدرك أنَّ الرَّجُلَ هِلالِيٌّ .

٦٩ — ص ٨٩ : (وَحَتَّى تكون الْمُجَالَعَةُ ، للمواجهة بالْقَبِيْح) قرأها مُحَرَّفة (وهي تكون المجالعة) .

٧٠ — ص ٩٠ : (أنشدني عبد الواحد بن سليمانَ الخوفيُّ — فَهْمِيٌّ) ورد في المطبوعة (سليمان بن الخوفي) ولعله تطبيع .

٧١ — ص ٩١ : (وهي العنفَةُ والعَنِفَاتُ ، والْعَرِفَةُ والْعَرِفَاتُ ، والوَدِقَةُ والْوَدِقَاتُ للسحابةِ دُوْنَ الْعُلْيَا) .

قرأ الكلام أخونا : (في العنفة والعنيفات ، والعِرفة والعريفات) . ونسب إلى الأصل ما ليس فيه حين قال بأن فيه (الودفة والودفات) .

٧٢ — ص ٩١ : (قال السعديُّ — سَعْد غُوَيْثٍ ، مُوَجِّنُ بن شَعْنَبِ العِصَامِيُّ :

إذا ما تَلاقَى البَرْقُ في عَنَفَاتِهِ .

قرأها أخونا : وللسعدي ...

فلها تلاقي الخ . وقال : (عنفاته لم ترد في القواميس بهذا المعنى ــ أنظر «اللسان» عنف) ثم أحال إلى الجزء وإلى الصفحة . وفاته أنَّ الهجريَّ من أئمة اللغة الذين عنهم تؤخذ ، وقد بيَّن معنى الكلمة في أول الكلام . وجملة (لم ترد في القواميس) خير منها : (لم أطلع عليها فيما لدي من القواميس) أو نحو هذا الكلام .

والإحالة إلى الكتب التي رتبت موادها على الحروف ــ كاللسان ، و(مراصد الاطلاع) تكون بذكر المادة ولا داعي لذكر الجزء والصفحة ، إذ الطبعات تختلف .

٧٣ ــ ص ٩١ : (وله في جيرانه :

أيَا رَاعِي الغِزْلَانِ بالشُّعْب ذي الرُّبَا ... تَحَسَّسْ ، ولا تَأْمَنْ سِبَاعاً ضَوَارِيَا
فَقَدْ كُنْتَ تَرْعَاهَا وتُقْفِرُ حوْلَهَا ... ويَـعْـفَرُ بالْغِزْلَانَ عَوداً وبَادِيَا

قرأ الشعر : (فيا راعي) و(لقد كنت) وهذا وإن لم يغيّر المعنى تغييرا كبيراً إلَّا أنَّ المحافظة على نَصِّ الأصل أول ما يجب على مُحَقِّقِه .

٧٤ ــ ص ٩٢ : فَسَّرَ قول الراجز :

ثُمَّ سَلَبْنَا عَقَصاً أَبْكَارَهُمْ

قائلاً : (عَقَصَ أمره إذا لواه) ولو رجع إلى الأصل لوجد في الهامش : (العَقَصُ الغَضْبُ) وهو مراد الراجز .

٧٥ ــ ص ٩٣ : (وأجَدَّ القَوْمُ : عَلَوا الْجَدَد ، مِنَ الأرض) . كتبها : (وأجدَّ القومَ ، علوا الجدب) .

٧٦ ــ ص ٩٣ : (والمِدَمَّةُ والمِلْوطَةُ : خشبة يُسَوَّى بها الدِّبار ، موضع الزرع ، والدَّمُ واللَّوْطُ : تسويةُ الأرض والسطح حتى يعود كأنه راحة) .

صحف : يسوى ــ يسري .

وحرَّف : كأنه ــ كأنما .

وفسَّر الدم واللوط تفسيرين بعيدين عن المعنى المقصود .

٧٧ — **ص ٩٣** : (الزيزاة بناؤها لا يعلوها السَّيْلُ ، وتجمع زوازية) كذا وردت كلمة (بناؤها) في الأصل ، ولعل الصواب (نَبَاوَةٌ) ولمَّا لم يفهمها صاحبنا غيَّر كلمة (يعلوها) فجعلها (يعلوه) .

٧٨ — **ص ٩٣** : (قال الجُهَنِيُّ مِنَ الْحَجْر : لَقَدْ أَكَلْتُ من هذا الطعام ما لم آكُلْ مِنْ زَادٍ)

حرَّف صاحبنا (الجهني) إلى (الجمي) وظنَّ أن كلمة (من الْحَجْر) من قوله فجعلها أول السطر ، وما أدرك أنَّ المقصود : من قبيلة الْحَجر المعروفة . فوضع حاشية في تفسيرها (الحجر والحجر — بفتح الحاء وكسرها — والمحجر كل ذالك الحرام) إلى آخر ما قال !!

وسيرد ذكر هذا الجهني ص ١١١ — بهذا النَّص : (وأنشدني الجُهَني من جُهَيْنَةِ الْحَجْر ، مِنَ الأسْد — ولصاحبنا تَخْليطٌ هناك ستأتي الإشارة إليه .

٧٩ — **ص ٩٤** : (ومَيْدَ أَنَّكَ حَلَفْتَ عَليَّ ، ومعنى مَيْد : مِنْ أَجْلِ) .

كتبها : (وميدانَّك) وحذف كلمة (عليّ) .

٨٠ — **ص ٩٤** : (وأنشدني الرُّدَيْنيُّ الحارِثيُّ احَدَ بني الحماس) .

زاد الأخ (أبو) ليطابق ما قرأه في كتاب المرزباني ، ويقصد (أبو الرُّدَيني العكلي) — المذكور في «معجم الشعراء» للمرزباني — ص ٥٠٩ — تحقيق عبد الستار فراج — رحمه الله — وأضاف (وأعتقد أبو الرديني العكلي) مع أن الرجل من بني الحارث بن كعب من قحطان ، وعكل من عدنان . فاعجب لهذا الخلط والتغيير !!

٨١ — **ص ٩٥** :

سَائِلْ بِنَا سَعْداً وقَدْ أَجْمَعَتْ   سَعْدٌ مِنَ السَّرْوِ إلى السَّاحِلِ

غيَّر المحقق كلمة (السَّرْو) إلى (السَّر) وفَسَّر السَّر بما أورده — ص ٧٢ : (السَّرُّ وادٍ في بطن الْحَلَّة من الشَّريف — انظر «مراصد» وذكر الجزء والصفحة .

وسَعْدٌ المذكورون هم سعد العشيرة ، وبلادهم سفوح السَّرَاة الشرقية وأوديتها — فَصَّل الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ذكر بلادهم — والسَّرْوُ هُنَا السَّراة .

٨٢ — ص ٩٦ : (يعني شعثَم مطرف) الصواب : (يعني شعثم بنَ مُطَرَّف) كما في الأصل .

٨٣ — ٩٦ : (وكثيف وشبيب وحبَّاب) صحَّف أخونا الاسم الأخير فأبدل الباء نوناً ، ونسب إلى أصله الذي اتخذه أساساً (حيان) وهو تصحيف . إنَّها لَدِقَّةٌ محمودة لو كانت في محلها .

٨٤ — ص ٩٧ :

لَـتَـعْـتَـرِفُـنَّـا إنْ شـأَ اللهُ جَـهْـرَةً ... بِذِي لَجَبٍ كَاللَّيل أَرْعَنَ جَحْفَلِ
من الغُرِّ، منْ أولاد جَلْدِ بْنِ مالك ... إذا نَابَ خَطْبٌ لَمْ يكُونُوا بعُزَّلِ

كتب المحقق كلمة (إن شأ الله) بالمد (ان شاء الله) وعلق على البيت : (هكذا ورد البيت ولا يتم الوزن(؟) إلا بقولنا (يشا) بدلاً من (شاء) إلخ .

وكلمة (ناب) وردت في المطبوعة (ناد) .

٨٥ — ص ٩٧ : قال عن المطرِّفي : (من بني أَبِي بكر بن كلاب ، فقيه لغويٌّ — أنظر «أبو علي الهجري» للجاسر ص ٤٤) وما في كتابي هو : (هذا الراوي من بني أبي بكر بن كلاب ، وكانتْ منازلهُمْ في عالية نجد ، وقد روى عنه الهجريُّ ، ووصفه قائلاً : (أفقه من رأيت بشرح اللغة) ثم أحلت إلى ٤٩٤/ ٤٩٥ من المخطوطة المصريّة ، و٩٠/ ٣٩٨ المخطوطة الهندية ، فأنا لم أصفه بالفقة واللغة ، بل أوردت كلام الهجري الذي وصفه بأنه أفقه من رأى بشرح اللغة ، فقد حدّد فِقْهَه بأنه في اللغة ، والفقيه عند الإطلاق العارف بالأحكام الشرعية .

٨٦ — ص ٩٩ : (فاسَخْتُ زيداً فِسَاخاً) جعلها : (فأسْتَخْتُ) .

٨٧ — ص ٩٩ : (وهو يُوحِنُ قُلُوبَ الناس فَيَجْعَلُ فيها الإِحَنَ) .

قرأ كلمة (فيجعل) وكتبها (فَجَعَلَ) ووضع بعد كلمة (الإحن) سَطْرَيْن خالِيَيْنِ من الكتابة ، وكتب في الهامش : (في (أ) و(ب) فراغٌ لِسِتَّة أقوال تَقْريباً) والواقع أنه لا فراغ لكلمة واحدة ، وأن الأصل واضِحٌ أعني الأصل المخطوطة الأولى المحفوظة في (دار الكتب) وما صُوِّرَ عنها .

٨٨ — ص ٩٩ : (هُوَ الْحَرِسُ والسَّرِقُ ، مصدر سَرَقَ السارِقُ ، وحَرَسَ الحارِسُ)

في عمل الأخ (وهو الحِرَسُ والسِّرَقُ — أيْ بكسر الحاء وفتح الراء وكسر السين وفتح الراء — وهذا تَصَرُّفٌ يدفع إلى عدم الاطمئنان إلى ضبطه للكلمات بالشكل .

٨٩ — ص ٩٩ : (وأنشدني للشهابِيِّ كِلَابِيٌّ) وردت (وأنشدني للشهابِيُّ الكلابِيُّ) كذا !

٩٠ — ص ١٠٠ :

فـأَيْـهَـاتَ أَيَّامُ الصِّبَا قَدْ تَرَكْنَني كَعُصْلِ المَرَامي ، ما بِهِنَّ سُدُوْد

أوْرَدَ البَيْتَ : (فهيهات) إلخ وقال في الهامش : (في (أ) و(ب) : فأيهات ، وهو تحريف .

لماذا هذا التَّسَرُّع بإصدار الحكم الصارم بأنها تصحيف ، وعلماء اللغة يقولون : (وهيهات وقد تُبْدَل الهاءُ همزةً فيُقال : أيْهَات ، مثل هَرَاقَ ، وأراقَ ، وقال ابن سيده : وعندي أنهما لُغتَانِ ، وليستْ إحداهُما بَدَلاً مِنَ الأخرى ، إلى آخر ما ذكروا .

وهَبْ أنَّك لم تَهْتَد إلى ما يوضحِ لك صحة استعمال الكلمة ، إنه لا يسوغ لك تغييرها ولا سيَّما إذا وَرَدَتْ عن عالم جليل — كَالهجريِّ — تُؤخذُ عنه اللُّغَةُ ، ويُعْتَبرُ هو حُجَّةً على علمائها لا الْعكس .

ثم إنَّ تَحقيق النصوص يرتكز على دعامة عَدَمِ التَّصرُّفِ فيها ، وأمانةُ للعِلْمِ تُحتِّمُ ذلك .

٩١ — ص ١٠٠ : (وعَصَّلَتِ السِّهامُ إذا لَمْ تَقْصِدِ الغَرَضَ ، وتفعَلُ ذلك إذا لَمْ

يَكُنْ فيها رِيشٌ ، وعَصَّدَ السَّهْمُ أصاب) .

غيَّر صاحِبُنا : (وتفعل ذلك) بكلمة (وتُعَصِّلُ ذالك) وعلق في الحاشية : (في أ — ب : يعفل وهو تحريف) ! ! لأنه لم يستطع قراءة الأصل كما حرَّف كلمة (عَصَّدَ) إلى (عَصَّلَ) .

٩٢ — ص ١٠٠ : (وذكَّرٌ بيِّن الذُّكْرِ) فَسَّر هذا تفسيراً لا صلة له به : (الذُّكْرُ — بالضم — أي تذكر) وحَمَّل «اللسان» التَّبِعَةَ .

٩٣ — ص ١٠١ : (والْحِجَابُ ، والْحُجْبَانُ لما وَارَاكَ مِن اْرتفاع جَبَلٍ أو قِفَارةِ حَرَّةٍ ، ومَا أشبهَ ذالك)

قرأ الأخ (الحجبان) و(حرَّة) : (الجُبَّان) و(حبرة) وكذا أثبت الكلمتين في مطبوعته .

٩٤ — ص ١٠١ : (وذكر بَلْدَةً فقال : هيَ وَغِسَةٌ والْوَغْسُ ألَّا تكونَ مَرِيْئَةً) .

صحف (وغسة) و(الوغس) فأثبتها بالعين المهملة ، ووصف ما في الأصل بأنه تَصْحيف . وأتى للوعس بمعنى لا يتفق مع ما قصده الهجريُّ ، فقال : (الوَعْسُ السهل اللَّيِّنُ من الرَّمْلِ) إلى آخر ما ذكر ، فكأنه لا يفهم ما يقرأ ، كلام الهجري في وصف البَلْدَة التي لا تكون مَرِيئَةً ، وهذا يأتي بكلام يتعلق بوصف الأرض من حيث الليونة .

٩٥ — ص ١٠٢ : (وقال : أنَا مُقْرِنٌ ، للذي لا مُعِيْنَ له على ضَيْعَتِهِ وعَمَلِهِ ، والمُقْرِنُ المُطِيْقُ للأمْرِ ، الْقَوِيُّ عليه ، حَرْفٌ مِنَ الأضْدَاد) .

صَحَّف كلمتي (المطِيْق) و(حَرْف) بـ(المُطْبِق) و(حَرْق) . وعلَّق على الأخيرة قائلاً : (الحرق حرق النَّابَيْنِ أحدهما بالآخر — وأحال على «اللسان» ! !

٩٦ — ص ١٠٣ : (إنه ثَبَجِي من بَالأثْبَجِ)

الصواب كما في الاصل : (إنه أثْبَجي) إلخ .

٩٧ ــ ص ١٠٤ : (وأنشدني السَّلُوليُّ :

إذَا أسَـدِيَّاتُ النُّجُومِ تَشَاءَبَتْ مِنَ الليل عَنْ أنيابِهَا فَهْيَ كُلَّحُ
وَعَادَ الْقِرَى عِنْدَ الَّذِي أَيْنَ مِثْلُهُ وَقَدْ جَعَلَتْ أَيْدِي المُشِيرِيْنَ تَبْلَحُ
وَجَدْتَّ القِرَى فِينَا لِمَنْ يَبْتَغِي الْقِرَى وما طالبُ الْمَعْرُوفِ فينا يُقَمَّحُ

قوله : وقَدْ جَعَلَتْ أيْدِي المُشيرين تبْلَحُ .

قال : المُشِيْرُ : الداعي الضَّيْفَ .

وتَبْلَحُ : بَلَحَ يَبْلَحُ بَلَحاً ، إذا أعْيَا مِنْه ، وضَعُفَ عنه ، وقَصَّر عنه ، وإنَّما يفعلُ ذالك كِرَامُ الناسِ فما ظَنُّكَ بغيرهم . وتبلَّح من صنيع القِرَى) .

حَظُّ هذه القطعة لدى أخينا سَيِّءٌ ، فقد غَيَّر قافية بيتين منها من الحاء المهملة إلى الجيم : (كُلَّجُ) و(تَبْلِجُ) .

أما الثاني فقال عنه : (كذا ورد البيت مخالفاً للقافية ، وفي هامش الأصل : يقمح : يخيب) ثم حاول أن يجد معنى لكلمة (يقمج) بالجيم فخاب أما (يكلج) بالجيم فقد فتح الله عليه فوجد : الكلج الأشدَّاء من الرجال .

وصحف كلمة (القرى) في البيت الثاني إلى (القُوَى) وقال : (في أ : القرى تصحيف) .

وقرأ : (فما ظَنُّك بغيرهم) : (فما ظَنُّكَ بغيبهم) وحذف من عجز البيت الأول كلمة (عَنْ) فكسره . وارحمتاه ! ! ما هذا العبث ! !

٩٨ ــ ص ١٠٥ : (وأنشدني لحبيب بن يزيد أحد بني معاوية) لا (أحمد بني معاوية) ــ كما في مطبوعة صاحبنا . أما ما نسب إلى الأصل وهو عنده (أ) من أن اسم (يزيد) فيه (زيد) وهو تحريف ، فليس كما قال إنه (يزيد) فيه .

٩٩ ــ ص ١٠٦ :

أَبِـي صِبْيَةٍ تَأوي عَلَيْهِ شَوَارِفٌ خُشُوْلُ كِـرَاءٍ كُـلُّـهُـنَّ شَسُوْبُ

صحف (خشول) إلى (خشوك) .

١٠٠ — ص ١٠٦ : علق على بيت (فوجدي بِجُمْلٍ) بأن في الأصل (فوجد جديجمل ، وهو تحريف إذا (؟) لم يستقم به الوزن) ولا أدري مِنْ أين أتى بهذا ، لعله في المخطوطة الحديثة وحدها أما الأصل فليس كما ذكر ، بل كما أثبت .

١٠١ ص ١٠٦ — فسّر البيت (تُهَارُ بِهِ أرْضٌ) فقال — لا فضَّ فُوه : (هَرَّ الشَّوكُ هَراً ، اشتدّ يُبْسُه) . اقرأ ولا تعجب ، بل احْزن لما آل إليه أمْرُ هذه اللغة .

١٠٢ — ص ١٠٧ :

أَهِشُّ لِقُرْبِ الدَّارِ مِنْ أُمِّ واهِبٍ ... وَلَوْ قَرُبَتْ لَمْ يُقْضَ شَيْئاً غَرِيمُها
أَلَا إِنَّ قُرْبَ الدَّارِ أَجْدَرُ أَنْ ترى ... خَلِيلَكَ يَوْماً نَظْرَةً يستديمُها

غَيَّرَ أخونا : (ولو قربتْ) فجعلها : (وإن قربتْ) وزَعَمَ أنَّ الأولى تحريف ! ! ما شاء الله .

وغيَّر كلمة (أَجْدَر) فجعلها (جدو) .

ورحم الله الأمانة العلمية ، والحفاظ على النصوص ! !

١٠٣ — ص ١٠٧ : قال في شرح قول الصِّمَّة : (ولا دَابقٌ مِنْ واسطٍ بقريب) : (هامش الأصل : واسط جوٌّ بالرمل من جراب — واسط قرية قرب بزاغة) .

كأن الأخ لم يُعجبه ما في هامش الأصل من تحديد واسط ، وهو الموضع الذي يعنيه الصمَّةُ ولا يزال معروفاً قرب رمل جراد — وليس كما نقل خطأً (جراب) — ولهذا فذكر موضعا مجهولاً اعتماداً على مصدر مَحْشُوٌّ بالأخطاء وهو كتاب « مراصد الاطلاع » الذي لا يعرف أخونا من الكتب التي تحدد المواضع سواه .

١٠٤ — ص ١٠٨ : وقال في شرح قول الصِّمَّة :

كَدَاء الشَّجَا بَيْنَ الوَرِيدَيْنِ كُلَّما ... ذكرتك لم تَقْدِرْ عَلَيْه النَّحائِحُ

قال : (في ب : الشجا . وهو تصحيف الشجّ والشجُّ بضم الشين وفتحها — البخل

ـــ إلى أن قال ـــ الشحيج صوت يردده الإنسانُ في جوفه) إلى اخر ما قال مما لا صلة بمراد الشاعر. وقرأ الكلمة (الشجابين) بصِيغَة المثنَّى، وكذا كتبها.

١٠٥ ـــ ص ١٠٨ : وقال في شرح قوله :

فمَا طَابَتِ الرِّيْحُ الجنوبُ بدَابِقٍ ولـكـنّـهـا بالعَنْعَثيْن تَطيْيبُ

بعد أن أورد ما جاء في هامش الأصل : (العثعث : رأس النقا الأحمر) قال : عثعثُ. جبل بالمدينة يقال له شليع (؟) عليه بيوت أسلم بن أفصَى، ينسب إليه ثنية عثعث «المراصد».

الرجل قشيري من أهل نجد فأية صلة له بعثعث المدينة، وقد أوضحت حاشية الأصل أن عثعث في البيت ليست جبلاً، بل رَمْلٌ، ولكن صاحبنا وجد اسم عثعث في «مراصد الاطلاع» وإذن فليكن الذي أراد الشاعر، شاء أم أبى الهجري، ولا داعي للإطالة بتصحيح الكلام الذي نقله عن «المراصد» فهو ظلمات بعضها فوق بعض.

١٠٥ ـــ ص ١٠٩ :

إلى الله اشتـكي رَجُلاً بِجَنْبِي عـلـيَّ، وكـيـف أرفع نَاظِرَيْهِ

لم يلاحظ أن الشاعر لم يجعل ألف (اشتكي) ألف فَصْل، بل اضطر إلى جعلها ألف وَصْلٍ ليستقيم الوزن، فقال في الهامش : (البيت لا يستقيم وزنه إلا إذا قلنا : إليه اشتكى ولعل يجنبي. ليصلح المعنى) كذا قال.

١٠٦ ـــ ص ١٠٩ :

ويـأتـيني بمصـحـفِـهِ يُـدَادِي وبَـخْـبَـأُ سَيْفَهُ عنْدَ الْمُرَيَّهْ

لم يفهم كلمة (يدادي) فصحفها كلمة يفهمها (يُدَاوي) ـــ بالواو. وكتب عنها حاشية غير مفهومة.

١٠٧ ـــ ص ١١٠ : فسَّر قول الشاعر :

فَرِحْتُ به وقُلْتُ : بُنَيٌّ عَمِّي فَـلَـيْـتَـكَ كُـنْـتَ دابِـرَةَ الثُّنِيَّهْ

قال : (الثَّنِيَّةُ : فلان ثنيّة أهل بيتِهِ ، أي أرذلهم) والشاعر يقصد ليتك بعيداً عني خلف الثنيَّة ، التي هي في العادة تَفْصِلُ بين منازل القوم .

١٠٨ — ص ١١١ : أخونا لا يُعْتَمَد عليه في نقل كل ما في الأصل فقد فاته نقل ما فيه على قول الشاعر :

سِرَاعاً مُجْهِدِيْنَ على عُدَاهُمْ   ونَهْضَتُهُمْ على كَعْب وطِيَّهْ

وَنَصُّهُ : (مِنْ وَلَدَ كعبِ بن رَبيعَةَ ، لأنَّهمُ قومُهُم ، وإنَّما أراد أنَّ بَاسَهُمْ على مَنْ بَعُدَ منهم) .

ولم يحسن قراءة الحاشية التي على البيت الأخير في هذه الصفحة فكتبها : (وهو من اليمامة) والصواب (بِرْكُ من اليمامة) .

١٠٩ — ص ١١١ : ويُحرِّفُ صاحبنا بعض الكلمات التي لا يفهمها من الأصل ، ويَدَّعي أن ما فيه تحريف فكلمة (بطن من الأسْد) في الأصل تحريف ، وضع مكانها (الأزْد) ذالك أنه لا يدرك أنَّ كلمة (الأسد) بالسين في هذا الاسم أصَحُّ — (الأزْدُ ويقال فيه الأسْدُ ، وهو الأفصح ، إلَّا أن الأول أكثر) كتاب «الإيناس» — ٥٧ — .

١١٠ — ص ١١٢ :

فكَمْ مِنْ كُلِّ ذاتِ شَوًى خِدَالٍ   عِذَاب الثَّغْرِ سَيِّدةٍ حَيِيَّهْ

حرف كلمة (خدال) إلى (خِدَلَكٍ) !!

١١١ — ص ١١٤ :

أتاهُ خَبِيْرٌ كانَ يَعْلَمُ أنَّهُ   صَدُوقٌ بِعَنَّ الْبَرْقَ قَدْ كَانَ خُلَّبَا

قرأ كلمة (بِعَنَّ) وكتبها (لعن) وفَسَّرها قائلاً : (عَنَّ الشيْءُ ظهر أمامك ، ولو راجع الأصل لوَجَدَ في الهامش : (بأنَّ) فالشاعر أبدل الهمزة عَيْناً — على لهجة مشهورة .

١١٢ — ص ١١٥ : قرأ حاشية البيت الذي في أول هذه الصفحة : (عنده مبين) والصواب (غَيْره : مُبَيَّنٌ) فهي في البيت مجرورة ، وغير هذا الراوي أوردها مرفوعة .

١١٣ — ص ١١٥ :

يَصُبُّ عَلَى الأعْدَاءِ كَفًّا ثقِيْلَةً وحُجْنُ الشَّبَا ، يَنْشَبْنَ فِيْمَنْ يُسَاوِرُهُ

في المطبوعة : (على اعداء) و(يشين) .

١١٤ — ص ١١٦ : (وضمرة ، ومغرا ، وعدد هاؤلاء في عامر ، ثم من عامر في نُبَيْط ، ونُبَيْطُ رَهْطُ الصِّمَّة بن عبدالله) .

في المطبوعة (ومعزا) وحذفت كلمة (نبيط) الثانية .

١١٥ — ص ١١٦ : (والأعور أبو لُبَيْنَى) .

لا كما في المطبوعة (والأعور بن لُبَيْنَى) .

١١٦ — ص ١١٦ : (وعامر . قُرَّةُ بن هُبَيْرَة) ولا داعي لزيادة كلمة (منهم) التي وضعها أخونا بين اسمي (عامر) و(قرَّة) .

١١٧ — ص ١١٦ : (الرُّقاد وسُمَيْر ، وزُفر ، وقَيْس هم بنو سلمة) .

لم يرد في المطبوعة (قَيْس) .

١١٨ — ص ١١٦ : (قِراس وَفِراس) والواو غير موجودة في المطبوعة .

١١٩ — ص ١١٧ : (وبَحِيْر — وزنُ فعيلٍ وَهُوَيْمٌ) .

حرَّفَ الأخ الاسم الأخير فجعله (وهم يم) وعلق عليه قائلاً — لافُضَّ فُوْهُ : (يَمٌّ : ماءٌ بِنَجْدٍ) كما علق على اسم أخيه (بَحِير) قائلاً : (بَحِير : جبل — أنظر «مراصد») .

والكلام في ذكر قبائل عبدالله بن سلمة بن قُشَيْر صاروا بقدرة قادر — من أسماء المواضع .

١٢٠ — ص ١١٧ : وفَسَّر صَدَّاء التي هي من أعراض قُشَيْر في الفَلَج المعروف قائلاً : (صَدَّاء مِخْلافَ اليمن) كذا قال !!

١٢١ — ص ١١٧ :

فَمَا نُطْفَةٌ مِمَّا قَرَى الْمُزْنُ في صَفاً   مَنِيعِ الذُّرَى تُرْدَى الوعول حَوَالِقُهْ

قرأ البيت أخونا : (نطقه) و(تروى) وفسَّر (صفا) قائلاً : (الصَّفا عدَّةُ مواضع منها المكان المرتفع من جبل أبي قُبَيْس).

١٢٢ — ص ١١٩ :

إلى نَعَمٍ يَرْعَى بِتُؤْثُوْرَ أَهْلُهُ   مُسَطَّعَةً أعْنَاقُهُ ومَرَقَّما

شرح هذا البيت بما هذا نصُّه : (تيو ثور وروى «اللسان» : وثر — ١٤١/٧ — التوثير الشرط وهم العتلة والفرعة والأملة).

هكذا قال فهل فهِمْتَ أيها القارىء شيئاً من هذا ، وظنِّي أن كاتبه أيضاً لا يفهمه ، مع ما فيه من الايهام حيث قال : (وروى «اللسان») فمفهوم هذا أنه روى البيت ، وهذا تضليل !

وتُؤْثُورُ اسم موضع .

وحَذَفَ من هامش الأصل : (عنده : مسطعة أعناقه ومرقمُ — بالرفع) .

١٢٣ — ص ١٢٠ : (والمرقَّمُ نُقَطٌ ثلاثٌ في الفخذ ، مثل فرشة الكلب ، مثل الْهَقْعَةِ بأظفاره هذه صفتها (∴) وهي سِمَةُ بني ضَبَّةَ) . حذف الصورة ، وهي مثبتة في الأصل ، والهجريُّ يُصَوِّرُ بعض السِّماتِ التي تستعملها القبائل في إبلهم ، فقد رسم البَرْثُنَ أيضاً .

١٢٤ — ص ١٢٢ : من شعر المختار العبيدي القَشيري :

يا دَارَ سَلْمَى بالكَثِيبِ الأَهْيَمِ
بَيْنَ الْغُرَاباتِ وبَيْنَ المَصْرَمِ

الشاعر أَوْضَحَ أن الكثيب بين الغرابات وبين المصرم ، وفي هامش الأصل تحديد للموضعين : (الْغُرَابات أُقَيْرِنٌ بأطراف الحلَّةِ ، والمصرم الحَبْلُ من الرَّمْل) وهذه المواضع

في إقليم السِّرِّ في سُرَّة نجد ، ولكن صاحبنا يشرح (الكثيب قرية لبني محارب بن عبد القيس بالبحرين) لماذا تذهب بهذا الشاعر القشيري عن بلاده إلى تلك الناحية ، لأنَّ صاحب «مراصد الاطلاع» كذا قال عن الكثيب !!

و(الغرابات) قرأها وكتبها في ثلاثة مواضع (الغربات) .

ولم يحسن قراءة هوامش هذه الصفحة فكتبها مُحرَّفة .

١٢٥ — ١٢٣ :

شَمْسٌ بَدَتْ بَيْنَ سُعُودِ الأنجم

قرأها وكتبها (همس) .

١٢٦ — ص ١٢٤ :

هَلَّا تُوَافي في حَجِيْجِ الموسم .

حذف (في) الثانية فاختلَّ الوزن وزعم أن في الأصل (حجيج) وهو زعم باطل .

١٢٧ — ص ١٢٥ :

مَنْ مُبْلِغٌ كَعْباً عَلَى اهْتِجَارِها
ونأْيِهَا في الدَّارِ واسْتِخْبَارِها

قرأ : (أهجارها) و(نابها) .

١٢٨ — ص ١٢٦ :

إذَا حَلَّتْ مُنَيْعَةُ بَطْنَ بِرْكٍ وأهلُكَ بالرِّعَانِ مِنَ السَّوَادِ

صحف (برك) إلى (بول) والعياذ بالله !! ولَمْ يَكْتَفِ بهذا بل أضاف في الهامش (بطن بول : موضع . الرعان : اسم موضع فيه عين ونخل) ثم اسم الكتاب الذي لا يعرف سواه «المراصد» .

مع أنه نقل عن هامش الأصل (سواد باهلة) وهو ذو رِعانٍ وجبال .

١٢٩ — ص ١٢٦ :

وحَارَبَتِ الجَعَادِبُ غَيْرَ شَكٍّ وسِعْرٌ حارَبَتْ وبنو مَصَادِ

صحف اسم (سِعْر) إلى (سمر) .

١٣٠ — ص ١١٧ :

وَمَا هَدْهَدَتْ وَرْقَاءُ في سَاقِ سِدْرَةٍ لها فَنَنٌ غَضٌّ النَّباتِ رَطِيبُ

في المطبوعة (فن) و(وطيب) وللأخ عُذْرُهُ ، فكذا في مخطوطته التي اتخذها أصْلاً .

١٣١ — ص ١٢٨ :

لَقَدْ عَلِمَتْ ألَّا أُكِيلَ حَقِيبَتي عَلَيْهَا وَلَا تَخْشَى اطِّلَاعِيَ في العِكْمِ

قرأها وكتبها : (إلالِكَيْلِ) .

١٣٢ — ص ١٢٩ :

أخا سَقَمٍ صَبًّا بَناتُ فُؤَادِهِ لأَرْضِ بَني الْعَرْجَاءِ مَرْهُونَةٌ جِدًّا

قرأها وكتبها : (لأرضي) وعلّق على البيت : (العرجاء : تأنيث الأعرج ، ذو العرجاء أكمة كأنّها مائلة ، قيل : بأرض مُزَينة) إلى آخر ما أسعفه به كتابه «المراصد» حتّى ولو كان بنو العرجاء من بني آدم ، ليكونوا آكَاماً ، أو حجارة ! !

١٣٣ — ص ١٢٩ :

سَقَى اللهُ مُسْقِي الغَيْثِ جُوْثَةَ إنَّها مَبَادٍ لِجَدْوَى ، أو فروع خُرُوم

صحف (خروم) إلى حزوم .

١٣٤ — ص ١٢٩ :

يُغَادِرُ بِالْجَرَّيْنِ حَيْثُ تَلَاقَيَا حَبَاباً بناتُ الْمَاءِ فيه تَعُومُ

فَسَّرَ الجُرَيْنِ قائلاً : (جرين تصغير جُرْن : موضع بين سواج والنير باللَّعْبَاء من

أرض نَجْد ــ أنظر «المراصد» ١/٣٢٩) !! فتح الله عليك !

١٣٥ ــ ص ١٣٠ :

كَمَا ذِيْدَ حَرَّانٌ عَنِ الْمَاءِ قَدْ رَعَى هُجُولَ الْفَلَا فِي غُلَّةٍ وسمُوْمِ

قرأ البيت : (هجول الغلا) و(سهوم) .

١٣٦ ــ ص ١٣٠ :

لَوَ اَنَّ الذي بِي مِنْكِ كَانَ بِرَاهِبٍ يُصَلِّي اللَّيالِي كُلَّهَا ويَصُومُ

حذف من صدر البيت (بي) وعلق عليه : (هكذا ورد ، ولا تدخل الباء على خبر كان (؟) البيتُ فيه إقواء ، ولا يستقيم الوزن إلا بقولنا : ولو أنَّ الذي قد كان منك براهب) !! هذا نَصٌّ ما كتب ، فاقرأ واعجب !!

١٣٧ ــ ص ١٣٠ :

لما صَبَرَ الرهبانُ عَنْكِ فأَجْمِلي سَقَتْكِ السواقي مِنْ أَجَشَّ هَزِيْمِ

قرأ (عنك) : (منك) وفرق بين الكلمتين .

١٣٨ ــ ص ١٣١ :

بِسِرْبٍ عَمَاهِيْجٍ كأنَّ عُيُونَهَا عيُونُ الْمهَا جِيْبَتْ عليهَا الْبَرَاقِعُ

كتب (عماهج) وقال في الحاشية : (العمهج الطويل من كل شيء . في الكلمة زحاف تُمَدُّ الكسرة فيه حتى تكون ياء (عماهيج) أنظر «اللسان» ــ عمهج ــ) .

لم أدْرك معنى هذا القول ، إلّا أنَّ الذي أُدركه وجوب عدم التغيير في الأصل .

١٣٩ ــ ص ١٣٣ : كلمة (أثوب) في السطر الأول في الأصل : (أتوب) .

١٤٠ ــ ص ١٣٤ :

إذَا انشَقَّ عَنْهُ السَّابِرِيُّ رأيتَهُ هَضِيْمَ الحشَا ، صَلْتَ الْجَبِيْنِ عَمَرَّدا

قرأ (صلت) وكتبها (صكت) .

١٤١ — ص ١٣٤ :

كَرِيمٌ على عَزَّائِهِ لَوْ شَتَمْتَه   لَحَيَّاكَ رَسْلاً لا تراه مُزَنَّدَا

(عزائه) وضعها (عزابه) .

١٤٢ — ص ٢٣٤ :

مُفِيدٌ ومِتْلَافٌ وطَلَّاعُ أَنْجُدٍ   إذَا النِّكْسُ أعْيَا هَمُّهُ فَتَرَدَّدا

(همه) جاءت عند صاحبنا (صمه) وقد تكون تطبيعا .

١٤٣ — ص ١٣٥ : (والحَلَّةُ — بِجَرِّ الحاءِ — والشِبْرِقُ والضَّرِيْعُ إذا يَبِسَ) وفي المطبوعة (الضبيع) .

١٤٤ — ص ١٣٧ : (أبو السمح الضِّنِّي ضِنَّةِ بن نُمَيْر) وتَصَحَّفَ في المخطوطة إلى (الضبِّي ، ضبّة نُمَيْر) وكذا في «جمهرة أنساب العرب» الطبعة الأولى ، فلم يدرك هذا المحقق فاعتمد عليها ونقل عنها في الحاشية .

١٤٥ — ص ١٣٧ :

أَرَيْتَ إنْ سُقْنَا سِيَاقاً حَسَنَا   يَمُدُّ مِنْ آباطِهِنَّ الْغَضَنَا

صَحَّفَ أخُونا (الْغَضَنَا) إلى (العطنا) . وقال في الحاشية (في أ — ب : الغضبا حيث لا تستقيم القافية ولا المعنى ما بين المعوقين — يقصد العطنا — ليس في الأصل ، وقد جئنا به قياسا) ثم فسر (العطن) بما لا يتصل بالمعنى الذي قصد الشاعر . وليس في الأصل (الغضبا) كما قال ، بل على العين علامة الإهمال فحسبها نقطة .

١٤٦ — ص ١٣٧ :

يَا أَخَوَيَّ أَعْقِبَانِي أَعْيَيْتْ   لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْكُمَا لَنَادَيْتْ

— زاد في الأول ألفا (أيا أخويّ) وضَمَّ تاء القافيةِ وهي ساكنةٌ في الأصل .

١٤٧ — ص ١٣٨ :

كَمْ مِنْ فَتًى تَرْشَحُ الْيَتَاهُ   على الْقَلُوصِ لَا يَرَى أخاهُ

جاء في المطبوعة : (توشح) ولعله تطبيع .

١٤٨ — ص ١٣٩ : (وأَسْوَدُ الْجَفْرِ جَبَلٌ عَلَى أَمْيَالٍ من ضَرِيَّة ، إذا خرجْتَ مِنْهَا تُرِيْدُ النُّقْرَة ، والربذة ، بين طريقي العراق) .

وضع أخونا حاشية قال فيها : (الأسود : جبل شامخ حذاء بطن نَخْل ، وهي قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة) كذا قال ، ولْيَقُلِ الهجريُّ ما شاء ! !

والنقرة قرأها : (البقرة) وفسرها : (البقرة ماء عن يمين الحوْءب) الخ .

و(الربذة من قرى المدينة على ثلاثة أميال منها ، فيها قبر أبي ذر رضي الله عنه المراصد ، ومصدر جديد هو «التنبيه والإشراف» .

وكل هذه الحواشي خطأ في خطإ .

فأسود الجفر غير الأسود المشرف على بطن نخل — المعروف الآن باسم (الحناكية) الأول بقرب ضرية ، والمسافة بين الموضعين لا تقل عن ٣٠٠ كيل .

والنُّقرة — وليست البقرة — لا تزال معروفة ، وتقع في الطريق بين ضرية وبين المدينة ، بخلاف البقرة الواقعة في عالية نجد ، قُرْب سَجَا بعيدة عن طريق الحج البصري .

والربذة — وقد عرف موقعها الآن ، تبعد عن المدينة مسيرة ثلاثة أيام للإبل — لا مسافة ثلاثة أميال — وكلمة (طريقي العراق) وردتْ في الأصل (طرفي العراق) والمقصود طريقي حاج الكوفة وحاج البصرة ، إذ طريق حاج الكوفة يمرُّ بالنُّقرة ، وطريق حاج البصرة يَمرُّ بالرَّبذة ، وأسود الْجفر يقع بين الطريقين ، والجفر أوضحه في هامش الأصل (جفر بني الأدرم من بني كلاب) كذا قال وهم من قريش ، ولهذا الجفر ذكر كثير .

١٤٩ — ص ١٣٩ :

إذَا نَارُ لَيْلَى آلَتِ الْجَمْرَ بَعْدَمَا ... سَرَيْنَا بِهَا لَيْلاً ، وطالَ ثُقُوبُهَا

جاء في المطبوعة : (وطال تقربها)

وقافية البيت الذي بعده : (يؤوبها) وهي بالباء (يَؤوبها) ولعل هذا كله تطبيع .

١٥٠ — ص ١٤٠ :

قَطَعْتَ الْقُوَى مِنْ حَبْلِ جُمْلٍ فَأَصْبَحَتْ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا عليك ذِمامُ

ذمام — بالذال — لا (زمام) .

١٥١ — ص ١٤١ :

قَضَتْكَ جَدِيْدَ الصَّرْمِ جُمْلٌ ولم تَكُنْ إِذَا دَايَنَتْ يُقْضَى وفاءٌ غَرِيْمُها

في المطبعة (جديد العرم) .

١٥٢ — ص ١٤١ : (أخت شبيب .. إحدى بني نبهان) لا أحد بني نبهان ، فهي أنثى .

١٥٣ — ص ١٤٢ : (صاحب سلامة ، ميمون بن شيخ ، العائذي ، من خُويلد عُقَيل ، من عَبِيْدة) حرِّف الاسم في المطبوعة هكذا : (بن شيخ العبايدة ، من خويلد عقيل بن عبيدة) وكتب في الهامش : (في أ — ب : العايد ، وهو تحريف وجاء العبايد جميع عبيدة في هامش الأصل ١١٠ ، وفي «معجم الشعراء» للمرزباني — هـ — ٤٠٢ : ميمون بن شيخ العباء) .

ليس ما في الأصل ما ذكر الأخ ، فلا تحريف وما ذكر في هامش كتاب المرزباني هو (ميمون بن شيخ بن العباء) والنقل عن الهجري ، وإذن فلم حرف العائذي إلى (العبايدة)؟ و(من عبيدة) إلى (بن عبيدة)؟

١٥٤ — ص ١٤٤ : (خَرَقَتْ الرِّيْحُ تَخْرُقُ ، فهيَ خَرُوقٌ وخَرِيْقٌ ، لُغَتَانِ جيِّدتَانِ ، فالواوُ حِجَارِيَّةٌ ، والياء سُهْلِيَّة .

زاد صاحبنا في الجملة كلمة (قالوا : الواو) ولا محلَّ لهذه الزيادة .

١٥٤ — ص ١٤٦ :

لَهُنَّ أَجِيجٌ تَصْقَعُ الْجِنُّ تَحْتَهُ   كما اهْتَزَّ غيثٌ صادِقُ الوَبْلِ والرَّعْدِ

حُرِّفَتْ كلمة (الوبل) إلى (الوبد) ووضعت حركات فوق بعض الكلمات خطأ مثل (الجنَّ) و(الوَبْدَ) !

١٥٥ — ص ١٤١ : (والْحَبَطُ لِلْغَنَم كُلِّها ، والإِبِلُ عنِ النَّفَلِ والزِّرَقِ والْكَرِشِ) .

الزُّرَقُ هنا من أخطاء الأصل ، صوابُها (الذُّرَق) — بالذال وهو نبات معروف ، ولهذا فلا ضَيْرَ على صاحبنا في عدم إدراك وجه الصواب فيها ، ولا في كلمة (الرُّوُثة) فيما جاء في الأصل بعد الجملة المتقدمة : (ومن الحمض الرُّوْثَةُ ، تَحْبِط أيضاً عليها) فهي غير واضحة في الأصل ، ولهذا فقد قرأها أُستاذنا الشيخ محمود شاكر (البروقة) ولما ذاكرته — ولم يَجِد الرُّوثَةَ مذكورة في كتب اللغة الموجودة بين يديه ، لم يقبلها ، مع أنَّ الرُّوثة من الحمض ، ومعروفة الآن لدى عرب الشمال ، ومِمَّا يُتَنَدَّرُ به على قبيلة الرُّوَلَة أنَّ أحدهم سَمِعَ أحدَ الخطباء يَصِفُ الجَنَّة ، وما أَعَدَّ اللهُ فيها لعباده قال : يَا خطِيْب : الجَنَّةُ فيها رُوْثَة ! !

١٥٥ — ص ١٤٧ : (والسَّكَبُ والثَّغَرُ يُسمَّيَانِ اللِّيْدَيْنِ لأنَّ الإبِلَ إذا رعتْهما أَضَحَتْ ثِقالاً بِطَاناً) .

قرأ الأخ : (يسمنان) وزعم أن ما في الأصل تحريف ، وجعل (اللِيْدَيْن) : (اللّدين) و(رعتهما) : (رعتْها) . وليلاحظ أن في كتاب الهجريّ هذا من الكلمات ما لَا يُوجَد في الكتب المعروفة ومنها كلمة (اللِّيْدَيْنِ) مثنى (لِيْد) .

١٥٦ — ص ١٤٩ : (جِلْدُ كُلِّ جَذعٍ من الْمِعْزَى بَدْرَةٌ ، فَالجِذاعُ جُلُودُهُنَّ بدوْرٌ ، فما تَحْتَها وَهِي الْفُطُمُ والْغَذَوِيَّةُ) .

جاءت (الفُطم) : (الفطلم) .

١٥٧ ـــ ص ١٥٠ :

نَظَرْتُ وصُحْبَتِي بجنُوب خَوْعَى   إلى نـارٍ تـعـلَّـلَ مُوْقِـدَاهـا

في هامش الأصل : (خَوْعَى قُرْب دوْمَةِ كَلْبٍ) وهذا صحيح فهي لا تزال معروفة من أشهر المناهل الواقعة شرق دومة الجندل (الجوف) ولكنَّ أخانا لم يَكْفِهِ ما في الهامش ، فكتب (خَوْعَى جبل أو موضع قرب خَيْبَرَ ، فيه يوم للعرب أنظر مراصد ٤٩١/١) ولكنك في هذا الكتاب لا تجد ما قال ، بل تجد كلمة أخرى هي (خَوْعٌ) وفَرَّقَ بين الاسمين .

١٥٨ ـــ ص ١٥٢ : (والقارح إذا اسْتَوْفَى خَمْساً) القارح ـــ بالراء لا بالدَّال ـــ

١٥٩ ـــ ١٥٣ :

قَـدْ وَرَدَتْ تَشْـرَبُ شُـرْباً أدًّا   لَولَا تَـرَاخِي جِـلْـدِهـا لانْـقَـدَّا

قرأها أخونا : ولَوْ تَرَاخَى جِلْدُها لَانْقَدَّا

فغيّر المعنَى .

١٦٠ ـــ ص ١٥٣ :

ظَلَّتْ عَلَى حِسْي بِصَدَّاء زَغَلْ   ما قَـلَّ مِـنْـهَـا ماؤُهُ ومَا شُغِلْ

يَزْغَلُ : مثل يَجُمُّ ، وفتح الغَيْن أبو الميمون ، وكسرها اليَّزيدي ، وهو أفصح ، أي يَشْغَلَهُ وارِدٌ عَلَيْهِ) .

ورد في المطبوعة (تَصَدًّا) تصحيف (بِصَدَّاء) ونسب الأخ إلى الأصل (تصدأ) بالهمزة وهو تحريف) ولا تحريف ولكن عدم قدرة على القراءة الصحيحة .

وجملة (وهو أفصح) وما بعدها لم تَرِدْ في المطبوعة .

١٦١ ـــ ص ١٥٤ :

وقُلْنَ الْعَامِرِيُّ قَضَى لِجُمْلٍ   أَرَاهُ اللهُ كَــفَّــهُ في غِلَالِ

غيَّر الأخ (كفه) فجعلها (كفًّا) وقال في الحاشية : (في أ — ب : كفه — تحريف) كذا قال ، لأنه لا يعرف أن الكلمة دخلها القبض — فليرجع إلى كتاب سيبويه — ص ١٠ ج١ — ليعرفه .

١٦٢ — ص ١٥٧ : (قُرًى هذه التي ذكر ، بِعَمْقِ الرَّيْبِ ، وقُرًى أُخْرَى عِنْدَ أَبْيَدَةَ ، من بلادِ بَجِيلَةَ ، وصُدُوْرِ تُرَبَةَ) .

جاء في المطبوعة (التي ذكرت) مع أنه يقصد شاعراً أَوْرَدَ رجزه . كما جاء (وقرى عند أبيدة) بحذف كلمة (أخرى) فتغيَّر المعنى .

١٦٣ — ص ١٥٧ : (الْجَعْدِيُّ الفاتِكُ وطلبه الحجاج) . قال الأخ (الجعديُّ الفاتِكُ : العُدَيْلُ بن الفرج) وساق نسبه إلى عِجْل ، ولكن كيف يكون جَعْدِياً وهو مِنْ عِجْلٍ .

وأضاف الأخ إلى هذا الإشكال إشكالاً آخر هو أنه قال عن الثعلبي — الوارد في ص ١٥٨ — (الثعلبي هو الجعدي الفاتك ، نسبة إلى جده ثعلبة بن سمي بن الحارث — وهو عكابة — بن ربيعة بن عِجْل —

(للحديث صلة)　　　　حمد الجاسر

الحواشي :

---

(١) في الأصل (الفرة) .

(٢) ص ٤٢ .

(٣) ص ٤٧ .

(٤) ص ٤٧ .

نساء في القمة

— ٧ —

امرأة تختار الموت على شتم زوجها بعد مماته...

ما أجمل أنْ يُرْزَقَ المرء زوجةً وفيّةً تحفظه في نفسها إذا غاب ، وتُعْلي من شأنه إذا ذكر ، وتَسُرُّه إذا حضر ، فيعيش رخيّ البال ، قرير العين .

ولكن إذَا بلغ من وفائها أنْ تختارَ القتْلَ بحَدِّ السيف على أن تُسيءَ إليه بكلمة بعد مماته ، حيث لا ترجو حضوره ، ولا تأْمَلُ رؤْيتَه ، ولا تخشى عتابه ، فذالك ما يَستَحِقُّ أن يُسَطَّرَ في الكُتُب خبره ، ويُسَيَّر بين الأنام جيلاً بعد جيل ذكره ، ليكون فيه عبرة لكل متَّعِظٍ ، ونموذجاً رائعاً لكل مُحتَذٍ ومُقْتَدٍ .

وللوصول إلى قصة تلك المرأة التي عز نظيرُها بين الأمم بشجاعتها التي فاقت كلَّ شجاعة ، وبوفائها الذي سما فوق كل وفاء ، لا بُدَّ من المرور بتاريخ أُمَّتنا في فترة تفرق فيها شملها ، وانْتَثَرَ فيها عقدُها ، وتَعَدّدتْ فيها أهواؤها حين أصبحت شِيَعاً وأحزاباً .

لقد نكِب المسلمون عدة نكباتٍ ، في تاريخهم ، من أشهرها : مهلك الآلافِ المؤلفة عند أسوار القسطنطينية ، إذ قدموا هناك لفتحها بقيادة مسلمة بن عبد الملك ، الذي خدعه الروم خدعةً طارَ خبرها وأهلك الناس أثَرُها يوم أغراه أحدهم بحرق ما معه من طعام ليظهر عزمه على احتلال المدينة فيرهبه أهلها ، ويفتحوا له الأبواب طواعيةً واختيارا ، ونزلت الثُّلوج فسدّت السُّبُلَ على السالكين ، فمات الجنود جوعاً ، وسَلِمَتِ (القسطنطينية) لأهلها ، وعاد القائد المخدوع بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ ، وَعَارِ الدهر . ونكب المسلمون على بلاط الشهداء قُرب (باريس) حين اجتمعت (أوربا) الجزعة الخائفة قضَّها بِقَضِيْضِهَا لتلقى البطل الهمام عبد الرحمن الغافقيّ ، الذي شقَّت صيحاتُهُ عنان السماء ، داعياً رجاله إلى إلقاء الغنائم التي أثْقَلَتْ ظهور الخيل أرضاً ، لتُحسِنَ الكرَّ والفَرَّ ، ولكن واأسفاه ذهب القوم وذهبتْ غنائمهم وضُرِّجَتِ تلك البقاع بدمائهم ،

وسلمتْ (أوربا) وبقي ذكر الغافقي في القلوب تبكيه العيون، كلما ذكر الأبطال المجاهدون.

ونكب المسلمون يوم قَدِمتْ (أوربا) إلى الأرض المقدسة بجموع عظيمة، اخترقت بلاد (الأناضول) وأهلكت المدنَ التي وقفت في وجهها، وأَحرقتِ الأخضرَ واليابس في طريقها، فلما وصلتْ مدينة القُدس اجتمع الناس الخائفون في المسجد الأَقْصَى ظَانِّين أن القوم يكتفون بنهب البيوت، والاستيلاء على المتاع، وتمنعهم حرمة المسجد من إراقة الدماء، ولكن الغُزاة المتوحشين قتلوا سبعين ألفاً من قومنا، ثم جمعوا جُثَثَهُم في كومة عظيمة وضعوا عليها الحطب وأوقدوا فيها النار.

لقد بكى الناس ولكنهم بكوا مجتمعين، وثأروا من الأعداء غير متفرقين، وذكروا تلك النكبات — ولا يزالون — مُعظِّمِيْنَ لشهدائها، معترفين بالجميل لأَبْطالها.

ولكن النكبة العظمى التي لا تزال حتى يومنا تَجرُّ النكبات، والمصيبة التي تلد كل يوم مصائب متواليات — مصرع الحسين بن علي — رضي الله عنه — على أرض (كَرْبَلَاء) قريباً من مدينة الكوفة في العراق.

لقد كان لتلك الوقعة المشئومة أثرُها العظيم إذْ قسمت المسلمين، وفرَّقتْ بين المؤمنين، وجرَّت بينهم حروباً تلتها حروب، فقُتِلَ من قُتِل، وبقي من بقي للشحناء والبغضاء، ولعن الناس بعضهم بعضا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لقد حزن أهل الكوفة للحدث العظيم، وكان مبعث الحزن والأسى أنهم هم الذين دعوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخروج فلما صار بساحتهم لم ينصروه، بل خرج إليه قادتهم فقتلوه.

وخرجتْ منهم جماعة سموا أنفسهم بالتَّوابِيْنَ، ليثأَرُوا من الأمويّين، فلم يدركوا ثأْراً، ولم يحوزوا شيئاً بل قُتِلَ قائدهم سليمان بن صُرَد، وحينئذ برز في الكوفة فتى مقدامٌ، جمع بين الشجاعة والدَّهاء، وهو المختار ابن القائد المشهور صاحب معركة الجَسْرِ أبي عُبَيْدٍ الثقفيٌّ، فأقام دولةً في الكوفة، حاربت الأَمَويّين في الشام والزُّبَيْريِّين في الحجاز، فقتل عبيد الله بن زياد، أمير الكوفة يوم مصرع الحسين، وهو الذي أرسل

رأسه الطاهِرَ إلى يزيد في الشام . ولكنَّ مُصْعَبَ بْنَ الزُّبير استطاع بمعونة زعماء العراق الذين قتل المختارُ كثيراً منهم ثأراً للحسين أن يقضي على دولة المختار في الكوفة ، ولم يكتف بمصرع المختار ، بل أمر بقتل رجال جيشه الذين أعْلنوا الاستسلام ، وطلبوا الأمان ، وفي الخبر التالي ما يبين شِدَّة الأمر : لقِيَ عبدُ الله بنُ عمر — رضي الله عنه مُصْعَباً فسلَّم عليه ، فقال ابن عمر : من أنت ؟ فقال : أنا ابنُ أخيك مصعب بن الزُّبير ، فقال له ابن عمر : أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة ، عِشْ ما استَطَعْتَ ، فقال له مصعب : إنهم كانوا كَفَرَة سَحَرَة ، فقال ابن عمر : والله لو قتلت عِدْلَهم غنماً من تُراث أبيك لكان ذلك سَرَفاً .

وليت سبعة الآلاف هؤلاء شفوا غليل مصعب بن الزبير فاكتفى بهم ، لقد استدعى زوجتَي المختار ، أم ثابت بنت سمرة جندب ، وعَمْرَة بِنْتَ النعمان بن بشير الأنصاري فسأل الأولى : ما تقولين في المختار ؟ فأجابتْ : وما عسى أن أقول فيه إلا ما تقولون أنتم فيه ؟ فخلَّى سَبيلَهَا ، أمَّا عمرة بنتُ النُّعْمان بن بشير فأجابتْ : رحمه الله لقد كان عَبْداً من عباد الله الصالحين ، فَسَجَنَها ، وكتب إلى أخيه عبدالله بن الزبير : إنها تقول عن المختار : إنه نبيٌّ ، فأجابه أن أخْرِجها فاقتُلْها ، فأخرجها إلى ظاهر البلد بين الكوفة والحِيْرة فضُربَتْ ثلاث ضَرَبَاتٍ بالسيف وهي تقول : يا أبتاه يا عَثْرَتَاه ! !

وعظم الأمر على الناس وهالهم ما فعل مصعبُ بن الزُّبَير ، فقال عمر بن أبي رَبِيعَةَ :

إنَّ مِنْ أَعْجَبِ العَجَائِبِ عِنْدِي ... قَتْلَ بَيْضَاءَ حُرَّةٍ عُطْبُوْلِ
قُتِلَتْ هكَذَا على غيْر جُرْمٍ ... إن لله دَرّهَا مِنْ قَتِيْلِ
كُتِبَ الْقَتْلُ والقِتَالُ عَلَيْنَا ... وَعَلَى المُحصَنَاتِ جَرُّ الذُيُوْلِ

ورثاها سعيد بن عبد الرحمن بن حَسَّانٍ بن ثابتٍ الأنصاري :

أَتَى رَاكِبٌ بالأمْرِ ذِي النَّبَأِ الْعَجَبْ ... بِقَتْلِ ابْنَةِ النُّعْمانِ ذي الدِّينِ والحَسَبْ
بِقَتْلِ فتاةٍ ذاتِ دَلٍّ سَتِيْرَةٍ ... مُهَذَّبَةِ الأخْلَاقِ والخِيْمِ والنَّسَبْ
مُطَهَّرة من نَسْلِ قَوْمٍ أَكَارِمٍ ... من المُؤْثِرِينَ الْخَيْرَ في سالِفِ الحُقُبْ

خليل النبي المصطفى ونَصيرِهِ
وصَاحِبُهُ في الحَرْبِ والضَّربِ والكُرَبْ

أتَاني بأنْ [.....] تَوافَقُوا
عَلَى قتلِهَا لا جنبُوا القتْلَ والسَّلَبْ

فلا هَنَأَتْ آلُ الزُّبَيْرِ مَعِيشَة
وذاقُوا لِبَاس الذّلِّ والخوف والحَرَبْ

كَأنَّهُمُ إذْ أبرَزُوهَا وقُطِعَتْ
بأسْيَافِهِم فَازُوا بمَمْلكَة العَرَبْ

ألَمْ تعْجَبِ الأقْوامُ من قتلِ حُرَّةٍ
منَ المُحْصَنَاتِ الدِّينِ مَحْمُودة الأدَبْ

منَ الْغَافِلاتِ الْمُؤمِنَاتِ بَرِيئَةٌ
من الذَّمّ والْبُهْتَانِ وَالشَّكِّ والْكَذِبْ

عَلَيْنَا كتابُ القَتْلِ والْبَأسِ واجِبٌ
وهُنَّ الْعفَافُ في الحِجَالِ وفي الْحُجُبْ

على دِيْنِ أجْدَادٍ لَهَا وَأُبُوَّةٍ
كِرَامٍ مَضَتْ لَمْ تُخْزِ أهْلاً ولَمْ تُرِبْ

مِنَ الخَفِرَاتِ لَا خُرُوجٌ بزنَّةٍ
مُلَائِمَةٍ تَبْغِي عَلَى جَارِهَا الْجُنُبْ

ولَا الْجَار ذِي القُرْبَى ولم تَدْرِ مَا الخَنَا
وَلَمْ تَزْدَلِفْ يَوماً بِسُوءٍ ولم تُجِبْ

عَجِبْتُ لَهَا إذْ كُتِّفَتْ وهِيَ حَيَّةٌ
ألَا إنَّ هذَا الخطْبَ من أعْجَب الْعَجَبْ

أجل إنَّ هذا من أعجب العجب !! ، امرأة مَنَعَها وفاؤها لزوجها أن تسبَّه بَعْدَ مماته ، وقد عاشت معه ما عاشت ، أوْ أن تَلْعَنَهُ وقدْ لقِيَتْ في كنفه من الكرم ما لاقتْ .

لقد كان أمراً سهلاً وسائغاً ومقبولاً أن تقول ما قالتْ ضَرَّتُهَا فتسلم من الأذى ، وقد كان بابُ العُذْر واسعاً ، وطريق اللوم من أيِّ مَخْلوق مُغلقا لوْ خلَّصتْ نفسَها من سيف مُشْرَعٍ ، وموتٍ مُحقَّقٍ ، وحُكْمٍ من خَليفَةٍ لا رَدَّ لَهُ ولا مَدْفَع ، بكلمة واحدة ، بَعْد سِجْنٍ تَستطيع في ظلمته أن تُغيِّر رأيها ، وأن تُبَدِّل موقفها ، فتخلص من أن تتشحَّط في دمها بضرباتٍ مؤلمةٍ من سيف غير صَقِيل ، فيصيح من رأى ذلك المَنْظرِ المُحزنَ : عَذَّبْتها ويْلَكَ يا ابن ...!! فيتعلَّق الشُّرْطيُّ بالصَّائح ، ويجلبه إلى مصعب بن الزُّبير. فيقول للشُّرطيِّ : دَعْهُ لقد رأى شيئاً فظيعاً !!

فما أجمل الوفاء !! وما أحسن وَقْعَهُ في النفوس !! ولكنه — كما قالتْ كُلُّ الأمم وسَجَّلت آدابُ كلِّ الشعوب — من المرأة لِزَوجها . أجمَلُ وأعظم ، فهو آيَةُ الحبِّ العظيم الصادق ، من نسائنا الكريمات على الرَّغمِ من كُلِّ تُرَّهات القصصِ الشائعةِ وأقاويل الشعراء الكاذِبة ، عنِ العفافِ ، والوفاء والشرف .

الكويت : محمد علي العبد

بلد شهادات

في رواية فاوست للكاتب الألماني جيته يقول فاوست لمفيستوفيلس :

وماذا يضايقك في هذه المصطلحات اللاتينية التي نستعملها ؟ إنها يا سيدي الغطاء الذي نستر به عيوبنا .. كلما صادفنا شيئاً لا نفهمه وضعنا له مصطلحاً لاتينياً يبهر الناس ويجعلهم يشعرون أننا علماء .

وهذا ينطبق على الكثير جداً من ألقاب الماجستير والدكتوراه عندنا اليوم .. إنها أغطية وأقنعة نستر بها الجهل أحياناً ، ونكسب بها لقمة العيش في أكثر الأحيان ، والطالب لا يدقق فيما يقول لأنه يعرف أن الكثيرين من الأساتذة لا يقرأون لا هذا البحث ولا غيره ، ولقب دكتور يعطى كأنه صدقة أو حسنة لوجه الله ، وقاعات الرسائل في مكتباتنا الجامعية تضم الألوف من تلك المجلدات الثمينة المجلة بالقماش الأسود ، والله وحده يعلم ما فيها ..

الجيل الذي تخرجنا عليه نحن وبقية العالم العربي لم يكن في رجاله إلا القليل ممن حلت عليهم بركة الدكتوراه ، ربما لأنهم كانوا علماء حقا ، ولأنهم كانوا كذلك فلم يكونوا بحاجة إلى طيلسان الدكتورية لكي يؤكد للناس مكانهم من العلم .

محمد شفيق غربال وعبد الحميد العبادي وأحمد أمين وأمين الخولي ومصطفى عامر وأحمد الشايب وعلى عبد الرزاق وعبد الرحمن الرافعي ومعظم هذا الرعيل المبارك الذي ملأ طباق عالم العرب والإسلام علماً ، لم يحمل واحد منهم لقب دكتور .

ولكنهم جميعاً كانوا بحار علم ومعرفة ، واحد منهم وهو عباس محمود العقاد كان جامعة كاملة ، ولو شاء أي منهم أن يحمل عشرة طيالسة دكتوراه لحملها ، وواحد منهم فعل ذلك وهو زكي مبارك فلم يكن دكتوراً واحداً بل كان دكاترةً ، وكان يلقب نفسه فعلاً بالدكاترة زكي مبارك .

وأيام هذا الجيل الذي هو إلى أيامنا هذه عماد مجد مصر الفكري ، كانت قاعة صغيرة في شارع صغير متفرع من شارع عبد العزيز يسمى شارع الكرداسي أو حارة الهدارة تضم من العلم قدر ما تضمه جامعاتنا اليوم جميعاً ، تلك هي قاعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ولقد رأيت فيها ذات خميس كل من ذكرت مضافاً إليهم محمد كرد علي عالم الشام في عصره وحسن حسني عبد الوهاب عالم تونس وعبد العزيز الميمني عالم الهند وعباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني وكامل كيلاني ومحمد لطفي جمعة ومحمود تيمور ومحمد فريد وجدي ومحمد فريد أبو حديد ومصطفى عبد الرازق ، ومحمد عوض محمد وأحمد زكي باشا شيخ العروبة ، وكان شباب العلماء في ذلك الحين .. ومن بينهم زكي نجيب محمود وإبراهيم حلمي عبد الرحمن وعبد الرحمن بدوي ومحمد عبد الهادي أبو ريدة ومحمد مندور وشوقي ضيف وإبراهيم بيومي مدكور وغيرهم كثيرون يجلسون في نفس القاعة ويتلقون من الرعيل القائد راية العلم ليسيروا بها إلى الأمام ، وكان كل رجال هذا الجيل الثاني دكاترة بالفعل ، ولكن الدكتوراه كانت أقل أدواتهم وأيسر ما يذكرونه من عدة لحمل الأمانة لأنهم حتى بدون لقب دكتور كانوا سيصلون إلى ما وصلوا إليه ويزيدون ، ولم يكن حصولهم على ذلك اللقب إلا استكمالاً لشكليَّاتٍ كانت الجامعة تتطلبها منهم ، وكان العلم ينتقل إذا ذاك من قاعة شارع الكرداسي وبيت آل عبد الرازق في الشارع الواقع خلف قصر عابدين — وكان يسمى باب باريز — إلى قاعات الجامعة القديمة في سراي الزعفران ثم الجامعة الجديدة في حدائق الأورمان .. وليته ما انتقل .

لأن الانتقال بدا لنا إذ ذاك أنه تطور حتمي تقتضيه طبيعة التقدم ، وقد فاتنا يومها أنه انتقل من عصور تقليد العلم العربي الخالد إلى عصور ضياع . كان ينتقل من عصور كان العالم فيها عالماً بعلمه وحفظه وجلالة قدره واحترامه لنفسه لا بلقب يحمله لا ندري كيف حمله ، أيام كان على الشيخ أن يحصل على لقب الشيخ الحافظ كل يوم ، لأنه في امتحان ومناقشة كل يوم ولا بد أن يخرج منها بدرجة الشرف الأولى كل مرة فإذا قصر يوماً واحداً أو تلعثم في الإجابة عن سؤال أو سها في رواية سند واحد من اسناد الصحاح والمسانيد وكتب السنن .. انصرف الناس عنه وتحدثوا بالخطأ الذي لا يغتفر الذي وقع

فيه ، وكانت عندهم عبارة قاسية يقولونها وهي : لقد وقع الشيخ في حفرة .

ولقد وقع في الحفرة شيخ أندلسي جليل بسبب نقطة واحدة وضعها خطأ فوق حرف ؟ وهذا الشيخ هو أصبغ بن خليل من أعلام الأندلس في القرن الثالث الهجري وقد قرأ اسم الصحابي المعروف أسيد بن الحضير (الاسمان بصورة التصغير) أسيد بن الخضير بالخاء فأكله الناس أكلاً .

وأمامي الآن كتابان من كتب تراجم العلماء عندنا هما الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر العسقلاني ، والضوء اللامع في أعيان القرن التاسع لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي ، وإن الإنسان ليخشع وهو يقرأ سير أولئك الناس وما كانوا يدرسونه ويواظبون على درسه يوماً بعد يوم حتى يحتفظوا بلقب الأستاذية لأن الواحد منهم كان يعرف أن خطأ واحداً في درس أو في كتاب قد يسقط عنه اللقب إذا ثبت أنه وقع فيه حقاً .

لأن تقاليد العلم عندنا تقول إن العالم ينبغي أن يكون جامعاً لصفات أهل العلم من ذكاء وحفظ وصدق وأمانة مع نزاهة النفس والتصاون والبعد عن الدنايا والزهد في أموال السلاطين . وكان الواحد منهم يقف لصاحبه موقف الرقيب ، والويل لمن يقع في خطأ في علم أو خلق ، وأمامك نقد السخاوي للسيوطي ونقد السيوطي للسخاوي ونقد ابن حجر لجمال الدين بن تغري بردي .

ومن أغرب ما وقع لي من أخبار العلماء ودقتهم في العلم أن ابن رشيد السبتي الرحالة ، وكان عالماً مغربياً يطوف العالم ليلقى العلماء ويسمع منهم ، لقي في مصر الشيخ تقي الدين محمد بن دقيق العيد وكان إماما في العلم معاصراً لعز الدين بن عبد السلام ، وكان ابن دقيق العيد عالماً متواضعاً منصرفاً إلى العلم ذا حياء وقناعة في حين كان عز الدين بن عبد السلام صاحب دعوى عريضة وفم كبير ومداخلة للسلاطين ، شأنه في ذلك شأن أهل العلم من غير المصريين الذين كانوا يأتون مصر وينعمون بخيرها ويجدون الأمان والعز في أعطافها ، ولا يكون لهم هم بعد ذلك إلا التطاول على علماء مصر ومحاولة التعالم عليهم ، ولدينا من هؤلاء مثالان : ابن حجر العسقلاني من أهل المشرق

وعبد الرحمن بن خلدون من أهل المغرب ، وكلاهما لم يعرف العز والأمن والمكانة العليا إلا في مصر ، ومع ذلك فما أكثر ما وقع ابن حجر في علماء مصر ، وما أكثر ما وقع ابن خلدون في علماء مصر ، ومسكينة مصر هذه ما أكثر ما تحملت وما تتحمل .

نقول إن ابن رشيد لقي ابن دقيق العيد في المدرسة الصالحية في القاهرة وَأَلْقَى عليه سؤالاً وروى خبراً قال فيه .. إن ابن شاهين قال : صليت خلف المازري ، فتركه ابن دقيق العيد حتى فرغ من كلامه ثم قال له : هذا حسن إلا أن التاريخ يأبى ما ذكرت فإن ابن شاهين لم يلق المازري فقال ابن رشيد إنما أردت الميانشي فقال ابن دقيق العيد الآن صح ما ذكرته ، فتصور هذا الخطأ خطأ واحداً في إسناد خبر فلاحظ الشيخ هذا الخطأ وانتظر حتى صححه الطالب !.

فتأمل والله أي أخطاء تهد الجبال يقع فيها أساتذة اليوم ولا أحد يبالي . والسبب ؟. هو لقب الدكتوراه قاتله الله !.

ذلك أن الدكتوراه عندنا بدأت بداية حسنة عند أمثال منصور فهمي وطه حسين وزكي مبارك ومحمود عزمي ومن إليهم ، وكانت الدكتوراه في أوربا في ذلك العصر شيئاً هائلاً ، وكان الرجل في فرنسا لا يحصل على الدكتوراه إلا إذا شاب شعره وقد يعلم في السوربون عشرين سنة مدرساً يحصل بعدها على الدكتوراه وهو في حدود الخمسين ، وهنا فقط قد — وقد لا — يعين أستاذاً في السوربون .

ولقد شهدت لأول دراستي في السوربون مناقشة المستشرق المعروف لنا جميعاً كلود كاهان في رسالته عن شمال الشام أيام الحروب الصليبية ، وجلس ليناقشه خمسة من أسود الاستشراق والتاريخ وأخذوا يساجلونه ويختبرونه ويلومونه ست ساعات ولم يغفر واحد منهم له خطأ واحداً في النحو وظل يقرعه حتى تصبب عرقه ، وأخيراً منحوه اللقب بعد أن هلك وهلكنا معه !.

وواقعة أخرى من هذا الطراز عندنا شهدتها وشهدها معي أنيس منصور ، وكان أيامها يشق طريقه الطويل بادئاً في جريدة الأهرام فيما أذكر ، والواقعة كانت مناقشة الدكتورة عائشة عبد الرحمن في رسالتها عن رسالة الغفران ، ولم تكن مناقشة إنما معركة

وقفت فيها تلك المناضلة الباسلة تؤيد رسالتها أمام طه حسين وأحمد أمين والعبادي ومن في طبقتهم ، ولم تكن مناقشة إنما كانت يوم الحشر لأن أهل العلم في مصر كلها اجتمعوا لشهود هذه المعركة كأنها نضال بين أسد وأسير في ملعب روما ، ولقد رأيت بنت الشاطىء بعد أن سمعت قرار اللجنة تجلس على مقعدها وتلتقط أنفاسها كأنها البطل أندروفيكوس بعد أن قتل الأسد !.

تلك كانت الدكتوراه في تلك الأيام ، فماذا أصاب الدكتوراه في هذه الأيام وأقصد أيامنا هذه ؟

لقد أصبحت درجة مالية لا مرتبة علمية .

وإذا أنت حضرت المناقشات عجبت ! فإن أصحاب الذمة من الأساتذة المناقشين الذين يقرأون الرسالة ويستعدون لمناقشتها حقاً يظلون يكشفون عن عيوب الرسالة ومواضع الخطأ فيها حتى تقول انتهى الولد يا ولد !.

ثم تجتمع اللجنة للتداول ، ثم تعود لتعلن منح الطالب درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى ، ولا يمكن إلا أن تكون مرتبة شرف أولى .

وتظل واجماً مكانك لأنك لا تفهم ، فإما أن الذي سمعته من كلام الشيوخ ونقدهم حق ، إذن فهذا الطالب لا يستحق الثانوية العامة .

وإما أنها كلها مسرحية مرتبة محبوكة يتأزم فيها الموقف حتى تظن أن البطل قد ضاع ثم فجأة تنحل العقدة وتصفو السماء ويتزوج البطل البطلة وفي هذه الحالة تكون تلاوة قرار اللجنة صورة مبتكرة لأغنيتنا التقليدية اتمخطري يا حلوة يا زينة .

وأرجو يا سيد القارىء ألا تحسبني هازلاً فهذا هو الحق وليس هذا مقام هزل ، إنه يبلغ من استهانة الطالب باللجنة ومناقشاتها وحكمها بالتالي ، أنه في يوم المناقشة يعزم أهله ومحبيه ويشتري الملبس والشربات لأنه لا يشك في مرتبة الشرف الأولى ، ولا يكاد الأستاذ المشرف يفرغ من القراءة حتى تتردد الزغاريد ويدور الملبس والشربات ولولا الملامة لأتى الطالب بالراقصات ليرقصن أمامه ، في الكوشة مع ربة الصون والعفاف

الآنسة دكتوراه أو الآنسة ماجي وهو اسم الدلع للماجستير.

وما الذي يدور في غرفة المداولة؟

هنا أنا لا أذيع سراً لأن أي فراش في الكليات يعرف ما أقول حرفاً بحرف، والفراش في يوم أي مناقشة هو نجم الحفل، هو الذي يقوم بإعداد لوازم الزفاف.

الذي يدور هو أن الأستاذ المشرف — لأنه في أحيان كثيرة جداً لا يكون قد قرأ الرسالة التي أشرف عليها — يريد أن يغطي على هذه الحقيقة الرهيبة، فيضفي النقاء على طالبه، ويدافع عنه كأنه هو — لا الطالب — موضع الامتحان فهو يطالب بالدرجة لنفسه لا للطالب! وكيف يجوز أن يحصل سيادته على أقل من ماجي بدرجة ممتاز، أو دوكي — الدكتوراه أقصد — بمرتبة الشرف الأولى!.

وإذا أنت اقترحت أقل من ذلك ومضيت تناقش قالوا لك:

— حرام يا دكتور: إنه متزوج وعنده ثلاثة أولاد.. ده حرام وربنا لا يرضى عن قطع العيش..

وتتلفت حولك وتقول:

— يا ناس.. إن الطالب بخير، وإذا لم يتصل عيشه في الجامعة فهو متصل في التعليم العام، وهل العمل في التعليم العام قطع عيش أو وصل عيش؟

— معلهش يا دكتور.. خليها تفوت بقى.. ما هم كلهم كده..

هيه جت على ده!

وهذا المشهد تكرر مرات ومرّاتٍ حتى وصلنا إلى مستوى أسيف وحزين.

ذلك أن الأساتذة ينسون أنه إذا كان الليسانس أو البكالوريوس أو الدبلوم حقاً للطالب لأنه رزق ومعاش، فإن الدراسات العليا حق للجامعة لأنها المعمل الذي تعد فيه الجامعات هيئات التدريس وإطارات البحث والدراسات والتعليم الجامعي القادمة.

ومعنى ذلك أنهم لو أتوني بألف طالب في الليسانس فليس لي حق الاعتراض،

فهؤلاء جميعاً شبان وشابات لهم الحق بحكم الدستور في الدراسة الجامعية والحصول على الإجازة العلمية إذا نجحوا في الامتحان لكي يكسبوا بها العيش الحلال .

والأمر مختلف جداً بالنسبة لما هو فوق ذلك .

لأن الدراسات العليا لَيْسَتْ حقاً مطلقاً لأي مواطن بل هي حق للجامعات وحدها ..

فنحن لا نأذن لطالب بأن يقيد نفسه في قسم الدراسات العليا لكي يدخل هيئة التدريس من الباب الخلفي ، ولا نحن نقبله ونعطيه اللقب العلمي لكي يتباهى به كأنه وردة في عروة سترته ، فما لهذا خلقت الدراسات العليا ، إنما هي فقط مؤسسة علمية جامعية لكي تعد للجامعات ما هي بِحَاجة إليه من علماء .

هنا في قاعات الدراسات العليا يلتقي الجيل السابق بالمؤهلين للبحث العلمي من أبناء الجيل اللاحق ليتكونوا على أيديهم ويتسلموا الراية ليسيروا بها في طريق العلم .

لا دخل هنا للقمة العيش ولا للعياقة ..

ولا قسوة على الإطلاق في أن تقول لطالب : معذرة يا بني ، ليس عندي وقت ، فلدي خمسة طلاب يدرسون ، وعندما أفرغ من واحد منهم آخذك بعده .

لأننا — كأساتذة لنا الحق في الإشراف على الرسائل — ينبغي ألا ننسى قط أننا نخدم هنا الجامعة أولاً وعاشراً — وأن وظائف الجامعة لا ينبغي أن يشغلها إلا الذين يستحقون ذلك فعلاً محافظة على الجامعة في ذاتها ومراعاة لمستوى العلم في البلاد .

ولقد قرأت في طلب تقدم به أستاذ للعمل في قسم التاريخ في جامعة عربية ، وكنت رئيس هذا القسم ، فإذا بصاحبنا يقول إنه أشرف إلى الآن على ٧٥ رسالة للماجستير والدكتوراه فاستبعدت الطلب في الحال ، لأن هذا الأستاذ لا يخلو أن يكون أحد رجلين : إما إنه صادق فيا يقول أي أنه أشرف فعلاً على هذا العدد الهائل من الرسائل ، وفي هذه الحالة لا يكون وقته قد اتسع للاطلاع على كتاب واحد أو تأليف كتاب واحد ، وفقد الحق في الأستاذية من زمن طويل نتيجة لعدم الإطلاع على كتب

جديدة ، وإما أن يكون كاذباً ، وهو في هذه الحالة لا يحق له أن ينتسب إلى الجامعة ولا سلك الفراشين والخدمة السايرة .

* * *

ومن بالغ ما يؤسف له أن ما قال هذا الرجل كان صحيحاً ومن أساتذة الجامعات بل مساعدي الأساتذة من يشرف في وقت واحد على عشرين أو ثلاثين بحثاً .

وقد تبينت هيئة علمية أن أستاذا يعمل فيها جعل الإشراف على الرسائل « بيزنيس » بل « جريت بيزنيس » وتفوق على جهابذة الدنيا كلهم وأشرف في سنتين على ٦٥ طالباً ، ولم يجدوا بداً في هذه الحالة من أن يطلبوا إليه الخروج وإقفال الباب من الخارج .

وهذا الكلام أقوله دفاعاً عن الجامعات في بلادي ، وبل دفاعاً عن العلم فيها ، فإن المستوى العلمي هو سور دفاعنا الأول والأخير .

وإذا كانت بلادنا ذات تقاليد علمية من أيام امتحب فلا يصح قط أن نتنازل عن ذلك التقليد في عصر مركبات الفضاء ..

وليس في الدنيا نصف علم ولا ربع علم . إما أن يكون العلم كاملاً أو هو ضرر على الدنيا والناس .

وهل يجوز في عقل أو شرع يا ناس أن يكون هناك دكتور في الرقص أو دكتور في الديكور أو في فن الإعلان أو في إخراج الخزعبلات التي يسمونها مسلسلات ؟.. وإذا كنا عاجزين عن تسويق علب الفول المدمس حتى غلبتنا الصين وتايوان في هذا المجال ، فهل يعقل أن يكون لدينا العشرات من دكاترة إحصائيات الإعلانات وحسابات الإعلانات أو نظريات فن التسويق ؟..

أليس الأفضل من ذلك أن نعطي طالب الدكتوراه صندوق علب فول لبيعه وينفعنا وينفع نفسه بدل أن نعطيه لقب دكتور لكي يرفع علينا بعد ذلك قضية في مجلس الدولة مطالباً بتعيينه في هيئة التدريس ؟..

* * *

وهناك من الشطار من يقولون : أما أنا فدرجتي العلمية من أوروبا ، وللكثيرين جداً من هؤلاء نقول : قديمة ! ذلك أن أساتذة الجامعات في الغرب لا يهمهم أن يعطوا أي طالب من غير بلدهم أي لقب علمي يريده ، ما دام سيأخذه ويغور عن وجوههم .

ومن أسف أن ذلك يصدر اليوم حتى من أعرق الجامعات في الغرب ، وماذا يهم الأستاذ في جامعة مثل ييل مثلاً أو ستانفورد .. أتاه طالب بكلمتين عن عبدالله النديم أو الآنسة مي أو عن الشاعر حلموس صاحب ديوان الأنس المأنوس في تهاني عيد الجلوس ؟ وإذا كان الأستاذ نفسه لم يسمع في حياته عن عبدالله النديم فماذا يضره إذا عرف عنه شيئاً عن طريق هذا الطالب في مقابل إعطائه لقب دكتور .

وإذا قلنا إن جامعات الغرب تدقق بعض التدقيق ، فإن «بعضاً» هذه تتلاشى تماماً عند جامعات الكتلة الشرقية . فجامعات هذه البلاد لا تتردد في منح دكتور لأي شاب يلتحق بجامعاتها لأن العلم يأتي عندهم في المرتبة الثانية لأن المرتبة الأولى هي للمذهب الشيوعي . وهم لا يكونون علماء بل دعاة ، وهذا هو ما يأملونه على الأقل . وهذا لا يمنع من القول بأن الكثيرين من شبابنا الذكي درس هناك وتعلم ونفع وانتفع ، ولكني أحدثك عن وجهة نظرهم هناك .

وأنا في كلامي كله لا أقصد التعميم قط ، فليس كل من سيحصلون في أيّامِنا على مرتبة الشرف الأولى لا يستحقون تلك المرتبة ، ففيهم الكثيرون ممن هم جديرون بذلك ولا شك وهذا هو المحزن .

أجل ، فإنه حرام أن تضيع قلة ممتازة في زحمة كثرة لا قيمة لها ..

والشاب الجيد الذي يستحق يضيع عندنا في الرجلين ..

والأستاذ الذي يَأْذَنُ لطالب في طبع رسالة لم يقرأها لا يدري أي جناية يجنيها على هذا البلد ، إنه يحسب أنه يقوم بعمل من أعمال الإحسان — ربما لنفسه — وفي أثناء ذلك يلحق بنا أشد الضرر .

ومعيار تقدمنا لا يكون بعدد الذين يحصلون على لقب ماجستير ودكتوراه بل بعدد

مذكرات تاريخية

كتبها الشيخ محمد بن مانع

— ٢ —

١٣٢٧ — وفي سنة ١٣٢٧ أرسل ابن سعود سرية إلى أولاد إبراهيم المهنَّا وهم في نخلهم المعروف بالرُّبَيعيَّة ، وكانوا ستة إخوة ، معهم عبد العزيز بن حسن المهنا وأمرها بقتلهم ، فقتلت السبعة جميعهم ، وحجته على ذالك أنه وجد لهم كتباً يدعون بها ابن رشيد إلى المصالحة ، وإعانتهم إياه على ابن سعود ، والله أعلم .

١٣٢٧ — في سنة ١٣٢٧ وقع غلاء شديد في نجد خصوصاً القصيم ، وحصل للناس منه شدة عظيمة ، حتى أُكلت الميتة ، بل عزَّ وجودُها ، ومات خلق كثير من الجوع وغالبهم من أهل القرى الصّغار ، فإنهم تهافتوا على عُنَيْزَة وبُرَيدة ، وبلغت قيمة صاع العيش ريالاً والتمر ثلاثة وَزْنَاتٍ بريال .

١٣٢٨ — في عشر ذي الحجة سنة ١٣٢٨ وقع علينا مطر شديد ونحن في بلد الزُّبَيْر ، وجاء الشّعيب ، فأغرق بيوتاً كثيرة تقرب من مئة بَيت ، وغالبها من محلة الرشيدية .

الذين يعلمون حقاً وينفعوننا حقاً .

وهل أدل على روح الاستهتار بالألقاب العلمية من أن الشاب إذا ذهب إلى أوروبا أو أمريكا ليحصل على الدكتوراه يأخذ معه حرمه المصون ويحصل لها — على الماشي — على دكتوراه هي الأخرى ؟.. وأي كلام هناك يعطون عليه دكتوراه ..

وفي يوم من الأيام سيحصل الطالب على اللقب لأولاده بنين وبنات .

وألف رحمة تنزل عليك يا قاعة لجنة التأليف في حارة الهدارة ..

د . حسين مؤنس

ولم يتلف فيه من النفوس سوى رجل واحد ، وقع في بئر قد علا عليه الماء وأذهب أثره ، فظن الرجل أن ليس ثمَّ بئر فسقط فيه وهلك رحمه الله .

١٣٢٩ — وفي محرم مبتدأ سنة ١٣٢٩ جاءنا ونحن في الكويت متوجهين إلى نجد بردٌ شديد ، لم يعهد مثله في تلك الجهات ووقع الثلج على الكُويت وما حولها . وكيفية مجيء هذا البرد أنه إذا انتصف النّهار هاجتِ الرياح واحْمَرَّ الجوُّ واشتد البرد إلى نصف الليل ، فسبحان القادر البصير .

١٣٢٩ — في شوال سنة ١٣٢٩ عزل عبد العزيز بن سعود ابْنَ عمّه عَبْدِ الله بن جلوي عن إمارة بريدة ، وأخذ خيله ، وكانت اثني عشر فرساً ، وذهب ابنُ جَلَوِيٍّ إلى العارض ، وكان رجلاً عاقلاً حَليماً وأمّر عبد العزيز بن سعود في بُريدة بعد ابن جلوي ابْنَ مُعَمَّر .

وكان القاضي من جهة ابن سعود عبد العزيز بن عبدالله بن بشر ، وهو رجل متخصص بعلم الفقه ولا يعرف غيره من العلوم ، وفيه حِدَّة زائدة ......

١٣٢٩ — وفي شوال أيضاً من هذه السنة ، أي سنة ١٣٢٩ — أغار عبد العزيز بن سعود على أخلاط من عُتيبة وغيرهم ، وهم نازلون على ماء يعرف بِصُفَيْنَة — تصغير صَفْنَة — وكان في قومه غزو من عتيبة ، فلما غنموا فَرّوا بما معهم ، وقصدوا أهلهم ، فكرَّ عادياً عليهم ، ووجدهم قد اجتمعوا له ، فدار بينه وبينهم القتالُ ، وتجمّع الأعرابُ من كل فَجٍّ ونهج ، فلم يقدر على التغلب عليهم ، فرجع مُحْتَمِياً على نفسه وقومه ، وهم في أثره ، وكلٌّ يطلق الرصاصَ على صاحبه ، وكان ممن سمع صوت البنادق الضِّيْطُ من رؤساء عتيبة ، فجاء ليعين قومه ، فلما رآى أن المحاربة واقعة منهم على ابن سعود كفَّ نفسه والذين جاؤا معه وقال للآخرين : إني أرى لكم الرجوع فرجعوا . ثم إنَّ ابن سعود جاء إلى عنيزة وكنت إذ ذاك فيها ومكث فيها أربعة أيام ، ثم سار إلى بُريدة وأبقى قومه في عنيزة ، وتوافتْ عليه أمراء القصيم ، وجاءته مكاتيب من عُتَيْبة يطلبون منه الصلح ، ويردُّون عليه ما عندهم ، ويعطونه ما يريد ، فرضي بذالك وأرسل إليهم رجالاً مع رسل عُتَيْبة ، يقبضون ما عندهم ، فلما وصلوا إليهم طلبوا منهم ما

عندهم فانعوهم ، فعلم اولئك الرجال أن هؤلاء القوم خداعون ، وأن فعلهم هذا حيلة يريدون بها تفتير عزائم ابن سعود عن أخذ سفرهم وكانوا مرسلين إلى سُدَير سَفْراً يأتيهم بالطعام والثياب فإذا جاء ذهبوا إلى الحجاز ، وتركوا ابن سعود ، ولم يبالوا به ، فعلم ذلك رجاله وتحققوه وأرسلوا إليه بالخبر اليقين ، وكان في بريدة فنهض من ساعته وقصد سُدَيْر ، وجعل العيون والأَرْصَاد ، لئلا يذهب من سَفْرهم أحد ، فقبض عليهم بأجمعهم ، وأخذ منهم ألفي بعير وخمس مئة ، تَفَقَةً ، ودراهم كثيرة ولم يردّ على أحدٍ منهم شيئاً ما عدا الضَيْطِ ، فكافأة لصنيعه .

لا يَذْهبُ العُرْفُ بَيْنَ اللهِ والنَّاسِ .

١٣٢٩ — وفي سنة ١٣٢٩ في صفر وصلت إلى عنيزة من بغداد فوجدت أسعارها رَخِيَّة وأهلها بخير ، فالتمر يباع منه اثنا عشرة وَزْنَةً بريال ، والعيش خمسة أصواع ونصف إلى ستة أصواع بريال .

١٣٢٩ — يوم الشعرا بين عُتَيْبة وحَرْب ، وقد استدامت المقاتلة بينهم قريباً من عشرين يوماً وذلك سنة ١٣٢٩ .

١٣٢٩ — في سنة ١٣٢٩ أسرت الدولة سُعْدُون بن منصور شيخ المنتفق ، وأرسلته إلى الآستانة ، فلما وصل إلى حلب مات غمًّا .

١٣٣٠ — في ٢٠ شعبان سنة ١٣٣١ بلغنا ونحن بالبحرين وفاة الشيخ قاسم بن ثاني في قطر ، وكانتْ وفاته يوم الخميس الموافق ١٣ من شعبان سنة ١٣٣١ وهو من أكابر الرجال المحسنين ، وأوصى بأموال كثيرة تُفرَّقُ بعد موته ، منها عشرة آلاف ربية للشيخ عبدالله بن عبد اللطيف ، وبقية وصيته نَصٌّ على أن تكون لأهل التوحيد — رحمه الله تعالى وغفر له .

١٣٣١ — في ٢٨ جمادي الأولى سنة ١٣٣١ استولى عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود على الأحساء .

دخلها في الساعة السابعة من الليل وبدأ بالكوت حيث أن عساكر الترك كانت فيه ،

فلما رآى العسكر ما حلَّ بهم همُّوا بالمحاربة لكنهم تيقنوا أنهم مغلوبون ، فسلموا القصر للإمام ، وجهزهم إلى البحرين ، فلما وصلوا إليه وإذا بأمير من أمراء العسكر قادماً من البصرة ، قصده التوجه إلى الأحساء ، فلام العساكر على سرعة التسليم واستأجر سُفُناً من البحرين ، وحمل فيها العساكر ورجع بهم إلى العُقَير لقصد الإستيلاء عليه ، فلما وصلوه حاربهم الأمير فيه من جهة عبد العزيز ، وساعده من كان هناك من المسافرين ، فلما علم عبد العزيز بِخَبَرِهِمْ ركب من الأحساء بجنوده قاصداً العسكر في العقير ، فلما وصله وجدهم قد سلموا لِأَمِيْرِه قَهْراً ، فأخذ سلاحهم وكان قد تركه لهم في المرة الأولى في الأحساء وأرسلهم إلى البحرين ، ثم سافروا إلى البصرة .

وبعد أيام أرسل عبد العزيز محمود (؟) بن ثنيان بمكاتيب إلى الحكومة بالبصرة فلم يقبلوها ، ورجع بها إلى ابن عمّه عبد العزيز ، ولله عاقبة الأمور .

١٣٣١ — في غرة رمضان سنة ١٣٣١ حصلت فتنة في حائل ، وقتل زَاملُ بن سبهان أَحَدَ عشر رجلاً ستّةٌ من العُبَيْد آل رَشيد ، وخمسة من الرخيص ولم نَعْلَم السبب .

١٣٣١ — في هذه السنة — أي سنة ١٣٣١ — أذن شريف مكة لأهل نجد أن يحجوا بعد أن منعهم من دخول مكة سنتين ، لمقاومته مع ابن سعود .

١٣٣٢ — في ربيع الآخر سنة ١٣٣٢ أرسل أمير الأحساء من جهة ابن سعود عَبْدَالله بن جلوي إلى ابن جمعة أحد رؤساء أهل القطيف ، فأتي به إلى الأحساء ولما وصل عبد العزيز بن سعود إلى القطيف في جمادى الأولى من هذه السنة المذكورة استولى على جميع ما يملكه ابن جمعة ، بعد أن قتله ... وذلك لحركاته ضدَّ ابن سعود .

١٣٣٢ — في ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٣٢ وصل الإمام عبد العزيز بن سعود إلى الجُبَيْل ، ومعه غزو أهل نجد ، والأمير عبد العزيز العبد الله السليم ، ووصل الأمير إلى البحرين يوم الأربعاء ١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٣٢ .

١٣٣٢ — في عدد ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٣٢ من «المؤيَّد ما ملخصه : نعت إلينا أخبار دمشق وفاة عالم الشام ، وأحد أركان الاسلام المرحوم جمال الدين القاسمي

توفاه الله عن خمسة وأربعين عاماً رحمه الله . ولد هذا الفقيد على ما في ترجمته في مجلة «المنار» جزء ٧ من المجلد ١٧ — سنة ١٢٨٣ .

١٣٣٢ — في جمادى الأولى سنة ١٣٣٢ أغار سعود بن رشيد على الزياد وأخذهم قُرْب الزُّبير ، ولما رجع ونزل في أبي غار قتل زامل بن سبهان ، وخمسة معه من السبهان وواحداً من العُبَيْد آل رشيد ، وولي الإمارة باطناً سعود بن صالح السبهان وإن كانت في الظاهر لسعود بن عبد العزيز بن رشيد .

١٣٣٢ — الحرب العامة : في رمضان سنة ١٣٣٢ استعرت نار الحرب بين دول أوربَّا فكان الفرانسا والروس والانكليز مقابلين للجرمن والنامْسَة ، والأتراك .

وفي آخر ذي الحجة من السنة المذكورة استولى الانكليز على البصرة بدون مقاومة تذكر ، وانتهوا إلى القُرْنة ، وما زالوا يفتحون بالعراق حتى وصلوا الآن إلى كوت الإمارة .

في صفر سنة ١٣٣٧ بلغنا خبر وقوع الصلح بين الدول المتحاربة وكذا وصل خبر الصلح بين ابن سعود وبين ابن رَشِيد .

١٣٣٣ — انتقاض الصلح بين ابن سعود وابن رشيد .

وفي ٧ ربيع الأول من السنة المذكورة — ١٣٣٣ — حصلتْ وقعة بينهما في الأرطاوية ، وصارت الغلبة فيها لابن رشيد ومن معه من قبائل شَمَّر على ابن سعود ومن معه من أهل القصيم ، وقتل في هذه الوقعة من أهل عُنَيْزَة عشرين رجلاً أحدهم أمير غزو عنيزة صالح بن زامل ، وقُتِل من أهل بريدة قريب من هذا العدد ، ومنه أمير غَزْو بريدة محمد بن شَرِيْدَة ، وعدد القَتْلى من أهل الجنوب وقوم ابن رشيد كثير ، ولكنه لم يبلغنا .

سبب الهزيمة : وقرأت في كتاب لعبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل كتبه لبعض أعيان أهل البحرين يخبره بذالك وحاصله : أنه لما التقى الجمعان خانت قبيلة العجمان وكانوا مع ابن سعود فنهبوا جيشه ، فانقلب القوم لحمايته من العجمان فحصلت بذالك

الهزيمة ، وهي هزيمة خفيفة ، وقد ردّ العجمان ما أخذوا ، ثم [أقام] ابن سعود في بريدة ، وبعد أيام غزا طوائف منْ حَرْب وأخذهم .

وبعد هذه الوقعة اصطلح الأميران ، ولمَّا حصلتْ فتنة العجمان بالأحساء ظنَّ ابنُ الرشيد أنه يستولي على القصيم بقوَّةٍ ، فانهزم ، وبهذا انتقض الصلح بينه وبين ابن سعود وكتب إلى ابن سعود يعتذر مما صدر منه من الخيانة ، ويقال بأن ابن سعود ما ردَّ إليه جواباً .

١٣٣٣ — في سنة ١٣٣٣ خرج (...) الذين في البحرين إلى عُمان ، ثم إلى العُجْمان ، فنقض هؤلاء عهد الإمام عبد العزيز ، وأخذوا يشنُّون الغارات على ما تطرّف من قوافل وغيرها . ووصل الإمام عبد العزيز إلى الأحساء ، ووجدهم قد اجتمعوا كلهم ولم يكن معه قوة تُقابلهم ، ومع ذلك فقد هاجموهم وهم في قرب الأحساء ليلة النصف من شعبان سنة ١٣٣٣ ، وكانوا قد جاءهم النذير ، فحصل على الإمام منهم الضرر ، وقُتل أخوه سعد بن عبد الرحمن ، وأرسل إلى نَجْد والكويت لتحشد الجنود .

ووصل إليه في عيد الفطر أخوه محمد ، ومعه غزو حَضَرٌ وبَدْوٌ ما عدا أهل القصيم ، فلم يأخُذْ منهم غزواً .

ووصل من الكويت سالم بن مبارك الصبَاح ، ومعه غزو من أهل الكويت ، وممن كان فيه من أهل نجد ، وما زالت الملاقات (؟) والمناوشات مستمرَّة متتابعة ،

وفي ٢٨ ذي العقدة سنة ١٣٣٣ وردت مكاتيب الإمام عبد العزيز على شيوخ البحرين آل خليفة ، وعلى أكابر البحرين غيرهم ، وفيها البشارة بانهزام الأعراب ونصرة الإمام وجنوده ، رأيت كتاباً منهم وفيه يقول : (ضربناهم بالطوب أزيد من مئتين قنبلة (وحصل بهم أعظم مما لو استوليناهم أربعة أيام) فلما ورد هذا الخبر أمر حاكم البحرين بإطلاق المدافع في اليوم الثاني ، فأطلقت من المنامة ثم من المحرَّق ، وتتابع الرَّمْيُ من العامة على سطوحهم ، ونُصِبَت الرايات ، فَرَحاً بانتصار المسلمين وانخذال الباغين .

ولما علم ابنُ رشيد بخيانة العُجْمان ، نقض العهد ، وأغار على أطراف القصيم ، واجتمع أهلُ عنيزة وبُرَيْدَة وبقية أهل القصيم ، وخرجوا لمحاربته فانهزم ، وقتلوا من قومه ستين رجلاً .

وفي هذه الأثناء أغار سعود بن عبد العزيز آل سعود[1] على أخلاطٍ من شمَّر وحَرْبٍ ، وأخذهم ؛ ثم ذُكر له أنَّ ابْنَ رشيدٍ على الأجْفر ، فقصده هناك ، فلما وصل ومعه جنود كثيرة من البدو والحضر أهل القصيم وجد ابْن رشيدٍ قد علم بهم ، وانهزم عنهم . ووجدوا رَجُلاً فأخبرهم أنَّ ابْنَ رشيد فَرَّ هارباً منهم ، وأخبرهم أن قافلةً من العراق مُتوجِّهةً إلى حائل ، فترصَّد لها سعود ومن معه فأخذوها قريباً من حائل .

وفي ٥ ذي الحجة وصل إلى البحرين سُفُنٌ من الْعُقَير وفيها جمع من أهل الأحساء وأموال ، وأخبروا بأمان الطريق ، بعد انهزام الأعراب .

ووردت أخبار من القطيف مُخبرةً أنَّ سعود (...) معه سريَّة من العجمان متوجهين جنوباً ومنهم سريَّة من بني هاجر ، لعبد العزيز بن سعود فأخذوهم وقتلوا عليهم (؟) رجالاً وانهزم سعود وأحد العجمان على خيلهم .

١٣٣٤ — موت ابن صباح : في ٢٠ محرم سنة ١٣٣٤ توفي أمير الكويت مبارك الصبَّاح ، الذي قتل أَخَويه محمد وجرَّاح سنة ١٣١٣ .

وقبل وفاته بيومين وصل إليه رؤساء العجمان يطلبون الصلح فأصلحهم ، ونزلوا في الصُّبَيْحِيَّة ، وكان قد أعان ابن سعود على حربهم بالأحساء فأرسل ابنه سالِماً مع غزو من أهل الكويت وأهل نجد ، فلما مات دخل ابْنُهُ الكويت ، ولم يَرْضَ ابنُ سعودٍ بهذا الصلح وهو بصدد الإغارة على العُجْمان .

١٣٣٤ — ثورة شريف مكة قال صاحب جريدة «الكوكب» عدد ١٥٠ : نادى منادي الثورة في الحجاز ، ورُفعت قواعدُ الحكومة الحجازية في أم القرى ، يوم تاسع شعبان سنة ١٣٣٤ .

١٣٣٧ — في سنة ١٣٣٧ حصل وباء عظيم ، ومات فيه خلق كثير ، وممن توفي

محمد بن العم عبدالله بن محمد بن مانع وكان قدر سنِّهِ العشرين عاماً ، وشبَّ على أحسن تربية وحفظ القرآن العظيم ، وشارك في كثير من الفنون كالنّحو والصرف والحديث والفقه والفرائض والتفسير — رحمه الله تعالى —

١٣٤٠ — انقراض إمارة الرشيد في نجد :

وفي غرة ربيع الأول سنة أربعين وثلاث مئة وألف انقرضتْ دولة آل رشيدٍ من حايل على يد إمام المسلمين عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل بعد حصار وقتال قريب من سنة ، وكان قبل ذلك حاصرها ابنه سعود وأخوه محمد ، ثم تركوا الحصار ، وذهب هو بنفسه . وفي مدة الحصار خرج من حائل أحد أولاد الرشيد(٢) ، وذهب إلى الرياض ورجع مع الامام لحرب حائل ، وكان معه فيصل بن حمود العُبَيْد ، وهو بينه وبين محمد بن طلال — الذي حصل الانقراض عليه — عداوة ، ولكنه مع ذلك كاتبه في أثناء المحاصرة ، وأتى من أخبر الإمام ، ووجدوا مكتوباً من جملة المكاتيب ، فأتي بهِ فأقَرَّ ، فأمر الإمام بربطه وإرساله مع أربعة أشخاص إلى بُرَيْدَة ، ثم عفى عنه الإمام — حرسه الله .

١٣٤٠ — في ليلة عيد الفطر سنة ١٣٤٠ حاول محمد بن طلال الهرب من الرياض فلَبس ثياب امْرَأةٍ هو وثلاثة أنفار معه ، فَعُلِمَ بهم ، وَأُتِيَ بهم الإمام ، فأمر بربطهم وحبسهم ، ففُعِلَ بهم ما أُمِرَ .

وهذا الأمير اشتهر عنه سفك الدماء عدواناً ، فآل أمره إلى أن قتله عَبْدٌ من عبيده بالرياض ، فانهزم العبد وقيل : قتل نفسه .

١٣٤١ — مات فيصل بن حمود بالأحساء سنة ١٣٤١ .

١٣٤٢ — توفي السيد محمود شكري الألوسي في أوائل شوال ببغداد سنة ١٣٤٢ — رحمه الله .

١٣٨٤ — في شعبان سنة ١٣٨٤ مات عبدالله الخالد السُّلَيم ، أمير عنيزة سابقاً — رحمه الله .

وفيـات بعض العلماء

— ٢ —

١ — توفي الشيخ محمد بن عمر بن سليم سنة ١٣٠٨ .

٢ — توفي الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم في ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٢٤ .

٣ — توفي الشيخ أحمد بن عيسى في جمادى الآخرة سنة ١٣٢٩ .

٤ — توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦ وقد ولد سنة ١١١٥ .

٥ — توفي الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن أبا بطين سنة ١٢٨٢ .

٦ — توفي الشيخ عبد الرحمن بن حسن ١٢٨٥ .

٧ — توفي الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن سنة ١٢٩٣ .

٨ — توفي الشيخ عبد الرزاق في ٥ محرم شيخنا سنة ١٣٢٨ .

٩ — توفي الشيخ قرناس سنة ١٢٦٣ .

١٠ — توفي الشيخ عبدالله بن دُخيِّل سنة ١٣٢٢ .

١١ — توفي الشيخ اسحاق بن عبد الرحمن سنة ١٣١٩ .

١٢ — توفي الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف قاضي الرياض في ذي الحجة سنة ١٣٢٩ .

١٣ — توفي الشيخ صالح بن سالم قاضي حائل سنة ١٣٢٩ .

١٤ — توفي علي بن عيسى قاضي شقرا سنة ١٣٣١ .

١٥ — توفي محمد بن محمود خاتمة الحنابلة في نجد في صفر سنة ١٣٣٢ .

١٦ — في سنة ١٣٣٣ توفي الشيخ محمد بن ناصر بن مبارك من أهل حريملاء ، وكان عالماً فاضلاً ، رحل إلى الهند وأخذ عن غير واحد ، ودخل اليمن ، وقد أخبرني بعض الفضلاء أن لديه كتباً كثيرة مفيدة .

— في ربيع الثاني سنة ١٣٣٩ توفي الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف رحمه الله .

— في ذي الحجة سنة ١٣٢٩ توفي الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف قاضي الرياض .

وفي هذه السنة توفي الشيخ صالح بن سالم قاضي حائل .

وفيات بعض الأمراء

توفي عبدالله بن رشيد سنة ١٢٦٣ .

توفي محمد بن عبدالله بن رشيد سنة ١٣١٥ .

توفي عبدالله بن يحيي السُّلَيّم سنة ١٢٨٥ .

توفي الإمام فيصل بن تركي سنة ١٢٨٢ .

توفي سعود بن فيصل في ١٨ ذي الحجة سنة ١٢٩١ في ٤ ذي القعدة سنة ١٣٣١ توفي أمير مسقط السيد فيصل ، وتولي بعده ابنه تيمور

توفي سعود بن عبد العزيز بن سعود (؟) بن فيصل في شعبان سنة ١٣٧٨ .

في شعبان سنة ١٣٨٤ مات عبدالله الخالد السليم أمير عنيزة سابقاً رحمه الله تعالى .

أخبار تتعلق بالشيخ محمد بن مانع وبأسرته

— ٣ —

ـ وولد كاتب الأحرف على ما في خط الوالد ليلة السبت ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٠٠ .

— [وتوفي رحمه الله ليلة السبت ١٣ رجب سنة ١٣٨٥ (الموافق ٦ نوفمبر سنة ١٩٦٥ م)] وهذه الجملة بخط ابنه الاستاذ أحمد المانع .

ـ كاتب الأحرف محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن مانع بن شبرمة الوهيبي التميمي .

ـ توفي جَدُّ والدي عبدالله بن محمد في ١٥ ذي الحجة في بلد أشيقر سنة ١٢٤٨ .

ـ وولد المرحوم جدي محمد بن عبدالله في حدود سنة ١٢١٠ وتوفي ليلة الأحد ١٩ جمادي الآخرة سنة ١٢٩١ في عنيزة .

— وولد والدي عبد العزيز بن محمد ليلة الاثنين الموافق ٢٩ صفر سنة ١٢٦٣ .

— وتوفي في ٢٧ جمادى الأولى ١٣٠٧ في بلد عنيزة .

— وتوفي عمي عبد الرحمن بن محمد في ربيع الأول سنة ١٢٨٦ في الأحساء .

— وولد عمي عبدالله — حرسه الله — في ٢٠ ذي القعدة سنة ١٢٨٤ .

— سفري إلى مكة : خرجت من قطر في تاسع رجب سنة ١٣٤٢ فحججنا الجمعة ، ورجعنا إلى قطر فوصلناها في ١٢ أو ١٣ محرم سنة ١٣٤٣ .

وكان احتراق المركب الذي كُنَّا فيه بين كَمَرَان وجُدَّة يوم الأربعاء ٢٧ شعبان سنة ١٣٤٢ .

ووصلنا إلى جدة يوم الجمعة ، وسافرنا يوم السبت أول يوم من رمضان إلى مكة ولم يَزُرْ أحدٌ المدينة لأنَّ الأعرابَ رَدُّوا الزُّوَّار .

— أوَّل ما خرجتُ من بلادي عُنيزة متوجهاً إلى البصرة سنة ١٣١٨ .

ثم سافرت منها إلى (...)[٣] ورجعت إليها .

وخرجتُ إلى نجد سنة ١٣٢٠ وما أقمت فيها غير شهر واحد ، ثم رجعت إلى البصرة ، ومنها سافرت إلى بغداد فوصلتها في ذي القعدة سنة ١٣٢٠ ، ثم سافرت منها إلى الشام فصرفي محرم سنة ١٣٢٢ ثم رجعتُ إليها فوصلتها أول يوم من رمضان سنة ١٣٢٣ .

ثم خرجت منها متوجهاً إلى نجد في ذي القعدة سنة ١٣٢٨ فوصلتُ عنيزة في ١٥ صفر سنة ١٣٢٩ ثم خرجت منها في ٤ ذي الحجة سنة ١٣٢٩ .

وأقَمْتُ بالبصرة والزُّبير مريضاً .

ثم سافرت إلى بغداد في ٧ شعبان سنة ١٣٣٠ فوصلتها بعد مضي خمسة أيام في الطريق .

١٣٢٩ — إنَّ لله وانا إليه راجعون : توفيت المرحومة والدتي نورة بنت رشيد الناصر

الشُّبَيْلي ضحوه الثلاثاء الموافق ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٢٩ ، ودفنت بالقرب من أختها حصة الرشيد في المقبرة المعروفة بالطعَيْمية وقد كانتْ وفاتها قبلها بثلاثة أشهر رحمها الله .

١٣٣٢ — في جمادى الآخرة سنة ١٣٣٢ بلغني خبر وفاة المرحومة شقيقتي حصّة بمكاتيب وردتْ إليَّ من وطني عُنيزة وأنا في البحرين رحمها الله تعالى .

ورجعتُ من بغداد في ٩ شوال سنة ١٣٣٠ .

وأقمتُ بالزُّبير إلى غرة ربيع الأول ثم سافرت إلى البحرين ووصلتها في ٢١ ربيع الأولى سنة ١٣٣١ .

ثم سافرت من البحرين إلى قطر في ٤ شوال سنة ١٣٣٤ ووصلت قطر في ٦ شوال من السنة المذكورة أي سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة .

وخرجت منها إلى الأحساء في آخر صفر سنة ١٣٥٨ وقدم الأهْلُ والعيالُ إلى الأحساء في أول جمادى الثانيةْ من السنة المذكورة سنة ١٣٥٨ .

— ولد ولدي عبد العزيز سنة ١٣٣٦ تقريباً .

توفي عبد العزيز الأول بعد أشهر من ولادته .

[ثم ولد الأخ عبد العزيز رحمه الله في آخر سنة ١٣٣٧ وتوفي في شهر جمادى الآخرة ١٣٩٠ هـ][٤] .

— وولد أحمد سنة ١٣٤٣ — دخول ابن سعود مكة .

— ولد ولدي عبد الرحمن يوم الأحد بعد العصر ٩ جمادى الأولى سنة ١٣٤٠ .

الحواشي

---

(١) كيف هذا وعمره ١٤ سنة إذا صح ما قيل من أنه ولد سنة ١٣١٩ .

(٢) في الهامش بخط الشيخ : (هو عبدالله المتعب) .

(٣) كلمة ممحوة وأخبرني الاستاذ أحمد بن الشيخ محمد المانع بأنها (عدن) فقد زارها الشيخ ولا يعرف الأستاذ أحمد تعليلاً لمحو الكلمة .

(٤) بخط الأستاذ أحمد بن الشيخ محمد بن مانع .

ماوان ... والماوية

[صدر الجزء السادس — وهو الأخير — من كتاب «بلاد القصيم» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» نشر دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، و«بلاد القصيم» تأليف الأستاذ الشيخ محمد العبودي، وها هو أحد مباحث هذا الجزء].

«مـاوان» :

بميم أوله فألف ثم واو مفتوحة فألف ثم نون في آخره.

جبل أسود يقع إلى الجنوب من «النقرة» التي تبعد عن «بريدة» ٢٨٩ كيلاً في أقصى الحدود الغربية لمنطقة القصيم.

يوصل إليه من «النقرة» ذاتها إذْ يترك المرءُ الطريق الاسفلتي الممتد من القصيم إلى المدينة المنورة ويتجه إلى جهة الجنوب سالكاً فرعاً من الطريق القديم للحاج إلى مكة الذي كان يسلكه حاج الكوفة فيصل إلى جبل «ماوان» بعد حوالي ٤١ كيلاً. وتسميته قديمة لم يتغير منها شيء.

قال ياقوت : ماوان : بالميم المفتوحة، وآخره نون. وأصله من أوى إليه، يأوي : إذا التجأ. وقال ابن دريد : يُهمَز ولا يُهْمَز. ويضاف إليه «ذو».

وقال لغدة الإصبهاني رحمه الله. وهو يعدد مواضع كانت لبني محارب : ومن جبالهم : (ماوان) وهو جبل أسود ضخم. قال المحاربيُّ.

إن يَبْدُ (ماوانٌ) فقد طال شوقنا ... إلى الركن من (ماوان) لوكان بادياً

ولو كَـلَّفتَني قَوْدَ (ماوان) قُدْتُهُ ... قـيـاد الـبـعير، أو قطعت فؤاديا

أي : أو مِتُّ.

ثم قال : وفي جنبه بئر يقال لها بئر ماوان، وفيها يقول الشاعر :

شَـرِبْنَ مـن (مـاوان) مـاءً مُرًّا ... ومنْ سـنـام مِـثْـلَـه أو شـرًّا

ويقول الأستاذ حمد الجاسر تعليقاً على هذه العبارة : ماوان : جبل لا يزال معروفاً في الجنوب الغربي من النَّقَرَة ، وبقربه مَنْهل ، ولكن ماءه غير عذب ، ويسمى «ماوان» أيضاً ، وكان من مناهل طريق مكة للحج الكوفي ، ويبعد عن النقرة بـ ٢٠ ميلاً[1]

ووقوع ماوان في طريق الحج الكوفي جعله يصبح أكثر شهرة .

قال الحربي : وعلى ثلاثة عشر ميلاً من النَّقْرَة[2] .. بركة على يَمْنَة الطريق عند الجبل والقصر ، تسمى بركة الأقحوانة ، وهي المتعشى ، وعند البريد بئرانِ فيهما ماء غليظ ، وبعدها بأربعة أميال بركة الماوان ، في الوادي عند المتعشَّى وقصر ، ومسجد ، يسرة الوادي .

والماوان : جبل ، يسرة ، منابت طرفاء .[3] .

أقول : البركة التي ذكرها الإمام الحربي تقع في غربيّ جبل (ماوان) هذا في شعبة منه ينزل إليها سيل إحدى تلاعه جدارها الرئيسي الغربي لا يزال ظاهراً كله مما يلي الوادي أي : من جهة الغَرْب ارتفاعه عن الأرض حوالي خمسة أمتار ، وعرضه ثلاثة أمتار ونصف .

وهو مبني بالحجارة ، وبملاط يشبه الجِصِّ أبيض اللون إلا أنه أقوى من الجِصّ إذ لم تؤثر فيه السيول والأمطار طيلة هذه القرون التي بلغت اثني عشر قرناً منذ إنشائه حتى الآن .

أما البركة فقد ملأتها الرمال حتى طمرتها تماماً ، ولكن سيول التلعة التي يُفترض أنها تملؤها تمر من جهتها الغربية وتخرج منها منحدرة إلى الوادي .

وإذا كنت في البركة صارت صخور جبل (ماوان) محيطة بك من جميع الجهات ما عدا مدخلاً من الجهة الغربية .

وقد زرتها يوم الجمعة ١٦/٣/٩٥هـ وقست طولها من الشمال إلى الجنوب فألفيته ١٨٥ قدماً أمَّا من الشرق إلى الغرب فقد قسته من جهة الشمال فوجدته ١١٠ أقدام .

وأعتقد أنه يمكن إصلاحها بسهولة ، وإعادة استخدامها ، ثم انتفاع الأعراب بها

في مياه الشرب . إذ الآبار في تلك المنطقة وبخاصة في ماء الماوية التي تجاورها مِلْحة شديدة الملوحة .

وتبعد هذه البركة عن الماء الذي يسمى «ماوية» الآتي ذكرها بعد هذا بما يُقارب سبعمائة متر .

وهذا الطريق الذي يمر بجبل (ماوان) ليس بالطريق الأعظم للحاج الكوفي وإنما يسلكه بعض الحاج عند الحاجة والطريق الأعظم هو الذي ينطلق من (النُّقْرة) فيمر بجبال الشمط ثم بجبل حَمْوان وقد سبق ذكر كليهما في موضعه ثم يدع جبل (ماوان) ، وماء (ماوان) الذي أصبح يسمى «الماوية» على شماله أي يساره منطلقاً إلى (مُغَيْثَة الماوان) التي أصبح اسمها الآن «العميرة» وتقدم ذكرها في حرف العين .

ومما يستدل به على هذا مع ظهوره واتضاحه لي قول الحربي فيما سبق قريباً و(الماوان) : جبل يَسْرَةً ، منابت طرفاء ، إلَّا أن قوله : منابت طرفاء يوحي بأن الجبل هو منابت الطرفاء والواقع أن الوادي هو الذي يُنبت الطرفاء أمَّا الجبل فليس فيه منها شيء . والسبب في نبات الطرفاء في الوادي قرب مائه من وجه الأرض وهو بعدُ ماء ملح .

كما ورد ذكره في بعض الأراجيز التي وصفت طريق الحج الكوفي ، قال الراجز :

وكان بالحاجر يومٌ أسْعَدُ   منه إلى النُّقْرة قد تومي اليدُ .
ثم إلى (الماوان) رحباً تَعْمَدُ   والله بالنزول فيها يُحمد[٤]

ومن الشعر القديم فيه قول عروة بن الورد العبسي :[٥]

وقلتُ لقوم في الكنيف تروَّحوا   عشيَّة بِتْنا دون (ماوان) رُزَّح[٦]
تنالوا الغنى ، أو تَبْلُغوا بنفوسكم   إلى مُستراح من حِمام مُبَرِّح
ليبلغَ عُذراً أو ينال رغيبةً   ومبلغ نفسٍ عُذْرَها مثل مُنجح .

قال ياقوت بعد أن أوردها : قال ابن السكِّيت : ماوان هو وادٍ فيه ماء بين النقرة والربذة[٧] فغلب عليه الماءُ فسمي بذلك الماء : (ماوان) . قاله في شرح شعر عروة ،

وكانت منازل عبس فيما بين أبانين والنُّقرة و(ماوان) والربذة ، هذه كانت منازلهم .

أقول : كل ما نقله ياقوت عن ابن السِّكيت موجود في شرحه على ديوان عروة ابن الوَرْد المطبوع[٨] .

كما قد ورد ذكر (ماوان) في عدة أخبار وأشعار لعروة بن الوَرْد الذي كان يقال له : عروة الصَّعَالِيك . وذلك لأن بني عبس قبل البعثة كانت منازلهم فيما بين (ماوان) والنقرة والربذة وأبانين كما سبق ذلك عن ابن السكيت .

قيل : إنَّ عروة ضاق حاله في بعض السنين فقيض الله له في شتاء شديد وهو مع قوم من هلال عشيرته ناقتين ، فنحر لهم إحداهما ، وحمل متاعهم وضُعَفَاءَهُمْ على الأخرى ، وجعل ينتقل من مكان إلى مكان ، وكان بين النقرة والرَّبَذَة ، فنزل بهم ما بينهما بموضع يقال له «ماوان»[٩] .

وقال ثمامة بن الوليد : خرج عروة وأصحابه حتى أتى (ماوان) فنزل أصحابه ، وكَنَف عليهم كَنيفاً[١٠] من الشجر. ثم مضى يبتغي لهم شيئاً الخ[١١] .

ومن شعر عروة أيضاً قوله[١٢] :

تَـدَارَكَ عَـوْذاً ، بعدما ساءَ ظَنُّها ... (بماوان) عِرْق من أسامة أزهر[١٣]
هُـمُ عَـيَّرُوني أنَّ أمي غـريـبـةٌ ... وهـل في كريم ماجدٍ ما يُعَيَّر؟
وقـد عـيـرُوني المال حين جمعتُه ... وقـد عَـيَّروني الفقر إذْ أنا مُقتِرُ

وقال أيضاً[١٤] :

ألَا إنَّ أصحاب الكنيف وجدتُهُمْ ... كَمَا النَّاس لمَّا أخصبوا وتَمَوَّلُوا[١٥]
وإني لمرفوع إليَّ وَلَاؤهـــــم ... (بماوان) إذْ نَمشي ، وإذْ نَتَمَلَّل[١٦] .

وقال طُفَيْل الغَنَوِيُّ[١٧] :

تَـأوَّبْن قَصْـراً من أُرِيك ووائلٍ ... و(ماوان) من كَلٍ تثُوب وتحلب .
ومن بطن ذي عاج رعال كأنها ... جَرادٌ تُباري وجهة الريح مُطْنِبُ

فقرن ذكره بذكر أريك الذي يعرف الآن بآسم «ريك» بدون همزة في أوله وسبق ذكره في حرف الراء . لا يبعد عنه كثيراً إلى جهة الغرب وبذي عاج الذي يسمى الآن «عاج» إلى الجنوب من (ماوان) كثيراً ، والمواضع الثلاثة كلها جبال معروفة . وفي كل واحد منها مَوْرِد ماء معروف . وخصصنا لكل واحد منها رسماً في هذا المعجم .

وقال حاجب بن حبيب الأسدي[١٨] :

هَلْ أَبْلُغَنْهَا بمثل الفحل ناجيةٍ   عَنْسٍ عُذافِرة بالرَّحْل مِذْعَانِ[١٩]
كـأنَّـهـا واضـحُ الأقـراب حَلَّأَهَـا   عن ماء (ماوان) رامٍ بعد إمكان[٢٠] .

وقد أضيف إلى (ماوان) معدن قال فيه الأستاذ حمد الجاسر ما يلي : «معدن ماوان» هذا المعدن من أشهر المعادن المعروفة القديمة ، واسم (ماوان) يُطلق على منهل لا يزال معروفاً ، وجبل يسمى بهذا الإسم .

أقول : المنهل هو الذي يسمى الآن (الماوية) وسيأتي ذكره بعد هذا إن شاء الله .

ثم قال الأستاذ حمد : وقد عرف موقع هذا المعدن بآثاره القديمة ، ويقع غرب الجبل المعروف بهذا الاسم (ماوان) وشرق منهل يدعى (عرجا) وهو غير عرجة الواقعة بقرب السرد في غربه . وأودية (ماوان) تنحدر إلى وادي الجرير (الجريب . سابقاً)[٢١] .

أقول : لقد استظهرت في رسم «أم زرايب» في حرف الألف أن معدن (ماوان) هو الذي يسمى الآن «أم زرايب» راجع هذا الرسم إن شئت .

وينبغي الانتباه إلى وجود أكثر من موضع باسم (ماوان) غير جبل (ماوان) هذا .

ومن ذلك الموضع الذي ذكرته امرأة من عُقَيْل فيما رواه الجاحظ[٢٢] :

خليليَّ من سُكَّان ماوان ، هاجني   هُبُـوب جَـنوب مُرُّهـا ونسامُـها
فلا تسـألاني مـا ورائي ، فإنني   بمنزلة أعيـا الـطَّبِيْبَ سقـامُـها

لأن بلاد بني عقيل بعيدة عن (ماوان) هذا الذي في القصيم فهي في البلاد التي تسمى بلاد الدواسر الآن وما كان قريباً منها جهة الشمال . وأول من رأيته نبَّه إلى أن

هناك نصوصاً في (ماوان) هي في الحقيقة لأكثر من موضع الشيخ محمد بن بليهد رحمه الله قال :

وأما (ماوان) فقد غلط فيه أناس كثير قال حسن السندوبي عن ابن السكيت ، وهو وادٍ فيه ماء بين النقرة والربذة ، وكانت فيه منازل عبس فيما بين أبانين والنقرة و(ماوان) والرَّبذة وفيه يقول عروة ابن الورد :

وقلت لقومي في الكنيف تروحوا الخ .

ولقد أخطأ في بعض ذلك وأصاب في بعض . أخطأ في استشهاده بهذه الأبيات على بيت امرىء القيس . لأن (ماوان) الذي عناه امرؤ القيس غير (ماوان) المذكور في هذه القصيدة . وأصاب في ذكر ماوان . أما ماوان الذي ذكره عروة بن الورد فإني أعرفه وأعرف الذي ذكره امرؤ القيس مثلما أعرف منازل بيتي .

وهو جبل أسود مرتفع عن الأرض ، ليس بالكبير ، عنده ماءة يقال لها «الماوية» أُضيفت إلى هذا الجبل ، تقع شمالي بلغة الماء المعروف على مسافة نصف يوم ، وتقع في الجهة الجنوبية الشرقية من النقرة على مسافة يوم أو أقل . وأما ماوان الذي ذكره امرؤ القيس فهو وادٍ عظيم في وسط علية الجبل المشهور في عارض اليمامة ، وهو من أمنع جبال نجد ... وفي ماوان قصور ومزارع ، وفي كلام أهل نجد مما يجري المثل : لعل ماوان يكفي أهله .. وسيوله مع سيول علية تنصب إلى جهة الخرج[٢٣] .

ومن الشعر العامي في ماوان قول الشاعر شامان الشيب من ميمون من مطير :

أبمتنى يا ليتني شيخ غزوان عقَيْد تتلبني مناسر غُرَابهْ[٢٤]
أبمتني مِلْح باَطاريف (ماوان) تْلاد والله من عصور الصحابة[٢٥]
غِزْنَا عليها من حواديث الأكوان وتشالعناها مثل شلع الذيابه[٢٦] .

فقال سعد بن شعوان البَدْرَاني من البدارين من حرب يردُّ عليه :

يا هَيْهْ يا للي تِمْنِيني كون (ماوان) دونه رْبُوع يعتزون بشبابه[٢٧]

قل له ترى من دون حِلْوات الألبان ... رَبْع قَرُومٍ وُكلٌّ أبوهم مَهابه (٢٨)
كم واحدٍ طَشَّوه للذيب سِرْحَانْ ... في عِبْلَةٍ قام يْتساقى صوابه (٢٩)

المـاوية :

منسوبة إلى «ماوان» قبلها .

وهي مورد ماء عِدٌّ قديم .

حدَّثني الأخ نايف بن هاجد بن راجح بن مشايخ بني عمرو من حرب أن في ماوية هذه حوالي ألف بئر. ولما كررت عليه الاستفهام عن الرقم المذكور أعاد تأكيده ، وقال : رُبَّما كنتُ مقصِّراً في العدد . وعندما زرتها لم أستكثر هذا العدد لأن آبارها هي حساء قريبة النبط لا يزيد عمق بعضها عن مترين وتقع إلى الغرب من جبل ماوان في لحفه في مجرى وادي «ساحوق» السابق ذكره في حرف السين الذي يفيض في وادي الجرير (الجريب قديماً) .

ونظراً إلى أنها كانت تقع في طريق حاج الكوفة إلى مكة ، فقد كانت فيها آثار لا تزال بقاياها تشاهد الآن من ذلك بركة في قلعة جبل (ماوان) سبق الكلام عليها وكانت (ماوية) تسمى قديماً : «ماوان» . على اسم جبل «ماوان» الذي تقع بقربه قال البكري : الماوان : غير مهموز : قال ابن دريد : يُهْمز ولا يهمز ، وهو اسم ماءٍ قال الشَّمَّاخ :

تـرَبَّـع أَكْنَـاف القـنـانِ فصـارة ... فـأيَّـل (فـالماوان) فـهـو زهـوم

ثم أورد بيت عروة بن الورد العَبْسي الذي قد مناه في رسم «ماوان» قبله :

أقول لـقـوم بـالـكـنـيـف تَـرَوَّحُوا ... عَشِيَّة قِلْنَا عند (ماوان) رُزَّح

ونقل عن أبي حاتم السِّجِسْتَانيِّ قوله : ماوان : وادٍ غَلَب عليه الماء فسُمِّيَ ماوان ، وهو فيما بين الرَّبذة والنَّقْرَة وكانت منازل عبس فيما بين أبانين والنقرة وماوان والرَّبَذة ، هذه منازلهم .

ونقل ياقوت عن ابن السكّيت قوله : ماوان : هو وادٍ فيه ماءٌ بين النَّقْرة والرَّبَذَة ، فغلب عليه الماء فسمي بذلك الماء (ماوان) قاله في شرح شعر عروة ، وكانت منازل عبس فيما بين أبانين والنقرة وماوان والربذة هذه كانت منازلهم .

أقول : واضح أن هذا هو موقع «ماوية» هذه فهي بين النقرة والربذة (البركة حالياً) .

وهي المقصودة بقول أبي محمد الفَقْعَسيِّ الراجز :

شَرِبْنَ من (ماوان) ماءً مُرًّا ومن سنامٍ مثله أَوْ شرًّا

فماوية ماؤها مِلْحٌ شديد الملوحة وكذلك ماء سنام الذي هو جبل يقع إلى الغرب الجنوبي من (ماوية) ويرى من جبل ماوان الذي تقع (ماوية) في لحفه.

وفي السنتين الأخيرتين اتخذ أهل «النفازي» الذين هم من بني عمرو من حرب كبيرهم ابن راجح اتخذوا (ماوية) هذه هجرة لهم وهي جديرة بذلك لأنها أقرب إلى الخطوط الإسفلتية من النفازي . وهي أقرب أيضاً إلى مراكز تعدين قديمة ربما أعاد التاريخ فيها نفسه فأصبح لها شأن في المستقبل ، كما أن في قرب (ماوية) بركة في تلعة جبل ماوان الملاصق لها يمكن بقليل من الترميم والصيانة أن تعاد إلى العمل تتكفى للشرب مدة طويلة إذ العيبُ الشديد في (ماوية) ملوحة مائها .

ورد ذكر (ماوية) في تاريخ نجد في القرن الثالث عشر الهجري فقد حصل فيها وقعة بين الإمام عبدالله بن سعود وبين قائدٍ من قواد إبراهيم باشا يقال له علي ازن .

أوردها ابن عيسى ملخصة ونحن نلخص كلامه أيضاً قال :

دخلت سنة ١٢٣٢ هـ وإبراهيم باشا في الحناكية[٣٠] فلما علم بذلك عبدالله بن سعود سار بجنوده من البادية والحاضرة ، فلما بلغ إبراهيم باشا خبره . بعث (علي أزن) ومعه جملة من العسكر ، وأمرهم أن ينزلوا (ماوية) الماء المعروف ، بينه وبين الحناكية مسافة

يومين ، فسار عليْ ازن ومن معه ، ونزلوا (ماوية) فلما علم بذلك عبدالله بن سعود ومن معه سار إلى (ماوية) وصار بينه وبين علي ازن قتال ، وصارت الهزيمة على عبدالله بن سعود ومن معه ، وذلك يوم الجمعة منتصف جمادى الآخرة من السنة المذكورة[٣١] .

وقد ذكر ابن بشر هذه الحوادث بأبسط من هذا ولكننا آثرنا عبارة ابن عيسى لاختصارها[٣٢] .

وهذه الواقعة تعتبر من الوقائع الفاصلة وربما صح القول بأنها أول ثَلْم يحدث في بناء الدولة السعودية الأولى وحدثني بعض المُسِنِّين بسَنَدٍ يرويه عن الإمام عبدالله ابن سعود رحمه الله قوله : إنَّ (ماوية) قد أدخلت الرُّعبَ في قلوب الجيش .

ولا شك في أنها عامل من العوامل الظاهرة ، وأنَّ هناك عوامل أخرى غيرها لهذا الإنخذال الذي شهدته جيوش التوحيد بعد ذلك ، وما دخل من الرعب في قلوب أهالي نجد حتى أمكن لجيش إبراهيم باشا أن يهزمها وأن يواصل مسيره في نجد ثم بلوغه الدرعية وإذا شاء الله أمراً فلا رَادّ لأمره ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقد أورد المستر لوريمر في وصفه لجبل ماوية بعد الوقعة بحوالي ثمانين سنة ما يدل على أنَّ آثاراً من المعركة لا تزال موجودة ، حسب ظاهر كلامه فقال : وهو يصف الطريق من القصيم إلى المدينة المنورة طبقاً لكتابات بعض الأوروبيين : جبل ماوية : أرض للمعسكر غرب تل بنفس الأسم ويقطع الطريق سهل رملي صلب ولكن يمكن تحمله وينحرف حول النهاية الشمالية لجبل ماوية . وهنا حدث أول تصادم مع الزحف المصري على الدرعية وينتشر في الأرض جثث القتلى من الوهابيين سنة ١٨١٩ وعظامهم[٣٣] .

قلنا : إن تسمية «ماوية» هذه محدثة ، وإنها كانت تسمى قديماً (ماوان) وهذا ما جعل بعض الباحثين المتأخرين يغلطون فيها فيظنون أنَّ (مأوية) التي على طريق حاج البصرة إلى المدينة هي هذه التي لا يمر بها طريق حاج البصرة أصلاً لا الحاج المتوجه من البصرة إلى المدينة ولا المتوجه إلى مكة . وممن اشتبه عليه هذا الأمر الشيخ محمد بن بليهد

رحمه الله . إذْ قال بعد أن نقل كلام البكري على ماوية التي هي في سافلة نجد . وقول ابن حبيب : ما شربت قط ماءً أعذب مِنْ ماءِ ماوية وكان ينقل منها الماء لمحمد بن سليمان إلى البصرة .

قال المؤلف : ما شربت ماءً أمرَّ من الماوية التي نحن في ذكرها[٣٤] .

أقول : لا أشك في أن الشيخ محمد بن بليهد رحمه الله شرب ماء ماوية ، هذه التي كانت تسمى «ماوان» قديماً والتي قال فيها الشاعر القديم :

شَرِبْنَ من (ماوان) ماءً مُرًّا ومن سنام مثله أو شرًّا

وماؤها شديد المرارة . ولم يَشْرَب من ماء (ماوية) التي في طريق حاج البصرة وهي في سافلة نجد . وسبق ذكرها في المقدمة ، عند الكلام على طريق حاج البصرة الذي يمر بالقصيم وهي التي ماؤها عذب معروف بذلك في القديم والحديث .

الرياض : محمد العبودي

الحواشي :

(١) بلاد العرب ص ١٧٦ — ١٧٧ .
(٢) راجع رسم «النقرة» .
(٣) المناسك ص ٣٢٣ .
(٤) المناسك ص ٥٦٩ .
(٥) ديوان عروة ص ٣٩ أنظر لقصتها الأغاني ج ١ .
(٦) الكنيف : الحظيرة والمأدب وترزح : قد سقطوا من الأعياء ورزح وصف لقوم .
(٧) الربذة : غير معروفة الآن بهذا الاسم بل أصبح اسمها «بركة أبو سليم» كما سبق في المقدمة وموقعها : تابع الآن لإمارة المدينة المنورة ، وليس للقصيم .
(٨) راجع حاشية ديوان عروة ص ٣٩ .
(٩) ديوان عروة ص ٩ .
(١٠) الكنيف : الحظيرة والمأوى .
(١١) ديوان عروة ص ١٧ .

(١٢) ديوانه ص ٧٨ .

(١٣) قال ابن السكيت : عوذ وأسامة . هما قبيلتان من عبس . يقول : تدارك قومي وهم عوذ عرق من أسامة أمه وهي نهدية ، وازهر : نقي شريف .

(١٤) ديوانه ص ١١٩ وهما من أبيات ذكرت قصتها في الأغاني ج٣ ص ٨٠ (دار الكتب) .

(١٥) قال ابن السكيت : أي وجدتهم كالناس . وما : زائدة . وتمولوا : أصبحوا ذوي أموال .

(١٦) قال ابن السكيت : قوله : وإني لمرفوع إليّ ولاءهم بما وان ، يقول : أدركتهم بماوان وهم هزلي من شدة الجهد ، إذ نمشي : لا نقدر أن نمشي حتى نتملل أي : تأخذنا الملة والملال من شدة الضعف .

(١٧) ديوانه ص ٤٣ .

(١٨) المفضليات ص ٣٧٠ .

(١٩) بمثل الفحل : يريد ناقة ، مثل الفحل ، والناجية : السريعة . والعنس : الناقة القوية الصلبة ، والعذافرة : الضخمة ، والمذعان ، المطيعة المنقادة .

(٢٠) الواضح : الأبيض يصف حماراً وحشياً . والاقراب : جمع قرب . وهو الخاصرة وحلاّه : منعه ، والرامي : الصائد .

(٢١) مجلة العرب م٢ ص ٩٨٢ .

(٢٢) الحنين إلى الأوطان ص ٣٢ .

(٢٣) صحيح الأخبار ج١ ص ٣٨ .

٢٤) ابمتني أي : أبي أتمنى ، والمراد : أريد أن أتمنى . أي : إنني أتمنى . غزوان : جمع غازٍ : أي غزاة . مناسر ، أي : جماعات أو سرايا . غرّابه فخذ من ميمون : من مطير .

(٢٥) أي : ماء قديم معروف من عهد صحابة رسول الله (ص) .

(٢٦) الضمائر فيه للأبل التي تمنى أن يُغير عليها ، ويأخذها . وهي إبل أعدائه من حرب .

(٢٧) هيه : للتنبيه . وتمتني : تتمنى . وكون : حرب : ربوع : جماعات ، تعتزى ، تفخر .

(٢٨) حلوات الألبان : النوق : قروم ، شجعان . كل ابوهم : كلهم كان أصله المثل — جاؤا على بكرة أبيهم .

(٢٩) طشوه : رموه والعبلة : المكان الذي تركبه الحجارة ، عن الأرض وقال : ظل ، يتساقى صوابه ، تنتقض إصابته أي حرجه .

(٣٠) الحناكية : قرية تبعد عن المدينة مسافة ١١٢ كيلاً على الطريق إلى القصيم وكانت تسمى قبل ذلك « نخلا » ولم تفردها برسم لأنها من مضافات المدينة المنورة . وكانت ولا تزال تقع في طريق حاج العراق إلى المدينة .

(٣١) تاريخ بعض الحوادث ص ١٤٢ — ١٤٣ .

(٣٢) راجع عنوان المجد ج١ ص ١٩١ — ١٩٢ .

(٣٣) دليل الخليج ج٥ ص ٢٣٢٥ .

(٣٤) صحيح الأخبار ج٣ ص ١١٤ .

ملاحظات حول :

المعجم الكبير

في الجلسة التاسعة من جلسات (الدورة السابعة والأربعين) السنوية لمؤتمر المجمع وفي الساعة الحادية عشرة من صباح السبت غرة جُمَادى الأولى سنة ١٤٠١ هـ (الموافق ٧ من مارس سنة ١٩٨١ م) ، اجتمع مؤتمر المجمع برياسة الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع ، وبحضور السادة الأعضاء :

الدكتور أحمد عمار نائب الرئيس ، والدكتور مهدي علام الأمين العام للمجمع ، والدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش ، والأستاذ أحمد توفيق المدني (الجزائر) ، والدكتور أحمد السعيد سليمان ، والدكتور أحمد عز الدين عبدالله ، والدكتور إسحاق موسى الحسيني (فلسطين) ، والدكتور حامد جوهر ، والدكتور حسن علي إبراهيم ، والأستاذ حمد الجاسر (السعودية) ، والدكتور شوقي ضيف ، والدكتور عبد الرزاق محيي الدين (العراق) ، والدكتور عبدالله الطيب (السودان) ، والدكتور عمر فروخ (لبنان) ، والدكتور مجدي وهبة ، والأستاذ محمد عبد الغني حسن ، والأستاذ محمد عبدالله عنان .

وشهد الجلسة من الأعضاء المراسلين الأستاذ سعيد الأفغاني (سوريا) .

كما شهدها الدكتور عدنان الخطيب عضو مجمع اللغة العربية بدمشق ، والدكتور توفيق الطويل عضو المجمع المنتخب .

وكان مما جرى في هذه الجلسة مناقشة مَواد من «المعجم الكبير» فيها باب الجيم من (ج ز ر) إلى (ج ل ت) .

وها هي ملاحظات صاحب هذه المجلة ، مع ما عُلِّق عليها ، كما وردت في محضر الجلسات .

الأستاذ حمد الجاسر :

الجهد الذي بذلته لجنتا المعجم الكبير ، وإدارة المعجمات في سبيل إعداد هذه المواد جدير بالتقدير ، فقد أوفى على الغاية وشارف النهاية ، إلا أن الموضوع بَحْرٌ لا ساحل له — أو كما قال الإمام الشافعيُّ : (لا يحيط باللغة إلا نَبِيٌّ) .

وما هذه الملاحظات سوى تعبير عن مبلغ الاهتمام ، بعمل أولئك الإخوة الأجلة ، ومشاركة في ذلك الجهد المشكور مشاركة المعجب المقدر ، المستزيد المستفيد .

صفحة ٤٣٢ : (بيت طرفة : فإذا ما جَزَّ نصطرمه .
نصطرِمْه : نقطعه) .

وأرى : نصطرمه : نصرمه . إذْ صرام النخل أخصُّ من قطعة أو نقطع ثمره .

صفحة ٤٣٧ — (نخلة : موضع باليمن ، وكبكب جبل خلف عرفات) .

نخلة هنا ليس موضعاً في اليمن ، بل هو أشهر أودية مكة ، وهما نخلتان نخلة اليمانية — الجنوبية — ونخلة الشامية ، واديان تنحدر سيولها من جبال الحجاز ، فإذا اجتمعا سُمِّيا وادي مَرّ (مر الظهران) ويعرف الآن باسم وادي فاطمة وهو واد ذو قرى معروفة ، ويمتد الوادي حتى يصب في البحر ، جنوب مدينة جدة .

ونجد كبكب : طريق مرتفع يسلك من جبل كبكب نحو الطائف .

صفحة ٤٣٩ — (قال المرقش :

تَحَمَّلْنَ من جَوّ الوديعة بعدما تعالى النهار واجْتَزَعن الصرائما

الوديعة : موضع)

الصواب : الوريعة — بالراء لا بالدال — موضع لا يزال معروفاً — وقد ذكره ياقوت وغيره ممن ألف في تحديد المواقع ، وله ذكر كثير في الشعر ، ويقع في شرق الجزيرة ، شرق الصَّمَّان .

والوريعة آكام مرتفعة منقادة من الشرق إلى الغرب ، من الدو (الدبدبة) إلى الصَّمَّان ، ويحفُّ بها من الجنوب جوٌّ منخفضٌ من الأرض .

والبيت — مع أبيات أخر — في «معجم البلدان» رسم (الوريعة).

صفحة ٤٣٩ — في ذكر وفاة سُوَيد بن أبي كاهل (بعد سنة ٥٠ هـ) وفي ص ٤٤٢ (سنة ٦٠ هـ) ولعل كلمة (بعد) تطبيع — خطأ مطبعي.

صفحة ٤٤٧ — ١ — عن جزولة — الجيم لا تنطق فصيحة — كما أشار إلى ذلك الزركلي في «الاعلام» في ترجمة الجزولي.

٢ — في وصف «دلائل الخيرات»: (وجعل بجنب المصحف) يلاحظ أن الأدعية والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من الأمور الشرعية التي ينبغي التقيد فيها بما ورد في الشرع وعدم تجاوزه، و«دلائل الخيرات» يحوي أدعية وصلوات غير واردة عن السلف الصالح، ولو كانت خيراً لسبقوا إليه، ولهذا فإنّ السائرين على طريقة السلف يرون الاشتغال بالأدعية المأثورة وبِقِرَاءة القرآن أفضل من قراءة «دلائل الخيرات».

أما كلمة: (وجعل بجنب المصحف) فهي من الكلمات النابية ذوقاً وديناً.

صفحة ٤٤٧ — يحسن أن يضاف.

(جَزَالاء: (جُزَالَى).

أورد الهجريُّ — وهو من أئمة اللغة: — النُّمَيْرِيُّ يقولها لبني عُصْم من باهلة، أهل سواد باهلة، وكانوا يأكلون عِرِضاً لهم، نخلٌ يدعى جزالاء ممدود — بسواد باهلة.

وجزالا أيضاً ساحل من حدّ البصرة إلى البحرين. بين الظُّليفين وليس في أرض العرب غيرهما:

أَلَا يا بني عصم جَزَالاء قَرْيَةٌ ... مراطيب، تبغي كلَّ عامٍ لكمْ حَرْبا
فلولا صوادٍ من جزالاء دُلَّحٌ ... وهُدْلُ الثُّريَّا، ما وجدنا لكم ذنبا
إذا أَرْطَبَتْ مِنها المعاجيل هَيَّجتْ ... حُرُوبَ رجالٍ، لم يروعوا لكم سِرْبَا
أقيموا صدورَ المشرفيَّة دونها ... وإلَّا فخلُّوها لأعدائكم غصْبَا

وجَزَالاء قرية لا تزال معروفة، تقع في العِرْض، غرب بلدة القويعية — قاعدته — بنحو عشرين كيلاً، وسُكَّانُها الْعَرَافا — واحدهم عَرِيفيٌّ.

ص ٤٥١ ــ لا أدري هل يتفق القول بأن حروف المعجم ذات صلة بخط حِمْيَر ، مع اختلاف أشكالها عن أشكال ذلك الخطّ ، ومع القول بأنَّ أصل الخط العربيّ يمتُّ بصلة للخط السرياني .

صفحة ٤٥٢ ــ (جازان : ثغر كبير في تهامة ، ترتبط به قرى ودساكر وأريافٌ في المملكة السعودية ، في تهامة مما يلي اليمن) انتهى .

الثغر : على ما عرفه علماء اللغة ــ ما يلي دار الحرب ، وموضع المخافة من فروج البلدان . وقال ابنُ الأثير : هو الموضع الذي يكون حدًّا فاصلاً بين المسلمين والكفار .

ولا ينطبق ذلك الوصف على جازان فهو إقليم من أقاليم المملكة السعودية في تهامة يعرف قديماً باسم (المخلاف السليماني) ممتد على شاطىء البحر الأحمر من ميناء البرك شمالاً إلى ميناء مَيْدِي جنوباً نحو ٢٥٠ كيلاً في عرض يقارب متوسطه ٥٠ كيلاً ويُحَدُّ شرْقاً بسلسلة جبال السراة . التي ينحدر كثير من أوديتها إلى ذلك المخلاف . تنتشر عليها القرى والمزارع .

ويضاف اليه عدد من الجزر كجزيرة فَرَسَان .

وقاعدة الاقليم تُدْعى جازان ــ وقد تنطق جيزان ــ ومن موانئه القحمة والشُّقَيْق .

ويزيد عدد سكان الإقليم على ٧٥٠ ألف نسمة ، وفيه من القرى والأماكن المأهولة نحو ٩٩٦ .

صفحة ٤٥٩ ــ لم يذكر اسم :
جُسَدَاء :

وقد ورد الاسم في شعر لبيد :

فَبِتْنَا حيثُ أمْسينا قريباً   على جسداء تنبحنا الكلاب

وقد حدد الهمداني موقع جسداء وأنه يبعد عن بيشة شرقاً بـ(٢١) ميلاً على طريق حاج صنعاء (صفة جزيرة العرب ٣٤٠) وفي وادي يَعْرآ ، وفيه بثار . وهذا الموضع لا

يزال معروفاً . أما ما نقله ياقوت عن كتاب الزمخشري أنَّ جُسَدَاء ببطن جِلْدَان ، فقد يكون عنَى موضعاً آخر ، إذ جلدان لا يزال معروفاً شرق الطائف والمسافة بينه وبين جسداء طويلة .

صفحة ٤٦٨ — (جُساس : موضع في ديار هذيل ، قال عُمَير بن الجعد الخزاعيُّ :

أأميم هلْ تَدْرِينَ كَمْ منْ صاحبٍ فارقتُ يوم جُسَاس غَيْرِ ضعيف ؟

ويروى : خشاش :

ولعل الرواية الأخيرة هي الصواب فَخُشاش — ويعرفُ الآن في النطق فيقال الخشاش — موضع معروف الآن ، وكان من منازل هذيل ، وهو جبال تقع يمين طريق المتَّجه من بَلْدة عسفان إلى مكة ، قبل الوصول إلى مَرِّ الظهران (وادي فاطمة) وتقع شرق مدينة جدة .

وقد ورد في كتاب « شرح أشعار هذيل » خبر يوم حشاش ، وإغارة خزاعة قوم عمير بن الجعد على بني لحيان ، فَقُتِلَ الخزاعيون ، سوى عمير فقال شعراً فيه هذا البيت وأورد ياقوت الخبر في « معجم البلدان » رسم (حشاش) وأرى الصواب (خشاش) بالخاء المعجمة .

صفحة ٤٦٩ — وفي كلام تميم الداري (أنا الجساسة) سياق هذا الكلام يوهم أنه لتميم والصواب أنه ذكره على لسان الدابَّة فأرجو مراجعة الخبر وتصويبه .

صفحة ٤٨٣ — (قال رؤبة : ومن صباح راميا مجشبا .

صباح حيٌّ من عُذرة مشهور بجودة الرمي) .

رؤبة كان يعيش في شرق الجزيرة ، حيث بلاد تميم وضَبَّة وعبد القَيْس ، بعيداً عن بلاد عذرة .

وبنو صباح بطون متعددة في العرب ، وأقربها إلى ذكر رُؤْبَةَ بنو صُبَاح الذين من

ضَبَّة ، وهؤلاء يخالطون تميما قوم رؤبة في المنازل .

وهناك صباح بن لكيز من عبد القيس ، وهؤلاء يجاورون بني تميم قوم رؤبة في المنازل .

ولعل عدم النسبة أولى فيقال (بنو صباح حي من العرب) الخ .

الدكتور عبد الرزاق محيي الدين : نحن نسجل في هذا المعجم ما ورد في كتب اللغة :

الأستاذ حمد الجاسر : يجب ألا ننظر إلى كتب اللغة على أنها كتب مُقدَّسة فكثير منها مشحون بالأخطاء ، وقد كتب كثير من العلماء في تصحيح «لسان العرب» ، و«تاج العروس» وغيرهما . فعلينا أن نتحرى الصواب دائماً .

ثم تابع الأستاذ االجاسر تعقيبُه .

صفحة ٤٨٦ ــ (قال الأعشى :

قد كان في أهل كهف إنْ هُمُ قعدوا والجاشِرِيَّة ، من يسعى ويتنضل

كهف : قوم من بني سعد بن مالك ، قعدوا : أي قعدوا عن القتال) . انتهى .

مفهوم البيت أن كهفاً اسم موضع . حيث وُصِف أهله بالقعود .

الدكتور إبراهيم مدكور : نقول «أهل كهف» بدلاً من «كهف» ليستقيم المعنى (فووفق على ذلك) .

الأستاذ حمد الجاسر :

صفحة ٤٩٠ ــ (وجُشٌ أعيار موضع بالبادية . وقيل ماء ملح كان لفزارة بأكناف الشَّرَبَّةِ بعدنة . قال بدر بن حزَّان الفزاري) البيتين .

١ ــ عدنة : موضع منفصل عن الشَّرَبَّة ، يفصل بينهما وادي الرُّمَة ،

قال الأصمعي ــ فيما نقل ياقوت في «معجم البلدان» رسم عدنة : (ووادي الرُّمَة

يقطع بين عَدَنة والشَّرَبَّة ، فإذا جزعت الرُّمة مشرقا أخذت في الشربة ، وإذا جزعت الرمة إلى الشمال أخذت في عدنة .

٢ ـــ حزان ـــ صوابه حَزاز ـــ بزايين كما نص على ذلك صاحب «التاج» حيث قال ـــ في رسم حزز ـــ (وكسحاب : بدر بن حزاز المازني شاعر معاصر للنابغة الذبياني) ـــ انتهى وبدر من مازن فزارة .

صفحة ٤٩٠ ـــ وجُشٌّ إرَمٍ عند أَجَاءٍ ، أملس الأعلى سهل ، ترعاه الابل والحمير ، كثير الكلأ وفي ذروة إرم مساكن عاد ، فيه صور منحوتة من الصخور) .

١ ـــ في «معجم البلدان» : ترعاه الايل ـــ بالمثناة التحتية ، والأيَّلُ الوَّعل لأنه يؤول إلى الجبال يتحصَّن بها .

٢ ـــ وفيه : (وفي ذروته مساكن لعاد وارم ، فيه صور)

وفرق واضح بين النصين .

٣ ـــ جش ارم يدعى الآن الجشّ ـــ بدون إضافة ـــ وهو بعيد عن جبل أجا ، يقع غربه بنحو مئة وخمسين كيلاً في طرف النفود (رمال عالج) بِقُرب خط الطول ١٨/٤٠ وخط العرض ٤٥/٢٧ .

صفحة ٤٩٧ ـــ قول الأغلب العجلي لا ينطبق على جُشَم بن الخَزرج بل على جشم الذين هم بطن من ربيعة ، إذ بنو عجلٍ منهم وفي بني عجل أيضاً : جشم بن قيس بن سعد بن عجل ، منهم فراس بن اسماعيل الرواية (تاج) .

وجملة : (إذا أردت العزَّ فجَخْجِخْ في جُشَم) قيلت قبل الأغلب ، فقد أوردها ابن الأثير في «النهاية» (مسبوقة بلفظ : وفي الحديث) .

صفحة ٤٩٩ ـــ عن ذوي الجوشن :

ووالد شمر بن ذي الجوشن العامري ، الذي اشترك في قتل الحسين رضي الله عنه .

ومفهوم العطف أنه غير الذي قبله .

ولكن شَمراً هذا هو ابن الصحابي المترجم ، فالصحابي هو شُرَحْبِيل بن الأعور — قرط — بن عمرو بن معاوية — وهو الضباب — بن كلاب بن عامر — فهو ضبابيٌّ كلابيٌّ عامريٌّ — أقطعه رسول الله ﷺ قاعَ ضَرِيَّة — كتاب «المناسك» — ٥٩٤/٥٩٥ .

والعرب لبست الجواشن — الدروع — قبل عهدِ ذي الجَوْشَن .

صفحة ٥١١ — القرارة : ما بقي في القدر من مرق وغيره .

المعروف أن القرارة ما بقي في القدر من الطعام اليابس اللازق به فهي تَقِرُّ في أسفل القِدْرِ ، وتُقَرُّ — أي تُحَكُّ — لاستخراجها ، وتسمى الحكاكة — وفي «التاج» من مرق يابس !

صفحة ٥٢٠ — (أنشد ابن الأعرابي لفرعان — ويروى لفرغان التميمي (؟) في ابنه منازل حين عقه) :

هو فرعان بن الأعرف السعدي التميمي ، شاعر مخضرم ، ذكره المرزبانيُّ في «معجم الشعراء» وأورد خبره مع عمر بن الخطاب حين شكى إليه عقوق ابنه منازل — وأورد البيتين في أبيات أربعة ، مع اختلاف في اللفظ ، ومنها الشاهد هكذا :

وأطعمته حتى إذا صار شَيظماً يكاد يساوي غارب الفحل غاربُهُ

وأورد ابن الوزير المغربي في «أدب الخواص» — ٩٠ — خبراً مماثلاً عن منازل بن فُرْعان مع ابنه خليج حين عقه ، فشكاه إلى ابن عربي والي اليمامة ، فقال : عَقَقْتَ فعُقِقْتَ .

وعن المرزباني نقل ابن حجر في «الإصابة» — الترجمة رقم (٧٠١٩) ولضبط الاسم انظر القاموس» وشرحه رسم (فرع) .

الدكتور إبراهيم مدكور : ما دام هذا العلم ورد بصيغتين في مرجعين مختلفين فنحن مضطرون إلى إثباتهما .

الأستاذ حمد الجاسر : الكتب القديمة مشحونة بالأخطاء ، وإذا كان العلم قد ورد في كتاب مثل «لسان العرب» بصورة وورد في كتب التراجم بصورة أخرى فنحن نأخذ بما ورد في كتب التراجم ، وهذا العلم أورده القاموس أيضاً مادة (ف ر ع) فهو فرعان لا غير.

الأستاذ محمد عبد الغني حسن : هناك أخطاء وتحريفات كثيرة ولم تخل منها كتب التراجم التحريف بالنقط والاهمال كثيراً فلماذا نأخُذُ برأي صاحب «القاموس» ونهمل رأي غيره ؟

الدكتور إبراهيم مدكور : على كل فإن اللجنة — كما هو واضح — رجحت «فرعان» باهمال العين على «فرغان» بإعجامها ثم تابع الأستاذ حمد الجاسر ملاحظاته :

صفحة ٥٣٠ — (الجعرانة : ماءٌ بين الطائف ومكة وهي إلى أقرب ، نزلها النبي صلى الله عليه وسلم لما قسم غنائم هوازن ، مرجعه في غزاة حُنَيْنٍ ، وأحرم منه صلى الله عليه وسلم ، وله فيه مسجد وبه بثار متقاربة) .

وفي «معجم البلدان» : قال الشاعر :

فيا ليت في الجِعْرانة اليوم دارُها وداري ما بين الشـآم وكَبْكَبِ

١ — ليست الجعرانة بين الطائف ومكة ، فهي بالنسبة إلى مكة تقع في الشمال الشرقي ، والطائف بالنسبة إليها يقع في الجنوب الشرقي .

تقع الجعرانة — موضع المسجد ومحل الإحرام على خط الطول ١٦/٣٩° وعلى خط العرض ٣٢/٢١° .

وتقع مكة على خط الطول ١٥/٣٩° وعلى خط العرض ٢٨/٢١° ويقع الطائف على خط الطول ٢٩/٤٠° وعلى خط العرض ٢٠/٢٢° .

ومنشأ القول بأنها بين الطائف ومكة مَبْنِيٌّ على أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وقعة حُنَين أمر بالسبْي والغنائم أن يجمع ، فجمع ذلك كله وحدروه إلى الجعرانة ، فوقِفَ بها إلى أن انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة الطائف (أنظر «عيون

الأثر» ٢/١٩٣/٢٠٢) إلى الجعرانة ، وبها قسم غنائم حنين .

٢ ـــ والجعرانة : واد ذو آبار تنحدر فروعه من جبل يُدْعَى الستار ، ومرتفعات الأشقاب (واحدها شقاب) ويتجه نحو الشمال الشرقي فإذا حاذى شمال مكة حيث طريق المدينة سُمِّي الوادي سرفا ، واتجه حتى يجتمع بوادي مر الظهران (وادي فاطمة) .

٣ـــ نبه ياقوت على أن البيت الذي أورده مصنوع ، مع أبيات أخرى أوردها . ولهذا لا يصحُّ الاستدلال به .

صفحة ٥٣٠ ـــ (كبكب : جبل بنعمان) :

وتقدم ص ٤٣٧ ـــ (كبكب : جبل خلف عرفات ، شرقيها) .

وهذا أصوب . لأن نعمان واد تنحدر فروعه من جبل كبكب ، ومن الجبال المتصلة به ـــ جنوبياً من وادي يَعْرُج ووادي الضيقة ـــ من شدَّاد وكراء ، ومن عرفة ووادي عُرَنة ، ونعمان هذا الوادي يقع غرب كبكب . ويتجه نحو الجنوب الغربي ـــ بالنسبة لعرفات حتى يفيض في الخبت ، السَّهْل الواقع جنوب جدة .

صفحة ٥٣٠ ـــ عن الجعرانة أيضاً :(وقيل : لقب لأم رَيْطة بنت كعب بن مسعد ، وسمي به الموضع) .

في «التاج» : سمي بريطة بنت سعد بن زيد مناة بن تميم ـــ كما قال السُّهَيْليُّ ، وأنها هي المرادة بقول الله تعالى «كالتي نقضت غزلها» .

صفحة ٥٣٩ ـــ جعف : حي من اليمن (ل) وفي اللسان قال الشاعر :

جُعْفٌ بنجران تجر القنا ليس بها جعفيٌّ بالمشرع

وممن نُسِبَ إلى هذه القبيلة من الشعراء : عبد الله بن الحر الجعفي .

جعفي : أبو قبيلة من اليمن ، وهو جعفي بن سعد العشيرة ، من مَذْحج قال لبيد (٤١ هـ ـــ ٦٦١ م) :

قبائل جعفي بن سعد كأنما سقى جمعهم ماء الزعاف مُنِيْمُ

(الزعاف : السريع — المنيم : المهلك يريد قتلاً سريعاً) (ديوانه/٦٩) .

وينسب إليهم مخلاف باليمن بينه وبين صنعاء نحو ٢٤٠ كيلومتر) .. انتهى ما في «المعجم الكبير» ويلاحظ :

١ — جعف وجعفي اسم لقبيلة واحدة قحطانية النسب .

٢ — ضبط مذحج — كمجلس بفتح الميم وكسر الحاء المهملة — لا كما هنا .

٣ — الذعاف بالذال المعجمة — لا بالزاي — وهو السم القاتل .

٤ — مخلاف جعف حدد المسافة بينه وبين صنعاء ياقوت في «معجم البلدان» باثنين وأربعين فرسخاً (٤٢× ٣ أميال= ٨٦ ميلاً) .

ولكنه تحديد غير دقيق ، إذ ذكر الهمداني «صفة جزيرة الجنوب»

— ١٩٩ طبع (دار اليمامة) أن بلاد جُعفٍ في وادي جردان الذي وصفه بأنه عظيم فيه قُرىً كثيرة ، ووادي جردان لا يزال الوادي معروفاً ، سكانه من جعف ، ومن أشهر قراه عمد وعمقين ، ويقع في اليمن الجنوبية ، شمال بلاد العوالق العليا ، شرق بيحان .

والمسافة بينه وبين صنعاء لا تقل عن ٢٥٠ ميلاً (نحو ٥٠٠ كيل) وجردان يقطعه خط الطول ٤٧/٠٠ْ وخط العرض ١٥/٠٠ْ وصنعاء على خط الطول ٤٤/١٥َ وخط العرض ١٥/٢٨ْ .

٥ — كان يحسن ذكر سَبْرة بن يزيد الجعفي الوافد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقطعه وادي قومه (جردان) .

أو الإشارة إلى أنه ينسب إلى جعف عدد من الصحابة (بشر بن حنظلة والحارث بن أبي سبرة — وسبرة بن أبي سبرة — وهو يزيد — وسويد بن حنظلة ، وعبد الرحمن بن أبي سبرة ، ومرثد ابن الصلت ، ويزيد بن مالك بن عبدالله) .

صفحة ٥٤١ — (جعفل : قال جعلت فداك (عن مق ١٩٤/١) .

صفحة ٥٤٢ — الجعفلة : كلمة منحوتة من عبارة : جعلت فداك .
يقال أكثرت من الجعفلة : أكثرت من ذلك) .

قال صاحب التاج في رسم جعد : ومما يستدرك عليه الجعفدة ، أهمله الجماعة ، وذكر ابنُ دِحْيَةَ في «التنوير» أنه مصدر منحوت من قولهم : جعلني الله فداك . قال : وقولهم : جعفلة باللام — خطأ نقله شيخنا .

أفليس من الأحسن عدم ذكر ما هو خطأ في هذا المعجم ؟

صفحة ٥٤٩ — (جعيل : اسم لغير واحد من سلاطين عدن) .

ألا تحسن الإشارة إلى زمنهم أو ذكر المصدر لتتمّ الفائدة ؟

وهناك من هو أشرف من هؤلاء السلاطين ، من صحابة رسول الله — صلى الله عليه وسلم ، سُمُّوا بهذا الاسم ، ومنهم جُعيل بن سراقة الضمريّ وجعيل بن زياد الأشجعي — على اختلاف في الاسم — وقد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الاسم ، ففي قصة حَفْرِ الخندق كان أحد الصحابة يدعى جعيلاً ، فسماه الرسول عَمرا . فارتجز بعضهم :

سمَّاه من بَعْدِ جُعَيْلٍ عَمْرا وكان للبائس يَوْماً ظهرا

فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يرجّع ، إذا قالوا : عمرا ، قال : عمرا ، وإذا قالوا : ظهراً قال : ظهرا . (انظر طبقات ابن سعد و«الإصابة») .

صفحة ٥٥٢ — (جعمان — جعمان بن يحيي ، ينتهي نسبه إلى صريف بن ذوال ، جد يماني حديث .

وبنو جعمان كانوا في القرن العاشر الهجري من أكبر بيوت العلم في تهامة اليمن منهم فقهاء ومحدثون ، وقد وقع سند البخاري مسلسلاً من طريقهم ، ولا يزالون إلى اليوم يعرفون بالجعامنة ، ويسكنون ضواحي بيت الفقيه من محافظة الحُدَيْدة) .
وأقول :

١ — أشهر من عرف من أسرة جعمان هو اسحاق بن محمد ولد سنة ١٠١٤ وتوفي

سنة ١٠٦٧ ، أي من أهل القرن الحادي عشر ، لا العاشر.

٢ ــ جملة (وقع سند البخاري مسلسلاً بطريقهم) مُبْهَمَة ، وهي مأخوذة من «تاج العروس» ، حيث ذكر مؤلف التاج أنه وقع له هو ذلك السند ، ولا محل للجملة كلها .

٣ ــ الحديدة ــ بإسكان الياء لا تحريكها ــ

٤ ــ في اليمن أسرة علمية أيضاً تدعى (جغمان) بالغين المعجمة ، من خولان ، منها علماء معروفون على مذهب الإمام زيد بن علي . فتحسن الإشارة لئلا يُصَحَّف اسم أَحَدِ الاسرتين باسم الأخرى .

صفحة ٥٥٣ ــ (الجعموسة ماء غرب جبلة لبني ضَبِينَة من غني) .

١ ــ الماء المذكور ليس معروفاً الآن ، والجملة من كتاب «معجم البلدان» ومصدره ما جاء في كتاب «بلاد العرب» للغدة الأصفهاني : وهو يعدد مياه غني : (ثم الغربة وهي أغزر ماء لغني ، وهي قرب جبلة ، وهو الجبل الذي التقت فيه قيس وتميم ، ثم الجعموسة ، ثم هراميت) وعدها الهمداني في «صفة جزيرة العرب ص ٢٩٢ من مياه الشريف ، أورد اسمها الجعموشة ، بالشين ــ ولعله تطبيع .

٢ ــ جَبَلَةُ هضبة عظيمة لا تزال معروفة في نجد ، غرب إقليم السّرّ.

وذكر (الجعموسة) ليس من شرط هذا المعجم .

صفحة ٥٦١ ــ الجفائر : رمال معروفة (ت ، مستدرك) وفي مستدرك التاج أنشد الفارسيُّ :

ألـمَّا على وَحْشِ الجفائر فانظرا إليها وإن لم تُمكِنِ الوَحشُ راميا)

والمصدر مستدرك صاحب «تاج العروس» .

استدراك صاحب «التاج» هنا ليس في محله ، فالشاهد على (الحفاير) بالحاء المهملة على ما ذكر ياقوت في «معجم البلدان» وقد أورد أربعة أبيات أولها الشاهد ، وحدد

موضع الحفائر فيما نقل عن الأصمعي تحديداً صحيحا .

الدكتور عبدالله الطيب : هذا التحريف قديم وقد ورد في بيت مشهور لأبي تمام ، فأقترح أن نتركه على أنه تحريف قديم .

الأستاذ حمد الجاسر : ما الفائدة من أعمال (**مجمع اللغة**) إذا ترك كل خطإ على ما هو عليه ثم استمر في عرض ملاحظاته :

صفحة ٥٦٣ — (في شعر كثير :

إليك تباري بعد ما قلتُ قد بدت جبال الشبا أو نكبت هَضْبَ تِرْيَم
بنا العيس تجتاب الفلاة كأنها قطا الكُدْرِ أمْسى قارِباً جَفْرَ ضمضم

(الشبا : واد بالمدينة قريب من الأبواء — تريم : موضع لبني جشم . تجتاب : تقطع — قاربا : طالبا) .

١ — كُثيِّر في شعره يذكر مسره إلى مصر ، وافداً على عبد العزيز بن مروان ولهذا فالمواضع التي ذكرها تقع في الطريق إلى مصر من الحِجَاز .

٢ — الشَّبا الذي ذكره كثيِّر هنا ينبغي أن يكون هو الذي ذكره حين قال :

أتاني ودوني بطن غَوْلٍ ودونه عِمَادٌ الشَّبَا من عَيْنِ شمس وعابِد

فهو في جهة عابد الذي ذكر ياقوت أنه جبل بأطراف مصر . وذكر أيضاً أن الشبا موضع بمصر . واذن الاسم يطلق على موضعين بل ثلاثة فقد ذكر أيضاً أن الشبا مدينة خربة بأوال — البحرين .

٣ — تِرْيم الذي ذكر كثير وادٍ عظيم لا يزال معروفاً باسمه تطل عليه هضاب كبيرة ، يمر به المتجه من الحجاز إلى مصر ، قبل وصوله إلى بلدة حقل ، ويصب سيل الوادي قرب مدخل خليج العقبة ، وقد حددته في «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» قسم شمال المملكة — ص ٢٥٤ .

أما الموضع الذي لجشم فهو (بُرَيْم) — بالباء مضمومة والراء مفتوحة بعدها مثناة

تحتيَّة فيم — وورد مصحفا في «معجم ما استعجم» .

وعنه نقل محقق ديوان كثير :

وبريم لا يزال معروفاً وهو ماء بقرب حضن ، وليس هضبا .

صفحة ٥٦٣ — (وجفر الهباءة بأرض الشَّرَبَّةِ ، قتل بها حذيفة وحمل ابنا بدر الفزاريان) ولكن أيْن الشربة ؟

إنها في عالية نجد ، الأرض المرتفعة الواقعة بين خَطَّي الجريب والرُّمَة — أي مجْرَى سيل الواديين — على ما ذكر الأصمعي — فيما نقل عنه ياقوت — وغيره .

صفحة ٥٦٣ — لم يذكر جفر ضرية وهو أشهر الأجفار وينسب إليه بعض المتقدمين من العلماء وذكر في الشعر .

صفحة ٥٨٣ — (الجفول : موضع في ديار بني عامر (س) قال الراعي (٩٠ هـ = ٧٠٩م) :

تروحن من حزم الجفول فأصبحت   هضاب شرورى دونها والمضيح

(الحزم : الأرض الغليظة — شرورى والمضيح : موضعان) .

هذا من كتاب «معجم ما استعجم» وهو مشحون بتصحيف أسماء المواضع : والرواية المعروفة لبيت الراعي : كما في «معجم البلدان» و«تاج العروس» — جثم — تروحن من هضب الجثوم : البيت —

والجثوم منهل لا يزال معروفاً ، وهو غير بعيد عن المضيَّح المنهل الذي لا يزال معروفاً أما شرورى فهضاب عظيمة واقعة غرب الجثوم بمسافة بعيدة لا يمكن للراحلة قطعها في ليلة واحدة ، ولكن الشعراء يبالغون ، كقول ذي الرمة :

مشت من منى جنح الظلام فأصبحت   بِبُسْيَانَ ، أيديها مع الصبح تلمع

ولعلّ المقصود صباح اليوم الثاني .

صفحة ٥٨٥ — (جفن : موضع بالطائف ، قال محمد بن عبدالله النميري (٩٠ هـ= ٧٠٨م) :

طَرِبْتَ وهاجتك المنازل من جفن ألا ربما يعتادك الشوق بالحزن)

جَفُن هذا لا يزال معروفاً ، وهو واد صغير أعلاه يُدْعى الأصيفر وهو من روافد وادي لِيَّة الوادي المشهور الواقع شرق الطائف ، وسكان جفن من الفعور — واحدهم فِعْرٌ — من الأشراف .

وفي « صفة جزيرة العرب » — ٢٦٠ —: وبشرقي الطائف واد يقال له لِيَّة ، يسكنه بنو نصر ، من هوازن ، ومن يماني الطائف وادٍ يقال له جفن لثقيف ، وهو بين الطائف وبين معدن البرام .

صفحة ٦٠١ — (جلب : موضع من منازل حاج صنعاء على طريق تهامة) جلب هنا تصحيف خُلَب — بالخاء المعجمة — وهو واد تهاميٌّ عظيم مشهور قديماً وحديثاً ، يمر به طريق حاج صنعاء . قبل الوصول إلى جازان ، مع الطريق التهامي .

قد يقال : ولم لا يكون جلب — بالجيم — موضعاً آخر؟ والجواب أن ياقوتا — صاحب القول الأول — نقل عن الهمداني مؤلف كتاب « صفة جزيرةالعرب » فقال : جلب اسم واد بتهائم اليمن لبني سعد العشيرة ، بين الجون (؟) وجازان ، وكان يقال له الخصوف . وقال في رسم الخصوف : قال ابن الحائك : الخصوف قرية لحكم على وادي جلب ، باليمن ، وبها أشراف بني حكم بن سعد العشيرة .

وابن الحائك هو الهمداني ، ونص كلامه في «صفة جزيرة العرب» :

والسقيفتان قرية لحكم ، على وادي خُلَب ، ويكون بها وبالساعد أشراف حكم ، ثم الهجر قرية ضمد وجازان) — ص ٧٥ — وقال الهمداني أيضاً : ثم وادي خُلَب ، وهو الذي يشرع على جانبيه الخصوف ، ثم بعد وادي خلب وادي جازان وضمد — ص ١٢٥ —

ومن التطبيع (الخطأ المطبعي)

٤٥٩	عامر بن جيشم — عامر بن جشم .
٤٨٩	الأجش أحد الأصوات — تكرر ص ٤٩٢ .
٥٣٠	هوزان — هوازن .
٥٤٨	العسيلة — الفسيلة .
٥٥٦	مواد أعيدت ص ٥٩٢ مكررة
٥٥٧	
٥٦٢	تميم بن مرة — تميم بن مُرّ .
٥٦٧	الجُلندي — الجَلَندي — بفتح الجيم لا ضمها . عند علماء اللغة ، والضم أورده ابن حجر في «الإصابة» .
٥٦٩	بني القين بن قضاعة — بني القين من قضاعة .
٦١٣	نهائياً — لا أدري هل يصح استعمال هذه الكلمة ؟! ولعلها وقعت سَهْواً .

الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع : نوجه الشكر العميق للأستاذ حمد الجاسر على ما بذله من جهد في إعداد هذه الملاحظات ،ونحن دائماً نُعَوِّل عليه في كل ما يتصل بالجزيرة العربية من مواضع ، كما نعوِّل على علمه بالقبائل والأنساب ، وهو مَرْجُوٌّ دائماً بأن يتابع إمداد المعجم بملاحظاته وتعريفاته .

الدكتور محمد مهدي علام مقرر اللجنة : إنني كنصف مسؤول عن تقرير مواد المعجم الكبير ، أقدم الشكر مضاعفاً للأستاذ حمد الجاسر على ما تفضل به في قيادة معركة كاد يستقل بها وحده .

الأستاذ محمد عبد الغني حسن : أشكر الزميل العلامة الأستاذ حمد الجاسر ، وأرجو أن يتسع صدره لبعض التحريفات الناشئة عن الإعجام والإهمال ولقد أشرت في بحثي الذي ألقيته أمام السادة أعضاء هذا المؤتمر إلى مقالاته وبحوثه العظيمة التي ينشرها في المجلات بعد والتي لم يجمعها ، واقترحت أن ينشرها في كتاب مستقل حتى ينتفع بها .

الأستاذ حمد الجاسر : لقد جمعت الكثير من ذلك في كتاب سميته «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ، أهديت مكتبة المجمع أجزاء منه وأكرر شكري للأستاذ الجليل محمد عبد الغني حسن وأرجو أن أكون دائماً عند حسن ظنه بي ، كما أشكر الدكتور رئيس المجمع والدكتور الأمين العام ، وجميع السادة الزملاء على استماعهم إلى ملاحظاتي هذه .

ما اتّفق لفظُه وافترق مسمّاه
من أسماء الأمكنة

للإمام محمد بن موسى الحازمي
(٥٤٨ / ٥٨٤ هـ)

— ١٠ —

١٧٤ — بابُ جَدْرٍ ، وجَدَرٍ ، وحُدَّرٍ ، وجَرَدٍ(١)

أَمَّا الأَوَّلُ — بعد الْجِيْمِ دالٌ مهملةٌ سَاكِنَةٌ ، وآخِرُهُ رآء —: ذُو الْجَدْرِ مَسْرَحٌ عَلَى سِتَّةِ أَمْيَالٍ من الْمَدِيْنَةِ ، نَاحِيَةَ قُبَا ، كَانَتْ فِيْهِ لَقَائِح لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، تَرُوحُ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ أُغِيْرَ عَلَيْهَا وأُخِذَتْ .

وَالْقِصَّةُ مَشْهُورَةٌ فِي الْمَغَازِي(٢) .

وأَمَّا الثَّانِي — بفتح الْجِيمِ والدَّال — : موضِعٌ بالشَّام .

قال أَبُو ذُؤَيْبٍ :

فَمَا أَنْ رَحِيْقٌ سَبَتْهَا التِّجَار مِن أَذْرِعَاتٍ فَوَادِيْ جَدَرْ(٣) .

وأَمَّا الثَّالِثَ أَوَّلَهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَضْمُومَةٌ ثُمَّ دَالٌ مُشَدَّدَةٌ مفتُوحَة —: من مَحَالِّ الْبَصْرَةِ عِنْدَ خُطَّةِ مُزَيْنَةَ(٤) .

وَأَمَّا الرَّابِعُ — أَوَّلُهُ جِيمٌ مفتُوحَةٌ أيضاً وآخره دال —: جَرَدُ الْقَصِيم — مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَلَى مَرْحَلَةٍ ، وهُمَا دُوْنَ رَامَةَ بِمَرْحَلَةٍ ثُمَّ إِمَّرَةُ الْحِمَى ثم طِخْفَةُ ثُمَّ ضَرِيَّةُ(٥) .

قالَ النُّعْمَانُ بْنُ بشِيْرٍ .

يا عَمْرو لَوْ كُنْتُ أرقَى الْهَضْبَ مِنْ بَرَدَى ... أو العُلَا مِنْ ذُرَى نَعْمَانَ أَوْ جَرَدَا

(١) في كتاب نصر : (باب جَدَر والْجَذْر والحُذَّر وجَرَد) .

(٢) عَرَّف نَصْرٌ ذَا الْجَدْرِ : على ستة أميال من المدينة ناحية قُبَا من مسارح النعم . انتهى . أما ياقوت فقد نَقَل نصَّ كلام الحازميّ غيْرَ منسوب إليه . ونقل السمهوديُّ في «خلاصة الوفاء» عن ابن شبة أنَّ سيلَ بطحان — وادي المدينة المعروف — يأخذ من ذي الْجَدْرِ ، وأن الجدْر قرارة في الحرَّة ، يمانية ، من حليات الحرَّة العُلْيا حرَّة مِعصَمٍ — وهو جبل — وقد حُدِّدَت المسافة بينه وبين المدينة بستة أميال ، أي بما يقارب أربعة عشر كيلاً .

من المدينة ، فإذَن موقعه في طرف حرة المدينة الجنوبية مُتَّصل بها .

(٣) قال نصر عَنْ جَدَرٍ — بفتح الجيم والدال —: من قرى الشام .. وتوسع ياقوت في الحديث عنها فقال : هي قرية بين حِمْصَ وسَلَمِيَّة ، تنسب إليها الخمرُ قال الأخطل :

كأنني شاربٌ يَومَ اسْتَبَدَّ بِهِمْ   مِنْ قَرْقَفٍ ضَمَّنَتْها حِمْصُ أَوْ جَدَرُ

وقيل : جَدَرُ قَرْيَةٌ بالأرْدُنِّ ، ثم أورد بيتَ أبِي ذُؤَيبٍ ، وهو في كتاب «شرح أشعار الْهُذَلَيِّيْنَ» — ص ١١٥ —

(٤) لم يزد الحازميُّ في تعريف حُذَّر على ما ذكر نَصْرٌ : وكذا ياقوت باستثناء ما يتعلق بمعنى الكلمة .

(٥) مفهوم تحديد جَرَد القصيم أنه يقع قبل القريتين للمتجِّه غرباً ، حول موقع مدينة بريدة ، ومدينة بُرَيدة قاعدة القصيم يحيط بها الجَرَدُ — جمع جَرَدَة — وكان سوقُها يُدْعى الْجَرَدَة لوقوعه في الْجَرَد والجَرَدُ — لغة — فضاء لا نبات فيه ، كذا ذكر علماء اللغة ، ولعلهم يقصدون خلوّه من الأشجار ، أما الجرد عند أهل العصر فهو جمع جَرَدَة ، ويقصدون بها الأرض السهلة ذات الرمل ، وهي تنبت إذا جاءها الغيث .

وما نقله الحازمي في تعريف الجرد ، هو نصُّ كلام نَصْرٍ ، إلاَّ أنَّ نصرا لم يُوْرِدْ قول النعمان ، ولا شكَّ أنه لا ينطبق على جَرَدِ القصيم ، فهو يصف مكاناً منيعاً بالعلوّ والشموخ ، والغريب أنَّ ياقوتاً نقل نَصَّ كلام الحازمي — دون ذكره — وزاد : وأنشد ابن السِّكِّيتِ في جَرَدِ القَصيم :

يَا رِيَّهَا الْيَومَ على مُبِيْنِ   على مُبِيْنٍ جَرَدِ الْقَصِيمِ

ويظهر أنَّ النُّعمانَ بن بشر يَقْصُدُ مواضيعَ في سراة الحجاز ، فوق واديَ نَعْمَان الواقع بجوار عَرَفَاتٍ ، وبَرَدًا من قِمَمِ سَرَاة الطَّائف المعروفة .

بلاد قحطان

[رسالة تفيض أسى وأملاً عن جزء حبيب من بلادنا لم ينل حظَّهُ بَعْد مما شمَلَ غيره من أجزاء هذه المملكة من وسائل التقدم العمراني .

تنشر «العرب» خلاصتها من قبيل (وذكّر فإنَّ الذكرى تنفع المؤمنين) .

منطقة قحطان :

وقد أعيتني الحيلة في العثور على اسم يمكن أن يكون شاملاً لهذه المنطقة ، نظراً لاتّساع رقعتها وكثرة بلدانها ، وتعدُّد قبائلها إلا اسم قحطان نظراً لأن جميع سكانها من قبائل قحطان .

ويسرني أن أقدم معلومات موجزة عنها وأملي كبير أن تَحْظَى بشيء من عناية الباحثين فهي لا تزال بكراً على الكتابة ، وكثير من سكان بلادنا في المملكة لا يعرف عنها شيئاً :

الموقع :

تقع هذه المنطقة بين أربعة أقاليم كبرى ربما كانت السبب في عدم شهرتها لبعدها عن أمهات المدن واحتجابها عن الأضواء .

وهذه الأقاليم هي :

١ ـــ أعلي المنطقة الوسطى شمالاً .

٢ ـــ سفوح جبال السَّرَوَات وعسير من الجنوب .

٣ ـــ وادي بيشة وضواحيها من الغرب .

٤ ـــ منطقة نجْران من الشرق .

المساحة في حدود ثلاثة مئة كيل من الشمال إلى الجنوب وثلاث مئة وخمسين كيلاً من الغرب إلى الشرق .

بلدانها :

تحتوي هذه المنطقة على عدد من المدن والقرى والهُجَر والمناهل ولكنني سأذكر بعض البلدان المهمة فيها ومنها . تثليث ، وادي جاش الصُّبَيخَة ، المضّة ، طَرِيب ، الْعَرِين ، عرقة ، الأمواه ، عين قحطان ، الحَمْضَة ، الجعيفرة ، وهي قرية أثرية قديمة — وقرية كُتَنَة .

أوديتها الشهيرة :

١ — وادي تثليث وتجتمع فيه الأودية قُرب مدينة تثليث القائمة الآن على مسافات مختلفة من ١٠ إلى ١٥ كيلاً .

٢ — وادي جاش وهو امتداد لوادي طريب وفيه تقع بعض البلدان المهمة .

٣ — وادي الرُّسَيْن بالراء المشددة ثم صاد مفتوح فياء وجيم أو الرسيق بالسين بدلاً من الصاد .

٤ — وادي الثفن ، وهذه الأودية جميعاً تنحدر من أعالي السروات وتنتهي بعد اجتماعها قرب تثليث في كثبان وادي الدواسر وعلى بعد خمسة أكيال .

وفي اعتقادي أن هذه الأودية هي المَصْدَر الوحيد لمياه وادي الدواسر الجوفية الغزيرة .

وهذه الأودية من الأودية الفحول العظيمة وتَثْلِيثُ يتمتد حوالي خمس مئة كيل من قمم جبال السروات حتى أعالي نجْد ورغم ذلك لم أر اسم واحد منها في أية (خريطة) من جغرافية بلادنا وأتَسَاءَلُ عن السبب فلا أجد جواباً سوى الجهل الفاضح ، والقصور الواضح تجاه هذه المنطقة وأوديتها .

السكان :

سكان هذه المنطقة في حدود مئة وعشرين ألف نسمة حاضرة وبادية وجميعهم من قبائل قحطان ، وينقسمون إلى ثلاثة فروع هي :

١ ــ عَبِيْدَة : ومنها المساردة . الفهر . آل مهدي . آل الجرو . آل سلمان . آل معمر . آل سلمان ، آل عائذ . آل زيدان . العبس . الجرابيع . آل الصّقر وقبائل أخرى أعجز عن حصرها .

٢ ــ الجحادر : ومنهم آل مسعود . المشاعلة ، آل سعد . آل شبوة . آل سُوَيْدَان آل عاطف وخلافهم كثير . .

٣ ــ الحباب : ومنهم آل زربة . آل جميح . الرشدة ، آل العبد ، آل غراب ، آل حميدان ، آل ملحان ، آل الحسنا ، وغيرهم .

ولقد حزَّ في نفسي كثيراً أن تبقى هذه المنطقة في دائرة النّسيان وأن يترتب على ذلك استمرار تخلفها للجهل بأحوالها وما هي عليه من تَخَلُّف صارخ حتى من أيسر الحقوق ومتى علمت بأنها لا تزال تفتقر إلى كل شيء كالطرق والمياه والكهرباء والمدارس الثانوية والمعاهد العلمية والمستشفيات والهاتف والانعاش الزراعي و . و.

وتعاسة هذه المنطقة بسبب تركها قابعة في الظِّلِّ وعدم التعرُّف بها . قد يقول قائل : إن التبعة الأولى تقع على أبناء المنطقة خاصة مثقّفيها وهذا صحيح ولكن ما دامت المنطقة لم يبدأ التّعليم فيها إلا منذ حوالي عشر سنوات وجميع المدارس الموجودة لا تزال في نطاق المرحلة الابتدائية فمن أيْن يأتي المثقفون ؟

ثم إن الظروف الاقتصادية والاجتماعية كما هو معروف في كثير من أرياف مملكتنا لها الأثر الفعَّال في التخلف العلمي والثقافي في المنطقة .

وكم تمنينا لو يقوم وفد من الوزارات ذات العلاقة بخدمات المواطنين وليكن هذا الوفد على مستوى وكلاء الوزارات بزيارة المنطقة ليروا بأعينهم ما فعل النّسيان بها طوال السنوات العجاف التي عاشتها في جمود وحرمان طويل .

وادي جاش **فراج بن شافي بن ملحم**

فَلْج وَادي البَاطِن

[... وادي الباطن هو أعظم الأودية في شرق الجزيرة ، وفيه الآن مدينة الحَفْر ، وفيه هُجَرٌ ، وموارد . وقال لي أحد طلبة العلم : إن اسمه القديم فلج ، وأنَّ بعض المفَسِّرين ذكر أنه هو الرَّسُّ المذكور في القرآن الكريم .

فالمرجو إفادتي بوجه الصواب في ذالك .

قرية : مناحي بن ناجي

العرب : فَلَجٌ الذي ذكر بعض المفسِّرين أنه الرَّسُّ المذكور في القرآن الكريم هو بِفَتْح اللام — وهو فَلَجُ الأفلاج ، الإقليم المعروف في جنوب نجد — وعن الرّسّ — أنظر مجلة «العرب» س ٥ ص ١ إلى ١٢ —

أمَّا وادي الْبَاطن فاسمه القديم فَلْج — بإسكان اللام — واليك ما كتبه عنه صاحب هذه المجلة في كتاب «المنطقة الشرقية» ج٣ ص ١٣١٥ وما بعدها] :

فَلْجٌ :

قال في «معجم البلدان» : بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وآخره جيم ، والفلجْ في لغتهم : القِسْم ، يقال : هذا فَلْجِي أيْ قسمي ، والفَلْجُ : القَهْر ، وكذلك الفُلْجُ بالضم ، والفَلْجُ : قيام الحجة ، يقال : فَلَج الرَّجُلُ يَفْلِجُ أصحابه إذَا علاهم وفاقهم ، قال أبو منصور : فَلْجُ اسم بَلد ، ومنه قيل لطريق تأخذ من طريق البصرة إلى اليمامة طريقُ بطن فلجٍ ، وأنشد للأشهب :

وَإنَّ الذِيْ حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُمْ ... هُمُ الْقَومُ كلُّ القَوْمِ يَا أُمَّ خالِدِ
هُمُ ساعِدُ الدَّهْرِ الَّذِي يُتَّقَى بِهِ ، ... ومَا خَيْرُ كَفٍّ لَا تَنُوءُ بِسَاعِدِ؟

وقال غيره : فَلْجُ وادٍ بَيْنَ البصرة وحِمَى ضَرِيَّة ، من منازلِ عِدَيٍّ ابن جُنْدبِ بن الْعَنْبرِ بن عَمْرو بنِ تَمِيم من طريق مكة ، وبَطْنُ واد يفرق بين الْحَزْنِ والصَّمان يَسْلُكُ منه طريقُ البصرة ، ومنه إلى مكة أربع وعشرون مرحلة .

وقال أبو عبيدة : فَلْجُ لبني العَنْبر بن عَمْرو بن تميم ، وهو ما بين الرُّحَيل إلى الْمَجَارَةِ وهي أَوَّلُ الدَّهْنَاءِ .

وقال بعض الأعراب :

أَلَا شَرْبَةٌ مِنْ ماءِ مُزْنٍ عَلَى الصَّفَا ... حَديْثَةُ عَهْدٍ بالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ
إِلَى رَضَفٍ مِنْ بَطْنِ فَلْجٍ كأَنَّهَا ... إذا ذُقْتَـهـا بَيُّوتَةً ماءُ سُكَّـرِ

وقالت امرأةٌ من بني تميم :

إِذَا هَبَّتِ الأَرْوَاحُ هَاجَتْ صَبَابَةً ... عَلَيَّ وبَرْحاً في فُؤادِي هُمُومُهَا
أَلا لَيْتَ أَنَّ الرِّيْحَ مَا حَلَّ أَهْلُهَا ... بِصَحْرَاءِ فَلْجٍ لَا تَهُبُّ جَنُوبُهَا
وَآَلَتْ يَمِينـاً لَا تَـهُبُّ شِمَالُهَا ... وَلَا نُكْبُـهـا إِلَّا صَبـاً نَسْتَطِيبُهَا
تُؤَدِّي لَنَا مِنْ رِمْثِ حُزْوَا هَدِيَّةً ... إِذَا نَالَ طَلاًّ حَزْنُـهَا وكَثِيبُهَا

وفي كتاب « النقائض »[1] : قال أبو عبيدة : وأمَّا حديث يوم الغبيط غَبِيْط الْمَدَرة فإنَّ سَلِيطا وزَبَّانَ الصُّبَيرِيَّ وَجَهْماً السَّلِيطِيَّ قالوا غزا بِسْطَامُ بن قيسٍ ومفروقُ بن عمرو والحارث الحوافزانُ بْنُ شَرِيكٍ بلادَ بني تميم ، فأغاروا على بني ثعلبة بن يربوع ، وثعلبة بن سعد بن ضَبَّةَ ، وثعلبة بن عَدِيٍّ بن فزارة ، وثعلبة بن سعد بن ذبيان وكانوا متجاورين بصحراء فَلْجٍ ، فاقتتلوا فهزمت الثعالبُ ، وأصابوا فيهم ، واستاقوا إبلاً من نعمهم .

قال : ولم يَشْهَدْ عُتَيْبَة ذلك اليوم ، لأنه كان نازلاً في بني مالك بن حنظلة بن مالك ، ثُمَّ امتروا على بني مالك ـــ امتروا افْتَعَلُوا من المرور ـــ قال : وهم بين صَحْرَاء فلجٍ وغبيطِ الْمَدَرة ، فاكتسحوا إبلهم فركبتْ عليهم بنو مالك وفيهم عُتَيْبَة بن الحارث بن شهاب اليربوعيُّ ، وفرسان بني يربوع تأْثَفُ البكريين ـــ تأْثفُ يريد تتبعهم تحوطهم

مثل ما تأثَّفُ الأثافي الرماد ـــ منهم الأحمير بن عبدالله وأسيد بن حنَّاءة وأبو مَرْحب وجزء بن سعد الرِّياحيُّ وهو رئيس بني يربوع ، وربيع والحُليس وعمارة بَنُو عتيبة بن الحارث بن شهاب والدرَّاج أحد بني ثعلبة ، ومَعْدان وعُصْمَةُ ابنا قَعْنَبِ بن سُمَيْر الثَّعْلَبِيُّ والمِنْهال بن عصمة الرياحيُّ وهو الذي يقول فيه مُتَمِّمُ ابن نُوَيْرَةَ :

لقد كَفَّنَ الْمِنْهَالُ تَحْتَ رِدَائِهِ   فتًى غَيْرَ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ ، أَرْوعا

وقال : وكان مالك بن نويرة فيهم أيضاً ، فأدركوهم بغَبيط المَدَرَة ، فقاتلوهم حتى هزموهم ، وأخذوا ما كانوا استاقوا من آبالهم وانهزموا ، وقتلت بَنو شيبان أبَا مَرْحَبٍ ثعلبةَ بْنَ الحارث ابنِ حصبة وألَحَّ عتيبة وأسيد والأحمرُ على بِسْطَامٍ ، وكان أسيد أدْنَى إلى بسطام من الرجلين ، فوقعت يَدُ فَرَسِهِ في ثبرة ـــ وهي الوهدة تكون في الأرض كالحفرة ـــ وتقدم بسطام وجعل يلتفت هَلْ يَرَى عُتَيْبَةَ ، وقد صار في أفواه الغبط ـــ وهي مسايل المياه ـــ فلحق عُتَيْبَةُ بِسْطاما فقال له : استأْسِرْ يا أبا الصَّهباء فقال له : ومن أنت ؟ قال : أنا عُتَيْبَةُ وأنا خير لك من الفلاةِ ، والعطش ، وكان الأُحيمر مجدوداً لا يكون له ظَفَرٌ وكان فارساً ذَا بأسٍ ونجدة ، ولاحظ له في ظفر ، قال فأسر عتيبةُ بسطاما قال : ونادى القوم بجَادا أخَا بِسْطَام بن قَيْس : كُرَّ على أخيكَ ، وهم يرجون أنْ يكر فيأسروه فنادى بسطام أخاه : إن كررت يا بجاد فأنا حَنِيفٌ ، وكان نَصْرانياً قال فلحق بجادُ بقومه ، فقالت بنو ثعلبة : يا أبَا حَزْرَة إنَّ أبا مَرْحَبٍ قد قُتل ، وقد أسرتَ بسطَاماً وهو قاتل مُلَيْلٍ وبُجَيْرٍ ابْنَيْ أبي مليل ، ومالك بن حطَّانَ يوم قُشاوَة فاقْتُلْهُ قال : إني مُعِيل وأنا أحبُّ اللَّبَنَ ، قالوا : إنَّك لتُفَادِيه وتُخَلِّي عنهُ فيعود فيحربنا فأبى ، فقال بسطام : يا عُتَيبة إنَّ بني عُبَيدٍ أكثرُ من بني جعفر وأعزُّ وقد قُتل أبُو مرحب ، ولي في بني عُبَيْد أثر بَيْبَسٌ وهُمْ آخذِيٌّ منْك ، ولَنْ تقدر بنو جعفر على أن يمنعوني منهم ، وأنا معطيك من المال عائِرَةَ عَيْنَيْن ـــ يعني كثيراً تذهب العين فيه وتجيء ـــ فقال : لا جَرَم واللهِ لأضعنَّك في أعزّ بيتين من مُضَرَ ، في بني جعفر بن كلابٍ أو في بني عَمْرِو بن جُنْدَبٍ ، ثم من بني عمرو بن تميم من بَلْعَنْبَر ، فاختار بسطامُ بني جعفر لخلة عامر بن الطفيل ، فتحمل بأهله وبه حتى لحق بالشُّرَيْبَةِ ببني جعفر ، فنزل به على بني عامر بن مالك بن جعفر فرآى رثاثة فودجِ أمِّ عُتَيْبَةَ فعجب منهُ وكره ذلك فقال عتيبة :

لا جَرَمَ لا تَنْفَلِتُ من القدِّ حتى تَجيءَ بفودَجِ أُمِّك فيما تفادي به ، فقال قائل : إمَّا مالك بن نويرة وإمَّا أخوه مُتَمِّمُ بن نُويرَة وإمَّا أبو مليل في ذلك :

لله عَتَّابُ بْنُ ميَّة إذْ رَأىَ ... إلَى ثَأْرِنَا في كَفِّهِ يتلدَّدُ
أتَّخيي آمْرَأً أرْدَى بُجَيْراً ومالكا ... وأشْوَى حُرَيْثاً بَعد ما كانَ يُقْصَدُ
ونحنُ ثأرنا قَبْلَ ذَاك ابْنَ أُمِّهِ ... غَدَاةَ الكلابيِّينَ والقومُ شُهَّدُ

وقال فلم يزل بسطام فيهم زُمينا — ثم ذكر بقية خبره — وفي «معجم ما استعجم» : فَلْج : بفتح أوله ، وإسكان ثانيه ، بعد جيم : موضع في بلاد بني مازن ، وهو في طريق البصرة إلى الكوفة ما بين الحفير وذات العُشيرة[٢] ، وفيه منازل للحاج . قال الراجز :

اللهُ نَجَّاكَ مِنَ الْقَصِيمِ
وبَطْنِ فَلْجٍ وبَنِي تَمِيمِ
وَمِنْ غُوَيْث فاتِحِ الْعُكُومِ
ومنْ أبي حَرْدَبَةَ الأثِيمِ
ومَالك وَسَيْفِهِ الْمَسْمُومِ

أبو حردبة ومالك بن الرَّيْب لِصَّان مازنيَّان .

وقال الزَّجَّاجُ : فَلْجُ لبني العنبر ، ما بين الرُّحيل إلى المَجَازَة ، وهو ماءٌ لهم ، قال راجزهم :

مَنْ يَكُ ذَا شَكٍّ فَهَذا فَلْجٌ ... ماءٌ رُواءٌ وَطَرِيقٌ نَهْجُ

وقال أبو عبيدة : لما قَتَلَ عمرانُ بنُ خُنَيس السعديّ رَجُلَينِ من بني نهشل بن دارم ، اتَّهاماً بأخيه المقتول في بُغَاء إبِلِهِ ، نشأتْ بين بني سعد بن مالكٍ وبين نَهْشَل حَرْبٌ تحامَى النَّاسُ من أجلِها ما بَيْن فلجٍ والصَّمَّان ، مخَافَةَ أنْ يغزوا ، حتى عَفَا الكَلأُ وطال ، فقال أبو النجم :

تَرَبَّعَتْ في أولِ التَّبَقُّلِ

بَـيْـنَ رِمَـاحِي مَـالِكٍ ونَـهْشَـلِ
يَـمْـنَـعُ عَـنْـهَا الْعِزَّ جَهْلُ الْجُهَّلِ

وقال رجل من بني نَهْشَلٍ :

أَتَرْتَعُ بالأحْنَاء سَعْدُ بنُ مالِكٍ   وَقَدْ قَتَلُوا مَثْنَى بِظِنَّةِ وَاحِدِ؟
فَلَمْ يَبْقَ بَيْنَ الْحَيِّ سَعْدِ بنِ مالِك   وَلَا نَهْشَلٍ إِلَّا سِهَامُ الأَسَاوِدِ

وقال الأشهَبُ :

إنَّ الذِي حَانَتْ بفلجٍ دِماؤُهُم   هُمُ الْقَومُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ

وقال ابن مقبلٍ :

كَجَأبِ يرتعي بجنوب فلج   تُؤَامِ البقل في أحوى مريع

وبصحراء فلج أغارت بكرٌ على الثَّعالبة ، ورئيس بكر بسْطامُ بن قَيْسٍ ، فهزمت الثعالبةُ ، واستاقوا أموالهم ، وهم بنو ثَعْلَبَة بن يربُوع ، وبنو ثَعْلَبَة بْنِ سعد بن ضَبَّة ، وبنو ثَعْلَبَة بن عَدِيٍّ بن فزارة ، وبنو ثعلبة بن سعدِ بن ذُبْيان ، فهو يوم صحراء فَلْجٍ ، ويوم الثَّعالب . وكان هؤلاء كلهم متجاورين بصحراء فلجٍ ، من ديار بني تميم .

ثم أغار بسطام[٣] على مالك بن يربوع وهم بين صحراء فلج ، وبين غَبيط المَدَرَة ، فاكتسحوا إبلَهُمْ ، فركبتْ عليهم بنو مالك وفيهم عُتَيْبة بنُ الحارث بن شهاب اليربوعيُّ ، فأدركوهم بغبيْطِ الْمَدَرَة ، فَهَزَمُوا بني بكر ، واستاقوا الأموال ، وألحَّ عتيبة وأُسَيْدُ ابنُ حِنَّاءة على بِسْطَامٍ ، وكان أسيْدَ أدْنَى إلى بِسْطَامٍ ، فوقعت يَدُ فَرَسِهِ في ثُبْرَةٍ ، أيْ في هُوَّةٍ ، فلحق عُتَيْبَة بِسْطَاماً فأسَرَهُ ، ففادى نفسه بأربع مئة بعير ، وبفَوْدَج أمِّهِ لما أنكر عَلَى عُتَيْبَة رثاثة فَوْدَج أمِهِ مَيَّةَ ، فهو يَوْمُ غَبِيطِ الْمدرة . وقال سُلْميُّ بنُ ربيعة الضَّبِّيُّ :

حَلَّت تُمَاضِرُ غُرْبَةً فَاحتَلَّتِ   فَلْجاً وأَهْلُكَ باللِّوى فَالْحَلَّةِ

والْحَلَّةُ : موضع حزن وصخور ببلاد بني ضَبَّة ، بينه وبين فَلْجٍ مَسيرةُ عشر[٤] .

وجاء في كتاب «النقائض»(٥) ما ملخصه :

خبر يوم أعشاشٍ ويوم صحراء فلج :

وكان من قصة هذا اليوم أن بِسطام بن قيس أغار ببني شيبان على بني مالك بن حنظلة وهم حالُّون بالصَّحراء من بطن فلج ، ومع بني مالك الثعلبات بنو ثعلبة بن سعد بن ضبَّة ، وثعلبة بن عديٍّ بن فزارة ، وثعلبة بن سعد بن ذبيان ، وعتيبة بن الحارث بن شهاب نقيل في بني مالك ليس معهم يربوعي غيره ، فأخذ بسطام بن قيس نسْوةً فيهم أمُّ أسماءَ بنِ خارجة ، وهي امرأة من بني كاهل بن عُذْرة بن سَعْدِ هُذَيم ، وأسماءُ يومئذ غلام شابٌّ يذكر ذلك ، فأتى الصَريخُ بني مالك فركبوا في أثره ، فاستنفدوا ما أصاب ، وأدركه عتيبة بن الحارث فأسره وأخذَ أمَّ أسماءَ ، وقد كان بسطام قتل مالكَ بن حطان وبُجير بن عبدالله وهو أبو مليل — اليربوعيين فأشفق عتيبة أنْ يأتي به بني عُبيدَ بن ثعلبة مخافة أن يقتلوه بمالك بن حطان ، أو ببجير ، ورغب في الفداء فأتى به عامر بن مالك بن جعفر وكانت عمته خولة بنت شهاب ناكحاً في بني الأحوص فزعموا أن بسطاما لما توسط بيوت بني جعفر قال : واشَيْبَانَاه ، ولا شَيْبَان لي ! ! ، فبعث إليه عامر بن الطفيل : إن استطعت أن تَلْجَأ إلى قُبَّتي فافعل ، فإنِّي سأمنعك ، وإن لم تستطع فاقذف بنفسك إلى الرَّكِّي التي خلف بيوتنا ، وكانت الرَّكِّي بَدِياً إنما حُفِرَ منها قامتان فأتت أمُّ حمل — وهي تابعة له كانت من الجن — عتيبة فخبرته بما كان من أمر عامر ، فأمر عتيبة ببيته فقُوِّضَ ، وركب فرسَه ، وأخذ سلاحَه ، ثم أتى مجلس بني جعفرٍ ، وفيه عامرُ بن الطُّفَيل فحيَّاهم ثم قال : يا عامر إنه قد بلغني الذي أرسلتَ به إلى بسطامٍ ، فأنا مُخَيِّرك فيه خصالاً ثلاثا فاختَر أيَّتَهُنَّ شِئْتَ ، قال عامر : ما هنَّ يا أبا حَزرة ؟ قال : إن شئت فأعطني خُلْعَتَكَ وخلعةَ أهل بيتك — يعني بخلعته مَالَه ، ينخلع عنه — حتى أطلقه لك ، فليست خلعتك وخلعة أهل بيتك بشرٍّ من خُلْعَتِهِ وخلعة أهل بيته . فقال عامر : هذا ما لا سبيلَ إليه فقال عتيبة : فضع رجلك مكان رجلِهِ ، فلست عندي بشرٍّ منه . فقال عامر : ما كنت لأفعَل . فقال عتيبة فأخرى هي أهونُهُنَّ ، فقال عامر : ما هي ؟ قال عتيبة : تتبعنى إذا أنا جاوزت هذه الرابية فتقارعني عنه الموت فإمَّا لي وإما عَلَيَّ . فقال عامر : تيك أبْغَضُهُنَّ إليَّ ، فانصرف عتيبة إلى بني عُبيد بن ثعلبة فانه لفي

بعض الطريق إذْ نظر بسطام إلى مَرْكَب أمِّ عُتيبة فقال : يا عتيبة أهذا مركبُ أمِّكَ ؟ قال : نعم . قال : ما رأيتُ كاليوم قَطّ مركَبَ أمٍّ سيِّدٍ مثل هَذا إنَّ حدْجَ أمِّكَ لَرَثٌّ ، قال عتيبة ألك إرْثٌ ؟ قال : نعم . قال عتيبة : أما واللاّتِ والعُزّى لا أُطلِقك حتى تأْتيني أمُّك بكل شيْءٍ ورثَّكَ قَيْسُ بن مسعود ، ويحملها وحِدْجِهَا . فأتته أمُّ بسطامٍ على جملها وحدْجها وبثلاث مئةِ بعير ، وهي ليلى بنت الأحوص بن عمرو بن ثعلبة الكلبيَّ فقال عتيبةُ في ذلك :

أبْلِغْ سَرَاةَ بَنِي شَيْبَانَ مَأْلُكَةً ... أنِّي أَبَأْتُ بِعَبْدِ اللهِ بِسْطَامَا

أَبَأْتُهُ من البَوَاء وهو أن يقتل الرجل بمن قَتَل :

قَاظَ الشَّرِبَّة في قَيْدٍ وسِلْسِلَةٍ ... صَوْتُ الْحَدِيدِ يُغَنِّيهِ إذَا قَامَا
إنْ يحْضَروك بذِي قارٍ فَذَاقِنَة ... فَقَد أُعَرِّفُهُ بِيْداً وأعْلاماً

انتهى ملخَّصاً .

وقد تكرر هذا مع ما قبله ، ولكنه لا يخلو من فائدة .

وفي « النقائض[٧] » في شرح قول جرير يخاطب الفرزدق :

مَنَعْنَاكُمْ حتَّى ابْتَنَيْتُمْ بُيُوتكُمْ ... وَأَصْدَرَ راعِيكُمْ بِفلْجٍ وأَوْرَدَا

فَلْج : لِبَلْعَنْبَر ، وهو ما بين الرُّحَيْل إلى طرف الدهنا ، وهو المجازة انتهى .

وفي كتاب نصر[٨] : فَلْجُ ما بين الرُّحَيْلِ إلى الْمَجَازَة ، وهي أَوَّلُ الدَّهْنَا . وكأنه أخذه من « النقائض » .

وفي كتاب نصر أيضاً[٩] : فَلْجُ ــ بسكون اللام ــ وادٍ عظيم بين البصرة وحِمى ضَرِيَّة ، من منازل بني عَدِي بن جُنْدب[١٠] بن العنبر ابن عمرو بن تميم ، من طريق مكة .

ووادٍ يَفْرِقُ بين الحَزْن والصَّمَّان ، يسلك فيه طريق البصرة إلى مكة .

ومثل هذا في كتاب الحازمي[١١] .

وقَدْ تَحَدَثَ صَاحِبَ «المناسك» عن فَلْجٍ ، فَوَصَفَ المياه والمنازل الواقعة فيه ، حين وصف طريق البصرة إلى مكة منذ أوَّلْ مَرَاحِلِ هذا الطريق[١٢] ومن تلك الْمَنَازِل : الحُفَيْرُ والرُّحَيْل والشَّجِيُّ والخَرْجَاءُ والحَفَرُ (حَفَرُ أبي موسى) ومَاوِيَّةُ والعُشَرُ .

ولكنَّه لم يذكر المجازة الواقعة غرب العُشَرَ لأن طريق حجاج البصرة يعدل عنها يميناً .

وقَد تَقَدَّمَ ذِكْرُ تِلْكَ الْمَنَازِلِ فِي مَوَاضِعِهَا سِوَى مَاوِيَّةَ وَالْمَجَازَة فَسَيَأْتِي ذِكْرُهُمَا .

وجاء في كتاب «بلاد العرب»[١٣] : أمَّا منازل بني عَدِيٍّ ابن جندب فَبَطْنُ فَلْجٍ من طَرِيْقِ مَكَّةَ ، ومُلكهم من طريق ما بين ذات العُشَرَ إلى الرُّقَيْعِي .

وفيه أيضاً[١٥] : قال بعض الرجَّاز :

إنَّ بني الْعَنْبَرِ أَحْمَوْا فَلْجَا ماءً رُواءً وطَرِيقاً نَهْجا

وقال عبد الرحمن بن قشير :

أَقَمْنَا بِفَلْجٍ واللِّهَابَة لِلْعِدَا بِضَرْبٍ كَإِحْرَاقِ الْيَرَاعِ الْمُسَنَّدِ

وقال عمْرو بن لَجَا[١٦] :

فَقَبْلَكَ ما أَحْمَتْ عَدِيٌّ دِيَارِهَا وأَصْدَرَ رَاعِيْهَا بِفَلْجٍ وأَوْرَدَا

وقال الازهريُّ في «التهذيب»[١٧] : فَلْجُ : اسم بلدٍ ، قلت : ومنه قيل لطريق يأْخذ من البَصْرة إلى اليمامة طريق بطن فلج ، قال الشاعِرُ :

وإنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كلُّ الْقَوْمِ يا أُمَّ خَالِدِ

وتقدم هذا فيما أورده ياقوت عنه .

وقد وقع بين بعض المتقدمين خلط بين فَلْج — بإسكان اللام — والفَلَجُ — بتحريكها — ومن ذلك ما جاء في كتاب «الروض المعطار»[١٨] .

من قوله : فَلْج حِصْنٌ بينه وبين هجر ستة أيام ، وبين هذا الحصن وبين مكة تسعة

أيام ، وقال قتادة ، إن أصحاب الرس الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه كانوا أهل فلج ، وقال الشاعر :

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم   هم القوم كل القوم يا أم خالد

هذا نص كلامه فهو في أَوّلِ الكلام نَقَلَ أنَّ أَصْحَابَ الرَّس[١٩] المذكورين في القرآن الكريم هم أهل فَلْج وهذا ينطبق على فَلَج الأفْلَاج بفتح اللام وهذا كما هو معروف في جنوب نجد .

وفي آخر الكلام أوْرَدَ بيت الشاعر الذي ينطبقُ على فلْج بإسكان اللام وهو الوادي العظيم الواقع في شرق الجزيرة المعروف باسم (الباطن) .

وقد ورد اسم فَلْجٍ كثيراً في الشعر فمن ذلك قول لَبِيد[٢٠] :

وَوَلَّى عامداً لطيات فلج   يراوح بين صَوْنٍ وابتذال

يعني يبتذل عدوه مرة ، ويصون أخرى ، أي يَكُفُّ بعد اجتهاد .

وقال قيس بن عاصم المنقري — في يوم جدود — من قصيدة[٢١] :

أتاني وَعيدُ الْحَوْفَزَان ودُونَهُ   من الأرض صَحْرَاوَاتُ فَلْجٍ وَقُورُها

أَقِمْ بسَبيلِ الْحَيِّ إنكنت صادقاً   إذا حَشَدَتْ سَعْدٌ وثَابَ نَفِيْرُها

وقال جرير[٢٢] :

قَدْ غَلَّ في الغُلِّ بِسْطَاماً فوارسُنَا   واستودعوا نعمةً في رهط حجَّار

هذا يوم صحراء فلج ، وقد مَرَّ في « النقائض » وحجَّار بن أبجر العجلي أُسِرَ يوم ذي طُلوح ...

وقال[٢٣] :

منعناكُم حتى ابتنيتم بيوتكم   وأصْدَرَ راعيكم بفَلْجٍ وأوْرَدَا

وقال[٢٤] :

ستُخْبَرُ يا ابنَ القَيْن أنَّ رماحَنَا   أباحت لنا ما بين فلج وعاسِمِ

وقال الفرزدق[٢٥] :

وقبلك ما أحمت عَدِيٌّ دِيَارَها ... وأصدر راعيهم بفلج وأوردا[٢٦]
هُمُ منعوا يوم الصُّلَيعاء سِرْبَهُمْ ... بطعن ترى فيه النوافذ عُنَّدَا
وهم منعوا منكم إرابَ ظُلامة ... فلم تبسطوا فيها لساناً ولا يَدَا

وقال أيضاً[٢٧] :

وَيْلٌ لفلج والمِلَاح وأهلها ... إذا جابَ دينارٌ صفَاهَا وفرقَدُ

وقال : ــ يهجو بني العنبر ــ :

أَلَسْتُمْ بأصحابي وكان ابنُ عامرٍ ... ضللتم به فَلْجَ المياه العيالم

وقال أيضاً : [٢٨]

إذا مَنْكِبٌ من بَطْنِ فَلْجٍ حبَالَهَا ... طوَتْ غَوْلَهُ عنها وأسْرَعَتِ النَّقْلَا

وقال أيضاً[٢٩] :

لفَلْجٌ وصحراواه لَوْسِرْتُ فيهِمَا ... أحبُّ إلينا من دُجَيْلٍ وأفضل

وذكر صاحب « الأغاني »[٣٠] في ترجمة معن بن أوس المُزَني ــ أنه لما قدم البصرة وقف عليه الفرزدق فقال يا معن من الذي يقول :

لعمرك ما مزينة رهط معن ... بأخفافٍ يطأْنَ ولا سَنَام

فقال معن : أتعرف يا فرزدق الذي يقول :ــ

لعمرك ما تميم أهل فَلْج ... بأرداف الملوك ولا كِرام

فقال الفرزدق : حسبك إنَّما جَرَّبتك قال : قد جربت وأنت أعلم . فانصرف وتركه .

وفي « التهذيب »[٣١] :

وَقَرَّطُوا الْخَيْلَ من فَلَج أَعِنَّتَهَا مُسْتَمْسِكٌ بهواديها ومصروع

وفيه أيضاً(٣٢) :

رَكِبْنَ مِنْ فَلْجٍ طَرِيقاً ذا قَحَمْ
ضَاحِي الأَخَادِيدِ إذا اللَّيْلُ ادْلَهَمّْ

أراد بالأخاديد شرك الطريق .

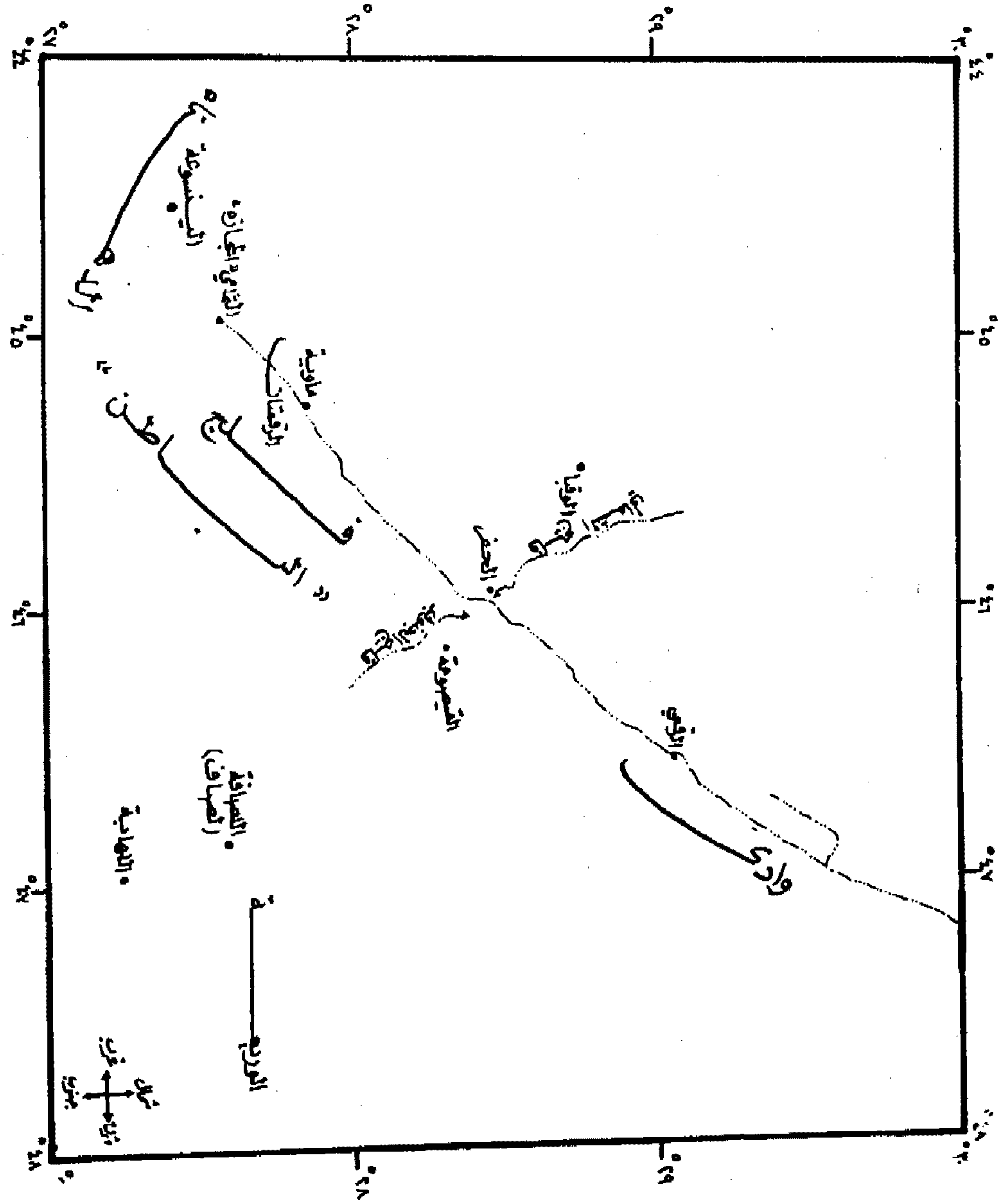
ونكتفي بهذا القدر من الشِّعْر .

لقد تَعَدَّدَتْ عبارات المتقدمين ، واختلفت في تحديد موقع فَلْجٍ ، ولكنَّها كلها تنطبق على موضع واحِدٍ وان اختلفتْ تلك العبارات فهو وادٍ طويل ، ممتدٌّ من الدهناء غرباً حتى قرب الْخَلِيْج ، يَمُرُّ به عِدَّةُ طرق وفيه مياه كثيرة ومواضعه متعددة .

وقد تقدم الحديث عنه في رَسْم (الباطن) وأُجْمِل ما تَقَدَمَ بِأنَّ ذَلِكَ الوادي يظهر أنَّه امتداد لوادي الرُّمَةِ الذي تنحدر فروعه مِنْ حَرَّةِ خَيْبَر ، وحَرَّةِ فَدَكَ في الحِجَاز ، ومِنْ فُروعٍ أخرى في عالية نجد وشمالها ، ثم يسير الوادي مارًّا بالقصيم حتى تَحُوْل الرمالُ دون استمراره ، فيقفُ شرْقَ مدينة بُرَيْدَة ويظهر أنَّ رمالَ الدهناء حَجَزَتْهُ عن الاستمرار إلى منتهاه إذْ لا يزال أثر المَجْرَى بارِزاً في جهات من وَسَط الدهناء حيث وادي الأَجْرَدِيِّ الذي لا شكَّ أنَّه امتداد لوادي الرُّمَةِ .

أمَّا شرق الدهناء فيتضح مجرى وادي فَلْج من فوق منهل الثُمَامي المعروف قديماً باسم (المجازة) ثم ينحدر بعمق ماراً بأم العشر ، وبمواضع أُخرى أشهرها الحَفَرُ (حفر أبي موسى) الذي أصبح الآن مدينة ثم يستمر مشرقاً بميلٍ نحو الشمال إلى قرب الخليج حيث يختفي في السهول الواقعة على مقربة منه .

(يقع فلج بين خطي الطول ٥٥َ ـــ ٤٦ْ و٣٠َ ـــ ٤٧ْ وبين خطي العرض ٣٠َ ـــ ٢٧ْ و٣٠َ ـــ ٣٠ْ) .



فُلَيْجٌ[٣٣] :

قال في «معجم البلدان» : تصغير فلج أو فَلَج ، موضع قريب من الأحفار لبني مازن ، وقال نصر : فُلَيج واد يَصُب في فَلَجٍ ، بين البصرة وضَرِيَّة ، وغِيْرَانُ فلَيج : من العيون التي يجتمع فيها فيوض أودية المدينة وهي العقيق وقناة ، وبطحان . قال هلالُ بن الأشعر المازنيُّ :

أَقُولُ وَقَدْ جَاوزْتُ نعمى[٣٤] ونَاقَتِي تَحِنُّ إلى جَنْبِي فُلَيْجٍ مَعَ الفجرِ:
سَقَى اللهُ يَانَاقُ الْبِلَادِ الَّتِي بِهَا هَوَاكِ وإن عَنَّا نَأَتْ سُبُلُ الْقُطْرِ

وقال مسعر بن ناشِبٍ المازنيُّ من مازن بن عمرو بن تميم :

تَغَيَّرت الْمَعَارِفُ من فُلَيجٍ إلى وَقْبَاهُ بَعْدَ بَنِي عِيَاضَ
هُمُ جَبَلٌ تُلِيذُ بِهِ الأعَادِي وَنَابٌ لَا تُفَلُّ مِنَ الْعِضَاضِ
كَأَنَّ الدَّهْرَ مِنْ أَسَفٍ ، سَلِيمٌ أَصَمُّ حِيْن يَسُوْرُ ، وَهُو قَاضِي

وفي «معجم ما استعجم» : فُلَيج — تصغير فَلْجٍ — موضع دانٍ من فلج الساكن الثاني —

قال أبو النجم :

واصفَرَّ مِنْ تَلْعِ فُلَيْجٍ نَفَلُهْ وانْحَتَّ من حِرْشَاءِ فَلْجٍ خَرْدَلُهْ

وقال جرير[٣٥] :

وَوَدَّعْنا الْحَفَائِرَ من فُلَيْجٍ وحيًّا يَسْكنونَ رَحَا الثِّمَادِ

وذكره غير جرير من الشعراء كلبيدٍ وأبي دُواد وغيرهما .

وعَدَّ صاحب كتاب «بلاد العرب» فليجاً من منازل بني تميم[٣٦]

وذكر نصر[٣٧] : أن ذاتَ رجل من أرض بكر بن وائل من أسافل الحزن وأعالي فليج .

ومن أغرب ما ورد عن نصر في تحديد فُلَيج قوله[٣٨] : فُلَيج واد يصبُّ في فَلْج بين البصرة وضَرِيَّة . انتهى .

وما أبعد المسافة بين الموضعين !!

إن اسم فُلَيج يطلق على واديين من روافد وادي فَلْجٍ (الباطن) أحدهما يقع شمال الوادي ، فيدعى فُلَيْجاً الشمالي والثاني يقع جنوب الوادي فيُدْعى فُلَيجاً الجنوبيَّ .

وقد تحدثتُ عن الموضعين في كلامي على المواضع الواردة في شعر لَبِيْد في مجلة «العرب»[٣٩] بما خلاصته : فُلَيج — تصغير فَلْج — وادٍ من روافد فَلجٍ ، بل هما فليجان اثنان :

١ — فُلَيجٌ الشمالي : وتبتدىء فروعه من شرق الوَقبا من قرب مناهل سماح والفقيعة والدليمة والجليدة ، مخترقاً الدبدبة الشمالية ، متجهاً صوب الجنوب الغربي حتى يصبّ في الباطن (فلج) شرق منهل الحفر ، بمسافة قصيرة .

(يقع فليج هذا بين درجتي العرض ٢٩ — ٢٨ْ و٠٠ — ٢٩ْ وبين درجتي الطول ٣٠ — ٤٥ْ و٠٠ — ٤٦ْ) .

٢ — فُلَيج الجنوبي : وفروعه تمتدُّ من أسفل الصمَّان في الشمال الشرقي من اللصافة (لَصَافِ قديماً) بمسافة تبعد عنها نحو ٦٠ كيلاً ، ويتجه صوب الشمال الشرقي ، ماراً بروضة القيصومة حتى يلتقي بوادي فَلْجٍ (الباطن) غرب منهل الحفر في محلٍّ يدعى (أبو قصر) .

(يقع فليج هذا بين خطي الطول ٠٠ — ٤٦ْ و٢٠ — ٤٦ْ وخطي العرض ٠٠ — ٢٨ْ و٢٢ — ٢٨ْ تقريباً) .

ويبقى القول في أيٍّ الفليجين أراد لبيد ؟! لقد ذكر فليْجاً في معرض نعيه النعمان الذي ذكر أن له الملك في معد

فيوماً عناةٌ بالحديد يفكُّهُم وَيَوْماً جِيَادٌ مُلْجَمَاتٌ قَوَافِلُ

بـذي حُسُـمٍ قـدْ عُرِّيَتْ ويزينها   دمـاثُ فُلَيـجٍ رَهْوُهَا والْمحَافل

وفي شعر أبي دُواد :

وتـدلَّتْ على مـنـاهـل بُـرْد   وفُـلَـيْـجٌ من دُوْنِـهـا وسَـنَـامُ

وذكر ياقوت بعد إيراده : فُلَيّج وادٍ يصب في فَلْج بين البصرة وضرية ، وعليه يسلك من يريد اليمامة ، وذكر أن الفراض موضع قرب فليج ، وأورد البكري خبر أبي موسى الأشعري : دلُّوني على موضع أقطع به هذه الفلاة . فدلوه على هوبجةٍ تنبت الأرْطَى بين فلج وفُلَيّجٍ ، فَحَفَرَ الحفر . وذكر أن بادُولي في شعر الأَعْشَى ببطن فليج ، وأورد رجزاً لأبي النجم العجليِّ في ذكر نَفَلِ تلاع فُليج .

ومفهوم كل ما تقدم أن المقصود فليجٌ الشماليُّ ، القريب من مُتَبدَّى النعمان ، ومن بلاد بني بكر بن وائل ، والقريب من سَنَام ــ الجبل الذي لا يزال معروفاً ــ يشاهد من بلدة الزبير ــ ويظهر أن فليجاً هذا كان من منازل بني مازن من تميم ــ حيث ذُكر في أشعارهم .

ومعروف أن فليجاً وما حوله كان من منازل بكر بن وائل ، حتى أزاحتهم تميم عن هذه الجهات .

الحواشي :

---

(١) : ٣١٣ .
(٢) هي ذات العشر والعشر.
(٣) أي بسطام بن قيس سيد بكر بن وائل .
(٤) الحلة : موضعان حلة النباج وحلة السر ويعرفان الآن باسم (صفراء الأسياح) وصفراء السر ــ (أنظر رسم الصفراء) من كتاب «بلاد القصيم» .
(٥) : ٧٥ .
(٦) هذا الوادي بل هما واديان من أشهر روافد فلج فلهذا يحسن ذكرهما هنا .
(٧) لعله (نقمى) وهو واد بقرب المدينة شرقي أحد لا يزال معروفاً ولم يذكر ياقوت نعمى مقصوراً والبيتان من قصيدة أوردها صاحب «الأغاني» : ٦٤/٣ في ترجمة هلال .
(٨) ديوانه : ٦٩٠ .
(٩) ٢٧٦ .

(١٠) وفي الهامش جندب وهو الصواب .

(١١) : ١٥٢ .

(١٢) من ص ٥٧٦ إلى ٥٨٢ .

(١٣) ص ٢٤٦ .

(١٤) ابن العنبر بن عمرو بن تميم .

(١٥) ص ٢٤٨ .

(١٦) هو من بني تَيْم إخوة عدي ، كان يهاجي جريراً .

(١٧) : ١١/٨٨ .

(١٨) : ص ٤٤١ .

(١٩) أنظر عن أصحاب الرس مجلة «العرب» السنة الخامسة ص١ وما بعدها .

(٢٠) : «تاج العروس» رسم (روح) .

(٢١) الأنوار — للشمشاطي الورقة ٢١ .

(٢٢) ديوانه : ٢٢٦ .

(٢٣) : ٨٥٢ .

(٢٤) : ١٠٠٥ .

(٢٥) : ٢١٥ .

(٢٦) تقدم هذا البيت منسوباً لعمر بن لجا .

(٢٧) ١٩٢ — دينار وفرقد من بني ضبة أرسلها السلطان بحفران بفلج مياهه .

(٢٨) : ٦٨٥ — المنكب الجانب — حبا : ارتفع . النقل والنقلان : السير السريع .

(٢٩) : ٦٢٦ .

(٣٠) ١٢ — ٥٨ (ط دار الكتب) .

(٣١) : المستدرك ١٢١ وهو من شعر عمرو بن أحمر .

(٣٢) رسم (خدد) .

حول كتاب :

معجم قبائل المملكة العربية السعودية

لا نزال نتمتع بين الحين والآخر بنتاجكم الثمين ، وآخره «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» الذي صدر في جزءين ، ومع احترامي لما احتواه الكتاب من معلومات قيمة — إلا أن مما لاحظته فيه في الجزء الأول ص ٨٩ فيما يتعلق بآل : جُحَيْش من الأسلم من شَمَّر وهذا لا اعتراض عليه ، انما الاعتراض على ما جاء «عن بلادهم» بمنطقة حائل . أرَاط «راط» :

فوادي أرَاط (راط) المذكور هذا الوادي الذي يقع شمال بلدة الرَّوْضَة بحوالي خمسة أكيال وينحدر هذا الوادي من منابعه — بقرب سمراء عَثْواء متجهاً إلى الشرق فيمر بالحامِرِيَّة من شماله ويمر مع ريع «المُنْصَلِّ» ما بين جبل العُقاب عن جنوبه وجبل سَابِلْ عن شماله حتى يفيض بوادي الضُّرْبَةِ عند عُرْف جبيل يسمى (الضُّريْس) ويبلغ طوله حوالي ٣٠ كيلاً والوادي لا يملكه الجحيش بَلْ أهل الروضة منذ ما يقرب من مئة وخمسين سنة وهم الذين أحيوه بالزراعة الموسمية ولهم فيه ما يزيد على أربعة عشر بئراً يزرعون عليها إلى عهد قريب .

وها هو بيان الآبار الموجودة وأصحابها :

١ — بئر محسن الشائع العمير .
٢ — بئر سعد الغنام .
٣ — بئر حمود السليمان .
٤ — بئر رشيد البشير الحمامة .
٥ — بئر محمد العثماني .
٦ — بئر آل محمد العمير .
٧ — بئر عبد الرحمن الزيد السويداء .
٨ — بئر عامر المحمد العامر .

تاريخ الفاخري لا الأخبار النجدية

— ١ —

مما يبعث السرور في النفوس في هذه البلاد إقبالُ قِلَّةٍ من الشباب المثقِّف لدراسة تاريخها ، ونشر ما هو جدير بالنشر منه .

ومن أولئك القلّة الابن الكريم الدكتور عبدالله بن يوسف الشبل ، الأستاذ المشارك في كلية العلوم الاجتماعية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة .

فقد تَصَدَّى لما كتبه الشيخ محمد بن عمر الفاخري (١١٨٦/ ١٢٧٧)(١) — عن تاريخ نجد بالدراسة والتحقيق .

---

٩ — بئر سعد العياد الشهيب .
١٠ — بئر موسى الزيد السويداء .
١١ — بئر عيسى السالم السويداء .
١٢ — بئر عبدالله السويلم .
١٣ — بئر فريح الحامد الحمامة .
١٤ — بئر سالم السلمان .
١٥ — بئر بكر الحمد البكر .

وقد طلب عدة أفراد منهم أناس من آل جُحيش وبذلوا محاولات لأخذ هذا الوادي ، كان آخرها عام ١٣٨٧ هـ إلا أنَّ أهل الروضة بحكم تملكهم له منذ زمن بعيد بالآبار التي حفروها فيه وزرعوها سنين طويلة في موسمي الصيف والشتاء وفي زمن قريب قد ثبت تملكهم له بِصَكٍّ شرعيٍّ من المحكمة الشرعية الكبرى في حائل — وعلى هذا فليس لآل جُحيش أي ملك فيه .

ولأن هذا الكتاب قد تعاد طباعته مرة ثانية أرجو أن تعتبروا هذا من التصويبات التي تتضمنها الطبعة الجديدة .

عبد الرحمن بن زيد السويداء

---

(١) أنظر مجلة «العرب» س ٥ ص ٧٩٧ .

واتخذه موضوعاً لنيل درجة (الدكتوراه) وقامت (لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر) في تلك الجامعة بنشر الدراسة والتحقيق. بكتاب هو الحلقة العاشرة مما نشرته اللجنة، وصدر في هذا العام — فيما بلغني، إذ لم يذكر فيه تاريخ الطبع — مطبوعاً بمطابع الجامعة المذكورة في نحو مئتي صفحة، بطبعة مقبولة من حيث الورق والإخراج وتلك الصفحات تحوي الدراسة (١/٥٦ صفحة) وتحقيق المخطوطة والتعليق عليها (٥٩/ ١٩٢) ثم المصادر والمراجع (١٩٣/ ١٩٥) ثم الفهرس الموجز لمباحث الدراسة (١٩٦/ ١٩٧) فلم يُوضع فهرس مفَصَّلٌ لكل ما حواه الكتاب.

وعمل الدكتور الشِّبْل يُعْتَبَرُ باكورةً طيبة لثمارٍ يُرْجَى أنْ تكون أنضج وأنفع.

والتعبير عن استحسان أيِّ فِعْلٍ كان لا يَقِف عند مُجَرَّدِ الثناء، إذ الثناء وحده محدود النَّفْع، وأجْدَى منه تَبْصِير العامل بما قد يكون من وسائل استمراره في عمله.

وأنا أرَى أنَّ من محبة الْمَرْءِ لي إرشادي لما أقع فيه من أخْطَاء، إذ هذا هو الذي استفيد به، ومنه انتفع.

ولئن كانَ النَّشْءُ من شبابنا المثقَّف بحاجة إلى من يأخذ بأيديهم لكي يستمروا سائرين نحو غاياتهم، فإنَّ من الأَخْذِ بالْيَدِ الإشارة إلى ما قد يعترض السائر مما قد يَعُوْقُ سَيْرَه.

ولهذا فأنا أقف من عمل الأستاذ الكريم الدكتور الشِّبْل موقفاً قد يكون من قبيل قول الشاعر — من بعض الوجوه:

فَقَسَا لِيَزْدَجِرَا وَمَنْ يَكُ رَاحِماً ... فَلْيَقْسُ أحْيَاناً عَلَى مَنْ يَرْحَمُ

فأنا لن أقْسُو، ولكنني قد لا أَلِيْن في حديثي إلى الابن الكريم الذي (شَبَّ عن الطَّوْق) فأصبح قادراً على تَقَبُّلِ ما يُوَجَّهُ إليه بدافع المحبَّة.

— تاريخ الفاخري لا «الأخبار النجدية»:

لا أدري لم أطلق الأستاذ الدكتور على تاريخ الفاخري اسم «الأخبار النَّجْدية» هذا الاسم الذي اختاره له؟!

ولا أعتقد أن أصول نشر المخطوطات تُبيح للمحقق أو الناشر اختيار الاسم الذي يريده للمخطوط الذي يحققه أو ينشره ، لأن هذا الأمر مما يوقع في الفوضى والارتباك في التعرف على أسماء المؤلفات .

وإضافة التاريخ إلى مؤلفه من أوضح السّمات له ، ولهذا فأنت عندما تذكر تاريخ ابن جرير ، أو تاريخ ابن الأثير أو تاريخ ابن كثير أو تاريخ ابن خلدون تكون أوضحت الكتاب إيضاحاً يغني عن قولك «تاريخ الرسل والملوك» أو «الكامل في التاريخ» أو «البداية والنهاية» أو «العبر وديوان المبتدإ والخبر» وقل مثل هذا عن تاريخ ابن غنام وتاريخ ابن بشر وتاريخ الفاخري .

وأمرٌ آخر ، أشار إليه الدكتور الشِّبل في المقدمة — ص ٤٧ — هي احتواء تاريخ الفاخري على أخبار من خارج الجزيرة ، وعلى هذا فالاسم الذي وضعه للكتاب لا ينطبقُ عليه ، وَهَبْهُ يَنطبِقُ ، إنَّ التَّسمِيَة من حق المؤلف وحده ، ولا يسوغ لغيره أن يتصرف في حقٍّ ليس له .

حول ابن سلُّوم :

— ص ٢٩ — قال عن تاريخ محمد بن علي بن سلوم المتوفي سنة ١٢٤٦ —: (أما كتابه في التاريخ فكل ما نعرفه عنه فهو ممن نقلوا عنه كابن بشر ... ويُعَدُّ من الفريق المعارض لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولعل هذا من بين الأسباب التي أدَّتْ إلى عدم انتشار مؤلفه ، وما يزال الآن في عداد المفقودات) .

وقال في ص ١٦٨ — هامش —: (عند ذكر وفاة ابن سلُّوم : (وله مؤلف في أنساب بني تميم ومناقبهم — مخطوط — ولعله هو الذي رجع إليه ابن بشر ، كما يذكر ذلك — ج١ ص ١٣ —.. المخطوط الأخير في عداد المفقودات) انتهى .

يلاحظ على هذا :

١ — أن الدكتور ذكر في الموضع الأول أن ابن بشر نقل عن كتابه في التاريخ — وقد أشار في ذالك الموضع إلى كتابه عن بني تميم نقلاً عن صاحب «السحب الوابلة» .

٢ — وفي الموضع الثاني قال لعل ابن بشر نقل عن مؤلفه في «أنساب بني تميم ومناقبهم» وذكر أن هذا في عداد المفقودات.

٣ — إذا رجعنا إلى تاريخ ابن بشر نجد ما نصه: (وإني تتبعت من أرخ أيامهم — يعني أهل نجد — فلم أجد ما يشفي الغليل، ولا وجدت تصريحاً لبيان الوقائع ومواضعها يتداوى به العليل، إلا أني وجدت لمحمد بن علي بن سلوم الوهبي إشارات لطيفة، في تتابع السنين، ورسم وقائع بما لا يفيد، ولا تحقيقا للوقائع ومواضعها ينتفع به المستفيد، بلغ في ترسياته إلى قرب موت عبد العزيز بن محمد بن سعود). فكلام ابن بشر واضح في أنه يعني كتابه المتعلق بتاريخ نجد — لا «انساب بني تميم ومناقبهم».

٤ — لقد بقي ما كتبه ابن سلوم في التاريخ حتى اطلع عليه الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى فقد رأيت أوراقاً تحوي تسجيل بعض حوادث تاريخية، عن نجد جاء في آخرها ما نصه: هذا آخر ما وجدت. نقلته وأنا الفقير إلى الله عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حنطي عن خط المصنف الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ... حرر في ٧ش سنة ١٣٤٧

وآخر الحوادث فيها: (وفي سنة ١٣٠٩ خرج عبد الرحمن بن فيصل في لفيف معه ومعه أيضاً إبراهيم آل مهنا راعي بريدة قاصداً محاربة الأمير محمد آل عبدالله بن رشيد وأغار عليهم ابن رشيد، وأكان عليهم وهم على جوّ حُرَيْملا وصارت الهزيمة عليهم، وقتل منهم عدة رجال منهم إبراهيم بن مهنا) ثم ذكر ذهاب الإمام عبد الرحمن إلى الكويت وخروجه منه مع العجمان، ومصيره إلى الأحساء عند الباشا.

وأول هذه الأوراق: (هذا تاريخ مجموع من نوازع وليس على الولاء: وفي سنة خمسين وثمان مئة اشترى حسن بن طوق جد آل مُعَمَّر العيينية) الخ واستمرَّ سرد الحوادث، ويظهر أن ناسخ تلك الأوراق نسخ عن أصل غير مُرَتَّبِ الورق، فبعد أن ذكر في آخر الصفحة الثانية (وفي سنة ١٢٣١) جاء في الورقة التي بعدها بذكر حوادث سنة ١١٣٥ — لا صلة لها بما قبلها.

ووقع بين سعد ابن زيد والحاج قتال في الحرم وفي السنة الثانية "
تولى سعد ابن زيد مكة قهرا على الروم وتولى السلطان مصطفى وقتل ابراهيم
بن وطبان ومحمد بن مقرن ومات ابراهيم راعي القصب ثم سنة سبع
ظهر سعد بن زيد على نجد ظهرته الاولى وقتله درعس وشاخ سلطان كذا
في الدرعية وسنة ثمان هلك راعي الحويزه البصره وولي عبد العزيز كذا
نجد ورحا بن صويط ثم سنة ١١٠٩ ظهر سعد ابن زيد ونزل الروضه وربط
ماضي وربط عبد العزيز الغزي وفي سنة ١١١١ ربط سعد بن زيد الشيوخ
عنزه في مكة نحو مائة شيخ وفي سنة اثني عشر سطوة البوا اهلال
وجرادان واجتماع الروضه وسطوة راعي القصب على الحريق وحرابة اشيقر
عند الحما واخذت حاج الشام واخذت عبد العزيز واخذوه بنو حسين
ثم سنة ١١١٣ اخذ ابن صويط سعدون وصفق على السليع وبنية الروم كذا
والنجر علي في العراق وفي سنة ١١١٤ نبنة البسام في اشيقر هلكوه كله كذا
وفي سنة ١١١٥ سطى الخرفان في اشيقر وهلكوا احقهم وهي سنة سمدان
واجتمعت عنيزه لآل جناح ثم سنة ١١١٦ وفيها طرد سعيد بن زيد
من مكة هو وابوه واخذ عبد الله بن معمر زوج القرينيه وقتل ابن
معمر وتحاربوا هو واهل العارض وقتل ريمان وشاخوا آل ناصر قر
في ثرملا وابن رخيص في مرات ثم سنة ١١١٧ احرابة اهل سدير ثم سنة ١١١٨
تولى السلطان احمد بن محمد وفيها سطوة ام حمار انتهى
تاريخ لابن سلوم قال بعد كلام سبق ثم دخلت سنة ١١٩٣
وفيها قتلة اهل ضرمى وهي سنة شيته وقتلة عثمان ابن معمر وفي سنة ١١٩٤
نهبوا الظفير عبيه وفي هذه السنة ١١٩٥ فتحت حريملا يوم الجمعة لسبع خلت من جماد الآخر
وفي آخرها قتلة اهل ثرمدا عند قصر العقيلي وبنية الدار في حريملا
وفي سنة ١١٩٩ رجعان مطرب ومشى اهل سدير على الوشم الذي ذبح فيها قر

(ذكر تاريخ ابن سلوم)

وفي الصفحة الرابعة بعد ذكر الحوادث تتعلق بسنة ١١٧٩ ورد ما نَصُّه : (بسم الله الرحمن الرحيم منقول من كتب أحمد المنقور ويذكر أوله لأحمد بن بَسَّام : طلعة الشريف سنة ١٠١١ ، وقتلة محسن لأهل القصب سنة ١٠٠٥ ، ونزل ابن بسام العُيَيْنَة من مَلْهَم .

وفي سنة ١٠٢٠ مات موسى بن عامر قاضي الدرعية) واستمر — صفحتين — إلى (ثم نيَّة ١١١٧ حرابة أهل سُدير ، ثم سنة ١١٨ تولى السلطان أحمد بن محمد ، وفيها سطوة أم حمار . انتهى .

تاريخ لابن سلوم . قال بعد كلام سبق : ثم دخلت سنة ١١٦٣ — وفيها قتلة أهل ضرما ، وهي سنة شيتة ، وقتلة عثمان بن معمر .

وفي سنة ١١٦٤ — نَهَبُوا آل ظفير رغبة وفي سنة ١١٦٨ — فتحتْ حريملاء يوم الجمعة لسبع خلت من جمادى الآخر ، وفي آخرها قتلة أهل ثرمدا عند قصر العقيلي (؟) ونيّة الدار في حريملاء .

وفي سنة ١١٦٩ — رجعان مطرب ، ومَمْشَى أهل سدير على أهل الوشم الذي ذبح فيها (؟) سويد والمعيي ومن معهم . وجاء المسلمون سدير ، وراحوا بابن غنَّام وابن عضيب والمنقور وفيها قطع نخل ثادق ، وفي آخرها قتلة آل سلطان .

وفي سنة ١١٧٠ — قَضٌ المسلمون الحوطة وفي سنة ١١٧١ — مَمْشَى مُبَيْرِيك على حريملا ، ومَمْشَى عُرَيعر على الجبيلة .

وفي سنة ١١٧٤ — أخذة ابن فيَّاض في العتك .

وفي سنة ١١٧٦ — جاء فيها الدَّبَا . وقطع المسلمون نخل جلاجل ، وربطوا غزو اليمن ، وأخذوا المديهيم ، وطاح ابن دوَّاس بألفي زِرّ ، وتبعوا أهل سدير .

وفي سنة ١١٧٨ — وقعة أحزاب نَجْرَان ، ومَمْشَى بني خالد على الدرعية ، وأحزابهم الله ، وله الحمد والمنة ، وشدُّوا النصف من ذي القعدة . انتهى كلامه) .

سعيد والعيبي ومن معهم وجاء المسلمون سدير وراحوا بابن غنام
وابن عضيب والمنقور وفيها قطع نخل ثادق وفي آخرها قتلة آل
سلطان وفي سنة ١١٧٠ قبض المسلمون الحوطة وفي ١١٧١ مشا ابن مبيريك على
حريملا ومشا عريعر على الجبيلة وفي سنة ١١٧٤ اخذت بن فياض في العتك
وفي ١١٧٦ جا فيها الدبا وقطع المسلمون نخل جلاجل ودبلوا عنهم الى اليمن
واخذوا المديهم وطاح ابن دواس بالغيرة وتبعه اهل سدير وفي سنة ١١٧٨
وقعة احزاب نجران ومشى بني خالد على الدرعية واخزاهم الله وله
الحمد والمنة وشردوا النصف من ذلك القصاه انتهى كلامه
وفي سنة ١١٧٩ اجتمعت البوادي وجاء البرد الذي لم يعهد مثله
على الغلاة وعقيا ض اليمن ومات ابن مسعود في آخر صفر وفي سنة ١١٨٠
كذا الجهاد بقية ليلتين او ثلاث وقتل عيبان وبنيه وفي رمضان سنة ١٣
غزوة اهل الاليه وما وقع فيها من الآيات وفي اول ٨٤ الجهاد في اليوم العاشر
وفي آخر سنة ٨٥ وقعة آل علي وعيال ابن دواس وفيها في العشر الأواخر من شعبان
مناظرة اهل مكة وفي ربيع الآخر ١١٨٩ احزاب نجران على ضرما واخزاهم الله وله الحمد
وفي سنة ٩٣ بقايا المحرم عشرة ايام بوقة اهل حرمة في المجمعة هم وابن حميد
واهل الزلفي وفيها اخذت حرمة وعزل بن عثمان وسويد ووقع في سنة ١١٩٦
من الحوادث امر بريك ووردة القصيم واجتماع البدو على بريدة والحضر
حاصرينها ثلاثة اشهر ووقع فيها من الآيات ما لا يحصى وثوروا عنها النصف
من رمضان ثم وقعت اخذة الروضة بعدها ثاني عشر من ذي الحجة في هذه السنة
ووقع آيات كثيرة غير ما ذكرنا وفي سنة ٩٧ طاح اهل القصيم بغالب الحلقة
ودراهم كثير بعد ما اوقع الله فيهم من الآيات الكثيرة منها القحط وصل العيش
مد وكذلك الرعي وطاح البوادي بجيل وغيرها وفي العشر الأواخر من ربيع
الثاني ذبحة اهل الدلم نحو مائة رجل سنة ثمان وتسعين وفي آخر عاشورا
تمام المائة الثانية عشر وقعة الدلم وطيحة اهل الخرج والحريق والحوطة والزلفي
وسا

بلغ مقابلة

(من تاريخ ابن سلوم)

كذا ويظهر أن المقصود ابن سلوم وبعد هذا ما نصه : (وفي سنة ١١٧٩ — اجتمعت البوادي وجاء البرد الذي لم يعهد مثله على الفلاة ، ومقياض اليمن ، ومات ابن سعود) ثم استمر في سرد الحوادث .

فابن سلوم — على ما تقدم وقف كلامه قبل وفاة الإمام محمد بن سعود — رحمه الله تعالى بسنة ، لأنه توفي سنة ١١٧٩ هـ ولكن عبارة ابن بشر عن تاريخ ابن سلوم نصها — كما في تاريخه المطبوع : (بلغ في ترسياته إلى قرب موت عبد العزيز بن محمد بن سعود) .

وأرى أن اسم (عبد العزيز) مُقْحَم في عبارة ابن بشر ، لأنه لم (يَمُتْ) ولكنه قُتِلَ سنة ١٢٠٧ وأنَّ ابن سلوم وقف بكلامه قبل موت محمد بن سعود ، كما يفهم مما تقدَّم نَقْلُه .

ويفهم من قول ابن عيسى في أول كلامه عن ابن سلوم : (تاريخ ابن سلوم قال بعد كلام سبق) أنَّ ما نقله في هذه الأوراق — من أولها إلى قوله : (بسم الله الرحمن الرحيم : منقول من كتب أحمد المنقور) هو الكلام الذي وصفه بأنه سبق ، من تاريخ ابن سلُّوم ، وعنه نقل الفاخريُّ ومن أتى بعده ، وإلى هذا أشار الدكتور الشِّبْلُ بقوله في المقدمة — ٥١ عن الفاخري —: (ولما كان تاريخه يبدأ بعام ٨٥٠ هـ فإنه يغلب على الظن أنه نقل ما في هذه السنة من أخبار عن محمد بن سلُّوم ، ولعل مما يُسْتأْنس به لصحة هذا الاستنتاج أنَّ ابنَ بِشْر — وهو ينقل عن الفاخري — ذيَّل على هذه الأخبار بقوله : وقد رأيت نقلاً عن كلام محمد بن سلُّوم أن قبيلة الْمُردة من بني حنيفة من قبائل بكر بن وائل ، وأنه ذكر أنه نقله من كلام راشد بن خُنَين قاضي الخرج) .

وأخلص مما تقدم إلى أنَّ ما كتبه ابن سلوم عن تاريخ نَجْدٍ ، وصل إلى الشيخ إبراهيم بن عيسى ، الذي بقيت أوراقه لدى آل بسَّام حتى اطلع عليها واستفاد منها الأستاذ الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسَّام ، في كتابه «علماء نجد» وقد يكون من بين تلك الأوراق ما كتبه ابن سلوم — وهو وان كان على ما وصف ابن بشر من التفاهة ، إلَّا أنه مصدر للفاخري ولابن بشر في (سوابقه) ولغيرهما .

— ص ٢٩ — تحدث الدكتور الشِّبْلُ عن «تاريخ محمد بن محمد بن لعبون» بحديث هو خلاصة ما نشر في مجلة «العرب» س ٥ ص ٧٩٤ — باعتبار أنَّ ما ألفه ابن لعبون كتاب واحد، يحوي بعض الحوادث التاريخية، ويتضمن معلومات عن أنساب بعض القبائل والأُسَرِ الشهيرة، وذكر أن الجزء المخطوط منه هو أحد مصادر التحقيق، وليته وصف هذا الجزء المخطوط !

وَلَيْتَهُ أيضاً نسبَ الكلام الذي يَتَعَلَّقُ بِابْنِ لَعْبُون إلى مصدره ليسلم من تبعيته، إذْ فيه خَلْطٌ أنا أوَّلُ من وقع فيه، فابن لعبون أَلَّفَ كتابَيْن اثْنين لا كتاباً واحداً، أحدهما في التاريخ. عنوان إحدى مخطوطاته: «تاريخ النسابة حمد بن محمد بن لعبون المدلجي الوائلي».

وقال في أوله بعد البسملة (الحمد لله الذي خلق الإنسان من صلصال كالفخَّار، وخلق الجانَّ من مارج من نار، ثم خلقنا من ذكر وأنثى، وجعلنا شعوباً وقبائل لنتعارف على مرور الدهور والأعصار) إلى أن قال: (وبعد فقد سألني مَنْ طاعته عليَّ واجبة، وصِلاَتُهُ إليَّ واصِلةٌ واصِبَةٌ، أن أجمع له نبذة من التاريخ، تطلعه على ما حدث بعد الألف من الهجرة، من الولايات والوقائع المشهورة من الحروب، والملاحم والجدوب، وملوك الأوطان، ووفيات الأعيان، وغير ذالك مما حدث في هذه الأزمان، خصوصاً في الدولة السعودية الحنفيَّة فأجبته إلى ذالك، ورأيت أن أُكْمِل له الفائدة، ولغيره من بعده، بمقدمة تكون كالأساس للبنيان، ملخصة من لَدُنْ آدم إبي البشر، إلى أثناء القرن الثالث عشر من الهجرة النبوية، وأودعه من شوارد الفوائد، وفرائد القلائد، ما لا يحتوي عليه تاريخ واحد، ولا يكاد يَجِدُهُ المُجِدُّ المجاهِد، إلا من تواريخ عدايد(؟) وراعيت فيه الإيجاز والاختصار، وعدم الحشو الذي يضيِّع الأفكار، فخِيَارُ الكلام ما قَلَّ ودَلّ، ولم يَطُلْ فَيُمَلّ.

وما رأيتَ في هذه النبذة فإني لم أذكره إلا بعد تحرِّيه وتَحَقُّقِهِ من السير والتواريخ، من كتب عديدة في هذا الشان) ثم سرد أسماء خمسة وثلاثين كتاباً من كتب المتقدمين

أكثرها معروف، ومنها «شرح ديوان ابن مقرب».

وقال بعد ذالك: (ثم بعد من ذكرنا إشارات علماء نجد مثل أحمد بن محمد بن بسام، وأحمد بن محمد المنقور، ومحمد بن ربيعة العوسجي؛ ثم ما حضرنا ورأينا وسمعنا ورَوَيْنا من ثقات عصرنا، هذا يكون معلوماً عند مَنْ نظر إليه أنني لم أذْكُرْ شيئاً ليس لي فيه مُسْتَند، والعهدة على من ذكرتُ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

فأقول وبالله التوفيق: قال أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي: قال علماء التواريخ: عاش آدم ألف سنة وولدت له حوا أربعين بطناً) الخ.

وهذا الكتاب منه مخطوطات إحداها في مكتبة الشيخ عبدالله بن عبد العزيز العنقري — رحمه الله — بخط المصنف — على ما حدثني الشيخ نفسه. وعنها نقل الشيخ عبد الرحمن بن سليمان بن حمدان — رحمه الله — نسخة آلتْ إلى مكتبة (جامعة الإمام محمد بن سعود) وهي مسجلة في سجل مخطوطاتها برقم ٢٢٥١.

وهي — كأَصْلِها — مبْتورةُ الآخر، على ما يُفهم من آخرها.

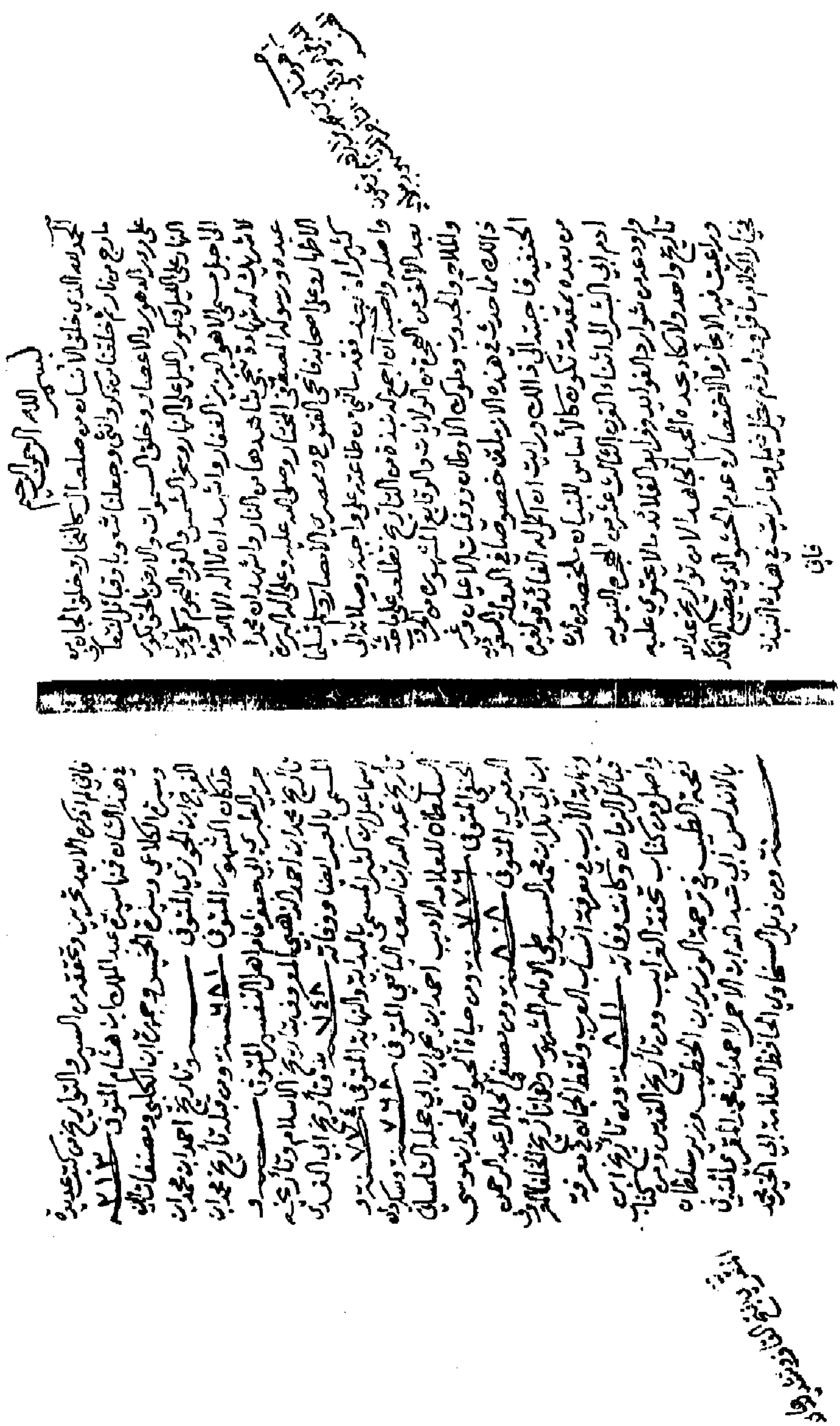
(أنظر الصورة ظهر هذه الورقة).

والكتاب الثاني — الذي ألفه — قد خصصه للأنساب، كما أوضح ذالك في مقدمته، وهذا هو الذي طبع بمطبعة أم القرى، في مكة المكرمة سنة ١٣٥٧ — ناقصاً

وها هو نَصٌّ ما جاء في مقدمته بعد البسملة:

(الحمدلله رب العالمين، وصل اللهم على سيدنا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد سألني من إجابته علي واجبة، ومنته وصلته إليَّ واصلة واصبة، ابنُ العم الشفيق، الذي بمنزلة الأخ الشقيق، المؤيد من الله باللطف والعون، الشيخ ضاحي بن محمد بن إبراهيم بن عون، أن أثبت له نسب قبيلته المسمين بآل مُدلج، طلباً منه لحفظ الأنساب، وللمواصلة التي توجب الثواب، فأجبته إلى ذلك، وكتبتُ برسمه ما



بلغني ، وتليقته من أشياخ القبيلة ، مثل عبدالله بن أحمد بن فواز ، وحمد بن عبدالله بن مانع وغيرهما ، وما رأيته في الوثائق بخط العلماء .

وأحببت أن أذكر قبل ذلك مقدمة تكون كالأساسِ في البنيان ، ينتفع بها المنتهي فضلاً عن المبتدي في هذا الشأن ، وأذكر فصولاً تتعلق بالمقصود من الأنساب ، وتطلع ما غاب عن أكثر الطلاب ، على سبيل التلخيص والاختصار ، حاذفاً ذِكْرَ القائل والناقل في جميع الأخبار ، إلا النزر القليل ، استغناء عن التطويل ، ملتقطاً له من كتب عديدة في هذا الشأن ، معتمدة عند أهل الأذهان .

فأقول وأنا الفقير إلى الله الغني حمد بن محمد بن ناصر بن عثمان بن ناصر بن حمد بن إبراهيم بن حسين بن مدلج الوائلي الحنبلي . أما المقدمة فاعلم علمك الله البيان ، وأصلح لك الشأن ، وصانك عن كل ما عاب وشان ، وأثبتَ لأصلِك الفرع والأغصان :ـــ أنّ الله تعالى لمَّا ا هبط آدم إلى الأرض كما ذكر ابن الجوزي وغيره أنه عاش ألف سنة ، وولدت له حواء أربعين بطناً) إلى آخر ما ذكر .

ومع أن الغاية من تأليف هذا الكتاب إثبات نَسَب آل مُدْلج ، فإنَّ ما يتعلق بهم لا يوجد في المطبوعة ، وهو موجود في مخطوطة اطلع عليها الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ، ويظهر أنَّها كانتْ موجودة بين أوراقه التي آلتْ إلى آل بَسَّامٍ في عنيزة ، حيث نجد ما يتعلق بأنساب تلك الأسرة منقولاً عن كتاب ابن لعبون ، في كتاب «تحفة المشتاق» المنسوب للشيخ عبدالله بن محمد بن عبد العزيز آل بسام ، في ذكر حوادث (١١٣٧ هـ) بعد ذكر قتل عثمان بن ناصر بن حمد بن إبراهيم بن حسين بن مُدْلج ، فقد ورد في هذا الكتاب ما نصه : (تفصيل نسب آل لعبون : وإليك تفصيل نسب آل مُدْلج نقلته من تاريخ حمد بن محمد بن لعبون ، المعروف في بلد التويم ، بقلمه ، قال : أول من سُمِّي لنا من أجدادنا حسين أبو علي وهو من بني وائل) ثم استمرَّ في الكلام في أكثر من سبع صفحات .

ولدى الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسَّام ، مؤلف كتاب «علماء نجد خلال ستة قرون» نسخة مخطوطة لأحد كتابي ابن لعبون ، قد اطلع عليها الشيخ إبراهيم بن عيسى ـــ كما يفهم من صورة الورقة التي في آخرها .

وجدت في نسخة هذه القطعة من تاريخ احمد بن محمد بن لعبون المدلجي الوائلي من اهل بلد التويم من قرى سدير صنعة ابن محمد بن احمد بن محمد بن لعبون الشاعر المشهور وهذه القطعة بخط المصنف

احمد بن محمد بن لعبون والمذكور في الورقة الاولى وراء الصفحة التي تليها وغيرها مواضع عديدة في الهوامش والتصحيحات بخط ابنه زامل بن حمد ابن محمد بن لعبون

وهرب الباقون وسارت طائفة الى غزنة وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان
ففعلوا اشد من هذا لم يطرق الاسماع مثله فان الاسكندر الذي ملك الدنيا لم يملكها في سنة
انما ملكها في نحو عشر سنين ولم يقتل احدا وانما رضي بالطاعة وهؤلاء ملكوا اكثر المعمور من الارض
واطيبه في نحو سنة ولم يبق احد في البلاد التي لم يطرقوها الا وهو خائف يترقب ثم انهم لا
يحتاجون الى ميرة فان معهم الاغنام والبقر والخيل يأكلون لحومها وما وجدوا من الحيوانات
والميتات وبني آدم ولا يعرفون نكاحا بل المرأة يأتيها غير واحد ومع ذلك يسجدون للشمس اذا طلعت
ولا يحرمون شيئا ثم قال ابن الاثير ولا شك ان من يجيء بعدنا اذا تطاول العهد ويرى هذه
الحادثة مسطورة ينكرها ويستبعدها فلينظر انا سطرناها في وقت يستوي في معرفتها العالم والجاهل
لشهرتها انتهى ولم تزل عقاربهم تدب وساق الحرب قائمة بينهم وبين سلطان الاسلام جلال الدين
خوارزم شاه رحمه الله يصاف معهم المصافات الكثيرة وكسرهم في مدة اربعة عشر سنة ليدرك عشرة
كسرات وهم يزيدون ويعودون وكان سدا بينهم وبين بلاد المسلمين فلما قتل بعد هذا وكان
زوال جيشه اربعمائة الف فارس وانفتح لهم سد عظيم فهجموا بغداد سنة ٦٥٦ وقتلوا الخليفة
وسفكوا دماء المسلمين ولم يبقوا على كبير ولا صغير ووصلوا الى حلب ففعلوا بها مثل ما فعلوا
ببغداد فاخذوا دمشق في اوائل سنة ثمان وخمسين وستمائة وكان ممن عصى عليهم الملك
الكامل الايوبي بميافارقين فحاصروه ونصبوا على البلد ستمائة سلما على السور يصعد في عرض
السلم ستة عشر نفسا فاشتد الحصار وغلت الاقوات واكلت الاموات وبيع مكوك القمح
بخمسة وسبعين الف درهم ورطل الخبز بستمائة درهم والبصل بثلاثمائة وخمسين درهما وراس الكلب
بستين درهما وبيعت بقرة بسبعين الف درهم واشترى الاشرف اخو الكامل رأسها وكراعها
بستة الاف درهم وخمسمائة وعملها واهداها الى اخيه وبيع جلد ثعبان بثلاثمائة وخمسين
درهما وبيع فروجا بسبعمائة درهم هذا واهل البلد قد قطعوه على ملكهم الملك الكامل وكان
يبرز لهم كل جمعة في الجامع ويقول ليس لكم عندي غير ان تسلموني اليهم وسلموا اليهم البلد

لتامنوا

وقد وصفها لي الأستاذ الشيخ عبدالله في كتاب بعثه إليَّ بتاريخ ٢٩/٤/ ١٤٠٠هـ بما خلاصته : (عندي تاريخ حمد بن لعبون ، بعضه بخطه ، وبعضه بخط ابنه زامل ، وصفته كما يلي :

١ ــ القسم الذي طبع منه في مطبعة أم القرى مفقود الأول والآخر ، وعندي منه جملة طيبة ، ولكن بالرجوع إلى المطبوعة وَجَدْتُ أنَّها غير ذات أهمية ، لأن أخبارها لا تتعلق بتاريخ نجد الحديث ، فهي معلومات تاريخية ، وأنساب موجودة في المراجع المتداولة .

٢ ــ يوجد عندي التاريخ النجدي الحديث من عام ١١٥٨ إلى ١٢٤٠هـ .

٣ ــ يوجد نسب آل مُدْلج الذين منهم آل لعبون ، ولكن لا أُحسُّ اتصالاً بينه وبين المعلومات التاريخية من كتابه .

٤ ــ إنه لا يفهم من مبتدئه أن هذا أول الكتاب ، كما لا يفهم من نهايته أن هذا آخر الكتاب ، بل إني وجدت ورقة غير متصلة بالكتاب بخط الشيخ إبراهيم بن عيسى وليست بخط المؤلف ولا ابنه زامل ، ذكر وفاة ابنه الشاعر محمد سنة ١٢٤٧) انتهى كلام الشيخ عبدالله .

وأضيف تاريخ وفاة ابن لعبون الشاعر ذكرها أبوه في الكلام المتعلق بنسب آل مدلج عندما تحدث عن نفسه وعن أبنائه بتفصيل . ويظهر أنه كتب هذا القسم من الكتاب مرتين ، إذ ذكر في أول الكتاب وفي إحدى النسخ ضاحي بن عون حياً ــ وأثنى عليه ، وذكر وفاة ابنه أحمد الذي مدحه ابن المؤلف الشاعر بقصيدته التي مطلعها :

يا رَكْبْ ما سِرِّتُوا بيوسف ليعقوبْ ... قَبْلَ الفجر يِنْبَاجْ والليل غِرْيِبْ

وفي نسخة أخرى ــ وهي التي نقلت في كتاب «تحفة المشتاق» ذكر ضاحي بن عَوْنٍ ميِّتاً .

أما النسخة التي ذكره حيًّا فقد نقل عنها الشيخ عبد الرحمن بن ناصر ــ المؤرخ المعروف ــ نسخة مضافة إلى نسخة مخطوطة من الكتاب المتعلق بالأنساب ، اطلعت

رحلة التميمي التونسي
إلى الحج
— ٢ —

شُغِل الشيخ التونسي حين وصل إلى طَيْبة الطيِّبة بما يشغل به كل قادم للزيارة ، في داخل الحرم الشريف من صلاة وزيارة .

ثم في يوم الثلاثاء — اليوم الثاني من وصوله — زار قبر حمزة — رضي الله عنه — قرب جبل أُحُدٍ ، قال : (أكترينا كروسة وذهبنا لزيارة سيدنا حمزة) .

وذكر أنه لم يقدر على الوصول إلى قبر أبي سعيد الخدري ، بسبب (الحرامية) مع أنه داخل المدينة .

→ عليها في مكتبة الأمير مساعد بن عبد الرحمن ، ونقلت عنها نسخة — في سنة ١٣٦٧ هـ .

وكان في مكتبة الأمير عبدالله بن عبد الرحمن مخطوطة من أحد كتابي ابن لعبون مطابقة لأوصاف النسخة التي تحدث عنها الشيخ عبدالله البسام ، وصفها الاستاذ رشدي ملحس في جريدة «أم القرى» — ع ٣٠٠ تاريخ ١٢/٤/ ١٣٤٩ — وقال : إنها بخط المؤلف وابنه زامل ، وأنها ناقصة .

وحدثني الشيخ عبدالله بن عبد العزيز العنقريُّ — رحمه الله — أن في مكتبته نسخة كاملة من تاريخ ابن لعبون ، بخطه .

مما تقدَّم يتضح أن لابن لعبون كتابين ، أحدهما في التاريخ والثاني في الأنساب .

وأخشى أن يكون الكتاب المتعلق بالأنساب بعثه إلى مَنْ أَلَّف باسمه ، وكان يعيش في الزبير — وفي الهند هو التاجر المعروف الشيخ ضاحي بن عَوْن المدلجي المتوفي سنة ١٢٦٠ هـ .

(للحديث صلة) حمد الجاسر

وقد اجتمع (بأفاضل من أهل المدينة ، وعلمائها ، ومن أهل الآفاق المجاورين هنالك فمن العلماء المدرسين بالحرم النبوي الشيخ عمر بن حمدان المحرسي ، أصله من بلد المحرس ، من أعمال تونس ، وارتحل به والده قبل البلوغ إلى المدينة المنوة ... فأقبل على العلم ، واعتنى به حتى حصل جانباً وافراً من العلم ، وصار يقري بالمسجد النبوي ، وقد حج عام التاريخ ، وبلغني خبره بمكة المكرمة ، لكن لم يقدَّر لي الاجتماع معه إلا بالمدينة المشرفة .. فوجدت للرجل أخلاقاً حسنة جداً ، ومكارم وفضائل ، حضرتُ بدرسين في البخاري ، إحداهما (؟) يقريه صباحاً ، والآخر يقريه بين العشاءين ، في تفسير القرآن ، من سورة (الحاقَّة) وتعلَّق بنا تعلُّقاً زائداً ، وذهب معي للمكتبة المجاورة للحرم ، التي حبس كتبها الشيخ أحمد عارف شيخ الإسلام في الدولة العثمانية سابقاً ، فرأينا بها كُتباً نفيسة جداً ، ولها دفاتر في أسمائها ، على ترتيبٍ حسن ، بحيث يُذكر الفنُّ ويذكر أجزاء كتبه على حروف المعجم ، ثم الفنّ الآخر على الترتيب المذكور ، وبه جداول به ملاحظات كاسم صاحب الكتاب ، وهو مطبعة أو قلم (؟) وبخط أعجمي أو عربي ، وعدد أجزائه .

وفي يوم الأربعاء استدعاني لعلوي داره ، وهو علوي حسن ، يجتمع به أفاضل من علماء وغيرهم ، وشغله الشاغل العلم والذكر تلاوة القرآن ، و«دلائل الخيرات»[1] وقدَّم لنا العشاء ، وتوسَّع في برِّنا ، بأخلاقه الزكية ، وشمائله العطرية ،

وفي يوم الخميس محرم ذهب معي لدار الشيخ سيدي يوسف النبهاني ، خادم الحضرة النبوية بتآليفه الشهيرة ..[2] فاجتمعنا به — ثم استرسل في الثناء على هذا الرجل .

وذكر الشيخ التونسي أن الشيخ عمر حمدان دعاه ليلة الجمعة ، وحضر عنده جماعة (من أفاضل الرجال ، منهم السيد أحمد بن الصدّيق المدني المالكي ، أحد مدرسي الحرم الشريف ، وهو شريف عَلَويٌّ ، والسيد عبدالله فرحات المدني ، كان مجاوراً بمكة نحو عامين ، ثم رجع ، هاته الأيام إلى المدينة ، وأنشدنا قصائد صوفية نبوية أطربتنا ، فاقترحت كتابتها ، منها قصيدة السيد علي حبيشي — دام بقاه — وهي :

ساجعاتُ الورقِ أبكتْ مُقْلَتِي أذكرتني زمناً في رَبعِ مَيْ
يا لَهُ وقتٌ مضى في فَرَحٍ وسرور طاب في نشر وطَيْ

— وأورد القصيدة في ١٨ بيتاً ، وفيها مغالاة في مدح المصطفى — عليه الصلاة والسلام — وعبارات لا تجوز شرعاً —

وأنشدنا قصيدة للشبراوي —:

إنَّ العواذلَ قد كَوَوْا قلبي بنار العذل كيّ
ومُرَادُهُمُ أسلوهوا ك ، وأنت نقطة مُقلتيّ

— في ١٩ بيتاً كالأولى في المغالاة في المديح ، واستعمال عبارات غير جائزة — وقال : وكانت ليلة عظيمة مشرقة حسنة ، وكان ممن حضر المجلس المذكور السيد عبدالله فرحاني المدني الأصل ، المكي بالمجاورة عامين ، ثم رجع إلى المدينة ، وأنشدنا هذا الأخير قصائد صوفية ونبوية ، أطربتنا جداً .

كما اجتمعنا بالشيخ سعيد الجرتي من سوس الأقصى عمّ الشيخ عمر ، بمجلسه المذكور ، وبالسيد مسعود بن سعيد المحيرسي ، وأخيه السيد محمد ، وبالسيد الحاج الباشي ، وبالسيد العالم سيدي محمد بن جعفر الكتاني الباشي العالم المشهور ، وبالسيد الحاج محمد مامو ، وكلهم من المجاورين بالمدينة المنورة ، وبالسيد محمد علي بن العالم سيدي بالقاسم الدبلغ من ذرية ... الصالح سيدي عبد العزيز الدباغ ، والجميع بمجلس الشيخ المذكور) .

ثم ذكر أنهم قرأوا ربع « دلائل الخيرات » الرابع ، وأنشد المنشدون القصائد المطربة في الحضرة النبوية ، وأنه حصل لهم أُنسٌ عظيم ، وأن ذالك الاجتماع استمرّ إلى قرب نصف الليل .

ومع قلة جدوى ما لخصته من كلام الشيخ التونسي ، إلا أنه يصور جانباً من الحياة

تاج العروس
من جواهر القاموس
— ٢٢ —

واصلت الحديث عن كل ما اطلعت عليه مما صدر من كتاب «تاج العروس» في طبعته الكويتية .

وكان صدور الجزء الخامس منه منذ أكثر من عشر سنوات ، ولكنه لم يصل إليّ إلا في هذا العام ، بعد أن طلبته من الأخ الأستاذ سعود بن جُمْرَان العَجْمي اليامي فكرم ببعث نسخة منه .

وقد صدر في سنة ١٣٨٩ (١٩٦٩ م) .

في مجلد ضخم — كالمجلدات التي صدرت منه ، ويحوي من الموادِّ .

من (ض ع ت) من فصل الضاد من (باب التاء) إلى (رونج) من (باب الجيم)

وقد حققه الأستاذ مصطفى حجازي . وراجعه الأستاذ عبد الستار أحمد فراج — رحمه الله —

ولولا أنني أخَذْتُ على نفسي مطالعة كل جزء يصدر من هذا الكتاب بطبعته الجديدة مع التعليق بِمَا قَدْ يعِنُّ لي حول ما أقرأ فيه — لما كان للحديث عنه من محلٍّ ،

الاجتماعية في طيبة في عَهْدٍ أدركه كثير من أهل عصرنا ، ولكنه مجهول لدى كثير من المهتمين بالدراسات الاجتماعية في هذه البلاد ، وهو جدير بالتسجيل ، لادراك التطور السريع الذي مرَّ بمجتمعنا خلال هذه الفترة القصيرة من الزمن .

(للرحلة بقية)

الحواشي :

(١) كتاب «دلائل الخيرات» يحوي صيغاً للصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام لم ترد عن السلف الصالح ، والاشتغال بقراءة القران ، وبما صحَّ عن المصطفى خير من قراءة ذالك الكتاب .

(٢) النبهاني من أعداء الدعوة الإصلاحيّة السلفية التي قام فها الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومؤلفاته تحوي توسلات بصيغ محرمة شرعاً لأنه يدعو الرسول ﷺ فيها ، والدعاء لا يجوز صرفه لغير الله لأنه مخ العبادة .

لمضي الزَّمن على صدوره ، ولكون ما سأتحدث به حوله قد يكون من فضول القول . فقد كررته مراراً أثناء كلامي على الأجزاء التي تحدثت عنها ، وأغلبه مُنْصَبٌّ على عمل مؤلف الكتاب .

١ — ص ١١٥ : (وذاتُ النَّابِتِ مَوْضعٌ مِن عَرَفاتٍ نقله الصّاغانيّ) .

كان من المناسب الرجوع إلى الكتب التي حددت هذا الموقع ممن عُني بتحديد هذا المشعر الكريم من مشاعر الحج — عرفات — لمعرفة موقع الموضع منها ، ومن تلك الكتب «أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار» للأزرقي ، وقد حَدَّد الموضع تحديداً دقيقاً في كلامه على عرفات ، فقال فيما نقل عن ابن عباس — رضي الله عنهما :— (وموقف النبي صلى الله عليه وسلم عشية عرفة بين الأجْبُل النبعة والنُّبيعة والنَّابت ، وموقفه منها على النابت ، وهي الظِّراب التي تكتنف موضع الإمام ، والنابت عند النشرة التي خلف موقف الإمام ، وموقفه صلى الله عليه وسلم على ضِرْسٍ من الجبل النابت ، مُضَرَّسٍ بين أحجارٍ هناك ناتئة في الجبل ، الذي يقال له الال ، بعرفة ، عن يسار طريق الطائف وعن يمين الإمام) — انتهى كلام الأزرقي .

فالموضع واضح التحديد ، وعبارة صاحب «التاج» موهمة أن هذا مما نقله الصاغاني ، الذي ليس مشهوراً .

٢ — ص ١٣١ : (والنَّهّاتُ : فَرَسُ لاحِقِ بنِ النَّجّارِ ، بن خَيْرِيّ السَّدُوسيّ) .

الذي في كتاب «الخيل» لابن الأعرابي : بن حِمْيَرِيٍّ بن ثعلبة بن سدوس .

٣ — ص ١٤٢ : عن هَرَامِيْت — (وعن الأصمعيّ : عن يَسَار ضَرِيَّةَ ، وهي قَرْيَةٌ [فيها رَكَايَا يقال لها : هَرَاميتُ ، وحولها جِفَارٌ ، وأنشد :

— بقايا جِفَارٍ من هَرَامِيْتَ نُزَّح —

مفهوم هذا الكلام — بل ومنطوقه — أن الأصمعي قال عن هراميت أنها قرية .

وأنه هو الذي أنشد عجز البيت .

غير أن الزبيديّ اختصر كلام صاحب «معجم البلدان» اختصاراً مُخِلاً ، ونصه :

قال أبو منصور: قال الأصمعي: عن يسار ضَرِيَّة وهي قرية فيها ركايا، يقال لها هراميت، وحولها جفار. وأنشد ثعلب للراعي.

فَلَمْ يَبْقَ إلَّا آلُ كُلِّ نَجِيبَةٍ لها كاهِلٌ حَاب وصُلْبٌ مُكَدَّحُ
ضُبَارِمَةٌ شَدْفٌ كَأَنَّ عُيُونَهَا بقايا نِطافٍ مِنْ هَرَامِيتَ نُزَّح

فالذي أنشد الشعر ثعلب وليس الأصمعي.

أما قول الأصمعي المنقول عن أبي منصور وهو الأزهري وفيه: (وهي قرية) فهو لا يتفق مع ما في كتاب «بلاد العرب» الذي يرى كثير من الباحثين أنه أصل كتاب الأصمعي فهو لم يذكر في ذالك الكتاب أن هراميت قرية، وإنما قال — في ذكر مياه بني ضبينة —:

— ص ٨٧ —: (ثم الغُرَيَّةُ وهو أغزر ماء لغنيٍّ وهي قرب جَبَلَة، وهو الجبل الذي التقتْ فيه قَيْسٌ وتميم، ثم الجعموسة، ثم هَرَاميت، ثم بُرَيدة، ثم القادمة، فهذه مياه لبني ضبينة) فهو عَدَّها من المياه، ولم يذكر أنَّها قرية، ونقل الأزهري يحتاج إلى ما يسنده وياقوت أورد أقوالاً تدل بجملتها على أن هَرَاميت آبار، وختمها بقول أبي أحمد العسكري: هراميت ماءة، وهي ثلاث آبار. ويوم الهراميت بين الضِّبَاب وبين جعفر بن كلاب، كان القتال بسبب بئر أراد أحد(؟) أن يحتفرها. انتهى.

٤ — ١٥٦ :— (وتَأَرَّثَتْ هي: اتَّقَدَتْ قال:

فإنَّ بأَعْلَى ذِي المَجَازَةِ سَرْحَةً طويلاً عَلَى أَهْلِ المَجَازَةِ دارُها
ولو ضَرَبُوها بالفُئُوس وحَرَّقُوا على أصْلِها حتّى تأَرَّثَ نارُها

الملاحظ هنا:

١ — الشعر أورده ياقوت قائلاً: (وأنشد ابن الأعرابي في نوادره) وفي هذا الإشارة إلى مصدر قديم، غير ما ذكر المحقق الفاضل في الحاشية.

٢ — كلمة (الفؤوس) كتبت على نبرة مع أن ما قبلها مضموم وليس مكسوراً، فكان ينبغي أن تكتب على واو (الفؤوس).

٣ — اسم المجازة يطلق على موضعين أحدهما في أعلى وادي فَلْج (الباطن) بطرف الدهنا ، ويعرف الآن باسم (الثمامة) والثاني في جهة وادي بُرَيْك من أودية العلاة بقرب (عُلَيّة) في جنوب جبل العارض (طويق) بقرب بلدة حوطة بني تميم .

٤ — لا أدري لِمَ نُصِبَتْ ثاء (ثأرث) ولعله تطبيع .

٥ — ١٧٠ : (والبعيث بن حُريث الحنفي ، والبعيث بن رزام — هكذا في النسخ ، وفي «التكملة» : والبعيث بعيث بني رزام التغلبي وأبو مالك البعيث ، واسمه خداش بن بشير المجاشعي ، هكذا في نسختنا ، وفي بعضها (؟) بِشر ، ومثله في هامش «الصحاح» وهو الصواب .

وفي «التكملة» : والبعيث بن بشير ، راكب الأسد السحيمي ، شُعراء ، سُمِّيَ الأخير لقوله وهو من بني تميم :

تَبَعَّثَ مِنِّي ما تَبَعَّثَ بَعْدَ ما اسْـ ... ـتَمَرَّ فؤادي واسْتَمَرَّ مَرِيرِي

قال ابنُ بَرّي : وصوابه : واستمرَّ عزيمي .

يلاحظ على هذا :

١ — البعيث بن رزام — هو الصواب كما يفهم مما ذكره ابن ماكولا في «الاكمال» — ٣٣٥/١ — حيث ساق نسبه وكذا الآمدي في «المؤتلف والمختلف» — ٥٦ — .

٢ — البعيث بن بشير ابن راكب الأسد السحيمي — ليس تميمياً — إذ بنو سُحَيْم من بني حنيفة أهل اليمامة ، وقد قال عنه ابن ماكولا في «الإكمال» ٣٣٥/١ : (رشيديّ من أهل اليمامة شاعر) وهو غير البَعيث بن حريث الحنفي ، الذي وصفه ابن ماكولا بأنه شاعر محسن ، وساق نسبه إلى حَنيفة ، كما فعل الآمدي .

٦ — ص ١٧٠ : — (وبُعَاثٌ بالعَيْن المهملة وبالغين) المعجمة كغُرَاب ، ويُثَلَّث : موضع بِقُرْبِ المَدِينةِ على مِيلَيْنِ منها ، كما في نسخة ، وهذا لا يَصِحُّ ، وفي بعضها : على لَيْلَتَيْنِ من المدينة ، وقد صَرَّح به عِيَاضٌ ، وابنُ قَرْقُول والفَيُّوميُّ ، وأَهلُ الغَرِيبِ أجمع) انتهى .

هذا الذي وصفه الزَّبيدي بأنه لا يصح هو الأقرب إلى الصِّحة ، فقد أورد مؤرخ المدينة السمهودي في «خلاصة الوفاء» الأقوالَ المختلفة في تحديد بعده عن المدينة بميلين أو على ليلتين وقال : وهو موضع عند أعْلَى قَوْرَى ، ويقال حصن أو مزرعة ببني قريظة ، على ميلين من المدينة ، ولعل قوري هو المعروف اليوم بقوران أسفل الدلال — إلى أن قال —: وبه يُرَدُّ قَولُ عياض : بعاث على ليلتين من المدينة . انتهى .

٧ — ص ١٩١ : (وجُؤَاثي ، ككُسَالى : مَدِينةُ الخَطِّ) وفي اللسان أَنَّهُ موضعٌ ، قال امرؤُ القَيْس :

وَرُحنـا كَـأَنِّـي من جُؤَاثَى عَشِيَّةً نُعَالِي النِّعاجَ بَيْن عِدْلٍ ومُحْقِبِ

(أو حِصْنٌ) ، وقيل : قَرْيَةٌ (بالبحرين معروفة ، وسيأتي في ج وث .

وقال في جوثَ — ص ١٩٩ — (وجُؤَاثَى) بالضّمّ (مهموز ، ووَهِمَ الجَوْهَرِيّ) فذكره هنا في مادة الواو : اسْمُ حِصْنٍ بالبَحْرينِ ، وفي الحَدِيثِ «أوّلِ جُمُعَةٍ جُمِّعَتْ بعد المَدِينَةِ بِجُوَاثَى .

وفي اللسان . قال امرؤُ القَيْسِ :

وَرُحْنَـا كـأني من جُؤَاثَى عَشِيَّةً نُعالِي النِّعَاجَ بَيْنَ عِدْلٍ ومُحقِبِ

ثم قال : وضبطه عليُّ بنُ حَمْزَةَ في كتاب النَّبات جُوَاثَى ، بغير همز ، فإما أن يكونَ على تخفيفِ الهَمْزِ ، وإما أن يكون أَصْلُه ذالك . وقيل : جُؤاثى : قَرْيَةٌ بالبَحْرَيْن مَعْروفَة .

قال شيخنا : وضبطه عياضٌ في المشارق بالواو ، وقال : كذا ضَبَطَه الأصيليّ بِغَيْر همز ، وهمزه بعضٌ ، ومثله في المطالع ، واقتصر ابنُ الأثير في النِّهايَة على كونه بالواو ، وكذا رُوَاةُ أبي داوودَ قاطبةً .

وفي معجم البكريّ : هي مدينةٌ بالبَحْرَيْنِ لعبدِ القَيْس .

وفي المراصد : جُواثى بالضّمّ ، ويُمَدّ ويُقْصَر : حِصْنٌ لعبْدِ القَيْسِ بالبَحْرَيْنِ ورواه

بعضُهم بالهَمْزِ) انتهى .

هذا الكلام الطويل عن جُوَاثا نحسن معه الإشارة إلى أنها قرية دَرَسَتْ ، ولم يبق سوى آثار مسجدها وعَيْنِها ، وهي على مقربة من مدينة الهفوف ـــ قاعدة الأحساء الآن ـــ وفي كتاب « المنطقة الشرقية ـــ البحرين قديماً » من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » بحث وافٍ عنها .

ورواية بيت امرىء القيس المعروفة :

وَرُحْنَا كأنَّا من جُوَاثا ـــ لا (كأني)

والقول بأن جواثا هي مدينة الخط غير صحيح فالخطُّ ـــ عند الإطلاق ـــ القطيف ، وما بقرب شاطىء البحر ، وجواثا بعيدة عن القطيف إذ هي بمنطقة الأحساء ، ولا يزال موقعها معروفاً وآثارها بارزة .

٨ ـــ ص ٢٥٨ :ـــ وقولُ دُرَيْدِ بنِ الصِّمَّة :

أَرَثَّ جديدُ الحَبْلِ من أُمِّ مَعْبَدِ بـعـاقـبَـةٍ وأَخْـلَـفَـتْ كُـلَّ مَـوْعِـدِ

أحال المحقق الفاضل في تخريج هذا البيت إلى « اللسان » و« المقاييس » .

والبيت مطلع قصيدة أوردها صاحب « جمهرة أشعار العرب » كاملة ، وكتاب « الجمهرة » من المصادر الأولى للشعر ، والإحالة إليه أولى .

٩ ـــ ص ٢٥٥ : (وقال العلامة أبو علي زكريا بن هارون الهجريُّ) .

المعروف في اسم الهجري ـــ كما في الكتب التي تصدَّتْ لترجمته ، وكما في طُرَّتي القطعتين المخطوطتين الباقيتين من كتابه « التعليقات والنوادر » : أبو علي هارون بن زكريًّا ـــ لا كما قال الزبيدي وانظر كتاب « أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع » .

(للكلام بقية)

باشوت : من أودية سراة شِمْرَان

[تأخر نشر هذا البحث لضياعه بين أوراق الرسائل التي ترد للمجلة ، فعذرة لكاتبه الأخ الكريم .

وسيلاحظ القُرّاء غرابة هذا الاسم (باشوت) ولعله اسم انسان أُضيف إليه الوادي في أول الأمر ، وفي عصر متأخر ، حيث لم أر ذكرا فيما اطلعت عليه من الكتب ، ومادّة (بَشَتَ) لم أرَ لها في معجمات اللغة سوى مَدْلولات أعجمية] .

بَاشُوت :

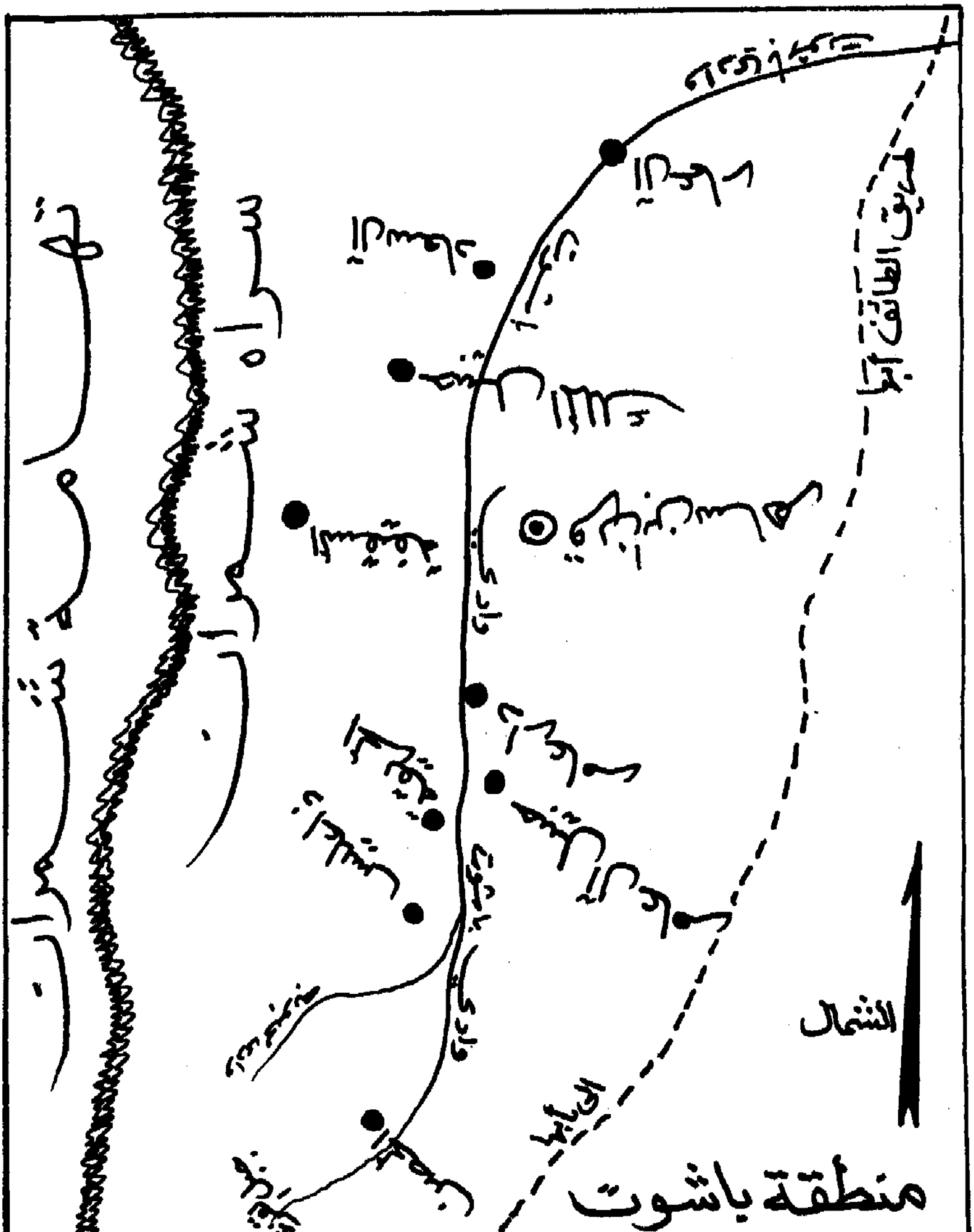
بَاشُوت : يضم الشين المعجمة : منطقة فسيحة من طود السراة تقدر مساحتها من الجنوب إلى الشمال ٢٠ كيلاً . ومن الغرب حيث أصدار باشوت وأغوارها إلى منحدرات السراة شرقاً ١٥ كيلاً . وهي منطقة خصبة زراعية تزرع فيها الفواكه والحبوب والخضروات بأنواعها . منطقة خضراء تكسوها غابات من أشجار العرعر والزيتون البريّ والطلح والشثّ ، وأنواع من الأشجار المتعددة . ويعتمد السكان على الآبار الجوفية والأمطار في زراعاتهم .

ومنطقة باشوت من أجمل المناطق في طود السراة — يحدها من الشمال آل لَعْلَا وآل شَقَيْق من شِمْرَان ومن الجنوب شعف بلاد بالقَرْن ، ومن الشرق آل حَمِيْد والعَلَايَة ، ومن الغرب العَوامِر وآل كَثِير وَثُرَيَّان من تهامة شِمْران .

وتقع منطقة بَاشُوت في الجنوب من بلاد شِمْرَان . وينقسم سكانها إلى قسمين أساسيين :

أ — شِمْرَان .　　　　　ب — عَلْيَان .

أولاً : شِمران وهم قسمان : آل ابن ساهر وبلدتهم تدعى قَرْن بن سَاهِر ، وهي بلدة


منطقة ياشوت
الشمال

فيها المركز الإداري بمنطقة باشوت حيث تقع إمارة باشوت ومحكمة شرعية ومستوصف طبي ومدرستان للبنين ابتدائية ومتوسطة وأخرى ابتدائية للبنات وتقع في شرق منطقة باشوت وعلى جانب وادي باشوت الزراعي .

وآل عَامِر : يسكنون خمس قرى : هي :—

أ – قرية دار عامِر : اسم علم لهذه القرية وهي قاعدة القبيلة وتقع إلى الغرب من وادي باشوت الزراعي وهي أكبر قرى القبيلة .

ب – قرية : الحصْن : وتقع بأعلى وادي باشوت وفي شرق جبل القَزَعَة الذي منه ينحدر وادي باشوت .

جـ – قرية الحَرِيقَة : بفتح أوله وكسر الراء : وتقع في غرب وادي باشوت .

د – قرية حَبِيْل آل عَامِر : بفتح أوله وكسر الحرف الثاني : وتقع شرق الوادي وجنوب بلدة قَرْن ابن سَاهِر .

هـ – آل ذَاعِلَيْس : بكسر العين المهملة وفتح اللام وسكون المثناة التحتية وكسر السين المهملة المنونة : وتقع في وادي محبوبة ، وهو رافد لباشوت من جنوبه .

وقرى هذا القسم من باشوت تقع جميعها إلى جنوب المركز وبأعلى وادي باشوت ، بالسراة .

آل قَيْسٍ : بكسر السين المنونة : قرية لقبيلة آل عامر وتقع في تهامة .

ثانياً : عَلْيَان : بفتح أوله : وسكون الثاني : وهم قسمان .

١ ــ قبيلة المَلِك ــ اسم لجد هذه القبيلة ــ وتتكون من ثلاث قرى :

أ ــ حَبِيْل المَلِك : بفتح الحاء المهملة وكسر الباء الموحدة التحتية : وهذه القرية قاعدة القبيلة وأكبر قراها . فيها مدرسة للبنين ابتدائية وتقع غرب وادي باشوت ، والى الشمال الغربي من بلدة ابن سَاهِر المركز الإداري لباشوت .

ب ــ آل عَمَّارٍ : بفتح العين المهملة والميم المشددة وكسر الراء المنونة المهملة : وتقع

في شمال باشوت وفي وسط الوادي ، وادي باشوت الذي ينحدر من جبل القَزَعَة كما تقدم ومن وادي مَحْبُوبَة باتجاه الشمال حتى هذه القرية (آل عَمَّار) ثم يغير اتجاهه إلى الشرق ويسيل مارًّا ببلاد شِمْرَان (أُدَمَة) ويفيض في وادي تَبَالَة ثم إلى بيشة .

جـ ـــ قرية آل سِعَاد : بكسر أوله : اسم علم لهذه القرية وتقع في غرب وادي باشوت والي الشمال من قرية حبيل الملك .

آل سَلْمَانِ : اسم علم لقرية لقبيلة الملك وتقع في تهامة .

٢ ـــ السَّقِيْفَة : بفتح السين المهملة المشددة وكسر القاف : قرية كبيرة تكون قسماً ثانياً من عَلْيَان ، وتقع في غرب وادي باشوت وغرب المركز الإداري ، قَرْن ابن سَاهِر .

وعَلْيَان الذي يكون القسم الثاني من باشوت والذي يقع في شمال المنطقة انفصل بهذا الاسم عن شِمران منتسباً إلى جده .

ولقد رأيت أثناء زيارتي لمنطقة باشوت أن أطلع القراء على هذا الجزء من بلاد شِمْرَان . فأوجزت عنه ما دونته آنفاً . وكنت أود أن أكتب عن قبيلة شِمْرَان عامَّة . لكن قد أخطىء في بعض المواضع والقبائل ومواقعها ومسمياتها لعدم المامي بذلك . وقديماً قيل (أهل مكة أعلم بشعابها) .

ولقد قرأت في عدد من الكتب أن شِمْرَان وخَثْعَم وشَهْرَان من أصل قحطاني . أو أن بين هذه القبائل الثلاث صلة في النسب من أصل قحطاني ، وبمناسبة كتابتي هذه أذكر نسب شمران هنا : وهو : شِمْرَان بن يَزِيد بن حَرْب بن عُلَة بن جَلْد بن مَالِك بن أُدَدَ بن زيد بن يَشْجُب بن عريب بن زيد بن كَهْلَان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطَان بن (هُود عَلَيْهِ السَّلام) .

وأما القبائل التي بينها وبين شِمْرَان صلة في النسب من القبائل المعروفة في وقتنا الحاضر فهي : سَنْحَان . وهي قبيلة توجد في جنوب غرب المملكة العربية السعودية وتجاور قبائل فَيْفَا وبَني مَالِك من المملكة . وبنو مُنَبِّه من اليَمَن . أما باقي اخوة شِمْرَان وهم : العَلي ، والحَارِث ، وهِفَّان في المملكة . لا يوجد ـــ حسب علمي ـــ قبيلة بأحد هذه الأَسماء ولها أساس ومواقع ثابتة . عدا بني مُنَبَّه الذين في الجنوب الغربي من

دهام بن دواس ما نهايته ؟!

... قرأت في كتاب «معجم اليمامة» للأستاذ الشيخ عبدالله بن محمد بن خميس (ج ١ ص ٤٣٣ — ٤٣٤) في الكلام على زيد بن مشاري بن زامل بن عثمان — أمير الدلَم ما نصه : (ولما أزْمَعَتِ الدرعيةُ احتلالَ الرياض عام ١١٨٧ — التجأ دهام إلى حليفه زيد في بلد الدلم ، ولما قُتِل دهامٌ اضطرَّ زيد هذا إلى المصالحة على دَخَنٍ ، فقبلتْ منه الدرعيةُ ، وتركتْ سَرِيْرَتَهُ لِرَبِّهِ) .

مدينة بيشة . وبلادهم اسمها (بيشة ابن عُمَير) وأعرف من مواقعهم موضعاً يقال له وادي وَاعِر ، ويسيل في وادي ابن هشبل وهم خمسة أقسام . وشيخهم محمد بن حسن بن مُشاري بن عُمَير. فهؤلاء من شهران . ويبعدون عن بيشة إلى الجنوب الغربي بـ(٥٧) كيلاً .

ولشِمْران واخوانهم : مُنَبِّه والحَارِث والعَلِي وسِنْحَان وهِفَّان اسم يجمعهم وهو (جَنْبٌ) وقد سُمُّو بهذا الاسم لأنهم جَانَبوا متحالفين هؤلاء الستة على أخيهم (صُدَاء) ومنهم كان معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارثِ بن منبه بن يزيد بن حرب بن عُلَة ، الذي تزوج بنت مُهَلْهِل بن ربيعة التغلبي ومَهَرها أدَماً ، فقال في ذلك أبوها :

أنْـكَـحَـهـا فَقْـدُها الأراقِـمَ في ... جَـنْـب وَكَـانَ الحباءُ مِنْ أدَمِ
لَوْ بَـأبـانـيْـنَ جَـاء يَـخْطِـبُـهـا ... ضُـرِّجَ مـا أنْفُ خَاطِـبٍ بِـدَمِ

الجمهرة لابن حزم ص ٤١٣ وسراة غامد وزهران للشيخ حمد الجاسر ص ٤٣٥ .

وكذلك منهم المحدّثان أبو ظَبيان وابنه قابُوس وظَبْيَان وهو الحُصين بن جُنْدَب بن عمرو بن الحارث بن مالك بن وحشي بن مالك بن ربيعة بن منبه بن يزيد بن حَرْب بن عُلَه .

هذا ما أردت إيضاحه عن منطقة باشوت والله من وراء القصد .

الرياض ١/٦/٩٨هـ **عمر العمروي**

وقال : أيضاً : (قلنا فيما تقدّم : أنَّ زَيْدَ بنَ زامل بعد ما قُتِلَ حليفُهُ دهامُ بن دواس هادَن الدّرعية على دَخنٍ منه ، ولكنه عاد سنة ١١٨٨هـ إلى نقض عهده) الخ .

وقال الشيخ عبدالله أيضاً — ص ٤٩٥ و٤٩٦ من الجزء المذكور : (وبلغتْ غزوات الدرعية للرياض خمساً وثلاثين غزوة ، هزَّتْ كيانَ الرياض ، وزعزعت نفوذه حتى هرب دِهَامُ بن دوَّاس ، من قاعدة إمارته ، تحت جُنْح الليل ، لا يلوي على شيء ، فهلك هو ومن معه في شعب (أبي الناس من شعاب خنزير) التي تسيل في وادي الحَنِيَّةِ مُشرِّقةً) إلى أن قال : (وكان هرب دهام بن دوَّاس ومن معه إلى الخرج ، عام ١١٨٧) .

فأيُّ القولين أصح في نهاية دهام ، هَلْ قُتِلَ ، أم هلك في الشعب الذي ذكره الأستاذ الشيخ عبدالله ؟!

العرب : عمدة مؤرخي نجد في الحقبة التي عاشها دهامُ بن دواس هو ابن بِشْر صاحب كتاب «عنوان المجد» وقد ذكر في حوادث سنة ١١٨٧ — أنَّ دهاماً (ألقَى اللهُ في قلبه الرعب ، فخرج منها — الرياض — في النهار ، هو وعياله وأعوانه) واسترسل ابن بشر في الكلام إلى أن قال : (فقام فزعاً مرعوباً وركب خيله وركابه ، فلما ظهر من القصر قال : يا أهل الرياض هذا لي مُدَّة سنين . أُحارب ابن سعود ، والآن سَئِمْتُ من الحرب ، فمن أراد أن يتبعني فليفعل ، ففرّ أهل الرياض في ساقته الرجال والنساء ، هربوا على وجوههم إلى البرِّ ، وقصدوا الخرج ، وهلك منهم خلق كثير ، عطشاً وجوعاً) إلى أن قال : (ومات ممن تبع دهاماً في هزيمته نحو من أربع مئة) انتهى كلام ابن بشر مُلَخَّصاً وهو ينصُّ على أنَّ دهاماً لم يقتل بَلْ هَرَبَ نَحْوَ الخرج ، ويظهر أنه لم يَرَ في الخرج مَلْجأً لِضَعْفِ حالةِ أميره زيد بن زامل ، وأنه واصل الهرب إلى الأحساء ، وهذا هو الشائع عند الناس ، وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف في حواشيه على كتاب «لمع الشهاب» ص ٣٥ — ما نَصُّهُ :

(فخرج من الرياض هارباً سنة ١١٨٧ وقصد الأحساء ، وفيه كان مهلكه) .

ومما يتناقله الناس أن عُرَيعراً حاكم الأحساء لما لام دهاماً في عدم استمراره في الحرب قال له : ما معناه : لقد حاربْت ما يقرب من أربعين عاماً ، فاصْمُدْ أنْتَ لمن حارَبْتُ أربعة أعوام ! !

ويقول بعض العارفين بأحوال دهام : إنَّ له ذرية في الأحساء ، بعد وفاته هناك وعلى كل حال فالرجل هَرَب بطريقة أصبحتْ مَثَلاً عند أهل نجد ، فيقولون لمن هرب مُسْرِعاً لجهة مَجهولة : (طقّ طَقَّة دهام) أي هرب كهرب دهام . وأنه توفي موتاً لا قَتْلاً ، إذْ لم يذكر أحد ممن اطلعت على كلامهم من المؤرخين أنه قُتِلَ .

متى عرفت الرياض بهذا الاسم ؟

لقد ذكرتم في كتابكم «مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ» ــ ص ٩٤ ــ ما نصه :

وفي القرن الثاني عشر أُطلق اسم الرياض على ما بقي من المحلات القديمة من مدينة حَجْر ، معكال ومقرن والعود وغيرها .

ولكن الشيخ عبدالله بن خميس قال في كتاب «معجم اليمامة» ــ جـ ١ ص ٤٩٥ : (أما اسم الرياض فقد أُطلق عليها منذ منتصف القرن العاشر ، حسبما ورد في ابن بشر وغيره) انتهى .

سعيد القريني

العرب : بِتَتَبُّع ما سجل ابن بشر في كتابه من الحوادث لا يوجد نَصٌّ صَرِيحٌ يدل على أنَّ الرياض ، أُطلق عليها هذا الاسم منذ منتصف القرن العاشر .

وكل ما في سوابق تاريخه المطبوع ، مما ورد فيه ذكر الرياض ، من العبارات المُبْهَمَةِ مما يتعلق بالقرن العاشر هو :

١ ــ لما ذكر وفاة الحجّاوي سنة ٩٦٨ ــ قال في ذكر من أخذ عنه : (وزامل بن سلطان قاضي الرياض) .

٢ — ونقل عن العصامي في حوادث سنة ٩٨٦ — (سار الشريف حسن بن أبي نُمَيّ صاحب مكة إلى نجد ، وحاصر معكال المعروف في الرياض) إلى آخر ما ذكر.

وذكر في حوادث سنة ١٠٣٣ — أي في القرن الحادي عشر:

وفي هذه السنة قُتِلُوا أولاد مفرّج بن ناصر ، صاحب بلد مقرن ، المعروف في الرياض.

وفي السنة الـ١٠٣٧ — (استالوا آل مُدَيْرس في بلد مقرن وشاخوا فيه).

وفي حوادث سنة ١٠٤٥ : (ونزل نافع وإخوانه جبرة المعروفة في الرياض).

وفي سنة ١٠٤٩ (توفي قاضي الرياض أحمد بن ناصر).

وفي سنة ١٠٥٦ قال : (وفيها قتل محمد بن مهنا أمير مقرن . البلد المعروف في الرياض ثم قتلوا السوطة الذين قتلوه).

وفي سنة ١٠٩٩ — قال : (تولّى سلامة أبا زرعة في بلد مقرن المعروف في الرياض).

هذا ما رأيته مُدَوَّناً في تاريخ ابن بشر ، مما يتعلق بالرياض في القرنين العاشر والحادي عشر. وليس فيه نَصٌّ صريح على أنَّ اسم الرياض أُطلق على البلدة منذ منتصف القرن العاشر ، ولم أطلع في كلام غيره من المؤرخين من ذكر ذلك ولكن عبارات ابن بِشْرٍ توهم أنَّ الرياض هذا الاسم كان معروفاً سنة ٩٦٨ حيث قال : (زامل بن سلطان قاضي الرياض) وابن بشر عَبَّر باسم (الرياض) وقصد ما كان معروفاً في ذالك العهد باسم (مُقْرِن) لأن زاملاً المذكور على ما ذكر مُتَرْجِمُوهُ من أَهْلِ مُقْرِن قال الشيخ عبدالله بن بسام في ترجمته من كتاب «علماء نجد» : زامل بن سلطان بن زامل الخطيب اليزيدي الحنبلي المُقْرِني — نسبة إلى بلدة مُقْرِن ، التي صارت الآن حياً من أحياء الرياض ، ولد في بلدة مُقْرِن في مطلع القرن العاشر — إلى أن قال : فرحل إليه الطلاب في بلدة مُقْرِن انتهى

فابن بشر عبر باسم الرياض الذي هو معروف ، وهو يقصد بلدة مُقْرن التي لا يعرفها إلا الخاصة .

أما ما نقل عن العصامي ، فلم يكن دقيقاً فيه ، فقد لخصه ، وزاد فيه كلمة (الرياض) وهي لم ترد في تاريخ العصامي ، وقد أوْرَدتُ الخبر كاملاً في كتاب «مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ» وهو يدل على عدم شهرة اسم الرياض ، وأن أعظم بلدة حول موقع المدينة هي (معكال) وورد الاسم في تاريخ العِصَامي ، وفي شعر أورده (معكان) بالنون .

ولهذا فالخبر الذي أورده ابن بشر ناقِصاً — بعد أن أضاف إليه ما ليس منه — لا يصح دليلاً على إطلاق اسم الرياض في ذالك العهد على هذه البلدة ، بل كل النُّصوص التي أوردها تؤيد أنَّ الشهرة لمقرن ومعكال ، ولا ذِكْر — للرياض — ولكنه يذكر اسم الرياض فيها زيادة في إيضاح المكان .

ولعل ما ذكر الأستاذ الشيخ عبدالله بن خميس هو الذي حَمَل كاتباً نشر في مجلة (دارة الملك عبد العزيز) في جزء رجب سنة ١٣٩٨ — مقالاً بعنوان (قضاة نجد) قال فيه : (وقد أخطأ منصور بن خالد بن شلهوب في كتاب «الرياض عام ١٣٩١» حيث اعتمد على ما جاء في كتاب الرياض عبر أطوار التاريخ» للشيخ حمد الجاسر حيث ذكر أن أقدم نصٍّ يدل على وجود الرياض هو ما ذكره ابن بشر في تاريخه : (وفي سنة تسع وأربعين وألف توفي قاضي الرياض)ومن ذالك التاريخ بدأ إطلاق اسم الرياض في القرن الحادي عشر. والصحيح أن اسم الرياض بدأ إطلاقه على هذه البقعة قبل القرن الحادي عشر) ثم ذكر خبر ابن بشر عن الشيخ زامل . انتهى ما في مجلة «الدارة» .

وقد أوضحتُ في «العرب» س ١٤ ص ٩٦ وما بعدها خطأ هذا الكاتب المتسرّع في تخطئه غيره وهو المخطىء .

وكَمْ مِن عائِبٍ قولاً صَحِيحاً وآفَتُهُ مِنَ الفَهْمِ السَّقِيْمِ ! !

مناش : من العطور من بني عَمْرٍو

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : وبعد..

قرأت في مؤلفكم «معجم قبائل المملكة في الجزء الأول وفي حرف الجيم (جهم) وأن قبيلة جهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام وهم سبيع — والبذاذيل — ومناش — وقد أشرتم في المقدمة أنكم تُرحبون بكل وجهة نظر أو ملاحظة.

إنكم نقلتم عن بعض المراجع ومن هذه المراجع كتاب «نسب حرب ومعجم قبائل الحجاز» للأستاذ عاتق بن غيث البلادي. وبياناً للحقيقة والواقع أنَّ قبيلة مناش ليست من قبيلة جهم بل إنهم من العطور من بني عَمْرٍو، من حرب ولا تمتُّ إلى جهم بأيٍّ صلة.

وقد تقابلنا مع الأستاذ عاتق بن غيث أثناء صدور الطبعة الأولى عن نسب حرب وأفهمناه بالحقيقة وقد أفادنا بأنه لم يأخذ عن مشايخنا وكبارنا بل أخذ من قبائل أخرى. وقد نوه عن ذلك في الطبعة الثانية وستجدون ذلك في صفحة (٨٠) في ذيل الورقة (ان قبيلة مناش ليستْ من جهم وإنَّما هي من العطور من بني عمرو).

ومناش ينقسمون إلى (الفايزي وفيه الإمارة، الحسر، والمرابطة، والبلاهشة، والمساحلة، والمسهري.

وقريتهم المضيق بوادي الفرع.

وهذا ما أحببت بيانه أرجو نشره في الطبعات المقبلة لمعجم قبائل المملكة. والتنويه عند ذلك في مجلة «العرب».

متمنياً لكم لدوام الصحة والعافية..

فهيد محمد صالح الحاسري العمروي
المدينة المنورة — إدارة التعليم

نشأة إمارة آل رشيد :

كتاب يتصف بعمق الدراسة باستقصاء المراجع ، وبالتجرُّد إلا من الحرص على بلوغ الحقيقة واضحة ، وتلك ميزة المؤرخ المنصف كالدكتور عبدالله الصالح العُثيمين في كتابيه « الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره » وهذا الكتاب عن « نشأة إمارة آل رشيد » وليته كان شاملاً لكل ما يتعلق بهذه الإمارة التي تاريخها جزء من تاريخ هذه البلاد ، تامّاً أو ناقصاً .

وهذا الكتاب — بعد التقديم والتمهيد — يحوي من الفصول ستة :

١ — إمارة آل علي .

٢ — آل رشيد قبل إمارتهم .

٣ — تعيين عبدالله بن رشيد أميراً لجبل شَمَّر والنتائج المباشرة .

٤ — عوامل نجاح الأمير عبدالله ، ومصادر دخله ، ووجوه إنفاقه .

العرب : شكراً للأخ الكريم ، وعسى أن تخرج الطبعة الثانية من كتاب « معجم قبائل المملكة » وفيه هذا التصحيح .

وتأمل من جميع الإخوة أن يوضح كل واحد ما في هذا الكتاب من أخطاء حتى يمكن إصلاح ما يستطاع إصلاحه منها .

فالمصادر التي رجع إليها مؤلفه لم تكن على درجة قوية من الصحة ، والمؤلف نفسه ليس من سعة العلم بحيث يحيط بموضوع واسع هو موضوع الكتاب ، وصدق الله العظيم ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً﴾ .

٥ ــ الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في إمارة عبدالله .

٦ ــ علاقة عبدالله بالقوى المختلفة .

ثم المصادر ومنها ٢٤ مصدراً عربياً بين كتاب ووثيقة ، ومنها ما لم ينشر. و١٥ كتاباً بلغات غير عربية .

وجاء الكتاب في ١٣٠ صفحة ، مطبوعاً هذا العام (١٤٠١ هـ ــ ١٩٨١) بمطابع الشرق الأوسط في الرياض ، ومن منشورات (عمادة شؤون المكتبات في جامعة الرياض) .

☐ دورة مع الشمس :

قام الصديق الاستاذ عبد الكريم الجُهَيْمان في عام ١٣٩٧ برحلة إلى لندن ، فالولايات المتحدة الأمريكية ، ومنها عاد ماراً بجزر هاواي فاليابان فالصِّين الوطنية فجزر هنق كنق ، فالبحرين . وقد تحدث عن رحلته هذه إلى قراء جريدة «الجزيرة» (٢٥ المحرم إلى ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٩٧) .

ثم جمع الأحاديث في هذا الكتاب الذي صدر عن (الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون) هذا العام ، بعنوان «دورة مع الشمس» في ٣٢٨ صفحة ، بطباعة حسنة فيها بعض الصور ، بمطابع الفرزدق في الرياض ، بدون ذكر تاريخ الطبع .

والقارىء عند تصفحه هذا الكتاب لا يحسُّ بسأم أثناء المطالعة . فاللغة سهلة ، والموضوعات تكاد تكون مألوفة ، وما هو غير مألوف منها لقراء كتب الرحلات يكون مرور المؤلف به سريعاً لا يُجْهِد فكراً ، ولا يُمِلُّ قارئاً .

☐ تاريخ الخيول العربية :

وتقوم (وزارة الأعلام والثقافة) في (الجمهورية العربية اليمنية) بنشر بعض كتب التراث ، تحت عنوان (مشروع المئة كتاب) وكان أن رأيت اسم كتاب مما نشرته «تاريخ الخيول العربية» فحرصت على اقتنائه لعلي أجد فيه ما أُضيفه إلى مؤلفي «معجم خيل

العرب » فكرم الصديق الأستاذ إبراهيم الحضراني بإتحافي بنسخة منه ، ولكنني بعد أن تصفحته أحسست بخيبة أمل ، فاسم الكتاب لا يطابق مسماه الذي هو شرح أرجوزة في صفات الخيل وألوانها ، وما يحمد منها ويُذم .

وبصرف النظر عن موضوع الكتاب ، وعن قيمته العلمية ، وعن أسلوب مؤلفه ، فإن فيه مقطوعات شعرية ، وأخباراً عن أيام العرب ، لها مصادر معروفة ، ولكن محقق الكتاب لم يكلّف نفسه عناء تحقيقها فوقع التحريف كثيراً في نصوصه .

ومؤلف الكتاب هو السيد عبدالله بن حمزة (٦١٤هـ) نظم الأرجوزة ، وقام ابنه أحمد بنشرها .

على أن في آخر الكتاب ما يشعر بأن الشرح متأخر عن زمن أحمد بن عبدالله بن حمزة المتوفي سنة ٦٥٦ ــ على ما في «الأعلام» للزركلي .

فقد جاء في آخر الكتاب : (وكان الفراغ من رقمه يوم الاثنين ٢٣ شعبان سنة ٨٩٥ إلا إذا كان هذا تاريخ المخطوطة التي اتخذت أصلاً ، ومن قواعد نشر المخطوطات وصف النسخة ــ أو النسخ ــ التي اتخذت أصْلاً للنشر.

وهذا ما لم يتّبع في هذا الكتاب .

والطباعة حسنة ، ولم يذكر مكان الطبع ويظهر أنه في بيروت ، وتاريخه ١٩٧٩ م .

☐ **مسؤولية الشعوب الإسلامية :**

وكتاب « مسؤولية الشعوب الإسلامية ومستقبل هذه الأمة » ألفه الأستاذ عبد الكريم نيازي من مكة المكرمة ، وعالج فيه بعض قضايا الأمة الإسلامية .

ومن مباحث الكتاب :

الانفصام بين الفكر والسلوك في المسلم المعاصر.

ــ الصحافة كتاب أمة ــ من أبعاد اللعبة الإعلامية . صحوة المسلمين ــ الجزائر يغذيها الإسلام بروحانيته ــ حتى لا يحكم علينا التاريخ بالقصور .

وقد صدر الكتاب عن (دار الأندلس للنشر والتوزيع) وطبع سنة ١٤٠٠ هـ — ولا الدار ولا الطباعة ذكر مكانها.

والطباعة حسنة في ١١٢ صفحة من القطع الكامل.

□ كتب وآراء:

الدكتور محمد بن سعد بن حسين — أستاذ الأدب في كلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، من أنشط الأدباء في ميدان التأليف، والاهتمام بما ينشر من كتب الأدب بالكتابة عنها في الصحف أو التحدث في الإذاعة.

ومؤلفه الذي صدر حديثاً بعنوان «كتب وآراء» هو: (بُحُوثٌ أُذِيعَتْ من الإذاعة السعودية، ونشر بعضها في الصحف والمجلات السعودية).

والكتب التي تناولتها هذه البحوث هي:

— خواطر مصرحة — لمحمد حسن عواد.

— وَحْيُ الصحراء — لمحمد عبد المقصود وعبدالله بَلْخَيْر.

— الدرر السنية — جمع الشيخ سليمان بن سحمان.

— من كتب تراجم الشعراء — للساسي وابن ادريس والحقيل.

— روضة الأفكار — لابن غنام.

— عنوان المجد — لابن بشر.

— مدينة الرياض — لحمد الجاسر.

— احذر الأصدقاء — لمحمد السديري.

— الغزو الفكري — لعبدالله عبد الجبار.

— منحة القريب المجيب — لابن مُعَمَّر.

— الشعر الحديث في الحجاز — لعبد الرحيم أبو بكر.

ـ حمار حمزة شحاتة ـ لحمزة شحاتة .
ـ شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب ـ للحقيل .
ـ نوابغ علماء المسلمين ـ لعلي الدفاع .
ـ شعراء بني قشير ـ لعبد العزيز الفيصل .
ـ شعراء من أرض عبقر ـ لمحمد العبد الخطراوي .
ـ مسائل الهلال ـ لأبي عبد الرحمن بن عقيل .
ـ تاريخ مكة ـ لأحمد السباعي .
ـ الآلةُ تسرقني ـ لسليمان الحماد .
ـ امرأة تعبر تفكيري ـ لسليمان الحماد .
ـ العقوبات الشرعية ـ لمحمد الهويش .
ـ من مقالات حسين سرحان .
ـ الأطباق الطائرة .
ـ اليد السفلى .
ـ مشرد بلا خطيئة ـ الثلاثة للدكتور محمد عبده يماني .
ـ حاتم الطائي ـ لحسن بن هويمل .

أجل إنها ستة وعشرون كتاباً منها القديم ومنها الحديث ، ومنها القصة والرواية منها الدراسة ، ومنها التاريخ ـ كلها تناولتها مباحث هذا الكتاب الذي ختمه مؤلفه بقوله لِلْقَاريء : (لعلك استمتعت معنا برحلة عبر هذه الكتب التي عرضناها في هذا الجزء ، ولعلك في نظرتك أخذت في الاعتبار ما ذكرناه في المقدمة ، ولعل عملنا هذا حظي منك بشيء من الاعجاب والتقدير ، فإذا كان ذاك فإنَّا نحمدالله ، ونَعِدُك بلقاء جديدٍ ، في الكتاب الثاني ان شاء الله) .

أما ما ذكر في المقدمة ـ وكان ينبغي تقديمه لولا طوله ـ وخلاصته فيما ظهر لي ما

قاله له بعض أحبابه : (ان صنيعك هذا بما فيه من نقد بريء خال من المجاملة والمداراة ، خليق بأن يزيد ويكثر خصومك) إلى آخر ما هو في هذا المعنى .

وبعد فإنَّ القارىء لن يعدم جانباً من الاستمتاع باستعراض هذه الطائفة من الكتب المنوعة ، والتنويع من وسائل امتاع الفكر ، في هذا الكتاب الذي لم تتجاوز صفحاته ٢١٨ من الصفحات ، بطباعة حسنة ، وصدر هذا العام (١٤٠١ هـ) عن (مطابع اليمامة) في الرياض .

☐ تأملات بين الفكر والمجتمع :

وصدر عن (نادي الطائف الأدبي) كتاب «تَأَمُّلاتٌ بين الفكر والمجتمع» تأليف الأستاذ عبدالله بَوْقري — مدير إدارة المطبوعات بمكة المكرمة .

ويضم الكتاب بحوثاً منوعة في الأدب والنقد وفي النواحي الفكرية بصفة عامة ، ومن مباحثه : مارون عبُّود صاحب مدرسة أدبية — الأدب الشعبي في جزيرة العرب — فلسفة التاريخ عند (توينبي) — ما مصير الحياة بلا قيم مثالية — البسمة ليست من سمة الصداقة الحقة — (فرويد) مجموعة عقد — السعادة إحساس وتضحية — ونحو هذه المباحث .

ويقع الكتاب في ١٨٢ صفحة ، مطبوعاً بمطابع (شركة مكة للطباعة والنشر ، وصدر هذا العام (١٤٠١ هـ) .

☐ أبو الشمقمق :

هو شاعر عباسي ذو روح مرحة ، اتخذ منه الدكتور محمد بن سعد الشويعر موضوعاً لدراسة ممتعة صدرت في كتاب بعنوان : «من أدباء الفكاهة أبو الشَّمَقْمَقِ شاعر الفقر والسُّخرية» واستعان على هذه الدراسة بثلاثين مرجعاً من أمهات كتب الأدب والتاريخ .

والكتاب من منشورات (نادي الطائف الأدبي) لهذا العام (١٤٠١ هـ وهو في ٧٢ صفحة من القطع الكبير ، مطبوعاً بمطابع (دار الزايدي للطباعة) في الطائف .

الاشتراك السنوي
٤٨ ريالاً للأفراد و ١٠٠ ريال لغير الأفراد
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء : ٨ ريالات

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل هاتف ٤٠٢٢٩١٥
الرياض . المملكة العربية السعودية

ج ٧ و٨ س ١٦ محرم وصفر ١٤٠٢ — تشرين ، كانون (نوفمبر/ديسمبر) ١٩٨١

من ذِكرَيات الرحلات

— ٩ —

[أُعِيْدُ القولَ بأنَّ القارىء لا يجد فيا أكتبه عن الرحلات سوى أفكارٍ ضحلة ، لا تضيف جديداً إلى معلوماته ، وقد تصور له بعض أحاسيس الكاتب ونظراته الخاصّة ، في مرحلة من مراحل عمره قبل أربعين عاماً] .

أَحبَبْت القاهرة منذ أوّل وَهْلَة رأيتها ، فهي أول مدينة شاهدت كل ما فيها متغيراً عما ألفته من مناظر الصحراء ، إنها تبدو من حيث العمران من أجمل ما شاهَدَتْهُ عين إنسان ، ثم هي ذاتُ مياه جارية ، ومرابع تزدان بالخضرة والاتساع ، بحيث لا يحد ما البصر ، ثم هذا النهر العظيم الّذي يخترقها وتُطِلُّ على جوانبه بأبنيتها الشامخة .

وفضلاً عن كل ذلك فقد كانتْ موطنَ العلم والعلماء ، ومَهْوَى أفئِدة المثقفين من أبناء الأمة العربية في كل مكان .

كانت أول زيارة لها في سنة ١٣٥٨ سافرت إليها بحراً في إحدى بواخر (شركة البوستة الخديوية للملاحة) وكان لتلك الشركة باخرتان (الطائف) و(تالودي) تترددان بين السويس وجدة في كل أسبوع .

وكانت الرحلة في الباخرة (الطائف) ، والرفيق فيها أحد الإخوة المبعوثين من (مطبعة أم القرى) للتمرن على أمور الطباعة ، ويدعى (محمد سلطان) وأتذكر أنني رأيته قبل عام يعمل موظفاً في عمل لا صلة له بالطباعة .

وكان الركوب في الدرجة الثانية .

وقد وقفت بنا الباخرة في ميناء ينبع ، ثم في ميناء الوجه ، ثم في ميناء الطُّور في موضع يدعي (الشيخ أبو زَنِيْمَةَ) ثم في السويس ، والرحلة لم تزد على ثلاثة أيام .

ولا أزال أذكر أنني عند نزولي من الباخرة تَقَدَّمَتْ إليَّ عجوزٌ كانت من ركابها فقالت لي : إنَّ معي حاجة صغيرة ، أُريد منك أنْ تساعدني في حملها ، حتى نخرج من دائرة الرسوم (الجمرك) فقلت : هَاتِيها فأخرجت من داخل ثوبها قِطَّةً صغيرة ، كانت ربطتها بحبلٍ في رقبتها وربطت الحبل في ذراعها ــ أي العجوز ــ ففككت الْحَبْلَ ، وأرجعته لها وأَخَذْتُ القطةَ وكانتْ بحجم الْكَفِّ الصغير ، فوضعتها في جيب ثوبي ، وحملت حقيبتي بيدي ، وعند مروري بالموظف الذي يقوم بتفتيش الحقائب وكنت لابساً عباءة متينة (مشلح شمال) إذِ الجوُّ كان بارداً فرفع رأسه يسألني : هل معي شيء ؟ فأشرت إلى الحقيبة ولما انحنيت لفتحها يظهر أنني ضغطت على القُطَيْطَةِ فتأوَّهَتْ بِشِدَّة وماءتْ : (ناو .. ناو ! !) فالتفتَ الرجلُ إليَّ قائلاً : (إيْه يا شيخ العرب في بطنك قُطط) ؟! فأدخلتُ يدي في جيبي وأخرجت القطة وقلت : لا والله ليس في بطني ولكن في جيبي ، وها هي ، وتلك صاحبتها وأشرت إلى العجوز التي كانت ترقبني عند باب الخروج . فأخذها وقال : لا يسوغ إدخال الحيوانات إلَّا بعد عرضها على (الطب البيطريّ) .

كنتُ قدمتُ القاهرة لطلب العلم ، ولم تَبْعثِ المعارفُ تلك السنة سوايَ ، ولها بعثة في القاهرة ٦٣ طالباً وكان مراقبُ البعثات في ذلك العهد السيدَ وليُّ الدين أسعد ، من أول بعثة قدمت القاهرة هو والسيد أحمد العربي ومحمد نايل دوايدار ــ في سنة ١٣٤٧ هـ .

وكان مقرُّ البعثة في (الحلمية الجديدة) بقرب مسجد كان يتلو فيه القرآن في ذلك العهد الشيخ محمد رفعت ــ رحمه الله ــ على مقربة من (درب الجاميز) الذي تنتشر فيه المكتبات ذلك الزمان .

من عادة القادم إلى القاهرة تلك الأيام من خارج مصر ، الحضور في صبيحة اليوم الثاني من قدومه إلى أقرب مركز صحي للمكان الذي نزل فيه ، لإجراء الكشف الطبي ، فذهبت في الصباح أنا وصاحبي محمد سلطان مع بواب دار البعثة إلى المركز

الصحي ، وبعد جلوسنا برهة من الزمن وقف أمامنا رجل وقال : (من فيكم شنب الدين ومن هو دقن الدين) ؟! كنت قد تركت شعيرات لحيتي تنمو ، فظننت الرجل يسخر بي فصرخت في وجهه : (أتهزأ بلحيتي) ؟! فما كان من صاحبي إلا أن هبّ واقفاً وقال : أنا محمد سلطان شنب الدين ، فتراجعت قائلاً : لا مؤاخذة ما دام صاحبي شنبُ الدين فسمّني (دقن الدين) وانتهى الأمر بابتسامة من الجميع .

كنت أحمل كتاباً من مدير المعارف السيد محمد طاهر الدباغ لمراقب البعثات ، لكي يسعى لإدخَالي إحدى كليات الأزهر أو (دار العلوم) وما كنت راغباً في دخول واحدة منها ولكن المعارف وقد اطلعت على نتيجة دراستي القديمة وأنني متخرج في (قسم التخصص في القضاء) في (المعهد السعودي) أوضحت لي أنه لا يمكن ابتعاثي إلا لدخول إحدى الكليات المذكورة فوافقت ، غير أنني بعد وصولي إلى القاهرة أوضحت للمراقب رغبتي في دخول كلية الآداب فمانَعَ ، وبإلحاح مني أبرق للسيد طاهر ، فأجابه بأن أدخل أيّ كلية أرغبها وأُقبَلُ فيها .

وفي صباح يوم من الأيام ذهبت معه إلى كلية الآداب فقابلنا عميدها الأستاذ محمد شفيق عربال فقال : إنني حديث العهد بالعمل ، ويحسن استشارة الدكتور طه حسين في مسألة القبول وها هو عنوانه ورقم هاتفه .

وبعد الاتصال به حدد الزيارة الساعة الرابعة مساء ، وكان الاجتماع به في الوقت المحدد في منزله ، وكان في الزمالك ، ولماأوضح له السيد ولي الدين رغبتي في دخول كلية الآداب سأل كم عدد أعضاء البعثة السعودية فأجاب ٦٢ فقال اثنان وستون لا يدخل كلية الآداب سوى واحد ؟! فبدت من السيد هفوة إذ قال : وذلك بغير رغبتنا ، لأننا نريد طلاب علم في الدين واللغة . سألني طه حسين عما قرأته من كتب الأدب القديم والحديث فسردت عليه أسماء ما حضرني ومنها مؤلفات الرافعي ومن بينها كتاب (تحت راية القرآن) فابتسم ووجه الكلام إلى المراقب : من السهل جداً قبول الأخ . ثم أخرج بطاقته وقدمها للسيد قائلاً : يحسن أن تتصلوا بالأستاذ إبراهيم مصطفى في شارع المساحة رقم (٧) ورقم هاتفه كذا وكذا ، وأن تقدموا له هذه البطاقة وأنا سأتّصل به لأكلمه في الموضوع .

كان الأستاذ إبراهيم مصطفى ، قد زار الحجاز وشاهد آثار الطائف ، واحتُفي به ، وزار المعهد وعرف اتّجاه الدراسة فيه وهو من بيت (الفقيه) ابن عم للشيخ محمد عبد الظاهر أبو السمح إمام الحرم المكي في ذالك الحين ، فتوقعت منه من حسن الاستقبال خلاف ما وقع .

ذهبت مع المراقب صبيحة اليوم الثاني إلى كلية الآداب لمقابلة الأستاذ إبراهيم مصطفى ، وكان مدرساً فيها وهو صاحب كتاب «إحياء النحو» فقد حدد الزيارة في ذالك الوقت في الكلية لا في بيته ، فما كان رحمه الله عند الاستقبال بلطف العميد ولا الدكتور طه حسين ، كان أن بدأ في الكلام عن صعوبة الانتساب إلي كلية الآداب وأنه لا بد لمن رغب ذلك أن يكون على جانب كبير من معرفة علم النحو بحيث يكون درس الفية ابن مالك وشروحها لابن عقيل وابن هشام وغيرهما واسترسل في كلام مثبِّط لهمتي ، فمال المراقب إلى ما قال ، ولكنني قلت إنني مستعد للاختبار فوجدها فرصة يتخلص بها مِنّا فقال : إذن تَحْضُر بعد أسبوع صباحاً في هذا المكان ، لامتحانك في النحو والأدب والتاريخ ثم قدم لنا ورقة مطبوعة فيها جملة من المواد العامة في العلوم المذكورة .

لا أدري كيف جُزْتُ ذلك الامتحانَ بنجاح ، وإنما الذي أدريه أنّني بعد أيام من ابتداء الدراسة قَدِمَتْ بعثة كويتية هي أول بعثة قدمت إلى مصر للدراسة فقال لي أحد الأخوان : لنذهب لزيارة هؤلاء الإخوة ، وكانوا قد أُنْزلوا في رواق من الأروقة المخصصة لطلبة العلم في الأزهر ، على أساس دخولهم فيما يلائمهم من كلياته ، وفي أثناء الزيارة قلت لأحدهم ويدعى (يوسف مشاري) : لماذا لا يدخل أحد منكم في كلية الآداب ؟! فأبدى خوفه من عدم القبول فيها ، ولكنني قلت له : إنهم سيختبرونك اختباراً سهلاً وأنا واثق من أنك ستجتاز ذلك الاختبار ، فدعني أذهب معك إلى الأستاذ أحمد أمينَ وكان هو رئيس اللجنة التي تولت اختباريَ لقد أجاب الأخ بالموافقة ثم اجتاز الاختبار بنجاح .

ليس كل طلاب البعثة في بيت واحد ففيهم طلاب متزوجون يسكنون مع أهلهم ، وآخرون لهم أقارب سكنوا عندهم ، وفي دار البعثة طلاب يدرسون على حسابهم أذكر من بينهم اسماعيل ابن الشيخ عبدالله كاظم مدير البريد العام ، وحسن ابن الشيخ محمد سرور الصبان .

حـول نـوادر الهجـري :

(الدكاترة) : وَالْعَبَثُ بِالتُّراث !!

— ٢ —

١٦٤ — ص : ١٥٩ :—

مَبِيض فكَمْ منُ مَنْزِلٍ قد تَرَكْتُهُ   به رُبَعٌ رَخْصُ الْعِظَامِ جَهِيضُ

في مطبوعة صاحبنا : (من منزلة) و(جيهض) فكسر وزن البيت .

١٦٥ — ص : ١٥٩ :

جهيضٌ على عَرْضِ الفلاةِ رَمَتْ بَهِ   قلوصُ بأجْواز الفلاة نَهُوضُ

وفي المطبوعة : (جيهض) و(عوض) .

١٦٦ — ص : ١٥٩ :

وَأَلَّا يَغِيْبُ الدَّهْرَ بَعْلُ مَلِيْحَةٍ   مِنَ النَّاسِ إِلَّا اسْتَبْدَلَتْ بَعْدَهُ بَعْلَا

ومن طلاب البعثة في ذلك العهد الأساتذة عبدالله عبد الجبار وأحمد بن علي آل مبارك ، وأحمد جمال عبّاس ، وعبدالله الخيال ، وابراهيم السُّوَيِّل ، وعبدالله الملحوق ، وأحمد عبد الحميد الخطيب ، وأخوه فؤاد ، وسميح أحمد ، وسليمان بن محمد السليمان التركي وغيرهم ممن لا تحضرني أسماؤهم .

وكانت الأمور في الدار على درجة حسنةٍ من التنظيم ، من حيث النظافة والعناية بالأكل ، وكان الإشراف على العمل فيها يناط كل يوم بأحد الطلاب ، وكان الطالب يُخَيَّر بين أن يأكل في الدار ثلاث وجبات ، وبين أن تُدفع له عنها سبعة قروش ونصف ويأكل كما يريد ، فكنت أنا وبعض الإخوة نأخذ القروش فنصرف جزءاً منها في الأكل ، ونُوَفِّر كلَّ يوم نَحْوَ ثلاثةِ قروش .

(للحديث صلة)   حمد الجاسر

في المطبوعة : (بَعْدَ مَلِيْحَة) .

١٦٧ ص : ١٦ ـــ: (تَحْتَ صَلِيفَي العُنُق ، لَا عَظْمَ فيهما) .

في المطبوعة : (الأَعْظَم) .

١٦٨ ـــ ص : ١٦٠ :ـــ لا يُعَوِّلُ صاحبنا في تحديد المواضع إلا على أضعف المصادر ، وأكثرها أخطاءً ، وهو «مراصد الإطلاع» ولا يكلف نفسه عناء الرجوع إلى أصله «معجم البلدان» ولهذا نقل عنه في الموضوع أخطاء شنيعة ، ومنها قوله : مَرَّانُ : قرية بينها وبين مكة ١٨ ميلاً ، وهي قرية غَنَّاء ، وذكر الجزء والصفحة ـــ ومعروف أنَّ الاحالة إلى المعاجم ـــ المرتبة على حروف المعجم ـــ يكتفي بذكر الاسم أو الكلمة ، فيما وَرَدَ في موضعه ، وذكر رسم الكلمة أو الاسم فيما عدا ذالك .

ولعدم الاطمئنان إلى دِقَّة نقل (الدكتور) رَجَعْتُ إلى مَصْدَرِهِ فَوَجَدْتُ فيه : (مَرَّان : ـــ بالفتح والتشديد وآخره نون ـــ: على أَرْبع مراحل من مكة إلى البصرة . وقيل : بينه وبين مكة ثمانية عشر ميلاً . وقيل : قرية غَنَّاءُ كثيرةُ الْعُيُونِ والآبار والنَّخْلِ قيل : لبني هلال) .

وذكّرني فِعْلُ صاحِبِنا (الدكتور) الحمادي بموقف ياقوت صاحب «معجم البلدان» مع مَنْ رَغب اختصار كتابه وقوله : (واعلم أنَّ المختصر لكتاب كَمَنْ أقدم على خَلْقٍ سَوِيٍّ فقطع أطرافه) ثم إيراده كلام الجاحظ : (إنَّ المُصَنَّفَ كالمصَوِّر) ووصف ما يحدث في الصورة من تشويه عند حَذْفِ شَيْءٍ من سِمَاتِها .

وأخونا الحماديُّ تَرَكَ أول تَعْريفٍ أورده صاحب «المراصد» وهو أصح ما ذكر ، وأَوْرَدَ قَوْلاً ينطبق على (مَرّ) الوادي المعروف الآن باسم (وادي فاطمة) .

ومرَّان لا يزال معروفاً ـــ قرية ذات نخل وماء من عين ضعيفة ، والمسافة بينه وبين مكة أَرْبَع مراحل بسير الإبل ـــ لا ثمانية عشر ميلاً .

١٦٩ ـــ ص : ١٦١ :ـــ لم يورد المحقق حاشية في الأصل عن كلمة (الحِزْبان) الواردة في شعر ذي الرُّمَّة ونصها : (الحِزْبان : جمع حَزْباء ، وحَزَابي وحِزْبان) ،

وهي في الغالب كأكثر الحواشي — من كلام المجري ، وهو مِمَّن تؤخذ عنه اللغة .

١٧٠ — ص : ١٦٤ :—

لَحَى اللهُ نَجْداً كَيْفَ يُتْرِكُ ذَا النَّدَى بَخِيلاً ، وحرٌّ الْقَوْمُ تَحْسِبُهُ عَبْدَا

ورد هذا البيت في عمل صاحبنا بصورة من التحريف تحول دون إقامته .

١٧١ — ص : ١٦٤ :—

ونَجْداً إذا جادَتْ بِهِ رِهَمُ الْحَيَا رَأَيْتَ بِهِ المَكْنَانَ والنَّفَلَ الْجَعْدَا

صاحبنا لا يعرف المكْنَان والنَّفَل ، لأنه لم يشاهدْ رِيَاضَ نَجْدٍ حين يَجُودُها الْحَيَا ، فتَزْدَهِر وتزدان بأنواع النَّبات كالنَّفَل والرَّوْضِ والحرف والمكنان ، ولهذا أورد الاسمين مُصَحَّفَيْن : (المكتان) و(النقل) .

١٧٢ — ص : ١٦٥ :— وأنشدني لبعض بني ضِنَّة :

إحْدَى بني خُوَيْلِدِ بن جَعْفَرِ أَوْ مِنْ بني الحجَّاج أَهْل الأَبْوُرِ

ورد اسم ضِنَّة (ضَبَّة) بالباء مُصحَّفاً إذ بنو ضِنَّة من بني نُمَيْر ، وكذا بنو الحجَّاج المذكورون هنا . والأَبْوُر — لا (الأبر) كما في المطبوعة — من مياههم .

١٧٣ — ص : ١٦٥ :—

ترمي الجِمَارَ بِحَصىً مُقَصَّر

— لا مُقَعَّر — كما أورد صاحبنا . وقد شرح المجري كلمة مُقَصَّر بقوله : (لضعف يدها) .

١٧٤ — ص : ١٦٦ :— للمحقق أن يُبْدِي آراءهُ فيما يورده من نصوص المتقدمين ولكن لا يسوغ له أن يُغَيِّر تلك النصوص بالتَّقْدِيم أو التأخير في مواضعها كما فعل صاحبنا . فهو بعد أن أورد الرجز المتعلق ببني الحجاج ، اعترضته جُمْلَةٌ : (الحجاج وبَرَّة ابنا عبدالله بن الحارث بن نُمَيْر) . فحذف خبر هذه الجملة — ابْنا وما بعدها — وكتب في الحاشية : (وردتْ هذه الزيادة : ابنا عبدالله بن الحارث بن نُمَير — خطأ ،

وهي تابعة لرقم ٣٠٥) ما هذا العبث ؟ بل ما هذا الجَهْل المركّب ؟

١٧٥ — ص : ١٦٦ :—

فَثَمَّ إذَا مَرَّتْ سَمَاءٌ مَطِيْرَةٌ بِفِيْهَةِ بِرْكٍ جَاءَني سَبَلُ الْقَطْرِ

قرأها صاحبنا وأثبت (بفيهة بَوْل) في البيت وفي شرحه ، لأنه لا يَدْري ما هو بِرْك ، وأنه من أعظم الأودية التي تخترق عارض اليمامة — جبل طويق — .

١٧٦ — ص : ١٦٧ :— حبونن — تصحيف حبونن — ويعرف الآن باسم حُبُوْنا من أشهر أودية نَجْرَان ، وليس من أودية اليمامة — كما نقل صاحبنا عن مصدره الوحيد .

١٧٧ — ص : ١٦٨ :—

وأوْجِدَهْ مَسَّ الْجَرَاحِ وَطَعْمَهَا وريْحاً لَهَا في ظُلْمةِ اللَّيْلِ صافِيا

كلمة (ظلة) وحركان كثير من الكلمات في المطبوعة من الأخطاء .

١٧٨ — ص : ١٦٩ :— كلمة (علوان ويحلم) صوابها : (علوان ، وَيْحَكُمْ) .

١٧٩ — ١٧٠ — ليس شعر ميمون بن الحارث من بحر البسيط ، كما ذكر المحقق ، بل من بَحْر الكامل ، ومنه :

قُبْحاً لِحَاجِبِهِ الأَزَبِّ كَأَنَّهُ هُلْبُ اَسْتِ نَابٍ تَسْلَحُ الْقُلَّامَا

١٨٠ — ص ١٧٠ — وردت كلمة (الْقُلَّام) وهي اسم نبات معروف ترعاه الإبل ، في مطبوعة صاحبنا (الغلام) وشرحها شَرْحاً يتيح للقارىء شَيْئاً من الراحة من جفاف الموضوع قال لا فُضَّ فُوْهُ : (الغلام لم يرد هذا الجمع ، بل ورد الغلمة وغليم : الشديد الشهوة ، والغلام : الطارّ الشارب ، والجمع أغلمة وغلمان) انتهى الكلام على ايضاح سَلْح الناقة ! !

١٨١ — ص ١٧١ :—

ألا أيُّها السَّاري إلى بَيْتِ شَيْظم .

لا كما في المطبوعة : (على بيت شيظم) .

١٨٢ — ص ١٧٢ :—

فَلَوْلَا صَوَادٍ من جَزَالاء دُلَّحٌ وهُدْلُ الثُّرَيَّا ما وَجَدْنَا لَكُمْ ذَنْبا

أَوْرَدَ البيْتَ صاحِبُنا :

فَلَوْلَا سَوَادٌ من جَزالاء دُلَّحٌ

وغَفِلَ عما ذكر الهجريُّ قبله أنه في وصف نَخْلِ جَزَالاء ، وأن الصوادي هي النَّخْلُ الطِّوَالُ التي لا تشرب الماء ، واحدتها صادِيةَ . قال الشاعر :

بَـنَـاتَ بَنَاتِـهَا وبَـنَاتَ أُخْرَى صَوَادِي مَا صَدِيْنَ وَقَدْ رَوَيْنَا

والدُّلَّحُ — بالحاء المهملة — جمع دالِح : النخلة الْمُثْقَلَةُ بالْحَمْلِ .

وَجَزَالاءُ قريةٌ في الْعِرْضِ — عِرْض الْقُوَيْعِيَّةِ — لا تزال معروفة والأَبْيَاتُ التي قال عنها المحَقِّقُ أنَّه لم يَجِدْها في المصادر الأدبية أورد منها الهمدانيُّ بيْتَيْن في كتاب «صفة جزيرة العرب» — ص ٣١٠ من منشورات (دار اليمامة) في الكلام على جزالاء ، والهمدانيُّ مِمَّنِ اجتمع بالْهَجَرِيِّ في مكة ، في أول القرن الرابع الهِجْرِيّ .

١٨٣ — ص ١٧٤ :

تَـرْجُـمُ عِـنْـدَ عَـرَكِ الـلُّكَـاكِ
بِـمَـنْـكِـبٍ مَـا هَـمٌّ بِـانْـفِرَاكِ

غَيَّرَ صاحِبُنَا البَيْتَيْنِ هكذا :

تـرجـم عـنـد عـرك الـلـكـال
بمنـكـبٍ مـا هـمٌّ بـانـقـزال

وقال — لا فُضَّ فُوه — : (في أ — ب : بانفرال ، وهو تصحيف ، والقزل الصلابة ، وأرض قِزلة : سريعة السَّيْل إذا أصابها الغيث) . فأعجم البيتين ، وَعَمَّى معانيهما .

١٨٤ — ص : ١٤٧٤ : (والْعَضَدُ — أيْضاً — ضِخامُ الْغُصُونِ ، وما يَعْضُدُهُ

العاضِدُ مِمَّا جَلَّ ، يصلح لِلْعَالَةِ والخيمة) .

غَيَّر كلمة (جَلَّ) إلى (جَعَلَ) لأنه لا يفهم أن تلك الغصون الجليلة تُرْفَعُ وتسقف بها الْعَالَة ، وهي شبه الظلّة والخيمة ، تقوم على أغصانٍ قَوِيَّةٍ .

١٨٥ — ص : ٢١٧٧ —:

تَـدْفَـعُ أَيْـدِيـهَـا يـداً ثُـمَّ يَـدَا
لَعْـقَ الـلُّـبَـيْـنِـيِّ الْـهَـبِـيْـدَ الْمُعْقَدَا

أَوْرَدَ صاحِبُنَا كلمة (لعِق) محرفة كما في المخطوطة ، (لَعْلَق) . وفَسَّر (الهبيْدَ) بأنه الحنْظل ، وهذا تفسير خاطئ ، فالهبيد حَبُّ الحَنْظَلِ ، والذي يُلْعَقُ هو الْهَبِيد بعد معالجته بطرُقٍ تُزِيلُ عنه المَرَارَةَ ، ثم طحنه ، وطبخه حتى يختر كاللَّبنِ ، ثم يُلْعَقُ ، وقَدْ وَصَف أبو حَنِيفَةَ الدِّيْنَورِيُّ طريقةَ معالجة الْهَبِيد ، فيما وصل إلينا من كتابه «النبات» الذي نشره أحد المستشرقين .

١٨٦ — ص ١٧٨ :—

فلمَّا بَدَا الشَّوْرَانِ، شَوْرٌ به الرَّدَى   وشَـوْرٌ بِـهِ الْـقَـلْعانِ، كَرَّبنا جَبْرٌ

حذف صاحبنا كلمة (شور) الأولى ، فاختلَّ وَزْنُ البيتِ ومعناه .

١٨٧ — ص ١٨١ :—

تَـتَـابَـعُ أَرْسَـالاً كَـأَنَّ غُـبَـارَهَا   دُخَانُ الْغَضَا والنَّارُ طَلٌّ وَقُودُهَا

قَرَأَها (الدكتور) وكتبها : (يُتابِع) و(الْفَضَا) .

١٨٨ — ص ١٨٢ :—

ويَـجْنُبُه مُوسَى إلى مَتْنِ عِرْمِسٍ   يَـؤُمُّ بِـهِ الْـغَـوْلَـيْـنِ غَوْلَيْ مُتَالِعِ

لم يُدْرِك صاحبنا معنى (يجنُبه) فجعلها : (ويجبُنه) .

١٨٩ — ص ١٨٢ :—

نَظَرْتُ بِحِلَّيْتٍ إِلَى أُمِّ صِبْيَتي   تُرَقْرِقُ دَمْعَ الْعَيْنِ من شَهْوَةِ التَّمْرِ

كانت كلمة (التمر) في الأصل مكتوبةً خارج السَّطْرِ ، وهي إلى السطر الثاني أقرب ، فأورد صاحبنا البيت ناقصاً بدون قافيةٍ ، ووضع كلمة التَّمْر في غير موضعها هكذا : (حِلِّيتُ : جبلٌ بَيْنَ ضَرِيَّةَ والْحَزِيْز ، حَزِيْز رامَةَ ، يَخْرُجُ التَّمْر مِنَ الْحَزِيز ، ويَنْشَبُ حِمَى ضَرِيَّة) . والصواب : (يخرج من الحزيز ، وينشب في حِمَى ضَرِيَّة) .

١٩٠ — ص ١٨٣ —: (قال أحمر الرأس :

وَلَا فَأْرُ مِسْك رُضٌّ أَصْوَارُهُ رَضًّا

زَادَ صاحبنا كلمة (السبيعي) وحَذَف كلمة (رُضٌّ) . ورحم الله الأمانة في النقل ، والمحافظة على النصوص .

١٩١ — ص ١٨٣ :— (وسألته عن الأَدْهَمَيْن فقال : هُمَا حَزْمانِ أَسْفَلَ مِنَ الدَّثِينَةِ ، شَرْقِيًّا نَحْوَ بَرِيْدٍ ، وما أَشْبَهَهُ) .

لم يُدْرِكْ صاحبنا أنَّ البَرِيْدَ مقياس مُحَدَّدٌ للمسافات — كالفرسخ والْمِيْل — فكدَّ الذِّهْنَ حتَّى فَتَح الله عليه بما أسعفه به مصدره الوحِيْد «مراصد الاطلاع» فكتب : (بريدة — هكذا وَرَدَتْ — ماءٌ لبني حبينة (كذا) وهم ولد جعدة بن غنيٍّ) .

ولَنْ أُتحِفَ القارىء بشَيْءٍ من مثل هذه التعليقات الطريفة الظريفة التي تجلُّ عن أن تتسع لها صفحات صحيفة قليلة الصفحات .

١٩٢ — ص ١٨٤ :—

لِأُوْنِسَ من أَمْسَى الْجِرَار مَحَلَّهُ ومُسْتَأْنِسٌ عِنْدَ الْعَشِيَّةِ نَازِحُ

في المطبوعة (أمس) و(مَحلة) .

١٩٣ — ص : ١٨٥ :— وأنشدني لِعَطِيَّة بن الْمُلَيْح الأَرْطَوِيِّ ، في جَارٍ لَهُ عُقَيْلِيٍّ ، وخَانَ :

أَجَرْنَا الْعُقَيْلِيَّ الَّذِي جَاءَ خائِفاً فَخَانَ ، وعِنْدَ اللهِ عِلْمُ السَّرَائِرِ

لَمْ يُحْسِنْ صاحِبُنَا جملة (وَخَانَ) فَحَذَفَهَا

١٩٤ — ص : ١٨٦ :—

ولا تَيْأَسَا أَنْ يَجْمَعَ اللهُ هَجْمَةً مُبَرْثَنَةَ الأَلْحَى ، ونَهْدِيَّةً سُمْرَا

فيها البرثان ، وَسْمٌ ثلاثةُ أعْلَاطٍ هذه صفتها () في خَدِّ البَعِيْر ، سِمَةٌ لبني نَهْدٍ ، ولبني الحارث) .

الأَلْحَى — جمع لِحْي — ولكنَّ صاحبنا جعلها (الآحي) .

وقال في الهامش : (العِلَاط : وَسْمٌ يكون على عُنُق البعير — انظر « نظام الغريب » — ١٥٠) لأنه لم يفهم الأَلْحَى ، وأن ذلك الوسم يكون فوقها . ثم أضاف لا فُضَّ فُوه : (وقال الجاسر : الصواب : مثل بُرْثُنِ الطائر — « أبو علي الهجري » — ٣٧٨) .

لا أدري كَيْف غفل فذكر هنا اسم كتابِي الذي نقل عنه جُلَّ ما أتى به من معلومات صحيحة عن الهجري ، ولكنه أَغْفل ذكره وحرص على أن يتجاهله ، لا شكَّ أنَّ هذه الحاشية مما نَسِيَ الأخُ إزالة اسم الكتاب منها — كما أزاله من غيرها —

حَقًّا لقد عَلَّقْتُ على كلام الهجري في وَصْفِ البُرْثُن — البرثان — بذالك الكلام ورسمت فيه البرثن ، لأنَّ الرسم الموضوع في مخطوطة الأصْل ثلاثة خطوط مصفوفة ، وما هكذا البرثن ، ولا شكَّ أنَّ الخطأ من الناسخ الذي يخطىء في كثير من الكلمات . وقد ذكر علماء اللغة أنَّ البُرْثن سِمَةٌ للإبل ، كالبرثان بالكسر يكون على هيئة مخْلَبِ الأَسَدِ . وقال الأصمعي : البراثنُ من السِّباع والطَّير بمنزلة الأصابع من الإنسان . ولا يزال البُرْثُنُ معروفاً عند أهْلِ نَجْدٍ ، للطائر . وهو كما رَسَمْتُ () .

١٩٥ — صاحبنا إذا لم يُعْجِبْهُ النَّصُّ الواضِحُ في الأصْلِ غَيَّرَهُ ، ووضع غيره ، وأوضح ذالك ، على حَدِّ المثل النَّجْدِيِّ : (مِنْ زَيْنِهَا قُوَايَةُ عَيْنِهَا) ! وله على هذا أمثلة كثيرة — في ص ١٨٩ (الشيخ ملف) غيَّر الشيخ فجعلها (السيح) واتهم الأصل بالتصحيف .

و(قفز في عُلْمَانِهِ) ص ١٩٠ : (وقفز في غِلْمَانِهِ)

١٩٦ — ص ١٩١ :—

وقَدْ نَشِبَتْنِي غَشْيَةٌ مَا مَلَكْتُها وقَدْ مَرَّ عَصْرٌ وَهْيَ بِي ما تَجَلَّتِ

لم يحسن الأخ قراءة (مَرَّ) فجَعَلها (من وكتب) في الهامش : (في ب : مضى — تحريف) .

١٩٧ — ص : ١٩١ و١٩٢ — تكررت كلمة (هوذان) وهو هردان — بالراء بدل الواو — كما في ص ٢٢٤ — .

١٩٨ — ص : ١٩٢ :—

إذَا مَا ابْتَدَرْنَا مَغْنَماً فَحَوَيْتَهُ فَمَا هُوَ إلَّا أنَّ تَمَنَّى الأَمَانِيَا

جاء في المطبوعة (فَهَوَيْتَهُ) بالهاء بدل الحاء — وفرقٌ بين معنى الكلمتين .

١٩٩ — ص : ١٩٤ :— وأنشدني لأبي ثُمامَة يقولها لأخيه ، وتنازَعَا إمَارَةَ الفَلَج ، وهما منْ بني جَعْدَةَ :

وَدَاوَرْتَ بَعْدَ الأربعين تَخَشُّلِيْ وَقَدْ لَاحَ شَيْبٌ في الْمَفَارِق والطُّرُرْ

في المطبوعة : (وقد تنازعا) بزيادة (قد) و(الفللج) و(دابرت) و(الضرر) وكلها أخطاء .

٢٠٠ — ص : ١٩٥ :—

كأَنَّ أخِي وَرْقَاء إذْ يَطْرِدُوْنَهُ قَعُوْدٌ برجلَيْهِ الْحِدَاجَةُ نَاقِبُ

البيت من مقطوعة قافيتها (باء) ولكن الناسخ غيرها إلى (نافر) بالراء وقال في المحقق في الهامش : (هكذا ورد البيت) وحَسَناً فعَلَ . والناقِبُ الذي أصابَهُ النَّقَبُ وهو رِقَّةٌ الأخْفَافِ بحيث يؤلمه المشي في الأرض الجَلَدِ . وأنّى للمحقق أن يُدْرِكَ هذا .

٢٠١ — ص : ١٩٥ :—

فَإنَّ الْعَيْنَ يَوْمَ فِرَاضِ حَجْرٍ بِذَنْبٍ قَدْ عَلِمْتَ بِهِ تَرَاكِ

غَيَّر صاحِبُنَا كلمة (تراك) فجعلها (نواك) وفَسَّر فراض حَجْرٍ تفسيراً كعادته في الإغراب والإعجاب .

٢٠٢ — ص : ١٩٧ :—

وَأَشْرَفْتُ فِي عَيْطَاءَ مِنْ رَمْلِ قَرْقَرى   بَعِيْضٌ إِلَيْنَا سَهْلُهَا وجِبَالُها
لِأُونس مِنْ بُشْرَانَ رُكْناً كَأَنَّهُ   مِنَ الْبُخْتِ حُرْجُوجٌ عَلَيْهَا جِلَالُهَا

غَيَّر المُحقق كلمة (بغِيض) إلى كلمة (بفِيضٍ) في البيت الأول .

وغيَّر في البيت الثاني (مِنَ البُخْت) فجعلها : (من النُّجْب) .

٢٠٣ — ص : ١٩٨ :—

هَلْ يُرْجِعَنَّ لَكَ الصِّبَا فِي عَهْدِهِ   طُوْلُ العَضِيْضِ عَلَيْهِ بالْإِبْهَامِ

كلمة (العضيض) وردت في المطبوعة : (الغضيضَ) كذا .

٢٠٤ — ص : ١٩٩ :— (العُدَى جَمْعُ عُدْوَةِ الوادي) .

وزيادة الباء في المطبوعة (بالوادي) خطأ .

٢٠٥ — ص : ٢٠٠ :— (تَغَتَّمَ الْجَمَلُ : إذا امتنع من الخطم) وليس (يغتم) كما في المطبوعة .

٢٠٦ — ص : ٢٠٠ :—

إذا أَوْرَدُوْها بالْحِبَالِ تَشَمَّمَتْ   لَهَا حَرَبَاتٌ غَيْر خُرْسِ الجلاجل

كذا ورد البيت في الأصل . وقال المحقق إنه لم يجد للبيت ذِكْراً في المصادر المتوفرة . انتهى .

وَالْهَجَرِيُّ ذكر أنه لِمُليح الْهُذَلِيِّ ، وشِعْرُ مُلَيْحٍ منشور في كتاب «شرح أشعار الهُذَلِيِّين» من ص ٩٩٩ إلى ص ١٠٦٤ المحقِّقُ لم يُكَلِّفْ نفسَه عَنَاءَ النظر في هذا الكتاب ليجد البيت في القصيدة الرابعة بهذا النَّصِّ :

إذَا دَاوَرُوْهَا بِالْحِبَالِ تَشَمَّتَتْ   لَهُمْ حَرَبَاتٌ غَيْرَ خُرْسِ الْجَلَاجِلِ

— وشرحه هناك — ص ١٠٢١ — و(داوروها) أصح من (أوردوها) .

٢٠٧ — ص : ٢٠٠ :—

كأنَّهُ سيدُ غَضاً أزَلُّ

— بالزاي لا (أذل) بالذال .

٢٠٨ — ص : ٢٠١ :— (والتَّشَتُّمُ : أنْ يُرِيكَ خشونَةَ جانبه) لا : (يريد) كما في المطبوعة .

٢٠٩ — ص : ٢٠١ — : (ولا يكون الخِبَاطُ والْعِرَاضُ إلّا في الفَخِذِ ، فَالْخِبَاطُ في طول الْفَخِذِ ، والْعِرَاضُ ما عُرِضَ ، ويكون في السَّاقِ) . جملة : (فالْخِباطُ في طُوْلِ الفَخِذِ) ساقطة من المطبوعة .

٢١٠ — ص : ٢٠١ :—

يَا مَنْ لِمَنْشَا هَمَلٍ مُلْتَاحِ

في المطبوعة (لنشا) . وللمحقق تعليق مخجل على كلمة (الملتاح) لا يسوغ ذكره .

٢١١ — ص : ٢٠٢ :— وأنشد الأشجعي :

فَلَنِعْمَ مُعْتَرَكُ الحيِّ الجِيَاعِ إِذَا خَبَّ السَّفِيْرُ وسابِىءُ الْخَمْرِ

لا شكَّ أنَّ كلمة (الحيِّ) مقحمة في البيت ، وكان على المحقق حين أشار إلى ذلك أن يَنْسبه لقائله وهو زُهَيْر ، فهو في ديوانه ص ٨٨ —

٢١٢ — ص : ٢٠٢ :— نسب المحقق الرجز :

كَأَنَّ مَتْنَيَّ مِنَ النَّفِيِّ

لِلَاخْيَلِ الطائيِّ ، وأحال إلى «معجم الشعراء» والرجز ليس في هذا الكتاب ، بل في كتاب «المؤتلف والمختلف» .

٢١٣ — ص : ٢٠٣ :— (وهي عَرُوس ، فتأتي تُعينُني على السَّقي ، حتى يختلط طينُ السَّقْيِ ومَدَرُه بِخَلُوقِها) .

كلمة (على) سقطت من المطبوعة و(بخلوقها) صُحِّفَتْ (بخلوتها).

٢١٤ — ص : ٢٠٣ :— (لم يُخْطَم بَعْدُ ؛ هو مُحَرَّمٌ).

وليس (يُحَرَّم) كما في المطبوعة.

٢١٥ — ص : ٢٠٤ :— (حدثني أبو كَبِيْرٍ الرُّبِّيُّ ، من الرِّباب ، أحد بني عَدِيٍّ ، رَهْط ذِي الرُّمَّة).

أبو كبير هذا معاصرٌ للهجري — في القرن الثالث الهجري — ومن قبيلة الرِّباب من بني أُدّ بن طابخة بن الياس بن مُضر ، ولكنه سينقلب بقدرة قادر إلى رجل عاش في أول القرن الأول ، ويُصْبِحُ هُذَلِياً من هُذَيْل بن مُدْرِكة بن الياس بن مُضَر ، إنَّه الشاعر الهذلي المشهور ، كما حقَّق هذا العالم النِّحرير (الدكتور) يا لله من هذا الفَهْم ؟!

٢١٦ — ص : ٢٠٥ :—

تَـمَنَّيْتُ أُمَّ الْعَمْرِ حَتَّى رَأَيْتُها يُفَـلِّتْنَـها ، بَيْس الثوابِ يُثِيْبُ

في المطبوعة (أم العمرو) و(بغلتنها).

٢١٧ — ص ٢٠٦ :—

يا لَيْت أَحْمد غَاظَتْهُ فَطَلَّقَهَا وأَنْشَبَتْ شَهْرٌ في جِيْدِهِ الْوَهَقَا

في المطبوعة (أحمد ، في غاظته) بزيادة (في) فاختل الوزنُ والمعنى.

٢١٨ — ص : ٢٠٧ :— (الْجَرَّيْن : وادٍ بالرَّيْب حَرَلٌ ، أي ذو حِجَارَةٍ) كذا في المخطوطة وتحت الحاء علامة الاهمال ، وتحت الراء علامة تحقيقها . ورد في المطبوعة (حول) وقال المحقق) : في —ا— حرل ، وهو خطأ) . وكذا يقال عن (حول) وصواب الكلمة (جَرَلٌ) بالجيم والراء واللام — وهو المكان الصُّلْبُ الغليظ ، على ما في كتب اللغة.

٢١٩ — ص : ٢٠٨ :—

إنْ قُلْتُ أَسْلِفْني إلى أيَّامِ.

سقطت كلمة (إلى) من المطبوعة .

٢٢٠ — ص : ٢٠٩ : — (أي كُلَّما زِدْنَ في عَدَدِهِنَّ زادهُنَّ ذالكَ عندي كرامة) .

كلمة (أي) حَرِّفَتْ في المطبوعة إلى (واني) .

٢٢١ — ص : ٢٠٩ : — (وسألته عن الدِّخَال في شُرْب الإبل فقال : أن تَرِدَ إبلٌ ناهِلَةٌ على إبلٍ شارِعَةٍ فتدفعها وتشرع معها ، فكأنَّ الدِّخَالَ التَّزاحُمُ على الماء) .

حذف في المطبوعة كلمة (إبل) الثانية ، وغيّر (فكأن) إلى (وكان) .

٢٢٢ — ص : ٢٠٩ : —

إنْ رَوِيَتْ مِنْ عَــرَكٍ دِخَــالْ
أَجْلَيْـنَ عُـقْـرَ الْـحَوْضِ لِلْفِصَالْ

في المطبوعة (إذا) بدل (إن) و(غوال) بدل (عرك) ولام القافية مكسورة .

٢٢٣ — ص : ٢١٠ : — (أحد بني أوْسٍ ، يقولها لشملة) الخ لا كما في المطبوعة (أحد بني أوس الشملة) .

٢٢٤ — ص : ٢١٠ : —

أخْوَالُ شَـمْـلَةَ يَصْبَحُوْنَ عَدُوَّهم كَأْساً يُطِيْلُ بِهَا الْجَرِيْضَ الصَّادِرُ

لا كما في المطبوعة : (أحوال سلمة) .

٢٢٥ — ص : ٢١٠ : —

سُبْحَانَ مَنْ فَتَحَ الأَبْوَابَ عَنْكَ لَهُمْ ثُـمَّ ابْـتَلاكَ فَـلَـمْ يُـنْـقِـذْكَ دَيَّارُ

لا (الأبواب عندهم) كما وضع صاحبنا .

٢٢٦ — ص : ٢١١ : —

صَـدَعَ الـظَّـعَائِـنُ قَلْبَكَ المَشْغُوفَا بِلِوَى عُرَيْقَةَ ، إذْ أَرَدْنَ خفوفا

حذف (إذْ) كما في المطبوعة يغاير الأصل، ويكسر البيت.

٢٢٧ — ص: ٢١١ :— (وقال لِرَجُلٍ قَدْ حَفَزَهُ: مالك تنهَكُ، وقَدْ نُهِجَ).

صُحِّفَتْ (تُنْهج) و(نُهِج) في المطبوعة (تُبْهَجُ) و(بُهِجَ).

٢٢٨ — ص: ٢١٢ :—

فَمَنْ لِبُغَاةِ الْخَبَرِ بَعْدَ ابْنِ مُعْرِضٍ وَقَدْ مَلَّ عِيْسٌ سَيْرُهُنَّ وَجِيْفُ

في المطبوعة: (معوض) و(عيسى) تحريف.

٢٢٩ — ص: ٢١٣ :—

أَلْقِي خداجاً فَلَا إِتْمَامَ واحْتَسِبي حَوْضَي دَلَامِيْسَ واغْدِيْ أَيُّها النَّابُ

وقال: خَدَجَتِ النَاقَةُ: إِذَا بَانَ خَلْقُهُ، تطرحُهُ مثل الْيَرْبُوعِ لَا وَبَرَ عَلَيْهِ، ولا يكون بِهَا عليه لبن).

(١) حرف صاحبنا البيت هكذا:

ألقي خدا جافلا .. واغذي

(٢) شرح دلاميس — ولم يدرك أنه اسم موضع — شرحا لا صلة له بالكلام.

(٣) — وأسْوأ مما تقدم حذف شرح الخداج من كلمة (وقال) إلى (لبن).

٢٣٠ — ص: ٢١٣ :— (النِّيْرُ: عَلَمٌ مِنَ الأَعْلَامِ، ولَيْس نِيْرٌ غَيْرَهُ، وهو في وسط حِمَى ضَرِيَّة).

جُملة: (وليس نِيْرٌ غيره) حَرَّفَهَا أُخُونَا فَصَارَتْ: (وليس بشر) وحذف (غيره). وأراد — رعاه الله أن يأتي بشيء حول النِّير فاستْعان بمصْدَرِهِ — الذي لا يعرف غيره «مراصد الاطلاع» فأسعفه بما نَصُّهُ: (كما جاء في الشعر مُثَنَّى:

فما ذَكَرَتْهَا النَّفْسُ إِلَّا اسْتَخَفَّنِي إِلَى بَرْدِ مَاءِ النَّيْرَيْنِ حَنِيْنُ

لَقَدْ أوقعه مصدره في هُوَّةٍ، فكلمة (النيرين) في البيت ليست مُثَنَى (نِيْر) بل مثنّى

(نَيْرَب) قرية من قرى دِمشق ، لا تزال معروفة ، والبيت أورده ياقوت في «معجم البلدان» شاهداً عليها بهذا النص : وقد ذكرها أبو الْمُطَاع وَجِيهُ الدولة ابنُ حَمْدَانَ في شِعْرٍ له ، وسَمَّاهَا النَّيْرَبَيْنِ — بلفظ التثنية — فقال :

سَقَى اللهُ أَرْضَ الْغُوطَتَيْنِ ، وأَهْلَهَا فَلِي بِجَنُوبِ الغُوطَتَيْنِ شُجُونُ
فَمَا ذَكَرْتُهَا النَّفْسُ إِلَّا اسْتَخَفَّنِي إلى بَرْدِ ماءِ النَّيْرَبَيْنِ حَنِينُ
وَقَدْ كانَ شَكْيِ لِلْفِرَاقِ يَرُوعُنِي فَكَيْفَ يَكُونُ الْيَوْمَ ، وهو يَقِينُ

٢٣١ — ص : ٢١٤ :—

إذَا جادَ فِيهَا كَوْكَبٌ شَجِيَتْ بِهِ مَذَانِبُهَا مِنْ رَهْمَةٍ جادَ كَوْكَبُ

لا (جاء فيها) — كما في المطبوعة .

٢٣٢ — ص : ٢١٤ :—

أَتَتْنَا بِرَيَّاهَا جنوبٌ مُطِلَّةٌ مَعَ الليْلِ تُزْجِيهَا هَذَالِيلُ نُغَّبُ

حرف كلمة (هذاليل) إلى (حواليك) ولم يستطع قراءة شرحها في الهامش : (هذاليل : ضعيفة) فحذفها ، كما حذف شرح كلمة (مُطِلَّة) أي (بَحْرِيَّةٌ) .

٢٣٣ — ص : ٢١٥ :—

سَبَتْهُ فَلَمْ يَشْهَدْ خُصُوماً وَلَمْ يُتِحْ إِلَى شُعَبِ الْكِيْرانِ حُدْباً عَوَانِيَا

حَرَّفَ في البيتَ (الكيران حدبا) الكيزان : جدباً) .

٢٣٤ — ص : ٢٢٣ :—

وَإِنْ أَمْرَعَتْ قُرْيَانُ نَجْدٍ ونَوَّرَتْ مِنَ الْبَقْلِ لَمْ أَنْظُرْ بِعَيْنَيَّ في نَجْدِ

القُرْيَانُ : جمع قَرِيٍّ : وهي مسايل ماء المطر إلى الرياض ، ولا تزال معروفة عند أهْلِ نَجْدٍ ، وأنَّى لصاحبنا أن يعرفها ، ولهذا فقد جعلها (قربان) وفتح النون .

٢٣٥ — ص : ٢٢٤ :— (وأنشدني البطَّالُ بن معاوية ، أحدُ بَنِي مالك بن سلمة ، وتشوَّق إلى الرَّيْب وهو بِمِصر) .

حَرَّفَ أخونا : (وأنشدني) إلى (وأنشد في البطال) .

وحذف جملة : (وهو بمصر) وكتب في الهامش : (في أ ـــ ب : إلى الريب ، بمصر ، وأعتقد هذا من خطإ النسَّاخ ، إذْ لمْ أجِدْ للريب ذِكراً من مصر ، في المصادر المتوفرة لدينا) !!

يا أخانا أضعف الناس فهماً يدرك أن جملة (وهو بمصر) تعود إلى المتشوق ، وَهَبَ أنَّك لم تُدْرِك هذا فهل يسوغ لك حذف كل كلام لا تفهمه ؟! ليتك فعلت هذا في جميع كلام الهجريِّ فأرَحْتَ واسْتَرَحْتَ .

٢٣٦ ـــ ص : ٢٢٤ :ـــ

لا يَسْتَوِي سَابِقٌ في بَيْتِ مَكْرُمَةٍ وأَبْـغُـلٌ في رِبَـاطِ نَـخْـوَرِيَّاتِ

فَسَّر أخونا الأبغل النخوريات بأنها (الحمير) ؟! إذْ لم يستطع قراءة التفسير الذي في هامش الأصل : (صحيحات) .

٢٣٧ ـــ ص : ٢٢٥ :ـــ

فَتىً لا يَرَى خذْلَانَ جَارِهِ رِفْعَةً إذا بَـلَـغَـتْ نَفْسُ الجَبَانِ التَّرَاقِيَا

لم تعجب صاحبنا كلمة (جاره) فوصم الأصل بالتحريف ، وغيرها فجاءت في مطبوعته (جارَيْهِ) .

٢٣٨ ـــ ص : ٢٢٥ :ـــ

وكُنْتُ كَذِيْ نَبْلٍ جِيَادٍ رَمَى بِهَا فَلَمْ يُبْقِ إلَّا في الْجفِيْرِ التَّوَالِيَا

قرأ صاحبنا (نبل) : (نيل) وفَسَّر الجفير ـــ الذي هو جعبة سهام النَّبْلِ تَفْسيراً قد يُخَفِّف من سأم القارىء ، فاذا قال ـــ أفاده الله :ـــ (جُفَير تصغير جَفَر : قرية بالبحرين لبني عامر) وإن لم تُصَدِّقهُ فانظر «المراصد» وسيهديك إلى الجزء والصفحة (٣٣٨/١) !!

٢٣٩ ـــ ص : ٢٢٥ :ـــ

كَفَى حَزَناً أنِّي إذَا جِئْتُ لَا أَرَى على ثُـلَـلِ الأَطْوَاءِ إلَّا الْـمـوَالِيَا

لم يحسن صاحبنا قراءة (ثلل) فظنها (تلك) ونسبها إلى الأصل ، ثم غيرها بكلمة (تكلم) بعد أن حكم بتحريف ما في الأصل.

٢٤٠ — ص : ٢٢٥ :—

جُمَالِيَّةٌ لَوْ يُجْعَلُ السَّيْفُ غَرْضَهَا   عَلَى حَدِّهِ لاسْتَكْبَرَتْ أَنْ تَضَوَّرَا

غيَّر صاحبنا آخر البيت ، فجعله (لاستكبرته تَضَوَّرا) وقال عن كلمة (لاستكبرت) تحريف في الأصل.

٢٤١ — ص : ٢٢٧ :— (البياض بين يبرين واليمامة ، بِسَايِفِ الرَّمْلِ).

قرأ صاحبنا (يبرين) : (هرير) وفسره قائلاً : (الهرير : موضع كانت فيه وقعة بين بكر بن وائل ، وبين بني تميم ، سُمِّيَتْ يوم الهرير) ثم ذكر المصدر العتيد.

ويَبْرين منطقة ذات رمال عظيمة لا تزال معروفة ، ويحلو لبعض الجهال تقليد الافرنج بتسميتها (جبرين).

٢٤٢ — ص : ٢٣٧ :—

بَنِـي كِلابٍ أَبَـادَ اللهُ غَـابِرَكُـمْ   إِنْ لَـمْ يَـكُـنْ لِنُمَيْرٍ مِنْكُمُ يَوْمُ

لم تعجب أخونا كلمة (يوم) فجعلها (يوم [ي]) كذا وكتب في الهامش : (في — أ — ب — فراغ ، ولعل الفراغ مقدار حرف الياء لو قلنا : (منكم يومي) لاستقام البيت) !!

لا فَرَاغ ، والبيت مستقيم.

٢٤٣ — ص : ٢٢٨ :—

أنا الأَعْـنَقُ ابْنُ الباهِلِيَّةِ ارْتَدِي   حَمَائِلَ عَضْبٍ لَمْ تُفَلَّلْ مَضَارِبُه

حرَّف صاحبُنَا البيت فجعله : (إِذْ تَدِي كمائل عضب) وأتى بتفسير لتحريفه مضحك — وليس المقامُ مقامَ ضحِكٍ —

أما كلمة (إرتدي) فقد كتب فوقها في هامش الأصل : (بِجَرِّ الألف) وهو يقصد لهجة — معروفة — جرّ أول الفعل المضارع —

(للحديث صلة)   حمد الجاسر

— ٢٣ —

رحلات القطبي من مكة إلى المدينة

[ومما يتعلق برحلات الحج — من حيث وصف طريقه وذكر سكانه — رحلات زيارة المسجد النبوي الشريف ، ومن أقدم ما اطلعت عليه مُفَصَّلاً ما كتبه قطب الدين المكي الحنفي . وهو ما رأيت إلحاقه بما سبق نشره في مجلة « العرب » .

وآخر حلقة نشرت كانت في السنة الرابعة عشرة (ص ٥٢١) وهو ملخص رحلة السيد إدريس بن عبد الهادي العلوي المتوفى سنة ١٣٣١ — أنظر عنه الرحلة التونسية، ج٣ ص ١٦٥] .

تُعتَبَر كُتُبُ الرِّحْلَات لتَنَوُّعِ مَبَاحِثِها وأساليبها من أَمْتعِ الكتب ، وأكثَرِهَا استِهوَاءً لِلقُرَّاء .

ولعلماء الحجاز وأدبائه رِحْلاتٌ لم تَنَلْ حَظَّها مِنَ الدراسَةِ ، ومن تلك الرحلات :

١ — «رحلة الشتاء والصيف» :

للسيد محمد بن عبدالله الحسني المدني (١٠١٢/ ١٠٧٠) المعروف بالسيد كِبْرِيت .

وصف فيها رحلته من المدينة إلى اصطنبول .

وهي منشورة منذ زمن .

٢ — «تحفة الأدباء وسلوة الغرباء» :

للشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري المدني (١٠٥٦/ ١٠٨٣ هـ) .

وقد تحدثت عنها في مجلة « العرب »[١] وصف بها ما شاهده حين زار البلاد التركية ، مارًّا ببلاد الشام ، وعائداً بطريق مصر إلى المدينة المنورة .

ونشرتها (وزارة الثقافة والإعلام) العراقية — في ثلاثة أجزاء ، بتحقيق الدكتور رجاء محمود السامرّائي ، وصدر الجزء الأخير منها في الحلقة الـ(٨٧) من سلسلة كتب التراث — عام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

٣ — «نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس» :

للعباس بن علي بن نور الدين الحسني المكي المتوفي في حدود سنة ١١٨٠ هـ .

وقد تجوّل في اليمن والعراق وفارس ، وزار نَجْداً ووصف مشاهداته ، وملأ رحلته بمباحث أدبية وأشعاراً وأخباراً لا صلة لها بموضوع الرحلة . ومع ذالك فهي على جانب كبير من الامتاع .

وقد نشرتْ مرّتين — في جُزْءيْن —

٤ — «الرِّحْلة الحجازية» :

مؤلفها محمد بن سليم المخزومي الينبعي ثم المدني —

ذكر أن أُسرته انتقلت من قرية (السُّوَيْق) من بلاد ينبع النَّخل إلى المدينة المنورة ، وقد سَجّل في رحلته التي ابتدأها من المدينة في ١٥ شوال سنة ١٣٠٦ هـ — سَجّل مشاهداته في مصر والمغرب وأوربا حيث بلغ (لندر) كما زار اليمن .

ومعلوماته ضحلة ، ولكنها لا تخلو من فائدة(٢) .

وقد طبعت هذه الرحلة في الاسكندرية سنة ١٣١٧ —

٥ — «الرحلة اليمانية» :

للشريف شرف البركاتي ، وصف فيها رحلة الشريف الحسين بن علي حين غزا الإدريسي وبلاد عسير في الثلث الأول من القرن الماضي .

ومع كثرة ما فيها من الأوهام المتعلقة بأنساب القبائل ، إلّا أنها تفيد المعنيين بدراسة الرحلات .

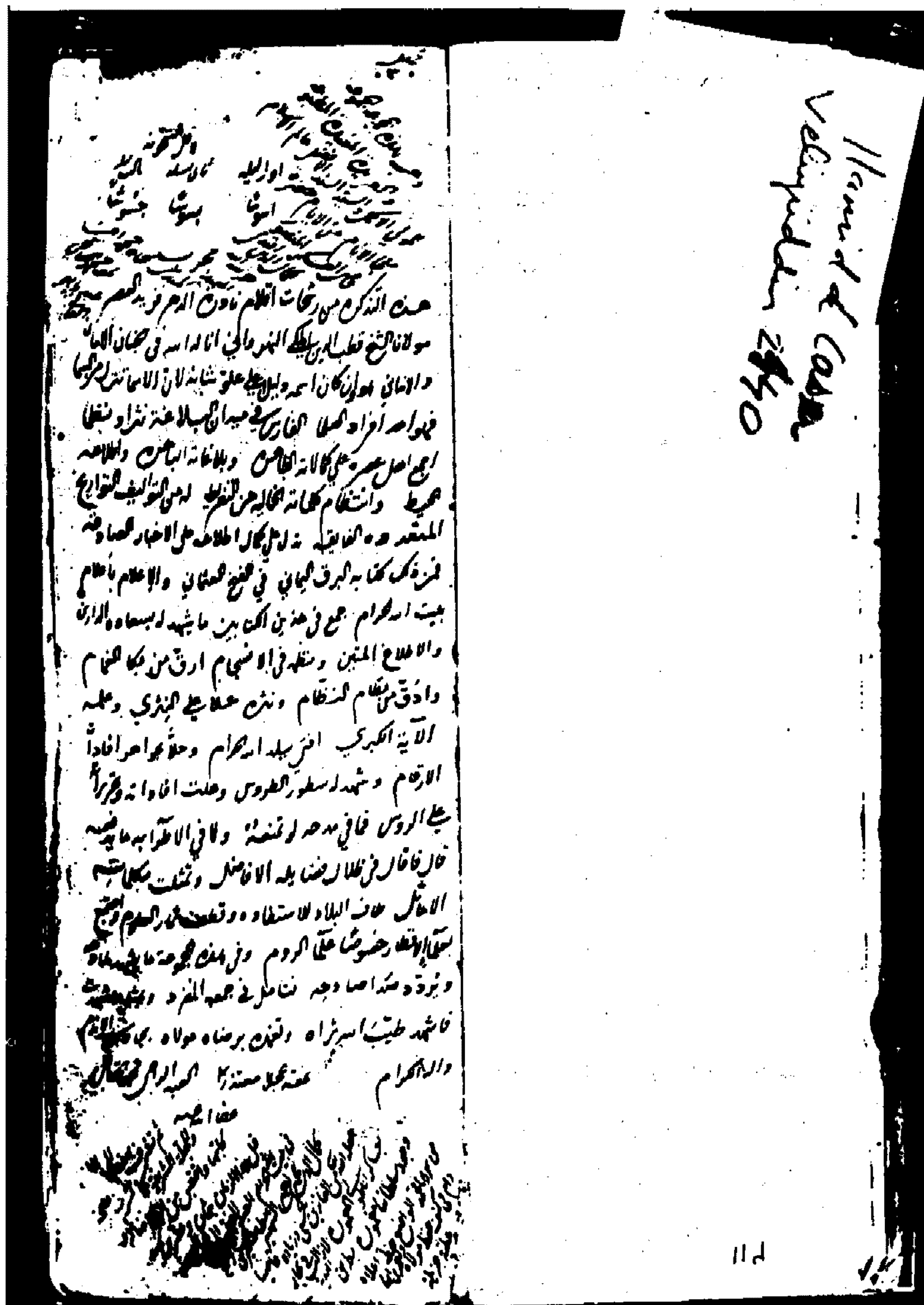
٦ — «الفوائد السَّنِيَّة في الرحلة المدنيَّة والرومية» :

هذه الرِّحلة أقدم من الرحلات التي تقدم ذكرها . ومؤلفها هو مؤرخ مكة المعروف بالقطبي النهروالي الهندي ثم المكي ، وقد انتقل أحد أجداده من زبِيْد من اليمن إلى نَهْرَوالَةَ ، في الهِنْد .

ولقد تحدَّثت — بإسهاب — عن صاحب هذه الرحلة الشيخ محمد بن أحمد النهروالي ثم المكي ، المعروف بقطب الدين الحنفي المولود سنة ٩١٧ في مدينة لاهور — في الهند ، المتوفي سنة ٩٩٠ بمكة المكرمة ، تحدثتُ عنه في مقدمة كتابه «البرق اليماني في الفتح العثماني» .(٣)

وذكرتُ من بين مؤلفاته (التذكرة) وهذه الكلمة تعني عند المتقدمين الكتاب الذي يدون فيه العالم أو الأديب ما يحتاج إلى تسجيله للاستفادة والرجوع إليه .

وتذكرة القطبي موجودة بخطٍّ يده ، دفترٌ كبيرٌ ، كان يسجِّلُ فيه ما يريد تسجيله بدون ترتيب ، وقد فقد منه أثناء رحلته إلى (اصطنبول) وكان يسجّل فيه أخبار تلك الرحلة ، فتأثر لفقده ، ولكنَّ (بايزيد) بن السلطان سليمان القانوني بعث من يبحث عنه حتى وجده ، وأعاده إلى الشيخ ، وقال في كلامه حين سار من قرية (قَرَه أَيوك) التي مرَّ بها في يوم الخميس ثاني جمادى الآخرة سنة ٩٦٥ إلى (اصطنبول) — عن ضياع الدفتر : (وقعت الجنته(٤) المعلقة في السَّرج ، وفيها الدواة والقلم وهذا الدفتر ، ولا ندري كيف وَقَعَتْ ، وتألَّمْتُ لذالك ، لأن الدَّفْتَر كان فيه ذكر المراحل والمنازل ، وما لاَقَيْتُهُ ، وما صرفته ، فأرسلتُ مكتوباً إلى السلطان بايزيد ، مع أحد الاسباهِيَّة(٥) ، الذين أرسلهم معنا ، وأمرت برجوعه إلى السلطان بايزيد ، والفحص عن الجنته ، فعاد ، فلما وصل إليه المكتوب جمع كبار أهل القرى التي هناك ، وأمرهم بالفحص عن الجنتة كما هي ، مِنْ كُلٍّ بُدٌّ ، فتوجهوا يسألون عنها ، فوجدوها عند امرأة ، فأتوْا بها إليه ، فأحسن إليها ، ورأى الدفتر ، وبعض مسودات ، فطالع فيها ، وأعادها إلى الجنتة ، ووضع الكُلَّ في كيس ، ومَهَرَ عليه ، وسلَّمه الاسباهي ، فعاد إلينا ، وأدركنا في (اصطنبول) انتهى .



طرة تذكرة القطبي

وقد ذكرت ما يحويه ذالك الدفتر، في مقدمة كتاب «البرق اليماني». وأكتفي الآن بالحديث عن رحلته التي سَمَّاها: «الفوائد السَّنِيَّة، في الرحلة المدنية والرومية».

إنها تقع في قسمين: الأول في وصف رحلاته إلى المدينة المنورة، وهي سَبْعُ رحلات، سَجَّل منها أخبار خَمْسٍ، وأشار إلى اثنتين إحداهما حين رحل إلى المدينة مع والِدَيْه سنة سبع وثلاثين وتسع مئة، وهو في سنِّ العشرين، وهي أُوْلَى رحلاته إلى المدينة، ولم يكتب عنها في كتاب رحلته شيئاً، ولكنه ذكرها في الكلام على بَدْرٍ، وأنه سمع فيه في تلك الرحلة ما يزعم أنه صوت طَبْلٍ.

والرحلة الثانية ذكرها في سنة ٩٦٥ — وترك بياضاً لوصفها، فلم يَفْعل وخمس الرحلات التي سَجَّل وصفها هي:

١ — الرحلة الأولى سنة ٩٥٩.

٢ — الرحلة الثانية سنة ٩٦٤.

٣ — الرحلة الثالثة سنة ٩٧١.

٤ — الرحلة الرابعة سنة ٩٧٦.

٥ — الرحلة الخامسة سنة ٩٨٠.

وهو يصف المنازل في الذَّهاب والإياب، وحديثه عن مُشاهداته في المدينة مُقْتَضَبٌ، ويذكر أطرافاً مما يتعلق بالمنازل وسُكَّانِها، ولهذا فوصفه لمنازل الطريق بين مكة والمدينة يُفِيْدُ المعنيين بالدراسات الجغرافية، وخاصَّة ما طرأ على أسماء المواضع من تغيير، كما يفيد المهتمين بما يتعلق بأحوال البادية فيما بين الحرمين.

وهذا من أهم البواعث على نَشْر تلك الرحلات، كما سَجَّلها كاتِبُها باستثناء بعض الانطباعات الخاصَّةِ بالمؤلف. إذ من المعروف أنه عاش في عَصْرٍ طَغَى فيه الجمود الفكريُّ على العالم الإسلاميّ طُغْياناً أثَّر في العقول آثاراً سيِّئَةً، من حَيْث النظرة إلى تعاليم الدِّين الحنيف، فقد أُدْخِلَتْ في تلك التَّعاليم أنواع من الْبِدَع والخرافات، بل تَعَدَّى الأمر إلى الجهل بحقيقة الدِّين الصحيح. بحيث انطبق مدلول الحديث الشريف.

«بَدَأَ الإسلامُ غريباً، وَسَيَعُودُ غريباً كما بَدَأَ» فَبُنِيَتْ القباب على القُبُوْر، واسْتُغَاث

الْجُهَّالُ بالأموات ، وجاراهم بعضُ من يتسبُ إلى العلم ، وجاءت السلطنة التركية — وأغلَبُ قادتها غريبون عن معرفة حقيقة الإسلام — فكانَتْ أقوى دعامة لانتشار البدع والخرافات في البلاد الإسلاميّة .

ولهذا قَلَّ أنْ تَجد مؤلّفاً لعالم عاش في ذالك العصر — القرن العاشر الهجري — خالياً مما ابْتُلِي به أَهْل ذالك العصر إلَّا من رحم ربُّكَ .

وكانت الأمانة العلمية تُحتِّم عَدَم التَّصَرُّفِ بنصوص العلماء عند نشرها — وتوجب إبقاءها على ما هي عليه لكي تُصَوِّرَ حياة صاحبها تَصْوِيراً تاماً ، وهذه إحدى عِبَر التاريخ ، وكما رُوِي عن الصحابي الجليل حُذيفة بن اليمان : كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن الخير ، وكنْتُ أسأله عن الشرِّ ، مخافة أن أَقَعَ فيه .

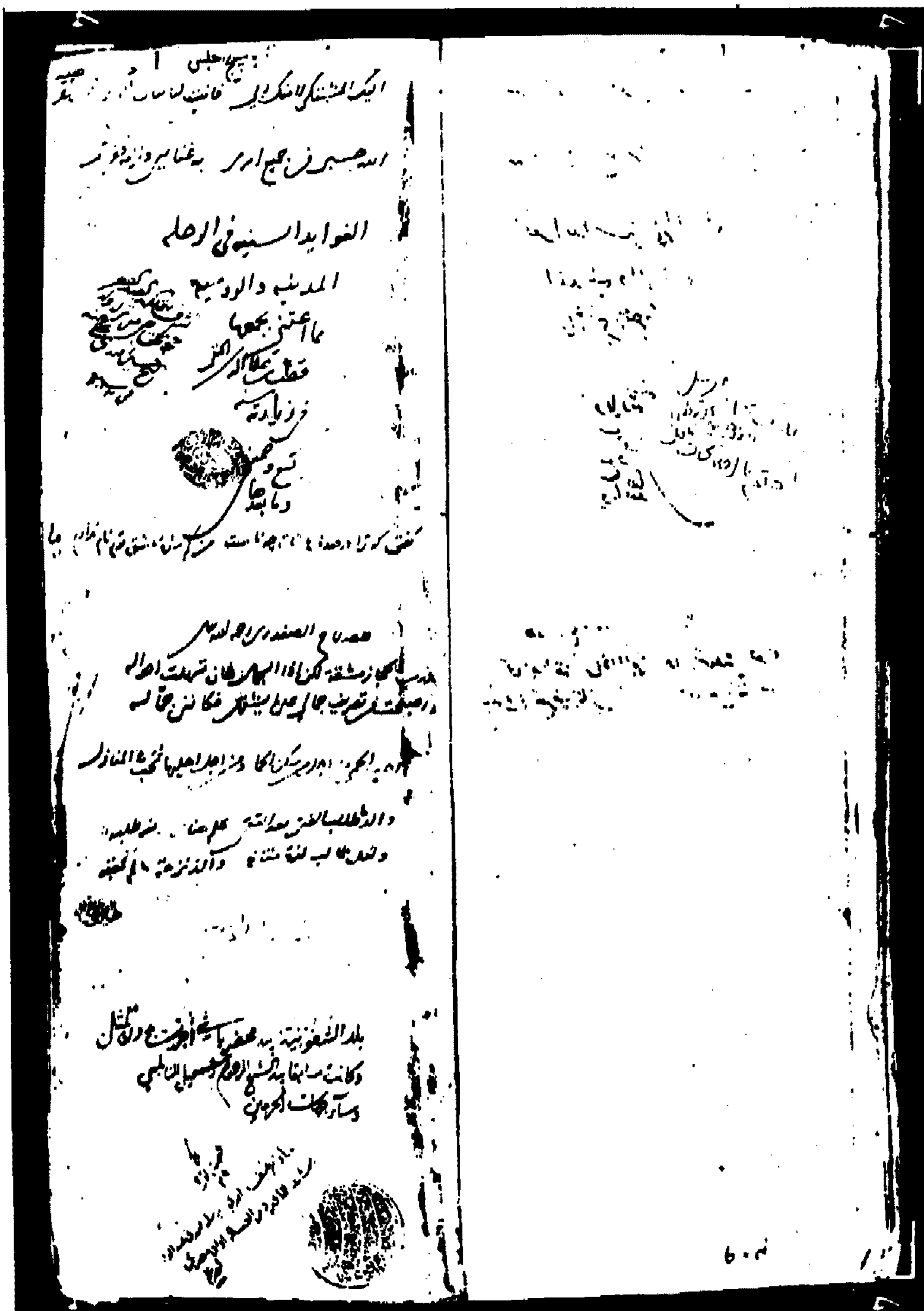
ولكن صدور كثير من القُرَّاء لا تَتَّسِعُ لقراءةِ ما يخالفُ معتَقَدَاتِهِم ، ومشائخنا — رحمهم الله — كانوا يحذروننا عن قراءة كتب أهل الضَّلَال ، ويحاولون — ما استَطَاعوا — حَجْبَها — وكان ذالك سَهْلاً قبل انتشار وسائل النشر ، وتنوُّعها من مطابع وآلات تصوير وتسجيل ، بحيث في مستطاع أيِّ قارىء كان أن يطلع على أيِّ كتاب في أية بقعة من بقاع الأرض بأقلِّ جُهْدٍ ، وفي أقْصَرِ وقْتٍ .

وإذَنْ فإنَّ الطريقة المُثْلَى نحو هذه الكتب التي تحوي من الآراء ما يخالف معتقداتنا الصحيحة هي إيضاح ما يُبْطِلُ تلك الآراء بالحِجَج والأدِلَّة المعقولة .

وهذه هي طريقة السلف الصالح فهم يُوردون كلام مخالفيهم كامِلاً ثم يُبيِّنُونَ أَوْجُهَ فساده ، بطريقة مُفَصَّلة .

أما مُحَاولَة إخفائها بعدم نشرها فهي لا تعدو طريقة النَّعامة التي تخفي عينَيْها بَيْن رجلَيْها حين تبصر الصيَّاد ، وتظن أنَّ عدم رؤيتها إياه يكفي في اتِّقاء شرِّه .

ويُؤسفني حقاً أنه ليس من المستطاع الآن — إذا أردنا الاستفادة مما وصل إلينا من تراث العصور المظلمة في تاريخنا — إلَّا بعدم نشر ما لا تتسع لقبوله طائفة من القُرَّاء .
وهذا ما دفعني مُضْطَرًّا لِحَذْفِ طائفة من أقوال صاحب الرحلات ، وأكثرها لا صلة له


الفوايد السنية في الرحلة
المدنية والرومية

(٢)

بالنَّاحيَّة التي دفعت إلى نشر تلك الرحلات ، بل تتصل بأشعار وجُمَلٍ طغَتْ عاطفة المؤلف في التعبير حتى تجاوز الحَدَّ ، إمَّا في مدح المصطفى عليه الصلاة والسلام في بعض الأشعار ، وإما في الاسترسال عند ذكر زيارة مسجده الكريم بكلمات خارجة عما روي عن السلف الصالح فيما يتعلق بالزيارة . وقد أشرت إلى ما حَذَفْتُ .

وأما ما عدا ذالك فما أوردته هو نَصٌّ ما كتبه المؤلف في مسودته التي يظهر أن كثيراً مما كتب فيها لم يُعِد فيه النظر ، فوقعت فيه هفوات يسيرة .

وهناك كلمات لم تَّتضح في النسخة المصورة ، فوضعت الكلمة المقاربة لها وبعدها علامة استفهام (؟) .

كما وضعت العناوين بين مربَّعين [ ] إشارة إلى أنَّ ما بينهما ليس في الأصل .

والمخطوطة تقع في دفتر مستطيل نحو ذراع طولاً في عرض يزيد على الشِّبر ، وكل ما فيه بخط القطبي — الخط الفارسيّ الجميل — وفي كثير من الصفحات بياض ، وفي هوامش بعضها إضافات .

ويظهر أنه بقي في حوزة المؤلف حتى توفي ، ولعل مما يدل على ذلك إنني لم أَرَ لرحلة القطبي إلى البلاد الرومية (التركية) ذكراً في كتب من جاء بعده من الرحالين ، كالخياريّ والنابلسي والسيد كبريت ، مع أنَّ هذا الأخير قال عن القطبي : (وله تذكرة جامعة) — «رحلة الشتاء والصيف» ص ٥١٢ — الطبعة الثانية — والتذكرة هي مما يحويه ذلك الدفتر ، ومنه كتاب «الفوائد السَّنِيَّة ، في الرحلة المدنيَّة والرُّوميَّة» .

وتناقلته الأيدي — كما يظهر مما هو مكتوب في طرته حتى استَقرَّ في إحدى مكتبات (اصطنبول) ولعلها (المكتبة السليمانية) .

ويظهر أن المؤلف لم يخرجه من المسودة ، وأنَّ ذالك الدفتر آل إلى (حسين القطبي) إذ في طرته : (يا رب ... اختم بالصالحات عمل الفقير حسين القطبي) وفيها : (تشرف بتملكه العبد الفقير محمد الخفاجي ، من تركه ولد الشيخ حسين أفندي ، عفي عنه في سنة ١٠٠٣) .

[الرحلة الأولى] :

اللهم لا سهل إلّا ما جعلته سهلاً

ابتدأ السفر المبارك إلى المدينة الشريفة ليلة الاثنين بعد العشا تاسع شهر ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وتسع مئة .

وأصبنا في وادي مَرّ ، وأقمنا به يوم الاثنين وليلة الثلاثاء .

وسبب الإقامة تأخُّر بعض القافلة إلى الغد .

ووقع لنا في طريق الوادي أنَّ الجمَّالين لما ناموا في الطريق جاء بعض السُّرّاق إلى جمل الزاملة وشقَّ الخَيْش وأخذ بعض الدقيق والرزّ وأفاويه الطعام ، ونحو ذلك ، من بَعض الجزئيَّات ، وهذا علامة القبول إنشاء الله تعالى .

وكان الرحيل المبارك أول وقت الظهر يوم الثلاثاء عاشر ربيع الآخر ، وكانت القافلة المباركة نحو ستين جملاً ، وكان الجَمَّال من زبيد المستزاد ، فتبع الحراميَّة ، وقَصَّ أثرهم ، ووقع عليهم ، واستردَّ جميع ما أخذوه من الحوائج ، وجآء بها بعد أن وقع بينه وبينهم مقارعة بالسيوف وجَرَحَ واحِداً من الحراميَّة ، وكانوا من زُبَيْدٍ وكفى الله تعالى شرهم .

المرحلة الثانية : طرف البَرْقَا :

وصلنا إليها مع صلاة المغرب ، وكان السُّوْق حثيثا ، وأقمنا بها إلى أنْ تعشَّينا ، ورحلنا قُبَيْل ثلث الليل .

المرحلة الثالثة عُسْفَان :

وصلنا إليها صبحاً ، وأدركنا صلاة الفجر بها .

وسُرِق في ما قُبَيْل هذه المرحلة بَطَّة(٦) سمْن لبعض الأعجام ، من أهل القافلة ، وأقمنا في عُسْفَان إلى الظهر .

ووجدنا به البطيخ والغنم واللبَنَ والخبزْ ، ورحلنا بعد صلاة الظهر .

المرحلة الرابعة أبو مراغ :

وصلنا إليه ما بين العصر والمغرب ، وكانت مرحلة قريبةً هنيَّةً ، وبِتنا بها إلى نصف الليل ورحلنا .

المرحلة الخامسة خليص :

وصلنا إليه صُبْحاً ، وصلينا به الصبح ، ووجدنا به الْعَيْنَ جاريةً على وجه الأرض ، والْبركَة فيها قليل ماء ، ووجدنا به الغنم واللبن وطيور القطا .

وذهبت في قبيل هذه المرحلة بَطَّة سمن لبعض أصحابنا .

وجاء زُبَيْدُ ذوي رومي [٩] وأخذوا من القافلة بعض الجبا [٧] وهو على كل جمل مَحْزوم ليس بزاد ، يسمى بينهم عضْم أربعة محلقة ، ومنهم من أخذ ثلاثة محلَّقة [٨] ونصف على كل جمل عُضْم ، وليس على الشقادف ولا على الزوامل الهالكة شيء .

وهذا الجبل يختص بذوي رومي ، وبلادهم من خُلَيص إلى رابغ ، ومشايخهم الآن داهس بن شهاون بن مالك بن رومي ومزبّن بن مزهر بن مقرّب بن رومي .

ولهم صَرٌّ محمول مع أمير الحاج سبع مئة أشْرَفي كل عام .

وذكروا أنهم كان لهم جبًا على الشقاذف في هذا المكان ، وأنَّ السيد الشريف نصره الله تعالى اشتراه منهم بأربع مئة دينار ، يعطيها لهم كل سنة ، في مقابل تركهم الجبا من الشقاذف .

ورحلنا من خُلَيص ظهر يوم الخميس ، ووصلنا إلى الْعَقَبَة قُبيل العصر ، وهي عقبة ذات رملٍ كثير ناعم ، يغوص فيه رِجْلُ الجمل ، وأَخَذْنا عن يمينا ، وذكر بعضُ الجمَّالين أنه يعرف عن جانب الشمال طريقاً سهلاً غطَّاه الرملُ الآن .

ويعلو هذه العقبة وأسفلها آثارُ بناء رَضم حجارة ، يظهر أنه كان عن اليمين جدار مستطيل ، وعن الشمال جدارٌ مثله ، وكان الطريق بينهما ، وأنَّ الرمل غلبَ على الطريق بحيث أخفَاه .

بسم الله الرحمن الرحيم   اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا

ابتدأنا السفر المبارك إلى المدينة الشريفة ليلة الاثنين بعد
العشاء تاسع شهر ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وتسعمائة
وأصبحنا في وادي مر وأقمنا به يوم الاثنين وليلة الثلاثاء
وسبب الإقامة تأخر بعض القافلة إلى الغد ووقع لنا
في طريق الوادي أن الجمالين لما تأخروا في الطريق جاء
بعض السراق إلى جلب الزاملة وشق الخيش وأخذ
بعض الدقيق والرز وأفاوية الطعام ونحو ذلك
من بعض الخزينات وهذا علامة القبول إن شاء الله تعالى
وكان الرحيل المبارك أول وقت الظهر يوم الثلاثاء
عاشر ربيع الآخر وكانت القافلة المباركة نحو ستين جملا
وكان الخارج [illegible] زبيد المستزاد فتبع الحرامية وقصد [illegible]
ووقع عليهم واسترد جميع ما أخذوه من الحوائج وجاء
بها بعد أن وقع بينه وبينهم مقارعة بالسيوف وجرح
واحدا من الحرامية وكانوا من زبيد وكفى الله تعالى شرهم

المرحلة الثانية طرف البرقا وصلنا
إليها مع صلاة المغرب وكان السوق هنيئا وأقمنا
بها إلى أن تعشينا ورحلنا قبيل ثلث الليل

المرحلة الثالثة عسفان وصلنا إليها
صبحا وأدركنا صلاة الفجر بها وسرق في ما قبيل هذه
المرحلة [illegible] من بعض الأعجام من أهل القافلة
وأقمنا في عسفان إلى الظهر ووجدنا به البطيخ والغنم
واللبن وأكثر [illegible] ورحلنا بعد صلاة الظهر

المرحلة الرابعة أبو مراغ وصلنا إليه
ما بين العصر والمغرب وكانت مرحلة قريبة
هينة وبتنا بها إلى نصف الليل ورحلنا

المرحلة الخامسة خليص وصلنا إليه
صبحا وصلينا به الصبح ووجدنا به العين جارية
[illegible] الأرض والبركة فيها قليل ووجدنا
به الغنم واللبن وطيور للقطا وذهبت في
قبيل هذه المرحلة [illegible] من لبعض أصحابنا
[illegible] من [illegible] فلم نعرف الجبا

وهو على كل حمل محزون ليس يزاد [illegible] أربع [illegible]
[illegible] ونصف على كل [illegible] وليس على الشقاء [illegible]
ولا على الزوامل إلا الكسر وهذا الجبا [illegible] بلادي الأول
وبلادهم من خليص إلى رابغ [illegible] واصل شهادتي
بني مالك بن [illegible] بن مذحر بن [illegible]
ولهم [illegible] مع أمير الحاج [illegible] في كل عام
وذكروا أنهم كان لهم جبا على الشقاء في هذا الحجاز
وأن السيد الشريف [illegible]
[illegible] يعطيها لهم كل سنة في مقابل تركهم الجبا
من الشقادف [illegible] من خليص ظهر يوم الخميس [illegible]
[illegible] العقبة قبيل العصر وهي عقبة ذات رمل كثير
[illegible] فيه رجل الجمل وأخذ [illegible] يمينا وذكر بعض الجمالين
أنه يعرف عن جانب الشمال طريقا سهلا غطاه الرمل الآن
[illegible] العقبة وأسفلها [illegible]
يظهر أنه كان عن اليمين جدار مستطيل وعن الشمال
جدار مثله وكان الطريق بينهما وأن الرمل غلب على
الطريق بحيث أخفاه ورأيت به حجرا مكتوبا [illegible]
صورته بعد البسملة أمر أمير المؤمنين بعمارة هذا الطريق
[illegible]
[illegible]
المرحلة [illegible]
[illegible] وصلنا إلى المغرب [illegible]
[illegible] بعد العشاء [illegible]
[illegible]
المرحلة [illegible]
الذي [illegible] وصلنا إليها [illegible]
[illegible] في الطريق دون المنزل ولما كادت الشمس أن تشرق
[illegible] وصلنا به [illegible] قليل [illegible]
[illegible] إلى الغدا [illegible]
وصلينا الظهر ورحلنا

المرحلة [illegible] وصلنا إليها بعد العصر قبل المغرب [illegible] إلى
نصف الليل ورحلنا ومررنا في طريقنا على [illegible]
[illegible] الشطبي [illegible] على موضع [illegible]

ورأيتُ به حجراً مكتوباً بالكوفي صورته بعد البسملة : (أمَرَ أمير المؤمنين بعمارة هذا الطريق) وانطمست الكتابه فيما بعد ذلك .

ومشينا إلى المغرب وحملنا من خُليص من الماء ما يكفي أربعة مراحل ، وحصل .

المرحلة السادسة : خَلَق :

بفتح الخاء المعجمة واللام آخرها قاف ـــ وصلنا إليها وأنخنا وتعشّيْنا ورحلنا بعد العشاء بنحو خمسة عشر ساعة الليلة ، ومررنا على يميننا ونحو سائرون إلى المدينة على موضع يقال لع العشاش به حفائر ماء .

المرحلة السابعة في خَبْتِ كُلَيَّة :

ويسمى الموضع الذي نزلنا به (أبو جُعَيْدَة) وصلنا إليه صُبحاً ، وصلّينا الفجر في الطريق دون المنزل ، ولما كادت الشمس أنْ تُشْرِق أنَخْنَا ، وحصل لنا به بعضُ رشاشٍ قليل من المطر ، وأقمنا به إلى الغدا .

وهذا اليوم يوم الجمعة ثالث عشر الشهر ، وصلينا الظهر ورحلنا .

المرحلة الثامنة موضع يقال له الغايضة :

وصلنا إليها بعد العصر قبل المغرب ، وأقمنا بها إلى نصف الليل .

ورحلنا ومررنا في طريقنا على موضع يقال له الشطيرة ، ثم على موضع يقال له أم العظام لكثرة ما بها من عظام جمال الحاج ، وهي وَهْدَةٌ كبيرة يجتمع فيها ماءُ المطر ، ويقيم نحو شهرٍ غالباً ، في أيام الأمطار والربيع ويردها عربانُ هذه الناحية .

وسرقت بهذه الرحلة بَطّةٌ لبعض أهْلِ القافلة .

المرحلة التاسعة رابغ :

وهو كثبان[١٠] رمل بقرب البحر المالح ، به حفائر ماءٍ إلى العذوبة أقربُ ، يوجد به السمك الطريُّ واللبن والغنم وعلف الجمال .

وأهل هذا المكان طائفتان من موالي ذوي رومي ، طائفة يقال لهم (ذوي روايا) ، وشيخهم الآن جايز بن زايد ، ولهم جَبَا القافلة ، يأخذون على كل حمل عُصْم مُحَلَّقَيْن كبار ، وطائفة أخرى يقال لهم (ذوي جمّاع) وشيخهم الآن بلول ، وله ولد يقال له مطرف ، وهم سرقة هذا الوادي ، وحدُّهم إلى موضع يقال له وَدَّان ، وليس لهذه الطايفة الثانية شيءٌ من الْجَبَا ، ولا جَبَا إلَّا على الْعُصْم .

وصلنا إلى هذه المرحلة عند شروق الشمس يوم السبت رابع عشر الشهر وتَغَدَّينا بها ، وأقمنا إلى بُعَيْد الظهر ، وحملنا ماء ثلاثة أيام ورحلنا .

المرحلة العاشرة موضع يقال له رحاب :

وصلنا إليه بُعَيْدَ المغرب ، وأنَخْنَا ، وتعشينا ونمنا ، إلى أقل من نصف الليل ورحلنا .

وعَسَّ فيه الحراميّةُ على القافلة وسلَّم اللهُ تعالى .

المرحلة الحادية عشر مستورة :

وهي نصف الطريق من مكة إلى المدينة في عرف الجمالين ، لتقليْب الأحمال ونحو ذالك وبها آبار فيها مآء مالح ، يشرب للضروة ، وصلنا إليه شروق الشمس ، وأقمنا إلى الظهر ، ورحلنا بُعَيْده .

وعن يمين هذا الطريق في محاذاة مستورة بنحو مرحلة كبيرة موضع يقال له الْخُرَيبَة ، بها آبار ومزارع ، وبها طائفة من العرب يقال لهم (ذوي محمد) و(ذوي عَمْرو) يجتمعون نحو ألف حَرْبةٍ .

المرحلة الثانية عشر : موضع يقال له الطيارة :

من الخبت الكبير الذي يقال له خَبْت الْبَزْوَة[١١] .

وصلنا إليها مغرب ليلة الإثنين ، وأقمنا بها إلى قبيل نصف الليل ، ورحلنا وعلى يميننا جبال صُبْحٍ ، وهم طايفة عربان عصاة يقاربون ألف حربة وشيخهم يقال له القحم

الآن ، وهو شيخ بني علي منهم وأما شيخ بني أيوب منهم فشخص يقال له فطيس (؟) .

المرحلة الثالثة عشر موضع يقال له الْغَيقا :

بفتح الغين المعجمة ، وسكون آخر الحروف(١٢) والقاف :ـــ برِّيةٌ فَيْحَاء ، يُرى منها البحر المالح ، وصلنا إليها صبحا وصلينا الصبح بها يوم الإثنين ، وأقمنا إلى الظهر ، ورحلنا بُعَيْد الظهر .

المرحلة الرابعة عشر موضع يقال له الجدر :

وصلنا إليه عند المغرب ليلة الثلاثا ، وبتنا إلى نصف الليل ورحلنا .

المرحلة الخامسة عشر : بَدْر :

وصلنا إليه صُبْحاً ، وصلينا به صلاة الصبح ، وبه طايفة من زُبَيْد ، يقال لهم المزداد ، له جَبَا القافلة ، يأخذون على كل شُقْدُفٍ خمسة مُحَلَّقةٍ ، وعلى الجمال العُصْم ثلاثة محلقَّة وعثماني ، وعلى الشبْرِيَّة ثلاثة محلَّقة ، ولهم خارج عن هذا جميعه عثماني على المحطَّة إلا أنَّهم يكادون يغْشمون ، ويأخذون أكْثَرَ من هذا ، وليس لهم على الزمل شَيْء .

وأقمنا بِبَدْرٍ ذلك اليوم جميعه ، وليلة الأربعا ويوم الأربعا إلى الظهر وصلينا الظهر ورحلنا .

المرحلة السادسة عشر الصَّفْرا :

وهي نخيل كثيرة ، وبيوت في سفح جبال ، وعيون وابار ، وصلنا إليها عند غروب الشمس ليلة الخميس ، وبتنا إلى الصبح ، ثم أقمنا إلى الظهر ورحلنا .

وفي هذا الموضع طايفة من الأشراف الزيدية يأخذون الْجَبَا على القوافل ، ويحرسون القافلة ، ولهم على كل شُقدف ثلاثة محلَّقة ، وعلى الشِّبريَّة مُحَلَّقَينِ (؟) وشيخهم الآن يقال له السيد حسن بن هيازع .

المرحلة السابعة عشر الْخَيْف :

وصلنا إليه قبل غروب الشمس .

والخيف عبارة عن نخيل كثيرة ، وعيون وآبار ، ومساكن وبيوت ، بتنا فيه إلى الصبح ليلة الجمعة ، وأقمنا إلى الظهر ورحلنا .

وهذا الخيف يقال له خَيْفُ بني عَمْرٍو ، وهم طائفة يقاربون ألف رجل ، يرمون بالسِّهام ، وأكثر مُتسبِّبون في البيع والشرا ، معرفون بالثروة بين عربان تلك البلاد ، وأخْصامهم المراوحة ، وشيخهم يقال له حسن بن ناجي ، وشيخ المراوحة زَبْن بن جبار .

المرحلة الثامنة عشر النَّازِيَّة :

وصلنا إليها المغرب ، ليلة السبت الحادية والعشرين من ربيع الآخر ، وتعشَّينا ، وأقمنا إلى بُعَيْد العشا ، ورحلنا ومن هذه يكون الخوف غالِباً في الطريق إلى المدينة .

المرحلة التاسعة عشر الشّعب :

وصلنا إليه عند شروق الشمس ، وكانت رحلة كبيرةً ، وبه ماءٌ عذبٌ في شِعْبٍ بين جبلين ، على اليمين ، للذاهب إلى المدينة ، وهذه المواضع كلها من الرِّيْع الذي عند الْخَيْف إلى الشَّرفَةِ وقبور الشُّهَدَاء دَرك المراوحة وهم نحو الفين وخمس مئة .

ورحلنا بعد صلاة الظهر .

المرحلة العشرون الفريش :

وصلنا إليها قبل غروب الشمس ، بعد أن مررنا على قبور الشهدا ، وأقمنا إلى صلاة العشا ثم ارتحلنا .

المرحلة الحادية والعشرون المُفَرِح :

وصلنا إليه صبح يوم الأحد الثاني والعشرين من ربيع الآخر ، وهو جُبَيْلٌ يرى منه

بعضُ خضرة نخيل المدينة على بعد ، وللجمالين عادة في هذا الموضع ، يأخذون البشارة مِمَّن تكون أول زيارته هذه الزيارة ، ويعطيهم كلُّ أحَدٍ بحسب ما يسمح له .

ولم يكن معنا ماء فلم ننزل هنا ، واستمرينا إلى قريب الضُّحَى ، ونزلنا على آبار عَليٍّ بقرب المدينة الشريفة ضحوة النهار ، وتَغَذَّينا ، ورحلنا .

[في المدينة المنورة] :

ووصلنا إلى المدينة الشريفة بين صلاة الظهر والعصر يوم الأحد الثاني والعشرين من ربيع الآخر والحمدلله وصلى الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه .

وأقمت بالمدينة الشريفة وتزوجت بالْحُرَّة فاطمة بنت مُلَّا فَخْرِ الدين اللَّارِي الأنصاري ، وحملت ووضعت البنت العزيزة صالحة ، في الليلة الحادية عشر من ربيع الأول سنة ستين وتسع مئة .

ثم زَوَّجتها من الشاب الصالح إبراهيم بن القاضي أحمد المالكي المدني في مُسْتَهَلِّ محرم الحرام سنة ٩٧٤ وفق الله تعالى بينهما في خير وعافية .

ثم ولدت صالحة بنتاً صالحةً ــ إن شاء الله تعالى ــ سَمَّيْتها[١٣] ولَقَّبْتُها أم المهدي ، ومولدها سابع شهر رجب سنة خمس وتسعين وتسع مئة .

ثم ولدت بنتاً أُخرى في يوم الأحد المبارك ثامن عشري شوال سنة ست وسبعين وتسع مئة ، سَمَّيْنَاها قَطْر النَّدَى .

[منامات ، ورُؤًى] :

رأيتُ قبيل الضُّحى يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى سنة سنة تسع وخمسين بالمدينة الشريفة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وقد غفوت كأنّي بالمسجد الشريف النبوي وأنا قائم تجاه وجه النبي صلى الله عليه وسلم (... ... ...) فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد خرج من حجرته الشريفة ، فوقف أمامي عند الشباك الشريف ، وهو في صورة رجل إلى الطُّولِ أقرب ، أبيض اللون ، ذا لِحْيَةٍ وَخَطَهَا

البياضُ ، بعمامة بيضاء نحو سبعة أذرع ، وعَذَبَة وكأنه أقرب إلى صورة المغاربة ، فتكلم صلى الله عليه وسلم وأنا أسمعه ، فاستيقظت ولم يحضرني شيء من كلامه صلى الله عليه وسلم فأوَّلْتُ ذلك باهتمامه بشأني ، وَتَوَجُّه خاطره الشريف إليَّ والتفاتة وحركته نحوي ، وسيكون لهذا تأثير عظيم تظهر آثاره إن شاء الله تعالى والله تعالى أعلم .

[.....][١٤] وهذه بشرى عظيمة لي إن شاء الله تعالى والله تعالى أعلم بالصواب .

ورأيت في واقعة وأنا بالمدينة الشريفة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام بعد أن غفوتُ غفوةً بعد صلاة الظهر ، يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين كأني بالحرم الشريف المكي ، وكان السعيد الشهيد السلطان (بهادر) سقى الله تربته ، يطوف بالبيت الشريف من خارج المطاف ، وخزائنه طائفة معه من خلفه ، كأمثال الرّحيّ من الذهب المسبوك ، فقصدتُ الاجتماع به ، والتعرف إليه ، ثم قلت في نفسي : أما كَفَاك معرفة الملوك والكبرا ، وما الذي ترجو منه فرجعت القهقرى ، ثم تَذَكَّرْتُ أنَّ له حقوقاً عليَّ وعلى والدي ، وأنه من الواجب عليَّ إظهار المحبة والمودة له ، فتقدمت إليه ، وسلمتُ عليه فردَّ عليَّ ثم التفتَ إلي خُزَّانِهِ الذين خلفه ، وأمرهم أنْ يدفعوا لي رُبْعَ خِزَانتِهِ فضجَّروا منه ، وأظهروا له النُّصح ، وقالوا : إنَّ هذا مال كبير ، وهذا يُقنِعُه ما دون ذلك ، فسبَّهم وحنق عليهم وأمرهم بدفع ربع الخزانة إليَّ ، فجاؤني ليسلموا إليَّ ما أَمَرَ به ، فلم أكْتَرِث بهم ولم أُظْهِرْ لهم رغبة في ذلك ، واستيقظت في أثنائه ولله الحمد والمنّة .

رأيتُ ليلة السبت تاسع رجب سنة تسع وخمسين (حسن التالش) في المنام كفى الله شره ، وقد أغلظَ عليَّ وأغلظت عليه القول ، فسحبتُ عليه سيفاً وسحبَ عليَّ سيفاً فصرت أضربه ويأخذ الضربة مني في سيفه ، إلى أن عددت عليه عشرين ضربة بالسيف ، وأنا أضربه وهو يأخذ في سيفه ، ورأيت في كل ضربة فلولاً في سيفه ظاهراً ولم يكن بسيفي شيءٌ من الفلول والحمدلله تعالى ، وكأني أتعجّب من جودة سيفي وفلول سيفه .

ورأيت ليلة الخميس لإحدى عشر ليلة بقيْت من شعبان سنة تسع وخمسين كأني

اجتمعتُ بالسيد الشريف أبي نُمَيٍّ[١٥] نصره الله تعالى ، وكأنه يباسطني ويذكر بعض الشدائد التي مرَّت عليه فأنشدته هذا البيت :

فوض إلى الله الأُمور مُسَلِّماً فالْعَبْـدُ أَحْسَنُ حَالِهِ التَّسْلِيْمُ

فاستعاده منّي مرَّةً أخرى فأنشدته إياه ثانياً فأعطاني قرطاساً ودواةً وقلماً وقال : اكتبه لي فكتبته له في القرطاس وناولته فقرأه ، وجاءه في أثناء ذالك بدويٌّ أهدى إليه شيئاً في ثوبه على مثال البيض ، إلّا أنه ليِّنٌ ، لم يكتمل انعقاده ، وهو مَلْءُ ثوبه ، فناولني السيد الشريف واحداً منها فرأيته غير تام الاستدارة ، فيه تعفيصٌ ، فلما رآني أنظر في التوائه وانعفاصه ناولني واحداً آخر تامَّ الاستدارة وكأني أقول له : هذا لا بُدَّ وأن يكون مذكوراً في كتب الطب ، ولا بُدَّ أنْ يشتمل على منافع ، فسأل السيد الشريف ذلك البدويَّ كيف جَمَعَه فقال : إنَّ بعض الطيور يتناوله بمنقاره ويحذفه إلى خلفه ، فنتلقفه منه قبل أن يصل إلى الأرض ، فنه ما لم نحسن تَلَقّيه فيتعفص علينا ، ومنه ما نتناوله بمعرفة فيستمر على تدويره ، وكأنه قرب صلاة العصر فصليت خلف ظهر السيد الشريف صلاة العصر فلما رآني أصلي قام إلى الصلاة وصلى وانتهى المنام .

ومما نظمته وأنشدته بين يدي الحضرة النبوية صلى الله عليه وسلم في هذه المجاورة الشريفة وكتبته ووضعته في (... ... ...) هذه الأبيات[١٦] .

وَصَل مولانا السيد الشريف (أبي نُمَيّ) وولده السيد أحمد ، وبقية أولاده حمى الله تعالى بهم البلاد ، وأمَّن بوجودهم كافة العباد ، إلى المدينة الشريفة لقصد الزيارة ، ودخل وقت المغرب ليلة الأحد سابع رمضان المبارك فحصل به غاية الأنس للمسلمين ، واطمأنَّتْ خواطرهم ، وزال الخوف من قلوبهم ، وتصدق نَصَرَهُ الله تعالى على جيران النبي صلى الله عليه وسلم على المجاورين وغيرهم كُلُّ أحَدٍ بحسب مقامه ، ما يقارب فيما بلغني ألف ذهب ، وسمع بعض الخصومات ، وأزال بعض المظالم ، وفصل بعض القضايا وصَلَّى العيد في المصلَّى في أُبَّهة وجمال ، مع سائر أولاده وحفدته .

وكان في صحبته في هذه الزيارة مولانا شيخ الإسلام قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام مولانا القاضي تاج الدين المالكي نفع الله المسلمين بوجوده وأسبغ عليهم ظِلال

فضله وجودة ، وجماعة من أعيان الفقهاء وطلبة العلم منهم مولانا الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر ، ومولانا قاضي المسلمين السيد حسين المالكي وغيرهما .

[العودة إلى مكة المكرمة] :

وبرز مولانا السيد الشريف من المدينة الشريفة قافلاً إلى مكة يوم الأربعا ثاني شوال المبارك وصحبته قافلة كبيرة ، ورحلت معهم .

وبات ليلة الخميس في آبار علي ، ورحل منها بعد صلاة الصبح ، وهذه عدة المنازل التي رحلناها :ـــ

المنزلة الأولى آبار علي وتقدم ذكرها .

المنزلة الثانية موضع يقال له سَمْحَان : بين جبلين وصلنا إليه قبيل الظهر وببعض شعابه ماء يوجد غالباً سيا عقيب الأمطار ، وأقمنا بها إلى بين الصلاتين ورحلنا .

المنزلة الثالثة القُرَيْش : وصلنا إليها بعد العشا بلحظة كبيرة ليلة الجمعة ، وأقمنا بها إلى أن بقي من الليل ربعه تقريباً ورحلنا .

المنزلة الرابعة الرَّوْحَا : وصلنا إليها ضحى يوم الجمعة وبها بير ماء عميق جداً ، أقمنا بها إلى قبيل العصر ورحلنا .

المنزلة الخامسة النازية : وصلنا إليها بعد العشا بلحظة ، وأقمنا بها إلى أن بقي من الليل ربعه تقريباً ورحلنا .

المنزلة السادسة خيف بني عمرو : وصلنا إليها ضحى يوم السبت ، وأقمنا بها إلى بين الظهر والعصر ورحلنا .

المنزلة السابعة وادي الصفرا : وصلنا إليها بعد العشا بساعة ليلة الأحد ، وبتنا إلى الصباح وصلينا الظهر ورحلنا .

المنزلة الثامنة بدر : وصلنا إليها بعد العشا ليلة الإثنين ، وأقمنا ذلك اليوم ، وبتنا ليلة الثلاثا ، ويوم الثلاثا إلى الظهر ورحلنا .

المنزلة التاسعة شجرات الأمير من الخبت : وصلنا إليها عشا ليلة الأربعا وأقمنا قليلاً ورحلنا .

المنزلة العاشرة حاجر البثنة : وصلنا إليها ضحى عالية يوم الأربعا ورحلنا قبل صلاة الظهر .

المنزلة الحادية عشر مستورة : وصلنا إليها عشا ليلة الخميس ، وأقمنا إلى قبيل الفجر ، ورحلنا .

المنزلة الثانية عشر رحاب : وصلنا إليها ضحى يوم الخميس ، وأقمنا إلى الظهر ، ورحلنا .

المنزلة الثالثة عشر رابغ : وصلنا إليها عشاءً وأقمنا إلى الظهر يوم الجمعة حادي عشر شوال .

وأحرمت من رابغ بالعمرة متمتعاً وقلدت الإمام الشافعيَّ رضي الله عنه في هذه المسألة دفعاً لكراهة الاعتمار في أشهر الحج للمكيّ ، ورحلنا ظهراً .

المنزلة الرابعة عشر الْجُرَيْنَات : وصلنا إليها صلاة العشا ، ورحلنا بعد التَّعَشِّي .

المنزلة الخامسة عشر طرف قُدَيْد : وصلنا إليها ضحى عالية ، وأقمنا إلى الظهر ، ورحلنا وقطعنا عقبة خُلَيْصٍ عصراً وأعان الله تعالى .

المنزلة السادسة عشر خُلَيص : وصلنا إليها بين المغرب والعشاء ليلة الأحد ، وبتنا وأصبحنا ، وصلينا الظهر ورحلنا .

المنزلة السابعة عشر أبو مراغ : وصلنا إليها عشاء ، وبتنا إلى أن بقي من الليل رُبْعُهُ ورحلنا .

المنزلة الثامنة عشر عسفان : ووصلنا إليها ضحى ، وأقمنا إلى ما بين الظهر والعصر ورحلنا .

المنزلة التاسعة عشر طرف البرقا : وصلنا إليها بعد العشا بساعة وأقمنا قليلاً ورحلنا .

المنزلة العشرون مَرّ الظهران : وصلنا إليها عند طلوع الشمس يوم الثلاثا خامس عشر شوال وأقمنا إلى بعد الظهر ورحلنا إلى مكة شرفها الله تعالى :

لنا عقولٌ لو تَجَمَّلْنَا بها ... لكنَّها تذهبُ بالباطلِ
ما أشْبَهَ العاقلِ مِنَّا بِمَنْ ... يجْهَلِ ، والجاهلِ بالعاقلِ
نَجْرِي على الدُّنيا وتَحْصيلها ... ولم نَنَلْ منها على طائلِ
وكلنا نطلبها عاجلاً ... والخير والراحة في الآجلِ(١٧)

[الرحلة الثانية] :

الحمدلله : وقعَ التوجه إلى المدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، في صحبة مولانا شيخ الإسلام علم العلماء الإسلام قاضي الفقهاء ببلد الله الحرام ، وإمام الموقف الشريف وكافل الأيتام ، مولانا أمير حسن أفندي بن السيد سنان خلد الله سعادته .

وكان ابتداء السفر من مكة صبح يوم الاربعاء ثاني عشري محرم سنة أربع وستين وتسع مئة ، وكان الوصول إلى وادي الجموم عند صلاة العصر ، وأقمنا به ليلة الخميس ويوم الخميس إلى الظهر وصلينا الظهر ورحلنا .

المنزلة الثانية البارِدَة : من حدود بشر وهي دون طرف البرقا الذي هو المنزل المعتاد ، وصلنا إليها عشاءً وبتنا إلى نحو مضي ثلثي الليل ورحلنا .

المنزلة الثالثة عسفان : وهو في حدود بشر.

وبعسفان بئرٌ حاليةٌ جداً ، يقال : ان النبي صلى الله عليه وسلم تَفَلَ فيها ، وذكر الحافظ مغلطاي أن مولد النبي صلى الله عليه وسلم بِعُسْفَان ، وهو غَريب جداً .

المنزلة الرابعة : أبو مراغ ، وصلنا إليه عند غروب الشمس ، وبتنا به إلى مُضِيِّ نصف الليل ، ورحلنا .

المنزلة الخامسة : خُلَيْص : وصلنا إليه صُبْحًا وأَقمْنا إلى الظهر ، ومررنا بعقبة السَّويق عصراً ، وصلينا به صلاة العصر ، وهي عقبة رمل يغوص به رجْل الجمل ،

وهو رملٌ ناعم نَسَفَهُ الريحُ وجمعه هنا ، فصار مثل الجبل الصغير ، وإنما سُمِّيت عقبةُ السَّويق لأنَّ أمراء الحاج فيما مضى كانوا يسقون فيه السويق مع السكر لجميع أهل الركب .

المنزلة السادسة قُدَيْد : وصلنا إليه مع المغرب ، وأقمنا بِهِ إلى نصف الليل ، ورحلنا وصلينا الصبح في موضع يقال له دَوْران .

المنزلة السابعة الْخَيَالَةُ : وصلنا إليها ضحى ، وأقمنا بها إلى الظهر ، ورحلنا وذهب في الطريق في موضع يقال له النبعة حوائج لشخص من رفقائنا يقال له خليل جاوش ، وهي بقجة فيها ملبوس ، وصوادر (؟) ونحو ذالك ، وكتب إلى داهس شيخ ذوي رومي بما ذهب من الحوائج ، وأنَّها إذا لمْ تَاتِ حصل عليه من السيد الشريف ما هو أهله .

المنزلة الثامنة الغَايِظَةُ : وصلنا إليها قبل المغرب وبتنا إلى نصف الليل ورحلنا .

المنزلة التاسعة رابغ : وصلنا إليه صبح يوم الاثنين سابع عَشْري الشهر ، وأقمنا به إلى الظهر، وصلينا ورحلنا .

المنزلة العاشرة رحاب : وصلنا إليها المغرب ، وأقمنا به إلى نصف الليل ، ورحلنا .

المنزلة الحادية عشر مستورة : وصلنا إليها عند شروق الشمس يوم الثلاثا أقمنا بها إلى قُبَيْل الظهر ، وازددنا من الماء ، ورحلنا وماء آبار مستورة يغلب عليها الملوحة ، غير أنَّ بقرب هذه الآبار آبار أخرى ، إلى جهة يمين الذاهب إلى المدينة ، يقال لها المستورة العليا ، ماؤها حلوٌ يوجد بها الماءُ في أيام الربيع والمطر ، بعدها نحو ميل من المحطة لا غير ، ويقال لها الْمُسَيْتِيرة — بالتصغير .

المنزلة الثانية عشر الْبُثْنَةُ : نزلناها قبيل المغرب ، وأقمنا بها إلى قرب مُضِيٍّ ثُلُثِ الليل ، ورحلنا وصلينا الصبح في الطريق بموضع يقال له طرف الجنحا ، ويوجد بها غدير ماء أيام المطر ، ينتفع أهل القافلة به يسمى الآضاء(؟) .

المنزلة الثالثة عشر الْبَرَيْمَةُ البيضاء : وصلناها يوم الاربعا تاسع عشري محرم الحرام ، وفي محاذاتها إلى جانب يسار الذاهب إلى المدينة على مقدار فرسخين تقريباً موضع يقال

له المخشوش ، فيه آبار لِزُبَيْد ، مَطْوِيَّةٌ أقمنا بها إلى قُبَيل الظهر ورحلنا .

المنزلة الرابعة عشر بدر : وصلنا بعيد صلاة العِشَا ، وبتنا وأقمنا يوم الخميس ، وبه كَثِيْبان عاليان من رَمْلٍ ، يكاد في بعض الأيام (؟) منهما صوتُ طَبْلٍ ، يقال : إنهُ طبل نَصْرِ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يَوْمَ بَدْرٍ ، متواتر بينهم ، وقد سمعه كثير من مشايخنا ، وسمعته أنا في سنة سبع وثلاثين وتسع مئة ، وأنا متوجه الى المدينة مع والدَيَّ رحمهما الله تعالى ، وكان ذلك في وقت الضحى ، ونحن جماعة من ذلك الكثيب ، بحيث لم يَبْقَ عندي شكٌّ ، ولا من حضرَ أنه صوت طبل يسمع ، متواتراً متعاقباً وتَصَنَّتٌ له بعد ذالك في الزيارات فلم أسْمَعْه إلى هَلُمَّ .

وفي بدر قبور الشهداء في ذيل جبل صغير هناك تزار ، وهناك مقبرة أهلِ بدر ، وبها مربع مبني بالحجر والنورة فيه قبر السيد الرُّدَيْني من المشايخ وبجنبه السيد زين العابدين ، خال المرحوم مولانا القاضي تاج الدين المالكي تغمدها الله تعالى برحمته .

وبين النخيل مسجد يقال له الآن مسجد الغمام ، به منبر ، يُصُلَّى فيه الجمعة يقال أن النبي صلى اض عليه وسلم ظلله الغمام فيه ، وهو مسجد العريش المذكور وبقربه مَسْجِد آخر ، يُقال له مسجد النصر ، وهو مُتَهَدِّمٌ اليوم ، يقال : إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم وقف به عند انتصاره على كُفَّار بَدْرٍ .

وبالمحطة بِرْكة عظيمة ينزل عليها بالدرج ، تملأ للحجاج ، وبها قبّة بيضاء .

وبالمحطة مسجد بناه مولانا السيد الشريف أبو نَمَيٍّ بن بركات نصره الله وجعل فيه إماماً يصلي به الصلوات الخمس ، ورتب له من ماله مرتباً له .

وفي ناحية النخيل بيوت لأهل بدر ، وحصارٌ يجتمعون فيه إذا دهمهم عَدُوٌّ ويتحصنون فيه .

ومما نظمت في هذا المنزل :

أصبح بَدَ أَمْ وَجْهُكَ الأَبْلَجُ السَّعْدُ؟ ... إليلٌ دَجَا أم شَعْرُكَ الفاحم الْجَعْدُ؟
أذاكَ هِلَالُ الْعِيْدِ أمْ قَوسُ حاجِبٍ ... تُصِيْبُ سُوَيْدَاءَ القلوب ولا تَعْدُو؟

أنرجِسَةٌ هاتيْكَ أَمْ سَيْفُ مُقْلَةٍ لِسَفْكِ دِمَاءِ العاشِقِيْنَ لها حَدٌّ؟
أَخَطٌّ عِذَارٍ ذاكَ أَمْ نَمْلُ عارِضٍ بَدَا لعيون الناس أو كاد أنْ يبدو؟
أَتُفَّاحَةٌ أم وجْنَةٌ بِدِمَائِنَا مُضَرَّجةٌ أَمْ ذَا الشَّقيقُ أمِ الْوَرْدُ؟
أثَغْرُك أَمْ بَرْقٌ يلوح سَنَاؤُهُ أمِ اللُّؤْلُؤُ الْمَنْظُومُ أَعْوَزَهُ الْعِقْدُ؟
أريقُك أمْ ماءُ الحياةِ أم الطِّلَا أمِ السلسبيل العذْب هَذا أم الشَّهْدُ؟
أَمِعْطَفُكَ الْمَيَّاسُ في حُلَلِ الصِّبَا أَمْ الأسَلُ الْعَسَّالَ يَهْتَزُّ أمْ قَدٌّ؟
أهذا كَثِيْبُ الرَّمْلِ أمْ كَفَلٌ يُرَى أَخَصْرٌ به دار النِّطَاقُ أم البند؟
تَشَابَهَتِ الآرا فَلَمْ أدْرِ مِنْ جَوًى أَهَذَا جنونٌ قد عراني أمْ وَجْدُ؟

وفي قبالة بدر عين ضعيفةٌ يقال لها عين حُنَيْن ، تجري في سفح جبل به مزارع ومساكن ، وبعض نخيل ، وبه طائفة من الأشراف يقال لهم الفضول ، ساكنون هناك ، وبها بيوتٌ داثرة وماءُ حُنَيْن أحْلَى من ماء بَدْرٍ .

وفي شِعْب حُنَيْنٍ مواضع يوجد بها ماءٌ حُلْوٌ من المطر ، يكاد بعضُ أهلُ القافلة يستقي منه ، وذلك الشعب يقال له شعب المنادِي .

وأهل بَدْرٍ أربع طوائف من الأشراف المحاسنة ، والقوايد والشكرة ، والعُتُقُ فيهم أشراف وفيهم من يَنْتَمِي إليهم من العربان ، ويُدعى بهم .

ورأينا هلال صفر ليلة الجمعة بِبَدْرٍ واقنا إلى منتصف الليل ورحلنا .

المنزلة الخامسة عشر الصَّفْرا : وصلنا إليها عند شروق الشمس ، ونزلنا في حافة الجبل ، على جنب عين جارية ، يقال لذلك الموضع المعلق ، وماؤه أحْلَى من ماء بَدْرٍ ، وأحْلَى من عين الخيف ، ومن الناس من يحمل ماءَ الشُّرْبِ منه إلى الخيف ، صلينا الظهر به ورحلنا .

المنزلة السادسة عشر الخيف : وهو وادٍ مستطيل ، بين جبلين ، فيه بيوت ومساكن وقرى متعددة ، وفيه طائفتان إحداهما (بني عَمْرٍو) والثانية (بني سالم) والمحلُّ الذي نزلنا فيه يقال له الحزامي ، وصلنا إليه عشاءً وأقْنا ، ورحلنا منه بعد الظهر يوم السبت ثاني صفر .

المنزلة السابعة عشر النازِيَّة : وصلناها عند المغرب ، بعد أن أصابنا المطرُ بطول الطريق .

ورأى بعضُ الجمالين طائفةً من العرب قبيل غروب الشمس ، فظنهم قُطَّاع الطريق فصاح واجتمع أهل القافلة ، وجمعوا جِمَالَهُمْ ، ونزلوا عنها ، وأحضروا القسي والبنادق والسيوف ، واستعدوا للمحاربة ، وسيَّبوا بعض البنادق ففسدت من المطر ، وحصل لأهل القافلة رهج وخوف ، إلى أنْ ظهر أنهم قافلة أخرى من المتسببين ، فأناخُوا بالنازية وباتوا إلى الصبح ، ولم ينم أحد تلك الليلة ، ورحلنا بعد صلاة الصبح ، ومشينا طول النهار من النازية وكانت رحلة طويلة .

المنزلة الثامنة عشر الشعب : مررنا عليه ، ووصلنا قريب قبور الشهداء ، وأنخنا بعد صلاة العصر وصلينا العشاء ورحلنا إلى وقت الضحى .

المنزلة التاسعة عشر بير علي : وصلناه ضحى ومررنا بالْمُفرِحِ الكبير ، والْمُفَرِّحِ الصغير صبحاً ، وأناخ القافلة بالأبيار وقت الضحى ، وهي منزلة بقرب المدينة ، فيها بئران كبيران ، ينزل إليهما بدرج ، فيهما ماءٌ حُلْوٌ عذب جداً ، وبه مسجد مبني بالجصّ والنورة ، يقال : إنه مسجد ذِي الْحُلَيْفة ، وبناحية منه مسجد آخر متهدم مَبْنِيٌّ بالْحَجَرِ الأسود ، كلاهما مسجد مأثور ينظر من علوِّ هذا المكان ومن المُفَرِّح الصغير أبنية المدينة الشريفة وروس المواذن .

وللجمالين عادة في المُفَرِّح يأخذونها من الرَّكبة ، يسمونها البشارة .

أقمنا بالبير قليلاً إلى أنْ تغذينا ورحلنا .

ودخلنا المدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام عند اذان الظهر ، وأدركنا صلاة الجماعة في المسجد الشريف .

ودخل باقي القافلة ما بين الظهر والعصر .

وأقمنا بذالك المقام الشريف سبعة أيام كاملة .

ورحلنا في اليوم الثامن وكان البروز من المدينة الشريفة صبح يوم الاثنين حادي

عشر صفر الخير سنة أربع وستين وتسع مئة .

المنزلة الأولى أيار علي : أقمنا بها إلى أن صلينا العشاء ، ورحلنا إلى الضحى وأصابنا المطر في الليل ثم الهواء الشديد البرد وتعدَّيْنا الْفُرَيش ونزلنا .

المنزلة الثانية ما بين الفُرَيش وقبور الشهداء : وصلناها ضحى وأنخنا ، وصلينا الظهر أول وقته ، ورحلنا وبعد رحيلنا لاقينا القافلة التي [... ... ...][١٩] .

المنزلة الثالثة شعب علي : تعَدَّيْنا عليه ، وأنخنا بعد صلاة العصر وبتنا إلى نصف الليل ورحلنا .

المنزلة الرابعة النازية : وصلناها ضحى ، وأنخنا وغدينا ورحلنا قبل صلاة الظهر.

المنزلة الخامسة الخيف : وصلناها بعد صلاة العصر ، وبتنا ، وأقمنا إلى قُبيل صلاة الظهر ورحلنا .

المنزلة السادسة الصفراء : وصلنا إليها مغرباً ، ونزلنا في موضع يقال له الْخَرّما ، وبتنا واصبحنا ورحلنا قبيل الظهر.

المنزلة السابعة بدر : وصلنا إليها مع المغرب وبتنا فيه وأصبحنا وغَدَّينا ، ورحلنا .

ومما نظمت فيه معارضاً قول :

خُذُوا قَوَدي من أَسِيرِ الكلل فوا عجباً لأسِيرٍ قَتَل[٢٠]

* * * * *

أَلا حَــلَّــل الله سيف المقل فكم ذا أصابَ وَكَمْ ذَا قَتَلْ
وما مِنْ قتيل بهِ في الهوى سوى أَلْفِهِ رَاضٍ بما قَدْ فَعَلْ
لقدْ نَصَرَ اللهُ جَيْشَ الْمِلَا حِ بِبَدْرٍ لَنَا حُسْنُهُ قَدْ كَمُلْ
وما بَطَلٌ في الْوَغَا فَارِسٌ إذَا قابل الْغِيدَ إِلَّا بَطَلْ
إذَا قَتَلَتْنِي عُيُونُ الظِّبَا فيا فَرَحِي ، قَدْ بَلَغْتُ الأَمَلْ
رَعَى اللهُ لَيلةَ زارَ الْحَبِيبُ وغَابَ الرَّقِيبُ إلى حيث أَلْ

فَأحْلَلْتُهُ في سَوَادِ العُيُونْ وَقَدْ غَسَلَ الدَّمْعُ ذاكَ الْمَحَلْ
وَأَلْصَقْتُ خَدِّي بِأقْدَامِهِ وَأَذْبَلْتُ أَخْمَصَهُ بِالقُبَلْ
فَرَقَّ ومال بِإعْطَافِهِ فَدَيْتُ بِروحِي ذَاكَ الْمَيَلْ
فَعَانَقْتُهُ وَخَلَعْتُ الْعِذَارْ ومَزَّقْتُ ثَوْبَ الْحَيَا والْخَجَلْ
وما زِلْتُ أشغِلُهُ بالحديث وسِتْرُ الظَّلام عَلَيْنَا انْسَدَلْ
إلى أنْ غَفَا جَفْنُهُ ناعِساً وعَنِّي تَغَافَلَ أوْ قَدْ غَفَلْ
فَحَلَّيْتُ عن خَصْرِهِ بَنْدَهُ وأنْضَيْتُ عَنْ مِعْطَفَيْهِ الْحُلَلْ
وَبِتُّ أُشَاهِدُ صُنْعَ الإلٰهِ تَبارك رَبُّ البرايا وَجَلْ
فَظُنَّ بِيَ الْخَيرَ أوْ لَا تَظُن فَمَا أنْتَ تُسْألُ عَمَّا حَصَلْ

والمشهور المستفيض عند أهل بَدْرٍ أنهم يسمعون في كثير من الأوقات سماع صوت طَبْلٍ ، لامرية فيه ، وتقدَّم أنِّي سمعته في زيارتي مع والديّ سنة سبع وثلاثين وتسع مئة ، وهي أول زياراتي ، وأنا في سنِّ العشرين ، إذ ذاك ثم إني رأيت العلامة الشيخ حسين بن محمد بن حسن الديار بكري الحنفي من أجِلَّاء شيوخنا رحمه الله تعالى ذكر في كتابه الذي سماه « الخميس في بيان سير النبي صلى الله عليه وسلم » وهو كتاب جليل في بابه ، جمعه من كتب شتَّى ، ذكر في قصة بدر ما صورته : في « المواهب اللَّدُنِيَّة » قال ابن الأنباري : كانت الملائكة لا تعلم كيف يقتل الآدميُّون ، فعلمهم الله بقوله (فاضربوا فوق الأعناق ، واضربوا منهم كل بنان) قال عطية : كل مفصل . قال السُّهَيْلِيُّ : جاء في التفسير أنه ما وقعتْ ضربةٌ يوم بَدْرٍ إلَّا في رأسٍ أو مَفْصِلٍ ، وكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم بآثارٍ سود في الأعناق والبنان .

وفي « خلاصة الوفا » قال المرجانيُّ شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بَدْراً بسيفه الذي يدعى الْعَضْبَ ، وضربت (طلبخانة) النصر ببدر فهي تُضْرب إلى يوم القيمة قال القسطلاني : في « المواهب اللَّدُنِيَّة » يقال إنها تسمع ببدر كهيئة طبل ملوك الوقت ، ويرون أنَّ ذلك لنصر أهل الإيمان ، وقال : أنا جَرَّبْتُها فسمعت صوت الطبل سماعاً مُحَقَّقاً لا شك أنه صوت طبل ثم نزلت ببدر فظَلَلْتُ أسمع ذالك الصوت يومي أجمع ، المرَّة بَعْدَ المرَّة . قال : ولقد أخبرت أنَّ ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس . وقال

مؤلف الكتاب حسين بن محمد الديار بكري عفا الله عنهم : وأنا جَرَّبْتُها في سنة ست وثلاثين وتسع مئة وقت اجتيازي بِبَدْرٍ ، قافلاً من المدينة المشرفة إلى مكة المكرمة ، فنزلنا بَدْراً ، وأقمنا فيه يوماً ، ولما صلَّينا الفجر يوم الاربعاء من أول شعبان ابتكرت نحو ذلك الصوت ، وكان يجيءُ من كُثَيِّبٍ ضَخْمٍ طويل ، مرتفع كالجبل ، شمالي بَدْرٍ ، فصعدتُ أعلى الكثيب ثم تتابع الناس لسماع ذلك الصوت وكانوا زُهاء مئة إنسان من الرجال والنساء في الشَّقادف وغيرها ، وما سمعت شيئاً من أعلى الكثيب ، فنزلت أسفل ، فسمعت من سفح ذلك الكثيب صوتاً كهيئة الطبل الكبير ، سماعاً محققاً بلا شكٍّ ، مراراً متعددة ، وكذلك سائر الناس ، كانوا يسمعونه مثلما سمعت بلا شُبْهَةٍ ، ومكثْنا فيه زمانا طويلاً ، وكان الصوت يجيء تارة من تحتنا ثم ينقطع ، وتارة من خلفنا ثم ينقطع ، وتارة من قُدّامنا وتارة عن يميننا وتارة عن شمالنا ، وعلى كل الهَيْئات كُنَّا نسمع الصوت قياماً وقعوداً ، سماعاً محققاً بلا شُبْهَةٍ ، وكان الوقت صَحْواً راكِداً لا رِيْحَ فيه انتهى .

قلت : وقد سمعته أنا في توجهي إلى المدينة سنة سبع وثلاثين في أثناء الكثيب ، وأنا هابطٌ سماعاً مُحَقَّقاً لا مرية فيه ، وسمعه من كانَ معي ، وهم جماعة نحو العشرين ، وقد أصغيت بعد ذلك في زياراتي فلم أسْمَعْ بعد ذلك .

المنزلة الثامنة البُرَيْمَةُ السَّوْداء : وهي دون البُرَيْمَةِ البيضاء إلى ناحية بَدْرٍ ، وصلنا إليها قبيل المغرب ، وبتنا إلى طلوع القمر ليلة الأحد سابع عشر ، ورحلنا .

المنزلة التاسعة فضاء يقال له (...) :[٢٢] نزلنا فيه بموضع منه يقال له الظُّهيرة بفتح الظاء وقت الضحى وكانت رحلة كبيرة ، وأقمنا قليلاً ورحلنا ، وانفلتتْ لنا بغلةٌ ولم نحصلها وتركناها .

المنزلة العاشرة المَسْتُورَة : وصلنا إليها بَعْدَ كُلِّ عشاء ، وكانت هذه أيضاً رحلة كبيرة ، تعب فيها المُشاة وتقطع كثير من الناس ، فبتنا على الماء ، وأصبحنا وغدينا ورحلنا ضحى عالياً ، وكنت نظمت قصيدة قبل هذا بِسِنِينَ ، مطلعها :

الـدَّنُّ لي والـكَـأْسُ والـقَـرْقَـفُ ولِـلْـفَـقِـيـه الْـكُـتُـبُ والْـمـصْـحَـفُ

وذهبت القصيدة مع مسوداتي ورسائلي وكتبي ، في الحريق الواقع سنة تسع وخمسين وتسع مئة ، ولم أتذكَّرْ مِنْ أبْياتها غيْرَ المَطْلَع ، فأكملت عليها هذه الأبيات :

لا تُنْكِرُوا حَالِيْ ولا حَالَهُ ... كُلٌّ بما يَنْفَعُهُ أعْرَفُ
كَمْ يَزْدَرِي الرَّاحَ وشُرَّابَها ... أخْشَى على هذا الفتى يُقْصَفُ
دَعْنِي وحالِي يا فقِيهَ الْوَرَى ... فَأنْتَ عن إدْراكِه تكْشِفُ
هيهات أن يُدرك طَعْمَ الْهَوَى ... مَنْ لَمْ يَكُنْ في ذوقِه يلْطُفُ
لِلْعِشْقِ سِرٌّ لمْ يزَلْ غامِضاً ... لِغَيْرِ أهْلِ الْحُبِّ لا يُكْشَفُ
فَيَا نَدِيْمُ اشْرَبْ على رَغْمِهِ ... ودَعْهُ في إنكَارِهِ يَرْسُفُ
وَبِي غَزَالٌ طابَ مَرْعَاهُ في ... كِنَاسِ قَلْبِي وهو لا يَألَفُ
بَدْرُ كَمَالٍ لا يَرَى حُسْنُهُ ... نَقْصاً ولَا مَحْقاً ولا يَكْلَفُ
فِي خَدِّهِ أنْبَتَ مَاءُ الْحَيَا ... وَرْداً بغير اللَّحْظِ لا يُقْطَفُ
عَارِضُهُ (لامٌ) وفي صِدْغِهِ ... (واو) ولكن (آه) لَوْ يَعْطِفُ
عَزِيْزُ مِصْرِ الحُسْنِ لو كانَ في ... زمانِهِ هَامَ بِهِ يُوسُف

المنزلة الحادية عشر رحاب : وصلنا إليها قبيل المغرب ، وبتنا إلى مُضِيٍّ نصف الليل ، ورحلنا ووصلت إلينا في هذا المنزل البغلة الذي (؟) كانت انفلتت علينا .

المنزلة الثانية عشر رابغ : وصلنا إليه قُبَيل الفجر ، وأقمنا به إلى الظهر ، وأحرمنا بالعمرة ، ورحلنا .

المنزلة الثالثة عشر الغايضة : وصلنا إليها مع المغرب ، وأقمنا قليلاً ، وصلينا العشاء ورحلنا .

المنزلة الرابعة عشر نبّاع : وصلنا إليها ضُحًى ، وكانت رحلة طويلة نزلنا بها وغَدَّينا ، وفي أصحابنا بالقافلة من يقوم بالليل ، ويُذكر وله صوت حسن ، فجعلت له هذه الأبيات يذكر بها وهي[٢٣] . :

إلى متَى يا عَيْنُ هذا الرقادْ ... ما آنَ أنْ تكتحِلِي بالسُّهَادْ
تَنَبَّهِي من رَقْدَةٍ وانْظُرِي ... ما فات منْ خَيْرٍ على ذي الرُّقادْ

يا أيها الغافل في نومه | قم لِتَرَى لُطفَ الكريم الجَوَادْ
مولاك يَدْعوك إلى بابه | وأنتَ في النوم شَبيهُ الجَمَادْ
ويَبْسُطُ الكفَّيْنِ هلْ تائِبٌ | من ذنبه ، هلْ مَنْ لَه مِنْ مراد ؟
وأنتَ من جَنْبٍ إلى جانب | تدور في الْفُرُشِ لِلِيْنِ المِهَادْ
يدعوك مولاك إلى قربه | وأنتَ تختار الجفا والبعادْ
كَمْ هكذا التسويف في غفلةٍ | لَيْسَ على العمر العزيز اعْتِمَادْ
لَقَدْ مَضَى لَيْلُ الصِّبَا مُسْرِعاً | وشَقَّ صُبْحُ الشَّيْبِ فَوْدَ الْفُؤاد
أَفِقْ فَإِنَّ الله سبحانه | رَحْمَتُهُ عَمَّتْ جَمِيعَ العبادْ

ونظمت قصيدة أخرى أيضاً في ذلك المعنى وهي :

يا راقِدَ الليل إلى كَمْ تَنَامْ | قُمْ لَيْسَ هَذَا الْوَقْتُ وَقْت الْمَنَامْ
النَّجْمُ لا يُغْمِضُ أَحْدَاقَهُ | وَفُتِّحَتْ أعْيُنُ زَهْرِ الكمامْ
وَأنتَ من دُونِ الجمادات في | نَوْمٍ ، الا في عداد النيامْ
انظرْ الأبوابِ السَّمَا فُتِّحَتْ | والفَيْضُ قَدْ عَمَّ جميعَ الأنامْ
وقدْ تَجَلَّى الْحَقُّ سبحانَهُ | على عبادٍ سَهِرُوا في الظَّلَامْ
يَمُدُّ كَفَّيْهِ ألاتَائِبٌ | أَوْ سائِلٌ أُعْطِيْهِ كُلَّ الْمَرَامْ؟
أَفِقْ مِنَ النَّوم ولوْ ساعةً | وَنَاجِ مولاكَ الَّذِي لا ينامْ
إلى مَتَى تَرْتَعُ فِي غفلة | والْعُمْرُ يَمْضِي منك مثل الْغَمَامْ
شَقَّ صَبَاحُ الشَّيْبِ لَيْلَ الصِبَا | وليس بعد الشيب إلا الْحِمَامْ
فارْجِعْ إلى الله على فُرْصَةٍ | عَسَاك أَنْ تَحْظَى بِحُسْنِ الْخِتَامْ

المنزلة الخامسة عشر عَقَبَةُ خُلَيْصٍ : مررنا بها والشمس حيَّة ، وأكملنا قطعها بعد المغرب ، ونزلنا ساعة ورحلنا بعد صلاة العِشَا .

المنزلة السادسة عشر خُلَيْص : وصلنا إليها وقد مضى ثلث الليل تقريباً ، وبتنا إلى الصبح وغدّينا ورحلنا قبل الظهر بكثير.

المنزلة السابعة عشر عُسْفَان : وصلنا إليها عند صلاة العشا ، وقد قطعنا عَقَبَة عُسْفَانَ

مع المغرب ، وتعشينا ورحلنا .

المنزلة الثامنة عشر الباردة : من بلاد بني جابر في محاذاة الْهَدَةِ ، وصلنا إليها ضُحىً ، وغدّينا ورحلنا .

المنزلة التاسعة عشر الجموم : وصلنا إليها بعد الظهر . ومما نظمت وأنا مقبل على الجموم :

يَا صَاح نَشْرُ الخُزَامَى فَاحَ من أَمَمٍ ... أَظُنُّ أَنَا قَرُبْنَا مِنْ حِمَى الْحَرَمِ
لِلْعَيْسِ عِنْدِي يَدٌ فاضَتْ مكارمُها ... تَمَنَّتْ اللُّجْمُ منها رُتْبَةَ الْخُطُمِ
قَرَّبْنَ كُلَّ بَعِيدٍ مِنْ مطالبهِ ... وسِرْنَ حتَّى وَصَلْنَا مَنْهَلَ الكَرَمِ
فَدْخُلْ إلى حَرَمِ اللهِ الكريم وَسِرْ ... سَعْياً عَلَى الرَّأسِ ، لا سَعْياً عَلَى القَدَمِ
والثِم بِفِيكَ ثَرَى الأَرْضِ الحرامِ وَطِبْ ... فإنَّه طَابَ مَلْثوماً بِكُلِّ فَمِ
قَدْ زُرْتُ مِنْ مَكَّة (...) وعدتُّ فَمَا ... سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ إلَّا إلَى حَرَمِ[٢٤]
فَقَرِ عيناً وأبْشِرْ بالْقَبُولِ وجُدْ ... بالْحَمْدِ والشُّكْرِ لِلْمَوْلى عَلَى النِّعَمِ
....
فإننا فقراء ما بضاعتنا ... غير الذنوب مع الأقدارِ والندم[٢٥]

وصلينا العصر في الجموم وتقدمنا عن القافلة على البغلة والرواحل ، ودخلنا مكة في أواخر الثلث الأول من الليل وكانت زيارة مباركة هنية ولله الحمد والمنّة .

[**الرحلة الثالثة**] :

ثم توجهت للزيارة الشريفة مع الحاج الشامي في سنة خمس وستين وتسع مئة[٢٦] .

[**الرحلة الرابعة**] :

ثم توجهت إلى الزيارة في عام أحد وسبعين ، في شهر ربيع الأول ، مع افتخار الأمراء العظام إبراهيم بك (دفتر دار) مصر سابقاً ، وناظر عيني عرفات .

وكان البروز من مكة المشرفة بعد صلاة المغرب ليلة الثلاثاء مستهل ربيع الأول

ووصلنا إلى وادي مرٍّ قبل الصبح وكان الرحيل من الوادي ضحوة عالية .

المنزل الثاني طرف البرقا : تَعَدَّيناه قليلاً ونزلنا مع غروب الشمس ، وصلينا المغرب والعشا ، ورحلنا .

المنزل الثالث عسفان : أدركنا فيه صلاة الصبح يوم الأربعاء ورحلنا مع عسفان ضحى .

المنزل الرابع خُلَيْص : وصلنا إليه والشمس (...) [٢٧] وبتنا به ليلة الخميس ، وأصبحنا وعلفوا الجمال ورحلوا ضحى .

المنزل الخامس نَبَّاع : وصلنا إليه فيما بين العصر والمغرب ، وتعشينا ورحلنا بعيد العشا .

المنزل السادس موضع يقال له الْخَيَالَتَيْن —: تثنية الخيالة ، بفتح الخاء المعجمة والمثناة آخر الحروف بعدها ألف ثم لام مفتوحة ثم تاء التأنيث ، معناه محلٌّ مرتفع من الأرض ، وصلنا إليه قرب نصف الليل وَتِهْنَا عن الطريق ، لأنَّ الأمْطَارَ عَفَّت آثار الخُطَى من الأرض ، فاقتضَى الرأيُ النزول ، والمبيت إلى الصبح ، ليتبين الطريق فنزلنا إلى الصبح وصلينا الفجر ورحلنا صبح يوم الجمعة .

المنزل السابع رابغ : مشينا من أول النهار إلى آخره ، فوصلنا بين العصر والمغرب إلى رابغ ، ونزلنا وعندما استقر بنا النزول وصل المقر الكريم العالي — الأمير إبراهيم الدفتردار[٢٨] بمصر سابقاً — في نحو عشر رواحل من مكة ذكر أنه برز ليلة الخميس ، وأصبح في خُلَيْص ، ثم ركب من خُلَيص ليلة الجمعة ووصل إلى هُنا وبتنا معه ورحلنا وقد بقي من الليل ربعه .

المنزل الثامن مستورة : وهو بئر حوله أشجار سلم ، على بعد منه ، ويليه بئر آخر ، أصغر منه ، وبه ماءٌ مالح ، وصلنا إليه بين الظهر والعصر ، وهو نصف الطريق أقمنا به وصلينا المغرب ورحلنا ، وفارقنا الأمير من مَسْتورةَ ، صلى العصر وركب وأصْبَحَ في بَدْرٍ .

المنزل التاسع طرف الْجَنحَا : وكانت رحلة طويلة يجعلها الجمالون غالباً رحلتين ، وصلنا إليه عند شروق يوم الأحد ، سادس ربيع الأول ، ووجدنا به فَضْيَةَ ماء من المطر ، وأقمنا إلى أول وقت الظهر ، ورحلنا .

المنزل العاشر بَدْر : خلصنا من الخَبْت المُسَمَّى خَبْت البَزْوةِ ، ودخلنا بين جبال ، إلى أن دخلنا بدر ، بعد مُضيٍّ ثلث الليل الأول ، وكانت رحلَةً شطيطةً ، وبتنا به إلى الصبح ، ورحلنا قبيل الظهر .

المنزل الحادي عشر الصَّفْرا : نزلنا به قبيل المغرب ، وأقمنا إلى أن تعشَّينا ورحلنا ليلاً .

المنزل الثاني عشر الخيف : وصلنا إليه وقد بقي من الليل ثُلثُهُ ، واصبحنا فيه يوم الثلاثاء ثامن ربيع الأول ، وغدينا ورحلنا قبيل الظهر .

المنزل الثالث عشر مسجد الغزالة : وهو آثار بناء في سَفْح جبلٍ ، قد هَدَمَ الْمَسْجِدَ كَثْرَةُ السيول ، ولم يبق منه إلا قليل آثار كالأساس ، مبنيٌّ بالنورة ، وصلناه قبيل المغرب وعشَّينا ورحلنا بعد صلاة العشا .

المنزل الرابع عشر الفُرَيْش : وهذه رحلة طويلة ، مررنا بالنَّازِيَّة والشِّعبِ والشَّرَفَةِ ، وقبور الشُّهَدَاء ، ونزلنا عند الشروق في الفُرَيْشِ ، ورحلنا ظهراً .

المنزل الخامس عشر الأبيار : وصلنا اليه نصف الليل ، وقد مررنا بالمُفَرَّح عند المغرب ، وَجَدَّ بنا السيرُ لقلة الماء ، ونزلنا في الأبيار ، وعشينا وبتنا إلى قرب الصبح .

ورحلنا إلى المدينة الشريفة وأدركنا صلاة الصبح بالمسجد الشريف النبويِّ ، يوم الخميس ، وكنت نظمت هذه القصيدة النبوية في الطريق وأنشدتها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وهي(٢٩) :

وكانت الإقامة بالمدينة الشريفة أربعة أيام ، وكان الأمير إبراهيم سبقنا بيومين ، وبرزت اثقالنا عصر يوم الأحد ، وتأخرت إلى قرب نصف الليل لحضور مَوْلِدٍ كان بالمسجد النبوي ، وبعد تمام المولد(٣٠) دخل مولانا الأمير المشار اليه إلى الحجرة الشريفة ، ويَسَّر الله تعالى لنا الدخول معه ، وحصل لنا غاية (...) لدى تلك الحضرة

الشريفة صلى الله عليه وسلم ، ووادعناه ، لا جعله الله تعالى آخرَ العهد منه صلى الله عليه وسلم .

وبرزنا من باب القلعة على دوابنا ، واستمرينا إلى أنْ أدركنا القافلة ضحى ، وقد حطت بموضع يقال له السُّوَيْقَة ، وكانوا مرُّوا بالْفُرَيْشِ ونزلوا .

المنزل الأول السُّوَيْقَة : وصلت القافلة إليه بعد شروق الشمس ، ورحلنا مع أول الظهر .

المنزل الثاني : مررنا بالرَّوحا ، عند المغرب ، واستمرَّينا إلى العشاء ، ونزلنا إلى نصف الليل ورحلنا .

المنزل الثالث الْخَيْف : وصلنا إليه قبل الفجر ورحلنا ضحى .

المنزل الرابع بَدْر : وصلنا إليه في الثلث الأول من الليل ، يوم الأربعاء ، ولم ننزل في الصَّفْرا ، وبتنا به إلى الصبح ، وواجه السيد علي بن دَرَّاج الأميرَ إبراهيم ، وقدَّم له عشرة رُوسٍ غَنَمٍ وقَدَّيْنَ عَسَل ، وظَرْفَيْنِ تمر ومَرطبانَيْنَ تَمْرٍ ، مرقَّدٍ مُلَوَّزٍ ، وأخلع عليه الأمير إبراهيم ورحلنا ضحى .

المنزل الخامس طرف الجنحا : وصلنا إليه عند صلاة العشا ، وتعشينا ورحلنا .

المنزل السادس مستورة : وصلناها ضحى يوم الخميس ، وأقمنا قليلاً إلى أنْ تغدَّينا ، ورحلنا قبل الظهر .

المنزل السابع رابغ : وصلنا إليه بعد العشاء ، وقد تقطعت الجمال وبتنا وفارقنا الأمير إبراهيم من نصف الليل على الرواحل ، ووصلنا ظهراً ، ورحل منه إلى مكة ودخلها صبحاً على الرواحل ، وأما القافلة فأصبحت في رابغ ورحلت قبيل الظهر واستمرت إلى أن عشت الجُرَيْنَات .

المنزل الثامن الجُرَيْنَات : وصلناها قبيل المغرب ، وعشَّينا ورحلنا .

المنزل التاسع الْمَخْشُوش : وصلناه صبحاً ، وأقمنا إلى الضُّحى ، ورحلنا ومررنا بالْعَقَبَة .

المنزل العاشر الخُلَيْص :[30] وصلناه عَصْراً ، وبتنا إلى الصبح ، وعلفوا الجمال ورحلنا ضحى .

المنزل الحادي عشر عُسْفَان : وصلنا إليه عند مغيب الشمس وعشيا ورحلنا .

المنزل الثاني عشر الوادي : وصلنا إليه ضحى عالياً ، يوم الاثنين حادي عشري ربيع الأول ، وأقمنا إلى العصر ورحلنا إلى مكة شرفها الله تعالى ودخلناها ليلة الثلاثاء ثاني عَشْرِي ربيع الأول سنة إحْدَى وسبعين وتسع مئة ، وكانت زيارة هنيَّة تقبلها الله تعالى .

[الرحلة الخامسة] :

زيارة سنة ست وسبعين وتسع مئة تقبلها الله تعالى .

تَوجَّهنا في منتصف رجب من السنة المذكورة ، يوم الاثنين المبارك ، مع سيدنا ومولانا شيخ الإسلام ، ملك العلماء الأعلام ، قاضي القضاء[32] وناظر المسجد الحرام صفوة الصفوة من آل محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، بدر الدنيا والدين ، مولانا السيد حسين المالكي ، أدام الله سعادته ، ومعي حسين ومحمد وعبد الكريم وجمال الدين وعُبَيْدٌ الفرَّاش ، ووصلنا إلى الوادي نصف الليل ، ورحلنا قبيل (...) وكان مع مولانا شيخ الإسلام عياله ، وجماعة كثيرون من أصحابه وخدامه ، نحو ثمانين جملاً ، قام بكلفة الجميع كِرَاءً وإنفاقاً وإطعاماً ، في غاية الجمالة والكثرة والسعة ، وسَّع الله تعالى عليه .

المنزل الثاني طرف البرقاء : وصلنا إليه مغرباً ، وبتنا إلى ثلث الليل ، ورحلنا .

المنزل الثالث بئر عسفان : وصلنا إليه صبحاً وأقمنا إلى الظهر ورحلنا .

المنزل الرابع أبو مَرَاغ : وصلنا إليه قبيل المغرب وأطلقوا الجمال ، ورقدوا إلى نصف الليل ، ورحلوا .

المنزل الخامس خُلَيْص : وَصَلْناه صُبْحاً ، وأدركنا به قافلة الرَّجبِيَّة ، وكانت رحلت قبلنا بيوم من مكة ، وهي قافلة كبيرة نحو خمس مئة جمل ، وكان العلف من خُلَيْص

قليلاً ، والربع النّوي يساوي عشرة أنصاف وما ... والسمن بأربعة محلقة الرطل ، واللحم بنصفين الرطل ، وكان عرب زُبَيْد يأخذون سبعة أنصاف على الجمل الْعُضْم وحَدُّهُمْ إلى رابغ ، فمنعهم السيد قريباً مِن ذلك ، فلم يمتنعوا فأمر بإجلائهم عن وطنهم ، وأسكنهم اليمن ، وأبقى في خُلَيْص مزينا[٣٣] فقط مع جماعة يسيرة ، وهم الآن لا يَأخذون من أحد شيئاً .

ورحلنا بعد الظهر وكان يوم الخميس ، وجلس مولانا شيخ الإسلام على رأس عَقَبَة السَّويق ، وَفرَّق سُكَّراً بكثرة على الناس ، وَمَرَّت القافلة ، ووقع في الجماله مُضاربةٌ ومناقشة ، فأنصف من بعضهم ، وأصلح بين بعضهم ، ولولا جلوسه هنا في هذا اليوم لوقع الضرب والمقاتلةُ بين الجمَّالين ، فجزاه الله خيرا .

المنزل السادس موضع يقال له طرف قُدَيْد : وصلنا إليه المغرب ليلة الجمعة وأقمنا إلى ثلث الليل ، ورحلنا .

ووصل في هذا المحل بعد نزولنا في العقبة قاصدٌ من مصر اسمه (. . .)[٣٤] خرج من مصر في ثاني عَشْرَيْ جُمَادَى الأخرى ، أرسله سنان باشا الوزير ، المتوجه إلى اليمن ، لقتال مُطَهِّر بن شرف الدين ، أخبر أنه في أربعة آلاف فَرَس ونحو العشرين ألفاً من العسكر ، وأنه يبرز في خامس رجب من مصر ، وأنَّ اسكندر باشا صاحب بغداد وصل إلى مصر حاكمها ، وهو رجل مشكور السيرة ، من أهْل الفضل ، مائلٌ إلى العدل ، وفقه الله تعالى .

المنزل السابع الْخَيَالَةُ : وصلناه صبح يوم الجمعة ، وأنخْنَا إلى قُبَيْلَ الظهر ، وأصابنا مطرٌ خفيف ، ورحلنا .

المنزل الثامن الغايضة : وصلناها بعيد العصر ، وأنخنا إرَاحةَ للجمال ، ورحلنا بعد مُضِيِّ ثُلُثِ الليل ليلة السبت ، ووصلنا إلى رابغ صبح يوم السبت .

المنزل التاسع رابغ : أقمنا فيه إلى بُعَيْد الظهر .

وكان علف الجمال قليلاً به ، وقسم فيه مولانا شيخ الإسلام بعض غنم وغيره ، على أهل قافلته ، وعمل فيه سماطه المعتاد ، ووصل في هذا المنزل من المدينة مولانا السيد طه

حسن بن عبد الرحيم السمهوديُّ خادم قبة[٣٥] سيدنا الحسن والعباس رضي الله عنهما ، في حادثة وقعتْ في ليلة ثالث رجب ، وهو أنه يُبيِّضُ محرابَ القُبَّةِ وبقي فيها بقية ، وعَدَهُ البَنَّاءُ أنه يكمله له في الليل ، فبات معه هو وعُمَّالُهُ خارجَ المدينة ، وشرعوا في عملهم ، فلما كان وقت العشاء راى يازجيٌّ[٣٦] الحرم وهو حسن حلبي ، من فوق السور ، القُبَّةَ مفتوحةً ، وفيها السراج والعمال ، فذهب إلى نائب القلعة ، وأخذ منه ثلاثين (ينكشارياً)[٣٦] وفتح القلعة ووصل إلى القبة ، فوجد فيها السيد حسن المذكور والعمال ، والفعلة ، فتوسَّمُّوا أنهم أرادوا دَفْنَ أحَدٍ في القبة ، من الأرفاض ، وأصبحتْ رَجَّةٌ عظيمة في البلد . وركب السيد حسن السمهوديُّ يشكو حسن حلبي اليازج المذكور ، وكتب حسن حلبي يشكو هذا الأمر الذي وقع ، والله تعالى يُصلح الأمور ، ويطفي نيران الفتن والشرور .

ونظمت في هذا المنزل أبياتاً بالفارسية لطيفة في القهوة وهي[٣٧] :

المنزل العاشر وسط خَبْتِ كُلَيَّة : موضع يقال له طرف الحاجر ، وصلنا إليه بعد طلوع الشمس ، بالسُّوق العنيف يوم الأحد حادي عشرين ، وكنا رحلنا من رابغ بعيد العصر ، وأقمنا هنا إلى أنْ غَدَّيْنا ورحلنا .

المنزل الحادي عشر موضع من الْخَبْتِ : يقال له شجرات الأمير ، وصلنا إليه قُبَيْل المغرب ، وعَشَّيْنَا ورحلنا طول الليل إلى ضحى النهار ونزلنا في بَدْرٍ .

المنزل الثاني عشر بَدْر : كان وصولنا اليه ضُحى يوم الإثنين ثاني وعشري رجب .

وفيه وصلت إلى مولانا شيخ الإسلام أوراقٌ من أهل المدينة ، عيَّنوا له فيها بيوت السَّماهِدَةِ على باب الرحمة ينزل فيها ، وأجابهم إلى ذلك وأقام إلى نصف الليل ورحل .

المنزل الثالث عشر الصَّفْرا : صلينا فيه الصبح يوم الثلاثاء وغَدَّيْنَا ورحلنا .

المنزل الرابع عشر الخَيْف : وصلناه بعيد المغرب ، وبِتْنَا إلى الصبح ، وصلينا الظهر يوم الأربعا ورحلنا .

المنزل الخامس عشر النَّازِيَّة : عشينا فيه ورحلنا .

المنزل السادس عشر موضع بين قبور الشهدا والقُرَيش : يقال له الآبار ، ويقال له فرش سُوَيْقَة أيضاً وصلنا إليه صبح يوم الخميس ، وأقمنا وأصَابنا مطر شديد ، سالتْ منه السيول ، وكنَّا على طريق السيل ، فارتفعنا إلى الجبال ، وابتلَّتِ الخيم والأسباب ، فلمَّا خفَّ المطر قليلاً قُبيل الظهر رحلنا ، فأصابنا المطرُ في المغرب ، وقطعنا عِدَّة سيول ، منها ما خاضَه الجمل إلى نصف ساقهُ ، ومنها ما هو فوق ذلك ، وأنخنا في المغرب .

المنزل السابع عشر : أقمنا بها إلى أن تعشينا ورحلنا(٣٨) .

المنزل الثامن عشر أبيار عليٌّ رضي الله عنه : أصبحنا فيه ، ولَاقَى مولانا شَيْخَ الإسلام أمِير المدينة السيدُ منصور بن ضَيْغم الحسينيٌّ ، وجميع أعيان المدينة الشريفة ، من الفقهاء والعسكر وغيرهم ، ولم يتخلف عنه أحَدٌ . ودخل المدينة الشريفة ضحى ، وتَرَجَّلَ عند دخول المدينة الشريفة بسكينة ووقار ، ودخل المسجد الشريف ، وتشرف بزيارة جدِّه صلى الله عليه وسلم ، وحاز ثواب الزائرين معه ونزل في بيوت السماهرة ، بباب الرحمة .

ومَدَّ لهُ مولانا السيد حسين بن عبد الرحيم السمهوديٌّ سماطاً عظيماً ، ثم تتابعت الأسمِطَةُ له من أعيان المدينة ، وتصدق عليهم بصدقة عامَّة وصدقة خاصَّة ، وفرح بقدومه أهلُ المدينة الشريفة ، وأزال بها عدة ظلامات ، وشكره الغنيٌّ والفقير ، والقويٌّ والضعيف ، تقبل الله تعالى ذلك منه ، وجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأخلف عليه بِخَيْرٍ .

وكان نزولي في خزانة كتب الأشرف قايتباي رحمه الله تعالى بمفردي ، ونزول الأولاد والخدم عند الصِّهر العزيز البرهاني إبراهيم بن أحمد المالكي ، وعرض عليّ الولدُ النجيب ، الفالح اللبيب ، السيد سراج الدين عمر بن السيد حسين السمهودي «الأربعين النواوية» و«الخلاصة الألفية» وتصريف العزِّي» فكتبت له إجازة وأسمعته الحديث المسلسل بالأوَّليَّة والله تعالى يُنْشِيه نُشُواً صالحاً ، ويُقِرُّعَيْنَ والده وأهله به ، ويجعله من العلماء العاملين إن شاء الله تعالى .

وممن توفي بالمدينة الشريفة من أعيانها ونحن بالمدينة ، الشيخ الفاضل المعمر الكامل

الزيني آدم بن زبالة ، وكان صالحاً ، على قَدَم خَيْرٍ وطاعة ، وكان قبل قُضاة الأروام[٣٩] قاضياً بالْيَنْبُع[٤٠] ، مشكور السيرة ثم عُزِلَ ، وانقطع إلى الله تعالى ، ولعل مولده أوّل القرن رحمه الله تعالى ورحمنا إذَا صِرْنا مصيره .

وكنت شرعت في قصيدة أمدح بها النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، وأذكر فيها المنازل من مكة المشرفة إلى طيبة الطيبة فأتممتها في هذه الحضرة الشريفة ، وأنا أرجو (.....)[٤١] قضاء الديون وخاتمة الخير في عافية بلا بلاء في الدنيا ، وان يكفينا الله تعالى شر نوائب الزمان ، والأعداءِ والحساد من الإنس والجان ، إن شاء الله تعالى وهي :

هَبَّ النَّسيمُ على غُصُونِ الْبَانِ ... سَحَراً فأذْكَى لاَعِجَ شجَانِ
أهْدَى لنَا من طِيبِ طَيْبَةَ نفحةً ... طَابَتْ وطابَ بها فُؤادُ العاني
فترحَّلَ العشاقُ في أملٍ إلى ... نَحْوَ الحبيب سَعَوا على الأجْفَانِ
مَرُّوا بِمَرٍّ ثُمَّ بالْبَرْقا دُجًى ... واستقبلوا صُبْحاً رُبَا عُسْفانِ
وطَوَوْا خُلَيْصاً ثم منهل رابغٍ ... والخَبْت في نَصٍّ وفي ذملَانِ
وَقَضوا بِبَدْرَ مأرباً وتيمَّمُوا الْـ ... صَفراءَ : ثم الخَيْف ذو الأفنانِ
وتيمموا نَحْوَ الفَريشِ وأدْلَجُوا ... بِمَقَابِرِ الشُّهَدَاءِ والقِيْعانِ
وبدا لهم وادي الْعَقيقِ مبشراً ... بقبول زوْرَتِهم وبالرِّضوانِ
وبذِي الحُلَيْفة طاب مسعاهُمْ وقَدْ ... هَمُّوا مِنَ الأشواق بالطَّيَرَان
وتوجَّهوا نَحْوَ المدينة ضَحْوَةً ... قَرُّوا بِها عَيْناً مَع الرُّكْبَانِ
رَبْعٌ تَضَمَّنَ كلَّ خَيْرٍ دائِم ... بِنَبِيِّنا الْمَبْعُوثِ من عَدنَانِ
خَيْرِ البريَّةِ سيِّدِ الرُّسْلِ الَّذِي ... لَمْ يختلف في ذلك الثقلان
راقٍ إلى السَّبْعِ الطِّباقِ فَيَا لَها ... مِنْ رفعةٍ بَلَغَتْ أعَزَّ مكان
وعلا البُراقَ وكانَ أشرفَ مَرْكَبٍ ... كَالْبَرْقِ يخفِقُ أيما خَفَقَانِ
فاسْتَبْشَرَ القَلْبُ الشريف بما رأى ... مِنْ قُرْب منزلةٍ ومِنْ إحسانِ
ما كذَّبَ الْقَلْبُ المطَهَّرُ ما رأى ... وأجازَ ما شهدتْ بِهِ العينان

هو أحمد ومحمدٌ، والمصطفى ومُبَشِّرٌ هَادٍ إلى الإيمان
خمدتْ له نارُ المَجُوسِ وزُلْزِلَتْ إيوانُ كسرى انو شروان[٤٢]
رَمَتِ الشَّياطينَ الرُّجومُ لبَعْثِهِ وتنكّس الأصنام للأذْقانِ
وقد اصْطفاه اللهُ جَلَّ جلاله وحباه منهُ بمُعْجِزِ القرآنِ
لا يَدْخُلُ التبديلُ في آياتهِ أبداً ولا إعْجازُهُ بالفاني
سألتْ قريشٌ آيةً فأراهم قَرَ السَّماءِ وجُرْمُهُ نِصْفانِ
والجذع حَنَّ إليه عند فراقه شَوْقَ الحنين الوالـه الحيران[٤٣]
ثم الصلاة عليك ما هَبَّ الصبا والآل والأصحاب والأعوان

وفي حادي عشر شعبان يوم السبت المبارك، وصلت مكاتباتٌ من الوزير الأعظم محمد باشا إلى مولانا شيخ الإسلام بأنَّ السلطنة الشريفة أنعَمَتْ عليه بنظارة الحرم المكي بعلوفة وكانت قبل ذلك بلا علوفة[٤٤] وبخطابة الموقف الشريف، فحصل للناس السرور بذلك، وهنأهُ فقهاءُ المدينة الشريفة، وأعيانُها، وفرحوا له بذلك، وكان يَوْمَ سرور.

ووصل مكتوب الوزير المعظم سنان باشا (سردار) العساكر المجهزة إلى افتتاح اليمن، إلى مولانا شيخ الإسلام من منزلة النَّبْط[٤٥] وهو أول أدْراك ذوي هِجَّار، حكام الينبع، فتعين بروز مولانا إلى ملاقاته، فبرز يوم الأحد، ثاني عشر شعبان، بقافلته الخاصة، وخرج معه لوداعه أميرُ المدينة وأعيانُها وفقهاؤها إلى الأبْيار، وتصدَّق على الفقراء، ودعوا له بالدوام والبقاء، وحصول العز والسعادة، وهو جدير بذلك، أيده الله تعالى.

واستمر إلى المغرب ورحل واستمر إلى الصبح.

المنزل الثاني قرب قبور الشُّهَدَاء: نزله صُبْحَ يوم الإثنين، واستمرَّ إلى الظهر، ورحل.

المنزل الثالث قبيل الرَّوْحَا: وصلوا إليها قبيل المغرب، ووصل هناك قاصد من علي بن دَرَّاج بأنَّ حضرة الوزير المعظم سنان باشا وصل يوم الجمعة إلى الينبع، وأن عسكره سبع محطات، وأنه يرحل يوم الثلاثاء من ينبع، وأنه ما حصل منه تشويش ولا تكدير

على أحد ، وأنه في غاية اللطف والملايمة ، بلغه الله تعالى مراده وعشينا ورحلنا .

المنزل الرابع الْخَيْفُ : وصلنا إليه ضُحًى وعلَّفوا الجمال ، ورحلوا مغرباً وأصبحوا في بدر ، وكان الوزير سنان باشا خرج من الينبع ، ووصل إلى بدر يوم الثلاثاء ورحل ليلة الأربعا نصف الليل ، فرحلنا يوم الأربعا ظهراً ، واستمرينا على ظهور الركاب والبغال فلم ندركه ، فنزلنا في الخَبْتِ قليلاً ثم رحلنا ، وتركنا القافلة خلفنا فوصلنا نصف الليل إلى الْغَبْقة(٤٦) فوصلنا إليه وهو حاطٌّ بها من الظهر ، فأدركناه وقد حَلَّ ، وهو على رحيل ، فجلس إلى أن اجتمع به مولانا شيخ الإسلام ، وحاياه وفرح بوصوله وأكرمه ، وتحدث معه ساعة ، وسأله عن أحوال مولانا السيد الشريف نصره الله تعالى ، ثم سأله عن أحوال اليمن المُتَجدِّد بها . ثم قال : تعبتم كثيراً وما كان يحتاج هذا التعب ، فرد عليه :

ثم ضرب النَّفير ورحل ورحلنا خلفه ، وأصبحنا في مستورة ، وقد انقطعت دوابُّنا فحططنا ، ورحل هو إلى أن نزل موضعاً اسمه البستان ، وأدركتنا القافلة هناك ، ورحلنا معها عصراً يوم الخميس .

ثم نزلنا في (...)(٤٧) ورحلنا نصف الليل ، وأصبحنا يوم الجمعة في رابغ ، والباشا أيضاً رحل إلى رابغ صبحاً ، وحططنا وهو المنزل التاسع ، من المدينة الشريفة ، ونزل به الوزير المعظم سنان باشا مع العسكر المجهز معه لافتتاح مملكة اليمن ، وهو نحو أَلفَيْ فرس ، وأكثر من عشرة آلاف جمل ، وسواد عسكره نحو الخمسة عشر ألف ، غير الذين جهزهم من البحر ، وغير من يتبعهم بعد ذلك ، وعمل ديواناً ، وَمَدَّ سماطاً كبيراً في رابغ ، وجمع فيه أعيانَ العسكر ، وأُمراءهم وسناجقهم(٤٨) ، وأَجْلَسَ مولانا شيخَ الإسلام فوق الكُلِّ عن يمينه ، وأقبل عليه وحادثه ، ووانسه على الأكل ، وصار يقدم له بيده الطعام ، وأكرمه غاية الإكرام ، وعند الفراغ أفرغ عليه خُلْعتَيْنِ سَنِيَّتَيْنِ ، من أفخر الخلع ، وتوجه إلى منزله ، وأنعم على من وصل معه إلى المنزل ، ورحل مغرباً ، وسار قبل الوزير الى أنْ نزل في الْخَبْتِ ، في موضع يقال له أبو هَشيم ، وهو المنزل العاشر ومَرَّ علينا الوزير(٤٩) فركب له مولانا شيخ الإسلام ، وسار معه ، ثم عزم عليه مراراً بالرُّجوع إلى أنْ رَجَعَ عنه ، ومضى الوزيرُ إلى أن نزل في الخبت ، بحيث أَبْعَدَ جِدًّا عنَّا .

المنزل الحادي عشر نَبَّاع : بقرب طرف قُدَيْدٍ ، فوقه إلى ناحية المدينة ، وصلنا إليه بعد العصر ، وأنَخْنَا وعَشَّيْنا ، ورحلنا بعد المغرب ليلة السبت تاسع عشر شعبان ، ومررنا قرب الصبح بعقبة السّويق ، وقطعناه ونزلنا قبل الفجر في خُلَيْص ، وهو :—

المنزل الثاني عشر من المدينة الشريفة : ويقال له بالتركية (كزلجة بركة) (؟) : أقمنا به إلى آخر النهار ، ورحلنا قرب المغرب ، ومررنا بِعُسْفَان ليلاً ، ولم ننزل به ، وبعد المرور بعسفان وصل مولانا السيد حسين بن مولانا السيد حسن نصره الله تعالى لملاقاة حضرة الباشا ، واجتمع ومعه نحو ثلاثين فرساً ، وسايَرَهُ إلى المنزل .

المنزل الثالث عشر طرف البَرْقَا : نزلنا به ضُحى يوم الإثنين ، حادى عَشْرِيْ شعبان ، وأقمنا إلى العصر ورحلنا .

المنزل الرابع عشر وادي مَرّ الظَّهْران : وصلنا إليه ثلث الليل ، وعَشَّيْنا ورحلنا ، وأصبحنا في مكة المشرفة ، يوم الثلاثاء ثاني عَشْرِيْه .

وأما الباشا فانه ما نزل بالوادي ، واستمر إلى أن نزل عند أُمّ المؤمنين[٥٠] وأقام ذلك اليوم جميعه هناك ، وطلب السيد حُسين بن حسن ، وألبسَه خلعةً سنيَّةً فاخرة .

ثم في يوم الأربعا رابع عَشْرِي الشَّهرِ رحل من هناك بالزِّينة التامة ، والموكب التام ، وألْبس جميع العسكر ، ودخل إلى مكة المشرفة ، واستقبله أفندي مكة عبد الرحمن أفندي إلى الجوخي ، ومشى معه إلى أن دخل مكة وعدَّى إلى برْكَةِ ماجد[٥١] ، ونزل بوطاقِه[٥٢] هناك وكان قد دخل مكة ليلاً ، وطاف وسعَى وعاد إلى وطاقه بأم المؤمنين .

وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً ولم يُعْهَدْ دُخُول عسكرٍ مثل هذا في الكثرة والزينة إلى مكة وعُدَّتْ خَيْلُهُ فكانت ثلاثة آلاف ، وجماله تقارب عشرين ألف جمل ، وشقَّ مكة ، ولم ينزل إلَّا في بركة ماجن ، ضرب أوطاقَهُ هناك ، وضبط العسكر ضَبطاً مُحكَماً إلى أنْ رحل في رابع رمضان إلى جهة اليمن كتب الله تعالى سلامته .

[**الرحلة السادسة**] :

ذكر الزيارة المباركة في سنة ثمانين وتسع مئة .

جعلها الله تعالى خالصا لوجهه الكريم .

توجه مولانا شيخ الإسلام بدر الدنيا والدين ، السيد حسين الحسيني ، أدام الله سعده ، إلى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ليكسو الحُجْرة الشريفة النبوية بالكسوة الخضراءِ السلطانية ، حسب الأمر الشريف السلطاني فبَرَزَ في تجمل عظيم ، لا يُعْهَدُ مثله ، واستصحب من الأعيان طائفةً أجلُّهُمْ مولانا الشيخ عبد الواحد الشبيي ، وولده الشيخ الطاهر ، ومولانا معين خان ، وغير ذلك .

وصحِبتُهُ في هذه الزيارة ، والله تعالى يتقبل ذلك ويجعله خالصاً لوجهه الكريم بِمَنِّهِ وكرمه ولطفه وإحسانه .

وكانَ البروز عصر يوم الأحدِ سابع عَشْري جمادي الأولى سنة ثمانين وتسع مئة .

المنزل الأول الجموم : أقمنا يوم الاثنين ويوم الثلثاء ، وكان الرحيل ظهر يوم الثلاثاء على العادة .

المنزل الثاني طرف البرقا : وصلناه مغرباً وعشينا ورحلنا .

المنزل الثالث بئر عسفان : وصلناها شروق الشمس ، وأقمنا إلى قُبيل المغرب ، ورحلنا .

وجُهرت البئر في آخر النَّهار[٥٣] ،

ورأينا هلال جمادى الأخرى بعد ، قطع عقبة عُسْفان ليلة الخميس جعله الله تعالى مباركاً .

المنزل الرابع خُلَيص : وصلناه وقد بقي من الليل ثلثه ، وكان به الْعَلَفُ والنَّوى قليلاً ، وباعوا الربع النَّوى بستة عشر محلَّق ، ثم لم يوجد بعد ذلك ، وأقمنا إلى العصر أول جمادى الأخرى ، ورحلنا وقطعنا العقبة بين المغرب والعشا ، ثم استمرَّينا على ظهور الجمال .

المنزل الخامس نزلنا بعد مُضِيٍّ ربع الليل : في جادة مشاش (؟) وأقمنا ساعةً ورحلنا ، واستمر إلى الصبح يوم الجمعة .

المنزل السادس السَّرّاج : نزلنا وصلينا الصبح يوم الجمعة ، وأقمنا إلى قبيل الظهر ، واستمرينا إلى المغرب .

المنزل السابع دفين (؟) : أقمنا فيه إلى قرب نصف الليل ، ورحلنا .

المنزل الثامن رابغ : وصلناه عند صلاة الصبح يوم السبت ثالث جُمادى الآخرة وكان سعر النّوى في رابغ الرُّبْع بأربعة عشر محلَّقاً ، وهو قليل وكان ذهب لمولانا حمل خوشخا في (؟) بعد خليص في الرحلة الثانية ، فأرسل إليه راحلة وجمالة وجمل ليأتي به ، ولزم من ذلك تأخرُه برابغ إلى يوم الأحد رابع الشهر ، ورحلنا بعد مُضِيٍّ ربع النهار ، يوم الأحد المذكور .

المنزل التاسع ودّان : نزلنا به مع صلاة المغرب ، وعشينا ، ورحلنا سريعاً ، إلى الصبح يوم الاثنين .

المنزل العاشر الغيقة : نزلنا به صبح يوم الاثنين ، وحصل لمولانا نوعٌ من بَرْدٍ ونفّاضة ، وقليل حُمّى استمرت به إلى العصر ، وعافاه الله تعالى من ذلك ، وكان رحيلنا قبيل الظهر .

المنزل الحادي عشر شجرات الأمير : أنخْنا به قربَ المغرب ، وعَشّينا ، ورحلنا بسرعة ليلة الثلثاء إلى طلوع الشمس .

المنزل الثاني عشر بَدْر : وصلنا إليه عند الإشراق ، يوم الثلاثاء ، وكان النّوى قليلاً ، يسومون في الربع منه عشرين مُحَلَّقاً ، ولم يحصل لكثير من جَمّالة أهْلِ القفل شيءٌ من النّوى ، لاستيلاء الأقوياء عليه ، ولم يحصل لجمالنا شيء فأقاموا يوم الاربعاء إلى بعد الظهر ، وأطعموا جمالهم التمر ، وما سَدَّهُمْ (؟) وحملوا بين الظهر والعصر ورحلوا .

المنزل الثالث عشر الصَّفْرا : وصلوا إليها بَعْدَ مُضِيٍّ رُبُع الليل ، والجِمَالُ في غاية الضعف وأصبحوا يوم الخميس ثامن الشهر في الصفرا ، وأقاموا إلى بين الصلاتين ، ورحلوا .

المنزل الرابع عشر الخَيْف : وصلناه ليلة الجمعة تاسع الشهر بعد مُضيٍّ ثُلْث الليل ، وأقمنا فيه إلى قبيل الظهر وتوجه من هذه المرحلة حضيري ... (٥٤) السيد علي بن دَرَّاج ، بالمكاتبات إلى مصر ، وأقمنا فيه يوم الجمعة ولحقنا فيه الخواجا نقد علي (؟) ورحلنا قبيل الظهر .

المنزل الخامس عشر النازية : وصلناها قبيل المغرب ، وعشينا ورحلنا ، وصادفنا تلك الليلة وهي ليلة السبت أفندي المدينة القاضي عِزّ الدين أحمد ، وهو متوجه إلى الينبع ، إلا أنه مغلب عليه ، لأنه كان مريضاً ، وتوفي بعد أن مَرَّ علينا ، وهو ينازع وتوفي وغادُوا به إلى المدينة ، ودفنوه على نِيَّته في البقيع ، وهو رجل شريف من السادة الصفويين ، غير أن أهل المدينة لم يشكُرُوْا اقضاءه ، سامحه الله تعالى .

المنزل السادس عشر السُّوَيقة : بعد أن مررنا صبحاً شعب عليّ وقبور الشهدا ، ونزلنا ، ولاقانا به بعض أهل المدينة ، وكان نزولنا عند إشراق الشمس ، وغدينا ورحلنا قبيل الظهر يوم السبت .

المنزل السابع عشر قبيل الْمُفرِّح الكبير : عند البئر التي جَدَّدَها الوزير سنان باشا ، وصلناها وقت العشا ، وعشينا ورحلنا .

المنزل الثامن عشر المدينة المنورة : على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وصلناها ضحى يوم الأحد وكان لمولانا موكب عظيم في دخوله ، ولاقاه أميرُ المدينة السيد مانعٌ الحُسَيْني ، وشيخ الحرم الشريف المدنيُّ الأمير محمد بكر ، وأغَاة القلعة أحمد أغا وكاتب اسمه حسن جلبي ، وساير أعيان المدينة الشريفة ، وكان دخولاً جميلاً .

وخيطت الكسوة الشريفة بأواخر المسجد الشريف النبوي صلى الله على نبينا وسلم .

فلما كان يوم الخميس ضُحًى ، دخل شيخ الحرم ، ومولانا شيخ الإسلام وأتباعُهُ والخدام ، ورفعوا الكسوة العتيقة وألبسوا الحجرة الشريفة الكسوة الجديدة ، وحضر أهْلُ المدينة كلهم ، وكان قبل يوم العيد ، وتَمَّ ذلك بسرعة ، ولله الحمد والمنة ، وكان يوماً مشهوداً .

وكانت مدة الإقامة بالمدينة الشريفة إلى يوم الثلاثاء سابع عَشْري جمادى الآخرة وكانت ... [٥٥] .

وحصل به كل التَّمَلي التام ولله الحمد والمنة .

وارتحلت القافلة صبح يوم الثلاثاء إلى ذِي الْحُلَيْفَةِ ، وهي المنزل الأول ، واستمرت القافلة إلى المغرب وارتحلت وسارت إلى الصبح .

المنزل الثاني قبور الشُّهَداء : بل دونه بقليل ، صلينا فيه صلاة الصبح ، وأقمنا إلى قبيل الظهر ، ورحلنا .

المنزل الثالث دون الرَّوحا : وصلنا إليه قبيل المغرب ، وأقمنا إلى قريب ثلث الليل ، ورحلنا .

المنزل الرابع الخيف : وصلناه صبحاً بعد طلوع الشمس ، وأقمنا إلى الليل ، ورحلنا بعد العشا .

المنزل الخامس الصفراء : وصلناها وقد بقي من الليل أكْثر من ثلثه ، وأقمنا إلى الظهر ، ورحلنا .

المنزل السادس بَدْر : وصلنا إليه وقت العشا ، ورأينا هلالَ رجب ، ليلة السبت قبل الدخول إلى بَدْرٍ ، وأقمنا يوم السبت ، ولَيْـلة الأحد ، ورحلنا ظهر يوم الأحد .

المنزل السابع موضع يقال له بُرَيْمَةَ : من خَبْتِ البزوة ، وصلناها وقت المغرب ، وعَشَّينا ، ورحلنا .

المنزل الثامن حاجر : وصلناه عند طلوع الشمس ، يوم الاثنين ، وغدينا ، ورحلنا قبيل الظهر .

المنزل التاسع قبل مستورة : وصلناه ليلة الثلثاء وقت المغرب ، بعد أنْ عَدَّينا بِئر مَسْتُورَة وعشَّيْنَا ورحلنا .

المنزل العاشر رابغ : وصلناه صبحاً يوم الثلثاء ، وأقمنا إلى المغرب ورحلنا .

المنزل السادس عشر [؟]
ومعنا اليه وقت العشاء ورأينا هلال رجب ليلة السبت قبل الدخلة بدر والقمر يوم السبت قليلا الا صدر ورحلنا ظهر الاحد

المنزل السابع
سطح تيه [؟] بئر بهم من جنب البئر وصلنا ها وقت المغرب وتعشينا ورحلنا

المنزل الثامن
هاجر وصلنا عند طلوع الشمس يوم الاثنين وتغدينا ورحلنا قبيل الظهر

المنزل التاسع
حبيبة وصلنا ليلة الثلاثاء وقت المغرب بعد ان تغدينا بير ستون وتعشينا ورحلنا

المنزل العاشر
رابغ وصلنا صبيحة [؟] الى المغرب ثم رحلنا

المنزل الحادي عشر
ودوران سرنا طول الليل ثم صباح طلوع الشمس في الخبت هبت كبد يوم الاربعاء

المنزل الثاني عشر
قرب العقبة وصلنا اليه بعد المغرب وارتحنا وتعشينا ونمنا قليلا ورحلنا قبل غروب القمر ليلة الخميس ... الشهر ومررنا بالعقبة والقمر بقية يسير الى ان غرب من اخواها [؟] فلم عنطورد [؟] بالعقبة واستمرينا الى ... ليلا

المنزل الثالث عشر
عسفان وصلنا ما قرب نصف الليل ليلة الخميس وتغدينا الى الظهر ورحلنا واستمرينا الى قبيل المغرب ونزلنا

المنزل الرابع عشر
تغدينا من ابي مراغ ونزلنا بينه وبين ... وتعشينا ورحلنا بعد العشاء واستمرينا الى ... مرحلة

المنزل الخامس عشر
طرف البركة وصلنا ... وتغدينا فنازل وتغدينا ورحلنا

٧٥ ٩٤

المنزل السادس عشر
وادي فاطمة نزلنا عند دخول وقت العشاء وتعشينا ورحلنا ودخلنا الى مكة جعلها الله زيادة مقبولة فالحمد لله وحده الكريم وتشفع فينا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ولا جعلها آخر العهد من هذا البيت الكريم ورزقنا العود ثم العود ثم العود بفضله وكرمه ان شاء الله تعالى

(٤)

المنزل الحادي عشر دَوْرَان : سرينا طول الليل ، وأنخنا مع طلوع الشمس في الخبت خَبْتِ كُلَيَّة ، يوم الأربعاء .

المنزل الثاني عشر قريب الْعَقَبَة : وصلنا إليه بعد المغرب ، وأنخنا وعشّينا ونمنا قليلاً ، ورحلنا قبل غروب القمر ليلة الخميس ، سادس الشهر ، ومَرَرْنا بالعقبة ، والقمر منه بقية يسيرة ، إلى أنْ غَرَبَ على آخرِ أَهْلِ القافلة ، عند مرورهم بالعقبة ، واستمرينا إلى خُلَيْص ليلاً .

المنزل الثالث عشر خُلَيْص : وصلناها قرب نصف الليل ، ليلة الخميس ، وأقمنا بها إلى الظهر ، يوم الجمعة ، ورحلنا واستمرينا إلى قبيل المغرب ونزلنا .

المنزل الرابع عشر : تعدّينا عن أبي مراغ ، ونزلنا بينه وبين عُسفان وعشينا ، ورحلنا بعد العشاء ، واستمرّينا إلى الصبح على ظهور الجمال .

المنزل الخامس عشر طرف البرقا : وصلناه ضُحًى ، وتعدّينا عنه ، ونزلنا وغدّينا ، ورحلنا .

المنزل السادس عشر وادي الجموم : نزلناه عند دخول وقت العشا ، وعشّينا ، ورحلنا ودخلنا إلى مكة صُبْحا .

جعلها الله تعالى زيارة مقبولة خالصة لوجهه الكريم وشفع فينا نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم ، ولا جعلها آخر العهد من ذلك الْجناب الكريم ، ورزقنا العودَ ثم العَوْدَ ثُمَّ العودَ ، ما بقينا ، بِمَنِّهِ وكرمه إن شاء الله تعالى .

الحـواشي :

(١) س ٢ ص ٢١٩ وما بعدها .
(٢) انظر كلامه عن (الوجه) في «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» قسم (شمال المملكة) ص ١٣٥٧ .
(٣) من ص ١ إلى ٦٨ — المقدمة ، والكتاب من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .
(٤) الجنته — تحت الجيم ثلاث نقط — هي ما يسمى (الشنطة) أي الحقيبة .

(٥) الاسباهية — تحت الباء ثلاث نقط —: الفرسان (أهل الخيل).
(٦) البطة إناء يتخذ من الجلود الميِّتة الملصق بعضها ببعض، بشكل الدباءة الكبيرة فمه ضيق له غطاء، يستعمل للسوائل.
(٧) الْجَبَا — كما يفهم مما ذكر المؤلف مبلغ محدد من النقود، يجبيه، أي يأخذه أعراب الطريق من المسافرين عن كل جمل مُحَمَّلٍ، أو فوقه شقدف، وهو مركب مُظَلَّلٌ كبير، ذو جانبين كلّ جانب يتّسع لراكب، وقد يتسع للمرأة وأطفالها الصغار، وكذا الجمل الذي يحمل شبْرِيَّة، وهي مركب مكشوف، ذو جانبَيْن، يركب في كل جانب إنسان، وهو أقل راحة من الشقدف المتّسع لبعض ما يحتاجه الراكب، مع وقايته من الحرِّ والقرِّ والمطر، بخلاف الشِّبْرية.

ولعبد الغني النابلسي في كتاب «الحقيقة والمجاز، في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز» في كلامه على المدينة المنورة في اليوم الـ(٢٩٤) كلام طويل في محاولة إيضاح معنى كلمة (جَبَا) عند قوله: (ومن عادة أهل مكة والمدينة وما والاهما أنهم إذا جاؤا بالقهوة لا بُدَّ أنْ يقولوا: جَبَا) إلى آخر ما قال.

والكلمة لا تزال مستعملة يقولها المرء إذا قدم لآخر شيئاً بدون مقابل: (جَبَا) فيكون جواب الآخر: (عَدُوك بيبا).

(٨) المحلَّقة: نوع من العملة النُّحاسية — يظهر أنها بصورة الحلقة — وقد ظلَّت مستعملة في الحجاز ونجد، حتى أبطلها الشريف سعد بن زيد الذي امتدَّ حكمه إلى نجد، قال الطبري في «إتحاف الزمن، بتاريخ ولاية بني الحسن»: وفي سنة ١١١٤ — يوم الثلاثاء رابع عشر المحرم نادى الشريف سعد بن زيد في مكة أن صَرْفَ الشريفي عشرة حروف، والقرش الريال سبعة حروف، والمكلب خمسة حروف، وأنَّ المحلَّقة بطَّالة، ولا تسلك إلّا محلقة المدينة، وهي في الحقيقة كانت مضرة، لا تعرف هي نحاس أو رصاص، وكان يسمُّوها (؟) العامة (سيدر) وكان بها صَرْفَ الشريفي خمسة وعشرون حرفاً، والريال بثماني عشرة حرفاً، والمكلب باثني عشر حرفاً، وكل من بيَّتها في كيسه يصبح يراها ألواناً، أصفر وأحمر، فأراحوا العالم منها. انتهى.
(٩) كذا والصواب (ذوو رومي) وهم شيوخ قبيلة زُبَيْد، ولهم حوادث وأخبار في ذالك العهد تجد طرفاً منها في «بدايع الزهور» و«درر الفوائد المنظمة» وتواريخ مكة عن تلك الحقبة «القرنين التاسع والعاشر».
(١٠) لعله يقصد بكلمة (كيان) جمع كوم — أكوام —.
(١١) المعروف في المعاجم باسم (البَزْواء) وفي الشعر.
(١٢) هو غيقة لها ذكر كثير في الشعر.
(١٣) ترك للاسم بياضاً.
(١٤) حذفنا ثلاثة أسطر تتعلق بالرسول عليه الصلاة والسلام.
(١٥) هو حاكم مكة المكرمة في ذالك العهد الشريف أبو نمي بن بركات، توفي سنة ٩٩٢ وترجمته مفصلة في «سمط النجوم» للعصامي.
(١٦) عشرة أبيات منها:

وإنَّ كـرام الـعُـرْب تحمي نـزيـلـهـا   وتُسْـدِي إلى وفادِها بالمكارم

وفيها من الغلوّ في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ما حال دون نشرها.
(١٧) وأورد بعد هذا: (قال ابن عساكر: إنَّ أبا الطيب أحمد بن عبد العزيز المقدسي رحمه الله — زاد على البيتين المشهورين: (يا خير من دُفنت بالقاع أعظمه) — ثم أورد قصيدة في خمسة عشر بيتاً، فيها غلوٌ في مدح

المصطفى — عليه الصلاة والسلام — ومخالفة لأمره الكريم : «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنّما أنا عبد ، فقولوا عبدالله ورسوله» . لم نورد القصيدة .

(١٨) يقصد بالحصار الحصن ، والكلمة — وإن كانت تركية الأصل — إلا أنها مأخوذة من المحاصرة .

(١٩) سطر لم يتضح في التصوير .

(٢٠) هذا البيت من قصيدة لابن مطروح أوردها صاحب كتاب «إتحاف الزمن» مع شعر القطيبي .

(٢١) خرافة الطَّبْل لها أصْلٌ من الصحّة فالرِّياح عند هبوبها تسْفُو الرِّمال فتكون منها كثباناً متراكمة ، فإذا سكنت الرياح ، بدأت أعالي الكثبان تنهال ، فيحدث انهيالُهَا أصواتاً غريبة يسمعها الإنسان بدون أن يرى مبعثها . وكان العرب — قديماً — يُسَمون تلك الأصوات عزيفاً ، ويظنون أنها أصوات الجنّ ، ويسمون أبارق رَمْلٍ معروفة باسم (أَبْرَقَ العزَّاف) .

والموضع الذي بقرب بَدْر كثيب من الرَّمْل ، يحدث فيه — بتأثير الرياح — ما يحدث في الكثبان الأخرى من العزيف ، فيظنه من يسمعه ويجهل سبّبه صوتَ طَبْلٍ ، ومن هنا نشأتِ الخرافة عند أناس يجهلون طبيعة الصَّحْرَاء .

(٢٢) اسم الموضع غير واضح في التصوير ، وقد يكون (الْبَزْوَاء) .

(٢٣) التذكير — بالطريقة التي تتبع في بعض البلاد الإسلامية قبل الفجر — من الأمور المبتدعة بعد القرون الثلاثة المفضّلة التي قال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم : «خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم» .

(٢٤) مكان النقط كلمة غير واضحة .

(٢٥) مكان النقط بيت فيه مبالغة دَعَتْ إلى حَذْفِهِ .

(٢٦) ترك بياضاً لوصف هذه الزيارة ، ولم يكتب شيئاً .

(٢٧) مكان النقط كلمة غير واضحة ولعلها (والشمس حيَّة) .

(٢٨) دفتردار — كلمة تركية تؤدي معنى رئيس الكتاب .

(٢٩) تقع في ٢٢ بيتاً ومنها :

إلى مَ وقد جاوزت خمسين حجّة ... أضيع عمراً ضائعاً إثر ضائع

وآخرها :

عليك صلاة دائم ، وتحيّة ... وآلِكَ والأصحاب في كُلِّ طالِع

وهي مما لا تتسع له صدور كثير من القراء ، لاحتوائها على عبارات لا تجوز في حق الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٣٠) إقامة حفلات الموالد من الأمور المبتدعة ، وتشتدّ حرمتها حين تقام في مسجد المصطفى على مقربة من قبره الشريف ، وهو القائل : «كُلُّ عَمَلٍ لَيس عليه أَمْرُنا فَهُوَ رَدٌّ» .

(٣١) كذا ورد اسم (خليص) مُعَرَّفاً ، والأعلام لا تعرف إلا سماعا ، ولم أر — فيما اطلعت عليه من كلام القدماء ما يدل على تعريفه .

(٣٢) قاضي القضاة لقب لا يجوز إطلاقه على مخلوق — كما نصَّ على ذالك شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتاب «التوحيد» .

(٣٣) كذا في الأصل وقد يكون المقصود حُراساً يُزْبَن إليهم ، أي يلتجأ إليهم للحماية عند الخوف ، وقد تكون (مزينا) ويراد بها قبيلة مزينة ، ولكن بلاد مُزَينة بقرب المدينة بعيدة عن خُلَيص ، وليس من المعقول أن تخالط

قبيلة حرب في وسط بلادها .

(٣٤) ترك بياضاً لكتابة اسم القاصد .

(٣٥) البناء على القبور محرَّم شرعاً ، والحمدلله الذي طهر الأماكن المقدسة من أَوْضَارِ الخرافات والبدع ، فأزال معالمها وآثارها كالقباب والأبنية على القبور .

(٣٦) يازجي الحرم — أي كاتب شؤونه (يازجي) كلمة تركية معناها (كاتب) .

(٣٦) الينكشارية من جنود الدولة التركية ، ذَوو تربية خاصَّة .

(٣٧) خمسة أبيات لم أستطع قراءتها لعدم معرفتي اللغة الفارسية .

(٣٨) لم يذكر اسم المنزلة .

(٣٩) يقصد بالأروام (الأتراك) فؤرخو ذالك العصر يسمونهم الروم . .

(٤٠) صواب الاسم (ينبع) بدون تعريف .

(٤١) حذفنا سطراً فيه كلمات موجهة للرسول صلى الله عليه وسلم .

(٤٢) كذا والعجز مختل الوزن .

(٤٣) ثم ثمانية أبيات يطلب فيها من الرسول ما لا يجوز أن يُطلَب إلَّا من الله تعالى وحده ، كغفران الذنوب ، وقضاء الديون ، والانقاذ من جور الدهر وعداوة الحسّاد والأقران .

(٤٤) العلوفة المرتب .

(٤٥) النَّبط (نَبَط) منهل بقرب أُمّ لُجّ ، بطريق ساحل البحر ، الذي كان يسلكه حجاج مصر ، وله ذكر كثير في رحلات الحج وانظر عنه (قسم شمال المملكة) من «العجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .

(٤٦) الصواب (غيقة) بدون تعريف .

(٤٧) ترك بياضاً لاسم الموضع ولم يذكره .

(٤٨) سناجق — جمع سنجق كلمة تركية تعني رؤساء فرق العساكر .

(٤٩) الوزير سنان باشا هو الذي ألف القطبي كتاب «البرق اليماني في الفتح العثماني» لبيان غزوه بلاد اليمن ، إذ الوزير المذكور حين عاد من اليمن قدَّم للقطبي (نسخة من تاريخ فتح اليمن ، منظومة باللسان التركي) فاستعان بها في تأليف ذالك الكتاب ، وهو من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

(٥٠) يقصد بأم المؤمنين المكان الذي فيه قبر ميمونة أُمّ المؤمنين ، وهو سَرِف ، بقرب التَّنْعِيم ، غير بعيد من (الشهداء) وقد اتَّصَلَ عمرانُ مكة الآن بذالك المكان ، بل تجاوزه .

(٥١) بركة ماجد في محلة المسفلة ، وأصل الكلمة (ماجل) باللّام ، والماجل كُلُّ ماء في أصل جَبَلٍ أَوْ وَادٍ ونَصٌ علماء اللغة على أنَّ الماجِل موضع بباب مكة ، يجتمع فيه ماء يتحلَّبُ إليه . وهو ما عرف أخيراً باسم بركة ماجد .

(٥٢) الوطاق كلمة تركية يقصد بها المخيم .

(٥٣) جهرت البئر — أي نُظِّفَتْ ، وأُخرج ما فيها من طين وأحجار ، ليزداد ماؤها .

(٥٤) كلمة غير واضحة .

(٥٥) بياض في الأصل .

تاريخ الفاخري
لا
الأخبار النجدية

— ٢ —

حول وفاة ابن لعبون :

وقال الأستاذ الدكتور الشبل ص : ٢٩ :— وتوفي ابن لعبون سنة ١٢٥٥ هـ انتهى .

وأخشى أن يكون اعتمد في هذا على ما ذكرته في مجلة «العرب» س ٥ ص ٧٩٨ — ونصه : (وقد عاش ابن لعبون هذا إلى سنة ١٢٥٥) .

وأنا لم أقل بأنه مات في هذه السنة ، ولكنني اطلعت على تتمة لكتابه المتعلق في الأنساب الذي كتبهُ استجابةً لطلب الشيخ ضاحي بن عون — المطبوع بمكة المكرمة ، جاء في تلك التَّتِمَّة ما نصه : (ودخلَتْ السنة الخامسة والخمسون بعد المئتين والألف والموجود من آل اسماعيل الركن الشديد ، والحصن المشيد ، الجواد المفيد ، ضاحي بن محمد بن إبراهيم ابن عون بن حمد بن اسماعيل ، وابن أخيه بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عون) .

وتلك التتمة نسخها الشيخ عبد الرحمن بن ناصر — صاحب التاريخ المعروف باسم «السعد والمجد» — في ١٩ رمضان سنة ١٣٦٨ ثم اطلعت على تلك التَّتِمَّة في كتاب «تحفة المشتاق» لابن بسام ، وذكر في مقدمتها أنه نقلها من تاريخ حمد بن محمد بن لعبون (بقلمه) ولكن ما ورد في كتاب «تحفة المشتاق» يختلف كثيراً عما نَسَخَه ابن ناصر ، ومن أمثلة الاختلاف الجملة التي حددت التاريخ بسنة ١٢٥٥ — فهي :— في الكلام على ذرية اسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن حسين المدلجي :— (منهم ضاحي بن

محمد بن عون بن إبراهيم بن اسماعيل ، التاجر المشهور ، المتوفي في بَمْبَي من بلاد الهند ، سنة ١٢٦٠) انتهى .

فابْنُ بَسَّامٍ — أو من نقل عنه ابنُ بسَّام — ويظهر أنه ابن ابن عيسى — نصَّ على أنّه نقل الكلام من تاريخ ابن لعبون (بقلمه) وقد نص على تاريخ وفاة ضاحي بن عون سنة ١٢٦٠ — فهل عاش إلى هذا التاريخ ؟ أنا أشك في هذا وأراه مما زِيْدَ في الكتاب وقد يكون من زيادة زامل ابن المؤرخ وقد وصلت إلى ابن عيسى نسخة من كتاب ابن لعبون بخط المؤرخ وبخط ابنه زامل ولزامل زيادات فيها .

أما سنة ١٢٥٥ فلا شكَّ أن ابن لعبون اذْركها — كما نصَّ على ذالك في غير موضع من التتمة التي نسخها عبد الرحمن بن ناصر.

ولكن لا يمكن الجزم بأنَّ ابنَ لعبون مات في تلك السنة .

وفرق بين أن يقال : (عاش إلى سنة ١٢٥٥) وأنْ يقال : (مات في سنة ١٢٥٥) أما الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسَّام فلم يؤرخ وفاته حين ترجمه في كتاب «علماء نجد خلال ستة قرون» : بل اكتفى بقول : (ولَمْ أَقِفْ على السَّنَةِ التي توفي فيها ، إلَّا انه ذكر وفاة ابنه محمد سنة ١٢٤٧ هـ) انتهى .

مخطوطتا الكتاب :

قال الدكتور الشبل (ص ٣٠) بعنوان (التّعريف بالمخطوطة) وهو يقصد أصل الكتاب الذي اعتمده للتحقيق : (يكاد يغلب على الظن أنه لا يوجد من هذه المخطوطة سوى نسختين) ثم ذكر النسخة التي بخط عبد الرحمن بن محمد بن ناصر المتوفي قبل عشر سنوات تقريباً ، والنسخة الثانية التي كتبها محمد بن حمد العمري سنة ١٣٨٠ وذكر أنه نقل مقدمتها عن مقدمة كتبها عبد الرحمن بن عبدالله بن حمود التويجري .

ويلاحظ على ما تقدم :

١ — التعبير بكلمة المخطوطة ويراد بها الكتاب المحقق تعبير موهم ، غير واضح ، فقد يقصد به إحدى المخطوطات من الكتاب لا الكتاب نفسه .



(الصفحة الأولى من نسخة حمد الجاسر)

٢ ــ القول بأنه يغلب على الظنّ عدم وجود أكثر من نسختين لذلك الكتاب ليس صحيحاً لأن ناسخي النسختين نسخاها في عصرنا الحاضر ـــ أي بعد قرن من الزمان ، على وجه التقريب على وفاة المؤلف ـــ هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فهما نسخا عن نسخة أو نسختين ومن غير المعقول عدم وجودهما .

ثم الإشارة إلى أنَّ العمري نقل مقدمة نسخته عن مقدمة كتبها التويجري بدل على أن التويجري نسخ نسخةً نقل عنها العمري .

ومع كل ما تقدم فنسخة التُّويجري موجودة وكان قد فرغ من كتابتها في ثالث المحرم سنة ١٣٦٨ وقد اطلعت عليها ونقلت عنها نسخة في غرة جمادى الآخرة سنة ١٣٧٢ .

وقد كتب في مقدمتها ترجمة للفاخري أورد الدكتور ملخصها ونصّها كاملة : (ولد سنة ١١٨٦ في بلدة التويم من سدير ونشأ بها وقرأ القرآن ، وانتقل من التويم إلى الأحساء في حادثة الترك ، ثم انتقل بعد ذلك إلى بلد حَرْمة . كان رحمه الله أحد أدباء نجد في زمانه وكان يجيد الخط ، وقدْ حصل كتباً كثيرة بخطه الحسن ، وله نقولات في مختلف العلوم ، وقد جمع كتاباً في الأدعية النبويّة سماه « الأحاديث المرويّة في الأدعية النبوية » ولكنه قد تلف بسبب الأرضة ، ولم يبق منه إلا ورقات قليلة ، وقد رأيتها بخطه ، وله معرفة بالشعر ، فمن شعره قوله مؤرخا حادثة الترك في سنة ١٢٣٣ قال :

عَامٌ به الناس جالوا حسبما جالوا ونال مِنَّا الأعادي فيه ما نالوا

قال الأخلاء : أرِّخْهُ فقلتُ لهم :
أرَّخْتُ قالوا : بماذا قلت (غربال) ١٢٣٣ .

ومن ذلك قوله من قصيدة في عمال الترك لما جاءوا لخرص الزُّروع :

وعمال بحذف اللاَّم جـــــاءوا تُـريْدُ خراصَنَا من غير صاد
لِـبَـيْتِ المال دون اللام سَهْمٌ وسـهـم دون دالٍ لـلـزِّنـاد

وقد ذُكر لنا أن هؤلاء العمال الطغام أجازوه على هذه القصيدة ، وتركوا له زكاة زرعه ، وقد توفي سنة ١٢٧٧ رحمه الله تعالى آمين) .



(إحدى صفحات نسخة حمد الجاسر)

ثم كتب التويجري مقدمة لنسخته أوردها الدكتور الشبل (ص ٥٩ في الهامش).

٣ ــ ويضاف إلى ما تقدم أنَّ لديَّ نسخة من ذلك الكتاب أقدم تاريخاً مما تقدم الحديث عنه تبدأ بما هذا نصه : (وفي سنة خمسين وثمان مئة اشترى حسن بن طوق جد المعمَّر العُيَيْنة).

وآخرها في الكلام على حوادث سنة ألف ومئتين واثنين وثمانين (١٢٨٢) ولكن لما ذكر سنة ١٢٧٧ قال : (وفيها توفي محمد بن عمر الفاخري) وذكر بعد ذلك : (وفي النصف من شعبان حدث وباء في العارض، ومات فيه الشيخ حسين بن علي، والشيخ عبد الرحمن بن بِشر). واستمر في سرد الحوادث.

٤ ــ يوجد لدى آل الفاخري نسخة أيضاً وأذكر أنني فكرت في نشر تاريخ الفاخري قبل عشرين عاماً فعلمتُ بتلك النسخة فكتبت إلى الأخ عبدالله بن محمد الفاخري في الموضوع فكتب إليَّ كتاباً جاء فيه : (إن التاريخ المذكور فيه بعض الكلمات والتعابير الركيكة التي لا تستقيم وصحة المعنى وسلامة الأسلوب) ففهمتُ من هذا عدم الرغبة في نشره. (انظر الصورة في الصفحة المقابلة).

٥ ــ أكَاد أجزم بأنّ النسخة المشحونة بالأغلاط التي اتخذها الدكتور أصْلاً وأتعب نفسه في كتابة الحواشي الكثيرة لتصحيح ما فيها من لَحْنٍ، ليستْ منقولة عن أصل صحيح، ويدل على هذا أن النسخة التي لديَّ تذكر السنوات بالأرقام لا باللفظ فكلمة سنة (خمستعشر وألف) كتبت (١٠١٥) وهكذا.

ولا أستبعد أنَّ المؤلف كتب معلوماته بشكل (مسودة) ليرجع لترتيبها وتصحيحها فلم يتيسَّره له ذلك، فنقل من بعده أناس من العامة إذْ ليس من المعقول أن الفاخري ودرجته من الثقافة لا بأس بها وخطه حسن، ليس من المعقول أن تقع منه هفوات في كتابة كلمات لا تصعب كتابتها على من لديه أقل إلْمَامٍ بقواعد الإملاء.

ويجد القارىء نماذج لخطّ الفاخري الحسن في هوامش نسخة المتحف البريطاني في طرة الكتاب وفوق الورقة (١٨٨) حيث أضاف على حوادث سنة ١٢١٥ ما هذا نصه :

Cable Address :
ELFAKHRI

Importer & Seller of
Water Engines &
Agricultural Machinery

C. R. : 1698

Telephone :

العنوان البرقي :
(الفاخري)

استيراد وبيع مكاين
وآلات زراعيـــة

س. ت. : ١٦٩٨

تلفون :

عبدالله المحمد الفاخري

شـــارع الشيخ محمـــد بن عبـــدالوهاب
الرياض – المملكة العربية السعودية

Abdulla Mohammed El-Fakhri

Shaikh Mohammed Abdulwahhab Street
RIYADH - Saudi Arabia

Date.................................19

التاريخ ٢٢/١١/١٣٨٠

حضرة المكرم فضيلة الشيخ حمد الجاسر المحترم.

بعد التحية والاحترام، نرجو لكم دوام الصحة والرخاء العميم.

لقد بلغنا أنكم ستقومون بطبع تاريخ جدنا محمد بن عمر الفاخري.
وإنني أنتهز هذه الفرصة لأعبر لكم باسمي وباسم العائلة عن عظيم شكرنا وتقديرنا
لجهودكم النبيلة راجين أن تكلل مساعيكم بالنجاح والتوفيق في سبيل
خدمة العلم ونشر الثقافة وإحياء تراثنا الخالد.

هذا وقد عرفنا أن الناسخ قد ذكر فيه بعض الكلمات والتعابير
الركيكة التي لا تستقيم وصحة المعنى وسلامة الأسلوب، فإذا كنتم ترون أن
تتفضلوا بشرح الشبه وإبداء رأيكم وتصحيحكم حسب ما تقتضي الحال فذلك لكم.

(قسم من كتاب أحد أحفاد الفاخري عن تاريخ جدّهم)

رحلة التميمي التونسي
إلى الحج

- ٤ -

ونسير مع الشيخ التميمي التونسي — سَيْراً يحزُّ في النَّفْسِ ويؤلمُها ما اتَّصف به ذالك العصر وذالك المجتمع الإسلامي من جمود فِكْرِيٍّ ، وهيمنةٍ للبدع والخرافات على كثير من عقول المنتسبين إلى العلم ، في البلاد الإسلاميَّة ، ومنها المدينتان الكريمتان ، مكة والمدينة . ولكن ذالك جُزْءٌ من تاريخنا ، لا بُدّ من تسجيله على عِلّاته وعلى عِلَلِهِ .

وذكر اجتماعه — في المدينة بأحد زملائه في الدراسة في تونس على المفتي حسن بن حسين ، وكان هذا الزميل قدم تلك الأيام إلى المدينة ، بقصد المجاورة ، وسكن المدرسة التي أنشأها الخَيِّر الحاج عبد الرحمن المغربي ، أصلُهُ من القيروان ، وكان فقيراً جداً . فجاء إلى المدينة ، وجاور مدة نيِّفٍ وثلاثين سنة ، ذكر أنه دخل المدينة ، ولا يملك إلا ثلاثة قروش ، وتوكل على الله و(. . . . . .)[1] فلحقته العناية وصار من أكبر المُثْرِيْن بالمدينة ، وله دارٌ حسنة جدًّا ، وعلوي ، وآخر فوقه ، مكسوٌّ بأرفع الكساوي .

ووجدنا عنده « الإحياء » للغزالي ، يطالع فيه الناس بِحَضْرتِهِ ، ويفهم فهماً جيِّداً ،

(وفي هذه السنة — وهي الخامسة عشر توفي عبدالله بن عثمان بن بشر ، وهو والد الشيخ عثمان مؤلف هذ الكتاب وغيره .

وفيها أيضاً توفي أمير قرايا سُدَير بأجمعها ، استعمله عليها عبد العزيز — رحمهما الله — فبقي فيها نحو خمسٍ وعشرون سنة وكان — رحمه الله — عاقلاً فطناً انتهى كتبه محمد بن عمر الفاخري) .

(للحديث صلة) حمد الجاسر

وأنشأ هذه المدرسة العظيمة لفقراء الطلبة ، وقد تمّ بناؤها ، وهو الآن يُحَسِّنها بـ(الجيّار) و(اللغوان) ؟

وجمعنا الحاج مولاي بالشيخ الحبيب بن محمد الحبيب الدريوي ، من عمل تونس ، كان قرأ على الشيخ سيدي حسين بن حسين ، وجاور بالمدينة ، لمدة خمسة عشر عاماً وهو من العلماء .

كما اجتمعنا بالسيد أحمد الشابي بن القاسم المسعودي ، نسبة إلى عبدالله بن مسعود الصحابي الشهير ، وينتسب إلى هُذَيل ، فرح بنا ، ورأينا منه بشاشة ، ومُلازمةً لنا ، وذكر أنه كان اجْتمع بوالدي ، والشيخ سيدي (لحمد صداني ؟) وأثْنَى عليهما خيراً وأنه هاجر لمدة تزيد على خمسة عشر عاماً .

كما اجتمعنا بالفاضل سيدي محمد الطيب بن محمد العُقبِي ، فوجدناه رجُلاً ذَا أخلاقٍ طيبة .

كما اجتمعنا بجماعة من أولاد التارزي ، ابن عزوز المبدري (؟) أصله من الجزاير ، هاجر لنقطه ، ولما احتلّ (الفرانيس) تونس وأعمالها هاجر بأبنائه وأحفاده للمدينة المنورة ، إلى أن توفي بها ، وترك أولاده الشيخ مصطفى ، والشيخ عبد الكريم ، والشيخ الطيب وحفيده العالم أحمد الأمين ، ففرحوا بنا ، وأكرمونا ، واستضافنا الشيخ أحمد الأمين ، عشيّة الخميس ٦ محرم .

واجتمع معنا الشيخ مصطفى حبش ، شيخ الطريقة الشاذلية[٢] وهو رجل مُسِنٌّ ، عليه سِيْمَا الخير والصلاح .

وكنّا حضرنا بدرس العالم الشيخ حسين أحمد الهندي الحنفي ، وهو مدرس بالمسجد النبوي ، فوجدناه يُقْرِيءُ « صحيح مُسْلم » في حديث البسملة في الصلاة ، وقراءة المأموم مع الإمام ، وأدِلّة الأئمّة في ذالك ، وقراءته برياضة تامّةٍ ، يسرد التلميذ الحديث ، فيُفَسِّره ، ويُبَيِّنُ مدرك (؟) الأئمة الأربعة . وسألنا منه الدعاء ، فدعا لنا بما نرجو من الله قبوله .

وفي ليلة الجمعة بين العشاءَيْن حضرنا دَرْساً للشيخ يعقوب ميزر زاده (؟) الحنفي ، وجدناه يقري «الجواهر المنظم»[٣] في زيارة القبر الشريف المكرم» في مبحث التفصيل بين المدينة ومكة ، وما للعلماء من خلاف في ذالك ، واستدلَّ لمذهب كل ، وأيَّدَ مَذْهَبَ الإمام مالك رضي الله عنه في تفضيل المدينة على مكة ، وأثنى على الإمام مالك رضي الله عنه ، وذكر أنَّ الإمام الأعظم — رضي الله عنه — لمَّا جاء للمدينة ، وقف عند حَدِّ المسجد الأصلي ، ولم يَدْخل المواجهة ، تأدُّباً ، وأنَّهُ وجَدَ الإمام مالكاً يقرىءُ دَرْساً عند مواجهة الحضرة النبوية ، وألْقَى الإمامُ مالكٌ سؤالاً على بعض تلامذته ، فلقَّن أبو حنيفة الجواب للتلميذ — فأجاب التلميذُ مالِكاً — فقال له : إنَّ هذا لا يَصْدُرُ إلا من أبي حنيفة — رضي الله عنه — وسأله من أعلَمَهُ ؟ فأشار إلى الإمام أبي حنيفة ، فلمَّا تعارفا ، سلما على بعضهما ، وقال الإمام الأعظم لمالِكٍ : لمَ لمْ تحجَّ ؟ فأجابه الإمام : إنه يخشى أن يموت خارج المدينة . فقال له الإمام الأعظم : فإن استأذنتُ لك رسول الله صلى الله عليه وسلم أتذهب للحجِّ ؟ فقال : حتَّى أَسْمَعَ الإذْن من النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، ويعدُني بالرجوع سالِماً .

فواجَهَ به الحضرةَ النبويَّة — على صاحبها أفضل الصلاة وأزْكَى التحيَّة ، وقال له : يا رسول الله إنَّ مالكاً يقول كذا . فسمع الإذنَ من داخل الروضة الشريفة ، والوَعْد بالرجوع سالماً[٤] .

والرجل المذكور ليس له عارضةٌ في العلم ، وإنما يغلب عليه القصة والأخبار وحكايات الصالحين .

وكنتُ في ليلة الأربعاء الخامسة من محرم ، اجتمعت بالشيخ أحمد خليل ، نائب الأئمة الشافعيّة في الحرم الشريف ، وهو رجل مُسِنٌّ ، عاجزٌ ، عليه سيا الخير ، وله نصيبٌ من العلم ، ودعا لنا بخير ، واجتمعت بمجلسه بجماعة ، منهم ابنه الشيخ محمد ، وهو الآن نائب الأئمة ، والشيخ أبي بكر عبد الحفيظ ، من أئمة المالكية بالحرم ، وبالشيخ عبد الحيِّ أبو خضير ، من مدرسي الشافعية بالحرم ، والشيخ طاهر أفندي من كتبة الخزينة الجليلة بالحرم .

وفي يوم الجمعة سابع محرم ، اجتمعتُ بأُناسٍ من أهل فاس ، منهم السيد عبد الرحمن بن زيدان ، نقيب السادات الأشراف العلويَّة ، بمكناس ، قرأ علينا قصيدة نَبَوِيَّة ، أنشأها بالطريق ، لينشدها بين يدي سيد المرسلين ، صلى الله عليه وسلم[٥] .

ومنهم السيد المكّي بن إبراهيم الوزّاني ، من ذرية مولاي التهامي وهو إنسانٌ خيِّر صالح ، صاحب مكاشفات ، وله . في طريق القوم نصيب وافر[٦] . ومنهم ابنه السيد محمد ، ومنهم السيد عبد الكبير بن مولاي الماحي الصقلي الحسيني من سكان فاس . وكلهم جمعنا بهم بمحل نزولهم الشيخ سيدي عمر حمدان ، ودعوا لنا بما أرجو الله قبوله .

وبعد صلاة الجمعة بالحرم قابَلَ بنا الشيخ سيدي عمر حمدان ـــ العلامة النحرير ، الصدر الشهير ، الشيخ سيدي محمد بن جعفر الكتّاني الفاسي ، وهو من العلماء الأجلّة ، الذين هاجروا سالفاً للمدينة المنورة ، فرأينا على الرجل مهابةً وجلالاً ، وحسن سمْتٍ ، وتَبَحُّرٍ في العلم . بلغنا أنه يقول بتحريم الدخان ، وكان الشيخ عمر حمدان من تلامذتهِ .

وفي يوم السبت الثامن من محرم ذهبت أنا والشيخ سيدي عمر حمدان ، للعلّامة العارف بربِّه ، الشيخ سيدي أحمد الشمس ، تلميذ الشيخ سيدي ماء العينين ، الشريف ، الشهير بالمغرب ، فزرناه بدارِهِ ، وهو رجل مجاور بالمدينة ، لمدة ثلاثة أعوام ، عام التالي (؟) فرأينا عليه مهابة وجلالة ، وكرم نفسٍ ، يتكلم في الحقائق بأنواع الرقائق ، وحضر بمجلسه جماعة من الفضلاء ، منهم الشيخ سيدي محمد الافريقي (؟) والشيخ سيدي محمد المكي ابني العلامة سيدي محمد بن جعفر الكتاني الفاسي ، العالم الشهير الذي اجتمعنا به أمس ، والسيد محمد الشريف بن محمد البزرتي (؟) الزواوي ، من المجاورين ، حيث ذكروا الشيخ العالم الشيخ محمد العمري الجزائري ، المجاور لنحو ثلاثين عاماً وأخبرنا أنه اطلع على منظومة لابن المناصف (؟) تحتوي على أرْبعة عشر ألف بيت ، سماها « الدرة السنية ، في المعالم السنية » تكلم فيها على عقائد التوحيد ، وأبواب الفقه ، وآداب صوفية ، كما أخبرنا أنه يوجد بمكتبة شيخ الإسلام « موطأ أبي الخضر (؟) الفاسي ، عن ابن القاسم الرعيني (؟) .

وأكرمنا الشيخ بمجلسه ، وأطعمنا ، وفرح بنا ، ودَعَا لنا بخير وفي ليلة السبت — قبله — اجتمعت بالعالم الشيخ عمر بن مصطفى علي طه (؟) أحد مدرسي الحرم الشريف ، فاقد البصر ، حافظ أديب ، وجدته يقرىء الحديث بالحرم ، بين المغرب والعشاء ، ودرسه حافلٌ ، يستشهد بالقرآن ، وأبيات مأثورة للعلماء ، وأصله من الشام من دمشق ، أتى به والده صغيراً ، وتعلم العلم ، وعليه سيما الخير والصلاح .

وقد سمعت بديوان يسمى « الدرّ المنظوم ، لذوي العقول والفهوم » تأليف (... ... ...) الحبيب ، عبدالله بن علوي الحدّاد[7] ، وما اشتمل عليه من القصائد النبويَّة ، والتكلم في الحقائق ، فاشتاقت النفس اليه ، وسمع الشيخ محمد المذكور ، وأني بحثت عليه فلم أجده ، فأهداه لي الشيخ المذكور ، جزاه الله خيراً .

وقد سمعت منه بَيْتَيْن على لسان الصدِّيق رضي الله عنه ، وهو أنه مرض النبيُّ صلى الله عليه وسلم فزاره الصديق رضي الله عنه ، فمرض ، فعوفي النبي صلى الله عليه وسلم ، وزار الصديق فشُفي ، وهذان البيتان :

مَـــرِضَ الحَبِـــيْبُ فَـــزُرْتُـــهُ فَـمَـرِضْتُ مِنْ حُـزْنِي عَـلَـيْهِ
وشُـــفِـيَ الحَبِـــيْبُ فَـــزارني فشُـفِـيتُ مِـن نـظَـري إلـيـه

وفي يوم السبت المذكور اجتمعت بالعالم النحرير المهاجر للمدينة ، سيدي حمدان بن الونيسي القسمطيني ، وذالك بالحرم الشريف ، ودَعَا لي بما أرجو من الله قبوله ، وهو رجل أشيب ، يظهر عليه سيما الصلاح والعلم .

وفيها استدعانا السيد مصطفى بن الشيخ التَّارزي للعشاء ، فتعشينا عنده ، ورحَّب بنا كثيراً جزاه الله خيراً .

وفي يوم الأحد استدعانا الشيخ سيدي عمر حمدان لداره ، وحضر بمجلسه جماعة من الفضلاء منهم (......) يوسف النبهاني ، وتذاكرنا في أهل البيت المطهّر ، ومحبَّتهم فقال : إن هذا اتفق عليه الناس ، ولم يخالفْ أحدٌ في فضلهم حتى النَّصارى وأنشد لنا بيتين لنصراني ، وهو ابن حنين النصراني ، وكتب ذالك بخطِّه ، وهما :

يَقُولُونَ : مَا بَالُ النَّصَارَى تُحِبُّهُمْ وأَهْلُ النُّهَى من أعْرُبٍ وأَعَاجِمِ ؟

فقُلْتُ لهم : إنِّي لأحْسِبُ حُبَّهُمْ سَرَى في قلوب الخَلْقِ حتَّى البَهَائم[٨]

وحضر المجلس أيضاً الشيخ سيدي محمد بن أحمد ، أصله من السوس الأقصى المكناسي داراً ومنشأً ، وهو مدرس بمكناس ، فوجدناه عالماً نبيلاً ، يستحضر لمسائل «المختصر الخليلي» ويستدل على ذالك بمتن المختصر ، وهو رجل ذو تواضع وكمالات ، وأكرم الشيخ الجماعة غاية ، وحضر لمجلسه نحو الخمسة عشر رجلاً ، وبَشَّ في وجوهنا ، ورأيت عليه من السرور ما لا يحصى ، وكان حضر بمجلسه قبل ذالك الشيخ عبدالله من عين (؟) مفتي نجد ، وجَرَتْ مذاكرة بيننا في الفرق الضالة ، فذكر أنه كاد أن لا يوجد سُنِّيٌّ بنَجْدٍ[٩] ، ودارتْ بيننا كؤوس الأَدَب ، فذكر لنا بيتين للشيخ عبد الجليل برَّادة في الشاهي وهما :

أرَى كُلَّ ما تحوي مجالسُ أُنْسِنَا جنوداً لدفعِ الْهَمِّ سُلْطَانُهَا الشاهي
وَلَا عَجَبٌ أَنْ لا تتِمَّ بِدُونِهِ وما تَمَّ للأَجْنَادِ أمْرٌ بِلَا (شاهي)

وله بيتان في القهوة :

رُبَّ سَوْدَاءَ في الكُؤُوسِ تَبَدَّتْ تَهَبُ الرُّوحَ نَفْحَةً في الْحَيَاةِ
فَإِذَا ذُقْتُهَا تَحَقَّقْتَ منها أنَّ مَاءَ الحَيَاةِ في الظُّلُمَاتِ

وأنشدني لعلي بن محمد بن عبد الرحمن بن علاء الدين الباجي :

رَثَى لِيَ عُوَّدِي إذْ عَايَنُونِي وسُحْبُ الدَّمْعِ في مِثْلِ الْعُيُونِ
ورَامُوا كَحْلَ عَيْنِي فقلت كُفُّوا فأصلُ بليَّتِي كُحْلُ العُيُون

وأنشدني بعضهم :

إذَا كنتَ للآداب دَوْماً مُرَاعياً ولمْ تَكُ من حُسْنِ المَوَدَّةِ عَارِيَا
مَلَكْتَ قُلُوبَ الناس طُرًّا وسُدْتَهُم وبِتَّ مِنَ الأحزانِ والهمِّ خاليَا

(للكلام صلة)

الحواشي : ــــــ

(الوَقْبَا) غير (قُبَّة)

... قرأت في كتاب «بلاد القصيم» تأليف الشيخ محمد العبودي في كلامه على قُبَّة هجرة الفِرِم ، — ج ٥ ص ١٩٢٢ — ما نَصُّهُ : (ثم رأيتُ الإمام لغدة الأصفهانيَّ ذكر ما قد يشير إلى أنَّ اسمها القديم كان الوقْبى ، وإنْ كان الاسم يطلق على أماكن أخرى) ثم أورد كلاماً طويلاً .

وأُحِبُّ أن أوضح لكم أن هذا القول خطأ ، فالوقبا من مياه الظفير — من الطوال ولا تزال معروفة ، ولا نعرف ما يُسَمَّى بهذا الاسم غيرها .

الحواشي :

(١) كلمات في حق المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لا تجوز شرعاً .

(٢) من الطرق المبتدعة ، والطريقة المثلى طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتابعيهم بإحسانٍ .

(٣) كتاب «الجوهر المنظم» لابن حجر المكيِّ يحوي آراء لا يُقِرُّها علماء السلف ، كما أشار إلى ذالك الشيخ عبدالله بن الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب — رحمهم الله — في رسالته التي كتبها إلى أهل مكة المكرمة وهي في كتاب «الهديَّة السَّنِيَّة» .

(٤) هذه قصة خرافية الغاية من إيرادها إدراك ما عليه أهل ذلك العصر من السَّذاجة حتى تنطلي عليهم مثل هذه الخرافة . والإمَامَانِ مالك وأبو حنيفة مَبرَّءان منها . وهما أجَلُّ من أنْ يقع منهما ما نسب إليهما فيها . ومالك أتقى الله أن يدعو الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ميِّتٌ . والدعاء عبادة لا يصرف إلا لله وحده .

(٥) إنشاد الشعر أمام الضريح الشريف من البدع . والمشروع السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه بالطريقة الواردة عن السلف الصالح .

(٦) يقصد أصحاب الطرق . وكلها باطلة إلَّا ما وافق طريقة السلف الصالح .

(٧) الحدَّاد من المخرِّفين . وديوانه هذا مشحون بالمغالاة في مدح الرسول . هو ممن عادى الدعوة الإصلاحية فردَّ عليه الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله بكتاب «الأسنة الحداد» في الرد على الحدَّاد .

(٨) النبهاني معروف بعدائه للدعوة السلفية . ومغالاته . في مدح الرسول إلى درجة دعائه والاستغاثة به ، ولهذا لا يقبل ولا يوثق به أما ال بيت الرسول صلى الله عليه وسلم فصالح العمل منهم يجب أن يكون محبوباً . وفاسده كأبي لهب يجب بُغضه . وآل الرسول المحبوبون أتباع سُنَّته وشرعه .

(٩) هذا الذي وصفه بأنه مفتي نجد نكرة مجهولةٌ . وجُلُّ أهل نَجْد على مذهب أهل السنة والجماعة ، بخلاف ما ذكر هذ الذي إن صحَّ النقل عنه فهو ذو دخل في عقيدته .

أما قُبة فهي هجرة بني علي قوم عبد المحسن الفِرِم معروفة عند كل العرب .. فكيف يقع الخلط في كتاب أشرف عليه .. حمد الجاسر.

حفر الباطن — الحرس — سعد الظفيري

العرب : الأخ الشيخ العبودي استدلّ بقول لُغْدة الأصفهاني في ذكر مياه بني مالك بن جندب : (فلهم الينسوعة والوقبا وهي ماءة قريبة من اليَنْسوعة في مهبٍّ الشمال منها عن يمين المُصْعد) قائلاً بعده عن الينسوعة (تسمى الآن بُرَيْكة الأجُردي ، وهي تابعة لقبة ، وقريبة منها) .

وفات الأخ الشيخ العبودي أن قُبَة لا تقع في مَهَبٍّ الشمال من بريكة الأجردي (الينسوعة) بل تقع غَربها بميل نحو الشمال ، فقُبَة تقع على خط الطول ٤٤/١٨° ، وبريكة الأجرَدِيّ تقع على خَطِّ الطول ٤٤/٤٥° ، والوقبا على خط الطول ٤٥/٣٠° .

والقَوْلُ بأنَّ اسمَ الوَقبا يطلق على أماكن أخرى غيرها لا أعرف أصله ، كما أنني لم أرَ فيما اطلعت عليه من النصوص القديمة ما يفهم من أن هناك من المواضع ما يسمى بالوقبا غير الوقْبَا التي ذكر الأخ ولا تزال معروفة وهضبات في حمى ضرية — إذا صحّ نصّ الهجري ولم يكن مُحرَّفاً ، وقد تحدَّث عن الوقبا في قسم (شمال المملكة)[1] من «المعجم الجغرافي» كما تَحَدَّثْتُ عن قُبَة ، وأوْرَدتُّ كلام ياقوت عن (فرغ القُبة) . وها هو نصّ ما ذَكرتُ عن الموضعين : .

قُبَّةُ : — بضم القاف بعدها باء موحدة مفتوحة مخففة وآخره هاء —: من أشهر الْهُجَر ، وأكثرها سكاناً وقدر الريحاني سكانها بـ ٢٠٠٠ — وذلك قبل خمسين عاماً ، وهي من بلاد قبيلة حرب ، وغلط ابنُ دخيل فعدَّها في ديار الأسلم . وتكتب خطأً (قبا) و(قباء) .

ولم أرَ لهذا الاسم ذكراً في المؤلفات القديمة . سوى ما جاء في «معجم البلدان» : فرغ القُبَة وفرغ الحفر : بلدان لتميم بين الشقيق وأَوْد وجفاف ، وفيها ذئاب تأكل الناس) انتهى .

وقبة تقع شرق الشقيق ، وأود في جهات الحزن ، وجفاف هنا — بالجيم — بقرب الثعلبية وما جاء في «المعجم» ينطبق على قبة هذه .

وتقع قبة في الطرف الجنوبي الغربي من صحراء التيسيَّة التي هي من الحزن ، الواقعة في الدَّهناء ، ويقع عرق المظهور أحدُ حبال الدَّهناء جنوب غرب قبة ، يخترقه الطريق منها إلى القصيم .

(قبة بقرب درجة الطول ١٨َ/٤٤ْ ودرجة العرض ٢٨َ/٢٧ْ) وتبعد عن مدينة حايل بما يقارب ٣٥٠ (ثلاث مئة وخمسين كيلاً)[١] .

الوَقْبَا : [٢] بفتح أوله وثانيه — والوقب في اللغة : كلُّ قلتٍ أو حفرةٍ في صخر ، وله معان أُخر :— قال أبو الغول الطهويّ — إسلاميّ[٣] :—

هُمُ أحموا حِمَى الوَقْبَا بضَرْبٍ ... يُؤَلِّفُ بَيْنَ أَشْتَاتِ المَنُونِ
فنكب عنهم دَرْءَ الأعادي ... وداوَوْا بالجنونِ مِنَ الجُنُونِ
فَدَتْ نَفسي ومَا مَلَكَتْ يَميني ... فوارسَ صَدَّقَتْ فيهم ظُنُوني
فوارسَ لا يملُّون المَنَايَا ... إذَا دَارَتْ رَحَا الحَرْبِ الزَّبُونِ

وقال ابنُ مخفِّضٍ المازنيُّ (واسمه حريث يخاطب بكر بن وائل)[٤] .

إنْ تَكُ دِرْعِي يَوْمَ صَحْرَاءِ كُلَيَّةٍ ... أُصِيبَتْ فَمَا ذَاكُمْ عَلَيَّ بِعَارِ
أَلَمْ تَكُ مِنْ أَسْلابِكُمْ قَبْلَ ذاكُمُ ... عَلَى وَقَبا يوماً ويَومَ سَفَارِ

وفي كتاب «بلاد العرب»[٥] : وأما بنو مالك بن جندب (بن العنبر) فلهم الينسوعةُ والوقبا ، وهي ماءة قريبة من الينسوعة في مهَبِّ الشمال منها ، عن يمين المصعد . انتهى .

وفي كتاب «المناسك»[٤] : ولأهل البصرة إلى المدينة طريقان : أحدهما لم يركبْ مِنْذُ دَهْرٍ ، للخوف ، وكانت تسلك ، ما بين الشَّجيِّ والرُّحيل يسند في القفر ، ثم يؤْخذ في الحزن ، على مياه كانتْ متصلة ، منها الوقبا لبني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، لهم فيها حصن ، وكانت بها وقائع مشهورة . ذلك ما يقول الراجز :

يا وَقَبا كَمْ فِيْكِ مِنْ قَتِيْلِ قَدْ ماتَ ، أُوْدِيْ رَمَقٍ قَلِيلِ
وشَجَّةٍ تُسْبَرُ بالْفَتِيْلِ يَضَلُّ في أَنحائِها بالمِيْلِ

ثم نقل عن أبي عبيدة أنَّ الفرزدق بلغه عن رجلٍ من أهل الوقبا شيءٌ كرهه ، فأراد هِجَاءَهُم فكلِّم ، فأعرضْ عنه فأنشد يقول في شعره[٦] :

لَقَدْ خِفْتُ لَوْلَا الحِلْمَ تُورِيْ حَفِيظَتِي عَلَى الوَقَبا يوماً مَقَالَةَ دَنْسَمِ

وفي كتاب نصر : الوقبَا : ماءةٌ قريبة من الينسوعة في مهبِّ الشمال منها ، عن يمين المصعد . انتهى وهو يقصد المصعد مع الطريق البصريِّ ، أما الطريق الكوفي فعَن يساره .

وقد أورد في «معجم البلدان» القول من (وهي لبني مازن) إلى (تسبر بالفتيل) عن السكوني ، وزاد عنه : والوقبا من الضُّجوع على ثلاثة أميال ، والضجوع من السلمان على ثلاثة أميال انتهى ، ولكن المسافة بين السلمان والوَقَبا أطول مما ذكر . وذكر أنه كان للعرب بها أيّام بين مازن وبكر .

والوقبا ــ أيضاً ــ : هضبات في حِمَى ضَرِيَّة على ما ذكر الهجري . وليس لها شهرة الوقبا الأولى التي هي من أشهر المناهل في شرق الجزيرة ولا تزال معروفة عند التقاء الحدود (بقرب الدرجة ٢٨/٤٨ عرضاً و٣٠/٤٥ طولاً)[٧]

وكلمة عَتْب أوجِّهها للأخ الظَّفيري السائل :

(١) : كان الأجدر به أن يوجِّه اللوم إلى مَنْ وقع منه عدم التفريق بين الموضعين لا إليَّ وحدي ، وان كنتُ شريكاً له ، ولكنني لم أقرأ الجزء الذي وقع فيه الخلط قبل الطبع ، ولم أطالعه إلا بعد وصول رسالة الأخ .

(٢) : لا داعي للاستدلال بكلام فؤاد حمزة عن الظفير على جهل المثقفين في عصرنا بهذه القبيلة ومنازلها ، فأنا من أول من نبَّه فؤاداً على ما وقع فيه من الخطأ ، فاستدرك ذالك في آخر كتابه «قلب جزيرة العرب» .

ومع كل ما تقدم فللسائل العاتب حقُّ الإرضاء ، والسلام عليه ورحمة الله .

أُسَرُ بَنِي تَمِيم
في منطقة حايل

حول عزمكم على القيام بعمل معجم لقبائل المملكة العربية السعودية ، ويسرني أن أقدّم هذه المشاركة علّها تساعدكم فيما ترمون إليه .

ومشاركتي عن قبيلة بني تميم بمنطقة حائل ، والتي هي قبيلتي .

١ — تشكل نسبةُ بني تميم في منطقة حائل نسبةً مرتفعة بين قبائل المنطقة . ولعلَّ بني تميم القاطنين في منطقة حائل أقرب إلى البداوة من غيرهم من بني تميم ساكني المناطق الأخرى ، بسبب كون المنطقة بدَوِيَّة ، وإن كانتْ جميع الفروع التميمية حضَرية ولا شكَّ أنَّ بني تميم هم حاضرة منطقة حائل .

٢ — ينتمي بني تميم في منطقة حائل إلى فرع واحد من الفروع التَّميميَّة هو فرع بني عمرو ؛ وهناك فئة قليلة تنتمي إلى بني سَعْدٍ ، وإلى الوُهبَة .

(حواشي مقال (الوقبا)

(١) : ص ١٠٦٩/ ١٠٧٠ و١٣٦٨ و١٣٦٩ .
(٢) آثرت كتابة الاسم بالألف كما ينطق ، صوناً للسان عن الخطإ فيه ، وقواعد الإملاء وسيلةٌ لصحّة النُّطق ، وليستْ غاية في ذاتها .
(٣) الحيوان ٣ — ١٠٧ و٦ — ٢٤٦ و«معجم البلدان» الوقبا .
(٤) الحيوان ٣٠ — ٧٨ .
(٥) : ٢٥٠ .
(٦) : ص ٦٠٤ .
(٧) : أنظر مجلة العرب ٨٥٨ س ٦ .

٣ ــ تُعتبر بلدة قفار ــ الواقعة شرق جبل أجا ــ الموطن الأصلي لمعظم بني تميم في منطقة حائل ، وسكنى بني تميم للقرى المتشرة في منطقة حائل في الجنوب ، والجنوب الشرقي منها إنّما كان بعد ظهورهم من قفار ، بسبب الوباء الذي تعرضوا له في قفار ، والمشهور بحمّى قفار ، وبسبب الحروب التي حدثت بينهم ، وبالأخص ما حدث بين آل عيادات وآل مُفيد .

وأحِبُّ أن أقف قليلاً لأصحح كلمة وَرَدَتْ في كتاب ضاري الفهيد بن رشيد « نبذة عن تاريخ نجد» فقد ورد أن أحد حكام حائل التجأ إلى (حميد بن عيّاد) هكذا والصحيح أنّ اسمه حُمَيِّر بن عيادة ، من العيادات من بني تميم يقول ابن رشيد :ــ

يا حميّر بْن عيّادة هيهات هيهات   هيهات وَيْن سيوفكم وينَ آثّرها

وقد نزح آل مُفيد عن قفار إلى جُفَيْفا ، وإلى السبْعَان يقول ابن رشيد :

وبنغربي سَلْمَى للمفيداهْ مَحَلّاهْ   كِـلّ بجدٍّر مَـرْزِقـهْ مِـنْ وَعَـرْهَـا

حيث تقعُ بلدة السبعان غربيّ سَلْمَى ؛ وكانتْ لآل طوالة منْ شمّر فسكنها بنو تميم ، وبعد حرب بينهم وبين الأسلم وشيوخهم آل طُوَالَة أصْبَحَت خالصةً لآل مُفيد من بني تميم .

٤ ــ هناك من غير بني عَمْرو ، المناقير من بني سعد من تميم ، ويسكنون الحِفَن . وكذلك الشبارمة من الْوَهَبَةِ وهم أَهْلُ سميراء يقول ابن رشيد :

حِنَّا غَـدَيْنَا مِثْلَ رَاعِي سميرًا   اللّـيْ عَصَـا بِدْيَارِكُمْ بِالْجْلَاساتْ

والجلاساتُ من عَنَزَة .

ويقول شاعر الشبارمة في مناظرة بينه وبين آل جلعود من عَنَزَة :ــ

جَدّي وْهَيْـبٍ من معرّبين الأجْدَاد   ....الخ

وهناك آل صُقَيه ، في حائل (المدينة) وفي جُبَّة من القرى الشمالية من الوُهَبَة . وكذلك آل بكر عائلة كبيرة في حائل من الوهبة أيضاً .

[العرب] : آل بكر من آل سعيد من المزاريع من بني تميم على ما ذكر ابن عيسى وغيره] .

فيما عدا من ذكر فإن البقية كلهم من بني عمرو ، أحد الفروع التميمية الكبيرة .

ومن بني عمرو : آل عِيَادة ، أهل قفار ، والمشار إليهم آنفاً ، وهؤلاء فنُوا ولم يَبْقَ منهم إلا عائلة أو عائلتان بسبب ما أشرنا إليه سابقاً .

وغير آل عِيَادَة نَجِدُ آل حُمَيد وآل حمّاد ، ومنهم أهل قفَار الآن . ومن أشهرهم آل خُوَيْر (بيت الإمارة) وآل سلامة وغيرهم .

وكذلك أهل قصر العشرُوّات ، ومنهم القبالي (بيت الإمارة) وآل دُخَيْل وآل حرَيْد وغيرهم ، هذا عدا مَنِ انتقل إلى البلاد النَّجدية الأخرى وهذا مما لا يدخل في موضوعي هذا .

وغير آل عيادة وآل حُمَيْد وآل حمّاد نَجِدُ من بني عمرو ، آل مُفَيْد ، وآل حُمْرَانَ ، فأمَّا آلُ مُفَيْدٍ فأشرنا إلى موطن سكناهم ومن أشهر أسرهم آل عُثْمان في جُفَيفَا ، وآل عفنَان ، وآل إبراهيم ، وآل سليمان ، وآل فيصل ، وآل غرْبي ، وآل شايع في السَّبعان ، وآل جَار الله في ضَرْغط .

أمّا الحمران فيقطنون المستجدّة والرَّوْضَة والحُفَن . والوسيطاء والغزالة ، والمَهَاش ، وقُصَيْر غَضْوَر ، والسُّلَيْمي .

ومن أشهر أُسَرِهِمْ آل لُحَيْدَان ، في المُسْتَجَدَّة والحُفْن ، وآل رُبَيْعَان في المُسْتَجدَّة ، وآل مُلَيْحَان وآل شهيل وآل مُهَوّس ، في الوُسَيطَاء ، وآل طُوَيهر وآل هَريش في السُّلَيمي .

٦ — هناك أُسَر تقطن مدينة حائل من بني تميم ، وقد أسرنا إلى آل صقيه وآل بكر ، ونُضيف هنا : آل فايز ، وآل جرّاد ، وهما أُسرتان عَمْرِيّتان ، الأولى يشتغل معظم أفرادها بالتجارة ، وهم من النواصر ، من بني عمرو من تميم جاؤا إلى حائل من الفَرْعَة ، في الوشم ، وكانوا قبلها يسكنون بلدة قفار كغيرهم من النواصر من أهل قرى

دُومة الجَنْدل

[أحد مباحث كتاب «بلاد الجوف ، أو دُومة الجندل» تأليف الشيخ سعد بن جنيدل ، صدر حديثاً من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر)]

دُوْمَـة الجَنْـدَل :

دُومة بضم أوله وسكون ثانيه ، وقال ياقوت بضم أوله وفتحه ، وأنكر ابن دريد الفتح وعدّه من أغلاط المحدثين ، وعدها ابن الفقيه من أعمال المدينة . سمّيت بدوماء بن اسماعيل بن إبراهيم ، وقال ابن الكلبي : لما كثر ولد اسماعيل عليه السلام بتهامة خرج دُوماء بن اسماعيل حتى نزل موضع دُوْمَة وبني حصنا فقيل دُوماء ونسب الحصن إليه ، وهي على سبع مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . وقال ابن

الوشْم إذ أصلُهُمْ من قَفَار .

وأما أفراد الثانية فهم من أشهر الفلّاحين الأوائل ، في منطقة حائل ، وهم من بني عمرٍو ، كما أشرنا ، ومن الأسر المعدودة في مدينة حائل ..

علي حمد الصالح

العرب : شكراً للأخ ، ومزيداً من هذه المعلومات ، وقد صدر لصاحب هذه المجلة كتابان عن الأنساب أحدهما «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» في جزءين ، وهذا عن القبائل التي لم تتحضّر جميع فروعها — والثاني «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرة في نجد» في جزءيْن أيضاً ، وفيه ذكر للأُسر التميميّة ، التي ذكرها الكاتب الكريم ، نقلاً عن كتاب للشاعر التميمي عبدالله بن علي بن صقيْه ، بعنوان «بنو تميم في بلاد الجبلين» صدر حديثاً ، وهو من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

وتأمل «العرب» أن تتلقّى دائماً من الملاحظات والمعلومات ما تُتْحِفُ به قرّاءها والله الموفق .

سعد : دُوْمة الجندل في غائط من الأرض خمسة فراسخ ، ومن قبل مغربه عين تثج فتسقي ما به من النخل والزرع ، وحصنها مارد . وسميت دُوْمَة الجندل لأن حصنها مبني بالجندل .

والواقع أن حصن مارد مبني بالجندل ، وكذلك مساكن الأحياء القديمة الملاصقة للحصن مبنيّة بالجندل المرصوص بعضه فوق بعض ، ومن بينها مسجد عمرو مئذنته كلها مبنية بالجندل ، ومازال البعض من سكانها يبنون بيوتهم بالجندل على نمط مبانيها القديمة .

وقال ياقوت : دُومة من القريات ، والقريات : دُومة وسُكاكة وذو القارة ، فأما دومة فعليها سور يُتحصَّن به ، وفي داخل السّور حصن منيع يقال له مارد ، وهو حصن أكيْدر الملك ابن عبد الملك بن عبد الحيّ بن أعيا بن الحارث بن معاوية بن خلاوة بن أمامة بن سلمة بن شُكامة بن شبيب بن السكون ابن أشْرَس بن ثور بن عُفير وهو كندة السكوني الكندي .

وتحدّث ياقوت عن فتح دومة في الإسلام وذكر طرقا مختلفة ثم قال : وأحسن : ما ورد في ذلك ما ذكره أحمد بن جابر في كتاب الفتوح له وأنا حاك جميع ما قاله على الوجه ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه سنة تسع إلى أكيدر بن عبد الملك بدُوْمة الجندل فأخذه أسيراً وقتل أخاه وقدم بأكيدر على النبي صلى الله عليه وسلم وعليه قباء ديباج بالذهب ، فأسلم أكيدر وصالح النبي صلى الله عليه وسلّم على أرضه وكتب له ولأهل دومة كتاباً ، وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد والأصنام ، ولأهل دُوْمَة . إن لنا الضاحية من الضّحل والبورَ والمعاميَ وأغفالَ الأرض والحلقة والسّلاحَ والحافرَ والحصنَ ، ولكم الضّامنة من النخل والمعين من المعمور ، لا تُعْدَل سارحتكم ولا تُعَدّ فاردتكم ولا يُحظر النبات ، تقيمون الصّلاة لوقتها وتؤتون الزكاة لحقّها ، عليكم بذلك عهد الله والميثاق ، ولكم به الصّدق والوفاء ، شهد الله ومن حضر من المسلمين . قيل الضاحي البارز ، والضّحل الماء

القليل ، والبور الأرض التي لم تُستَخرج ، والمعامي الأرض المجهولة ، والأغفال التي لا آثار فيها ، والحلقة الدروع ، والحافر الخيل والبراذين والبغال والحمير ، والحصن دُوْمَة الجندل ، والضامنة النخل الذي معهم في الحصن ، والمعين الظاهر من الماء الدائم ، وقوله : لا تُعْدَل سارحتكم أي لا يصدّقها المُصَدّق إلّا في مراعيها ومواضعها ولا يحشرها . وقوله : لا تُعَد فاردتكم أي لا تضم الفاردة إلى غيرها ثم يُصدق الجميع فيجمع بين متفرق الصدقة ، ثم عاد أكيدر إلى دومة .

فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم منع أكيدر الصدقة وخرج من دومة الجندل ولحق بنواحي الحيرة وابتنى قرب عين التمر بناء وسمّاه دُوْمَة ، وأسلم حريث بن عبد الملك أخوه على ما في يده فسلم له ذلك ، فقال سُوَيْد بن الكلبي :

فَلَا يأمنَنْ قَوْمٌ زَوَالَ جُدُودهم   كمَا زال عَنْ خَبْتٍ ظعائِنُ أكْدَرا

وتزوج يزيد بن معاوية ابنة حريث ، وقيل إن خالداً لما انصرف من العراق إلى الشام مرَّ بِدُوْمَة الجندل التي غزاها أولاً بعينها وفتحها وقتل أكيدر . وأهل كتب الفتوح مجمعون على أن خالداً بن الوليد رضي الله عنه غزا دُوْمَة أيام أبي بكر رضي الله عنه ، عند كونه بالعراق في سنة ١٢ وقتل أكيدر لأنه كان نقض وارتد .

وقد ذهب بعض الرواة إلى أن التحكيم بين علي ومعاوية كان بدُوْمَة الجندل ، وأكثر الرواة على أنه كان بأذْرُح ، وقد أكثر الشعراء في ذكر أذرح وأن التحكيم كان بها ، ولم يبلُغني شيء من الشعر في دومة الجندل إلّا قول الأعور الشّنيّ وان كان الوزن يستقيم بأذْرُح وهو هذا :

رضينا بحكم الله في كلّ مَوْطن   وعمرو وعبدالله مختلفانِ
وليس بهادي أمة من ضلالة   بدُوْمَة ، شيخا فتنة عَميَان
بكت عينُ من يبكي ابْن عفانَ بَعدَمَا   نفَا ورَقَ الفرقان كلّ مكانِ
ثَوى تاركاً للحقّ متّبع الهَوَى   وأورث حزناً لاحقاً بطعانِ(١)
كلا الفتنَتين كان حيّا وميّتا   يكادان لَولا القتل يشتبهانِ

وقال أعشى بني ضور من عنَزَة :

أباح لنا ما بين بُصْرى ودُوْمَة، كـتـائب منـا يَلْـبسـون السَّنَوَّرَا
إذا هو سَامانَا من النّاس واحد لـه الملك خَلّا مـلكـه وتَـفَـطّرا
نفَتْ مضرَ الحمراء عنّا سيوفنا، كما طرد اللّيـل النّـهار فأدْبَرَا

وقال ضرار بن الأزور يذكر أهل الرّدة :

عَصيتُم ذوي البابكم وأطعتُموا ضُجيماً، وأمر ابن اللّقيطة أشأمُ
وقَد يَمَّمُوا جَيْشاً إلى أرض دُوْمَة فقُبّح من وفد وما قد تيمَّمُوا

وقال البكري : دُوْمة الجندل : بضم الدال، وهي ما بين برك الغماد ومكة(٢)، قال الأحوص :

فما جَعَلَتْ ما بين مكّة ناقتي إلى البَرْكِ إلّا نَومة المُتَهجّدِ
وكادَتْ قُبيلَ الصّبحُ تنبذُ رحْلها بِدُومة من لغط القَطَا المتَبَدِّدِ

وقيل أيضاً : إنها ما بين الحجاز والشام، والمعنى واحد وإن اختلفت العبارة .

ودُوْمَة هذه على عشر مراحل من المدينة، وعشر من الكوفة، وثمان من دمشق، واثني عشرة من مصر، وسمّيت بدُوْمان بن إسماعيل عليه السلام كان ينزلها، ويدلّك أن دُوْمَة هذه متصلة بدور بني سليم قول الكميت :

مـــنــــازلهنّ دور بني سُـــلَيم فـدُومَـةُ فـالأبـاطحُ فـالشَّفـيْرُ

وقال الفرزدق :

طَواهنَّ ما بين الجَوَاء ودُوْمَة وركبانَها طيَّ البُرُوْد من العَصْبِ

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً إلى دُومَة، وأمرّ عليهم عبد الرحمن بن عوف، وعَمَّمَهُ بيده، وقال : أغد باسم الله، فَجَاهِدْ في سبيل الله، تقاتل من كفر بالله، وأكثر من ذكرى، عسى الله أن يفتح على يديك، فإن فتح فتزوج بنت ملكهم . وكان الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث ابن حصن بن ضمضم ملكهم ففتحها، وتزوج ابنته تماضر بنت الأصبغ . فهي أول كلبيّة تزوجها قرشيّ، فولدت له أبا سلمة الفقيه، وهي أخت النّعمان بن المنذر لأمه .

وكان افتتاح دُوْمَة صلحاً ، وهي من بلاد الصلح التي أدّت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية ، وقال ابن سعد : غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دُوْمَة الجندل في شهر ربيع الأول على رأس تسعة وأربعين شهراً من مهاجره ، قالوا : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ بدُوْمَة الجندل جمعاً كثيراً وأنهم يظلمون من مرّ بهم من الضافطة ، وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة ، وهي طَرَف من أفواه الشام ، بينها وبين دمشق خمس ليال ، وبينها وبين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة ، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس واستخلف على المدينة سبَّاع بن عُرْفَطَة الغِفَاري ، وخرج لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأول في ألف من المسلمين فكان يسير الليل ويكمن النّهار ، ومعه دليل له من بني عُذرة يقال له مذكور ، فلما دنا منهم إذا هم معزِّبُون ، وإذا آثار النعم والشاء فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجه ، وجاء الخبر أهل دُوْمَة فتفرقوا ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتهم فلم يجد بها أحداً فأقام بها أياماً وبثّ السّرايا وفرقها فرجعت ولم تصب منهم أحداً ، وأخذ منهم رجل فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فقال : هربوا حيث سمعوا أنك أخذت نعَمَهُم فعرض عليه الإسلام فأسلم ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يلق كيداً لعشر ليال بقين من شهر ربيع الآخر.

وقال ابن سعد أيضاً : أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثني سعيد بن مسلم بن قماذين عن عطاء بن أبي رباح عن بن عمر قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف في سبعمائة إلى دُوْمَة الجندل وذلك في شعبان سنة ست من الهجرة ، فنقض عمامته بيده ثم عمّمه بعمامة سوداء فأرخى بين كتفيه منها ، فقدم دُوْمَة فدعاهم إلى الإسلام فأبَوْا ثلاثاً ، ثم أسلم الأصبغ بن عمرو الكلبيّ وكان نصرانياً ، وكان رأسهم ، فبعث عبد الرحمن فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، فكتب إليه أن تزوّج تُماضر بنت الأصبغ ، فتزوجها عبد الرحمن وبنى بها وأقبل بها ، وهي أمّ أبي سلمة بن عبد الرحمن.

وقال ابن سعد أيضاً : بعث رسول الله صلى الله عليه خالد بن الوليد في أربعمائة وعشرين فارساً في رجب سنة تسع سرية إلى أكيدر بن عبد الملك بدُوْمَة الجندل ، وبينها

وبين المدينة خمس عشرة ليلة ـــ كان بعثه والنبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ـــ وكان أكيدر من كندة قد ملكهم ، وكان نصرانياً ، فانتهى إليه خالد وقد خرج من حصنه في ليلة مقمرة إلى بقر يطاردها هو وأخوه حسان ، فشدّت عليه خيل خالد بن الوليد فاستأسر أكيدر وآمتنع أخوه حسّان وقاتل حتى قتل وهرب من كان معهما ، فدخل الحصن وأجار خالد أكيدَر من القتل حتى يأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يفتح له دُوْمَة الجندل ، ففعل وصالحه على ألفي بعير وثمانمائة رأس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح ، فعزل للنبي صلى الله عليه وسلم صفيًا خالصاً ثم قسم الغنيمة فأخرج الخمس ، وكان للنبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قسم ما بقي بين أصحابه ، فصار لكلّ رجل منهم خمس فرائض ، ثم خرج خالد بن الوليد بأكيدر وبأخيه مصاد وكان في الحصن وبما صالحه عليه قافلاً إلى المدينة ، فقدم بأكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهدى له هدية فصالحه على الجزية وحصّن دمه ودم أخيه وخلّى سبيلها . وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً فيه أمانهم وما صالحهم عليه وختمه يومئذ بِظُفْرِه .

قلت : وممّا تقدم يتضح لنا أن دومة الجندل غُزِيتْ في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، المرة الأولى غزوة النبي صلى الله عليه وسلم في مطلع السنة الخامسة للهجرة ففر أهلها منها ووجدها خالية منهم ، وأصاب من ماشيتهم ثم عاد إلى المدينة .

والمرة الثانية غزوة عبد الرحمن بن عوف حيث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها في السنة السادسة للهجرة فأسلم رئيسهم الأصبغ الكلبي وتزوج عبد الرحمن بن عوف ابنته وقدم بها معه إلى المدينة .

والمرة الثالثة غزوة خالد بن الوليد حيث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها من تبوك في السّنة التاسعة للهجرة ففتحها وأسر ملكهم وقدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فصالحه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية ، فارتدّ بعد وفاة رسول الله (ص) . ثم غزاها خالد بن الوليد في عهد أبي بكر رضي الله عنه وفتحها في السنة الثانية عشر للهجرة .

أما فيما يخصّ التحكيم بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما

فقد تقدم ما ذكره ياقوت .

وقد تحدث الشيخ حمد الجاسر عن تاريخ هذه البلاد ، وذكر أنّ خالداً بن الوليد غزاها وفتحها ثم تحدث عن التحكيم فيها فقال : ولما فرغ خالد بن الوليد من عين التمر سار إلى دُوْمَة الجندل ، وذلك في السنة الثانية عشرة للهجرة . فلما بلغ أهلها مسيرة بعثوا إلى أحزابهم من بهراء وكلب وغسّان وتنوخ والضجاغم ، وكان وديعة قد أتاهم من قبل في كلب وبهراء يسانده بن وبرة بن رومانس ، وأتاهم الحدرجان في الضجاغم وابن الأيهم في طوائف من غسّان ، فلمّا بلغهم دنوّ خالد وهم على رئيسين أكيدر بن عبد الملك ، والجودي بن ربيعة ، وقد اختلفوا . فقال أكيدر : أنا أعلم الناس بخالد ، ولا أحد أيمن طائراً منه ، ولا أحدَّ في حرب ، ولا يرى وجه خالد قوم أبداً قلّوا أو كثروا إلّا انصرفوا عنه ، فاطيعوني وصالحوا القوم فأبوا عليه . فقال : لن أمالئكم على حرب خالد فشأنكم ، فخرج وبلغ ذلك خالداً فبعث عاصم بن عمرو معارضاً له ، فأخذه ، فقال : إنّما تلقيّت الأمير خالداً ، فلما أتى به خالداً أمر به فضُربت عنقه ، وأخذ ما كان معه ومضى خالد حتى نزل على أهل دُوْمَة ، ورؤساؤهم الجودي بن ربيعة ووديعة الكلبي وابن الأيهم الغسّاني وابن الحدرجان الضّجعمي فجعل خالد دُوْمَة بين عسكره وعسكر عياض ، وكان النصارى الذين أمدّوا أهل دُوْمَة من العرب محيطين بالحصن لم يحملهم الحصن . فلما اطمأن خالد خرج الجوديّ فنهض بوديعة فزحفا لخالد ، وخرج ابن الحدرجان وابن الأيهم إلى عياض فاقتتلوا ، فهزم الله الجودي ووديعة على يدي خالد ، وهزم عياض من يليه ، وركبهم المسلمون ، فأما خالد فانه أخذ الجودي أخذاً ، وأخذ الأقرع بن حابس وديعة ، وأرز بقية الناس إلى الحصن فلم يحملهم ، فلما امتلأ الحصن أغلق من فيه الباب دون أصحابهم ، فبقوا حوله حرداء ، فقال عاصم ابن عمرو : يا بني تميم حلفاءكم كلب أجيروهم وأسروهم ، فانكم لا تقدرون لهم على مثلها ، ففعلوا ، وكان سبب نجاتهم يومئذ وصية عاصم بني تميم بهم . وأقبل خالد على الذين أرزوا إلى الحصن فقتلهم حتّى سدّ بهم باب الحصن . ودعا خالد بالجودي فضرب عنقه ، ودعا بالأساري فضربت أعناقهم ، إلّا أساري كلب فان عاصماً والأقرع وبني تميم قالوا : قد أمّناهم فأطلقهم لهم خالد ، وقال : مالي ولكم ؟ أتحفظون أمر الجاهلية وتضيّعون أمر الإسلام ؟ فقال له عاصم : لا تحسدهم العافية ولا تحوّزهم الشيطان .

ثم أطاف خالد بالباب فلم يزلّ عنه حتى اقتلعه ، واقتحموا عليهم فقتلوا المقاتلة وسبّوا الشَّرَخَ فأقاموهم فيمن يزيد ، فاشترى خالد ابنة الجودي ، وكانت موصوفة ، وأقام خالد بدُوْمَة مدة ثم سار منها إلى الحيرة .

وممّن استشهد في هذه الوقعة في دُوْمَة الجندل مع خالد بن الوليد ، نافع بن غيلان بن سلمة الثقفي ، فجزع عليه غيلان وكثر بكاؤه ، وقال يرثيه شعراً .

وأبرز ما نقرأه في عهد الخلفاء الراشدين من أخبار هذه البلاد وقوع التحكيم بين علي ومعاوية — رضي الله عنهما — في دُوْمَة الجندَل ، على أنّ بعض المؤرخين يحاول التشكيك في ذلك ، فياقوت يقول ما هذا نصه : وقد ذهب بعض الرواة إلى أن التحكيم بين علي ومعاوية — رضي الله عنهما — كان بدُوْمَة الجندل ، وأكثر الرواة على أنّه كان بأذْرُح ، وقد أكثر الشعراء في ذكر أذْرُح وأنّ التحكيم كان بها .

ولم يبلغني شيء من الشعر في دُوْمَة الجندل إلّا قول الأعور الشّنّي — وان كان الوزن يستقيم بأذرح — قال :

وليس بهادي أمة من ضلالة   بدومة شيخا فتنة عِميان(٣)

ثم أورد حديثاً عن أبي موسى عن النبي (ص) أنه حكم في بني إسرائيل في هذا الموضع — يقصد دُوْمَة الجندل — حكمان بالجور ، وأنه يحكم في أمتي في هذا المكان حكمان بالجور ، قال الراوي فما ذهبت إلّا أيام حتى حكم هو وعمرو بن العاص فيما حكما ، قال فلقيته فقلت : يا أبا موسى قد حدثتني عن رسول الله (ص) بما حدثتني فقال : والله المستعان .

ولكنّ ابن جرير وقبله ابن سعد في الطبقات وغيرهما من المؤرخين نصّوا على وقوع التحكيم في دُوْمَة الجندل ، وذكروا بأن أذْرُحَ هي المكان الثاني ، بعد مرور عام إذا لم يحضر الحكمان ، أو أحدهما .

وقد ورد في تاريخ ابن جرير عبارة موهمة هي : حتّى توافوا بدُوْمة الجندل بأذْرُح . وأرى أنّ صواب العبارة : بدُوْمة الجندل لا بأذرخ .

وها هو نصّ عبارة ابن جرير رحمه الله ، قال : فكتب كتاب القضية بين علي ومعاوية — فيما قيل — يوم الاربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة ٣٧ على أن يوافي علي موضع الحكمين بدُوْمَة الجندل في شهر رمضان ، ومعاوية ، ومع كل واحد منهما أربعمائة من أصحابه فان لم يجتمعا لذلك اجتمعا في العام القادم بأذْرُح .

ثم قال بن جرير : اجتماع الحكمين بدُوْمَة الجندل .

وذكر أن عليا ومعاوية بعث مَع كُلٍّ واحد منهما ٤٠٠ رجل حتى توافوا بدُوْمة الجندل بأذْرُح — كذا جاءت العبارة في تاريخ الطبري المطبوع .

وجاء في تاريخ ابن خلدون : والتقوا بأذْرُح من دُوْمَة الجندل . وعلق المُحشيّ : كذا في الأصل وهكذا وردت في تاريخ بن الأثير ١٦٧/٣ : (حتى توافوا من دُوْمَة الجندل بأذْرُح) .

وفي الطبري (حتى توافوا بدُوْمة الجندل بأذْرُح ، وقد ورد في الطبري : (وأنهما يجتمعان بدُوْمَة الجندل ، فان لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام القادم بأذْرُح) .

وأن بين دُوْمَة الجندل وأذْرُح تسع مراحل ، والمعروف أن اجتماع الحكمين كان بدُوْمة الجندل ، وأن كلمة أذْرُح زائدة هنا ، وفي الطبري وابن الأثير ، ونضيف إلى هذا أن أذْرُح هي في الشام ، وليست متوسطة بين الفريقين ، فعلي رضي الله عنه كما هو معروف في الكوفة ومعاوية — رحمه الله — في دمشق ، وأذْرُح قريبة من دمشق بخلاف دُوْمة الجندل التي تقع في مكان متوسّط وعلى بعد متساو من مكاني الرجلين ، ولعلّ مما أوقع ياقوتاً وغيره أن كتاب القضية ينصّ على أنّ التحكيم يكون في دُوْمَة الجندل في السنة الأولى ، وإذا لم يتم فيكون بأذْرُح ، ولعل اختيار أذْرُح كان من معاوية رحمه الله ، وأن علياً رضي الله عنه لم يقم لهذا الاختيار اعتباراً ، لأنه صمّم على اجتماع في السنة الأولى ، وفعلاً تمّ ذلك . وينقطع عنا خبر هذه البلاد فيما بين أيدينا من مؤلفات ويختفي ذكرها وينعدم صوتها : والدّار لو كلّمتنا ذاتُ أخبار .

حتى يكون أول القرن الرابع الهجري ، حيث نجد أنّ هذه الرمال العظيمة المعروفة الآن باسم النّفود الكبير الفاصل بين بلاد الجبلين وبين بلاد الجوف ، فنجدها بينما كانت

تعرف باسم (عالج) أصبحت تعرف في القرن الرابع الهجري برمل بحتر، حيث قوي نفوذ هؤلاء وهم من طيّء، ثم ما زال نفوذ الطّائيين يقوى حتى أصبح الجوف من منازلهم، وأصبح يعرف بجوف آل عمرو، نسبة إلى جذم كبير من قبيلة طيّء، وقد كان سكنى هذا الجذم في الجوف قبل القرن السابع الهجري، ذلك أننا نجد ابن فضل الله العمري في كتاب «مسالك الأبصار» وهو يعدّد بطون آل فضل وأحلافهم يذكر أن آل عمرو بالجوف، ويضيفهم إلى أبناء عمومتهم من آل فضل الذين سيطروا على شمال الجزيرة وجنوب الشام، حتى جاءت الأيام الأخيرة فكان لقبيلة الرولة. وهي مجموعة من القبائل العدنانية وغيرها فانتشرت في هذه البلاد(٤).

قلت: مما تقدم يتبيّن لنا مدى الجهد الذي قام به الشيخ حمد في تتبع تاريخ هذه البلاد، ومدى توفيقه بين أقوال المؤرخين في تحديد مكان التحكيم، وبيان سبب تسمته الجوف، جوف آل عمرو، وقد وفق في جهده وأتى على حقائق وتعليلات مفيدة ومقبولة.

وممّن ذكروا أن التحكيم بين علي ومعاوية وقع في دُوْمة الجندل المسعودي: قال: والتقاء الحكمين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص بدُوْمَة الجندل في شهر رمضان سنة ٣٨ سنة وخمسة أشهر وأربعة وعشرون يوماً(٥).

مدينة دُوْمَة الجندل في هذا العهد:

كانت هذه المدينة هي أشهر مدن بلاد الجوف وأعرقها تاريخاً، وكانت هي مقرّ إدارة البلاد على مر العصور غير أن مدينة سكاكة ـــ المدينة الثانية من مدن الجوف ـــ أخذت في الظهور كمنافس لها في المركز الاجتماعي والعمراني منذ ظهر فيها رَجَا بن مُوَيْشير وأخوه حمد، وقادا حركة المعارضة ضدّ حكم آل شعلان، وأَقْدَمَ رَجَا بن مُوَيْشير على قَتْل عبده عامر المُشَوْرَب.

وقد كان نقْل مقرّ الأمارة من دُوْمَة الجندل إلى سكاكة بداية تحوّل واضح بالنّسبة لكلتا المدينتين.

وقد أشار الشيخ حمد الجاسر إلى ذلك فقال: دُومة الجندل هي أشهر بلدة في

الجوف ، وكان الاسم عند إطلاقه يقع عليها ، وكانت قاعدة تلك البلاد حتى كان عام ١٣٧٠ هـ حينما كان الأمير تركي بن أحمد السّديري أميراً لهذه البلاد ، فنقل القاعدة في ذلك العهد إلى سكاكة ، وتبعد الجوف (دُوْمَة الجندل) عن سكاكة خمسين كيلاً ، والطريق معبّد بين المدينتين(٦) .

بعد نقل مقر الإمارة منها مرت بفترة ركود نِسْبِي غير أنّ النّهضة الاجتماعية والعمرانية التي عمّت في أنحاء المملكة شملتها فأخذت بنصيب منها ، وفي السنوات الأخيرة تطوّرت تطوّراً ملحوظاً في مرافقها الحيويّة ، فطوّرت إمارتها ومرافقها الأمنية ، وطوّرت بلديتها واستكمل فيها التعليم مراحله الإبتدائية والمتوسطة والثانوية للبنين وللبنات ، وظهرت فيها المباني الحديثة الضخمة للمدارس وللبلديّة وللإمارة وسفلتت شوارعها وتأسست فيها شركة كهرباء حديثة ، فوصل التيار الكهربائي إلى كلّ حيّ في المدينة ودخل في كل بيت ، وسوّرت المقابر القديمة ، وهذّبت الشوارع والطرقات ، وجدّت البلدية في تنظيفها وتنسيقها ، وتوفرت فيها المرافق الاجتماعية المختلفة ، محكمة شرعية ، ومكتب للجوازات والجنسية ومستوصف صحيّ ودفاع مدني وهيئة للأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ، وغيرها من المرافق الهامة .

وقامت فيها سوق تجارية ، وقد شيّدت الدكاكين والمتاجر في السّوق الجديد بالاسمنت المسلح وبشكل جذّاب ونمت فيها الحركة التجارية وتطوّرت أساليبها ، وارتفعت فيها أثمان البيوت وأثمان الدكاكين ، وأمتد عمران المدينة وتوسّعت أنحاؤها .

ومما زاد في نموّها وتطوّرها الاقتصادي سفلتة الطّرق الرّئيسية التي تربطها بالمدن المختلفة كمدينة عرعر ومدينة سكاكة ومدينة تبوك والمدينة المنورة ، وغيرها من المدن والبلدان .

حصن مارِد :

تقع هذه القلعة في مدينة دُوْمَة الجندل (الجوف) وهي قلعة قديمة مشادة من الحجارة ، على متن جال الجوف مطلّة على مدينة الجوف القديمة من ناحية الجنوب ،

تمثل حصناً شامخاً منيعاً ، غير أنه قد أهملت صيانته أخيراً وبدأ فيه الخراب ، ويتكون هذا الحصن من أدوار وأبراج عالية للمراقبة ، وكلها مبنيّة بالحجارة ، وفي داخله بئر عامرة وفيرة الماء مرصوصة بالحجارة ، غير أنّ ماءها لا يصلح للشرب ، وفيه قَصَبة متصلة بأدوار الحصن يستقي منها ماء عذب ، يتصل بداخل الحصن بواسطة قناة تنبع من عين من عيون البلدة القديمة ، وقد نفّذت القناة تحت أرض الحصن ووصّلت بها قناة نافذة يستقي منها ، وهذه القصبة ما زالت عامرة .

كان هذا الحصن معروفاً بهذا الاسم قديماً ، وقد تحدث عنه المؤرخون بهذا الاسم ، وقد غزت الزباء دُوْمَة الجندل وامتنع عليها فتح هذا الحصن وانصرفت عنه مهزومة آيسة بعد حصار ضربته حوله .



حصن (مارد) كما هو مشاهِدٌ الآن (سنة ١٤٠١هـ)

قال ياقوت : مَارِد : بكسر الراء ، والمَرِيد كل شيء تمرّد واستعصى ، وهو حصن بدُوْمَة الجندل ، وفيه وفي الابلق قالت الزّباء وقد غزتهما فامتنعا عليها : تَمَرَّد ماردٌ وعَزَّ الأبلَق . فصارت مثلاً لكلّ عزيز ممتنع .

وقد مَرَّ بدُوْمَة الجندل الرحالة الفنلندي (جورج أوغست فالين) ووصفها وصفاً دقيقاً وتحدث عن حصن مارد وموقعه من المدينة فقال : وبلدة الجوف هي في آخر منحدرات الجبل الكلسي ، في بقعة نصف دائرية الشكل ، وفي مركز نصف الدائرة هذه تنتصب قلعة (المارد)(٧) القديمة مواجهة للشمال فوق حرف من الجبل الكلسي ، وتطلّ على الجوف والوادي بكامله ، وهي خربة خالية من السكّان ، تبدو وكأنها مركز البلدة ، فقد شيّدت حولها الأسواق والأحياء(٨) .

أما الرحالة الإنجليزية (الليدي آن بلنت) فانها قد زارت هذه البلاد في وقت متأخر عن زيارة الرحالة الفنلندي وتحدثت عن هذه القلعة فقالت : القينا نظرة على قلعة (المارد) البناية الوحيدة من الحجر في الجوف ، ويرجع تاريخ تشييدها ، كما يمكن أن أقول إلى العصور الوسطى ، وانها بالتأكيد ليست كلاسيكية وليس لها ملامح خاصة تجعلها مثيرة للاهتمام ، وتبدو أجمل على بعد ، أجد الخرائط تضعها على طول الطريق من الجوف ولكنها في الحقيقة داخل أسوار المدينة ، على الطّرف الغربي ، وتقف على ارتفاع ٢٠٠٠ قدم فوق سطح البحر(٩) .

ويلاحظ على هذه الكاتبة ثلاثة أمور :

أحدها أنها قالت : البناية الوحيدة من الحجر في الجوف ، وهذا القول لا ينطبق على الواقع ، إذ أن البيوت والأسواق القديمة في مدينة الجوف القريبة من قلعة مارد ومن بينها مسجد عمر ومئذنته كلها مبنية بالحجارة .

ثانياً : أنها أخطأت في تقدير تاريخ بناء هذه القلعة ، وقالت أنه في العصور الوسطى ، علماً بأن هذه القلعة معروفة ولها ذكر في كتب المؤرخين منذ القدم ، وقد غزتها الزّباء قبل الإسلام ، وقالت فيها مثلها المعروف .

ثالثاً : قالت : إنها على الطرف الغربي من البلدة ، بينما هي في الطرف الجنوبي ،

وتحدث العلّامة حمد الجاسر عن هذا الحصن فقال : ومن أبرز آثار الجوف حصن مارد الذي لا تزال أطلاله شاهقة فوق دُوْمَة الجندل ، ويحسن أن نورد ما ذكره المتقدمون حوله ، وما ذكره غيرهم ، ومارد حصن دُوْمَة الجندل أشهر موضع أطلق عليه هذا الاسم وعرف به .

ولا شك أن كلمة (مارد) مشتقة من القوة والامتناع ، كما يفهم هذا من كلام علماء اللّغة ، والقصر المرّد : هو المزيّن المحكم الصّنعة ، ولم يأت المتقدمون بطائل عن مارد أكثر من شرح المثل (تمرد مارد وعز الأبلق) فلم يحدّدوا زمن إنشائه ، غير أن المفهوم من عباراتهم مع مقارنتها بغيرها أنه كان موجوداً في القرن الخامس الميلادي ، كما يفهم من زمن الزّباء ، وصيغة اسمه تدلّ على قوة بنائه ، وعرف العرب الأبنية المرّدة ، ومن طبيعتهم تعليل ما يجهلونه بأنّه من آثار قوى خارجة عن قوة البشر ، وهذا من الأمور التي لا تثبت أمام النقد ، وآثار القصر تدلّ على قوة ، ولكن لا تبلغ القوة المشاهدة في الآثار الأبنية التي لا تزال قائمة كالأهرامات وهياكل بعلبك ، والهياكل اليونانية والرومانية وغيرها . وهذا الحصن لم يبق على بنائه القديم ، إلّا من حيث المساحة والأساسات القوية الصخرية القائمة على تلّ صخري ، أمّا ما عدا ذلك فقد تغيّر كثيراً . وبالإجمال ، يظهر أن هذا الحصن أقيم ليحمي منطقة الجوف من هجوم الغزاة ، كما حدث عندما حاصرته الزّباء ، وعندما غزا دُوْمَة الجندل خالد بن الوليد رضي الله عنه في صدر الإسلام . وقد شاهدت تحت الحصن أنفاقاً قد تكون وضعت لاتّصال المياه أو للاتّصال من البلدة الواقعة تحت الحصن إلى الحصن ، أو إلى المزارع ، وقد تهدّم أكثرها .

إنّ المطلّ من أعلى الحصن من ارتفاعه الموجود الآن لا شك أنه يرى كل من يقدم إلى هذه البلدة من مسافات شاسعة ، وبالاجمال فقد كان هذا الحصن من أقوى وسائل الدفاع عن دُوْمَة الجندل ، وهذا ما نراه بارزاً في أول الفتح الإسلامي حيث استعصى على الرسول صلى الله عليه وسلم الاستيلاء على هذه البلاد ، ثم استعصى على السّرية التي أرسلها برئاسة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، ومن ثم لم يتم الاستيلاء الكامل إلّا عندما غزاها خالد بن الوليد ، وألقى القبض على ملك البلدة المدعو الأكيدر ، وكان خارج الحصن ، والحصون في بلاد الجوف كانت كثيرة بقي منها مارد وحصن آخر يُدعى

زعبل ، في المدينة الثانية من مدن الجوف وهي سكاكة(١٠) .

البُـرج :

بباء موحدة وراء مهملة وجيم معجمة ، اسم لأنف بارز من جال الجوف ، واقع في الشمال الغربي من مدينة الجوف ، وعلى قمته آثار حصن قديم صغير قد درست معالمه ، وأهل الجوف يطلقون الاسم في هذا العهد على أنف الجبل ويقولون أنه اسم للحصن القديم الذي كان فوقه ، وحينما تكون في أعلى البرج تجد أنه يناوح قلعة مَارِد من الشمال وأنه ترى منه مدينة الجوف وما قرب منها من أيّ صوب ، وتلاحظ أن المنخفض الذي تقع فيه مدينة الجوف ونخيلها ومزارعها واقع بين هذين الحصنين الشامخين ، وأنهما بمثابة حارسين قائمين على هذه البلاد بمتونهما الشامخة ، وجوانبهما العاتية المتمرّدة ، وفي أعلا البرج ترى بقايا من جذور سور الجوف القديم وفيما انحدر منه شرقاً ، وهو مبني من الحجارة ، وكان قديماً محيطاً بمدينة دومة الجندل ومزارعها ونخيلها .

ويقول أهالي المدينة فيما تناقلوه عن أسلافهم إن هذا السور كان محيطاً بالمدينة إحاطة كاملة ، فلا يدخل إليها إلّا من بابين ، أحدهما بجانب قصر مارد في الجنوب ، والآخر من جانب البرج في الشمال ، وأن هذين المدخلين لهما بابان قويان ، وأن مصاريعهما وأقفالها حديدية ، وقد شدّت حول كلّ منهما سلاسل حديديّة ، وأن لها حرّاساً ثابتين ، فمن أراد الدّخول إلى المدينة حرّك السلاسل حتى يسمعه الحرّاس ويفتحوا له الباب فيدخل .

أما تهدّم هذا السّور وخراب مداخله فانهم ينسبونه إلى الضّياغم عُمَيْر وعَرَارٍ وقومها ، ويتناقلون قصة حول هذا الموضوع ملخّصها : أن الضّياغم عُمَيْراً وعراراً وقومها أتوا إلى دُوْمَة الجندل ، وكان فيها باشا تركي ، وكان يُدعى سلطان مارد ، وعنده قوة من الجند والخيالة ، وكانت البلاد عامرة بالزراعة والتجارة ، وكانت مسوّرة ، وفيها قلعتان ، هما قلعة مارد وقلعة البرج ، والسور محيط بهما مع البلدة ، وكانت صلة الضياغم بسلطان مارد وثيقة ، وكانت علاقته بالأمير عمير أقوى ، وصداقته له أوثق ، فغضب عرار لذلك وأخذته الغيرة حينما رأى احتفاء سلطان مارد بعُمير دونه ، فسعى لإيجاد حيلة يفسد بها ما بينهما ، فأخذ قطنة وجعل فيها طيباً ممتازاً ومسح بها خدّ أخته

ميثاء زوجة عُمير وهي نائمة ، وكانت جميلة ، وذهب بالقطنة إلى سلطان مارد ، فاستغرب السلطان رائحة هذا الطيب ، فقال له إنّ هذا الطيب عرق ميثاء عند صديقك عمير. وعندما أتى عمير إلى سلطان مارد أحضر له القطنة فقال ما هذه ؟ فقال عمير لا أعرفها ، فقال : هذه روائح زوجتك ميثاء ، ولا بدّ أن تأتي بها إليّ في هذا القصر ، فقال عمير : سأفعل .

وخرج عمير من القصر وذهب إلى قومه وأخبر إخوته الخبر ، وهم عقيل وحجاب وحميدان ، وكانوا يقيمون داخل سور المدينة : ففكروا في حيلة يخرجون بها من السّور ، فقال حميدان : اجمعوا مياسم الابل ودقوها في جانب السّور وتسلّقوا بها إلى أعلاه ثم أهدموه لتتمكّنوا من الخروج منه ، ففعلوا وقد أخبروا بواديهم الذين خارج السّور الخبر وأمروهم بالاستعداد للقتال ، وخرجوا بأهلهم إلى قومهم خارج السّور ، فأغار سلطان مارد عليهم وطلبهم لينتقم منهم ، فالتقى الفريقان شمال المدينة عند قويرات الصّريخ فقابل سلطان مارد حميدان ، فضرب كل منهما خصمه ضربة قضت عليه وماتا معاً ، فانهزم جيش السلطان بعد مقتلة كبيرة جرت عليهم ، فقال عمير في ذلك :

مَا نَاسٍ إلّا من بنُوكْ(١١) مَعَادِنْ   ومَا طابْ من بِنْكِ المعَادِنْ طَابْ
عَمَى الرّايْ ما يِجْلَابِه الطِّبْ والّدوَا   عَمَى الرّايْ مَا دَامَ الغْرابْ غرابْ
كَبيرٍ لنا يَمْشي عَلى مَا يضِرّنا(١٢)   وهُوّ بِالْعَيَا منْ يَوّم شَبّ وشَابْ
يَبُونْ مَيْثَا نَقْوةٍ من حَرِيْمَنا   وأَنَا أقُولْ فِيْها خَزْوةٍ وعتَّابْ
وطَلَّقْ عَقِيلٍ منْ ثَلَاثٍ مجَوّرَهْ   إنّهْ ما يَصلك دُوْنَ مَيْثَا بَابْ
وتَلَاقَى حَمِيْدَانٍ وسلْطَان مَارِدْ   وصَحْ كلٌ لِهْ من كَفْ ذَاكْ صُوَابْ
تَلَاقُوا حَدَّ الدَّمْث والرِّمْثْ والغَضَا   وحَدّ قوَيْرات الصّريخْ نْصابْ
في مَفْرِقِ الدّرْبِيْن كَدْرًا عَجَاجَهْ   يتمَنَّاهْ حضّارْ الرّجالْ غِيَابْ
وانْ عبر التّشْمَانْ إلى بَابْ مَارِدْ   علَى التّركْ مَانْثْني لهِنْ رْقَابْ
تَرَى أوّلْ من يَثْني عَقيلْ بْنَ والِدي   وحِصْن وزَبْن الجَاذْيَاتْ حجَابْ

يَـنْـخَـنَّـا بـأَسْـمَـانَـا عـارِفَـاتْـنـا بَأَصْوات منْ فَوقْ الحنِيٍّ صلابْ
لَكِنِّ لمِيعْ الطّوسْ في مَنْقع الصّفا لـمِيـع بَـرْق مـنْ عُـلـوّ سحَابْ
ولَا ينْفع المَضْيُومْ كُودْ ابن عَمّهْ وانْ غَط بهْ منْ غَيْر نَابهْ نَابْ

مرّ في القصيدة ذكر قويرات الصّريخ ، تصغير قارات ، وهي ثلاث قور صغار معروفة بهذا الاسم في هذا العهد ، تقع شمالاً من دُوْمَة الجندل على بعد اثني عشر كيلاً تقريباً .

أما الدربان اللذان ذكرهما ، فهما طريق الفاو ، وطريق المَصْقَرة ؛ يخرجان من دُوْمَة الجندل شمالاً ، يفترقان عن قويرات الصّريخ ، ويلتقيان في فيضة أجْرِبَة .

وهناك قبر مشيّد بالحجارة يقع على حافة جبل أجْرِبة من الجنوب ، يقول أهل الجوف إنّه قبر حميدان الضيغمي الذي التقى بسلطان مارد وقتل أحدهما الآخر .

ومنذ ذلك العهد تهدم سور المدينة ، وزال الكثير منه ولم يبق منه إلا جذوره وأطلاله .

وقد ذكر الشيخ حمد الجاسر قصة مماثلة ، مع بعض الاختلاف في سبب وقوع الحادثة وفي أبيات القصيدة ، وفي موقع الحادثة ، وأوردها على ذكر حصن خرب قديم يدعى مارداً واقع في عيون ابن فهيد في شرقي القصيم(١٣) ، ولا أدري أي القولين أحرى بالصواب ، ما يقوله أهل الجوف أو ما يقوله أهل القصيم .

مسجد عمر :

يقع هذا المسجد في مدينة دُوْمَة الجندل في الحيّ القديم من المدينة قريباً من حصن مارد ، شمالاً غربياً منه ، وقد شيّد هذا المسجد بالحجارة ، ويبدو على محرابه وأعمدته ومدخله أثر القدم ، أما سقفه فانه يبدو عليه أثر الترميم ، وأهم ما تبقى من بنائه القديم مئذنته الحجرية الجميلة ، وقد أقيمت هذه المئذنة على مدخل المسجد منتصبة على متن



منارة مسجد عمر كما تبدو الآن سنة ١٤٠١هـ.

الشارع الذي يحفّ بالمسجد من جانبه الأيمن ينفذ الشارع من تحتها ، وقد شيّدت جميعها بالحجارة ، ويصعد لها من داخل المسجد بدرج من الحجارة ، وقد صمّمت على شكل مربّع ، ذي زوايا أربع متساوية ، غير أنها تدق قليلاً وبشكل تدريجي كلما ارتفعت إلى أعلا ، وأعلاها مختوم بطريقة مدببة ، ولها أربعة أدوار ، وفي كل دور منها نوافذ أربع ، في كل جهة منها ، مستطيلة إلى أعلا يؤذن منها ، وما زالت هذه المئذنة محتفظة بشكلها الأصلي عامرة ، لا يبدو عليها أثر تغيير أو ترميم .

وهذا المسجد واقع في أقدم أحياء المدينة ، ويرى أهل الجوف أنه سمي بهذا الاسم نسبة إلى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه .

ويرى الشيخ حمد الجاسر أنّ نسبته إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه غير مؤيدة بدليل ، وقد تحدّث عن هذا المسجد فقال : مسجد عمر ، ويقع في سفح الجبل الذي يقع فوقه الحصن حصن مارد ، ويقع الحصن في قبلته ، لا يفصل بينه وبين الحصن إلّا بيوت خربة قليلة ، والشائع عن أهل البلدة أنه ينسب إلى عمر بن الخطاب ، غير أنني لا أرى ذلك ، ففي المسجد محراب ومنارة ، وهما مما أحدث في الإسلام بعد عهد الفاروق ، وقد يكون منسوباً إلى عمر بن عبد العزيز إذْ هذه الجهات كانت قوية الصلة بخلفاء بني أمية في الشام ، والفاروق وإن كانت له إصلاحات في بعض القرى الواقعة في الشمال ، كأمره ابن غريض اليهودي بطيّ بئر تبوك ، وبنائه مسجد وادي القرى إلّا أنني استبعد من طراز المسجد نسبته إليه .

يضاف إلى هذا أنه مسقّف بجذوع النخل ، ممّا يدلّ على أنْ التّسقيف حديث ، وقد يُقال : بأنَّ عمَرَ أمر بإنشائه أوّلاً ثم بعد ذلك جدّد ، ولا شك أن المنارة قديمة ، وطراز بنائها يلفت النظر . أما البلدة التي يقع فيها هذا المسجد فلا شكّ أنّها من الأماكن الأثرية(١٤) .

قلت : لقد زرت هذا المسجد ودخلته وصعدت في أعلى مئذنته ، وهو لا يزال مستعملاً للصّلاة ، وكذلك مئذنته ، وهي لا تزال محتفظة بقوتها وشموخها الجذّاب من بين البيوت المحيطة بالمسجد .

ومن العجيب أن الرّحالة الانجليزية (الليدي آن بلنت) ذكرت في حديثها عن مدينة الجوف أنهم ينادون للصّلاة من سطح المسجد، وأنه ليس هناك منارة في الجوف[١٤]. فأين هي من مسجد عمر ومئذنته التاريخية الحجريّة البارزة: القريبة من قلعة مَارِد، وهذا مما يؤيد القول أنّ هذه الكاتبة لم تتح لها حريّة التجول في أحياء المدينة، وأنها تصف أحياء لم ترها، ومسجد عمر ومئذنته يقعان في وسط الحي الذي هي تخيّم فيه.

ومما يؤكد بطلان ما قالته — إلى جانب الواقع المحسوس — ما قاله الرحالة الفلندي عن أحياء هذه المدينة ومساجدها، وقد زارها قبل هذه الكاتبة بأربعة وثلاثين عاماً حيث قال: ولكل سوق مسجد تقام فيه الصلاة اليومية وتلقى على منبره خطبة الجمعة.

قلت: بطبيعة الحال وجود الجوامع ومنابر الخطابة يستلزم معه وجود المآذن للنّداء للصلاة.

الريـاض **سعد بن جُنَيدل**

الحـواشي:

(×) هذا شعر لا يليق بالصحابة رضوان الله عليهم.

(٢) البكري رحمه الله صحف (دوقة) بالقاف فهي التي بين البِرْك ومكة وهي التي ينطبق عليها شعر الأحوص.

(٣) كتاب «شمال غرب الجزيرة»: ١٤٢/١١٨.

(٤) «التنبيه والإشراف».

(٥) «في شمال غرب الجزيرة» ٥٣٣.

(٦) الصواب (مارد) بدون لأنّ (أل) لا تدخل على أسماء الأعلام إلا سماعا.

(٧) صور من شمال الجزيرة ٤٣ — ٤٤.

(٨) رحلة إلى نجد ٦٥ — ٦٦.

(٩) في شمال غرب الجزيرة ١٤٠ — ١٤٦.

(١٠) البنوك جمع بنك وهو الأصل، والكلمة عربية فصيحة.

(١١) كبير لنا: يعني بذلك عرارا.

(١٢) في شمال غرب الجزيرة ١٤١ — ١٤٢.

(١٣) في شمال غرب الجزيرة ١٥٠ — ١٥٢.

(١٤) رحلة إلى نجد ٦٦.

بنو وائل

ونسب آل مدلج

في كتاب ابن لعبون

[قلت في مجلة «العرب» ص ٤٥٠ وما بعدها في سنتها الجارية : إنَّ ابن لعبون ألّف كتابين أحدهما : في التاريخ ، جعل أساسه (مقدمة ملخّصة من لَدُن آدم أبي البشر ، إلى أثناء القرن الثالث عشر) ، وهذا الكتاب لا يزال مخطوطاً .

والكتاب الثاني : خصصه للأنساب ، استجابة لطلب ضاحي بن عون في إثبات نسب قبيلته آل مُدْلِج الوائليينَ . ولكنه لم يقتصر على ذكر نسب هاؤلاء ، بل ذكر أنساب أهل نجد بصفة عامة ، كآل سعود ، وبني تميم ، وغيرهم وطبع من هذا الكتاب قسم في مطبعة (أم القرى) بمكة المكرمة سنة ١٣٥٧ .

وها هي نُبْذَةٌ تتعلق بنسب آل مدلج ، مما لم يَرِد ذكره في الكتاب المطبوع ، ويظهر أن كتابَ ابنْ لعبون المتعلق بالأنساب دخله تحوير وتغيير ، قد يكون بعد وفاة المؤلف ، من ابنه زامل ، كما يتضح من الاختلاف في هذه النبذة ، التي نقلت عن نسختين — ففي إحداهما ينص على أن زمن كتابتها سنة ١٢٥٥ — في حياة من ألّفَ له الكتاب الشيخ ضاحي بن عون ، ويفيض في الثناء عليه — وفي النسخة الثانية يذكر وفاته سنة ١٢٩٠ — ولا يثني عليه وهذه النسخة الثانية هي الواردة في كتاب «تحفة المشتاق» وقد أوردت نَصَّ ما في ذالك الكتاب ، ثم علَّقت ما ورد في النسخة التي لا أشك في أنها نقلت عن أصل كتبه ابن لعبون نفسه ، ولهذا رمزت لها بحرف (أ) — أي الأولى ، أما ما في كتاب «تحفة المشتاق» فقد يكون من عمل زامل ابن المؤلف — وأن ما جاء في ذالك الكتاب من أنه (بقلمه) يحتاج إلى تثبيت] .

جاء في كتاب «تحفة المشتاق» ما نَصُّهُ :

تفصيل نسب آل لعبون :

وإليك تفصيل نسب آل مدلج نقلته من تاريخ حمد بن محمد بن لعبون المعروف في بلد التُّويم بقلمه ، قال :

أول من سُمّي لنا من أجدادنا حُسَيْن أبو علي ، وهو من بني وائل ، ثم من بني وهب من الحُسَنَةِ ، وكان لوهب ولدان وهما مُنَبِّهٌ وعليٌّ ، وهو جد (وِلْد علي) المعروفين اليوم .

ولمُنَبِّهٍ ولدانِ وهما حسن جدُّ الحُسَنَة ، وصاعد جَدُّ المصاليخ .

ولصاعد ولدان وهما : يعيش وقوعي (؟) والنسل لهما .

فنزل حسين أبو علي المذكور في بلد أُشَيْقر ، ونزل عليه بعد ذلك في بلد أُشيقر عِدَّة رجال من بني وائل منهم يعقوب أخو شميسة جَدُّ آل أبو ربَّاع ، أهل حُرَيمِلاء من آل حسني من بشر .

وحتَايت جَدُّ آل حتَايتٍ المعروفين من وَهْبٍ من النُّوَيْطات .

وسليم جَدُّ آل عَقِيلٍ منهم أيضاً .

وتوسَّعوا في أُشيقر بالفلاحة ، وصار لهم شهرةٌ وكثرتْ أتباعهم .

ونزل عندهم جَدُّ آل هُوَيمل ، وآل عُبيد المعروفين الآن في التويم من آل (أبو ربّاع) .

واشتهر حسين أبو علي في أُشَيقر بالسَّخاء والمروءة وإكرام الضيف .

وفي أثناء أمره أقْبَلَ غزوٌ من آل مُغيرة ، ومعهم أموال كثيرة ، قد أخذوها من قافلة كبيرة بين الشام والعراق ، فألقاهم الليل إلى بلد أُشَيْقِر ، فنزلوا قريباً من نخل (أبو علي) وكانُوا مُتَبَرِّزِيْن عن ضيافةِ البلد ، فأمر أبو عليٌّ بِجَذَاذِ جُمْلَةٍ من نَخْلة ، ووضعَه في الأرض بين أَسْطُرِ النخل ، ثم دعا الغَزْو المذكورين ، وأميرهم حينئذٍ مدْلج الْخِياري ، المشهور في نجد بالشجاعة ، وكثرة الغزوان ، وهو رئيس عربان آل مغيرة ، فدخلوا إليه ، وأجلسهم على التمر ، فأكلوا حتى شبعوا عن آخرهم ، وهم نحو مئة رجل ، ثم أَمَرَ على مدلجِ المذكور ورؤساء الغزو بالمبيت عنده ، وذبح لهم ، وصنع لهم طعاماً خَصَّهم به ، فلما كان آخر الليل وعزموا على المسير وضع مدلجٌ تحت الوسادة صُرَّةً كبيرةً فيها مالٌ كثير ، مما أخذوه من القافلة ، وساروا فلما كان بعد صلاة الصبح ، وطَوَوُا الفراش

وجَدوا الصُّرَّة تحت الوسادةِ ، فركب أبو عليٍّ فَرَساً له ، فلحقهم ظَنًّا أنهم قد نسوها فأبَى مُدلج أن يأخذها وقال : إنما وضعتها لك على سبيل المعاونة لك على مروءتك ، فرجع أبو عليٍّ بها . وكانت زوجته حاملاً فقال لها : إن ضيفنا البارحة منْ أهل المروءة والكرم . فإنْ رزقنا الله وَلَداً ذكراً سمَّيناه على اسمه مدلج (؟) وولدت ذكراً فسماه مدلج (؟) ونشأ مدلج في بلد أُشَيْقِر ، في حجْرِ أبيه ، ثم صار له بعد أبيه شهرةٌ عظيمة ، واجتمع عليه من قرابته جماعاتٌ ومن بني وائل ، وتمكنوا في أُشيقر بالمال والرجال والحراثة ، فخافوا منهم الوُهَبَةُ أَهْلُ أُشيقر ، أن يطمعوا في البلد ، فتمالوْا الوَهَبَةُ على إجلائهم من البلد ، بِلا تَعَدٍّ منهم في دَمٍ ولا مال . وكان أهل أُشيقر قد قسموا البلد قسمين : يوم يخرجون (؟) الوَهَبَة بأنعامهم وسوانيهم لِلْمَرْعَى ، ومعهم سلاحهُم ، وذلك أيَّام الربيع ، ويقعد بنو وائل في البلد ، يسقون زروعهم ونَخيلهم ، ويوم يخرج فيه بنو وائل بأنعامهم وسوانيهم ، ويقعدون (؟) الوهبة ، يسقون زروعهم ونخيلهم . فقال الوُهَبَةُ بعضهُم لبعضٍ : إنَّ الرأيَ إذَا كان اليومُ الذي يخرج فيه بنو وائل لِلْمَرْعَى ، وانتصف النهار أخرجنا نساءهم وأولادهم وأموالهم خارج البلد ، وأغلقنا أبوابَ البلدِ دُونهم ، وأخذنا سلاحنا وجعَلنا في البروج بوارِدِيَّةً ، يحفظون البلد ببنادقهم ، فإذا رجع بنو وائل منعناهم من الدخول ، ففعلوا ذلك ، فلما رجع بنو وائل آخر النهار ، منعوهم من الدخول ، وقالوا لهم : هذه أموالكم ونساؤكم وأولادكم قَدْ أُخرجناها لكم ، وليس لنا في شيء من ذلك طَمَعٌ وإنَّما نخاف من شرورٍ تقع بيننا وبينكم ، فارتَحِلُوا عن بلدنا ، ما دام نَحْنُ وأنتم أصحابٌ . ومن له زرع فليوكِّلْ وكيلاً عليه منا ، ونحنُ نقوم بسقيهِ حتى يُحْصَد ، وأما بيوتكم ونخيلكم فكل منكم يختار له وكيلاً منَّا ، ويوكله على مَالِه فإذا سكنتم في أي بلد فمن أراد القدومَ إلى بلادنا لِيَبْيع عقاره فلْيَقْدم . وليس عليه بَاسٌ ، وليس لنا طَمَعٌ في أموالكم ، وإنما ذلك خوفاً منكم أن تملكوا بلدنا وتغلبونا عليها . فتَمَّ الأمر بينهم على ذلك[٢] .

ثم رحل بنو وائل ، مدْلج وبنوه وجَدُّ أَهل حريملاء وسليم ، وجد آل هويمل الذين منهم آل عُبَيْد المعروفون في التُّويم ، والقصَارَى المعروفون في الشُّقَّةِ من قُرى القصيم ، وآل نَصْر الله المعروفون في الزُّبَيْر . فاستوطنوا بلد التُّوَيْم[٣] .

وكان أول من سكنها مدلج وبنوه ثم اجتمع عليه قرابته .

وكانت بلد التُّوَيم قبل ذلك قد استوطنها أناسٌ من عايذ بني سعيد ، بادية وحاضرة ، ثم إنهم جَلَوا عنها ودَمَّرَتْ ، وعمرها مُدْلِج وبنوه وذلك سنة ٧٠٠ تقريباً .

ونزل آل حمد آل (أبو ربَّاع) في حلة ، وآل مدلج في حلة البلد ، ثم إنه بدا لآل حمدٍ الارتحالُ والتفرُّد لهم في وطن ، فسار عليٌّ بن سليمان بن حمد الذي هو أبو حمد الأدنى ، وراشد وتوجه إلى وادي حنيفَة ، فقدم على ابْنِ مُعَمَّرٍ رئيس العُيَيْنة ، وكان قد صار طريقه على أرض حُرَيملاء ، وفيها حَوْطَة لآل (أبو ريشة) الموالي ، قد استوطنوها قبل ذلك ، ثم ضَعُفَ أمرهم ، وذهبوا ، واستولى عليها ابن مُعمَّر ، وذلك بعد دمار ملهم ، وانتقال شرايد أهلهِ إلى بلد العُيَيْنَة ، فساوم عليٌّ بن سليمان المذكورُ ابنَ معمَّرٍ في حَوْطة حريملا ، واشتراها منه بستِ مئةِ أحمر ، وانتقل إليها من التُّويم ، وسكنها هو وبنو عمه سويْد وحسن ابنا راشد آل حمد ، وجَدُّ آل عَدْوان ، وجَدُّ البُكُورِ ، وآلِ مبارك وغيرهم من بني بكر بن وائل وذلك سنة ١٠٤٥ .

ثم إنَّ سليم جد آل عقيلٍ قدم على ابنِ معمَّرٍ من بلد التُّويم ، فنزل عنده في بلد العُيَينة فأكرمه ، ونشأ ابنه عقيل بن سليم ، وصار أشهر من أبيه وله ذرية كثيرة .

وأما مُدْلِجُ فإنه تَفَرَّد في بلد التُّويم هو وأَتباعه وجيرانه ، وعمروه وغرسوه .

ثم نشأ ابنه حسينُ بن مدلجٍ ، وعظُم أمرُهُ ، وصار له شهرة(٤) ، وله أربعة أولاد إبراهيم وادريس ومانع وحسن وصار لهم صِيْتٌ(٥) .

فأما إدريس فإنه أعقب زاملَ (أبو محمد) الفارس المشهور ، الذي قتل في وقعة (القاع) سنة ١٠٨٤ وهي وقعة مشهورة بين أهل التُّويم وأهل جُلاجل ، قتل فيها محمد بن زامل بن إدريس رئيس بلد التُّويم ، المذكور ، وإبراهيم بن سليمان بن حَمَّاد بن عامر الدَّوْسَرِيُّ رئيس بلد جُلاَجِل(٦) .

ومحمد المذكور هو أبو فوزان جد عبدالله بن حمد بن فوزان ، ومُفِيز جَدّ مفيز بن حسين بن مُفيْز بن حسين وهم من آل زامل(٧) .

وأما مانع فهو جد آل حُزَيم بن مانع المعروفين[٨] .

وأما حسن فهو جد آل جطيل والمفارعة[٩] .

وأما إبراهيم بن حسين فإنه ارتحل في حياة أبيه إلى موضع بلد حرمَة المعروفة ، وهي مياه وآثار منازل ، قد تعطلت ، من منازل بني سعيد من عايذ ، ونزلها إبراهيم المذكور ، وعمرها وغرسها ، ونزل عليه كثير من قرابته وأتباعه ، وتفرَّد بملكها عن أبيه وإخوته .

وكان نزول إبراهيم بن حسين بن مدلج المذكور بلد حرمة وعمارته لها تقريباً سنة ٧٧٠[١٠] . وعمارة بلد المَجْمعَة سنة ٨٢٠ .

ثم إنه توفي حسين بن مدلج في بلد التُّويم ، وصار أميرها بعده ابنه إدريس .

فأما إبراهيم بن حسين فإنه استقر في بلد حَرْمَة وكان لأبيه فِداويٌّ فارس يقال له عبدالله الشمريٌّ من آل ويبار ، من عَبْدة من شَمَّر ، فلما مات حسين المذكور قدم على ابنه إبراهيم في حَرْمَة ، وطلب منه قطعةً من الأرض لينزلها ويغرسها فأشار أولادُ إبراهيم على أبيهم أن يجعله أعلى الوادي ، لئلا يحول بينهم وبين سعة الفلاة والْمَرْعى ، فأعطاه موضع المجْمَعَةِ المعروفة ، وصار كلما حضر أحدٌ من بني وائل وطلب من إبراهيم وأولادِهِ النزولَ عندهم ، أمروه أنْ ينزل عند عبدالله الشَّمَّريٍّ طَلَبَاً للسعَة وخوفاً من التَّضييق عليهم ، في منزل وحرث وفلاة ، ولم يَخْطُرْ ببالهم النظر في العواقب ، وأن أولاد عبدالله الشَّمَّري وجيرانهم لا بُدَّ أن يُنَازِعُوهم بعد ذلك ويحاربوهم فيكون من ضَمُّوه إليهم تَقْوِيةً لهم عليهم .

فأتاهم جَدُّ التواجر وهو من جُبَارة من عنزة .

ووجدت في بعض التواريخ أن التواجر من بني وهب من النُّوَيْطَات من عنزة .

وجَدُّ آل بَذْرٍ وهو من آل جلاس من عَنَزَة ، وجَدُّ آل سُحَيْمٍ من الحِيْلَان من عنزة .

وجد الثَّمارَى من زِعْبٍ ، وغيرهم فنزلوا عند عبدالله الشمَّرِي .

وكان أولاد عبدالله الشَّمَّري ثلاثة : سَيف ودُهَيش ، وحمد .

فأما حَمد فهو أبو سويد ، وذُرِيّتهُ في الشَّقَة المعروفة من قُرى القصيم .

وأما سيف فهو أبو علي وغانم وإبراهيم .

فأما غانم فهو أبو مجحدٍ ، جَد آل مُجْحِدٍ المعروفين .

وأما إبراهيم بن سيف فهو أبو الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سيف ، العالم المشهور ، في المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، والشيخ عبدالله هذا هو أبو الشيخ العالم العلامة إبراهيم بن عبدالله بن سيف بن عبدالله الشمريّ المتوفي في المدينة المنورة سنة ١١٨٩ رحمه الله تعالى ، وهو مصنف كتاب « العذب الفائض شرح ألفية الفرايض » وله عَقِبٌ في المدينة المنورة .

وأما عليٌّ بن سيف فهو أبو حمد بن علي المشهور .

وعثمان جد آل فايز وآل فوزان ؛

وأما حمد بن علي بن سيف فهو أبو عثمان ومنصور وناصر الشيوخ المعروفون في بلد المجمعَة .

وعثمان بن حمد بن علي بن سيف بن عبد الله الشَّمَّريُّ ، هذا هو الذي عناه حُمَيْدَان الشُّوَيْعِر بقوله :

الْـفَـيْـحَـا دِيْـرَةْ عـثْـمَـان ومْـقَـابْـلَـتْـهَـا بْلَاذَ الزِّيَـرَهْ

وهو جَدُّ آل عثمان شيوخ المجمعَة في الماضي ، الذين من بقيتهم اليوم في المجمعة آل مَزْيدٍ المعروفين .

وباقي اليوم من آل سيف آل محرِج ، وآل حَمَّاد ، وآل جَبْر ، وآل فايز ، وآل مُفيز ، وآل مُجْحِد .

وأما دُهيش بن عبدالله الشَّمَّري فله عدة أولاد ، وصار بينهم وبين بني عمهم آل سيف ابن عبدالله الشَّمَّري حُرُوبٌ عظيمة ، عند رياسة بلد المجمعة ، وصارت الغلبة لآل سيفٍ ، فارتحلوا آل دُهيشٍ إلى بلد حَرْمَة ، وسكنوا عند آل مُدلجٍ ، وكانوا

أصهاراً لهم ، فقاموا معهم في حرب آل سيف ، ووقع بينهم حروب كثيرة وقُتل من الفريقين عدّة قتلى ، منهم عثمان بن ناصر بن حمد بن إبراهيم بن حسين بن مدلج الوائلي الشجاع المشهور ، وهو الملقب بلَعْبُون وهو جد آل لعبون .

وقد تقدم ذكر السّبب الذي أوجب تسميته بهذا الاسم .

وقد انقطعوا (؟) آل دُهيش ابن عبدالله الشَّمَّريّ ما نعلم اليوم منهم أحداً .

وأما إبراهيم بن حسين بن مدلج الوائليّ صاحب بلد حَرْمَةَ فأولاده أربعة : محمد وعبدالله وإسماعيل وحمد .

فأما محمد فأولاده : حمد وإبراهيم ومانع .

ولحمد بن محمد ولَدَانِ : محمد وناصر .

وأولاد محمد بن حمد بن محمد خمسة : إبراهيم وناصر ومحمد وعثمان وعبدالله .

وأما إبراهيم بن محمد بن إبراهيم فهو جد آل مانع .

والمشهور منهم اليوم ذرية مانع بن إبراهيم وهم : إبراهيم أبو عودة ، ومانع ومحمد وعثمان ومحمد . فيكون عودة وأخوه عبد العزيز ابنا إبراهيم بن عودة بن إبراهيم ابن مانع بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن حسين بن مدلج بن حسين الوائلي .

وأما محمد فهو جد آل الْمُعَيّ هاؤلاء آلُ محمد[11] .

وأما آل عبدالله بن إبراهيم بن حسين فهم المعروفون اليوم بالحسانا غلب عليهم الاسم وإلّا فَهُم وقبيلتهم في النِّسبة إلى حُسَيْن سواء .

والموجود منهم : آل حمد بن عبد الوهاب بن حمد ، وآل حمد بن جاسر بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم ابن حسين[12] .

وأما إسماعيل بن إبراهيم بن حمد بن حسين فله من الولد : مانع ، وإبراهيم[13] .

والباقي من ذريتهم اليوم ذُرِّيَّةُ محمد بن إبراهيم بن عون بن إبراهيم بن إسماعيل .

وحمد ابن عبدالله بن مانع بن إسماعيل .

منهم ضاحي بن محمد بن عَوْن بن إبراهيم بن إسماعيل التاجر المشهور المتوفي في بلد بمبي من بلاد الهند سنة ١٢٦٠ [١٤] .

وأما حمد بن إبراهيم بن حسين بن مُدْلِجٍ فهو أبو ناصر وإبراهيم وحسين [١٥] .

ولناصر خمسة أولاد : حمد وعثمان وعبدالله وعون وإبراهيم .

فأما حمد فمات ولم يُعقب .

وأما عون بن ناصر فله : إبراهيم قُتِل في مُغيرا .

وأما إبراهيم فله عبدالله اليابس ، الشجاع البوارديُّ المشهور ، ومبارك [١٦] .

وأما عثمان فله : ناصر وحمد وعبدالله [١٧] .

ولناصر ستَّةُ أولادٍ : محمدٌ وعليٌّ ، وعبدالله وعثمان وفَرَّاجٌ وفوزان [١٨] .

فخلَّفَ محمدُ بن ناصر حَمَد ، وخلف عبدُالله ناصِرَ .

ولناصر ثلاثة أولاد : عبدا العزيز وإبراهيم ومحمد .

ولفراج بن ناصر ثلاثة أولاد ، فراج وناصر وزيد .

وأما فوزان بن ناصر وعثمان بن ناصر فانقطعوا .

ومات محمد بن ناصر أبو كاتب هذه الشجرة سنة ١١٨٢ .

وأما حمد بن عثمان بن ناصر فله ثلاثة أولاد : عثمان وفوزان ومحمد .

وأما حسين بن حمد بن إبراهيم فله : عبدالله وعثمان أبو حسين العُمَيِّم .

ولمحمد بن ناصر بن عثمان بن ناصر بن حمد بن إبراهيم بن حسين بن مدلج الملقب بابن لعبُّون ولدٌ ، وهو حمد بن محمد كاتب هذه الشجرة .

ولحمد بن محمد كاتب هذه الشجرة ثلاثة أولاد :

محمد الشاعر المشهور ، المولود في بلد ثادق سنة ١٢٠٥ وقت جَلْوَتِنَا .

وذلك أن عبد العزيز بن محمد بن سعود لما ملك بلد حرمة أمر بهدم بعض بيوتها ، وقطع بعض نخيلها ، وجلا بعضُ أهلها وذلك سنة ١١٩٣ .

وكان ممن جلا حمد بن محمد كاتب هذه الشجرة، وعمهْ فراج وأولاده، وسكنوا في الْقَصَب، ثم ارتحلوا منها إلى ثادق، ووُلِدَ الابْنُ محمد بها كما ذكرنا، وحفظ القرآن، وتعلم الخطَّ، وكان خَطُّهُ فائقاً، وتكلم بالشعر في صغره، ومدح عُمَرَ بنَ سعود بن عبدالعزيز بقصائد كثيرة، ثم سافر قاصداً بلد الزُّبير، وهو ابن سبعة عشر سنة، وصار نابغة وقتِهِ في الشعر، وله أشعار مشهورة عند العامة، نرجو الله أن يُسَامحه.

ولم يزل هناك إلى أن توفي في بلد الكويت سنة ١٢٤٧ في الطاعون العظيم الذي عَمَّ العراق والزُّبير والكويت ، هلكت فيه حمايل وقبايل ، وخَلَتْ من أهْلها منازل ، وبقي الناس في بيوتهم صَرْعَى لم يُدْفَنُوا ؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فيكون عمره ٤٢ سنة وليس له عقب رحمه الله .

وإخوته زامل وعبدالله ساكنان مع أبيهما في بلد التُّويم ، وذلك أن إبراهيم باشا لما أخذ الدرعية سنة ١٢٣٣ ارتحلتُ أنا والعم فراج من ثادق ، ومعه أولاده ، فسكن العمُّ فراج وأولاده في حَرْمَة ، وأما أنا فسكنْتُ في حَوْطَةِ سُدَيْر ، فلما كان سنة ١٢٣٨ ارتحلتُ بأولادي إلى بلد التُّويم ، وسكَنْتُ فيه وجعلْتُهُ وطناً ، والحمدلله رب العالمين .

الحـواشـي :

---

(١) أول مخطوطة (أ).

وردة الرجبان : ... (سقط أوله) :

.. لما سمع سقيهم فذمَّها وأنَّ فيها ، ثم سألَ عنه الليلة الثانية فقال : لمن هذا ؟ فقالوا : للوُهبة ، فأنَّ فيها وحقَّرها ، ثم سمع بسنِي الليلة الثالثة فإذا لها زَجَلٌ وزلزلةٌ وإحساس لعواملها وعمالها ، فقال : لمن هذه الوردة ؟ فقالوا : لبني وائل ، فرفع صوته وقال : يا بني وُهَيْبٍ أدركوا بلدكم فإنها قد عرفت أهلها ، ما بقي إلا أن يخرجوكم منها ، أو تكونوا رعيَّة تحت أيديهم ، فوقع ذلك في قلوبهم وأجمعوا على إجلائهم ، وكانوا إذا كانت وردةُ بني وائل ظهروا (؟) الوهبة والرّجبان بأهاليهم وسوانيهم ومنائحهم وما يكفيهم من الزاد إلى الفلاة والمرعى — فيرعون ويبيتون ويحشُونَ ما يكفيهم إلى وردتّهم فإذا رجعوا ظهروا (؟) بني وائل بأهاليهم وسوانيهم ومنائحهم

إلى الفلاة وحشُوا ما يكفيهم ورجعوا . فانفق رأيُ الوهَبَة على أنهم إذا خرجوا (؟) بني وائل أغلقوا الأبواب دونهم ومنعوهم من الدخول . فلما رجعوا إذا الابواب مغلقة ، فقالوا : ما الخبر؟ فقالوا لهم الوُهَبَةُ : نحن محاذرون على بلدنا . ولا ترون منا ما تكرهون . وحقكم علينا أنْ نحن نخدمكم في حرثكم وكَدّكم حتى يُحْصَد ويُرْطِب . وكلٌّ من له حرث يختار له وكيل منا ، وأنتم توسعوا في بلد الله ، فلم يَرَى (؟) بنو وائل بُداً من ذلك .

(٢) في نسخة (أ) :

فصار من له كدٌ بوكل عليه وكيل (؟) على كُرْهٍ منهم وغيظ . حتى أن (حتايت) حين قالوا له : وَكِّلْ قال : وكيله الشيطان ! تُجلوننا عن نخيلنا وحروثنا وتقولون : وَكِّلوا ؟! فبقيت كلمته مثلاً سائراً ، فإذا ذُمَّ وَكِيلٌ قِيلَ : وكيل (حتايت) .

(٣) في (أ) :

فذهب مدلج ورهط يعقوب آل (أبو ربَّاع) الذين يقال لهم آل حمد ، هويمل ، وبقايا الوهيبيين الذين مع مدلج ، وتوجهوا إلى سُدَيْر ، وحاصل الأمر أنهم استقروا في التُّويم ، بعد سكانٍ له قد درسوا ، يقال : إنهم من عايذ ، ويقال : إنهم من عُرَينة ، ويقال : من غيرهم ما حققنا أمره الأول ، وإلا فهو بلد قديم ، قد ذكره صاحب «القاموس» وذكره السُّيوطيُّ عن الحمداني — كما مَرَّ — فإنه قال لما ذكر عايذ بن سعيد : ومنازلهم حرمة وجلاجل والتويم ووادي القرى ، وهو المسمى سُدَيْر — آخر ما ذكر فيما سبق في الفصول .

(٤) في (أ) : فصل في ذكر ذرية مدلج :

اعلم أنَّ مدلج قد أَوْرَث حسين ابنه ، وهو الذي انتقل بأصحابه إلى التُّويم ، وملكه وكان لحسين أربعة بنين هم : إدريس وإبراهيم ومانع وحسن فنشاوا عند أبيهم في التويم . ثم بدا لإبراهيم الإنفراد ، وارتاد موضع حرمَةَ ، وكان فيها آثار منازل دارسة ، وأبيار تردها البوادي فاستحسنها ، واستأذن أباه بالرحيل إليها فأذن له ، فلما مات حسين بعث بنوه إلى إبراهيم وقالوا : أنت الأكبر ونُريد منك الخلف أن تكون أنت الرئيس بعد أبيك فقال : أنتم فيكم الكفاية ، وقد استقرَّ بي القرار في منزلي — يعني حرمة — والحال واحدة .

وأمَّا إدريس فأعقب زامل واستقل برياسة التُّويم ، ثم ولده محمد بن زامل الرئيس المشهور الذي قتل في حرب جلاجل ، في الوقعة التي قتل فيها شيخ جلاجل إبراهيم ابن سليمان سنة ...

(٥) في (أ) :

ثم إنه نشأ بعد مدلج ابنه حسين ، وتمكَّن في التويم ، وساد الذين غيره من بني وائل وغيرهم ، وصاروا رعاياه فضاق ذرع أكثرهم ، فذهبوا آل هويمل إلى القصيم ، ونزلوا الموضع المسمَّى بالشِّقَّة ، وكذلك آل مبارك المسمون بالتواجر ، نزلوا الطَّرفيّة ، وكذالك آل حمد ، بعدما توطنوا وبنوا لهم حلَّةً مشهورة بهم ، وقع لهم أمورٌ ألجأتهم إلى الجلاء ، فتفرقوا . وذهب عليٌ بن سليمان رئيسهم إلى ابن معمر ، رئيس العُيَيْنة ، وأضافَهُ وأكرمه ، فقال : إني قد جئتك في حاجة ، وهي طلب القُرْب منك ، نريد منزلاً من نواحيك بالثمن . فقال : أطلب ما بدا لك . فطلب منه موضع حُرَيملاء ، فأجابه ، واشتراها بثمن معلوم ، وكانت قبله حوطة لآل أبي ريشة (ربيشة) وناس من موالي الشام (؟) المعروفين ، وقد درسوا وأُجلوا عنها ، فنزلها عليٌّ بن سليمان ومن معه من آل أبي ربَّاع ، وعمروا وبَنوا المنازل ، وغرسوا الغروس ، وتداولها ذُرِّيَّة آل سليمان وآل راشد ، الذي تجمعهم الأحمدية (؟) وكذالك نزل معهم البكور ، وآل داود من بني وائل وصار لهم قسمة في البلد .

ونزولهم حريملا وعمارتهم لها سنة ١٠٤٥ (١٠٣٥) .

هذا ما بلغنا عن انتقالهم من أشيقر.
وأمَّا آل خُتَيْزَان فنزلوا رغبة.

(٦) في (أ) : وقعة القاع جاء ذكرها في كتاب «تحفة المشتاق» بهذا النّص : ثم دخلت سنة أربع وثمانين وألف : في هذه السنة وقعة القاع المشهورة بين أهل جُلاجِل والتُّويم ، قتل في هذه الوقعة محمد بن زامل بن إدريس بن حسين بن مدلج الوائلي ، أمير بلد التُّويم ، وإبراهيم بن سليان بن حمَّاد بن عامر الدوسري ، أمير بلد جُلاجِل ، وناصر بن بُرَيد ، وغيرهم انتهى .

(٧) في (أ) : ثم عقب محمد أبناء وهم فواز (فوزان) وفائز ومفيز . هاؤلاء أبناء إدريس المسمّون آل زامل . انتهى . وجاء في أخبار حوادث سنة ١١٢٠ من «تحفة المشتاق» ما نصّه : وفيها قُتِل حُسين بن مفيز الوائلي أمير بلد التُّويم ، قتله ابن عمه فايز بن محمد بن مفيز المدلجي الوائلي وتولى بعده في التُّويم ، ثم إن أهل بلد حرمة من آل مدلج من وايل ساروا إلى التُّويم وقتلوا فايز بن محمد المذكور ، ونصَّبوا فوزان بن مفيز أميراً في التويم . ثم غَدَر ناصر بن حمد في فوزان المذكور فقتله ، فتولَّى في التويم محمد بن فوزان ، ثم تمالأ عليه أربعة رجال وهم المِفْرِع وحمد بن عثمان الخزيمي وزامل بن إدريس وأخوه عبدالله فقتلوه ، وقسموا البلد أرباعاً كل واحد شاخ في رُبع منها ، فسُمُّوا المربوعة ، وانهزم عبدالله بن فوزان ومفيز بن حسين إلى بلد جُلاجِل .

(٨) في (أ) : وأمَّا مانع بن حسين فذريته يقال لهم آل مانع ، وغلب على أكثرهم اسم حُزَيم ، لقب لجَدٍّ لهم فهم الآن يقال لهم آل حزيم .

(٩) في (أ) : آل جطيل واناس معهم ، اختلطوا بآل مانع . وتَسَمُّوا بالمفارعة . انتهى وتقدم في الحاشية ذكر (المِفْرِع) بكسر الميم واسكان الفاء .

(١٠) في (أ) : وأما ابراهيم بن حسين — جدّ أهل حَرْمَة — كان له من الولد أربعة : محمد وحمد وإسماعيل وعبدالله ، فصاروا آباء لأربعة بطون ، وصارتْ رياسة البلد مشاعة بين الأربعة ، لا يختص بها واحداً عن الآخرين انتهى .

وفيها أيضاً : وقد ذكروا لنا آل شبانة حمد بن عثمان وأخوه محمد أنهم روَوا عَمَّن قبلهم نقلاً نزول إبراهيم بن حسين حرمة في آخر القرن التاسع تقريباً ، نحو السبعين وثمان مئة ، وظهور المجمعة بعد نزول إبراهيم بخمسين سنة ، لأن الذي اختط المجمعة وسكنها هو عبدالله الشمَّريُّ الفارس المشهور كان خيالاً عند حسين بن مدلج فداوياً بمنزلة الوزير ، فلما توفي حسين أقام مدة عند أولاده ، ثم اختار جانب إبراهيم فانتقل إليه في حَرْمَة فسكن عنه زماناً على حشمة ووقار ، ثم طلب من إبراهيم أن يبرز في منزل على حدته ، يتوسع فيه ويحرث ويغرس هو وذريته ، ومن التجأ إليه ، فأذن له .

(١١) في (أ) : فذرية محمد بن إبراهيم الجد لصلبه : حمد وإبراهيم ومانع .
فأما حمد فأَرْث محمد ، ومحمد أرث إبراهيم وعبدالله ومدلج . ومانع .
وابراهيم ارث حمد وناصر ومحمد وعثمان ، وآخر ذرية إبراهيم بن محمد أحمد ، وانقرضوا .
وكذالك مانع ومدلج انقرضوا .
وأما عبدالله بن محمد بن حمد بن محمد بن الجد إبراهيم فأولاده أربعة :
عثمان — الذي قتله أخوه خضير .
وحمد العقيم . وناصر وخضير . وانقرضوا أيضاً إلا ذريّة القتيل فإنه أعقب عبدالله ، وهو الآن باق ، سلمه الله تعالى — وقت التاريخ . لاستهلال سنة ١٢٥٥ . وله طفلين (؟) ولابنه الذي توفي طفل وممن يلحق

آل محمد : عبدالله الملقب أبو بايشلق (بايشاقق) وابن ناجم ، وانقرضوا .

وأما مانع بن محمد بن الجد الأكبر إبراهيم فذريته آل المعيبي (آل المعي) .

وأما إبراهيم بن محمد بن الجد إبراهيم فأرث مانع (؟) ومانع أرّث إبراهيم وعثمان ومحمد .

وابراهيم بن مانع المذكور أرّثَ عودة الذي قتله أهل العارض ومانع ومحمد .

وعودة أرَّث إبراهيم ومحمد . وإبراهيم أرث عودة وعبد العزيز ، فيكون عودة الموجود حال التاريخ — ابن إبراهيم بن عودة بن إبراهيم بن مانع بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الجدّ .

هاؤلاء آل محمد ، يجتمعون في محمد .

(١٢) (أ) : وأما عبدالله بن الجدّ إبراهيم فذريته الآن يسمون الحسانا لقب علق بهم والا فالحسنية عامة القبيلة كلها يقال أولاد الحسني .

فأعقب عبدالله محمد وأعقب محمد عبدالله الثاني ، وولد لعبدالله حمد أبو عثمان وعبد الوهاب أبو ماضي ومحمد وخضير ، ومحمد أبو زامل وحسين وجاسر ومنصور أبناء لعبدالله أيضاً .

وأم حمد وعبد الوهاب ومحمد ومنصور وجاسر فاطمة بنت عبد الوهاب بن سليمان بن علي جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ودخلت سنة خمس وخمسين بعد المئتين والألف والموجود من ذراري من ذكرنا من ذرية عثمان : إبراهيم بن جاسر بن عثمان . وعلي ومنصور ابنا حمد بن جاسر بن عثمان ومن ذرية عبد الوهاب خمسة غلمان ابناء حمد بن ماضي بن عبد الوهاب والباقون انقرضوا .

(١٣) في (أ) : وأما اسماعيل بن الجد إبراهيم فأولاده لصلبه مانع وحمد وعثمان ، فأما مانع فاتّسعت له الدنيا ، وملك في حَرَمة عقارات كثيرة . وَقَفْنَا على أسمائها في وثيقة له مُوَقِفٌ جميع عقاراته وذلك قبل أن يولد ابنه عبدالله ، ووقت التوقيف سنة ثمانين بعد الألف والوثيقة عندنا بخط القاضي أحمد ابن محمد التُّويجري وذكر أنه نقل من خط عبد القادر العديلي ، وذكر عبد القادر أنه نقله من خط العالم القاضي محمد بن عبدالله بن محمد بن سيف وهو عالم مشهور في زمنه وصورة ترجمة الوثيقة (السبب الداعي لتحريره ، هو أن المكلف العاقل الرشيد مانع بن اسماعيل بن إبراهيم بن حسين بن مدلج قد وقّف وحبّس عقاراته الكائنة في القرية المسماة حرّمة وهُنَّ حائطه المعروف بالعميري ، وحائطه المنمي بالعادية والمسمي فيْد سُلَيْم ، وأرضه المعروفة بطالعة المويسية ، وداره المعروفة بعقدة حرمة ، ومخزنه الذي يلي دار أخيه حمد — وذكر فيها أن الوقف على ابنتيه فايزة وشايعة ومن سيولد له بعد ، للذكر مثل حظ الانثيين ، ثم على أولادهما وأولاد من سيوجد من ولده فإن انقرضوا صرف للمستحق من إخوته عبدالله وحمد وعثمان وأولادهم وذكر أيضاً شفوص (؟) تابعة العقارات المسماة هذا ما اختصرنا منها فاستفدنا منها أموراً منها تحقق النسب ، ومنها معرفة أبناء إسماعيل أنهم أربعة ومنها تقدم غراس حرمة لأنَّ أملاكه التي ذكر مملوكة قبله وبالغة أشدها كما سميت بملاكها .

وقد ذكروا (؟) لنا آل شبانة حمد بن عثمان وأخوه محمد أنهم حرروا عمَّن قبلهم نقلاً نزول إبراهيم بن حسين حرمة في آخر القرن التاسع تقريباً نحو السبعين وثمان مئة . وظهور المجمعة بعد نزول إبراهيم بخمسين سنة لأن الذي إختط المجمعة وسكنها هو عبدالله الشَّمّري الفارس المشهور ، كان خيَّالاً عند حسين بن مدلج فِداوياً بمنزلة الوزير ، فلما تُوفّي حسين أقام مدة عند أولاده ، ثم اختار جانب إبراهيم فانتقل إليه في حرمة فسكن عنده زماناً على حشمة ووقار ، ثم طلب من إبراهيم أن يبرز في منزل على حِدَتِهِ ، يتوسع فيه ويحرث ويغرس هو وذريته ومن التجأ إليه ، فأذن له فأشار على إبراهيم أولاده أن يجعله في هذا الموضع ، ولا يجعله أسفل منهم فيتسع ويكدر عليهم المراعي ، فلما اختط منزله فيها صار من جاء من بني وائل أو غيرهم يريد النزول عند إبراهيم

يقول : انزل عند آل عبدالله خوفاً من تضييقهم عليهم في المزارع والمراعي ، وغاب عنهم نظر العواقب من جهه السيل ، ومن جهة وقوع المشاجرة ، فيا بعده مِمَّا وقع من المحذور . ولنرجع إلى أبناء إسماعيل فنقول :

كان مانع المذكور أكثر أبناء الجد إبراهيم عقارات وأثاثاً ، ثم إنه بعد توقيفه عقاراته ولد له عبدالله المشهور ، وقوتُ وعُوَيْش المشهورة بالجمال والحُليّ الكثير ، الذي تضرب به الامثال . وتدلى عليها عبدالله بن محمد بن مُعَمَّر رئيس العارض المشهور فخطبها وتزوجها وسارت إلى العُيَيْنَة معه في هودج وأُبَّهة وموكب حافل .

وأمَّا عبدالله بن مانع المذكور فإنه قام لمقام أبيه بعد وفاته وازداد بشيء من العقارات منها القويسمي وقيد (أبا عود) وأشقاص غيرهن في الفاضلية وفي طالعة عوْن ، وأوقفهن تبعاً لأبيه على ذريته للذكر مثل حظ الانثيين ، وكان له من الولد حينئذ فوزان ، وحمد ، وخمس بنات وهُنَّ : لولوة وموضي وقوت وزاهرة وبنّا .

وكان إيقاف عبدالله أملاكه بخط عبدالله بن عيسى المُوَيس سنة ١١٦٢ وهي سنة الغلا والمحل المعروف بشية (بتيشة) فيكون بين إيقافه وإيقاف أبيه اثنين وثمانين سنة .

(١٤) في (أ) : وأمَّا إخوة مانع بن إسماعيل وهم عبدالله وحمد وعثمان فلهم ذرية انقرضوا مثل مهوس وغيره ولم يبق إلَّا ذرية عون .

وعون أبوه حمد بن إسماعيل ، وأورَث عَوْن إبراهيم ، وأورَث إبراهيم محمد ، وهو أبو إبراهيم وضاحي وكان لهم عقاراتٌ في البلد مثل جَبْرة وطالعة عون وغيرهما وكان بنو إسماعيل أكثر بني عمهم عقارات .

وكان إسماعيل وأخوه حمد إبنا الجد إبراهيم شقيقين ، دون أخويهما محمد وعبدالله وكان يلتجيء بعض ذريتهم إلى بعض ، ويكونون يداً واحدة على بني عمهم بالموالاة والحمية وكفّ الأذى ، لأن آل حمد أكثر عدداً بالرجال .

ودخلت السنة الخامسة والخمسون بعد المئتين والألف والموجود من آل إسماعيل االركن الشديد ، والحصن المشيد ، الجواد المفيد ، ضاحي بن محمد بن إبراهيم بن عون بن حمد بن إسماعيل وابن أخيه محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عون .

ومن ذرية مانع ولد فرج بن حمد نسأل الله أن يمتع بهم ، وينشيء لهم ذرية الذين ذكرهم الشاعر النبيل حيث يقول :

إذا مــا مــات ذو عــلم وتــقوى ... فقد ثُلِمَتْ من الإسلام ثُلْمَهْ
وموتُ فتى كــثــيــرُ الجود مــحْـلٌ ... لأن بــقــاءه خِصْبٌ ونــعْــمَـةْ
وموت الــعــادل الملك الــمُوَلَّى ... لأمر الناس جائحَةٌ وهَضْمَهْ
وموت الــعــابــد الأوَّاب نَــقْصٌ ... في لــقــيــاه للأرْوَاح نَسْمَهْ
وموت الــفــارس المقدام وَهْنٌ ... وكم دَفَعَتْ شجاعَتُهُ مُهِمَّهْ
فَحَسْبُك خَمْسَةٌ يُبْكَى عليهم ... وموتُ الْغَيْر تخفيفٌ ورَحْمَهْ

وقد فقد بموت الابن السعيد ، الصالح الشهيد أحمد بن ضاحي خيرٌ كثيرٌ ، وفَقَدَه جَمٌّ غفير ، وهو غُصن من شَجَر ، ونهر من بَحر ، فالله يرحم شبابه ، ويخلفه بعِدَّةٍ من أضرابه والأمر كما قيل :

لعمرك ما الرَّزِيَّةُ فَقْدُ مالٍ ... ولا شاةٌ تموتُ ولا بَعِيرُ
ولكنَّ الرَّزِيَّةَ فَقْدُ شَخْصٍ ... يَمُوتُ بِمَوْتِهِ خلْقٌ كَثيرُ

(١٥) في (أ) : وأما حمد بن الجد إبراهيم — أحد الأربعة من بنيه — فأعقب ناصر وحسين ومبارك وإبراهيم .

وأما إبراهيم فأعقب عبدَ الله الملقب باليابس وانقرض نسله .

وأما مبارك فلم يبق من نسله إلا سويد الذي من نسله سعدون وناصر ومحمد ، ولهم بقية في البحرين إلى

الآن عقاراتهم في حرمة قد درست وانتقلت وهن البذاريات والبديع وما يليهن .
وأما حسين بن حمد فمن ذريته حسين بن عثمان العميم لقباً وأخوه محمد (بياض) محمد وحمد (بياض) العقيل وحمد بن حسين الذي من عياله محمد الحربي وعلي وحسين لقبوا بالحرّابا لأنهم نشأوا في المدينة وأخوالهم من حرْب .

(١٦) في (أ) : وأما ناصر بن حمد فأعقب حمد وعون وعثمان ، وعون أعقب تركي ، وتركي أعقب ناصر الذي قتلوه (؟) آل محمد في مغيرا وانقرضوا .
وحمد بن ناصر لم يعقب ذكوراً وهو الذي غرس الناصرية في حرمة والحويط الذي قريب من العقدة ، وخلف ابنتين غالية وشايعة ، غالية تزوجها ابن عمها ناصرُ بن عثمان ، وولد له منها محمد وعلي .
وشايعة تزوجها عبد الرحمن بن عقيل وولد له منها محمد ومريم أم بعض عيال عبدالله بن حسن .

(١٧) في (أ) : وأما نسل عثمان بن ناصر بن حمد بن الجد إبراهيم فهم ناصر وعبدالله وحمد .
فذرية حمد لم يبق منهم إلا فوزان ، وعبدالله أعقب عثمان ، يُلقب عبوس ، وعثمان أعقب عبدالله ومحمد الذي تغرب للشمال قبل تدمر حرمة بعدما تزوج شايعة بنت محمد أخت جامع النبذة ، وهو الملقب هناك محمد الوايلي ، ثم نشب هناك بعد رِحْلاتٍ وأسفار وطلب أن تَحْدَّر عليه زوجته فتلوَّنَ مسيرها وشقت به الغربة فتزوج غالية بنت الفريح العنقري التي بعد محمد بن إبراهيم بن عون ، ثم بعد ذلك حدرت عليه زوجته فأولدها ثلاث بنات وتوفي هناك فاستخرجها أخوها حمد الوايلي إلى نجد ، وكفلها وكفل بناتها حتى زوجهن من أكفائهن ، وهن باقيات حال التاريخ ولهن ذرية .
وممن أهملنا من ذرية مبارك جد سويد حمد الوايلي الشجاع الشاعر المشهور الذي غاضب رفاقته حين أغضبوه وعتبوا عليه من قبل دخوله حايط سيف الفريجي المسمى بالفاضلية الذي في جنب الناصرية نخل ابن عمه ، وأخذه العناقيد من عنبته هو ومعشر معه ، حين تبعوا طائراً يرمونه فشوه عليه سيف الفريجي وقطع غصون (؟) من العنبة ودخل بها يجرُّها على حمار وقال : اليوم يتوصَّل للعنبة وبعده على البنات ، واصطفقوا عليه رفاقته حميَّة لجارهم الشّمّري فاج عنهم وانتقل إلى العراق وبعث إليهم قصيدته المشهورة التي أولها :

على الـنـاس دالوبّ الـزمـان يـديرْ — وخيـل الـليـالي بـالـفـجاة تـغير
ومـن عـاش في الـدنيـا ليـال كثيرةْ — سواً ذاك والليّ يموت صـــغير
ومن عاش في الدنيا ولو شبّ مترف — فصَـيُّورهـا تـبـحث كـداه أخير
ولـو كـان في حِقٍّ من العاج مُطبَق — فلا عـن مـقـاديـر الإلـه يـطير

إلى أن قال :ـــ

أنـا حـمـد لا بُـدٌّ مـا تـذكروني — إلى طِقّ في بعض المواقف زِيْر

ثم إن رفاقته حنوا عليه وأمروا شاعرهم المشنق يجاوبه بشِعْرٍ يزْرِيُهُ فيه ، يحدّاه على الظهور فجاوبه بالشعر الذي يقول فيه :

يوم أنتَ في حَوران تَـتلى مطابخْ — وأكْلك من خُبْز الهنود خَمِيرْ
ونحن نُصـالي في سَـديـر قـبـايـلْ — نـعـدِّل في مَـيْلاتـهـا ونـديـر
ونَصْـبِـر على أكْـل الْـهَـبِيد وخلْطه — قصيـل وعِيْـدِ المحصنات شْعير

وظهر من رحلته قانص قتل المشنق على غِرَّة فلما قربت الرحلة من حَرْمة سبقهم ، ودخل معلق بندقه وصوت للمشنق في بيته في الليل وقال : غريب مبعوث إليك بغرض ! وقال : ما في الليل قَضّي أغراض ولا

أفتح بابي في الليل ! ! فقال : طُل عليّ مع الفرجة أخبرك . وقد بشم الفتيلة لرميه فانتبه المشتق وقال : إن كان الوايلي حيّ فهو أنت وأنا شاحٌ بعمري ، وتايب عما مضى من أمري ، فلما انتكث أمره عدل إلى الجمعة وأصبح فيها ، فلما علموا رفاقته مشوا إلي وأرضوه ، ورجعوا به معهم إلى حرمة على وقار وحشمة .

(١٨) في (أ) : وأما ناصر بن عثمان بن ناصر بن حمد بن الجد إبراهيم فأعقب ستة بنين :

محمد وعلي وعبدالله وعثمان وفراج وفوزان .

فمحمد وعلي أمهما غالية بنت حمد بن ناصر .

وعبدالله وعثمان أمهما أخت عثمان بن حمد الحسيني .

وفراج وفوزان أمهما موضي بنت محمد القفيعي .

ولم يعقب منهم ذكوراً إلا ثلاثة محمد وعبدالله وفرّاج فأعقب محمد حمد .

وولد لحمد ثلاثة بنين زامل وناصر وعبدالله .

وأعقب عبدالله ناصر وولد لناصر عبدالله وإبراهيم .

وأعقب عبدالله ناصر موجود حال التاريخ .

وأعقب إبراهيم ناصر وتحته طفل .

وفراج أعقب فوزان وناصر وزيد .

فناصر أعقب عبد العزيز .

وزيد أعقب ثلاثة فوزان ومحمد وفراج موجودون حال التاريخ .

ودخلت السنة الخامسة والخمسون بعد المئتين والألف والموجود من آل حمد .

ذرية حمد بن الجد إبراهيم خمسة عشر ما بين الصغير والكبير .

حمد وبنوه أربعة .

وزيد وبنوه أربعة .

وناصر بن إبراهيم .

وابن عمه ناصر بن عبدالله .

وعبد العزيز بن ناصر بن فراج .

وابنين لناصر بن محمد بن حسين العميم .

وفوزان بن حمد بن عثمان .

وبني عمهم الذين من ذرية سويد بن مبارك في البحرين مالي بهم خبر حال التاريخ .

وسويد بن مبارك بنفسه خاله ناصر بن عثمان أبو محمد وفراج .

وأما علي بن ناصر وعثمان بن ناصر فلم يعقبوا (؟) إلا بنات وانقرضوا .

وأما فوزان بن ناصر قتله آل مرّة مع غزو ابن سعود ولم يعقب .

هذا ما أحاط به علمنا من هذه القبيلة وإنما ذكرنا الأطفال وبعض النساء والأصهار تذكرةً وتنبيهاً للحيّ منا ، ولمن يأتي بعدنا ، حفظاً للنسب وكرم المصاهرة ، وتبييناً لمن أراد المواصلة من الأحياء ، ومن بعدهم كما في الحديث : « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم » والله سبحانه أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

العرب في القرن السابع

من كتاب «مسالك الأبصار»

— ٢ —

[نشر القسم الأول في جزء رمضان (من ص ٢٧٤ إلى ٣٠٠) ويحسن الإشارة إلى أن النسختين المخطوطتين من كتاب «المسالك» سيئتا الخط، كثيرتا التحريف فلم أستطع تقويم جميع الأخطاء، إلّا أنّ كُلّ ما ذكر ابن فضل الله عن القبائل نقله القَلْقَشَنْدِي في كتابيه «صبح الأعشى» و«نهاية الأرب» وقد طبعا وهما مشحونان بالأغلاط، ثم جاء السُّوَيْديُّ فأورد في كتاب «سبائك الذهب» ما في كتاب «نهاية الأرب».

لهذا يحسن بالقارىء المتتبِّع المتحرِّي للدقة الرجوع إلى الكتب الثلاثة مع تاريخ ابن خلدون].

وأما طوائف العرب الموجودين في زماننا فهم :

عرب الشام :

ثعلبة الشام، تلي مصر إلى الخرّوبة. وهم من درما إلى غياث الجواهرة ومن الحنابلة، ومن بني وهم، ومن الصبيحيين. ومن أحلافهم فرقةٌ من النُّعيميين، ومن المعار والحيان.

ثم جَرْمٌ، وهي ببلاد غزة والداروم، مما يلي الساحل إلى الجبل وبلد الخليل عليه السلام.

وفي العرب جروم كثيرة : جَرْمُ قضاعة، ومنهم بنو جشم وبنو قدامة وبنو عوف.

وجرم بَجيلة.

وجرم عاملة.

وجرم طيي.

ومنها هاؤلاء الذين نحن في ذكرهم. قال الحمداني : واسمه ثعلبة، واسم أمّه جَرْم فحضنته فسُمّيَ بها. وهو جرم بن الغوث من طي.

وهم شمجان، وفران، وجيّان[1]. وقال : وكانوا متفقين مع ثعلبة بالشام، يداً

مع الإفرنج على المسلمين ، فلما فتح السلطان صلاح الدين البلادَ جاءتْ ثعلبَةَ وطائفة من جرْمٍ ، ومُضَر وبقيت بقايا جرم مكانها .

قال والمشهور من جرم هذه الآن : خزيمة[٢] ، ويقال : إنَّ لهم نسباً في قريش ، وزعم بعضهم أنها ترجع إلى مخزوم ، وقال آخرون : بل من خزيمة بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤيّ بن غالب بن فهْر .

قال : وخزيمة هذه : آل عوسجة ، وآل أحمد ، وآل محمود . وكلهم في إمارة شاور بن سنان ، ثم في بنيه ، وكان لشاور أَخَوان ، فيهما سُؤْدُدٌ ، وهما غانم وخضر ومن هاؤلاء خُزيمة : جمايع الزايديين ، جماعة منصور بن جابر ، وجماعة عامر بن سلامة .

ومنهم بنو أسلم ، قال : وهذه أسلم من جُذَام ، لا من خزيمة لكنَّها اختلطت مع خزيمة[٢] ومنهم شبل ورصيفة جرم ، وسعور ، والورره ، جماعة عليم بن رميح ، والأحامدة والرمثة ، وكور من جرم جماعة جابر بن سعيد ، وموقع وكان كبيرهم مالك الموقعي ، وكان مقدما عند السلطان صلاح الدين وأخيه العادل .

ومنهم بنو غور قال : ويقال : انهم من جرم بن جرمز بن سنبس . ومن هاؤلاء : المعاجلة والصهان والعبادلة ، وبنو تمام وبنو جميل .

ومن بني جميل : بنو مقدام .

ومن بني غور أيضاً : آل نادر وبنو غوث وبنو نهي ، وبنو خولة ، وبنو هرماس ، وبنو عيسى ، وبنو سُهيل وأرضهم الداروم ، وكانوا سفراء بين الملوك ، وجاروهم قوم من زبيد تعرف ببني فهيد ، ثم اختلطوا بهم .

قال الحمداني : فهذه جرم الشام ، وحلفاؤهم ومن جاورهم ولاذ بهم .

وبنو جابر تدمري من غرة ويعرف بالحريث ، جماعة فهد بن بدران .

وأمَّا بنو صخر ، وهم الدعيجيون والعطويون والصويتيون فبلادهم ما حول الكرك ، ومنهم طائفة بمصر ، وبنو خصيبٌ وهم أشتات بمصر والشام .

وبنو هوبر ، ووفد منهم طائفة على المُعزّ أيبك بمصر ، وبقيّتهم في الشام .

وبنو مرّة خفراء القدس ، وبنو قنص وبنو شجاع بالقدس أيضاً . والعنابرة ببلد الخليل عليه السلام ، وبنو أيوب بجنين .

وبنو سمير بن قيس خفرا عور الكفرين ونمرين[٣] .

وبنو وهدان بجبل عود[٤] .

وبنو عمر عرب الصلت ، ومرجعها إلى جذام .

بنو طريف من جذام ، ومنهم مبشر وعجرمة ، ومهدي .

وبنو مهدي منهم المشاطية ، ومنهم أولاد ابن عسكر .

ومن الأدعيا جماعة نهيم .

ومن بني مهدي أيضاً : العناترة جماعة أولاد راشد ، والنيرات ،[٥] واليعاقبة ، والمطارفة والعفين ، والرويم والقطاربة وأولاد الطائية ، وبنو دوس ، وآل يسار ، والمخابرة ، والسماعة والعجارمة ، من بني طريف . كان شيخهم مسعود بن جرير ، ذا مكانة عند ولاة الأمور .

وبنو خالد والسلمان والفرانسية ، والدرالات والجمالات ، والمساهرة ، والمغاورة ، وبنو عطا ، وبنو مياد ، وآل شبل وآل رُوَيْم — وهم غير الرويم — والمحارقة ، وبنو عياض .

وهاؤلاء ديارهم البلقا إلى ما يوالي الصوان ، إلى علم أعفر . وهاؤلاء بالبلقا طائفة من حارثة ، ولهم نسب بقري بني عقبة .

ومن بني مهدي أيضاً : بنو داود . وجماعة فضل بن عليم من المشاطبة ، وجماعة زايد بن بجير من العناترة . وجماعة قرشة بن جربان من السماعة ، وجماعة غضبان بن عمر بن جرير من العجايرة ، وجماعة سلمان العبادي من بني عباد ، وجماعة عساكر بن حياش ، وهاؤلاء ديارهم حول الكرك .

وبنو جوشن خفراء الموجب ، وبنو نعجة من هلبا خفراء الزويرة ، وبنو عجرمة خفراء الرقطانة والحسبة من بني عقبة .

وعقبة من جذام : وديارهم من الشوبك إلى حسْما إلى تبوك ، إلى تَيْما إلى برد ورواف[٦] ، إلى الحريدا[٧] وهي شرقي الحِجْر . وآخر أمرائهم كان شطِّي بن عُبَيَّة ، وكان سلطاننا الملكُ الناصر قد أقبل عليه إقبالاً أحلَّهُ فوق السماكيْن ، وألحقه بأمراء آل فضل ، وآل مِرَاء ، وأقطعه الاقطاعات الجليلة ، وألبسه التشريف الكبير ، وأجزل له الحِبا ، وعمر له ولأهله البيت والخبا .

وبنو زهير عرب الشوبك أيضاً . والحريث وهم بالساحل الغزاوي ، وغزوا عسقلان أيام الملك الصالح مع بيبرس الكنجي ، فأقطعهم هناك .

وبنو سعيد عرب صرخد ، وهم من سعد جذام .

وزُبيد فرق شتى بصرخد منهم ، وبغوطة دمشق ، وببلاد سنجار ، وبالحجاز وباليمن .

والذين بصَرخَد منهم : آل مياس وآل صبيْي ، وآل صبيْي ، وآل برة وآل محسن وآل جحش وآل رجا .

وبغوطة دمشق آل رحال وآل بذال ، والروس ، والحريث ، وهم جماعة نوفل الزُّبيديّ .

وأما ربيعة : وهم ملوك البرّ ، وأمراء الشام والعراق والحجاز فهم آل فضل وآل مراء ، وآل علي من آل فضل قال الحمداني : وربيعة رجل من سلسلة نشأ في أيام أتابك زنكي وولده نور الدين — رحمهما الله — ونبغ بين العرب ، قال : ويقال إن أباه رجل من علقى . قال : وتقول ربيعة الآن إنه من ولد جعفر بن يحيي بن خالد الدبن برمك . قال : وليس هذا بصحيح .

قلتُ : وأصلهم إذا انتسبوا إليه أشرف لهم ، لأنهم من سلسلة بن عنين بن سلامان من طي ، وهم كرام العرب ، وأهل البأس والنجدة فيهم . والبرامكة وإن كانوا قوماً كراماً ، فإنّهم قوم عجم ، وشتّان بين العجم والعرب ، وقد شرف الله العرب إذ بعث منهم النبي محمداً صلى الله عليه وسلم ، نبيّه ، وأنزل فيهم كتابه ، وجعل فيهم الخلافة والملك ، وابتزّ بهم مُلْك فارس والروم ، وقَرع بأسنّتهم تاج كسرى وقيصر ، وكفى بهذا

شرفاً لا يطاول ، وفخراً لا يتناول .

قال المهمندار الحمداني : وزعموا أنهم من ولد جعفر ، من أخت الرشيد التي عقد له عليها — كما قالوا — لتخرج عليه على أن لا يطأها فوطئها على حين غِرّة ، فحبلت بغلام كان هذا ربيعة من بنيه . قال : وهذا الخبر ليس بصحيح ، وان كان صحيحاً فقد دفنت المرأة وولدها ، كما قيل في تمام الحكاية ، ولم يعلم لها أثر . قالوا : وكانت نكبة البرامكة بهذا السبب ومما يدل على بطلان هذه الدعوى ما نُقل عن ثقات أنّ مسروراً الخادم سُئل عن سبب الإيقاع بالبرامكة فقال : كأنّك تظن حديث المرأة صحيح ، وأن الإيقاع بهم كان بسببه ؟ فقلت : نعم . فقال : ما لهذا الخبر صحّة ، وإنما حسد موالينا وملكهم . قلت : ولا يبعد ذالك من ملك الملوك ، ولا سيّما البرامكة كان قد علا صيتهم ، وانتشر ذكرهم ، وكثرت فيهم المدائح ، وقصدتهم الشعراء ، ووفدت عليهم الوفود ، حتى تضاءلت الخلافة بهم .

قال الحمداني : والأصحّ في نسب ربيعة هذا أنه ربيعة بن حازم بن علي بن مُفرّج بن غفل بن جراح بن شبيب بن مسعود بن سعد بن حرب بن سكن بن رفيع بن علقي بن حوط بن عمر بن خالد بن معبد بن عديّ بن أفلت بن سلسلة بن عمرو بن سلسلة بن غنم بن ثوب بن معن بن عتّود بن عُنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طي . فهذا ما ذكره الحمداني وأما نسب ربيعة إلى برمك فقالوا : ربيعة بن سالم بن شبيب بن حازم بن علي بن يحيي بن خالد بن برمك .

قال الحمداني : ولد ربيعة أربعة : فضل ومرا ، وثابت ودغفل ، وسنذكرهم على ما هم في وقتنا ، على ما ذكره لي محمود بن عذام من بني ثابت بن ربيعة .

قال : فضل منهم آل عيسى ، وقد صاروا بيوتاً ، بيت مُهنّا بن عيسى ، وأميرهم وأمير سائر آل فضل أحمد بن مُهنّا ، وبيت فضل بن عيسى وأميرهم سيف بن فضل ، وبيت حارث بن عيسى ، وأميرهم قناة بن حارث .

وأما أولاد محمد بن عيسى ، وأولاد حديثة بن عيسى ، وآل هبة بن عيسى ، فتُبّاع .

وهذا البيت أسعد بيتٍ في العرب في وقتنا الذي أشرقت فيه طوالع سعودهم ، وأيْنَع منهم مُخضرٌّ عودهم ، وأما بقية بيوت آل فضل فمنهم آل فرج ، والأمير فيهم زيد بن طاهر وغانم بن وهيبة ، وآل سميط والإمرة فيهم في صافية بن حجير بن الصميد . وآل مسلم والإمرة فيهم في طامي بن عياش ، وآل عامر ، والإمرة فيهم في بني عامر بن دراج وأمَّا آل علي فهم وإن كانوا من ضئضئي آل فضل ، فقد انفردوا منهم ، واعتزلوا عنهم ، حتى صاروا طائفةً أخرى ، وسيأتي ذكرهم — فهاؤلاء آل فضل .

وأما مَنْ ينضاف إليهم ويدخل فيهم فمن يذكر ، وهم زغْب والحريث وبنو كلب وبعض بني كلاب ، وآل بشار — وهم موال — وخالد حمص ، وطائفة من سنبس ، وسعيدة وطائفة من فرير ، وبنو خالد الحجاز ، وبنو عقيل من كرز ، وبنو دميم ، وبنو حي ، وقران ، والسراحين .

ويأتيهم من عرب البرية من يذكر : فمن غزيَّة غالب وآل أجود . والبطنين وساعدة .

ومن بني خالد : آل جناح والضبييات من مياس ، والجبور والدعم والقرشة ، وآل منيخر ، وآل بيوت ، والمعامرة ، والعلجات وهاؤلاء من خالد .

وفرقة من عايذ ، وهم آل يزيد وشيخهم ابن مغامس ، والمزايدة ، وشيخهم كليب بن أبي محمد ، وبنو سعيد وشيخهم محمد العليمي ، والدواسر ، وشيخهم روَا بن بدران .

هاؤلاء غير من يُحالفهم في بعض الأحايين ، على أنني لا أعرف في وقتنا من لا يؤثر صحبتهم ، ويظهر مودَّتهم .

وأمير القوم — كما تقدم — أحمد بن مهنَّا . وهذا نسبه إلى ربيعة : أبوه مهنا بن عيسى بن مهنَّا بن مانع بن حديثة بن غصيَّة(*) بن فضل بن ربيعة .

وديارهم من حمص إلى قلعة جعبر ، إلى الرحبة آخذين على سقي الفرات وأطراف العراق ، حتى ينتهي حدّهم قبلة بشرق إلى الوشم ، وآخذ من يسار إلى البصرة ، ولهم

مياهٌ كثيرة ، ومناهل موروده :

ولها مـنْـهـل على كُـلِّ مـاء وعلى كـل دِمْـنَـةٍ آثـارُ

قلت : وكان من خبر هذا البيت الذي رفعت عُمُدُه وشُدَّ بطنب الجوزاء وتَدُهُ ، يَدٌ سلفتْ لعيسى بن مُهنا عند الظاهر بيبَرْس حال تشريده وتطريده ، احتاج فيها إلى فرس يركبه ، فبالغ في إكرامه ، وأركبه خير خَيله . فلما ملك قلّده الإمْرة ورقّاه ، وأنهله ريَّ الأمل وروّاه ، ثم لم [يزل] يزداد سُمُوًّا ، ويترقى عُلُواً حتى مات :

وقُلّد في الأيام المنصورية مهنّا ولده الإمْرة ، وعظم بنفسه وبأبيه ، وعُرف بعلوِّ الهمم ، وبلغ المرجُوَّ من رعاية الذِّمم وعفَّ عن الفواحش إلا اللّمم ، فزاد قدره ارتفاعاً ، وصدره إتّساعاً .

قلت : هذا البيت أوله رجل من طي ، من بني سلسلة بن عنين بن سلامان ، نشأ هذا الرجل في أيام أتابك زنكي وأيام ولده نور الدين الشهيد — كما تقدم — وفَدَ عليه فأكرمه ، وشاد بذكره .

وإلى هذا عنين ينتسب كلُّ عرب عُنين من كان من ولده أو من حلفائه ، أو من استخدمه الأمراء الذين من ولده .

ومهنا جدُّ مهنا هذا أبو أحمد الأمير الآن ، هو الأمير مانع بن حُديثة بن فضل بن ربيعة الطائي الشامي التدمري ، وكان أمير عرب الشام في دولة طغتكين ، صاحب دمشق .

ولم يصرح لأحد من هذا البيت بإمرة على العرب بتقليد من السلطان الا مِنْ أيام العادل أبي بكر ، أخي السلطان صلاح الدين ، أمّر منهم حديثه ، ثم إنّ ابنه الكامل قسم الإمرة نصفين نصفاً لمانع بن حُديثة ، ونصفا لغنام أبي طاهر بن غنام ، ثم إن الإمرة انتقلت إلى أبي بكر بن علي بن حُديثة ، وعَلَا فيها قدره ، وبعد صيته ، فلمَّا كان من البحرية ما كان ساقت تصاريف الدهر الملك الظاهر بيبرس إلى بيوتهم ، وهو طريد مشرّد ، ولم يكن قد بقي معه سوى فرس واحد يُعوِّل عليه ، فسأل عليَّ بن حديثة فرساً

يركبه ، فلم يعطه شيئاً ، وكان ذالك بمحضر من عيسى بن مهنّا ، فأخذه عيسى ، وضمّه إليه وآواه وأكرمه وقراه ، وخيَّره في رِباط خيله ، فاختار منها فرساً ، فأعطاه ذالك الفرس ، وزوّدَه ، وبالغ في الإحسان إليه ، فعرفها له الظاهر ، فلمّا تملّك انتزع الإمرة من أبي بكر بن علي وجعلها لعيسى بن مهنا ، وأتاه أحمد بن طاهر بن غنام ، وسأله أن يشركه معه في الإمرة ، فأرضاه أن يعطيه إمرة ببوقٍ وعَلَم ، وبقي أبو بكر بن علي شريداً طريدا ، تارة بنجد ، وتارة بأطراف الشام إلى أن مات . وأمَّنَهُ الملك الظاهر غير مرة ، وحلف له ، فما وثق به ولا اطمأنَّ .

ثم إنَّ درجة عيسى بن مهنا علت عند الملك الظاهر ، ولم يزل مُعَظماً إلى أن مات .

ثم إنَّ الإمرة صارت لولده الأمير حسام الدين مهنّا بن عيسى في أيام الملك المنصور قلاوون ، وعَلَتْ مكانَتَهُ في أيام المنصور أكثر من مكانة أبيه .

حكي لي شيخنا شهابُ الدين أبو الثنا محمود وقال : حضرتُ طرنطاي المنصوريَّ ، وهو مخيِّمٌ بالخربة ، وقد حضره أحمد بن حجِّي أمير آل مرا ، يدّعي بألف بعير ، أخذتها آلُ فضل لعربه ، ومهنا حاضرٌ ، وكلٌ منهما جالس إلى جانب من طرنطاي ، فألحَّ أحمد بن حجِّي في المطالبة ، واحتدَّ ، وارتفع صوته . ومهنّا ساكت لا يتكلم ، فلما طال تمادي أحمد في الضجيج ، وتمادي مهنّا في السكوت ، أقبل طرنطاي على مُهنّا . وقال : ما تقول يا ملك العرب ؟ فقال : وما أقول ؟ نُعْطيهم ما طلبوا ، هم أولاد عمِّنا ، وإن كانت لهم عندنا هذه البعيّرات أعطيناهم حقهم ، وإن كان مالهم شي فما هو كثير إذا أعطينا بني عمنا من مالنا . فقال له أحمد : إلا قُلْ تكلم ! ! وزاد في هذا ومثله . ومهنا ساكت فلما زاد رفع مهنا رأسه إليه وقال له : يا أحمد إن كان كلامك عليك هيِّن ، فكلامي عليَّ ما هو هيِّن ، وهذه الأباعر أقلُّ من أن يحصل فيها كلام ، وأنا معطيك إيَّاها . ثم قام . فقال طرنطاي : هكذا والله يكون الأمير ! !

ودام مهنّا على هذا حتى مات (٠) الدولة الأشرفية .

ولما خرج الأشرف لفتح قلعة الروم مرَّت العساكر بسرمين ، إقطاع مهنّا ، فأكلت زروعها وأَتَتْ أهلها فشكوا إلى مهنَّا أذيَّة العساكر ، فشكى إلى الاشرف ، فعزَّ عليه ،

واستنقصَ همَّته . وقال : كم جهدنا أو حتى تواجهني بالشكوى ، وما كان يعتقد هذا الفعل لهذا الجيش العظيم ، الخارج لأجل إذلال العدوّ ، وقصّ جناح الكفر . واسمعه من هذا ومثله .

ثم لما كان الفتح ركب الأشرف في الفرات في خواصه ، ومعه جلساؤه من بني مهدي ، وكانوا يُضحكونه ، فجاء مهنا بن عيسى . فأمر بمدّ (الإسقالة) له ليدخل ، فلما دخل عليها غمز عليه فحركت (الإسقالة) فوقع في الماء ، وتلوَّث بالطين ، فهربت بنو مهدي ، وضحك الأشرف ومن حوله ، وطوى مهنا جوانحه على أَلَمِهَا . ثم إنه استأذن في الإنصراف إلى بيوته فأذن له وقال : إلى لعنة الله ! ! فأسرّها مهنَّا في نفسه ولم يُبدِها ، وركب من وقته وتوجَّه إلى أهله ، وأقام عندهم على حذر ، ثم عاد الأشرف ونزل بحماة ، بعث إليه مهنا بالخيل والجمال فقبلها ، وخلع على رسوله ، وبعث إليه خلعة سنية ، ليطمنه ، ثم يكبسه . فلما جاءت لبسها إظهاراً للطاعة ، وارتحل لوقته ضارباً في وجه البرّ ، فلم يتمّ للأشرف ما أراده منه . وعاد إلى مصر ، وفي نفسه من إمساك مهنا وبنيه وإخوته . وظنَّ مهنا أن لا حقد عنده . فلم يلبث الأشرف أن خرج إلى الكرك ، وخرج إلى دمشق ، وخرج منها على أنه لصيد كباش الجبل ، ثم إنَّ مُهنَّا عمل له ضيافة عظيمة فحضرها الأشرف وأكل منها . ولما فرغ ذالك أمسك مهنا ومعه جماعة ، وجهزهم إلى مصر ، وحبسهم في القلعة ، وضيّق عليهم إلا في الراتب لهم ، وكان مهنَّا في الحبس لا يأكل إلا بعد المدة ، وإذا أكل ، أكل ما يقيم رَمَقَه ، ويصلي الصبح ، ويدير وجهه للحائط ، ويصمت ولا يكلم أحداً حتى تطلع الشمس ، ثم يقوم بعجلة وسرعة ويأخذ كفاً من حصا وتراب كان هناك ، ثم يزجر ، ويرمي به إلى الحائط ، كالأسد الصائل ، فلما خرج الأشرف إلى الصيد ترك ذالك الفعل . فقيل له في ذالك فقال : قضي الأمر ، ولم يُرَ مُنبسطاً إلا في ذالك الحين .

قال : وحدثني مظفر الدين موسى ولد مهنا قال : لما كُنَّا بالاعتقال كان عمي محمد بن عيسى مُغرًى بدخول المرتفق ، والتطويل فيه ، وكان المرتفق قريباً لدور حريم السلطان ، ولبعض الأمراء . فقلت له في ذالك . فقال : يا ولد مهنَّا لعلي أسمع خبراً من النسوان ، فانَّهنَّ يتحدَّثن بما لا يتحدث به الرجال . فبينا نحن ذات يوم وإذا بمحمد قد

خرج ، وقال : بشراكم ، قد سمعت صائحة النساء تقول : واسلطاناه !! فقلتُ له : دَعْنَا مِمَّا تقول ، فقال : ما أقول لكم حَقٌّ . وكان لنا صاحب من العرب ، تنكّر ، وأقام بمصر ، فكان يَقِفُ قبالة مَرْمَى البُرج ، ويومي إلينا ، ونومي إليه ، غير أنه لا يسمعنا ولا نسمعه . فلما كنّا تلك الساعة ، ومحمد يحدِّثنا ، وإذا بصاحبنا قد جاء وأومأ ، ثم مدّ يده إلى التراب . وصنع فيه هيئة قبر ، ونصب عليه عوداً عليه خرقة ، صفراء ، كأنها سنجق السلطان ، ثم نكسها وقعد كأنه يبكي ، ثم وقف قائماً ورقص ، فتأكد الأمر عندنا بموت الأشرف ، فلما فتح لنا من الغد سألنا الفتّاح والسجانينَ ، فأنكرونا ، ثم اعترف لنا بعضهم ، فكان ذالك أعظم سرور دخل على قلوبنا .

ولما أخرجوا من السجن شكو احتياجهم إلى النساء . فأطلق لهم جماعة من الأشرفيَّات ، ولم يكن مرادهم بذالك الا التشني ، وأُعيد الجماعة إلى أهلهم إلَّا مهنا ، فإنَّ أُخرَ مُدَّة ، ثم جهِّز ، فلما خرج إلى دمشق لحقه البريد إلى ثنية العقاب ، بأن يعودَ ، فامتنع ، وتوجه إلى أهله ، وكانوا قد ندموا على إطلاقه ، ثم إنه قدم مصر بعد ذالك مرَّات ، وهو كالطائر الحذر ، الذي نصب له الشرك في كل مكانٍ . وآخر مدة قدمها في آخر الدولة الناصرية الأخيرة ، سنة عشر وسبع مئة . وكان برلغي مملوك مهنا . وهو الذي قدّمه ، فلما وجده قد أمسك ، تَحَدَّث فيه مع السلطان ، وقال : هذا مملوك قدمته ليُعطى إقطاعاً في الحلقة ، فأعطيتموه فوق حقّه ، حتى صار ملكاً من الملوك ، وأنا أريد أن تأخذ ماله كله ومماليكهُ ، وتعطيني هو برقبته ليكون عندي إلى أن يموت . فوعد بذالك . ثم إنَّ برلغي مات في ذالك الوقت . فقيل له : قد مات ، فعزَّ ذالك عليه عدم قبول شفاعته مع ما كان يمُتُّ به من سوابق الخدم .

ولما كان السلطان في الكرك . فخرج مهنا . وقد طار خوفاً ورُعباً ، ولما اجتمع بقراسنقر ، وكانت بينهما صداقة قديمة مؤكّدة وكلٌّ منهما مستوحش . مجدد الأيمان والعهود على المظافرة ، وأن لا يُسلم أحدٌ منهما صاحبه ، فلما توجّه قراسنقر إلى حلب زاره مهنا ، فخلا به مهنا ، فأراه قراسنقر كتاباً من السلطان ، فيه إعمال الحيلة على إمساك مهنَّا ، فقال له مهنَّا : ما أنتَ صانع ؟ فقال : أنا أطيعه فيك ، وأجاهره وهو يجعلني ذاته وولده ، فمن يحميني منه إذا قصدني ؟ قال له مهنا : تجي إلينا فتحالفا على ذلك ،

ثم إنَّ مهنّا وفي لقراسنقر . لما توجه إليه ، على ما هو معروف في موضعه ، حتَّى إنَّ زوجة مهنا عايشة بنت عسّاف بالغت في خدمة قراسنقر ، وكانت تقول لمهنا : يا مهنا ذكر الدهر لا تدعه . وكذالك محمد بن عيسى بن علي ، إلافضل بن عيسى ، أخو مهنا ، فما كان رأيه إلا التقرب بإمساك قراسنقر ، والجماعة إلى السلطان .

وكانت عائشة تقول : تعْساً لأمٍّ ولدت الفضل بعد مهنا وعيسى .

وكتب مهنا إلى السلطان يستعطفه ويقول : هاؤلاء مماليكك ، ومماليك أبيك وكبار بنيكم ، وقد هربوا من الموت ، وسألوا أنْ تكفَّ عنهم ، وتكون البيرة لقراسنقر ، والرحبة للأفرم ، والصلت للزركاش ، واذا حضر مُهِمٌّ جامع للإسلام حضروا إليه ، وجاهدوا بين يديك . فأجابهم بإطابة القلب ، وأنه قد جعل الصبيبة لقراسنقر ، وعجلون للأفرم ، والصلت لزركاش أوامر به كما كان ، فما أطمأنوا لذالك . وزادهم نفوراً ، فجهزهم إلى خَرْبَنْدَا ، (١٠) وقال له : متى حميت هاؤلاء كنت أنا في طاعتك معهم . وأخفر الركب العراقي وسيرهم مع ابنه سليمان ، وبعث معهم من جهته إلى خربندا ومن حوله خيولاً مسومّة ، فقوبلوا بالاكرام والرعاية ، وخلع على سليمان ، وأطلق له أموالاً جمةً ، وجهزت لمهنا خلعٌ وإنعامات ، ومرافع بالبصرة له ولأهله ، ومعه الحلة والكوفة وسائر البلاد الفراتية ، واشتدّت الوحشة بينه وبين السلطان الملك الناصر وتأكدتْ ، فأعطي الإمرة لأخيه فضل ، وتظاهر مهنّا بالمنافرة والمباينة والوحشة ، وحضر إلى عند خَرْبندا ، فأكرمه غاية الإكرام ، وأجلَّهُ نهاية الإجلال ، وقرر أمر الركب العراقي ، وأعطي عصاه خفارة لهم وتأميناً وصاع (؟) الزمان . وامتدت الأيام والليالي في المراوغة من مهنا ، وهو يعدُ السلطان أن يحضر إليه ، ويمنيه ويسوفُ به من وقتٍ إلى وقت ، والبريد يروح ويجي ، والرسُل تردد ، وجهَّز إليه أرسلان الدوادر ، والطنبغا الحاجب ، الذي عمل نيابة حلب ، والشيخ صدر الدين بن الوكيل ، ولا ألـوي ، ولا عـاج .

ثم كان أولاده وإخوته يتناوبون الحضور إلى السلطان ، وهو بنعم عليهم بمئين ألوف ، والاقطاعات العظيمة والأملاك ، وهم يَمنُّونه حضوره ، ويعِدُونه بقدومه ، ومهنا لا يزداد الإ حذراً ، والسلطانُ لا يزداد إلّا طمعاً في حضوره . وإذا حضرت

للمسلمين نصيحة أو مصلحة ، كان مهنّا ينبّه عليها ويشير بها ، وكان السلطان يقبَلُ نصحه ، ويعرف ديانته .

ثم لما كان سنة أربع وثلاثين توجّه مهنّا بنفسه إلى السلطان ، ودخل إلى مصر ، فأكرمه غاية الإكرام ، وأنعم عليه إنعامات كثيرة إلى الغاية ، وعاد منها راجعاً إلى بلاده ، ولم يزل بها إلى أن توفي بقرب سلميّة ، وأقاموا عليه المأتَمَ ، ولبسوا السواد ، وعاش نيّفاً وثمانين سنة ، وكان وقوراً متواضعاً لا يحتفل بملبس .

تتميمٌ :

وهاؤلاء آل عيسى في وقتنا ملوك البرّ ما بعد واقترب ، وساداتُ الناس ولا تصلح إلا عليهم العرب ، وقد ضربوا على الأرض نطاقاً ، وتفرقوا في فجاجها حجازاً وشاماً وعراقاً ، أنّى نزلوا خلتَ الأرضَ قدْ رمتْ أفلاذها ، أو السماء قد مَرتْ رذاذها ، ترتجُّ بخيولها صخيلاً ، وتحتجّ بسوفها على الرقاب صليلاً ، بجمع قنابل ، ولمع مناصل ، وتنبت قنا ، وتنبتُ فتنا . وقد نصبوا بمدرجة الطريق خيامهم ، وأوقروا في علم الاسماع أعلامهم أن الكرم أعلامهم وتقارعوا على قرى الضيفان ، وسارعوا إلى تقريب الجفان ، قد داروا على البلاد أسْوارا حصينة ، وسوّاراً على معصم كل نهْر ، وعقد في كل جيد كل مدينة ، وأحاطوا بالبرّ من جميع أقطاره ، وحالوا بين الطير المحلّق وبين مطاره ، وحفظوه من كل جهاته ، وحرسوه من سائر مواضعه وآفاته ، وصانوه من كل طارق يتطرّق ، وسارق يتسلّل أو يتسرّق ، فلا تبصر إلا مرسى خيام ، ومَسْرى هيام ، ومورد كرام ، وموقد ضرام ، ومقعد همام ، ومعقد ذمام ، ومجال غمام ، وآجال رزق أو حمام ، ومعهد أيادٍ جسام ، ومشهد يوم يرعف به أنفُ قناةٍ أو حُسام ، وتكبير وتكثير صلات ومكاد مفرع ، وأمان من يجزع ، وملجأ خائف ، وملحم حائف ، وسجايا ملكية ، وعطايا برمكيّة ، ومواهب طائيّة ، ومذاهب حاتميّة ، وبوادر ربعيّة ، ونوادر مرعيّة ، وصوارم تحسّس يديها الرقاب ، ومكارم يتبجس على آثارها السحاب ، لا يُطرق لهم غاب ، ولا يطرف لهم بذل رغاب ، ولا يطرح لهم بيت مظيف ، ولا يطيح إلا إليهم تابع مشتي ومصيف ، لا يخلو ناديهم عن سيّد مسود ، وكريم مقدم ، وشجاع

بطل ، وجواد كريم ، وحليم وقور ، ووافد أمل ، وقاصد يتأمل ، وصارخ ملهوف ، وهارب مستجير ، لا تنفك لهم ناراً قِرَى وقراع ، ومنارا منى ومناع ، تسرح عدد الرمل لهم إبلٌ وشاء ، ومدد البحر ما يريد المريد منهم وما يشاء ، تُظِلُّ منهم على بيوت قد بنيت على الرُّبا ، وبلغت السحاب وعقدت عليها الحبا ، قد اتخذت من الشعر الأسود ، وبطنت بالديباج والحرير والوشي المرقوم ، وفرشت بالمفارش الرومية ، والقطائف الكرخية ، ونضدت بها الوسائد ، وقامت خولها الولائد ، وشُدَّت بوتد السماء أطنابها وأعدّت لطوالع النجوم قبابُها ، وأرخيت سجفها وشرعت أبوابها إلى الهواء ، واستصرخت واستُغيثَ بها لدفع اللأْوَاء ، ورفعت عمدها ووضعت حجلاتها . وقرر في الأرض وتدها وطلعت البدور في أكلتها ، ورتعت الظباء في مشارق أهلتها ، وحولهم خيول تحمي حجبها . وترى إزاء البيوت سحبها ، وتعرف بين العرب الأتراب عربها ، وتعرض في الشهب الحسان نخبها ، من كرائم الخيل المخبورة ، وعظائم السيل معنى وصورة ، قد تماثلت ألواناً ، وتقابلت في مناسب الخيل إخوانا ، وتنوعت شياتها فبرزت بستانا ، وشرعت أعوجيتها السوابق ، تقصر مَدَى لاحق ، وتقدمت قدامه ميدانا ، وتفرعت في أصول العرب في ربيعة ومُضَر ، وتبرعت بما لا يلزمُها ، فنها ما انتظر ما خلفه ، ومنها ما فات النظر ، وتقدمت وأمْهلت وراءها الرياح ، وأقدمت وأنهلت ظمأها مورد الصباح ، ومرّ كلُّ طرفٍ منها وطرف البرق حائر ، ومَدَّ وجواء المحرة ما فيها طريق لسائر ، وجفت والطير في وكناتها لم تبرح ، ووفت والوحوش في مكان بياتها لم تبرح ، نمت كأنها كثبان ، وهمت كأنها عقبان ، قد صلدتْ حوافرها كأنها قَعْبُ حالب ، وصلدت مشاعرها كأنها وجه عاتب ، واتسع منخرها كأنه وجارُ ثعالب ، وارتفع مؤخرها كأنه رَبْوَةُ مُراقب ، وطال عرفها كأنه انتظار غائب ، ومالت نواصيها كأنها عقود ترائب ، ودقّ منخرها كأنه طرف قاضب ، ورقّ أديمها كأنه حديث حبائب ، واتسع ذيلها كأنه ذيل راهب ، وتلبد مغرزها كأنه إقعاء أرانب ، وقصر عجم ذنبها كأنه نقا ذاهب ، ونهد موضع لببها كأنه نهدُ كاعب ، ونبا صدرها كأنّه نهضة واثب ، وأَلّلَت آذانها كأنها أقلام كاتب ، ولانت شعرتها كأنها عليها لون سليط ذايب ، ولانت عريكتها كأنها للتأديب لعبة لاعب ، ونظرت نظر حاذر ، وتلفتت التفات ربائب ، وأشبهت الوحش والطير فطوراً تحلق وطوراً تواثب ، وقد برزت شهباً ودُهماً ،

وحُمراً وشقراً وصفراً وخضراً ، وما بين هذه الاالوان ، وما بين ، صنواناً وغير صنوان ، قد رتعت كالظبا ، ورفعت كالخبا ، وطلعت كالكواكب ، وتطلعت كالرقائب ، وجالت أمام بيوت الحيِّ تهز ندوة عطفه ، وخطوة فارسه المعلم في موقف صفّه ، فكم ترى من سابق وسابقة ، توافقا فلم تر أيهما سليلة سابقين تناجلاها ، ولا بأيهما تعقد الطبية الأدماء طلاها ، ولا أيهما بلغ السماء واغتصب النجوم حلاها ، ولا أيهما الموصوف في كرائم الخيل ، ولا أيهما ابتز رداء النهار وأطاح رداء الليل ، من حصون كالحصون الشوامخ ، يتحصَّنُ على صهواتها ، ويتحصل الظفر ولا تروى فواغر لهواتها ، قد اشتدت مبانيها الوثيقة ، وشيّدت فكانت حصوناً لا حُصُناً كالحقيقة ، ومن حجر كالحجر بل هي أشد من الحجارة ، وأسَدُّ من السهم في مهاجمة الغارة . قد تبرجَت تَبرُّج الحسان ، وتحرجت تحرج الكاعب وبرزت للفرسان ، وأقبلت في ميدانها تتمطر ، وجالتْ وعنانُها لا يريد على أنه يتخطر ، كلاهما محفوظ النسب ، ملحوظ الحسب ، محظوظ البخت لا عن غير سبب ، فمن قرطاسية بيض ذَابَ على أعطانها اللُّجين ، وبقي عليها أثر الفضة وذهب العين ، أقبلت كأنها الكواعب ، واستقبلت كأنها أيام وصل الحبايب ، وكأنها جُلِّلَتْ بالنهار ، أو حولت إلى مطالع الأقمار ، أو خوِّلت مما تلبس الشمس من حلل الأنوار ، جاءت قرطاسية لما قَرْطسَت سهامِهَا ، وقربت مواعيد الظفر أيامها ، ومن دهمٍ لم ترض بالليل ردَّ رِدَئها ، ولا يلمم التشبيه شبيه ظلمائها ، ولا بالأهلة إلا تحت مواطىء حوافرها . ولا بالصباح إلا لما بين وظيفها ومشاعرها ، فأما ما سال أو استدار من القدر الصّبليح ، فإنه مما قرَّ أو تَموَّج بين عينيها من لوامع الأسنة لا من طلائع الصباح .

ومن حمراء أو قد الشفق عليها جمرة ، وبدد الشقيق على كاسها خمرة ، منها معصم بسواد كأنما ذُرَّ المسكُ على وردها أو امسك الليل فحمته عن وقدها .

ومنها كميت يميل براكبه مثل الكميت بشاربها ، ويستطيل باقي طلائه في شفق الصباح على ذاهبها .

ومنها ورد كأنه إيَّاه قد قطف ، أو ريَّاه إذا شبّه بخَدّ غانية أو وصف .

ومنها صامت وأعز منها ما طلع كوكب الصباح بمحلقه ، ومنها ما هاب خوض الدماء فتغطّى سجاف أفقه .

فأما الحجول فنها ما أدار عليه حباها ، ومنها ما قال هذه حليته لنقيصة فأباها ، وبدت تعرف الأنفة في مناخيرها الشم ، وتعرض الجبال إذا أقبلت شوامخها الصم .

ومن شقر قدح الفرق فيها فما أفاد ، وقرّح الذهب عينه حين لبست منه حسداً من حُسّاد ، واصطدمت جياد الخيل فطار منها شرارة من زناد ، واقتحمت حلبة السباق فجاءت سابقة عليها آثار الخلوق ، دون بقية الجياد ، ومنهن رافلة في أعلام الشيات ، ومنها عاطلة من أعلامها هذه قد تحلت بالغرور والحجول ، وتلك جعلتها حلية لأيامها .

ومن صفر هي في العصر الأصايل ، وفي الفجر آخر ما بقي من شعاعه السايل ، شاقت اللهب وهو الطاير الطايل ، وفاقت الذهب وهي الحلية والحايل ، وراقت فهي الشمول ورقّت فهي الشمائل ، وثاقب إليها لمع البرق فحال دونها حايل ، وضاقت بها الحزم فانشقت مُصَبَّغاتُ الغلايل ، وساقت إليها الشمس ، وأوقفتها من خيط سوادها الممتد في الحبايل ، ونوهت بالحبش لما قيل إنها حبشية ، وأفاضت عليهم النايل من فواضل حللها الموشيّة ، وسعد بها هذا الجنس لما نسبت إليه . وحمد لما كان المنسب يصح أن يطلق عليها وعليه ، وفخر كل حَبَشيٍّ بكونها تَعُدُّ منه وهو من أعدادها ، وتطاول حتى موه عليها بالنسبة — وأخذ في وجهه محاسن التخطيط من خط سوادها ، فكأنها نار ترفع في الليلة الظلماء لها لهب ، فتوقدت شعلتها إلا ما اعتلق به الليل من العرف والناصية والذنب .

ومن خضير (؟) ما منها إلا من بيت العرب ، وما فيها إلا ما يهتدي إلا إلى الهرب ، كأنها عليه ظلٌّ دائب ، أو علاها رحيق سحائب ، أو ألق إليها زبرجد ، أو أبقى بها أثر شعاعه مهنّد ، قد أفادتها الحياة نضرتها ، والشفاه من كثرة التقبيل خضرتها ، وبدت ولاهي بيض ولاجُون ، وغدت تنتشي وما قطعت بها عناقيد النواصي ولا عصرت من أعطافها ابنة الزَّرجون .

ومن بلقٍ كرام ما قعدت بها هجنة ، ولا بعدت عن شبهين أخذت من كل منهما

حسنه ، لا كما يقال : إن الطبيعة قصرت في إنضاجها ، ولا أنَّ حسنها كله ذهب في ديباجها ، بلْ كلٌّ منها عَلَمٌ على صاحبه يعرف به إذا ركبه ، ويحلف أنه اقتاد الروض وتوقّل منكبه . منها ما يقابل بين صباح وظلام ، ومنها ما يماثل بين البياض والحمرة خَدَّ غُلام ، فأما الأول فقد طلع منظراً حسناً ، وجمع بين ضِدَّين لما اجتمعا حسنا ، كأنه توليع السحب ، وترصيع السخب ، أو قطع ليل بهي بالشهب ، أو نقع حرب ظهر في وجوه لمعان القُضُب ، في كل منا ما أظلم وما أنار ، وما أطل جانبي الأرض ، ففي وقت واحد ، في هذا ليل ، وفي هذا نهار ، وأما الثاني فكأنه اختلاط ماء وراح ، وختلاف مجاري شفق على صباح ، لا يقاس بها البرق وهو أخضر ، ولا يشبه به إلّا كان هو بالتشبيه بها أفقر ، ولا يبالغ واصفهُ إذا قال : كظهر الحصان الأنبط البطن يكشف الحل واللون أشقر .

ومما سوى ذالك جميعه من ألوان الخيل مما يمزج من أحمر يقق ، وأصفر أصيل ، وأخضر شجر ، وأشهب نهار ، وأدهم ليل ، ومنه كل ديزج دلك بغير وزج ، كأنما لوّن من ماء يتموج ، أوكوِّنَ من سماءٍ بصدار على نساه يُنسج ، واصداء لا بقدر جون الغمام لمعارضته يتصدّى ، وأكهب لاهو كالأحمر ولا كالأشهب .

وهي فتيَّة وما فيها إلّا عتيق ، وكثيرة وما فيها إلا ما هو قليل كالصديق ، وما استنكرها إلا من تحرب ، ولا استكبرها إلّا من جاء بنقعها في وَجْهِ السماء يُتَرَب ، وكأنما عنيتها في قصيدة كنت في وصف الخيل بنيتها ، وهي :

أقبلت في ميدانها تتجارى ... هي والريح في المدى تتبارى
ودعت سابق الغمائم للسبق ، فأضحى بذيلها يتوارى
سابقات ما قصر البرق لما ... أدرك البرق بعدها الآثارا
سابقات ما فاتت الطرف حتى ... حلت الشهب في الظلام حيارى
وأرتنا يوم الرهان أناسيٍّ ... سكارى ، وما هُمُ بسكارى
من جيادٍ منسوبة في بيوتٍ ... ليس ترضى من غيرها الإضمارا
كل حجر كأنها الحجر ... الصلد ، لهذا تفجّر الأنهارا
وحِصَانٍ كأنه شعب رضوًا ... رابط الجأش ، لا يخاف وقارا

نخبة الخيل من خيول كرام ردّدت في اختيارها الاختيارا
وأتتْ بالجياد من كل فجّ واستجادت منها الخيارَ خيارا
علمتها في جريها كلَّ شيء في مجالٍ لِيلموت إلّا الفرارا
مشرفات كأنها روضة الحَزْ نِ ، بل الحزم أينعتْ إزهارا
أبيض جاء مثل يوم وصال قد تعالى ضياؤه ، واستنارا
مُتلعاً جيدَه إلى ذات حسن مثله قد بدت نهاراً جهارا
لا يباري الشهباء شيءٌ سواها ليس مثل الشهباء مما يُبَارى
وكذا أخضرٌ هو الآسُ غصنا أشبه المُرْد سالفاً وعِذارا
وأتانا ما بين لونيه يحكي مُذْ تَبَدَّى إساءةً واعتذارا
معه من شرواه خضراء تجري حيث يجري زُمُرُّداً منهارا
وأغرٌّ كأنه الليلُ إلا ما بدا بين مقلتيه نهارا
أدهم رَقَّ جِلدُهُ فخشينا منه مارقٌ في الدجا أسحارا
وشبيه يحسه بنت دهما سهماً لا يخاف الفقارا
وكميت لو قابل في الكاس شربنا مما كساها العقارا
ثم ورد يطيب منه شميم قد قطعنا من غصنه أنوارا
بهما من لونيها كل عذرا ء عليها يَبْدُو حياء العذارى
وكذا أشقر كريم مفدّا جاء كالبرق يستطير شرارا
ثم شقراء كم تولّع صبٌّ بهواها ومات يشكو النارا
وكذا اصفر تراه أصيلا سار نجمٌ منه ، وسال نضارا
ثم صفراء ما تشرّب طرفٌ خَمْرَهَا الحلّ ثم خاف الخُمَارا
ثم وافى عقيبها الأبلق الفر د . يضم الظلام والأقمارا
معه مثله من البلق لاثتْ فوق ثوب الدجا عليها الإزارا
فهي تحكي بيضاء مظلومة الجسم ، فبعض دَجا وبعضٌ أنارا
وكذا أبلقٌ بأحمرَ قانٍ فكَّ عمدا عن جيبه الازرارا
ثم بلقاء أقبلت تخجل الخدّ بياضاً من لونها واحمرارا
تتهادى في مشيها كعروس أفرعوا فوقها الحبوب نثارا

ما كفاهم أن نقطوه إلى أن   نقطوا كل درهم دينارا
ثم في الخيل ديزج مـا   ج بحراً أو سماء وصارما بتّارا
ثم حجرٌ تلزّه فرأينا   جدولاً منه صادف التيّارا
ثم من سائر الجياد كرام   أرسل الركض نوءها مدرارا
وتذكر مع السوابق أصدا   ء مثلما تصدأُ السيوف مرارا
ثم صدياء لا يُضاهي غمام   مكفهر من سيلها الأمطارا
بعدها أكهب ، يُحَيّرُ لوناً   لا شقيق حكى ، ولا نوّارا
لا ولكن يحكيها في امتزاج   قد تَرَدّى لذا وهذا شعارا
ثم ينلوه في المحاسن حَجْرٌ   مثله ، لا يميل عنه ازورارا
صافنات زادت على الحدّ حسناً   في مداها ، وزانت الأخبارا
وأتت في أفعالها وجَلاها   بصفات تعجب النظارا
ملكت حكم مالكيها الأماني   وحوت للذي حواها الفخارا
سُبّقٌ تجعل الأنام جميعاً   من رعاياه ، والبسيطة دارا

فأما هاؤلاء العرب إذا ركبوا للهياج ، أو وثبوا إلى معاركة الفجاج ، سدّت الأفق قتاماً ، والطرف إبلاً كراما ، قد تقلدوا سيوفاً تغرق الارواح في لججها ، وتقصر مناظراتُ الرقاب لحججها ، وكأنما طبعت فيها حمر المنايا ، أو أطبقت عليها سود الرزايا ، ترصعت بالنجوم وانتعلت بالهلال ، وتقطعت من الغيوم وضربت مرهفات النصال ، لا يخشي ورق حديدها الأخضر ، ولا يُجتَلَى وجد فرندها الصقيل ولا ينظر ، قيل لها صوارم لأنها صرمت الأعمار ، وقواضب لأنها تقضب الأجل وتعجل الدمار ، ومشرفيات لأنها أشرقتْ على الرؤوس ، ومهندات لأنها ترى رأي الهند في إحراق النفوس ، ومناصل لأنها تتنصل لا مما جنتْ ، وقواطع لأنها تقطع بالأمر أساءت أو أحسنت ، كأنما تأكلت فيها النار ، أو تشكلت فيها الأنهار ، ما على ضجيعها أين مات ، ولا قريعها عار لعدم الثبات ، ولا يمل حاملها الحازر ، إن كثرت لديه النحاير ، أو كثرت عليه من جثث الأعداء الجراير ، كأنما رصعت زرق اليواقيت ، أو علت قُرى نمل أو قرى رمل لها فيها آثار مخافيت .

وقد اعتقلوا من عوالي الرماح كل رُدَيْنِيّة سمراء ، ما ماسَ مثلها قَدٌّ ، ولا مالَ أهْيَفُ ، ولعب مثلها (دَسْت بَنْد) عواسلُ قُضُبُها المُرّان ، عوامل شهبها تعمل في أطرافها النيران ، تطاولت لنقب دُرِّ الكواكب ، أو لشعب سدّ السحائب ، ثُمَّ رأت أنه لا تروى بغير الدماء حوائمُ أسِنَّتِها العطاش ، ولا يقوم بكفايتها إلا ورود الوريد ، لا من المطر الرشاش ، فرمتْ على لبّات الرجال عنقها وبلّت صداها ونقعت علَلَها ، وما رَويتْ من دماء أعدائها ما دارت دوائرها على عدو إلّا وخاف أن يصعد على أسوارها أو يتسوَّر ، ولا صبحت مصاعها ذا عنُقٍ إلا تطاير بها وتشاءم بكعبها المُدَوَّر .

ورأيت من الرجال في تلك البيد صقوراً تحمي صقورا تحمي محارمها وسيولاً تَطُمُّ فجاجها ، ليوثا ضراغم ، وعقاباً كواسر ، وأبطالاً لا تعبأ بمن لاقتْ ، ورجالاً لا تسأل أين نزلتْ ، تدخل على عرين قوم بلاده ، وتحمي أرضه ، وتردّدونه ماءه ، وتمنعه شربه ، وتردّ عليه قوله ، وتصدُّ عنه قومه ، وتأخذ ماله إذا شاءتْ غصْبا ، وتقتسمه اقتساماً لا نَهْباً لا تحرس في ليل ، ولا تجتمع في نهار ، كفتْهَا المهابةُ أن تَخاف ، والمنعة أن تتوقّى ، فإذا سارتْ قلتَ الشهب سارت ، والسحب سالت ، والجبال مادتْ ، والرمال مالتْ ، تركب النجُبَ وتجنُبُ الجياد ، فتختال الأرض في حَلْبَة السماء ببدور أخفاف المطيّ ، وأهِلَّةِ حوافر الخيل ، ونجوم أسنة الخرصان ، تُوَطَّأُ لهم الرواحل ، وتطوى بهم المراحل ، وتبدو ركائبهم كأنها قلل جبال ، أو حلل نزال ، يتسع مجال الرياح بين فروجها ، وترتفع طوال الرماح فوق بروجها ، تمتدُّ أعناقها طلباً لقرب المنزل ، وتجد أسواقها إلى أرض وتصبح بمعزل ، كأنها التمام الخلق بنيان ، لا يقرُّ بعينها الزئبق المتدحرج ، ولا في بيتها سيرها المتجلج ، ينثني راكبها كأنه شارب ثمل ، ولا يستقر كأنه باق عجل ، ركب من الابل السحاب وهو محتفل ، ووثبَ وكأنه لتمايُلها يتخبط تخبُّط الظبي في أشراك محتبل ، من امتطاها وركبها أضرم نشاطه ، ومن استبطأها وضربها ظلمها وظلم بالضرب لها سياطه ، والأكوار ترآى عليها كأنّها أهلة على غمام ، والمجرَّة البطان ، والجوزاء الزمام ، وأمامهم الظعائن ، تجري بها في الآلِ السفائن ، وقد شَدَّ كل هَوْدج على كور راحلته الثرياء ، وسعد بسُعْدَى وطاب برَيًّا ، فسايرتها نظائر الأحداق وعادت ولم تخدع ، وعاجت وما وقف لها سائق الركب ولا عاجت ربَّة الهودج ، فما

فازت إلا من بعيد بنظرة ، ولا فاءت إلا وبين الجوانح حسرة ، وتعرض لها فلم تفعل ولم تخرج ، وتعرف بها فما زاد على أن فقد قلبه وعاد وهو مُحْرَج ، حتى إذا نزلوا بليل ، ونزحوا غدير النهار وجاء الظلام بسيل ، أوقدوا ناراً يُشَبُّ بالمَنْدَل الرطب وقودُها ، ويسند بعنان السماء عمودها ، رقص بها الليل في قميص أُرجُوان ، وتنقص ظلامه بأدنى ضوء ها وهو وانٍ ، فشعشعت كالسُّلاَف ، وتورعت إلا عمًّا هو إرث الآباء والأسلاف ، نار ترمي بكل شرارة كطراف ، ضرمته تشب بالعراق ، وضوؤها يعشي بابل ، ولسان يهتدي الضيفان بها لا بصوت النابح ، ويرتدي بشعاع دماء للغزي من كل بازل كوماء وطِرْف سابح .

(للبحث صلة)

الحواشي :

(١) أنظر «صبح الأعشى» ج ٤ ص (٤١١) و«نهاية الأرب» .

(٢) في «المخطوطة» خزيمة ، والتصحيح من «صبح الأعشى» و«نهاية الأرب» .

(٣) في (ب) : وبنو نمير بن قيس .

(٤) في (ب) : وبنو وهران بجبل عوف .

(٥) في (صبح) : النترات .

(٦) برد ورواف قرب تيماء ـــ أنظر عنها كتاب (شمال المملكة» من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» وبنو عقبة هاؤلاء ضعفوا ولم يبق سوى بطون قليلة قرب ساحل البحر شمال ظبا ، حول المويلح ومقنا .

(٧) كذا (الحريدا) بدون نقط .

(٨) غضية) و(عقبة) و(غصيبة) وفي الأصل (غصة) بدون إعجام .

(٩) كذا ولعل الصواب (في زمن الدولة الأشرفية) .

(١٠) (خَرْبندا) ورد هذا الاسم مصحفاً في كثير من المؤلفات إلى (خدابندا) كما في «صبح الأعشى» واسم (خربندا) معناه (عبد الحمار) وكان من عادة التّتار عند ولادة المولود التفاؤل بأول حيوان يرونه عند ولادته ، فكان (الحمار) واسمه (خَرّ) ومن هنا كان اسم خربندا) ملك التتار ، على ما أوضح ذالك ابن بطوطة في رحلته .

ما اتّفق لفظه وافترق مسمّاه

من أسماء الأمكنة

للإمام محمد بن موسى الحازمي
(٥٤٨ / ٥٨٤ هـ)

— ١١ —

١٧٥ — باب جُدَيْدٍ ، وَجذيْذٍ[١]

أَمَّا الأَوَّلُ بِضَمِّ الجيم ، وفَتْح الدَّال المهملة ، ثم ياءٌ ساكنة تحتها نقطتان ، وآخِرُهُ دَالٌ أخرى — : خُطَّةُ بني جُدَيْدٍ بِالْبَصْرة في الْجَانِبِ الرَّبَعِيِّ مِنْهَا .

وبنو جُدَيْدٍ مِنَ الْيَمَنِ[٢] .

وأَمَّا الثَّاني — بفتح الجيْمِ ، وَذَالَيْنِ مُعْجَمَتَيْنِ الأُوْلَى مِنْهُمَا مَكْسُورَةٌ : — مَوْضِعٌ قُرْبَ مَكَّةَ[٣] .

١٧٦ — بابُ جَدُوْدٍ وجَرُوْدٍ[٤]

أما الأَوَّلُ بِفَتْحِ الْجِيْمِ ، وبِدَالَيْنِ مُهْمَلَتَيْنِ : مَوْضِعٌ في دِيَارِ بَنِي تَمِيْمٍ قَرِيْبٌ من حَزْنِ بَنِي يَرْبُوعٍ بْنِ حَنْظَلَةَ على طَرِيْقِ الْيَمَامَةِ ، فِيْهِ مَاءٌ يُسَمَّى الكُلَابَ ، كَانَتْ بِهِ وقعة وقَالَ الْفَرَزْدَق :

أَتَنْسَى بَنُو سَعْدٍ جَدُوْدَ الَّتِي بِهَا خَذَلْتُمْ بَنِي سَعْدٍ عَلَى شَرِّ مَخْذَلِ[٥]

وأَمَّا الثَّاني — أَوَّلُهُ جِيْمٌ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ رَاءٌ مَضْمُومَةٌ ، وآخره دَالٌ : — نَاحِيَةٌ بالشَّام[٦]

الحـواشي :

(١) في كتاب نصر : (بابُ جَدِيْدٍ وجُدَيِّد والْجِذِيْذ) .
(٢) لم يَزِدِ الحازميُّ على ما في كتاب نَصْرٍ في تَعْريف جُدَيِّدٍ . وكذا ياقوت في «معجم البلدان» إلّا أن كلمة (الرَّبَعي) عنده : (رَبِيعَة) وقال : جُدَيد :— تصغير جُدٍّ —
(٣) عرَّف نَصْرٌ جَذِيْذَ (الْجَذِيذ) وما أورده الحازمي هو نَصُّ كلام نصْرٍ . ولم يخرج ياقوتُ عن قولها : جَذِيذ — كأنه فعيلٌ من الجذِّ وهو القطع بمعنى مفعول :— موضع قرب مكة .

أما جَدِيد — الوارد في كتاب نصر فقد عرَّفه بقوله : بفتح الجيم :— جبل من جبال أجا ، وجبل أيضاً في ديار الأزْد وقيل بالحاء انتهى . وفي «معجم البلدان» : الجديد — ضِدُّ العتيق :— اسم نهر أحدثه مروان بن أبي حفصة الشاعر باليمامة ، وكان قد سُمِّي قديماً ربي . وجَديد أيضاً : جبل من جبال أجإ ، وجديد أيضاً : جبل في ديار الأزد . انتهى . ولستُ على يقين من صحة كلمة (ربي) فلم يذكر ياقوت الاسم في موضعه من «المعجم» ولم يزد صاحب «تاج العروس» على أن الجديد نهر أحدثه مروان بن أبي الجنوب — فهو عند ليس مروان الأول ، وابن أبي الجنوب هو ابن مروان بن أبي حفصة — وانظر عن آل حفصة مجلة «العرب» في سنتها الأولى .

(٤) عند نصر : (باب جَرُود . وجُدُود ، والْخُدُود) .
(٥) عند نصر : (على سَمْتِ الْيَمَامَةِ) و : (كانت به وَقْعَةٌ مرَّتَيْنِ) .

وقال ياقوت : جدود — بالفتح — والجدود في اللغة : النعجة التي قلَّ لبَنُها من غير بأسٍ ، ولا يقال للعنزِ ، وهو اسم موضع في أرض بني تميم ، قريبٌ من حَزْن بني يربوع ، على سمتِ اليمامةِ ، فيه الماء الذي يقال له الكلاب ، وكانتْ فيه وقعتان مشهورتان عظيمتان ، من أعرف أيام العرب ، وكان اليوم الأول منها غَلَبَ عليه يومُ جَدود ، وكان لتغلب على بكر بن وائل — إلى أن قال —: وقال الحفصي جَدُودُ : هُوَّةٌ في الأرضِ تدعى الغبطة . ثم أورد شعراً للفرزدق — وذكر البكري أنَّ جدود ماءٌ في ديار بني سعد من تميم .

يتَّضح من كلام المتقدمين على جدود : أنه يقع شرق الجزيرة ، على مقربة من العراق حيث بلاد بكر وتغلب ، بعد حَزْن بني يربوع ، والقول بأنه هُوَّةٌ في الأرض تُدْعى الغبطة ، يفهم منه أنه في المكان الذي كان يعرف باسم الغَبِيْط ، وأراى الغبيط ما يعرف الآن باسم البَطْنِ ، الأرض المنخفضة الواسعة الواقعة بين الحزن والحجرة .

والقول بأنه (كانتْ فيه وقعتان) يؤخذ عليه أن وقعة الكلاب المشهورة حدثتْ في عالية نجْدٍ ، بقرب مُجَيِّرات وحُذُنَّة ، حيث يقع وادي الكلاب المنحدر من جبل ثهلان .

وإذَن : وقعتَا الكلاب المشهورتان حدثتا في جدود الواقع في شرق الجزيرة يعارضه أن الوقعة المشهورة حدثَتْ في الوادي الواقع في عالية نجد ، وقول أحد المعاصرين — وهو الشيخ سعد بن جُنيدل ، في كتاب «عالية نجد» ص ٧٦٥ —: عن وادي الكلاب : (ويفهم مما ذكره المؤرخون أنه هو وادي الشعراء ، وأنه هو الوادي الذي وقع فيه اليومان المشهوران من أيام العرب الحربية ، يوم الكلاب الأول ، ويوم الكلاب الثاني) ثم كرر هذا القول — ص ٧٦٩ : بعد أن أورد عن «الأغاني» خبر يوم الكلاب الثاني — قال : وفي هذا الخبر ما يثبت أنَّ وادي الكلاب الذي وقع فيه اليومان المشهوران من أيام العرب هو الكلاب الواقع بين ظهري ثَهْلان ، وهو وادي الشعراء) . قول الشيخ سعد لا يتفق مع ما ذكره المتقدمون من أنَّ يوم الكلاب الأول وقع في جدود ، قريب من حَزْن بني يربوع ، بين بكرٍ وتغلب ، فبلاد القبيلتين — بعد انتقالها من نجد — في حدود

مقدمة كتاب :

جمهرة

أنساب بعض الأسر المتحضرة في نجد

[هذا الكتاب : هو القسم الثاني مما جمعته عن الأنساب ، فقد تَقَدَّمَهُ كتاب «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» عن أنساب القبائل التي لم تتحضَّر جَمِيعُ فروعها .

وهذا عن أنساب الفروع المتحضرة في نَجْد خاصَّة ، إذِ الْفُرُوع الْحَضَرِية في جميع أنحاء المملكة من الكثرة بحيث يحتاج إلى سَعَةٍ من العلم ، وطول مُدَّة في البحث ، وجهد عددٍ من الباحثين ، ممَّا هو فوق طاقة الفرد ، مهما بَلَغَتْ .

وسيعقب هذا القسمَ دراسةٌ عامَّةٌ عن أنساب بعض القبائل الحديثة ، والأُسَر ، لمحاولة إرجاع بعضها إلى أصول القبائل الأولى ، ولإثبات أنساب أُسَرٍ قد تُعتبر مجهولة النسب . أو لبيان أصول أنساب بعض الأُسر المغمورة .

وقد تكون هذه الدراسة أَهَمَّ من سابقتيها .

وقد يكون الإقدام عليها مما يَتَهَيَّبُهُ الباحث ، ومن يَنْوي فقد يُهَيِّءُ فَتْح هذا الباب من وسائل التوجيه من مُلاحظات بعض القراء ما قَدْ يُوَضِّحُ من معالم الطريق ما يمكن من السَّيْر فيه على هُدًى وبصيرة لمن أراد ذالك .

وها هي مقدمة كتاب «جمهرة أنساب بعض الأسر المتحضرة»] .

الحمدلله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

وبعد : فهذا هو القسم الثاني مما جمعته عَنْ أنساب سكان هذه المملكة الكريمة ، رأيتُ نشْرَهُ ـــ بعد نشر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» الذي خصَّصْتَهُ للقبائل

العراق ، وحزن بني يربوع شرق الجزيرة ، مما يلي العراق .

(٦) قول الحازمي ونصر في تعريف جرود متَّفقان . وأوضح ياقوت الموضع فيا نقل عن كتاب «تاريخ دمشق» لابن عساكر بما مُلخَّصه : جرود : من إقليم معلولا ، من أعمال غوطة دمشق .

وعرَّفَ نصْرٌ الخُدُوْدَ ـــ بضم الخاء المعجمة ودَالَيْنِ : صُقْعٌ نَجْدِيٌّ قُرْبَ الطائفِ قال : وأَظُنُّهُ الخُدَد ، وقيل : خِداد انتهى . وعَدَّ ياقوت الخُدُودَ : من مخاليف الطائف . وخَدَد ـــ بفتح الخاء وضمها يطلق على مواضع في اليمن وفي بلاد بني سُلَيم ، وفي هَجَر (الأحساء) عَيْنُ خُدَد ، وتعرف الآن باسم الخدود .

وخِدَادُ ـــ بالكسر أو الفتح ـــ موضع ورد في شعر أبي دُواد :

تَرْقَى ويَرْفَعها السَّرابُ كأنَّها ... مِنْ عُمِّ مَوْثِبَ ، أوْضِنَائِكِ خِدَادِ

وقال البكريُّ في «معجم ما استعجم» عن مَوْثِب : ـــ موضع كثير النَّخل ، أحسبه باليمامة ، وحدَّد الهجري مَوْثِبَ بأنه جِزْعٌ من يَبْرِين ، وهو الجِزْعُ الذي يلي الفَلَجَ ـــ أي هو في أعلى يبرين ، وكانت يبرين قديماً عامرة بالنخل ، ولهذا مثَّل أبو داود الرواحل بنخلها ، وبنخل خداد ، الذي ليس من المستبعد أن يكون (خدد) عين هجر المعروفة الكثيرة النخل .

التي لم تتحضَّرْ كُلُّ فروعها ، ولم أذكر فيه أحداً من القبائل التي تحضَّرتْ كلُّها كقبيلة بني تميم ، وفروع قبيلة طيِّء كالفضول وبني لأم .

وسِرْتُ في هذا الكتاب على الطريقة التي سِرْتُ عليها في القسم الأول ، فلم أتعرَّض لذكر ما قد يُثِيرُ التَّسَاؤُلَ ، أو يُؤَثِّر في بعض النفوس .

واتَّخَذْتُ قاعِدَةَ (الناسُ مأْمونُونَ عَلَى أَنْسَابهم) أساساً ، فتلقَّيْتُ كثيراً مما فيه عن أفواه مَنْ ذكرتُهُمْ ، ورجَعْتُ إلى ما استطعتُ الرجُوعَ إليه من المؤلفات التاريخيَّة ، والمذكَّراتِ الخاصَّة ، فَلَخَّصْتُ منها كلَّ ما يَتَعَلَّقُ بالمَوْضُوع ، وذكرتها في آخرِ الكتابِ ، فأنا في عملي لا أَعْدُو الجمعَ والترتيبَ ، فَلَا تثْرِيبَ عَلَيَّ إذا ما وقع في هذا العمل قُصُوْرٌ أو خطأ ، يحسنُ بمن أدركه البحثُ عن مصدرِهِ أوَّلاً .

وهنا جانِبَان مهمَّان في الموضوع :

الأَوَّل : أنِّي عَنَيْتُ بالأسر المتَحَضِّرةِ من كانَتْ مستوطنةً في الحَضَر قَبْلَ القرنِ الرابع عشر الْهِجْرِيِّ ، إذْ في الثُّلثِ منه حَدَثَتْ مَوْجَةُ التَّحَضُّر العَظِيمة بتَوجيه الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، حيث أمرَ بإنشاء الهُجَرِ للبادية ، فشمل التَّحَضُّرُ جميعَ قبائل المملكة ، وأصبح من الْعَسِير الإحَاطَةُ بكل الأُسَرِ المتحضِّرَةِ ، منذ ذلك العهد .

ثم لما أنعم الله على هذه البلاد بنعم الرخاء والثروة والأمن أصبح الاستقرارُ شاملاً ، وعمَّ التحَضُّرُ .

الأَمْرُ الثاني : أنِّي خصَّصْتُ هَذَا القِسْمَ من الكتَابِ للأُسَر التي لا تَزَالُ تَحْفظُ أنسابها ، ولَيْس معنى هذا أنَّ مَنْ لم أذكره من الأسر لا أنسَاب لها .

إنَّني أعْتَقِدُ جازماً أن كُلَّ أسرة نجدية ، كانَتْ تقيمُ في هذه البلادِ قَبْلَ أن يَتِمَّ الاتِّصالُ بالعَالَمِ الخارجيِّ بعد منتصَفِ القرن الرابع عشَر الهجريِّ ، كُلُّ أسرة ذاتُ أصْلٍ عربيٍّ صحيحٍ ، إمَّا بصلة نَسَبٍ أو بحِلْفٍ أو وَلَاء ، وكل هذه الأُمُور تُبْنَى عَلَيْهَا صِحَّةُ النسَبِ منْذُ أقدم العصور ، ولكنَّ كثيراً من تلك الأُسَر جهلت أصولَهَا لأسْبَاب كثيرة :

منها النِّسْيان والجهلُ ، مَتى ما أوغَلَ المرْءُ في التَحَضُّر ، وارتبط بالأرض ، وانعَزَل عن القبيلة التي تقوم حياتُها على الْعَصَبِيَّة التي تستلزم حفظ النَّسَب ، لتتخذ من القرابة وَسيلةً لحمايتها وبقائها .

ومنْها : الخَوْفُ ممَّا قد يجرُّهُ الانتسابُ إلى قبيلةٍ ما من الضَّرَر ، كأنْ يجني أحَدُ أفرادها جنايةً ، أو يَرْتكب جريمة ، فيأتي إلى إحْدَى القرَى ليعيشَ فيها مختفياً ، فلا يُخْبر بنسبهِ ، فيجهل أصلُه حتى بين ذُرِّيَّتِهِ .

ومنها الفَقْرُ الذي يُلجِيءُ المَرْءَ إلى كثير من الأمُور المَذْمُومة ، فقد يَدْفَعُ الإنسانَ إلى مُمَارسَة مهْنَة يَتَرَفَّع عنها ذَوُو النَّسبِ فيَضْطَرُّ إلى إخْفَاء نَسَبِهِ ، أوْ تَضْطَرُّهُ الحَاجَةُ إلى مُصَاهرةِ مَنْ هُوَ أَقَلُّ منْهُ حَسَباً ، فيُخفي أصْلَهُ ، خَوفاً من أنْ يُلامَ ، أوْ يُؤْذَى من القبيلة التي هو منها .

ومنها الهِجْرَةُ إلى خارج الجزيرة لسبب من الأسْباب فيَضْطَرُّ المرءُ للانْدِماجِ في المُجْتمعِ الذي انْتَقَلَ إليه .

إلى غير ذلك من الأسْباب التي دَفَعَتْ بكثير من الأُسَر القَديمة في هذه البلاد إلى نِسْيَان أصولها ، وهو نِسْيَانٌ يَنْبغي أن لا يكون ذا أثَرٍ في حَيَاتِنَا الاجْتمَاعيَّة ، وهذا ما أشَرْتُ إليه فيما كَتَبْتُ حول الأنساب(١) .

وهذا الموضوع أفْرَدْتُهُ بدراسة خاصَّة ، اثْبَتُّ فيها عَرَاقَةَ أُصُولِ كثير من الأُسَر التي تَجْهَلُ أُصُولَهَا ، ولم أرَ ذِكْرَها في هذا القِسْمِ مِنَ الكتاب ، لَا خَشية أن أتَلَقَّى مِنَ اللَّوم والتقرِيْع مثْلَ مَا تَلَقَّيْتُهُ حِيْنَ ذَكَرْتُ مَا أعرفُ مِنْ نَسَب بَعْضِ القَبَائل المَجهولة النَّسب ، بَيْنَنَا ، مِمَّنْ يَتَّخِذَ من الجهلِ عِلْماً ! ! ومَا كان الجَهْلُ — في يَوْمٍ من الأيَّامِ — وسِيْلَةً لإدْرَاك شيءٍ منَ الحقائق . ولن يكون الخوف ممَّنْ يَتَّصِفُ به حائلاً بيني وبَيْنَ نَشر تلك الدِّرَاسَةِ بَعْدَ تكامُلِهَا ، فَهِي تُوضِّحُ جوانِبَ من حياتنا الاجتماعيَّة ، جَدِيْرَة بالدِّراسة التي تُزِيلُ بَعْضَ الفوارِق التي لا يقِرُّها ديننا الحنيف ، ولا أخْلاقُنَا العربية الكريمة .

---

(١) أنظر «العرب» س ١٥ ص ١٧١ وص ٤٨٣ .

ولَسْتُ – فيما تَقَدَّمَ من القَوْل – أُنكِرُ وجُودَ أُسَرٍ تَنْمَى إلى عَنَاصِرَ غَيْرِ عَرَبِيَّة ، مِمَّنْ هَاجَرَ إلى هذه البلادِ في عُصُورٍ متقدِّمة ، أوْ مِمَّنْ جرَى عَلَيْهِ الرِّقُّ فَصَارَ في عِدَادِ المَوَالِي ، إلى منتصف القَرْن الماضِي ، حَيْث أُبطل الاسْتِرقاقُ ، ولكن تلك الأُسَر انْصَهَرَتْ في المُجتمع العَرَبِي فأصبحَتْ عَرَبِيَّةَ اللُّغَة والخُلُقِ والْوطن ، فأصبح لها من الحقوق ما لغيرها من سُكَّان هذا الوطن الكريم .

وكذا الْمَولى ، فالْعَرَبُ منذ أقدَمِ الْعُصُور يَعُدُّونَ (مَوْلَى الْقَومِ منهُمْ) .

ولهذا تزوج زيد بن حارثة – مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم – زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ ، وهي عَرَبِيَّةٌ من قبيلة بني أَسَد ، صَلِيبَةٌ ، وزيد ، وإن كان منْ قبيلة كَلْبٍ إلَّا أنَّهُ اشْتُرِيَ رضي الله عنه – مِنْ سوقِ حُبَاشَةَ لخديجة – أمِّ المؤمنين – رضي الله عنها – فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فَأَعْتَقَهُ .

وزوَّجَ أحد سادة العرب المشهورين زوّج ابنته مَرْوان بن أبي حَفْصَةَ ، وأبُو حفصةَ مِنَ موالي عُثْمَانَ ، وكان مروانُ مَجْهُولَ النَّسَب .

وَهَذا أمْرٌ لا أُرِيدُ التوسُّعَ فِيه ولكنني أرَدْتُ الإشَارَةَ إلَى أنَّ الْعَرَبَ ينظرون إلَى الْمولى نظرة تُغَايرُ نَظْرَتَنَا الآنَ .

ولقدْ حَاوَلْتُ أن أُقَدِّمَ في هذا الكتاب ما اسْتَطَعْتُ جَمْعَهُ ممَّا عَرَفْتُ مِنَ الأُسَر المحافظة على أصولها القديمة ، وعَمَّنْ عَرَفْتُ ، إذْ هُنَاك أُسَر كثيرة لم أذْكُرْها لأنني لَمْ أجدْ بَيْنَ يَدَيَّ من المصادر والمراجع ما أرْجِعُ إليه بشأنِها ، فأنا والحالة هذه غير مَلُومٍ .

وهذا ما دفعني إلى أن أختار لهذا الكتاب اسْماً قد يكون مطابقاً هو «جمهرة أنسَاب الأُسَرِ المتحضرة في نَجْد» إذ جمهور كُلِّ شيءٍ مُعظَمُهُ ، ولَيْسَ كُلَّهُ .

ولمْ أقِفْ عِنْدَ ذكْرِ النَّسب وحْدَهُ ، بل أضَفْتُ بَعْضَ ما وجَدتُّهُ منْ أخْبَارٍ تَتَعَلَّقُ بالأسْرَةِ ، وقدْ يكون في بعض ما ذكرت ما لا يحسن ذكْرُهُ إلَّا أن الاعتبار بالتاريخ ، ومَعْرِفَةَ جَوَانبَ مِنَ الماضي من الأمور التي تحمل الْمَرْء على إدراكِ مَا هو فيه من نعمة واستِقرار وأمْنٍ ، فيَرْعَى هذه النعم ، حقَّ رعَايتِها .

ولم أَتَوسَّعْ في هذا الجانب ، إذ التَّوسُّعُ فيه يُخْرِجُه عن موضوعه إلى مؤلف في حوادث التَّاريخ .

كما لَمْ أذكر من ذلك ما يتعلقُ بالأُسْرَة السعودية الكريمة التي بها أنْقَذَ هذه البلاد في أول نَشْأَتِها من حياة الجهل والبُؤْس والشقاء ، ثم أنْعم بِها على هذه الأمة في عهد استقرار حُكْمِها ، فأزَالَ بها بواعث الفُرْقَةِ والاختلاف ، ووحَّدَ بها الكلمة ، ثم أفَاضَ الله عليها بيُمْنِها وعَدْلِها مَن ضروب الخير وصنوف النعم ما أصْبَحَتْ تُغْبَطُ بـه بين أمَمِ العالم .

إذْ تاريْخُ هذه الدَّوْحَةِ الراسخة الأصول ، السامقة الفروع هو تاريخ كل أقطار هذه المملكة ، وقد أُلِّفتْ فيه المؤلفات الكثيرة .

وقد حرصت على إيراد من عرفت من المشائخ والأمراء عند ذكر الأسر التي ينتسبون إليها ، للاستعانة بسرد أنسابهم لمعرفة فروع تلك الأسرة ، باستثناء أسرة الأمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـــ قدس الله روحه ـــ فقد ألف الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف ابن عبدالله آل الشيخ عنها مؤلفاً شامِلاً لتراجم عُلَماء تلك الأسرة وكذلك الأُسْرَةُ الرَّشيديَّةُ الكريمة ، اكْتُفِيْتُ بما أُلِّفَ عنها ككتاب « القول السديد » وغيره .

وقَدْ حَاوَلْتُ أن أذْكُرَ الموطنَ الأول للأُسْرَة التي أتَحَدَّثُ عنها بأن أقول : (في بلدة كذا) وهذا لا يعني بقاء تلك الأسرة في تلك البلدة ، بل المقصودُ أنَّها كَانتْ أوَّلَ ما عرفت فيها ، ثم أذكر أسماء القرى التي انتقلت إليها ، وقد يكون منها ما هو خارج المملكة .

وقد أذْكُرُ بَعْضَ الأُسَرِ التي ارْتَحَلَتْ عن نجد ، إلى الأحْساء ، أو الكويت ، أو الزبير ، إذْ هجرة الأُسَرِ النَّجْدِيَّة إلى تلك البلاد لم تَقِفْ إلا بعد أن أنْعَمَ الله على هذه البلاد بنعمة الاستقرار والأمن ، في عهد الإمام عبد العزيز آل سعود ـــ رحمه الله تعالى ـــ

ثم لما أفاض الله على هذه البلاد نِعْمَة الثراء ، بعد نعمة الأمْن والاستقرار عادتْ

مع القــراء في أسئلتهم وتعـليقاتهم

الضلفعــة

... اطلعت في جُزء محرم ، صفر ١٤٠١ هـ من مجلة «العرب» على بحث للشيخ محمد العبودي عن (الضّلفعة) وقد قرأت البحث ثم ذهبت إلى الضلفعة فزرتها ، وقد لاحظت أن الشيخ فاته بعض الأشياء وقد أكون مُخطئاً لأنني لست من ذوي الاختصاص في هذا الشأن إنما أحببت التصحيح أو التوضيح ومن هذه الملاحظات :

بعض الأُسر إلى موطنها الأول ، فكان لا بُدَّ من ذكرها ، وذِكْرِ من بقي منها في البلاد التي انتقلت إليها .

إنّني — حين أُقَدّمُ للقراء — هذا الكتاب أدركُ أنني طَرَقْتُ موضُوعاً لَهُ من العُمْقِ في النُّفُوس ما يدفع كثيراً منها إلى التّأثّرِ ، وعدم الارتياح ، و(مَنْ أَلّفَ فَقَدِ استَهْدَفَ) ولكنني في عملي هذا يَنْطَبِقُ عَلَيَّ ما وُصِفَ به السُّيوطي — رحمه الله —: لو قيل لِكُلِّ كَلِمَةٍ في مؤلفاته عُودِي إلى مكانِكِ فَعَادَتْ لم يَبْقَ لهُ شَيْءٌ .

ثُمَّ إنّني — بعملي هذا — بَدأْتُ بأمْرٍ أنّا مُعترفٌ بعجزي عن أدائِهِ كاملاً على خير الوجوه ، ويكفي أنّي مَهّدْتُ السَّبِيل لِمَنْ أراد أن يَسِيرَ فيه .

وأنا — من قَبْلُ ومِنْ بعْدُ — إلى كلمة نَقْد وتَوجيْه وإصْلاح وتصحيح خطإٍ ، أشَدُّ تَطلُّعاً ، وأقْوى رغبَةً من أنْ يُوَجّهَ إليَّ من الثّناء ما لا أستَحِقهُ ومن إطْراء عَمَلي بما لا أرتاحُ إليه ، فقد بَلَغْتُ من نفسي مَنْزِلةً قنِعْتُ فيها بما أنَا فيهِ ، وعَرَفْتُ منْهَا ما لا أحتاج معهُ إلى أنْ أُعرَّفَ بها .

وَمَنْ ذَا الّذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّها ... كَفَى الْمَرْءَ نُبْلاً أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهْ

والحمدلله أوّلاً وآخرا ،

الرياض : غرة شعبان ١٤٠١هـ (٣ حزيران — يونيو ١٩٨١م) .

حمـد الجاسر

١ — قوله عن الضلفعة : إنَّها قرية زراعيّة واقعة إلى الشمال الغربي من مدينة بريدة على بعد ٣٨ كيلاً .

أقول إنها إلى الجنوب الغربي أقرب فيما يبدو لي ، ولعل عبارة (الخواجة) في آخر البحث أصوب .

٢ — المسافة بين الضلفعة وخط الاسفلت قد تكون أكثر من أربعة أكيال وممكن أن تصل إلى سبعة .

٣ — عبارة الهمداني وقوله : فمن عن يسار ضريّة مما يلي الشمال من المناهل والموارد والمراعي ضلفع : هضاب وصحراء ترعاها الابل .

أقول إن هذه العبارة تحتاج إلى توضيح من الشيخ جزاه الله خيراً فهو يعرف ما بين ضرية والضلفعة ، ثم إنَّ هذا الوصف الذي ذكر الهمداني لا ينطبق تماماً على الضلفعة ، ولعله بعد التدقيق في الموضوع يزول عنه اللبس الذي ورد في بيت الراجز من تسمية ضلفع بضلفعان ولعل هذا الأخير غير الأول وهو ما قصده الهمداني .

٤ — قول أحد الأوربيين في آخر البحث أن الضلفعة تبعد عن بريدة ١٦٠ ميلاً . يحتاج إلى تعليق من الشيخ ، حتى لا يتنافى مع ما ذكره من أنَّ المسافة ٣٨ كيلاً .

٥ — وفي النهاية كنتُ أودُّ من الشيخ أن يعطينا نُبذةً عن الضلفعة في الوقْت الحاضر وأن لا يكتفي بزيارته منذ عشر سنوات .

٦ — وكدت أنسى هذه الملاحظة لعدم أهميتها وهي أنه وقع تصحيف لاسم الضلفعة فرسم هكذا أو تبين : (ضفلع) .. وهذا قد يوهم القارىء وان كان من فعل المطبعة .

أقول جزى الله القائمين على مجلة « العرب » خير الجزاء بما يقومون به من خدمة للعلم وسدد على الدرب خطاهم ، وجعل عملهم خالصاً لوجه الكريم .

وإني أعتذر مرة أخرى لإقحامي نفسي في هذا الموضوع .

الرياض — كلية الشريعة　　　　عبدالله بن محمد السويلمي

«العرب» : الشيخ محمد العبودي قَدَّم ما في وسعه أن يقدمه من المعلومات المتعلقة بأي موضع من المواضع التي تحدث عنها في كتابه القريد في موضوعه ، ومَنْ جادَ لك بما يستطيع ، فقد بلغ الغاية في الكرم .

وما على الإخوة من القرّاء الذين يعرفون عن أي موضع — مدينة أو قرية أو وادي أو جبل أو منهل — يعرفون أكثر أو أصح مما يقال عنه في أي جزء من أجزاء «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» الذي صدر منه نحو عشرين مجلداً — ما على هاؤلاء القراء إلّا أن يتفضّلوا بإبداء جميع ملاحظاتهم ، ليتسنى الإطلاع عليها ، والاستفادة مما يستفاد منها . وتدارك الأخطاء في الطبعة الثانية — إن شاء الله .

وللأخ الكاتب الشكر ، والدعاء بالتوفيق .

الجلاعيد من عنزة

... قرأت في كتابكم «شمال المملكة» أحد أقسام «المعجم الجغرافي» قولكم — ص ٦٩٥ — عن سَمِيْرَاء : (وأكثر سكانها من بني تميم ، منهم الشبارمة من الحمران ، والجلاعيد ، وغلط ابنُ دخيلٍ فعدَّها من ديار الأسلم) انتهى . وهذا القول يدل على أنَّ الجلاعيدَ من بني تميم .

والمعروف أنّهم من عَنَزَة ، إلا إذا كان لديكم من الأدلّةِ ما يحقق قولكم ، فالمرجو إيضاحه .

الرياض — سليمان الجلعود

«العرب» : شكراً لك أيُّها الأخ ، فالجلاعيد كما ذكرت أنتَ ، لا كما جاء في ذالك الكتاب .

والمرجو من كل قارىء تقع يده على إحدى نسخه أنْ يصحح ذالك الخطأ .

الشبارمة ليسوا من الحمران

وكذا الخطأ الثاني عن الشبارمة ، فليسوا من الحمران بَلْ من الوهبَةَ — كما هو

□ **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية :**

وصدر من هذا المعجم :

١ ـــ الجزء الثالث من القسم المتعلق بـ(المنطقة الشرقية ـــ البحرين قديماً) تأليف صاحب هذه المجلة ، ويقع في (٤١٠) من الصفحات ، ويحوي من المواد من حرف الصاد إلى نهاية حرف الفاء ، وفيه سبع مصورات جغرافية (خرائط) وقد طبع بمطبعة (نهضة مصر) في القاهرة .

٢ ـــ الجزء السادس من كتاب «بلاد القصيم» تأليف الشيخ محمد العُبُودي ، وفيه آخر مواد هذا القسم (م ـــ ي) الذي تَمَّ بتمامهِ ، كما يضمُّ بيان أسماء المواضع الذي تضمَّنها الكتاب في أقسامه الستة التي تقع في (٢٦٣٢) من الصفحات .

والكتاب من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

وطباعته جيِّدة وقد صدر عام (١٤٠١ هـ) ولم يذكر تاريخ الطبع .

وبصدور الأجزاء المذكورة يكون قد صدر من كتاب «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ١٩ جُزْءاً هي :ـــ

١ ـــ بلاد جازان ـــ تأليف الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي جزء واحد .

معروف ، وكما أوضح ذلك الشيخ إبراهيم بن عيسىَ في آخر تأريخه المختصر الذي نشرته (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) في الكلام على الوُهَبَة .

وجَلَّ المتفرِّد بالكمال ، القائلُ في محكم كتابه : (ولَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غيرِ الله لَوَجَدُوا فيهِ اختلافاً كثيراً) .

٢ ــ بلاد غامد وزهران ــ تأليف الأستاذ علي بن صالح الزهراني جزء واحد .

٣ ــ عالية نَجْد ــ تأليف الأستاذ سعد بن جُنَيْدِل ٣ أجزاء .

٤ ــ بلاد القصيم ــ تأليف الأستاذ محمد العبودي ٦ أجزاء .

٥ ــ شمال المملكة ــ تأليف حمد الجاسر ٣ أجزاء .

٦ ــ المنطقة الشرقية ــ تأليف حمد الجاسر ٣ أجزاء .

٧ ــ معجم اليمامة ــ تأليف الأستاذ عبدالله بن خميس جزءان .

وهذه الأجزاء تشمل تحديد مواضع المناطق الشمالية والوسطى والشرقية في المملكة ، ومواضع في جنوبها ، بحيث لم يبق سوى المنطقة الجنوبية (بلاد عسير) والمنطقة الغربية منطقة مكة المكرمة ، ومنطقة المدينة المنورة .

وقد تَمَّ حَصْرُ المواضع المأهولة في تلك المناطق ، وتسجيلها ، وبقيت الدراسة الميدانية ، لتحقيق المواضع التاريخية ، وتَحْديدها .

□ ــ بلاد الجوف ــ أو دُومة الجندل :

وصدر عن (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) كتاب «بلاد الجوف أو ــ دُوْمة الجَنْدَل» تأليف الأستاذ سعد بن عبدالله بن جُنَيْدل ، وهو يتحدث عن هذا الجزء من بلادنا حديث الباحث المؤرخ ، من جميع النواحي .

ويقع في ٢١٤ صفحة ، ويضم عدداً من الصور والرسوم في طباعة حسنة (المطابع الأهلية) في الرياض ــ سنة ١٤٠١ (١٩٨١م) .

□ فهرس ابن عطية :

وابن عَطِيَّة هو عبد الحق بن عطيَّة المُحاربي الأندلسي (٤٨١ حول سنة ٥٤١هـ) ومن أشهر مؤلفاته كتاب «المحرَّر الوجيز» في تفسير القرآن الكريم الذي وصفه ابن خلدُون في «المقدمة» بقوله : (فلخَّصَ تلك التفاسير ، وتَحَرَّى ما هو أقرب إلى الصِّحَّة

منها من الأخبار الواردة عن أهل الكتاب) .

أما الفِهْرِس فقد قام الأخوان الكريمان الأستاذان محمد أبو الأجفان ومحمد الزّاهي — من علماء تونس — بتحقيقه ونشره وكلمة (الفهرس) يعني بها : (الكتاب الذي يجمع فيه الشيخ شيوخه وأساتذته ، وما يتعلّق بذالك) . فهو يحوي تراجم شيوخ المؤلف وذكر الكتب التي تلقّاها عنهم ، وإيراد أسانيدها إلى مؤلفيها .

وتحقيق الأستاذَيْن الفاضلين لهذا الكتاب يُبْهِجُ الغُيُرَ على التراث الإسلامي ، ويملأ النَّفْس اطمئناناً بأنه لا يزال (في الزَّوايا خبايا) .

وجاء الكتاب — بمقدمته الوافية وفهارسه المفصلة في (١٤٢) صفحة ، مطبوعاً في بيروت سنة ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) وتولى نشره (دار الغرب الإسلامي) .

☐ رسائل ابن كمال باشا :

وابن كمال باشا — أحمد بن سليمان من علماء الأتراك المشهورين ، توفي سنة ٩٤٠ — وقد اشتهر بكثرة تآليفه ورسائله ، ومنها كتاب «رجوع الشيخ إلى صباه» .

وقد عثر الدكتورُ ناصر الرُّشَيِّد رئيس مركز البحث العلمي في (جامعة الملك عبد العزيز) عثر في مكتبة الحرم المكي على مجموعة مخطوطة من رسائله ، فاختار منها خمساً هي :

١ — رسالة في تحقيق معنى (كاد) .
٢ — رسالة في تحقيق التغليب .
٣ — رسالة في التوسُّع .
٤ — رسالة المشاكلة .
٥ — رسالة في رفع ما يتعلق بالضمائر من الأوهام .

وقام الدكتور ناصر بتحقيقها ، وتولّى النشر (النادي الأدبي في الرياض) في كتيب من القطع الصغير ، بلغت صفحاته (١١٢) وصدر عام ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .

الاشتراك السنوي
٤٨ ريالاً للأفراد و ١٠٠ ريال لغير الأفراد
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء : ٨ ريـالات

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل هاتف ٤٠٢٢٩١٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٩ و ١٠ س ١٦ — الربيعان ١٤٠٢ هـ كانون ٢ شباط (يناير / فبراير) ١٩٨٢ م

مَلامح لِلتراث المغربي عن جزيرة العَرب

[دعي صاحب هذه المجلة لحضور اللقاء العلمي الذي أقامته وزارة الشؤون الثقافية في المملكة المغربية في مدينة الرباط فيما بين ٢١ و ٢٥ من شهر المحرم سنة ١٤٠٢ هـ (١٩/٢٣/١١/١٩٨١م) عن (تاريخ الأندلس وآثار أبي مروان بن حيّان).

وقد كانت الأبحاث التي قدمت أو ألقيت ونوقشت شاملة ، بحيث تناولت جوانب عامة من النواحي الثقافية في الأندلس وبلاد المغرب بصفة عامة . وقد شارك بإلقاء هذا البحث عن (ملامح للتراث المغربي عن جزيرة العرب) في صباح يوم الاثنين ١٤٠٢/١/٢٥ هـ .]

الحديث عن علماء المغرب — أندلسِهِ وأقصاه ، ووسطِهِ وأدناه — وعن أثرهم في الثقافة العربية ، أوسعُ من أن يُحَدَّ أو يحصر.

فما الثقافة العربية في معناها الشامل — سوى صَرْحٍ شارك في بنائه كلُّ عالم عربي ، في أيِّ قطر من أقطار المعمورة ، في مختلف العصور .

ولعلماء المغرب من الأثر القوي في تشييد ذلك الصرح ، ما لا يحتاج إلى إيضاح .

وليس يصح في الأذهان شَيْءٌ إذا احتاج النهارُ الى دَلِيلِ

وحسبي أن أُلمح — بإيجاز — الى ملامحَ بارزةٍ من آثار أولئك العلماء في جوانب خاصة من تاريخ الجزيرة وجغرافيتها .

عزلة الجزيرة بعد انتقال قاعدة الخلافة عنها :

انصرف العلماء وغيرهم عن جزيرة العرب منذ أن انتقلت منها الخلافة ، وبانتقال

الخلافة والسلطان والدولة تنتقل الرغبات ، وتتجه الأبصار ، وتتركز الآمال حيث يوجد المُلْكُ والسلطان ، اللذان بهما تتيسر سبل الحياة ، وتحصل الطمأنينة والهدوء في كنفها .

ومع ذلك الانصراف فإنَّ لمكة المكرمة في نفس كل مسلم من المكانة الدينية ما جعلها دائماً مطمح الأنظار ، ففضلاً عن كونها تضم مشاعر الحج ، وتحوي بيت الله المعظم الذي فرض الله على كل مسلم قادر حجَّهُ — فهي ملتقى للمسلمين من مختلف أقطارهم ، وهي بحكم دينهم الحنيف لا يمكن أن ينصرفوا عنها .

مكة أعظم ملتقى فكري إسلامي :

ولهذا فقد أصبحت منذ جاء الإسلام مركزاً للثقافة الإسلامية العربية ، يجتمع فيها من العلماء كلَّ عام ما لا يجتمع في أية مدينة أخرى من مدن العالم الإسلامي .

وكان العلماء منذ العصور الأولى يقصدونها من مختلف الأقطار ، لا ليُؤَدُّوا ركناً من أركان دينهم أداؤه فرضٌ فحسب ، بل ليضيفوا إلى ذلك التزود بزاد العلم والمعرفة . فالعالم يفد إليها من أقصى المشرق أو المغرب ، فيلتقي بكثير من العلماء الوافدين من بلاد بعيدة عن بلاده فيحصل بهذا الالتقاء من التقارب والتفاهم ، والاستزادة من العلم ، والامتداد لروافد الثقافة ، والانتشار للآراء والأفكار بين مختلف الأقطار الإسلامية في كل عام ، ما لا يحصل مثله في أيِّ ملتقى .

تبريز علماء المغرب على غيرهم :

ولقد كان علماء الأندلس رسل فكر ، وحملة علم ، وحُماة ثقافة . فكانوا يفدون على مكة لا للحج وحده ، بل لينشروا العلم ، وليستزيدوا منه ، وليكونوا صلةً بين شرق البلاد وغربها بالعلم والثقافة .

ولهذا فليس من الغريب القول بأنه لولا أولئك العلماء لأصبحنا نجهل كثيراً من أحوال العالم الإسلامي في عهوده الماضية ، وخاصة ما يتعلق بجزيرة العرب ، هذه الجزيرة التي صلتها بعواصم الخلافة الإسلامية في دمشق وبغداد والقاهرة كانت أقوى

وأوثق ، وهي إليها أقرب ، وشؤونها لم تكن يوماً ما مرتبطة إلا بهذه العواصم ، ولم يكن للأندلس ولا للدول الإسلامية فيه أي نفوذ في هذه الجزيرة .

ولكنّ الرابطة الروحية وحدها أقوى وسائل الصلات ، وأوثق أسباب الروابط . أفترى هذه الرابطة القوية لدى علماء المغرب أقوى منها لدى المشارقة ؟!

إذا صحّ الاستدلال بالآثار — وهذا بدَهيٌّ الصحة ، ولا مجال للمجاملة في سبيل تقرير الحقيقة — فإن علماء المغرب بَرَّزوا — على علماء المشرق — بما كتبوه عن الجزيرة في رحلاتهم للحج ، بل بزُّوهم في هذا الميدان . مما سأُلْمِع إلى طرف من الحديث عنه ، مما هو معروف .

ولا يزال الباحثون في ماضي الجزيرة — وسيبقون دائماً — عالة في معرفة كثير من أحوالها على ما لعلماء الأندلس من آثار ، كشف الدارسون عن بعضها في هذا العصر ونشروه ، من مؤلفات أولئك العلماء ، كابن أنس العذريِّ ، وأبي عُبَيْدٍ البكري ، والشريف الإدريسيِّ وغيرهم .

علماء من الجزيرة عرفوا في الأندلس قبل أن يعرفوا في بلادهم :

ولعل أعجب من ذلك وأغرب أن الجزيرة نفسها جهلت من أحوال بعض مشاهير علمائها ما عرفه علماء الأندلس .

وها هي أمثلة عرضت لي أثناء البحث الذي لم أُحاول فيه الاستقصاء من هذه الناحية ، ولا شكَّ أنه قد عرض لغيري ممن هو أوسع اطلاعاً ، وأطولُ باعاً في العلم وسعة البحث ، من ذلك الكثير :

١ — مؤرخ مكة الفاكهي :

في القرن الثالث الهجري تصدّى لتدوين تاريخ مكة عالم جليل من أهلها هو محمد بن اسحاق الفاكهي[١] ، وهو معاصر لمؤرخ مكة الأزرقي ، ولكنه أعلم منه ، وتاريخه أوفى وأشمل ، قال عنه مؤرخ مكة الفاسيُّ الحَسَنيُّ (٨٣٢هـ) في كتابه «العقد الثمين»[٢] في ذكر الكتب التي رجع إليها : (وكتابه في أخبار مكة وما أكثر فوائده) وقال

في ترجمته[٣] : (وكتابه في أخبار مكة كتاب حسن جداً ، لكثرة ما فيه من الفوائد النفيسة ، وفيه غنية عن كتاب الأزرقي ، وكتاب الأزرقي لا يغني عنه ، لأنه ذكر فيه أشياء كثيرة حسنة ، مفيدة جداً ، لم يذكرها الأزرقيُّ ، وأفاد في المعنى الذي ذكره الأزرقي في أشياء كثيرة ، لم يفِدْها الأزرقي — إلى أن قال : وإنّي لأعجبُ من إهمال العلماء لترجمته ، فإنَّ كتابه يدلُّ على أنه من أهل الفضل . فاستحق الذكر . انتهى .

هذا المؤرخ الذي يدل ما وصل إلينا من كتابه على جلالة قدره ، لا نجد له ذكراً فيما بين ايدينا من مؤلفات علماء المشرق ، إلا من زمن ياقوت الحموي في القرن السادس فما بعده ، إن لم يكن بَعْدَ زمن ياقوت ، إذ لا أستبعد أن يكون نقلُ ما نقل عن الفاكهيِّ بالواسطة ، ومن مؤلفات أندلسية ، فهو كثيراً ما يهمل ذكر مصدره ، ويدلُّ على هذا أنه صرَّح في أحد المواضع بنقله عن السهيلي في «شرح السيرة» وذكر الحُمَيْديَّ في موضع آخر .

وهنا ملاحظة جديرة بالانتباه هي أن السُّهيلي في كتابه «الروض الأُنف» يعوِّل في أخبار مكة على كتاب الأزرقي ، ولم أر لما نسب ياقوت إليه ذكراً ، مع تصريحه بأنه نقل عن السهيلي في شرح السيرة في كلامه على (واسط) في «معجم البلدان» بهذا النص : قال السهيليُّ في شرح السيرة : قال الفاكهيُّ : يقال إن أول من شهده وضرب فيه قبةً خالصة مولاة الخيزران . انتهى وهو يعني واسطا الوارد في شعر عَمرو بن الحارث بن مُضاضٍ الجرهمي الذي منه :

كأن لم يكن بين الحُجُون إلى الصفا   أنيس لم يسمر بمكة سامر

وقد أورد ابن هشام في أول السيرة في الكلام على جرهم هذا الشعر .

أما علماء الأندلس فقد عرفوا الكتاب في زمن مبكر ، كما تدل على ذلك النصوص الواردة في بعض مؤلفاتهم ككتاب «معجم ما استعجم» لأبي عبيد البكريِّ (المتوفى ٤٨٧ هـ) ، و«فهرست ابن خير الأشبيلي (٥٧٥ هـ)[٤] وغيرهما .

٢ — أبو علي هارون بن زكريا الهجري[٥] :

وهذا عالم جليل ، يصح بأن يوصف بأنه عالم الجزيرة في عصره ، فقد تصدَّى

لتدوين ما يتعلق بها مما يهم الباحث معرفته ، من مختلف أحوال سكانها ، ووصف مواضعها وحدّدها ، وذكر حيواناتها وطبائعها وأمراضها وطرق علاجها ، وأورد من لهجات سكانها وأشعار شعرائها في العصر الذي عاش فيه بها لم يورده غيره .

ومع جلالة قدر هذا العالم بصنيعه الذي يكاد أن ينفرد به ، فقد كان جَهْلُ علماء المشرق به مُطبِقاً ، لولا ما وصل إليهم من علمه عن طريق علمائه المغرب ، الذين عرفوه حياً ، ونقلوا مؤلفاته الى بلادهم فاستفادوا منها وأفادوا .

في سنة ٢٨٨ قدم مكة عالمان جليلان ، هما ثابت بن حزم ، وابنه قاسم بن ثابت ، من أهل سرقسطة (سراقوسة الآن) وصفهما صاحب «نفح الطيب» بأنهما اعتنيا بجمع اللغة ، وأدخلا الى الأندلس علماً كثيراً ، وقد ألّف قاسم كتاب «الدلائل» في غريب لغة الحديث ، ومات سنة ٣٠٢ هـ قبل إكماله ، فأكمله أبوه ثابت الذي توفي بعده سنة ٣١٣ عن خمس وتسعين سنة .

وفي كتاب «الدلائل» الذي بدىء بتأليفه على رأس القرن الرابع الهجري تبدو لنا أول الشواهد على صلة علماء الأندلس بأبي عليّ الهجري .

ثم كثرت النقول في كتب الأندلسيين اللغوية والجغرافية والتاريخية .

فنَقل اللغوي العظيم علي بن سيده (٤٥٨ هـ) في معجميه «المحكم» و«المخصص» وأبو عبيد البكري (٤٨٧) في «معجم ما استعجم»[٦] وفي «فصل المقال» وجاء بعدهما الرُّشاطيُّ — عبدالله بن علي اللخميُّ (٥٤٢) فألف كتاب «اقتباس الانوار»[٣] في الأنساب فاستفاد كثيراً مما جمعه الهجريُّ .

وبواسطة علماء الأندلس عرف علماء المشرق طرفاً يسيراً من أحوال الهجريِّ ، بحيث لم تَزِدْ ترجمته في مؤلفاتهم «كمعجم الادباء» للحموي و«الوافي بالوفيات» للصفدي و«بغية الوعاة» للسيوطي — لم تزد على القول : هارون بن زكريا الهجريُّ أبو عليٍّ صاحب كتاب «النوادر المفيدة» روى عنه ثابت بن حزم السرقسطيُّ وغيره ، ويضيف ياقوت : ولا أعلم من أمره غير هذا .

أما الصفدي فإضافته : لقيه قاسم بن ثابت بالمغرب ، ولقيه غيرهما بالمشرق ، كذا

قال وقاسم لقي الهجري بمكة كما تقدم ، ولم أر من ذكر أنَّ الهجريَّ رحل إلى المغرب ، ولكن نوادره وتعليقاته عرفت بين علماء تلك البلاد ، فنقلوا عنها ما تَلقَّفه المشارقة عنهم .

وقد يكون من بين المشارقة من عرف شيئاً عن الهجري كعلي بن حمزة البصري (٣٧٥ هـ) صاحب كتاب «التنبيهات» والهمداني اليمني في «صفة جزيرة العرب» حيث نقل أولها عن الهجريِّ مصرحاً ، ونقل الثاني بدون نسبة ما نقل ، مما هو موجود في كتاب الهجري .

ومهما يكن الأمر فإنَّ الهجريَّ برز في مؤلفات الاندلسيين في صورة متميزة السمات ، من حيث الاستفادة من علمه ، والنقل عن كتابه «النوادر والتعليقات» . بينما لا يجد الباحث في مؤلفات علماء المشرق عنه سوى نتفٍ يسيرة باستثناء ما نقله مؤرخ المدينة السمهودي في كتاب «وفاء الوفاء» في الكلام على الاحماء ، وفي تحديد بعض المواضع ، المضافة الى المدينة .

ونقَلْ السمهودي عن كتاب الهجري ، «النوادر والتعليقات» كان في القرن التاسع الهجري أي بعد أن عرف الاندلسيون الهجريَّ بخمسة قرون .

٣ — الحسن بن أحمد الهمداني العالم المعروف :

وهذا العالم لقي في بلده أقسى صنوف الأذى من جرَّاء بعض آرائه ، فلم يُكتَفَ بالتنفير من مؤلفاته التي تحوي تلك الآراء ، بل عُذِّب وسُجن مرارا ، وطيف به مصفَّداً بالأغلال ، وشُرِدَّ ما يقرب من سنتين ، ونسب إليه من التَّطَرُّف في أفكاره ما نَفَّر الأقربين منه ، ولكن هذا كُلُّهُ لم يَحُلْ دون اهتمام علماء الأندلس به ، اهتماماً حملهم على نقل مؤلفاتِهِ الى بلادهم والاستفادة منها في حياته .

لا محل للحديث عن مكانة الهمداني ، فقد عُرِف منذ زمن بمؤلفاته «صفة جزيرة العرب» و«الإكليل» وكتاب «الجوهرتين» وغيرها .

وأقيمت ندوة عامة بمناسبة ذكراه الألفية في صنعاء في الشهر الماضي ، شارك فيها علماء من العرب والمستشرقين ، وقد تناولوا في أبحاثهم جوانب حياة ذلك العالم ، سوى

جانب كان جديراً بأن يثير الانتباه ، وهو أنَّ علماء الأندلس كانوا أبرَّ بذلك العالم ، وأشَدَّ حفاوةً به من علماء المشرق . إذا كان البِرُّ والحَفَاوة يقاسان بمدى الاهتمام بآراء العلماء ، والاستفادة بالنافع منها .

إنَّ أقدَم من كتب عن الهمداني ــ مما هو معروف ــ الحكم المستنصر بالله ، الذي تولى الحكم في الاندلس سنة ٣٥٠ ــ وتوفي سنة ٣٦٦ ــ والحكم ــ رحمه الله ــ كان محبا للعلماء ، مقرباً لهم جماعا للكتب .

وقد نقل صاعد الأندلسي (٤٦٢ هـ) في كتابه «طبقات الأمم» عن خط الحكم طرفا من الترجمة التي أوردها مفصلة للهمدانيّ ، وأتى فيها بأشياء عن هذا العالم ، لا تزال بحاجة إلى الدراسة منها قوله عن العرب : وأما علم الفلسفة فلم يمنحهم الله منه شيئاً ، ولا هيّأ طباعهم للعناية به . ولا أعلمُ أحداً من صميم العرب شُهِر به إلاَّ أبا يوسف يعقوبَ بن إسحاق الكنديّ ، وأبا محمد بن الحسن بن أحمد الهمداني . انتهى .

لقد عُرِفت كتب الهمداني وانتشرت في الأندلس في عهد الحكم المستنصر بالله ، وهو عصر الهمدانيّ نفسه ، في القرن الرابع الهجريّ ، واستفاد منها علماء تلك البلاد ، وأكثروا النقل عنها في مؤلفاتهم ككتاب «معجم ما استعجم» للبكري ، وكتاب «المطرب في أشعار أهل المغرب»[7] لعمر بن الحسن بن دِحْيَة الكَلْبي (٥٤٤/ ٦٣٣) وغيرهما .

أما علماء المشرق ــ على ما علمتُ ــ فلم يعرفوا الهمداني معرفة استفادة إلاَّ بعد أن عرفه الاندلسيون بما يقرب من ثلاثة قرون ، فقد تولى يوسف بن ابراهيم والد القفطي المؤرخ علي بن يوسف المتوفي سنة ٦٤٦ ــ القضاء في اليمن ، فاقتنى من مؤلفات الهمداني ما وصل الى ابنه ، مما ذكره في كتابيه «إنباه الرواة» و«أخبار الحكماء» .

وعن القفطي ــ ومن عاصره من العلماء ــ عرف الهمداني لدى علماء المشرق . أما معرفته في بلاده ــ اليمن في القديم ــ فكانت تحاط بما يُنَفِّرُ من مطالعة كتبه ، وماذا تجدي هذه المعرفة ؟!

مصادر مغربية عن الجزيرة لم تدرس بعد :

رحلات الحج :

المتحدث في هذه الندوة عما ألفه علماء المغرب من كتب الرحلات كمن يُهْدي التمر إلى هَجر ، فعلماء هذه البلاد أدرى من غيرهم بها ، ولعل الأستاذ الجليل الشيخ محمد الفاسي هو ابنُ بَجْدَةَ هذا الأمر ، فقد تصدّى لدراسة تلك الرحلات ، دراسة تعمق واستيعاب ، حتى أصبح من ذوي الاختصاص في هذا الباب .

وحسبي أن أُشير إلى بعض الانطباعات الباقية في ذهني من أثر مطالعة كثير من رحلات علماء المغرب إلى مكة ، فقد جمعت طائفةً منها ، ولخصت ما يتعلق بالجزيرة فيها ، ونشرته في مجلة « العرب » .

ليست رحلتا ابن بطوطة وابن جبير — على جلالة قدرهما — يُمِدّان الباحث بفكرة كاملة عما تحويه غيرهما من رحلات علماء المغرب ، مما يتطلع اليه الدارسون لمختلف أحوال غرب الجزيرة ، من معلومات وافية .

وليس من المبالغة القول بأنّ في رحلات ابن رُشَيْد الفهري والتُّجيبي والعَبْدريّ والعيّاشي والدَّرعِيَّين أَحْمَد بن ناصر ، ومُحَمَّد بن عبد السلام ، ومن بعدهم الى نهاية القرن الثالث عشر الهجري في تلك الرحلات ما يعتبر من أوفى المصادر وأشملها وأوثقها في دراسة كثير من أحوال المدينتين الكريمتين مكة والمدينة ، من ثقافية واجتماعية واقتصادية . وهذا ما لم أر أحداً من الباحثين اتجه له باعتبار تلك الرحلات تُكَوِّنُ وِحْدَةً متكاملة في موضوعها .

أما عَنْ وصف طريق الحج البريّ الساحلي من القاهرة حتى مكة المكرمة وتحديد منازل ذلك الطريق ، وذكر أهلها ، ففي تلك الرحلات من المعلومات ما لا يوجد في غيرها من حيث الاستيفاء ودقة الوصف .

وعلى ذكر رحلات الحج ، تحسن الإشارة الى أنّ من أقدم من كتب في وصف منازل الحجاج من الأندلسيين — فيما أعلم صاحب كتاب « نظام المرجان » ، في مسالك

البلدان ، أحمد بن عمر بن أنس العذري الأندلسي (٣٩٣/ ٤٧٨ هـ)[٨] وكان قد جاور بمكة بضع سنين — من سنة ٤٠٨ الى سنة ٤١٦ .

ومع أن كتاب العذري لم يصل إلينا كاملاً إلاّ أنّ كثيراً من نصوصه وردت في مؤلفات البكريّ والإدريسي والحِمَيري صاحب «الروض المعطار» .

وفي القرن التاسع الهجري اطلع عالم مشرقي هو محمد بن محمد بن العطار[٩] على ذلك الكتاب ، فنقل منه جملاً مفيدة في كتابه «منازل الحج» منها :

١ — وصف الطريق بحرا من جدة الى القلزم .

٢ — ذكر المنازل من بغداد الى مكة .

٣ — ذكر المنازل من مكة الى اليمن .

ومن تلك الجمل ما ورد ذكره في المؤلفات المشار إليها .

* * * * *

وبعد : فما أراني قلت جديداً ، أو تحدثت مفيداً ، في هذه الندوة الكريمة التي ضمت نخبة طيبة من العلماء ، وما طمحت إلى ذلك أو فكرت فيه .

ولكنها كلمةُ وفاءٍ واعتراف بفضل ، وتعبير عن صدق التقدير لهاؤلاء الأحباب ، من علماء هذه الرحاب الكريمة ، ممن أفضلوا بالدعوة للالتقاء بهم ، لِتَنَسُّم إثارة عِلم تلقوها عن سلفهم الصالح ، فحفظوها وصانوها ، بل نَمَّوها وزادوها ، ثم أكرموا إخوانهم — وفيهم من هو الى الاستفادة والاستزادة أحوج — فأوجدوا من جمعهم في هذه الندوة من الأسباب ما يقوي أواصر الأخُوَّة ، ويُحْكم روابط المحبَّة . فلهم الفضلُ أولاً وآخراً :

على حد قول الإمام الشافعي :

قالوا : يزورك أحمد وتزوره	قلت : الفَضَائل لا تفارق مَنْزله
إنْ زُرْتُه فلفضله ، أو زارني	فبفضله ، فالفضل في الحالين له

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الرياض   حمد الجاسر

الحـواشي : ←

من وحي ندوة ابن حيّان

[وممن شارك في اللقاء العلمي الذي أقامته وزارة الثقافة عن مؤرخ الأندلس ابن حيّان — الأستاذ الدكتور عبدالله الغُنيم ، عميد (كلية الآداب في جامعة الكويت) .
وقد ألقى هذه الكلمة القيّمة حول ما قُدِّم أو ألقي أو نوقش من آراء وأفكار ذات صلة بالموضوع] .

من وحي الندوة :

أتقدَّمُ بالشكر الجزيل للمغرب الشقيق ، ولوزارة الثقافة على هذا اللقاء الطيب ، الذي جمعنا حول أبي مروان ابن حيَّان والذي كان كما تبيّن لنا من الجلسات السابقة — مناظرة علمية ممتازة ، جلّت جوانب مختلفة من حياته ، ومنهجه وأسلوب كتابته والفوائد المتحصلة والمرتجاة من النصوص التي وصلت إلينا منه .

---

(١) أنظر عنه مجلة «العرب» السنة الثامنة من ص ٨٠١ إلى ص ٨٠٣ .
(٢) ٩/١ .
(٣) ج ١ ص ٤١٠
(٤) ٢٧٩
(٥) أنظر عنه كتاب «أبو علي الهجري» وأبحاثه في تحديد المواضع» تأليف حمد الجاسر — منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) سنة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .
(٦) صرح البكري بالنقل عن الهجري في مواضع ولكنه نقل من كتابه فصلاً طويلاً عن (حمى ضرية) نسبهُ للسكوني ، ولا شك أن السكوني هذا نقل كلام الهجري بنصه ، كما نجده في كتاب «وفاء الوفاء» كاملاً منسوباً إلى الهجري .
(٧) من هذا الكتاب قطعتان إحداهما في (مكتبة الأزهر) في القاهرة والأخرى في (خزانة الكتب العامة) في تونس .
(٨) أنظر عن الهمداني ما كتبه حمد الجاسر عنه في مقدمة كتاب «وصفة جزيرة العرب» من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) سنة ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م .
(٩) أنظر الورقة الـ ٤٩ من مخطوطة المتحف البريطاني ، والكتاب مطبوع .
(١٠) أنظر مجلة «العرب» السنة الثانية عشرة صفحة ٣٢٣ وما بعدها .
(١١) عن الاختلاف في تاريخ وفاة ابن العطار أنظر «العرب» أيضاً س ١٢ ص ٣٣٦ .

وأرجو أن تسمحوا لي بثلاث ملاحظات في هذا الموضوع ، أفدتها من قراءة نصوص ابن حيّان ..

الملاحظة الأولى :

شاع بين الباحثين أن أبا عُبَيْد البكريّ قد ولد عام ٤٣٢ هجرية ، ذكر ذلك جاينجوس وبالنثيا ، ونقله عدد من الكتاب العرب . وينقضُ هذا القول وصفُ ابن حيان لأبي عُبَيد البكري عند قدومه مع والده الى قرطبة عام ٤٤٣ هجرية بأنه فتىً بذَّ الأقران جمالاً وبهاءً وسروراً وأدباً .

ولا يعقل أن يشهد ابن حيّان مثل هذه الشهادة لغلام لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره .

والفتى في لغة العَرب هو الكامل الجزل من الرجال ، وعلى ذلك فإن سنَّه حينذاك بين العشرين والثلاثين ، ومولده ما بين سنتَي ٤١٣ هـ و٤٢٣ هـ .

وقد توقَّف دوزي عند هذا الموضوع وتَرَّه الدكتور حسين مؤنس في كتابه «تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس» وأضاف الى ذلك قوله : (ثم إنَّ الآراء متَّفقة على أنَّ أبا عُبيد البكريّ توفي سنة ٤٨٧ هـ عن سنٍّ عالية ، فإذا كان قد ولد سنة ٤٣٢ هـ فقد كانت سنُّهُ يوم توفي ٥٥ سنة على هذا الحساب ، وهي ليست بالسِّن العالية .

ثم أورد الدكتور مؤنس نصَّ ابن خاقان عن البكريِّ الذي يقول في ترجمته له : (رأيته وأنا غلام ما أقر هلالي ولا نبعَ في الذكاء كوثري ولا زُلالي في مجلس ابن منظور في هيئةٍ كأنما كُسِيَتْ بالبهاء والنور ، وله سبَلَةٌ كأنَّها يُروق العَين إيماضُها ، ويفوق السَّواد بياضها ، وقد بلغ سنَّ ابن محلَّم أي أنَّ أبا عُبَيْد كان في الثمانين حينما كان ابنُ خاقان غلاماً .

ولم يحاول الدكتور مؤنس أن يذهب الى أكثر من ذلك في تحديد زمن ولادة البكري ووفاته . وأنا اذ اتفق فيما يتعلق بزمن ولادته أختلف معه في قوله : (إنَّ الآراء مجمعة على أنَّ أبا عُبَيد البكريَّ توفي سنة ٤٨٧ هـ) فالضَّبيُّ صاحب بغية الملتمس يقول غير ذلك . ويؤكده نصُّ ابنُ خاقان الذي أشار إليه مؤنس دون أن يستخدمه استخداماً كاملاً ..

فالمعروف أن ابن خاقان من مواليد عام ٤٨٠ هـ ، فلو فرضنا أنه التقى بالبكريّ حين كان عمره عشر سنوات لكانت السنة التي رآه فيها هي سنة ٤٩٠ هـ وسنّ البكري حينذاك ثمانون سنة . وهذا يخالف ما ذهب إليه أغلب الباحثين بأن البكريّ قد توفي عام ٤٨٧ هـ ، ومعتمدهم في ذلك ابن بشكوال وابن الأبّار .

والذي أرجّحه ما تفرد بذكره الضّبيّ في « بغية الملتمس » أنّ البكري قد توفي عام ٤٩٦ هـ . وإذا سلمنا بذلك يمكن القول أنّ ولادته كانت سنة ٤١٠ هـ على وجه التقريب .

الملاحظة الثانية :

يقول الدكتور محمود مكيّ في كلامه عن تلاميذ أبي حيّان في مقدمة كتاب « المقتبس » (يبدو أنّ البكريّ لازم ابن حيّان خلال إقامته في قرطبة ، بل لعلّ شيخه أبا مروان هو الذي وجّهه إلى الاشتغال بعلم الجغرافيا الذي كان وثيق الارتباط بكتابة التاريخ .

وأرى أنّ هذا القول لا مُبرّر له .. فالمعروف أنّ ابن حيان ليس جغرافياً ، كما سيأتي في الملاحظة الثالثة ـــ وأنّ البكري قد استفاد في مجال الجغرافيا من أبي العباس أحمد بن عمر العذري ، الذي التقى به في (ألمرية) وأجاز له ، وفي (المرية) ربما استفاد من جغرافيّ معاصر آخر ، هو أبو بكر أحمد بن سعيد بن أبي الفيّاض (٣٧٩ ـــ ٤٥٩ هـ) الذي ذكر عبد الواحد المراكشيّ أنّ له كتاباً يدخل في باب المسالك والممالك .

والصلة بين العُذريّ والبكريّ واضحة ، في النصوص التي رواها البكريّ عن العُذريّ في كتاب « المسالك » ، وفي المنهج العام لكتابيهما ، كما يظهر في الأسلوب الذي لم يتأثر إطلاقاً بأسلوب ابن حيّان .

ومن هنا لا نريد أن يدفعنا الحماس لشخصية علمية ما ، بأن نَنسِبَ إليها ما ليس لها ، كما فعل الأستاذ الدكتور مكي ، في دراسته القيّمة عن ابن حيان .

الملاحظة الثالثة :

يقول الدكتور حسين مؤنس في كتابه « تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس » :

«إنّ من العسير أن نفصل بين المؤرخ والجغرافي والأديب في تاريخ الفكر الإسلامي . ولو تناولنا كتاباً أدبياً صِرفاً كـ «البيان والتبيين» للجاحظ ودرسناه دراسة تدقيق ، لاستخرجنا منه من المعلومات التاريخية الصِّرفة والملاحظات الجغرافية الخالصة ما يَضَعُ أبا عثمان بن بَحْرٍ في صفوف المؤرخين والجغرافيين» .

.. هذه قضيَّة روّجها من قبل المستعرب الروسي أغناطيوس كراتشكوفسكي ، في كتابه «تاريخ الأدب الجغرافي العربي» ، وزادها الدكتور بسطة في الشكل والتأكيد ، حتى وضع ابن حيان في عِداد الجغرافيين ، لأنه تكلم في ثنايا تأريخه عن جَسْر قرطبة ومساجدها ودورها وحماماتها ؛ فحمل ذلك الدكتور مكي على الظَّنِّ بأنَّ ابن حيَّان هو الذي وَجَّهَ البكريَّ الى الاشتغال بعلم الجغرافيا .

وهذه القضية توجب علينا التَّوقُّف والتَّأنّي قبل إصدار هذا الحكم ، فنحنُ لا نستطيع أن نُقيِّمَ أيَّة علاقةٍ بين الجغرافيا وأي علم آخر عند الاصطخري وابن حوقل ، والمقدسي والإدريسي وابن سعيد المغربي ، وأبي الفداء صاحب حماة وغيرهم ، فميدان علم البلدان واضح ومُميَّز منذ القرن الثالث الهجري .

وإذا ما وجدنا كتاباً يحتوي على معلومات جغرافية وتأريخية ، مثل كتاب «المالك والمسالك» للبكري ، فينبغي أن يكون حكمنا في هذا هو بناء الكتاب ، فالمعلومات التاريخية في كتاب البكري تأتي عَرَضاً ، وإذا ما انتزعنا تلك المعلومات يظلُّ بناء الكتاب متكاملاً غير مُختلٍّ .. وينصرف هذا الحكم أيضاً على كتاب «نظام المرجان» للعذري .

هذه مجرد ملاحظات عابرة من وحي هذا اللقاء المثمر حول تاريخ الأندلس وحياة وآثار أبي مروان ابن حيان ، راجياً ان تنال هذه الملاحظات عناية المهتمين بتاريخ الأندلس وآثاره الأدبية والفكرية .

دكتور عبدالله الغنيم

(الدكاترة) : وَالعَبَثُ بِالتُّراث !!

— ٣ —

٢٤٤ — ص ٢٢٨ — :

تَغَبَّشَتهُ الدَّيَّانَ في عَام لَزْبَةٍ تَخَبْخَبُ فيها بُدْنُهُ وحَقَائِبُهْ

يعني السَّيف ، مثل خَتَلْتُهُ .

حَرَّف أخونا الكلمة الأولى فجعلها (تَعَيَّشتَه) .

(وخَتَلْتُهُ) بالخاء المعجمة ، ولكنَّ أخانا كتبها بالحاء المهملة ، (حتلته) وشرح ما حَرَّفْ شرحاً مضحكاً : (الحتل الرديء من كل شيء) .

وتغبّش بمعنى ظَلَم . والخَتْلُ : من وسائل الظلم .

٢٤٥ — ص ٢٢٩ — :

لميمون بن عامر في نخلة بالعَذْبة من الريب — ثم أورد شعراً—

في المطبوعة (بِالْمَعْذَبَة) ولكنَّ تفسير صاحبنا للكلمة يدل على أن ما في المطبوعة تَطبيع — خطأ مطبعي — ولكن ما العمل في قول الدكتور المحقق : (العَذَبَة موضع على ليلتين من البصرة ، فيه مياه عذبة) وهذا ليس من عنده بل من «مراصد الإطلاع» .

وإذَنْ لا لوم في زَحزَحة (العَذْبة) التي في وادي الرَّيب أحد أودية عالية نجد المشهورة — مئات الأميال حتى يكون بقرب البصرة ، وما المانع من هذا ما دام صاحب «مراصد الاطلاع» أورد وصف موضع بهذا الاسم (العذبة) على ليلتين من البصرة ، وأن المحقق يرى أنه الموضع المقصود ، ولا موضع غيره كما يعرف حق المعرفة — كما ذكر — ص ١٥٧ — أن الريب ناحية باليمامة ، على ما عرفه من مرجعه الوحيد العتيد .

٢٤٦ — ص ٢٣٠ — :

المِطْوُ والقِنْوُ والعِذْقُ ، واحدٌ بِجَرٍّ أولهن وجزم الثاني من كل حرف .

لم يحسن أخونا قراءة (المِطْو) فحرَّفها (المطي) وادَّعى أنها في الأصل (المطر) تصحيف .

٢٤٧ — ص ٢٣٠ —

وصاحبنا لا يعتمد على الأصل دائماً فجملة : (يرثي حُمَيْد بن أبي لطيفة) لا تعجبه حتى ينوِّن الدال (حُميداً) عن عَمْدٍ .

٢٤٨ — ص ٢٣٠ —

ورجل من نمير تقتله بنو قشير فيقول الشاعر في رثائه — ص ٢٣٠ — :

ألا في سبيل الله مَثْوَاك باللِّوى رهين عجاج الصيِّف يستَنُّ حاصِبُه

هذا اللِّوى الذي ثوي فيه القتيل هو في رأي صاحبنا : (موضع بعينه ، وادٍ من أودية سُلَيْم ، به وقعت (؟) للعرب) .

لماذا ينقل جثمان الرجل من بلاده أو بلاد أعدائه المجاورة لبلاده إلى بلاد بني سُلَيم التي تفصل بينها وبين بلاد نمير وقشير بلاد بطون بني كلاب بن عامر ، الواسعة ؟ ودَعْك من تصحيف (الصيف) بكلمة (الضيف) فقد يكون تطبيعاً .

٢٤٩ — ص ٢٣١ — :

تَنَزَّى بأكناف السَّواد ابنُ دَلْهم بِقَتْل حُمَيْد حين أخْلَتْ جوانبُه

لا كما في المطبوعة : (تمزَّى) و(بأكتاف)

٢٥٠ — ص ٢٣١ — :

كما زعزع القَضْبُ اللَّيَّان جنائبُه

لا (اللبان)

٢٥١ ـــ ص ٢٣١ :

أما والرَّاقصات ببَطن جَمع　　　أطنُّ تناضُلاً بِحَصَى المِتان

في المطبوعة : (المثان) وفسَّرها المحقق فقال : (المثاني : أرض بين الكوفة والشام ، وأحال إلى «المراصد» . ولم يُلاحِظ ـــ رعاه الله ـــ البُعْد بين (بطن جَمْع) الذي هو المُزدلفة بين عَرَفاتٍ ومِنَى ، بقرب مكة ، وبين الموضع الذي ذكر ، أمَّا أن يُدْرِك أن الشاعر قَصَد جمع مَتنٍ وهو المكان المرتفع من الأرض فهذا ليس مطلوباً من مثله .

٢٥٢ ـــ ص ٢٣٢ ـــ : ورد في هامش الأصل تفسير كلمة (افتلاني) هكذا : (أفردني ، افتصلني واستخرجني) فحرَّف المحقق هذا هكذا : (أفردني وأقبضني وأفضلني) لأنه لم يحسن القراءة .

٢٥٣ ـــ ص ٢٣٢ ـــ :

إذا ضَرَب الفَرَائِصَ جَاشَ مِنْها　　　صوافِي الجَوْف إيزَاغَ الهِجَانِ

في المطبوعة (ايراع) وظَنَّ المحَقِّقُ أنَّ الجوف اسم موضع فأورد عنه حاشية ختمها بقوله : (وهناك الجوفاء ماء لمعاوية وعوف ابني عامر بن صعصعة ، ويمكن هو المقصود) !! لماذا لاتفاق كلمتي (الجوف) و(الجوفاء) ؟؟ لا أكثر ولا أقل . وما لنا ولكون الشاعر أرد جوف الجِسم ، وأنَّ الدَّم يجيش منه من قُوَّة ضرب فرائصه كإيزاغ الناقة ببَوْلِها ، كقول مالك بن زغبة الباهليّ :

بِضَرْب كآذان الفِرَاء فُضُولُهُ　　　وطعنٍ كإيْزَاغ المُخَاض تَبورُهَا

٢٥٤ ـــ ص ٢٣٢ ـــ :

ونَحْنُ بِمحبسٍ يُخْشَى رَدَاهُ　　　نُذَبِّبُ عَنْ حَرِيم المَألَمَان

قرأ المحقق (بمجلس) ولم يدرك أن الموقف موقف حَرْبٍ كما قرأ (المألمان) بحذف الهمز ،

٢٥٥ ـــ ص ٢٣٣ ـــ : في الكلام على الهمز وعدمه أورد الهجريُّ شاهداً :

بناتُ الصَّدَى يانَمْنَ من كُلِّ مَانَم

وقال : والأصل يَتَأمْنَ من كلِّ مَنْئِم ـــ وبالفتح أيضاً مع الجَرْةِ) ومفهوم كلام

الهجريُّ : يَتَأَمَّنَ ويَتَيَمَّن ، ومَتأم ، ومَتيم . ولم يدرك هذا المحقق فعلّق قائلاً وحَسَناً فعل : (ولست أدري لها وَجهاً) .

٢٥٦ — ص ٢٣٤ — لم يخرِّج المحقق القطعة البائية ، وهي للقطامي (ديوانه ٥٢ طبع أوربا) برواية أخرى .

٢٥٧ — ص ٢٣٥ — : وقال سعيد بن العاص في كلامه : لعمري لتَصطكُّنَّ ارفاغُ رجال من غَيْرِ خَبَط الشَّرى .

في المطبوعة : (في كلام) و(لتصطلن) و(الشرى) والغريب — بل اللطيف حقاً — أن المحقق وهو يترجم سعيد بن العاص لم يَنْسَ أن يَزُجَّ بين مصادر ترجمته من كتب التاريخ والتراجم القديمة كتاباً أُلِّفَ في عصرنا لا صلة له بالتراجم .

٢٥٨ — ص ٢٣٧ — :

كمَا طَار يَعْسُوبُ الجَهَام عَشِيَّةً حَــدَتّــهُ بِصُــرَّاد الشَّمالِ دَبُور

ورد في المطبوعة : (بِضُرٍّ والشمال) الخ مع أنَّ المحقق قرأ الكلمة قراءة ليست بعيدة عن الصحة ، كما يظهر من تفسيره ونَصُّه : (الصراد بالضم موضع ذكره الشماخ في شعره :

مِن الّلاءِ ما بَيْنَ الصُّرَادِ فَيأجج

— وأحال الى «المراصد»

أما مطابقة هذا التفسير لمقصود الشاعر الذي هو الغيم الرقيق البارد الذي لا ماء فيه ، فأمْرٌ آخر ، وكذا صحة ضبط الكلمة وأن الرّاء ينبغي أن تكون مشدّدة .

٢٥٩ — ص ٢٣٧ — : أخونا المحقق لا يُتعب ذِهْنَهُ فيراعي حين يُفَسِّرُ كلاماً مُلابساته ، وما يتّصِلُ به من قرائن ، بل يكتفي بشرح كل كلمة على حِدَةٍ بدون مراعاة ارتباطها بغيرها من الكلام . فهذا شاعر يُدعى ابن الثَّغَاء من بني لُبَينى ثم من بني سلمة من بني قُشَيْر بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة — من هوازن من عدنان — نُسِبُوا

الى أُمّهم لُبَيني بنت الوحيد بن كلاب — كما في ص ١١٦ وص ٢٤٤ — من مطبوعة المحقق من كتاب الهجريّ .

ولكن هذا المحقق ينسبه في مواضع أخرى نسبةً أملاها عليه توافق الأسماء .

فنجده — ص ١٥٥ — نسبه إلى حبيب بن جذيمة ، حتى ألحقه بعامر بن لؤي — أي عَدَّه من قريش ، لماذا ؟ لأنه من بني حبيب ، ووجد أقرب اسم إليه هو حبيب بن جذيمة ، ولو نظر في مطبوعته — ص ١١٧ وص ٢٤٤ — لوجد أن قبيلة سلمة الشَّر — التي من قشير وهي قبيلة الشاعر تتفرع إلى أوسٍ وقيس وحُبيب — وهم بنو لُبَيْنَى ثم نجد المحقق نسب ذلك الشاعر — ص ٢٣٦ — إلى (الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عَمْرو ، مُزيقيا) أي جعله من الأزد من قحطان ، لماذا لأنَّ الشاعر قال يبكي على قومه :

تَذَكَّرت أوساً حِيْنَ أَمْسَيْتُ خائفاً   تَـذَكُّـرَ حَـرَّانٍ تَـذَكُّـرَ مَشْـرباً

ونَسي أن أوساً المذكورين في الشعر هم أوس قُشَيْرٍ قوم الشاعر المذكورين ص ٢٤٤/ ٢٥١ — وقشير من عدنان .

٢٦٠ — ص ٢٣٨ — :

وَتَسْتَأنسي الرُّكْبَان أن يقطعوا   يُسِيْرُونَ صُهْباً ماثِلاتِ العَرائِك

كذا ورد البيت في المخطوطة ، فجاء في المطبوعة .

وتَسْتَأنسي الركبان (في) أن يَقْطَعوا   يسيرون صهْباً ماتلات العرائك

وفي الحاشية : (في ساقطة — ماثلات وهو تصحيف — متل الشيء متلاً — زَعزعة وحركة) .

البيت في الأصل غير مستقيم وَزناً وقد يكون صواب (يقطعوا) : (يتقطعوا) أي يتفرقوا بسبب الاجهاد في السَّير .

ولكن لماذا اعتبر المحقق كلمة (ماثلات) مصحفة عن (ماتلات) ثم ما هي صلة معنى (متل مَتلاً) كل ذلك في جوف الشاعر — كما يقولون — وهو المحقق المدقق هنا —

٢٦١ ص ٢٣٩ — :

وأن تُؤنِسي بَطنَ الدَّبِيْل وحَائلٍ   ويَبْدُو لنا من رُكْنِ صَاحَة حَارِك

ـ كذا في الأصل وفي البيت إقواء إذ ما قبله مجرور ـ وفي المطبوعة (جارك) تصحيف .

٢٦٢ ـ ص ٢٤٠ ـ :

ومُحْتَضِنٌ رُكْنَ اليَماني ومُشْتَكٍ إلى الجانب الغربيِّ ضُعْفَ حَويلي

في المطبوعة (ومشتد) ولا معنى لها هنا .

٢٦٣ ـ ص ٢٤١ ـ :

يقول العُقَيليُّون إذْ لَحِقُوا بنا سَتَرْجِعُ مَقْرُوناً بإحْدَى الرَّواحل

وفي المطبوعة (ويقول .. إذا) فاختل وزن البيت .

٢٦٤ ـ ص ٢٤٢ ـ :

إذا القَوْمُ سَدُّوا مَأزقاً فَرَجَتْ لنا بأيمانِنا بِيْضٌ جَلَّتْها الصَّياقِلُ

في المطبوعة : (ماذقا) وفيها (بامانِنا) كما في الأصل ، وهو خطأ من الناسخ .

٢٦٥ ـ ص ٢٤٣ ـ :

وعَادَتْ لما أبْقَى الضَّنَا من فُؤَادِهِ رُدَيْنِيَّةُ الأعْلَى رَدَاحُ المُنطَّقِ

وفي المطبوعة : (أنقى) تصحيف . وفَسَّرَ المحقق (رُدينية) تَفْسِيراً لا يوضح المعنى الذي قصد الشاعر ، وهو وصف صاحبته برشاقة أعلى الجسم .

٢٦٦ ـ ص ٢٤٤ ـ :

وكُنَّا ظَنَنَّا أنَّها ماءُ مُزْنةٍ مِنَ الْمُزنِ لَمْ تُطنَفْ لشيءٍ يَشِيْنُها

سقطت كلمة (ماء) من المطبوعة ، فاختلَّ وزنُ البيت ومعناه .

٢٦٧ ـ ٢٤٤ : فولدت سلمة الشَّر ، وهو دون أُخيْه سلمة الخير في المطبوعة وضعت كلمة (وهو) بين قوسين وقال المحقق : إنها ساقطة من المخطوطة . وهذا غير صحيح .

٢٦٨ ـ ٢٤٥ ـ : وكانت عِند قُشَير القَسْرِيَّة ، من بَجيلة . حَرَّف صاحبنا القَسرية إلى (القُشَيرية) إذ لَمْ يُدْرك أنها منسوبة إلى بني قَسرٍ من بَجيلة . وقال عنها في الحاشية : (هي الخنساء بنت علي بن ثعلبة بن بجيلة) وأحال إلى «جمهرة أنساب

العرب» وما في هذا الكتاب لا يفهم منه صلة هذه المرأة بِقَسرٍ ، حيث قد سقط من نسبها ــ على ما جاء في كتاب «جمهرة النسب لابن الكلبي أسماء ، فثعلبة ليس ابن بجيلة بل هو ابن علي بن مالك بن سعد بن نذير بن قسر بن عبقر بن بجيلة . ولعلَّ ابن حَزْم صاحب «جمهرة أنساب العرب» اختصر النسب فقال : (من بجيلة) فصحفت كلمة (من) إلى (بن) وهذا يقع كثيراً في المؤلفات القديمة ، ولكن ما دام الهجري نسب المرأة (القسريَّة) فينبغي ذكر قَسْر .

٢٦٨ ــ ص ٢٤٤ ــ :

فإن تُبْتُ عن إسراف نَفْسي لَمْ أتُب عن اللَّهْو، ما ساق الثُّريَّا رقيبها

في المطبوعة : (نفس لم أبت) تحريف

٢٦٩ ــ ص ٢٤٤ ــ :

وَشُرْب مُصفَّاةٍ مِلاءٍ زُجاجُها بـأيمانِ فِـتْـيـانٍ كَريمٍ شَرِيبُـها

في المطبوعة : (وشَربُ مصغاة) بالغين بدل الفاء تصحيف .

٢٧٠ ــ ص ٢٤٥ ــ :

فَلاَ ابتغي وَصْلَ الفتاة بِخُلَّتي أخاها ، ولا الأخرى بأنِّي قَرِيبُها

في المطبوعة : (أذاها) بدل (أخاها) وأيُّ معنى لكلمة (أذاها) في البيت .

٢٧١ ــ ص ٢٤٦ ــ :

فأبْلِغَ عَنِّي أهْلَ كُرزٍ رسالةً طَوِيلاً بِحَجرٍ حَبْسُها ونشُوبها

وفي الهامش : (كرزواد من أودية أكمة)

ولكن الراء من كرز أقرب إلى الواو في الصورة ، فجاءت في المطبوعة بالواو (كوز) وكُرز ــ بالراء ــ وادٍ لا يزال معروفاً باسمه ، وهو من أودية الأفلاج ، وقد ذكره الهمداني في «صفة جزيرة العرب» كما ذكره غيره .

٢٧٢ ــ ص ٢٤٦ :

لَقد ضَمَّ سِجْنُ الهاشميِّ عِصَابةً تَرَاها جَميعاً وهي شَتَّى شُعُوبها

علَّق المحقق فقال : (هناك الهاشمي عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي

طالب الذي حكم البصرة والكوفة وهمذان) إلى آخر الحاشية الطويلة المنقولة من «سرّح العيون» ولم يدرك أخونا أنّ الشاعر كان محبوساً في مدينة حَجْر قاعدة اليمامة ، فالهاشمي المقصود من ولاة اليمامة لا من ولاة البلدان الواردة في الحاشية .

وقد تولّى اليمامة — في أول العهد العباسي — عدد من الهاشميين منهم : داود بن علي بن عبدالله بن عباس ، والسّريّ بن عبدالله بن الحارث وجعفر بن سليمان بن علي ومحمد بن سليمان بن علي — أنظر مجلة «العرب» س ١ ص ٢٧٨ — وأرى الشاعر أراد السريّ بن عبدالله الهاشمي ، فقد كانت له شهرة أثناء ولايته اليمامة .

٢٧٣ — ص ٢٤٦ — :

ولكِنْ أريني ما اصطحَبْنَا كَرَامةً ولا تَعديني هَتفَةً لا أُجيبُها

حَرَّفَ أخونا (كرامة) فجعلها في مطبوعته (كريهة) !!

٢٧٤ — ص ٢٤٧ — :

وقولي : هَيَا أضيافُ إنَّ فراقكم بِبَيْداَء قد سُوّي عَلَيها جُبُوبُهَا

كلمة (فراقكم) كذا وردت في المخطوطة وفي المطبوعة ، وأراها (قراكُم) ويلاحظ وقوع أخطاء كثيرة في المخطوطة .

٢٧٥ — ص ٢٤٧ — :

وإنْ مُتُّ فانْعَيني لُبَيْنَى ولاَ يُقَلْ كَـذَبْتِ وشَرُّ النَّادِبَات كَذُوبها

في المطبوعة (لا يقل) بحذف الواو .

٢٧٦ — ص ٢٤٨ — :

حَمْرَاءُ من مُعَرَّضات الغِرْبان

في المطبوعة : (العربان) تصحيف . والقافية ساكنة لا مكسورة كما في المطبوعة .

٢٧٧ — ص ٢٤٨ — :

رَأيْتُ رِبَاطاً حِيْنَ أدركَ عَقْلَهُ ووليَّ شَبَابي ، ليس في بِرِّهِ عَتْبُ

وفي المطبوعة : (عَيْب) تصحيف .

٢٧٨ — ص ٢٤٨ — : لأبي مدرك مُرَيزِق :

فما شَرْبَةٌ من ذي طُرَيْف شَرِبْتُها قَضَى الله فيها أنّها لم تَدَعْ لُبا
بِـأَوَّل مَـا يُسْـقِيني اللهُ مَشْـرَبـاً على سَخَط الاعْداء مُقْتَرِحاً عَذباً

جاء في المطبوعة : (يسقين)

وفي الحاشية : (طريف ماء بأسفل أرمان ، وقال الزُّبَيْرِيُّ : نُقَرٌ يُسْتَعذبُ لها الماء ليومين أو ثلاثة من أرمان — أنظر «المراصد» ٢/٨٨٧) .

ويلاحظ : ١ — الشاعر مريزيق الغواني من بني أوس ثم من بني لُبَيْنى من قُشَيْر — كما ذكر الهجري ص ١١٣ من المطبوعة — وبلاد بني قُشَيْر في جنوب نَجْد .

٢ — الموضع الذي ذكره هو طريف لا طريفة .

٣ — الحاشية التي نقلها عن «مراصد الاطلاع» مُحرَّفَة فأرمان صوابه (أرمام) و(الزبيري) صوابه (الزَّبيدي) وهو شارح «القاموس»

٤ — الطريفة التي بأسفل أرمام تقع في شمال نَجْد ، تبعد عن منازل بن قُشَير — قوم الشاعر مئات الأميال ، وهي في بلاد بني أسد في شمال بلاد القصيم . ونُكلِّفُ صاحبنا شططاً حين نروم منه إدراك ذلك ولكن التنبيه على هذه الأخطاء قد يعصم من الوقوع فيها .

٢٧٩ — ص ٢٥٠ — :

نُعَاتِبُكُمْ يا جَعْد في ذات بَيْننا ولَيْسَ عِتَاب فِيْك يا جَعْد يَنْفَع

وفي المطبوعة : حُرِّفَت كلمة (نعاتبكم) .

٢٨٠ — ص ٢٥١ — : موسى بن عيسى اللُّبَيني ثم أحد بني أوس ، غَيَّرها صاحبنا (ثم لأحد) وادَّعَى أنَّ ما في الأصل تحريف ، مع أنَّ عمله هو التحريف .

٢٨١ — ص ٢٥١ — : العِجْلَةُ : لا تَسْتقِلُّ ، خيْطَان تَنْبسطُ على الأرض ، وهي الوشيجة .

حَرَّف صاحبنا : (تستقل) فجعلها (تسقيك) وزعم أنها في الأصل : (تسيقك) حيث لم يحسن قراءتها ، وذكَّر الصِّفَة فجعلها (وهو الوشيجة) ذلك أنه لا يعرف أنَّ

العِجلة نوع من النَّبات شبيه بالثَّيل ، لا ترتفع خيطانه ـ أغصانه ـ بل تنبسط على الأرض وتتشابك ، ولهذا تدعى الوشيجة .

٢٨٢ ـ ص ٢٥١ ـ :

ومَنْزِلةٍ لا يَأْمَنُ القَوْمُ بالضُّحَى ولاَ بالعَشَايا من جوانبها رَكْباً
أبِيْتُ بِهَا مُسْتَشْعِراً دُونَ رَيطتي وَدُونَ رِداء العَصْبِ ذا شُطَبٍ عَضبَا

جعل صاحِبُنا القافية غير منصوبة (ركب) ثم حَذَفَ كلمة (عَضْبا) من البيت الثاني . ولم يكتف بهذا الصنيع الشنيع ، بل أضاف في الحاشية : (في (١) : ركبا) وهو تحريف) !!

٢٨٣ ـ ص ٢٥٢ :

كـأنَّـهـا نُـتِجَتْ غَـرَّاء سابِقَةٌ لأعوجيٍّ تَرَى مِنهَا به حُجَلا

صَحَّفَ صاحبنا (حُجَلاً) فجعلها (خُجَلا) ووصف ما في الأصل بأنّه تصحيف . لأنه لا يفهم التحجيل في صفات الخيل .

٢٨٤ ـ ص ٢٥٢ ـ : ميمون بن عامر في رجل من بني عَبِيْدة ،

ميمون هذا شاعر من بني قشير ـ ص ١٢٧ المطبوعة ـ وهو يهجو رجُلاً من بني عَبِيدة من قومه الذين أوضح الهجريُّ فروعهم فقال ـ ص ١١٧ ـ ومما قال : فصائل معاوية بن قُشَير : عَبِيدةُ ، وخُزَيْمةُ ، ومُريح ، وسامة ، وحَيْدَة ، والحَجَّاج ، وعَمْرو ، هاؤلاء كلهم أهْلُ الريب .

ولكنَّ صاحبنا المحقق نَسي هذا فأتعبَ ذِهْنَهُ وتفكيره في البحث عن (عبيدة) حتى أنجده كتابا «سبائك الذهب» و«نهاية الأرب» بنسب : (عبيدة بن هيل بن عبدالله بن كنانة بن عذرة من القحطانية) !!

بصرف النظر عن البعد بين القبيلتين ، ما دام الاسم واحداً .

٢٨٥ ـ ص ٢٥٣ ـ :

لَقَال ولَـمْ يَكَلَّف رِوَاحاً وقَهْوَةً يَـدُورُ بِـهَـا سَـمْحَ اليَدَيْن نَجِيْحُ

في المطبوعة : (يدوؤبها)

٢٨٦ — ٢٥٣ — :

يَمُرُّون باليَنكير لا يَعْرِضُونَهُ   وفيه لهم لَوْ يَعْلَمُونَ صَدِيقُ

اليَنْكِيرُ : جَبَلٌ أسْفَلَ حَضْرَمَوتَ ، قُرْبَ يَذْبُل من مَحَجَّةِ أهل الفَلَج ، إذا أرادُوا ضَرِيَّة من الفلج .

كذا ورد في الأصل : (أسفل حضرموت) واليَنكير جبل مشهور من أشهر جبال جنوب نجد ، وهو على محجَّة أهل الفلج (الأفلاج) إذا أرادُوا ضَرِيَّة ، وليس بعيداً عن يَذْبل (صَبْحا الآن) ولكن لا صلة له بحضرموت ، ولهذا أرى صواب الجملة

اليَنكير جبل أسفل محجةٌ حضرموت . ويلاحظ أن المخطوطة لا تخلو من الأخطاء ، وليس في هوامشها ما يشير إلى مقابلتها بنسخة أخرى أو تصحيحها .

وجاء في المطبوعة : (أقرب يذبل) والألف زائدة .

٢٨٧ — ص ٢٥٣ — :

جَعْدِيَّةٌ بِمحاني الغَيْل مَحْضَرُها   وبِالحِمَى من أعالي النِّير مَبْداها

وفي المطبوعة (بمغاني الغيل) خطأ ، إذ الشاعر يقصد محاني وادي الغَيْل المعروف في الأفلاج .

٢٨٨ — ص ٢٥٤ — :

ألا يا جَرَّاد الْغَوْرِ هَلْ أنْتَ مُبْلِغٌ   سَلاماً ولا تَبْخَلْ — غِمَار شَعَبْعَباً
دَفِيءُ الْمحانيْ بِالشِّتَاء وإنْ تَصِفْ   تَرَى فِيْهِ رَوْضاً مُسْتَكِفّاً قد اعْشَبَا

وفي المطبوعة (دفء) وفي الحاشية :(في (١): دفيء وهو تحريف) !! وصحَّف صاحبنا (جراد) فجعلها (جواد) .

(للحديث صلة)   حمد الجاسر

الدولة السعودية الأولى في جنوب الجزيرة

[قام الصديق الكريم مؤرخ الجنوب الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي باعادة نشر مؤلفه القيّم «تاريخ المخلاف السليماني» بعد أن أضاف إليه اضافات واسعة استقاها من مصادر اطلع عليها بعد صدور الطبعة الأولى — قبل ربع قرن من الزمان —

وقد صدر الجزء الأول من هذا الكتاب في مجلد ضخم، وهو من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) وها هو فَصْلٌ من فصول ذلك الكتاب].

السعوديون والدعوة الاصلاحية
في المخلاف السليماني وتهامة اليمن

أشرنا فيما سبق إلى إمارة الأمير يحيى بن محمد الخيراتي، إلى عام ١٢٠٤ هـ ونقول هكذا ظلت إمارة المخلاف في تجاذب بين هذا الأمير وإخوانه، فتارة يجتمع رأيهم على تولي أحدهم وأخرى يختلفون، وهم بين اختلاف ونزاع وقتال، قاسى أهل المخلاف من جرّائه أشد الأهوال حتى اجتمع رأي كبار تلك الأسرة على تولي الأمير علي بن حيدر بن محمد الخيراتي.

الحالة العامة في المخلاف السليماني:

نحن في عام ١٢١٣ وأمير المخلاف الأمير علي بن حيدر، والحال في المخلاف بوجه عام في موجة من الفوضى والاضطراب والأمراء آل خيرات قد أنهكت قواهم الاختلافات والمنازعات العائلية على الإمارة والشعب يلتمس الخلاص، وهو في ديجور من الحيرة، وعامل صبيا ناصر بن محمد الخيراتي — على حصافة رأيه وبعد نظره مسلوب الحول، لتعطل الجهاز الإداري العام — ولا يعدو دوره في صبيا مع وجود المنافسة القوية له من الخواجيين — دور المداراة ومقاربة الأمور، وقد أدركته الشيخوخة فتنحّى عن مركزه لابنه الشاب الأمير منصور بن ناصر، وراح من بعد يشرف على

توجيهه ويمحضه اختباراته وتجاربه ، وآل خيرات ينفسون على قريبهم هذا تفرده واستقراره في إمارة مهما بلغ ضيق نطاقها لأنها ــ في نظرهم ــ خبر من لا شيء .

أما مخلاف صبيا فمنازعات أهل المحلة وأهل الدهنا ، قد أحالته إلى جحيم وقبائل بني شعبة الذين امتهنوا الغزو والغارات وقتاً ليس بالقصير ، فصبرت القبائل المجاورة مدة ــ وهي تحت وطأة آل خيرات الذين أماتوا فيهم روح المقاومة ــ ولما لم يُجدِ الصبر استفاقت من غشيتها ، وهبت للدفاع عن النفس حتى إذا تمكنت من الدفاع أخذت بدورها في التحفز للغزو مما جعل حركات بني شعبة ــ التي كانت سهلة في أول الأمر ــ محفوفة بالخطورة والغرم ، لذلك سأم الشعبيون مهنة الغارات والغزو ، وراحوا يتطلعون الى مستقبل يفضي بهم إلى الأمن والخير .

أضف إلى ذلك قبيلة يام التي اتخذت من اجتياح المخلاف وقتاً بعد آخر ، يساعدها أو يسهل مهمتها احتياج آل خيرات إلى مساعدتها الحربية في توطيد مركز إمارتهم وتدعيم نفوذهم ومكانتهم ، واليامیون يقومون بأدوار من البربرية والسلب والقتل وفرض غرامات يباشر استحصالها ــ في بعض الأدوار ــ أحد الأمراء الخيراتيين أنفسهم ــ كما وقع في الغرامات المفروضة على أهل صبيا وعلى أهل أبي عريش وغيرهم .

وفوق كل ذلك فقد شجع سطو يام القبائل الأخرى التي يحتاج الى عونهم الحربي آل خيرات ، كسنحان وقحطان ووداعة على التسلط وابتزاز خيرات المخلاف فأصبح والحالة هذه يتطلع الى بارقة أمل تنير سبيله المظلم .

أثناء ذلك كانت أشعة الدعوة الإصلاحية السلفية قد تسللت بوهج أضوائها على سماء عسير الحالكة في الجهالة ، بيد أن غلظة وصفاقة تلك الجهالة كانت بحيث تحتم الضرورة الإصلاحية إحداث صدوع في سجوف غياهبها لمترادفة تتسرب أشعة النور متدفقة بقوة ، وعملية البتر في جسم الفرد أو المجموع قد تكون ضرورية تستدعيها سنن البقاء ودساتير الحياة .

كلمة عن الدعوة الإصلاحية :

قد يتهمنا البعض بالمبالغة عما أوردناه من أثر هذه الدعوة وما يترتب عليها من بعث

الروح الإسلامية اليقظة القومية ، فنكتفي بالرد على ذلك بابراز بعض ما كتبه أساطين العلم في العالم الغربي :

جاء في كتاب «حاضر العالم الإسلامي» تأليف «وثروب ستوداره الأمريكي» في الفصل الأول بعنوان (اليقظة الإسلامية في القرن الثامن عشر(ما نصه :

كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ ، ومن التدلي والانحطاط أعمق دركه فاربدّ جوه وطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه ، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب ، وتلاشى ما كان باقياً من آثار التهذيب العربي ، واستغرق الإسلام في اتباع الأهواء والشهوات وماتت الفضيلة في الناس ، وساد الجهل ، وانطفأت قبسات العلم والفضيلة ، وانقلبت الحكومات الإسلامية الى مطايا استبداد وفوضى واغتيال ، إلى أن قال :

وأما «الدين» فقد غشيته غاشية سوداء ، فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سُجُفاً من الخرافات وقشور الصوفية دخلت المساجد من أرباب الصلوات وكثر عديد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان الى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ، ويُرَغّبون في حج القبور ، قبور الأولياء ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور ، وغابت عن الناس فضائل (القرآن) فصار يُشرب الخمر والأفيون في كل مكان ، وانتشرت الرذائل وهتكت الحرمات على غير حشمة ولا استحياء ، ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ما نال غيرهما في سائر مدن الإسلام ، فصار الحج المقدس ضرباً من المستهزئات ، وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين وهبطوا مهبطاً بعيد القرار ، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان دهى الإسلام لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يلعن المرتدون وعبدة الأوثان .

وفيما الإسلام مستغرق في هجعته ومدلج في ظلمته إذا بصوت قد بدأ يُدَوي في قلب صحراء شبه الجزيرة العربية مهد الإسلام يوقظ المؤمنين ، ويدعوهم الى الإصلاح ، والرجوع الى سواء السبيل والصراط المستقيم ، فكان هذا الصوت إنما هو المصلح المشهور

(محمد بن عبد الوهاب) الذي أشعل نار الدعوة فاشتعلت واندلعت ألسنتها إلى كل زاوية من زوايا العالم الإسلامي ، ثم أخذ يحض المسلمين على إصلاح النفوس واستعادة المجد الإسلامي القديم ، والعز التليد فتبدّت تباشير الاصلاح ، ثم بدأت اليقظة الكبرى في العالم الإسلامي .

ولد محمد بن عبد الوهاب في نجد حوالي سنة ١٧٠٠ ، وكانت نجد في ذلك العصر — على انحطاط الإسلام وتدليه — انقى البلدان إسلاماً ، وقد عرفنا فيما سلف من الكلام كيف كانت تنقل الخلافة من دور الشّورى إلى دور الاستبداد الشرقي ، وأخذ على أثر ذلك العرب الأحرار أباة الضيم يعودون أدراجهم الى الصحراء حيث يتمتعون بحريتهم في حريز بلادهم وموطنهم ، وصدوا عنها كل حامل عليهم فلا خليفة ولا سلطان غرر بنفسه يوماً لاختراق تلك الصحارى الرملية المحرقة والتوغل في فيافيها المهلكة حيث الموت الكريه كامن على الدوام لكل طامع غريب دخيل ، فالعرب هناك لم يعرفوا قط حاكماً عليهم بل دأبهم دواماً الحل والترحال ، وارتباط المنتجعات في مختلف الواحات في قلب الصحراء ، وفي هذا الحصن المنيع استطاع العرب منذ القديم الاحتفاظ بنقاء نبلهم العربيّ لا يشوبه شائبة ، وروابطهم السياسية لا تنفخ في بنيانها ريح ، أما البدو الرحل فالزعامة فيهم لشيوخهم الذين يتولون القيام على أحكامهم وتدبير شؤونهم ، وأما الحضر في الواحات فالزعامة لشيوخ الأسر العليا منزلة ومكانة ، بيد أن مبلغ ما في يد هؤلاء الشيوخ في السلطة والطاعة إنما هي صورة واهنة لا تقوى على الدوام على الوقوف في وجه تيار العادات القومية المعروفة ، وجل ما استطاع (الترك) إخضاعه في بلاد العرب هو أنهم بسطوا شيئاً من سلطانهم على الأماكن المقدسة الحجازية وساحل البحر الأحمر ، أما نجد البلاد الداخلية ، فقد ظلت حرة مستقلة ، وما برح عرب الصحراء فيها يغالون في الاحتفاظ بما تحدّر إليهم من آبائهم وأجدادهم من فضائل الدين ووحدة السياسة وعروة الجامعة .

هكذا كانت حالة «نجد» لما ولد فيها ابن عبد الوهاب ، وإذ كان منذ نشأته شديد الميل الى الاطلاع والفقه في الدين ، سرعان ما اشتهر ذكره وذاع اسمه فعرف بعلم وافر قواماً على التقوى ، فحج في أول عمره وطلب العلم في المدينة المنورة ، وساح إلى كثير

من البلاد المجاورة حتى فارس[1] ، ثم عاد إلى نجد مشتعلاً غضباً دينياً لما يراه بأمّ عينِهِ من سوء الحالة الإسلامية فصحت عزيمته على القيام بدعوة الإصلاح ، قضى سنين عديدة راحلاً من بلاد إلى بلاد في شبه الجزيرة فبشر بالدعوة ، موقظاً النفوس حتى استطاع بعد جهاد طويل أن يجعل محمد بن سعود وهو أكبر أمراء نجد وأعلى زعمائها كعبا[2] وشأناً يقبل الدعوة ، ويدخل فيها فاكتسب ابن عبد الوهاب بذلك مكانة أدبية عالية ومنزلة اجتماعية رفيعة وقوة حربية لا يستهان بها ، فاستفاد من ذلك استفادة جليلة قد مكنته بلوغ غايته فكونت على التوالي وحدة دينية سياسية في جميع الصحراء العربية شبيهة بتلك الوحدة التي أنشأها صاحب الرسالة ، وفي الواقع فإن المنهج الذي نهجه ابن عبد الوهاب ليشبه شبهاً كبيراً ذلك النهج الذي نهجه الخلفاء الراشدون كأبي بكر وعمر .

ولما مات سنة ١٧٨٧ م خلفه ابن سعود ، فكان خير خليفة للمصلح الإسلامي الكبير ، واقتفى الوهابيون آثار خلافة الراشدين ، وعلى ما كان في يد ابن سعود من القوى الحربية العظيمة ، فإن ذلك ما كان ليعرضه أن يكون على الدوام نازلا على رأى الجماعة ودستورها فلم يمتهن حرية أتباعه وبني قومه . وكانت حكومته على عنفها مكينة عادلة فانقطع التعدي ، وأمِن الناس السرقات ، وانتشر الأمن وسادت الطمأنينة والراحة ، وعُكِفَ على العلم والتهذيب ، وكان في كل واحة مدرسة وفي كل قبيلة بدوية عدد من المعلمين .

وجاء في كتاب «العقيدة والشريعة في الإسلام» للمستشرق «أجناس جولدتسيهر» ترجمة الدكتور حسين عبد القادر ورفيقه ص ٢٣٧ ما نصه :

من أهم الحركات الدينية الحربية التي قامت بها الأمة العربية تلك التي أثارها في الأزمنة الحديثة في أواسط بلاد العرب محمد بن عبد الوهاب المتوفي ١٧٨٧ ، فبعد أن درس مؤلفات ابن تيمية ، وقد أقبل عليها بشغف زائد أثار في مواطنيه حركة دينية وسرعان ما عظم أثرها وكثر أشياعها وأنصارها ودفعت بالأمة العربية المفطورة على الحرب إلى خوض غمار القتال ، فأحرزت عدة انتصارات حربية باهرة نشرت من نفوذها حتى تجاوزت شبه الجزيرة إلى بلاد العراق .

وقد أفضت هذه الحركة إلى تأسيس دولة لا تزال ـــ مع ما مرّ عليها من التقلبات الكثيرة والمنافسات والنازعات الداخلية التي أضعفتها ـــ قائمة في أوسط بلاد العرب وتعد عاملاً ذا أثر قوي في سياسة شبه الجزيرة ـــ إلى أن قال :

والحركة الوهابية ، هي التحقيق العملي لانتقادات ابن تيمية واحتجاجاته الحنبلية على البدع المخالفة للسنة التي أقرها الاجماع ، وعلى الصيغ التي تقررت خذل التطور التاريخي الإسلامي ، وعلى البدع المستحدثة في الحياة اليومية .

إلى أن قال : وقد أتى الوهابيون هذه الأعمال كلها باسم السنة والعمل على إحيائها واعادتها وهم في جهادهم هذا متمثلون بالسلف الصالح ، على أنه فما يتعلق بقبر النبيّ نرى أن عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي قد سبقهم في هذا المضمار فقد عمل استمساكاً بالسنة على توجيه قبر النبي عندما أمر بعمارته وجهة غير الوجهة الأصلية للقبلة خوفاً من أن يجعل الناس في هذا الأثر موضعاً للعبادة ، وهذا ما أراد منعه عندما جعل اتجاه موضع الضريح مخالفاً الاتجاهات المتبعة في المساجد ، انتهى .

وجاء في كتاب «تاريخ الشعوب الإسلامية» تأليف (كارل بروكلمان) تحت عنوان «الحركة الوهابية» لم يحالف التوفيق محمد علي والي مصر ـــ في شبه الجزيرة العربية بقدر ما حالفه في مصر وسوريا ، فهناك اصطدم سلطانه بحركة انبعاث وطنية كبرى . وتفصيل ذلك أنه ولد في نجد قلب الجزيرة العربية ، محمد بن عبد الوهاب من قبيلة تميم فنشأ محباً للعلم واقفاً نفسه على دراسة الفقه والشريعة .

إلى أن قال : فلما آب إلى بلده سعى أول ما سعى إلى أن يعيد إلى العقيدة والحياة الإسلامية صفاءهما الأصلي في محيطه الضيق ، وفي سنة ١٨٤٠ التجأ إلى محمد بن سعود ، وهناك لقّي حفاوة وترحيباً حتى إذا انقضت فترة قصيرة اكتسبت تعاليمه أنصاراً ومريدين ، ولقد شجب تقديس الرسول والأولياء على اختلاف صوره ـــ وكان قد شاع بين المسلمين منذ قرون تقليداً للنصرانية وبعض الطقوس الدينية الأخرى ـــ رامياً بالشرك أولئك المسلمين الذين يشاركون في التقديس أو الذين يقضي القرآن بحربهم حتى يرجعوا عن غيهم أو يبادروا وأخذ محمد واتباعه بأداء صلاة الجماعة في صرامة الخ .

وقال المستشرق السويسري (بركهات) : (ما الوهابية إذا جئنا نصفها غير الإسلام في طهارته الأولى).

وهي شهادة قوم من علماء الغرب الأجانب اتصفوا بالنزاهة العلمية والأمانة التاريخية بعيدين عن الأغراض والتمييز المذهبي.

أما في الشرق العربي فبالرغم عن الدعايات المغرضة، فقد انصفه غير واحد ومنهم العلامة الجليل محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني الذي كتب إليه قصيدة طويلة منها:

سلام، على نجدٍ ومن حلَّ في نجد ... وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي
سرت من أسير بنشد الرِّيح في السرى ... ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد
فني واسئلي عن عالم حل سوحها ... به يهتدى من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادي لسنة أحمد ... فيا حبذا الهادي وياحبذا المهدي

في بلاد عسير:

وقد تقدمت السرية الأولى من السعوديين إلى عسير، فكانت النتيجة الحتمية دخولها في الطاعة وجعلها قاعدة النفوذ لنشر الدعوة (السلفية) الوهابية في جنوب الجزيرة العربية، ومن عسير تسربت إلى قبائل بني شعبة ثم إلى المخلاف كما سيمر بك مفصلاً.

فقبلها أهل المخلاف — كما سيأتي موضحاً — ورأوا في الاستجابة لتقبلها إذكاءاً للروح الإسلامية وإحياءاً لمعالم الشريعة السمحة وتحقيقاً عملياً للعدل والمساواة ورفع الحواجز الاجتماعية والفروق الطبقية — التي تسربت قبل هذا العهد بنحو قرن — وهم عرب صميمون من أبرز صفاتهم الشمم والإباء والحرص على تمشّي روح المساواة بين أفراد المجتمع.

الداعية الأول أحمد بن حسين الفلقي:

هو من أهل صبيا بهره نجاح الدعوة الوهابية واستهوته أخبار توفيقها في قبائل عسير وبني شعبة، وقارن بين ما سمع وما يراه من حالة أهل المخلاف، وما يسود أرجاءه من

الاضطراب والفتن ، فخف مهاجراً إلى الدرعية ليتلقّى الدعوة من منبعها الصافي وموئلها العتيد .

وبعد وصوله الى الدرعية وتحصيله مبادئها اتصل بالإمام عبد العزيز ابن سعود ، ورجاه انتدابه لنشر الدعوة في المخلاف السليماني ، فاستجاب له وأرفقه بالكتاب الآتي :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن سعود إلى من يراه من أهل المخلاف السليماني خصوصاً الأمراء أبناء محمد بن أحمد وحمود وناصر ويحيي وسائر إخوانهم وآل النعمي وكافة أهل تهامة وفقنا الله واياهم إلى سبيل الحق والهداية وجنبنا واياهم طريق الشرك والغواية أما بعد فالموجب لهذه الرسالة أن أحمد بن حسين الفلقي قدم الينا فرأى ما نحن عليه وتحقق صحة ذلك فالتمس منا أن نكتب لكم ما يزول به الاشتباه .

فاعلموا رحمكم الله أن الله سبحانه وتعالى أرسل محمداً ﷺ على فترة من الرسل بالدين الكامل والشرع التام وأعظم ذلك وأكده ، وزبدته إخلاص العبادة لله تعالى لا شريك له والنهي عن الشرك وذلك هو الذي خلق الخلق لأجله ، ودل الكتاب على فضله ، كما قال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى : (وما أُمِروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) ، وإخلاص الدين هو إخلاص العبادة لله تعالى وصرف جميع العبادة لله تعالى وحده لا شريك له وذلك بأن لا يُدْعى إلا الله ولا يستغاث إلا بالله ولا يذبح إلا لله ، ولا يخشى إلا الله ولا يرجى سواه ولا يرهب ولا يرغب إلا فيما لديه ، ولا يتوكل في جميع الأمور إلا عليه ، وأن كل ما كان لله تعالى لا يصلح شيء منه لملك مقرب ولا لنبيٍّ مرسل ، وهذا بعينه توحيد الألوهيَّة الذي أسس الإسلام عليه وانفرد به المسلم دون الكافر وهو معنى شهادة أن لا الله الا الله .

فلما من الله علينا بمعرفة ذلك وعلمنا أنه دين الرسل اتبعناه ، ودعونا الناس إليه وإلا فنحن كنا قبل ذلك على ما عليه غالب الناس من الشرك بالله من عبادة أهل القبور ، والاستعانة بهم والتقرب بالذبح لهم ، وطلب الحاجات منهم مع ما ينضم إلى ذلك من

فعل الفواحش والمنكرات ، وارتكاب المحرمات ، وترك الصلوات وترك شعائر الإسلام ، حتى أظهر الله الحق بعد خفائه وأحيا أثره بعد اندثاره على يد الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) أحسن الله له في آخرته المآب ، فأبرز لنا جهة الحق ووجهة الصواب ، من كتاب الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فبين لنا أن الذي نحن عليه وهو دين غالب الناس من الاعتقاد في الصالحين وغيرهم ، ودعوتهم والتقرب إليهم والنذر لهم والاستعانة بهم في الشدائد وطلب الحاجات منهم أنه الشرك الأكبر الذي نهى الله عنه وتهدد بالوعيد الشديد عليه وأخبر في كتابه أنه لا يغفره إلا بالتوبة منه قال تعالى : (إنَّ الله لا يغفر أنْ يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ، وقال تعالى : (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) ، وقال تعالى : (والذين تدعون من دون دُوْنِهِ يملكون من قطمير ، ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) .

فحين كشف الله لنا الإسلام وعرفنا ما نحن عليه من الشرك والكفر بالنصوص القاطعة والأدلة الساطعة من كتاب الله وسنة رسوله وكلام أئمته الاعلام ، الذين أجمعت الأمة على روايتهم عرفنا ما نحن عليه وما كنا ندين به أولاً أنه الشرك الأكبر ، الذي نهى الله عنه وحذر ، وان الله أول ما أمرنا به أن ندعوه وحده وذلك كما قال تعالى : (وأنَّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) ، وقال تعالى : (ومن أظلم ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) .

إذا عرفتم هذا فاعلموا رحمكم الله أن الدين الذي ندين لله تعالى به هو إخلاص العبادة لله وحده ، ونفى الشرك واقامة الصلاة جماعة وغير ذلك من أركان الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولا يخفى على ذوي البصائر والأفهام والمتدبرين من الأنام أن هذا هو الدين الذي جاءنا به رسول الله ﷺ قال تعالى : (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) وقال تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) . فمن قبل هذا ولزم العمل فهو حظه في الدنيا والآخرة ونعم الحظ الإسلام ومن

أبى غير ذلك واستكبر فلن يقبل منه قال تعالى : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) .

وقصدنا بهذه النصيحة إليكم والقيام بالواجب ، قال الله تعالى : (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) وصلى الله على محمد ، والسلام .

وصل الفلقي بالكتاب ، وكان يحمل معه مؤلفات الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وبعد ذلك استوطن أسفل وادي بَيْش عند قبائل الجعافرة ، وقام بالوعظ والإرشاد فالتفَّ الناس حوله واجتمعت القلوب عليه وفشت الدعوة بين المجاورين لتلك القبيلة .

كان الفلقي يقوم بدور المعلم والمرشد والزعيم الديني ، فيرسل الدعاة ويفصل في القضايا ، وسرعان ما سرت دعوته إلى كثير من قرى المخلاف ، واجتمعت القلوب بعد الفرقة فأنس القوم من نفوسهم قوة ، ومن الدعوة سنداً ومن الوازع الديني سلطاناً فأجمع رأيهم على التخلص من سلطة أمير صبيا الذي سلطته اسمية بالنسبة إلى قرى الجهة الشمالية من المخلاف — وقد مر بك في حادث قريتي المحلة والدهنا الدليل الكافي على عدم وجود القوى الفعلية أو السلطان النافذ لتلك الإمارة ، وأصبح القوم يرون أن لا سلطان عليهم لمن لم يعتنق الدعوة بل يرون واجب الخروج عن طاعة من خالفها وأخذ أهل صبيا أنفسهم يتصلون بالفلقي ويعربون له عن رغبتهم في الاستجابة للدخول في الدعوة لولا خوفهم من أميرهم ناصر بن منصور الذي يرتبط إدارياً بسلطة ابن عمه علي بن حيدر أمير المخلاف العام .

شعر أمير صبيا بالخطر يزحف نحو منطقته في تؤدة وثبات ، فسارع الى الاتصال والاستنجاد بمرجعه فورده الرد بالتَّريُّثِ ، وفي تلك الأثناء حان وقت خروج خراص المزارع فبعث أمير المخلاف العام الخرَّاص إلى الجعافرة فمنعوهم عن مباشرة الخرص ، فعادوا أدراجهم ، عند ذلك تأكد للأمير مخالفتهم فتحفز لغزوهم .

التجهيـز :

جمع الأمير ابن حيدر جموعه من يام وغيرهم وكتب إلى عمه حمود بن محمد الذي

كان مُتغيِّباً في مزارعه بوادي تعشر يحثه على الإسراع للاشتراك في الحملة وكان لديه عدد من الخيل ، فوصل على أهبة الاستعداد على رأس مِقْنَبِه ، ومن أبي عريش سارت الحملة الى غربي وادي صبيا ، وعسكرت بموضع يسمى الحجرين وهناك قابلهم أمير صبيا على رأس من استعدَّ بهم للاشتراك في الحملة .

شعر الجعافرة بهذا الغزو الذي يهدد كيانهم ، ويقضي على الدعوة التي تشربوا مبائدها ، فصمموا على الدفاع ، وأقبل أهل الجهة الشمالية من المخلاف لمساعدتهم ، وبعد أن تم تجمعهم في قرية الجارة نهضوا الى قرية البطيح ، ومنها تقدموا لمهاجمة الحملة العسكرية في الحجرين .

المعركـــة :

بالطبع أنه لم يكن لدى الجعافرة وحلفائهم الاستعداد الكافي لصد القوة المهاجمة التي يقودها أمير المخلاف السليماني العام نفسه ، والتي هي على كامل الأهبة والاستعداد لمعركة يترتب على نتيجتها بقاء سلطته ونفوذه ، وقد اشترك في تلك الحملة كافة آل خيرات بخيلهم وأتباعهم لعلمهم أنها معركة الحياة أو الموت بالنسبة إلى نفوذهم العائلي وسلطتهم المحلية ، لذلك فالنتيجة معروفة من المقدمة ، فقد انتهت المعركة بهزيمة الجعافرة وحلفائهم .

وبعد انتهاء المعركة عاد الأمير الى معسكره بالحجرين ظافراً وأقام به زهاء شهر حتى اطمأن إلى استقرار الأحوال ثم انصرف عائداً إلى أبي عريش :

الخلاف بين الأمير علي بن حيدر وعمه حمود بن محمد :

لم تمض إلا أيام قلائل على عودة الأمير حتى نشب الخلاف بينه وبين عمه حمود بن محمد على الإمارة ، وتطور الخلاف إلى قتال استمر نحو ثمانية أشهر .

عرار بن شار الشعبـي :

قد مر بالقارىء الكريم في ثنايا الصفحات الماضية الكثير من حوادث قبيلة بني شعبة

واتخاذها الغارات والسطو مرتزقاً فشبّت أجيال منهم على الغزو وروح الفروسية والكفاح وقد أصابت وأصيبت من جراء ذلك بما يصاب ويتعرض له أمثالها من الغرم والغنم ، وكانت روح الفروسية والنزعة الحربية المشبوبة في أفرادها بالطبع لا تهدف إلى سلطان أو غاية سامية من مذهب ديني أو مبدأ سياسية ، مما يرتقي بتلك الروح الى ما يصبو إليه أصحاب المبادىء القويمة أو الغايات السامية ، ومن البديهي أن مثل تلك الروح مهما تأججت جذوتها واشتدت قوى نزعتها تحور الى الخمود والتلاشي ، لهذا قابلت القبائل الأخرى تلك النزعة العدائية بمثلها حتى أصبحت مهمة الأولى تحفها الصعوبة والمخاطر ، فجنحت إلى تلمس سبل الخلاص ، وأخذ نفر من أفرادها يفكر في منهج وغاية تصرف إليها قوة طاقتها الكفاحية ونزعتها الحربية .

وفي تلك الأثناء كان تباشير الدعوة الوهابية قد سرت تياراتها إلى قبائل شهران ، وامتد نفوذها إلى عسير ، فدفعت بعرار بن شار بصيرته النفاذة وروحه المتعطشة إلى اليقين أو السيادة إلى اعتناق الدعوة ــ وبالطبع أنه علم بهجرة الكثير ممن نالوا التوفيق والحظوة كآل المتحمي وغيرهم ــ لذلك اتصل بأمير بيشة وعاهده على اعتناق الدعوة ، والقيام على بثها في قبائل بني شعبة وانتهى ذلك الاتصال بعودته إلى قومه داعية من دعاة الدعوة الوهابية ، فأطاعه ذووه الأدنون والبعض من قبائله ، ووقف الآخرون ضدّ ما يدعو إليه فتوقف ورفع بالواقع فوصله الأمر بالانتظار ، وصدرت أوامر الدرعية إلى حزام بن عامر العجاني بالتحرك إلى الجنوب على رأس مائة فارس وخمسمائة ذلول » .

وصلت سرية حزام إلى درب بني شعبة فالتقاها عرار ، وسار بهم إلى المتخلفين فصحبهم واستولى على دورهم وأرغمهم على الدخول في الطاعة وبذلك استوثق له الأمر وأصبح الزعيم وشملت منطقة نفوذه بلاد آل موسى وأهل قناوبني زيد وغيرهم من أهل سافلة الحجاز إلى الشقيق وعتود .

تقدم حزام إلى المخلاف :

وفي الدرب وافاه الداعية الثاني (أحمد بن حسين الفلقي) وصحبه إلى المخلاف وفي خبت السيد ، اشتبكت السرية في قتال مع أهل الخبت فهزمتهم ووالت تقدمها .

السرية السعودية في المخلاف :

هرع سكان المخلاف إلى أمير صبيا منصور بن ناصر يطلبون منه مصالحة حزام بن عامر تجنباً لإراقة الدماء وصَوناً للحرمات فجمع الأمير كافة أعيان المنطقة وأخذ معهم في استعراض الموقف والتشاور في الأمر ، وفي أثناء إجتماعهم وصل الفلقي يحمل إنذاراً من حزام فأجمع رأي المؤتمرين إلى إرسال وفد إلى الأمير العام للمخلاف السليماني لعرض الإنذار وتلقي أمره النهائي حيال الموقف ، وفي أبى عريش تقرر أن يرسل من يمثل جهات المخلاف ليقابل حزاما وفعلا تألف الوفد من :

١ ـــ الأمير يحيي بن محمد الخيراتي عن منطقة أبي عريش

٢ ـــ شيخ الإسلام أحمد بن عبدالله الضمدي عن منطقة ضمد

٣ ـــ الأمير منصور بن ناصر بن محمد عن منطقة صبيا .

وصل الوفد إلى معسكر حزام في الحجرين ، وبعد المقابلة تم الاتفاق بينه وبينهم على الدخول في الطاعة وأعطوه العهد والبيعة للإمام عبد العزيز بن سعود فأنابهم على جهاتهم كالآتي :

١ ـــ يقوم الأمير يحيي بالإمارة والدعوة في منطقة أبي عريش .

٢ ـــ يقوم الأمير منصور بالإمارة والدعوة في منطقة صبيا ، عدا منطقة بيش والجعافرة التي داعيتها الفلقي .

٣ ـــ يكون شيخ الإسلام أحمد بن عبدالله مرجعاً لكليهما في الأمور الدينية .

وبذلك اعتبر حزام أن مهمته انتهت فقوض خيامه عائداً الى نجد :

الاتفاق بين الأميرين علي بن حيدر وحمود بن محمد :

بعد رحيل حزام لم تستقر الأمور لأن المنازعة بين الأميرين استؤنفت على أشد مما كانت وأخيراً تنازل علي بن حيدر لعمه عن الإمارة ، ورفع بتنازل الأول وتولية حمود إلى إمام صنعاء فوردت الموافقة .

إمارة الشريف حمود بن محمد : تولى الإمارة كما مر آنفا ـــ على أثر الصلح الذي تم بتنازل ابن أخيه علي بن حيدر ـــ وكان الوضع السياسي في المخلاف السليماني كالآتي :

١ ـــ من وادي ضمد وجنوباً تحت سلطة حمود .
٢ ـــ وادي صبيا تحت سلطة الأمير منصور بن ناصر.
٣ ـــ من صبيا شمالاً وغرباً الى بيش تحت سلطة أحمد بن حسين الفلقي ما عدا قرية الملحا فإنها عائدة لصبيا .
٤ ـــ من بيش شمالاً إلى رجال ألمع تحت سلطة عرار بن شار

أول سرية يبعثها الأمير حمود :

استصرخ أهل (المَلْحا) حموداً على الفلقي الذي اتفق مع عرار على غزو قريتهم فبعث سرية بقيادة ابن أخيه يحيي بن علي ووزيره حسن بن خالد الحازمي فتقدمت السرية إلى أن شارفت مدينة صبيا وطلبت من أميرها (منصور) الاشتراك في القتال فاعتذر ، فوالت سيرها حتى عسكرت في قرية السلامة السفلى فتحرك الفلقي ـــ الذي كان يقوم بنشاط تجمعه في قرية (أم الخشب) لمقابلتهم وعسكر في موضع يسمى (مشرف) غربي (قرية السلامة العليا) ونشب القتال فانهزم الفلقي متقهقراً إلى (أم الخشب) .

حركة عرار بن شار :

علم «عرار» بهزيمة الفلقي فسارع على رأس جموعه نحوه ، وهنا سنحت الفرصة لأمير صبيا ـــ الذي كان على غير وفاق مع عمه حمود ـــ فتظاهر بالرغبة في انقاذ الموقف فكتب إلى كل من عرار وقائدي حمود يرجوهما التوقف عن القتال حتى يصل إليهما لتسوية الموقف ، فاستجابوا لرجائه .

وفي يوم ١٥ ذي القعدة عام ١٢١٦ خرج منصور من صبيا في زهاء ألف مقاتل وضرب خيامه بين المعسكرين وقام بالاتصالات والتوسط بين الفريقين حتى تمكن من عقد هدنة بينهما تقضي برجوع كل فريق إلى جهته ، وعملا بمقتضاها عادت سرية حمود إلى أبي عريش .

أما عرار فبدلاً من أن يعود إلى الدرب تقدم على رأس كوكبة من فرسانه ، واحتل حصن السلامة السفلى ، وهناك اجتمع به منصور بن ناصر وتم بينهما في هذا الاجتماع

العهود والمواثيق ، وتقبل الأخير الدعوة الوهابية والبيعة السعودية وتعهد بأن يقوم بالدعوة لها في المجاورين لمنطقته وعلى أثر ذلك عاد كل منهما إلى جهته .

الأمير منصور بن ناصر :

عاد إلى صبيا بعد اجتماعه بعرار معلناً انضمامه إلى الإمام عبد العزيز بن سعود ونادى بمنع تعاطي التبغ وكان قبل ذلك من أكبر متعاطيه فصمم على تركه وقال : قَبِيْحٌ بنا أن نؤدب الناس على تعاطي التبغ ونحن نتعاطاه .

الخلاف بين الأمير منصور وعمه الأمير حمود :

علم حمود ابو مسمار بموقف ابن أخيه فثارت ثائرته وعزم على مبادأته القتال فأشار عليه إخوانه بالتريث ، قائلين له : إنه ابن أخيك ، فعليك أولاً بقتال الفلقي وعرار فإن تم لك التغلب عليهما فنحن نضمن لك طاعته .

استعداد منصور :

اتصلت الأنباء بمنصور فأخذ في الاستعداد والأهبة وأجرى القلْمة على أهل منطقته أي عملية احصاء حملة السلاح ، فبلغ عددهم ثلاثة آلاف محارب واستدعى أهل الخيل فاجتمع له ما يريد ، فأمر بالتعبئة وانتظر على قدم الاستعداد وكتب لخليفة عرار مستنجداً فتحرك نحوه على رأس جموعه ورابط في بيش .

تقدم حمــود :

تقدم من أبي عريش على رأس خمسمائة محارب وسبعين من الفرسان في آخر شهر ذي الحجة عام ١٢١٦ هـ وفي أثناء الطريق بعث بعض إخوانه إلى (منصور) يطلب منه أن يلزم الحياد ولا يتدخل فيما بينه وبين عرار والفلقي ووالى تقدمه حتى عسكر (بالدحل) بضم الدال المشددة وسكون الحاء المهملة بعدها لام ساكنة) موضع بين قريتي السلامتين العليا والسلفي .

المعركـة :

وبمجرد أن علم عرار بوصوله الدحل تقدم لمهاجمته ونشب القتال وانتهت المعركة بهزيمة عرار إلى حصن السلامة السفلى ، وعاد حمود الى معكسره أما عرار فقد رحل من حصن السلامة عائداً الى الدرب .

أقام حمود عشرين يوماً في معسكره السابق ، ثم رحل عائداً وعسكر في قرية الباحر ، ومنها قام بمناورة حربية لقصد التأثير على منصور ، وإرهابه بَيد أنَّ هذا قد استعد لما هو أكبر من مناورة ، فلم تسفر عن التأثير المطلوب ، وبعد واسطة ومساعٍ من قرابة الطرفين اتفق منصور بعمه في قرية الباحر وهو في أهبة وحذر ولم تسفر المقابلة عن نتيجة وارتحل حمود إلى أبي عريش في محرم ١٢١٧ .

السرايا السعودية في المخلاف :

على أثر تلك الحركة التي قام بها حمود في شهر ربيع الأول من تلك السنة تحركت عدة سرايا إلى المِخْلاف بقيادة حزام بن عامر العجماني وزبران القحطاني وكان وجهتها قبائل الحسيني وضمد ، الموالية لحمود وعسكرت أولاً في قرية الحجرين واستدعى قائداها كل من عرار والفلقي ومنصور بن ناصر فأقبل كل منهم على رأس أهل طاعته على غاية الاستعداد وهناك عقد مؤتمر لتوحيد وتنسيق خطة الهجوم ، وتحديد الهدف فاتفق الرأيُ على مهاجمة ضَمَد بصفته في نظرهم مركز النشاط الروحي والعلمي للزيدية في ذلك التاريخ .

زحفت القوات على ضمد ، وبرغم المقاومة الشديدة من أهله والجنود الذين بعثهم حمود ، فقد لحقت بهم الهزيمة الماحقة والقتل المروع وأحرقت المدينة وانتهبت الأموال .

عادت القوات السعودية الى صبيا وهناك تجدد العهد بين كل من عرار ومنصور والفلقي واتّحدا على تأليف جهة مشتركة ضد حمود والموالين له وانصرفت السرايا عائدة إلى نجد .

كتب حمود إلى إمام صنعاء مستنجداً بعد أن وضح له كل ما وقع وما يتخوف منه

مستقبلاً فلم يظفر بسوى المواعيد ورفعت الجهة المشتركة إلى الدرعية عما علموه عن اتصالاته بصنعاء وما يخشونه من وصول الإمدادات إليه فصدرت أوامرها إلى عبد الوهاب بن عامر بالتحرك لإخضاع حمود فاستنفر جميع قبائل عسير وشهران وقحطان كما صدرت الأوامر إلى منصور والفلقي وعرار بالتأهب والاسنعداد ، والتقدم الى أبي عريش تحت قيادة عبد الوهاب الذي وصل صبيا في ١٢ رمضان في عشرين ألف مقاتل غير من انضم إليه من أصحاب الزعماء الثلاثة .

ومن صبيا تقدم إلى أبي عريش حتى عسكر قبيُّلها بنحو ميلين وامتد عسكره من غرب المدينة إلى الجبل المعروف (بالجرد) .

استعدادات الدفاع :

استعد الأمير حمود للدفاع فرتب الحصون وأقام الاستحكامات وحشد المقاتلة في الخطوط الأمامية خارج المدينة وفي أطرافها الشمالية ، وعبّأ فرقة من الفرسان رابطت في غرب المدينة لصد غارة الخيل المهاجمة عن اقتحام (محلة الديرة) حيّ الأمير وأسرته من آل خيرات وأناط قيادتها بابج أخيه (علي بن حيدر) .

خطة الهجوم :

أراد عبد الوهاب أن يوجه الهجوم الرئيسي على محلة (الديرة) فإن سقطت هام الاستيلاء على المدينة مضمون واتفق معه على هذا الرأي عرار ابن شار الذي قد اتصل به رؤساء تلك المدينة موضحين له أنهم مرغمون على القتال وكان قد بلغ حمود خبر هذا الاتصال فقبض على أولئك الرؤساء وزجّ بهم في السجون ، بلغ منصور بن ناصر خطة الهجوم فأدركته عاطفة القرابة ودفعه الاشفاق على عمه وذويه ، فسارع إلى (عبد الوهاب) وما زال به حتى تمكن من حمله على تعديل خطته وتوجيه الهجوم على المدينة وتعهد له في حال تسليمها أنه يضمن خضوع عمه وبقية أسرته ، وهكذا اصطلى أهل المدينة بسعير نار المعركة الساحقة وكانوا دريئة للسيف ووقاية للعنصر الاستقراطي المتحكم .

الهجـوم :

عبأ عبد الوهاب جيشه وقسمه الى ميمنة وميسرة وقلب ، وجعل الخيل في الطليعة في مقابلة خيل حمود ، وجعل من وراء الخطوط رجالا تسوق الفرق المهاجمة وتحثهم على التقدم بل تدفعهم إلى الهجوم الخاطف .

وقبل فجر يوم الجمعة الموافق ١٥ رمضان عام ١٢١٧ لعلعت أصوات المؤذنين في ذلك المعسكر المترامي الأطراف فدوَّت أصواتهم تردد صداها الروابي والآكام ثم صلوا الفجر جماعات وتقدموا صوب المدينة تدزي أصواتهم بالتكبير وتردد شعار الهوم : (يا مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين) فاكتسحت الخطوط الأمامية واندفعوا نحو (الحصون) واحتدمت المعركة وسالت الدماء جداول ، واستبسل المدافعون استبسالاً يفوق الوصف بيد أن إقدام المهاجمين وارتقاءهم الى الحصول على جثث القتلى سهل كل صعب فسقطت في ايديهم حصناً حصناً ، ونجا من نجا من المدافعين إلى (الديرة) ففتّ ذلك في عضد المتحصنين داخلها ، وقاموا على حمود يرجونه طلب الأمان والتسليم فامتنع وعدَّه منهم ضعفاً ، عند ذلك أرسل علي بن حيدر وأبو طالب بن أحمد وغيرهم مندوباً يطلب لهم الأمان فأرسل لهم عبد الوهاب رجلاً من أصحابه ليتولى حمايتهم ويؤمنهم وبوصوله صاح بأعلى صوته : (أخبركم وأنا فلان أن علي بن حيدر قد دخل مع المسلمين) فكفوا الحرب عن داره .

اسقط في يد حمود وساوره الوهم بأنه ربما يكون تسليم علي بن حيدر ما يهيىء له تولية الإمارة فسارع بإرسال مندوب يطلب الأمان فأعطي له ، وبذلك انتهت المعركة بالتسليم والخضوع .

في يوم الأحد الموافق ١٧ من ذلك الشهر سار حمود من بيته إلى المعسكر السعودي ودخل على عبد الوهاب فلم يحفل به في باديء الأمر ، فكاد أن يعود من حيث أتى بيد أنه تمالك نفسه ومدَّ يده للمعاهدة على دين الإسلام والتبرِّي من كل دين سواه وعلى السمع والطاعة للإمام عبد العزيز بن سعود ، وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه والقيام بالدعوة ، فبعد ذلك أقبل عليه عبد الوهاب وتلطف معه في الحديث ، وانصرف حمود عائداً إلى بيته .

الرحيـل وإنابـة من يقـوم بالإمارة :

أخذ كل من القادة المرافقين لعبد الوهاب يتقدم باقتراحه حول من ينوب على إمارة المخلاف فكان رأي منصور أن يتولاها (علي بن حيدر) وعرار والفلقي يقترحان إعادتها إلى (حمود) وبعضهم أشار بتولية (يحيي بن محمد) الذي سبق أن أعطى العهد لحزام بن عامر العجماني ، وأخيراً ترجح لعبد الوهاب أن يعيدها (لحمود) صاحبها الأول فاستدعاه إلى المعسكر وبحضور القادة وكبار أسرة (آل خيرات) استدناه وطلب منه العهد على القيام بأمور الإمارة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والسير على كتاب الله وسنة رسوله ، وقتال من وراءه من أهل اليمن ومبايعة إمام (صنعاء) وقال له : إن شرط تثبيت إمارته يتوقف نهائياً على موافقة الإمام (عبد العزيز ابن سعود) وطلب من الحضور السمع والطاعة له واعتباره أميراً عليهم ، وفي يوم الخميس ٢٩ شوال ١٢١٧ ، ارتحل من أبي عريش عائداً فمر الدرب ومنه تقدم إلى الحجاز .

الأمـير حمـود بن محمـد :

بعد رحيل القائد السعودي خرج في حركة تأديبية لجهة بني الْحُرِّثِ فأخذ منهم الرهائن وبعد تجوله في تلك الأنحاء سير (سرية) من الخيل بقيادة ابن أخيه علي بن حيدر إلى اليمن ، وكان حمود وهو المحارب المعروف المجرب والشجاع المشهور ، قد استفاد من أساليب وتكتيك وخطط الدعوة الوهابية وحركاتها الهجومية ما سهل له سبيل الاستيلاء على الكثير من أنحاء اليمن باسم الإمام عبد العزيز بن سعود .

بعد رحيل عبد الوهاب الذي علق أمر تثبت إمارة حمود بموافقة ابن سعود ظل حمود متخوفاً وأخيراً بعث وفداً إلى الدرعية برئاسة الحسن بن بشير وأصحبه بكتاب يتضمن قبوله للدعوة واخلاصه في الطاعة وان الله قد شرح صدره لتقبل الدعوة الخ ، وأوعز الى رسوله بأنه إذا رأى الفرصة سانحة أن يرجو الإمام فصل إمارته عن عبد الوهاب وربطه بالدرعية مباشرة ، وقد عاد رسوله يحمل رسالة شفهية من الإمام تتضمن الثقة به والتعويل عليه وعلى أثرها شمر واجتهد في غزو اليمن لينال الحظوة لدى الإمام .

كانت هيبة السعودية قد سرت في أرجاء اليمن بل الجزيرة العربية وهيّأت النفوس لتقبل الدخول في طاعتها وفي شهر ذي القعدة من تلك السنة تقدمت تلك السرية إلى الجهات الجنوبية تعرض على الناس الدخول في الطاعة ، فن قبل أخذ منه العهد ومن أبى وامتنع أعلنته الحرب ، وما وراءه من غارات السرايا السعودية ، وبتلك السرية التي قوامها ثلاثون فارساً دخل بنو مروان على قوة شوكتهم في الطاعة فأخذ منها العهد ومقاتلة من وراءهم ثم أمَّرت عليهم شخصاً منهم يسمى علي بن أحمد معوز ، واستصحبت مجاهديهم وتقدمت تلك السرية صوب الجنوب فأقبلت إليها قبائل بني حسن وعبس تعلن الطاعة فولت عليهم شخصاً من آل ثواب ووالت تقدمها .

وهنا ملاحظة يجب الإشارة إليها ، وهي أن قبول تلك الدعوة تجعل القبيلة تشعر بأهمية مكانتها ومشاركتها الفعلية في الحكم فأميرها منها وعليها أن تقوم بإحياء رسوم الدين عملياً من أداء الفروض جماعة وتأديب المتواني والمتخلف فتهذب بذلك طباعها وتلين بالتقوى قلوبها وتتوحد عقيدتها وتتقارب ميولها وتتجه الى خالقها في الشدة والرخا غير متوسلة بواسطة فالنافع والضار هو المولى تعالى ، فتزول الفوارق الطبقية ويصبح لا فضل لأبيض على أسود إلا بالتقوى ويصبح الفرد لبنةً في البناء القومي والصرح الاجتماعي ، وتقرأ عليهم مبادىء التوحيد في المساجد بصورة سهلة مبسطة وبمشاركته في الجهاد تتنبه فيه العزة ومعاني الكرامة — وقد اعتادت الإمارات السابقة أن تستعين بمرتزقين لتوطيد سلطانها كما مر بك — لأنها لا تعول أو لا تثق بأبناء إمارتها .

وهكذا تم لتلك السرية ضم تلك البلاد وإدخالها في الطاعة إلى أن بلغت الواعظات ، وبعدها أخذ قائدها في العمل على دعوة قبائل وادي مَوْر ، حتى إذا اطمأن إلى صدق استجابتهم ، كتب إلى عاملهم يطلب منه التسليم — وشعر العامل بحراجة موقفه ، فليس لديه القوة الكافية للمقاومة ، وقد لمس جنوح القبائل إلى الدعوة ومرجعه في صنعاء في شغل شاغل عنه ، فاضطر إلى مغادرة مركزه إلى عامل اللُّحية الأمير صالح بن عبد الملك ، وبذلك انضم وادي مور إلى حمود ، كما أن اللحية نفسه غادرها عاملها ناجياً إلى الحديده فكتب الأهالي إلى قائد السرية بالواقع ويطلبونه إرسال من ينوب عليها من طرفه .

وصلت البشائر إلى الأمير حمود بدخول وادي مَوْر في الطاعة وقبول الدعوة فسارع بالتحرك وفي اليوم الذي وصل فيه مور وصل كتاب أهل اللحية بفرار عاملها وطلب إرسال نائب لاستلامها فتقدم بنفسه ودخلها وطالب تجارها أموالاً جزيلة بحجة إرسالها للإمام عبد العزيز بن سعود فاضطروا إلى دفعها له مرغمين ، وبعد أن أقام بها اسبوعاً أسند إمارتها الى محمد بن قيراط ورحل عائداً إلى مور ومنها بعث ابن أخيه يحيي بن حيدر غازياً إلى جهة الحديدة في آخر الحجة ١٢١٧ ، أقبلت إليه رؤساء عشائر تهامة من (صليل) إلى القحرية معاهدين على دين الإسلام والتبري من كل دين سواه وعلى السمع والطاعة للإمام عبد العزيز وهكذا أصبح أمر تلك الجهات عائداً إليه إلى بيت الفقيه وبعد أن انتهى من ضمها وذلك في أول المحرم ١٢١٨ عاد إلى أبي عريش ومنها خرج الى قرية الجنة من قرى وادي خلب كان اختطها عمه الحسن ابن أحمد وبنى بها معقلاً منيعاً ، وفي أثناء إقامته بها تواردت عليه السرايا السعودية من قحطان والدواسر والعجمان وشهران يطلبون منه مصاحبته لغزو اليمن .

الغـزو :

سار حمود على رأس السرايا السعودية لليمن وكانت الأمنية التي تداعب فؤاده هي الاستيلاء على مدينة الحديدة فوالى تقدمه حتى خيم على أطرافها وكتب إلى عاملها صالح بن يحيي العلقي ، وقاضيها محمد بن أحمد مشحم ، يدعوهما الى الدخول في الدعوة والخضوع للطاعة فعاد الرسول إليه بدون جواب .

وعلى الأثر خرج العامل لقتاله فقابله على رأس السعوديين فولى العامل مهزوماً والتجأ الى قلعة (الصديقية) أعظم معاقل المدينة المجهز بالمدافع ، وحالا صبت نيران مدافعها على المهاجمين فأرغمتهم على التراجع وأصيب حمود بمسمار قذيفة في صفحة عنقه فطلبت منه السرايا العودة والاتجاه الى جهة أخرى ، فتقدم بهم عن طريق الساحل إلى (غلافقة) ثم إلى (المجيليس) إلى أن بلغوا قرية (التحيتا) من قرى زَبيد فانتهبوا مواشيها وعاد بهم إلى المخلاف السليماني بالطريق العليا .

المطالبة بالانفصال عن إدارة عسير :

كان كما مر بك غير راض عن ارتباطه بعبد الوهاب بن عامر ، وكانت ترد إليه رسل ابن عامر وتقابله بشيء من الاعتداد ، وعدم الخضوع الذي قد أَلِفَه منذ إمارته الأولى من أهل جهته وكان عدا ذلك واسع المطامع ، يرى في هذا الارتباط ما يحد من آماله ويقف في سبل أغراضه فاستدعى ابن أخيه منصور ابن ناصر أمير صبيا ، فوصل إليه وهنالك تبادل معه الرأي حول رغبته في مراجعة الإمام عبد العزيز بن سعود ، في فصل المخلاف عن عسير ، وحبّذا له أن يسعى في المراجعة لنفسه هو أيضاً في الفصل من عسير ، وأن يرتبطا معاً بالدرعية مباشرة ، وبعد المشاورة تمَّ الاتفاق على بعث وفد مؤلف من الوزير الحسن بن خالد ، وأحمد بن حيدر ، يرافقهما منصور عن نفسه للسعي في المطالبة في الانفصال عن عسير أو بالأحرى عن عبد الوهاب وفي تلك الأثناء وردت الأنباء بوفاة الإمام وتولى ابنه سعود فتقرر أن يكون مهمة الوفد التعزية في الإمام الراحل وتهنئة الإمام الجديد في الظاهر ، ثم السعي بعد ذلك في المهمة الحقيقية وأرفقهم بجليل الهدايا ونفيس التحف ، ومما أوصى به وفده .

١ — درس الحالة ومعرفة حقيقة الوضع في العهد الجديد وما يجب عمله للتقرب من سياسة الدرعية .

٢ — السعي في فصله عن إدارة عبد الوهاب وارتباطه مباشرة بالإمام وأن يتعهد باسمه مقابل ذلك .

(أ) بدفع الخراج المعتاد السنوي .

(ب) بجهاد اليمن ونشر الدعوة بربوعه .

واحتياطاً لئلا يتسرب الشك إلى قلب عبد الوهاب ، في الحقيقة السرية لمهمة الوفد فيعمل على تأخيره أو احباط خطته كتب إليه مقدماً يحيطه بأنه عازم على إرسال وفد إلى الدرعية للتعزية وتجديد البيعة وبالطبع لم يسع عبد الوهاب إلا السماح له .

وصل الوفد إلى الدرعية فاستقبله الإمام استقبالاً حسناً وبعد تقديم التعزية وتجديد البيعة أخذ في العمل حول مهمته الرئيسية واتصل بأبناء الشيخ محمد ابن عبد الوهاب

وهم حسين وعبدالله وعلى وتقدم إليهم بما يحمله من الهدايا باسمهم وشرح لهم موقف حمود من مناصرة الدعوة والعمل على تفانيه في نشرها مستدراً بذلك عطفهم وراجياً مساعدتهم في فصله عن عبد الوهاب وارتباطه بالدرعية وسعى الوفد السعي الحثيث إلى أن تمكن من موافقة الإمام على الفصل كالآتي :

١ ـ فصل إمارة المخلاف عن عبد الوهاب وربطها بالدرعية مباشرة .

٢ ـ فصل إمارة صبيا عن عبد الوهاب وربطها إدارياً بالدرعية ما عدا أمر الجهاد فهو مرتبط بعبد الوهاب .

عاد الوفد إلى حمود يحمل الموافقة بالانفصال عن عبد الوهاب والارتباط بالدرعية فكان ذلك صدمة لعبد الوهاب ومن تلك الساعة أخذت المنافسة تحتدم وتتحول إلى مؤامرة ودسائس وتشكل من الحرب الباردة اجتذاب الأنصار وحشد القوى استعداداً للساعة الحاسمة .

وفي شهر رمضان ١٢١٧ حشد الجيوش لغزو قبيلة (بني حريص) وهي قبيلة في شرق العارضة معروفة إلى الآن بهذا الاسم لا قبيلة حريص المحشر التي في جهة هروب . وجعل مركز التجمع بأعلا وادى جازان وأسند القيادة إلى ابن أخيه علي ابن ناصر وبعد أن استكمل الحشد تقدمت الجنود إلى جهة تلك القبيلة ووقع مناوشات وصل على أثرها عرفاء تلك القبيلة مستسلمين وانتهى الأمر بدخولهم في الطاعة .

وصلت الأخبار إلى حمود باستيلاء عامل الحديدة صالح بن يحيي العاف على قلعة الزيدية فأرسل في الحال قوة لاستخلاصها بقيادة ابن أخيه على ابن حيدر ثم سار بنفسه في عام ١٢١٩ وتمكن من هزيمة واستخلاص قلعة (الزيدية) منه وعقد بينهم صلح تقرر بموجبه أن يكون من (سهام) وشمالاً تحت سلطة حمود منه وجنوباً تحت سلطة (إمام صنعاء) وبذلك عاد صالح ابن يحيي إلى مركزه في (الحديدة) وعاد الآخر إلى أبي عريش .

في عام ١٢٢٠ صدرت الأوامر من الإمام سعود على أمير صبيا منصور ابن ناصر ، وعرار بن شار أمير بني شعبة بالنفير إلى الحجاز ، مع عبد الوهاب ابن عامر فسار منصور

على رأس مجاهديه وبعث عرار أخاه عيسى بن شار على مجاهدي بني شعبة ولم يلحق الأخير بعبد الوهاب إلا بعد وصوله الى الليث وكأنَّ عبد الوهاب قد شعر بميل عرار إلى صفِّ خصمه أو منافسه حمود فاتخذ من تأخرهم هذا حجة للنكاية بعرار فوبخ عيس بن شار ورؤساء أصحابه وقد توفق في هذه الغزوة ضد أمير مكة وعندما بلغ حَلي في عودته أخذ خيل بني شعبة عقاباً لهم على ذلك التأخر ، وكان عمله هذا من أقوى الأسباب لما وقع بينه وبين عرار كما سنوضحه .

عاد مجاهدو بني شعبة أن أخذت خيلهم فأنف عرار مما صار على عشائره ويظهر أن حموداً قد شجعه على الانفصال عن عبد الوهاب وتعهد له بالمساعدة وأوضح له أنه لا يقل أهمية في نظر الإمام عن عبد الوهاب وحثه على العمل لذلك ، وقد دفع حمود إلى هذا أنه لا يأمن من تغلب عبد الوهاب عليه لمكانته وسابق مواقفه وإخلاصه ، وما ناله مؤخراً من النصر في غزوة الحجاز مما قد يجعل الإمام سعودا يرى في إعادة ربط المخلاف به مكافأة لإخلاصه وتمكيناً لضمان طاعة حمود الذي فيما سبق كان من حزب إمام صنعاء لهذا نرى عراراً يجاهر بأنفته من الارتباط بعبد الوهاب وعلى أثر ذلك توترت العلاقات بينهما ويظهر أن أخذ عبد الوهاب لخيل مجاهدي بني شعبة عدا ما فيه من النيل والاهانة المواجهة لعرار كان أيضاً يرمي إلى ما هو أبعد من ذلك وهو الاستيلاء على معدات عرار الحربية مقدماً .

وعلى كل فقد اتصل عرار برؤساء قبائل رجال ألمع واتفق معهم على الثورة ضد عبد الوهاب خاصة وكان المقصد من وراء تلك الحركة أن يناوىء سلطته حتى تصل الأخبار بسعود فيرسل من ينظر في الأمر وهناك تسنح الفرصة في رفع استصراخهم وتظلمهم من عبد الوهاب وطلب رفعه عنهم أو على الأقل فصلهم عنه وجعل عرار أميراً منفصلاً على رجاله وبني شعبه مرتبطاً بالدرعية أسوة بحمود .

وكان واسطة الاتصال بين عرار وحمود أمير صبيا منصور بن ناصر وقد سرا بهذه الخطوة من عرار بيد أنه عراراً ظل متخوفاً من الخطوة الثانية ، فتوجه إلى أبي عريش لمعرفة مدى المعاونة والمساعدة من حمود ، فطمنه هذا وعاهده على المعاونة والمقاومة

وتأليف جبهة موحدة تقف في وجه عبد الوهاب ان حزب الأمر ، فعاد عرار إلى جهته ولديه بعض الاطمئنان .

لم تخف هذه المخالفات والمؤامرات على عبد الوهاب فرفع بالواقع للدرعية وسار بعد ذلك لمهاجمة رجال ألمع التي سارعت في الكتابة لعرار تستعجله الوصول لنجدتها .

سارع عرار إلى رجال ألمع على رأس من أطاعه من بني شعبة بعد أن كتب إلى حليفه حمود يستمده حسب الاتفاق ورفع إلى الدرعية راجياً إرسال وفد للنظر والتحقيق في ما يدعيه من تعديات عبد الوهاب وكان يؤمل أن في استطاعته المقاومة إلى أن يصل الوفد بوصوله إلى رجال تقدم منها إلى الشعبين فلم يصل إلى أطرافها إلا وقد قبض رجال عبد الوهاب على زمام الأمر فيها وقام المطاوعة والفقهاء في الأسواق منددين بعرار معلنين أنه ممن يسعى في الأرض فساداً ، فعاد إلى رجال ألمع فوجد أن الدعاية قد سبقته والرعب قد عم أهلها فانسحب عائداً إلى الدرب بصحبته بعض رؤساء رجال ألمع ممن يخاف على نفسه من المؤاخذة والعقاب .

علم عبد الوهاب بفشل عرار وانسحابه فتقدم إليه على رأس عشرة آلاف مقاتل سالكاً طريق عقبة مناظر ، ووالى تقدمه حتى انتهى إلى مسيل وادي عِتْود فسار في مجراه إلى أن وصل إلى موضع يسمى الجنبين — تثنية جنب — وجعل جبل عكاد على يساره وطرح في الجنبين المار ذكرها .

عـرار ينسحب مـن الـدرب :

أدرك عرار أن لا طاقة له بالمقاومة فارتحل بأهله وحاشيته وخيله ، وما استطاع حمله وبرفقته خمسمئة من أهل رجال ألمع قاصداً حليفه حموداً ، وتقدمت طلائع عبد الوهاب على قرية الدرب فألفتها خالية وعلى أثر ذلك دخلها الجيش فهدم الحصون وأحرق الدور وأستولى على كل ما وجده وأقبل إليه قبائل بني شعبة والشقيق وعتود فأخذ منهم السلاح وأمنهم وجعل عليهم أميراً من قبله .

عزم عبد الوهاب على غزو المخلاف السليماني ثانية :

عزم على غزو إمارة حمود فبدأ بتجهيز السفن من الشقيق لغزو اللُّحيَّة وفي أثناء ذلك أقبل وفد من الدرعية للنظر في الخلاف فتوقف :

الوفـد :

وصل الوفد واتفق أولاً بعبد الوهاب وسلمه أمر الإمام سعود وأمره حالا بالرحيل إلى عسير وتسريح الجند والتوجه إلى الدرعية فصدع بالأمر وعاد إلى عسير ومنه تأهب للرحيل إلى الدرعية .

ووالى الوفد سيره إلى أن وصل صبيا فقابل أميرها منصور بن ناصر — الذي تلقاه بغاية الحفاوة والتكريم ، فسلموه أمر سعود بمثل ما صدر إلى عبد الوهاب فتلقى الأمر بالامتثال والقبول وسار الوفد إلى أبي عريش .

الوفـد في أبي عريش :

وصل الوفد فقابله حمود بالحفاوة والإكرام — وكان سَخياً بالمال في تلك المواقف فغمر الوفد بالإكرام وحسن المقابلة وجميل الانعام ، ثم تخابر مع الوفد بشأن مهمته فسلموه الأمر الذي يقضي بتوجهه إلى الدرعية ومعه عرار بن شار ، فلم يسعه إلا التظاهر بالامتثال والقبول — وقد عظم عليه الأمر وتحرج الموقف — وراح يعمل جاهداً على استمالة الوفد بشتَّى الطرق ، محاولاً إقناعه بضرورة بقائه متعللاً باضطراب الأمور والتخوف من استرجاع إمام صنعاء للبلاد الجنوبية التي استولى عليها منه باسم الإمام سعود ، ومظهراً له استعداده ببعث ابنه أحمد مع عرار ، بدلاً عنه إلى الدرعية فوافقه الوفد فتنفس نسبياً .

سفـر الوفـد :

استصحب الوفد أحمد بن حمود والوزير حسن بن خالد وعرار بن شار وسار إلى صبيا واستصحب أميرها وتوجه إلى الدرعية .

المحاكمة :

وصل الوفد ومن برفقته إلى الدرعية ، فأمر الإمام سعود بانزال أحمد بن حمود وحسن بن خالد ومنصور بن ناصر في دار الضيافة وأمر باكرامهم — وكان هناك ينتظرهم عبد الوهاب للمحاكمة .

بدأت المحاكمة بين عبد الوهاب من جهة وعرار وأحمد بن حمود ومنصور ابن ناصر من جهة أخرى ، فاتهم الأول عراراً بإثارة الفتنة واتهم الآخرين بمؤازرته وتحريضه ، وأيد دعواه بإبراز وثائق خطية صادرة من حمود ومنصور بن ناصر إلى عرار ، وانتهت القضية بإدانة عرار في الدرجة الأولى فاكتفى الإمام بابقاء عرار لديه والعفو عن الآخرين والسماح لهم بإبقائهم على إمارتيهما على أن يرسل معهم عمال من قبله يشرفون على الإدارة في منطقة حمود ، وأن يتولى أولئك العمال استحصال الخراج ، وأن يسلموا منه مبلغاً معيناً لحمود ويرسل الباقي إلى الدرعية واشترط على وفد حمود .

١ — عدن استخدام رجال همدان إلا إذا دخلوا في الدعوة واستعدوا بإجابة داعي الجهاد .

٢ — أن لا يصالح عمال إمام صنعاء ولا يعقد لهم هدنة .

٣ — أن يصرف لأمير صبيا مبلغاً من خراج اللحيَّة :

أما منصور فقد أعاده لإمارة صبيا كعادته على أن يرتبط في شئون الجهاد بعبد الوهاب كما كان سابقاً بيد أن عمه حمود لم يف له بالشرط الأخير مما أوجب الخصومة بينهما كما ستقرأها مفصلاً .

حمود بعد رحيل الوفد :

بعد رحيل الوفد — كما مر بك قبله — توجه حمود إلى اليمن وكان عامله على حِجة قد ألحَّ عليه في إرسال النجدة ، موضحاً أن الإمام قد جرد جيشاً قويًّا لاستعادتها فسار إلى مَوْر ومنه سيَّرَ قوة إلى الصلبة موضع قريب من حَجَّة — فتمكنت من شق الطريق لعامله المحصور فانسحب من حجة على رأس الحامية بسلام .

وفي عام ١٢٢٠ ابتدأ في إقامة الحدود الشرعية — ونرى أن في إقامتها من قطع يد السارق وقتل القاتل وجلد الزاني المحصن ، ما يشعرنا برغبة في التقرب من السعوديين الحريصين على إقامتها ، كما يوضح لنا أن تسجيل مؤرخي ذلك العهد لها دليل على عدم إقامتها قبل ذلك التاريخ ، وكان لإقامتها هيبة قطعت دابر الإفساد ووطدت دعائم الأمن في انحاء إمارته ، وبعد أن استنفذ عامله عاد إلى قلعة مُوْر ينتظر ما تسفر عنه نتيجة مهمة وفده الى الدرعية .

في أثناء تلك المدة انتهى أمد الهدنة المعقودة بينه وبين عامل الحديدة صالح بن يحيي العلفي الذي استدعى جماعة من يام كجنود مرتزقة فوصلته الكتب من الشيخ علي بن حميدة رئيس قبائل القحرية بأن صالحاً عازم على مهاجمة معقل القحرية فبعث إليه بقوة من رجاله ووعده بالوصول بنفسه بعد ذلك .

الحرب بينه وبين صالح العلفي :

ولّى صالح بن أخيه قيادة الجنود المرتزقة من يام وسيرهم لمهاجمة معقل الرئيس علي حميدة وفي أثناء تسيير تلك الحملة توفي علي حميدة فسار الأمير حمود بنفسه من مور إلى القحرية في أوائل شهر رمضان من تلك السنة .

المعركة :

وبالقرب من مدينة باجل التحمت المعركة بينه وبين جند عامل الحديدة صالح وقبائل من يام — فانهزمت يام بيد أنَّ فريقاً منهم لم يشترك في المعركة أغار على ساقة حمود واستولى على خزانته وجميع الذخيرة والمؤن والرقيق .

الخداع :

كان الأمير حمود يراسل اليامبين المتجندين مع صالح — عاملاً على استمالتهم لجانبه ، وكان صالح بدوره يعمل جاهداً على استمالة جند حمود — الذين هم من قبائل بُكيل — وأخيراً تمكن صالح من استمالة بُكيل ، وفعلاً انضموا إلى معسكره .

وقامت يام كنتيجة لمساعي الأمير حمود بالشغب على صالح ، والإلحاح في مطالبته بأعطيتهم ، وأخيراً اتفق معهم على أن يسلمهم أعطيتهم على أن يتوسطوا بينه وبين الأمير حمود على هدنة لعام واحد ، فقاموا بذلك وأعادوا إليه ابن أخيه واستلموا أعطيتهم وتوجهوا إلى نجران .

تعمير حصن باجل :

أقام الأمير حمود في باجل إلى أن تم تعمير حصن باجل ورتب أمورها ، وفي أثناء ذلك وصله الوفد الذي بعثه إلى الدرعية لقضية المحاكمة يرافقه نواب الإمام سعود الذين بعثهم للإشراف على الإدارة واستحصال الخراج .

عمال الإمام سعود في تهامة اليمن :

استقبلهم الأمير حمود أحسن استقبال وأظهر استعداده لانفاذ كافة أوامر سعود ووزع العمال ومأموري الخراج في اللحية وغيرها ، وبعث جماعة لاستحصال زكوات المواشي ، وعدا ذلك فقد أجزل لهم الصلات مما دفعهم إلى الرفع لسعود بصدق ولائه وقيامه بانفاذ الأوامر ، ووفائه بكافة الشروط التي اشترطها وتعهد بتنفيذها نيابة عنه وفده مقابل اقراره على الإمارة ، وعند اطلاعه على مرفوعات الوفد اطمأن وأخذ في العمل على توسيع رقعة إمارته ضارباً بالصلح المبرم بينه وبين صالح العلفي عرض الحائط ، وبعد أن وصل إلى تحقيق بعض رغباته في التوسع جدد الصلح مع صالح وعاد راجعاً إلى أبي عريش بعد أن أناط أمر القبائل برؤسائهم المحليين كالآتي :

١ ــ على إمارة القحرية ابن علي بن حميدة .
٢ ــ على إمارة العبوس محمد جماعي .
٣ ــ على إمارة الرماة علي بن محمد الرامي .

وبعد وصوله مور رغب في الإقامة واستصلح مساحة واسعة من الأرض وساق إليها المياه ، وفي نفس تلك السنة أي ١٢٢٠ اختط مدينة الزهرة وأمر الناس بسكناها وشيّد بها معقلاً حصيناً .

صالح العلفي عامل الحديدة :

في المحرم عام ١٢٢١ وصله كتاب من غالب أمير مكة ــ ويظهر أنه على صلة صداقة به قبل ذلك ــ يذكر له دخوله في طاعة السعوديين ويلمح له أنه يرى من مصلحته أن ينضم إلى السعوديين ، ويشير عليه أن يتصل بعبد الوهاب ابن عامر ــ وكان صالح في تلك الأثناء قد شعر بسخط إمام صنعاء عليه وعزمه على مصادرة أمواله ــ فكتب صالح لمرجعه بأن مهام مركزه تحتم عليه الخروج من الحديدة إلى بيت الفقيه لتفقد أحوالها وإصلاح أمور قبائلها ــ وكأن غالباً كان على اتفاق مع عبد الوهاب فيما كتبه صالح ، فما وصل هذا إلى بيت الفقيه حتى وردته كتب عبد الوهاب يطالبه بالدخول في الطاعة كما دخل أمير مكة ويحذره وينذره من التواني والتخلف ، وأنه قد أمر عمال الإمام سعود في اللحية بالوصول اليه كما أمر السرايا السعودية أن تتصل به وتتبع أوامره ، عند ذلك سارع الى الدخول في الطاعة وكتب بذلك لعبد الوهاب وألحقه بآخر يستمده لغزو الحديدة ــ لأن رجال إمام صنعاء عندما علموا باتفاقه مع عبد الوهاب حجزوا أمواله وأولاده بها ــ وكان قد وصله مشايخ بادية زَبيد ، يطلبون منه إرسال عمال إلى جهتهم باسم الإمام سعود ، وتعهدوا بقبض عامل إمام صنعاء وتسليمه للسعوديين فأرسل معهم من لديه من الجنود السعوديين .

علم أهل مدينة زَبيد بالواقع ، وتقدم السرية السعودية إليهم ، فانحازوا إلى القلعة وتركوا المدينة فاستولى عليها السعوديون ، ونهبوا ما وجدوه وعادوا إلى صالح ــ بعد أن أبقوا حامية في قرية التحيتا .

رفع صالح بالواقع لعبد الوهاب واستَمَدَّه بإرسال الجنود فصادف اشتغاله بغزو نجران الذي عاد منه بالهزيمة فوعده بإرسال الجنود ، وذلك في شهر رجب عام ١٢٢١ .

الأمير حمود بن محمد الخبراتي :

أما حمود فكان مشتغلاً في حرب شيخ قبيلة صليل الكلفود ، وكان الوضع السياسي في تهامة :

١ ــ من أبي عريش إلى بلاد صليل تحت إمارة حمود بن محمد .
٢ ــ بيت الفقيه إلى التحتيا تحت إدارة صالح بن يحيي العلفي .
٣ ــ الحديدة إلى باجل تحت طاعة إمام صنعاء ؟

اغتنم الأمير حمود الفرصة ــ وكانت المنافسة بينه وبين صالح بن يحيي العلفي على أشدها ــ فأرسل سرية للاستيلاء على الحديدة ــ وكانت ضمن المنطقة التي صدرت الأوامر السعودية بإناطة أمر الدعوة في أرجائها إلى صالح بن يحيي العلفي ــ فاستنكر ذلك عامل سعود ، فأجابهم حمود أنَّ المسلمين يد على من سواهم وأنه هو وصالح في طاعة الإمام سعود .

نظر صالح إلى هذا التصرف من حمود بعين الريبة ــ لأن الحديدة ضمن المنطقة التي خصصت لعمله حسب الاتفاق المبرم بينه وبين عبد الوهاب الذي بموجبه تخلى عن طاعة إمام صنعاء ، وانضوى على أساسها تحت الراية السعودية .

في ذلك التاريخ وصل وفد من عبد الوهاب إلى صالح ، يحمل كتاباً وهدية ، ومهمته الحقيقية التعرف على أحواله ومعرفة مدى إخلاصه وصدق ولائه ، مر الوفد بحكم اتجاه سيره على حمود ، فتلقاه بالحفاوة والتكريم والصلاة الجزيلة واستعرض لهم ما قام به من الأعمال في نشر الدعوة وما ضمه من البلاد الى طاعة الإمام سعود وما يزمع على عمله في مستقبله ، ومن ضمن ذلك أنه بعث سرية إلى الحديدة لإنقاذ أموال وأبناء صالح بن يحيي العلفي والاستيلاء عليها ، وأنه عند الاستيلاء عليها سوف يرفع للإمام فإن أناط أمرها به أو بصالح فالأمر له ، وبالطبع انه منطق عليه مسحة من الاقناع فلم ير الوفد في عمله ما يوجب الانتقاد ، وكإظهار لما هو عليه من القوة والاخلاص بعث في الوقت نفسه وتحت أنظار الوفد سرية بطريق البحر لمساعدة صالح وحماية حصن الدريهمي من أي قوة لإمام صنعاء تحاول مهاجمة صالح في بيت الفقيه ــ قبل وصول الإمدادات إليه من عبد الوهاب ــ إلا أنه بعد ذلك وصلت الإمدادات من عبد الوهاب لصالح فاستتب له الأمر نسبياً .

الاستيلاء على مدينة الحديدة :

انتهى حمود من إخضاع قبيلة صليل ، وقام ببناء حصن في القناوص ، وترك به حامية وسار إلى أن عسكر في ظاهر قرية القطيع من الشرق ـــ ليقطع امدادات إمام صنعاء عن حاميته في مدينة الحديدة المحاصرة من قبل سريته الأولى ـــ وكتب من معسكره إلى عمال الإمام سعود يستحثهم في الوصول بجميع من في تهامة من غزاة الدواسر وقحطان ، ورجا منهم أن يطلبوا من الجنود العسيريين المرابطين في الدريهمي الانضمام الى قواته ، فاستجاب الجميع لندائه ، وبذلك اشتد زنده وقويت شوكته ، وكان جواسيسه يوافونه أولاً بأول عن تحركات قوات إمام صنعاء القادمة لنجدة حامية الحديدة ، فلم تدن إلى تهامة إلا وهو على غاية الأهبة لملاقاتها ، والدراية التامة والمعلومات الوافية بكل ما يهمه عنها من الوجهة الحربية ، فهزمها شر هزيمة وأعادها مدحورة على الأعقاب ، وهناك تفرغ لأمر الاستيلاء على الحديدة ، فبعث أغلب الجنود لشد أزر القوات المحاصرة لها وتضييق الخناق على حاميتها المحصورة حتى أرغمت على التسليم فاستلم المدينة قائده يحيي بن حيدر ، وبعدها دخلها الأمير حمود في موكب حافل واظهر شعار الدعوة السعودية واستدعى عمال الإمام سعود لحصر الأموال وأعلن أنه استولى عليها باسم الإمام سعود .

ومن ثم أخذ في العمل الجاد في ضم ما هو داخل بعهد صالح بن يحيي العلفي وإنقاذاً لخطته تلك بعث أحد أقربائه محمد بن علي فارس على قوة من أهل نجد والدواسر ـــ وأمره بأن يتظاهر بأنه مدد ونجدة بمساعدة صالح العلفي على أهل زبيد ـــ وزوده بكتب إلى مشائخ الزرانيق والقرشيين وأهل التربية يطلب منهم أن يعاهدوا قائده على السمع والطاعة والدخول في الدعوة السعودية وتعهد لهم بأن يولي كل شيخ منهم على إمارة جهته ـــ في حال أن القوم قد عاهدوا صالحاً على السمع والطاعة والدخول في الدعوة السعودية ـــ فمنهم من استجاب لقائد حمود ، ومنهم من تردد ، علم صالح فتقدم على رأس من لديه من عسير وقحطان مسرعاً للاستيلاء على زَبيد ، قبل أن تسبقه عليها قوات حمود ، فلم يصل إلى ضواحيها إلا وقائد منافسه يباريه من الجهة الأخرى فسارع بالهجوم على قلعة زَبيد الذي تحصن بها عامل إمام صنعاء ، فاتصل هذا العامل بقائد حمود ،

وفاوضه في أمر تسليمه القلعة على شرط أن يحتفظ بأمواله والأموال الحكومية فرفع القائد إلى حمود فوردته الموافقة مع مدد من الجنود لطرد صالح وإرغامه على الانسحاب من الميدان ، فصدع القائد بالأمر ، واستعد بالهجوم على قوات صالح ومباشرة طردها فحجز عمال الإمام سعود بين الطرفين وأشاروا على صالح بالرجوع والرفع إلى عبد الوهاب فرجع إلى بيت الفقيه .

وصلت كتب صالح إلى عبد الوهاب بن عامر ، وصادفت عزمه للحج وبعد أن أتم نسكه عرضها على الإمام سعود وأدلى برأيه للإمام نحو ما يراه من ضرورة تأييد صالح ليكون في ذلك حفظ لكفة التوازن في تهامة بخلق منافس لحمود حتى لا يخلو له الميدان ، موضحاً ما يخشاه من مطامع حمود وما يلمسه من عدم إخلاصه ، فأمر الإمام بإرسال طامي بن شعيب على رأس وفد إلى اليمن لدراسة الموقف وتسوية الخلاف .

اتصل ذلك بعلم الأمير حمود فسارع بالتقدم إلى زبيد لإدخال القبائل التي لم تدخل في طاعته إذا وصل طامي لم يبق لصالح إلا بيت الفقيه .

وصـول طامـي بن شعيب :

وصل طامي إلى الدريهمي ، وهي تحت سلطة صالح ، وكتب له في الوصول لمقابلته فوصله صالح وتفاوض معه حول ما انتدب له ، وكان صالح في ضيق من الحال لم تمكنه من إضفاء كرم الضيافة ، ويظهر أنه رجل يعتمد على إخلاصه وصدق ولائه ، وليس هذا كل شيء في عرف طامي ، ويقال : إن طامياً صرح بعد تلك المقابلة قائلاً : كنا نظن صالحاً أحد رجلين ، إما صاحب دين فيصبر على البلوى والغرابيل ، حتى يصل إلى ما يطلبه ، وإما طالب ملك فيسمح للجنود بما عنده من مال حتى يتوفر له إخلاصهم ونصرتهم . ولم يكن أحد الرجلين . فالدين هو عنه بمعزل — وأما الملك فما قام بحقه ، وهذا حمود يستميل الناس إلى طاعته بإظهار العدل وبذل المال ونشر الدين فما يتخلف أحد عن إجابته .

ويقال أن أحد خواص صالح أشار عليه إذا كان لديه شيء من المال يتألف به طامياً ورؤساء عسير الذين برفقته وأن يقوم بكفايتهم وواجب ضيافتهم ليكونوا في جانب حقه الواضح فلم يُصِخْ إلى مشورته .

اتصل طامي بالأمير حمود فوجد لديه كل ما تصبو إليه نفسه . وقال له : كلنا تابعون لسعود ، وما تقدمنا إلى الحديدة وزَبيد إلا لما نعرفه من ضعف همة صالح ، وخشية من تمادي يد قوات الإمام الزيدي ، وهي الآن بتدبير الله ، ثم تدبير الإمام سعود ، وشفع ذلك بكرم الضيافة وضافي البر ، وعرض استعداده بكل ما يلزم لطامي ورفقته من مال وزهاب وركائب وغير ذلك ، فلم يكن همه بعد ذلك إلا الطلب من حمود في عدم التعرض لما بقي تحت يد صالح في الوقت الحاضر — حتى يعرض لسعود ما لديه — ثم رتب منطقة صالح ورحل مثقلاً بوافر العطاء وجزيل الصلات .

وكانت النتيجة لمهمته وصول الأوامر بتأييد الأمير حمود على الحديدة وزبيد وكل ما استولى عليه فلم يسع صالح ازاء ذلك إلا الانضمام إليه والرضوخ لمصالحته على أن يقره على إمارة بيت الفقيه فقط .

بذلك استتبت الأمور لحمود فأناب ابنه أحمد بن حمود على زبيد بعد أن عمر سورها وعاد إلى أبي عريش وقد امتدت امارته من زبيد جنوباً إلى الدرب شمالاً ، وذلك في عام ١٢٢٢ هـ .

في أواخر تلك السنة توجه الأميران منصور بن ناصر وعلي بن حيدر للحج والشكوى على سعود من قريبهما الأمير حمود فأرسل معهما محمد ابن دهمان على رأس ثلاثة آلاف رجل فخيم بظاهر مدينة الزهرة ، واصلح بينهما وبين الأمير حمود وأخذ على كل منهما العهد ، ثم سار بهم إلى غزو قبيلة قيس ، وعاد الأمير منصور إلى إمارته في صبيا في صفر عام ١٢٢٣ .

بـوادر الخـلاف :

في عام ١٢٢٣ بدأ حمود يسفر عن صفحته ويفصح عن مقاصده في أمر استقلاله بتهامة عن السعوديين وصرح لرسلهم بما يفهم منه الخلاف ، واتصل الخبر بعبد الوهاب بن عامر ، فسر بذلك آملاً أن تسنح له الفرصة في حمود الذي لا يزال في ريب من اخلاصه منذ أخذ في محاولة التخلص من ربطة بادارته .

وصلت الأخبار إلى الدرعية بخلافه ، فصدرت الأوامر إلى عبد الوهاب بغزوة ومضى عام ٢٣ في الاستعداد والتأهب من الجانبين ، وفي عام ١٢٢٤ تقدم عبد الوهاب بن عامر على رأس حشوده المتكاثرة صوب المخلاف وخرج حمود من الزهرة لملاقاته على غاية الأهبة والاستعداد ، فوصل أبا عريش ، ومنها نهض لصده وملاقاته .

المعركـة :

التقى الجمعان في وادي بيش وكانت معركة من أشد المعارك هولا — ولا يقل المشتركون فيها عن أربعين ألفاً — وبين الخصمين من العداوة والبغضاء ما جعل كل منهما يفرغ جهده ويستعد لهذه المعركة بكل ما أوتيه من قوة واقتدار — ودارت رحا القتال كأشد ما يكون هولا وانتهت بعدما حفلت الدماء غدرانا وملأت الأشلاء رحاب ذلك الوادي الخصيب انتهت المعركة المهولة بهزيمة حمود وانسحابه إلى صبيا بعد أن تمزق شمل جيشه ، وفي مساء ذلك اليوم جيء إلى الأمير منصور بن ناصر — الذي كان مشتركاً مع عمه — ونفيس وفرس كريم ادعا حامله أنه قتل صاحبه فعرف في الحال أن الفرس فرس عبد الوهاب والسلاح سلاحه فأخبر منصور عمه حمود ، فخفف ذلك لديه مرارة الهزيمة ، وكان له بذلك أكبر العزاء فيما أصاب جيشه ، وسارع حمود إلى أبى عريش ليحصنها ويستعد فيها للمقاومة ، وبقي منصور في صبيا .

اجتمع رأي قادة الجيش السعودي بعد قتل قائده على إقامة من ينوب عنه ورفع الخبر إلى الدرعية ، ووالوا الزحف لتعقب فلول الجيش المنهزم واستولوا على صبيا فوالاهم منصور بن ناصر ، بيد أن اتفاقه معهم لم يطل ، فقد التجأ بعده إلى حمود في أبى عريش فترك الجيش السعودي حامية في صبيا وعاد إلى السراة .

الحالة بعد معركة :

بعدها ظل المخلاف مسرحاً ومراحاً للغارات السعودية إلى عام ١٢٢٥ الذي تقدمت فيه القوات السعودية بقيادة عثمان المضايفي إلى تهامة إلى أن بلغت العسية مجتاحة كل ما أمامها وعادت مثقلة بالأسلاب والغنائم ، كما غزى طامى بن شعيب اللحية ونهب أموال أهلها نهباً فادحاً وارتكب من القسوة واهدار الأرواح البريئة ما أورث الرعب في تهامة

بأسرها ، وقد اعترض الأمير حمود له في أثناء قفوله والتقى به في موضع يسمى بربر ، بباء موحدة بعدها راء مهملة فباء موحدة وراء مهملة على وزن جعفر غرب جنوب أبي عريش ، فلم يظفر وعاد مهزوماً ، وواصل طامي سيره ، وفي طريق عودته لاقاه مجاهدو رجال ألمع — الذين تأخر خروجهم معه — فخيرهم بين غزو قلعة ضمد أو قلعة بندر جازان ، فاختاروا الأخيرة وتقدموا فاستأصلوا حاميتها ؟

وفي تلك السنة أيضاً عاود طامي بن شعيب غزو اللحية ، ثم تقدم فغزا الحديدة ، كما وصلت قوة أخرى بقيادة محمد بن أحمد الرفيدي واستباحت قرية الشقيري .

الوضـع السياسي في تهامـة :

في عام ١٢٢٥ كان الوضع السياسي كالآتي :

١ — من صبيا وشمالاً تحت السلطة السعودية .

٢ — من أبي عريش وجنوباً إلى زبيد تحت سلطة حمود — تراوحه وتغاديه الغارات السعودية .

٣ — القسم الأعلى تحت سلطة الأئمة الزيديين .

وكان الأمر غير مستقر في القسم الثاني نظراً للغارات السعودية المتكررة وقد شعر الأمير حمود بخطر الموقف فتدخل بالوساطة أمير صعدة — الذي كان موالياً للسعوديين — بين الإمام سعود والأمير حمود بأن يتنازل الأخير عن صبيا وبيش ويدفع خراجاً سنوياً للإمام سعود عن ما يملكه من أبى عريش إلى زبيدة .

وكنتيجة لتلك الاتفاقية استقرت الأمور في وضعها الطبيعي ، فالتفت حمود إلى اصلاح ما أفسدته الحرب ، وتفقد مزارعه الواسعة واملاكه الشاسعة وتعمير المعاقل والحصرن — أما الشعب في تلك العهود فليس له حظ في الاصلاح ولا نصيب في دخل الدولة ، أو بالأحرى في إيرادات الإمارات — وحسبه الأمن والاستقرار .

اشتغل السعوديون من ابتداء عام ١٢٢٦ بحروب محمد علي — الذي انتدبته تركيا للقضاء على تلك النهضة العربية ، فبعث ابنه طوسن ، استغلت الدولة السعودية بذلك طبعاً عن حمود وما هو أهم من ذلك .

وفي عام ١٢٢٨ اختط حمود قرية مخارة في بلاد الشرف ، وبنى قلعته بها واختارها لسكناه ، وفي عام ١٢٢٨ توفي الإمام سعود ، فخلفه ابنه عبدالله بن سعود .

غزو جيوش إمام صنعاء :

لم ينس إمام صنعاء ما أسلفه حمود ، فاغتنم فرصة انفراده بالحكم ومباينته للسعوديين ، وبعث جيشاً قوياً لمهاجمته في مقره بقرية مخارة ، فواصل الجيش تقدمه حتى أشرف على القرية فبرز إليه حمود ، والتحم القتال فني جيشه بخسائر جسيمة ، وجرح الأمير نفسه وحجز بينهم الليل ، فعاد كل فريق إلى معسكره ، وشعر حمود بأن الجيش اليمني سوى يباكره القتال فاستعمل دهاءه المعروف ـــ الذي طالما أسعفه في أحرج المواقف ـــ فدس إليهم تحت جنح الظلام من تمكن من إيصال الرشاوى الجزيلة فلم تشرق الشمس إلا وقد سوى الأمر وتمت الصفقة ، وبعد أيام معدودة قوض الجيش المهاجم خيامه وعاد من حيث أقبل .

التنافر والشحناء بين الأمير وقرابته :

بالرغم عن الصلح المبرم بين الأمير وابني أخيه علي بن حيدر ومنصور ابن ناصر على يد القائد السعودي محمد بن دهمان ، فإن الصفاء لم يسد علاقاتهم ، ففي عام ١٢٣٠ لمس الأمير من ابن أخيه الآخر يحيي بن حيدر ما أوجب الزج به في السجن فغضب الأميران علي ومنصور ، ورحلا إلى مكة المكرمة ، وهناك اتصلا برجل محمد علي ونائبه على الحجاز حسن باشا ، وبناه شكواهما من الأمير حمود وشرحا له أن الظلم لا يزول عن اليمن إلا بالقضاء صليه ، ضم البلاد إلى دولته إذا ساعدهما ضده وطلبا منه امدادهما بجيش ليستوليا على اليمن باسم دولته ، فوعدهما بإجابة طلبهما متى انتهت حربهم مع السعوديين وخيَّرهما في الإقامة تحت رعايته في أي محل يختارانه من الحجاز ، فاختارا الإقامة في حلي ، فأجرى عليهما المقررات من حاصلات القُنْفُذة ، فكثا هناك إلى أن سار سنان باشا ، إلى عسير على رأس حملته المعروفة ، فرافقاه ، وبعد دنو الحملة من عسير رجع علي بن حيدر إلى حلي وبقي منصور مع الحملة فقتل مع سنان ـــ كما سيمر مفصلاً في أخبار عسير ـــ وقد ظل علي بن حيدر في حلي إلى أن سار بعد ذلك مع خليل باشا إلى اليمن ، كما سيأتي مفصلاً .

وفي عام ١٢٣٠ توجه الأمير حمود من مختارة إلى القسم الشمالي ، ولم يدخل مدينة أبى عريش بل عسكر في قرية الجربة في طريقه لغزو جبل سلا .

فرار طامي بن شعيب إلى المخلاف السليماني :

وصل طامي فاراً من قوات محمد على — راجع أخبار عسير — وصل إلى قرية «مسلية» ومنها فر إلى قرية الحقو ، ثم نزل إلى قرية الدهنا ، عند العلامة يحيي بن حسن النعمي — وكان من ذوي المكانة العلمية والجاه المكين في المخلاف فبثه ما قاساه من الشدائد وطلب رأيه في القدوم والالتجاء إلى حمود فأشار عليه بعدم الركون إليه ونصحه بأن يختفي في الجبال الشرقية ، فلم يصغ لنصيحته ويمم قاصداً حمود في مختاره ، وكان النائب على المخلاف وزيره العلامة حسن بن خالد مقيماً في حصن ضمد ، فاتصل به خبر وصول طامي إلى المخلاف فسارع على رأس قوته واحتل صبيا ، وبعث من مكانه سرية إلى الدهناء للقبض عليه فالتقت به السرية صحبه صديقه النعمي فاقتادوه أمامهم إلى صبيا ، وبمجرد وصولهم به إلى الوزير أمر بتكبيله بالحديد ، وبعد ساعات قلائل وصلت سرية من فرسان محمد على انتدبت لمطاردته — ساعة فراره من السرة — فدخلت صبيا فسلمه لها حسن بن خالد ، فعادوا به الى عسير .

حمود بن محمد :

بعد هذا التاريخ عظم أمر حمود وأصبح ملكاً مطلق التصرف مرهوب المكانة ، وقد اتسعت رقعة مملكته حتى امتدت حدودها من زبيد جنوباً إلى أقصى جبال السراة شمالاً .

اتصالاته بمحمد على :

إن انتصارات محمد على قضت على الملك حمود بالاتصال به وانشاء العلاقات الودية — وكان بالطبع بداية تلك العلاقات تسليمه طامي بن شعيب لرجال محمد علي — بدون مساومة ولا تردد — وبعدها بأيام قلائل كتب لمحمد على ، ثم شفع ذلك باهدائه أربعة رؤس من كرائم الخيل مع كتاب لم تظفر بنصه وإنما نستشف مضمونه من نص جواب على باشا الذي ننقل لك نصه :

وبعد فقد وصلت إلينا كتبك الثلاثة مشعرة باستقامتك مسفرة عن سلامتك وشهامتك منبئة عن طلب جزيرة فرسان ، وعن حال رجال ألمع ، وأهل الدرب ، ومن قدمناه على بني شعبة وبالأخص (هكذا) عن مسلية وأم الخشب والسلامة ، وأن المذكورات كانوا بأجمعهم لأمرك منقادين واحلت معرفة ذلك جميعه على الحاضرين والبادين ، فليكن في علمك أنه قد بلغنا ظلمك في الرعية مركباً من الراحة عرية والظلم مرتعه وخيم وهو أن دام دمركما أخبر به النبي الكريم ، ونحن ما بلغنا من تلك الأراضي المبالغ وطوعنا منهم العاصي فلا فرق بين الشيخ والبالغ إلا طلباً لرضا الله سبحانه وتعالى باستباحة أهلها من النصب والوصب وتسبباً لابتهاج ولي نعمتنا الذي أفاض الله علينا بملاحظته بفيوض الفتوح وصب ، وقد استشعرنا من الواردين علينا أنك ما حملك على ما حمل وأركبك الوعر بظلم من قل وجل إلا توارد الوهابية إلى جهاتك وطلبهم من الدنيا الدنية ما لم يكن مقدوراً لك ولا لمن بمواجهتك فعذرناك فيما سلف من الأمور وأدرجناه في خبر زيد لعمرو ، وبعد اليوم أن استرعيت رعيتك بالرفق والشفقة وهم أهل بلدك الذين قلوبهم على محبتك متفقة غير مفترقة وسمعنا من الصادر والوارد استعذبوا منك ما أجن من الموارد ، نترجى لك عند حضرة ولي نعمتنا في استرعائك على من اخترت أنهم من سابق رعاياك وانه لم يخرجهم من طاعتك إلا من مانعك من الوهابية وعابك فلعله لا يرد طائر رجائنا مهيض الجناح ، وعساه أن يداوي مريض آلامك بمرهم النجاح ، فإن مولانا السلطان نصره الله هو مالك زمام حلنا وعقدنا ومرجعنا في كل الأمور إليه ولا نستطيع نحدث أمراً من عندنا ، فكن رعاك الله من الرعية الذين راعوا من استرعاهم وما راعوا بالمخالفة من رعوه ورعاهم ، ونطلب سلامة العقبى بدعاء الفقير لك ، إياك وإياك أن تهلك باقحام الأخطار فيمن هلك ، فإن شمس العدالة بها تتزاح ظلم الظلم وتنجاب واحذر دعوة المظلوم ، فليس بينها وبين الله حجاب ، فلا يبلغنا عنك صدور ما يوغر لصدور ظاهراً وباطناً ويستثير ما كان في الأفئدة كامناً فالحسنة في نفسها حسنة ، وهي من بيت النبوة أحسن والسيئة في نفسها سيئة وهي من أولاد الحسنين أسوأ وأخشن ، والمأمول هو الله سبحانه أن نجد هذه النصيحة لك كافية « فإن العصا تقرع للحليم والحكيم من شاهد الأمور قبل وقوعها كما هي .

هذا وقد وصلنا كتابك الرابع متضمناً لإرسال هديتك ذات الحسن الرائع وهي الأربع الخيول التي لها من الحسن غرر وحجول ، فقد حلت عندنا محلاً بالقبول محلى ما أظرفها من هدية جميلة مقدمة عندنا على كافة الهدايا الجزيلة .

وما أحسن الشيء النفيس إذا أتى إلى أهله من أهله في محله

وفيما حدث من تلك الحوادث التي يجب رفعها إلينا فليكن بالمبادرة منك عرضها علينا كما هو المعهود من شيمتك البهية ، وفقك الله لكل محمده سنيه بمنه وكرمه ، وذكرت لنا حفظك الله تعالى أنا لا نسمع فيك كلام الحساد الذين يسعون في الأرض فساد ، فنحن ما أصغينا سمعاً قبل ذلك ونكره ذلك طبعاً غير أن أخبار ما أنتم به من الجهات مفصلاً عندنا من قبل ست سنوات ولو كشف الغطاء ما زدت على علمي يقيناً والسلام ، انتهى .

غـزو محمـد بن أحمـد المتحمى :

في عام ١٢٣١ تحرك محمد بن أحمد المتحمى لغزو المخلاف ليثأر من الملك حمود بقريبه طامي بن شعيب الذي سلمه الأخير لرجال محمد علي باشا .

اتصل خبر هذا الغزو بعلم الملك حمود فأخذ في الاستعداد وتقدم إلى جهة الدرب لملاقاته ، وهناك في يوم الجمعة الموافق ١٨ رجب ١٢٣١ دارت رحا المعركة وانتهت بهزيمة المتحمى وعودته إلى عسير .

عاد حمود تخفق على رأسه ألوية النصر فتفرغ لشئون مملكته ، وأطلق يد وزيره الحسن بن خالد في تدبير أمورها وإدارة شئونها فشمر هذا عن ساعد الجد وألف رسالة في التوحيد ونشرها في البلاد ، وألف هيئات تتجول للإرشاد والحث على إقامة الشعائر الدينية .

وفيها غزى الجبال اليمنية واستولى على جبل كحلان ، وعاد إلى المختارة ظافراً واستمر على إدارة البلاد إلى عام ١٢٣٢ ، وفي تلك السنة بلغه أن محمد أحمد المتحمى يقوم بحركة تجمع لغزوه فتقدم حمود إلى وادي بيش وأقام بها زهاء شهرين وعندما اطمأن من عدم نزوله عن قبيلة بيش المعروفة في شرق المخلاف السليماني .

وفي عام ١٢٣٢ كان غزو حسني باشا لبلاد عسير — راجع أخبار عسير — وبعد استيلائه عليها عاد إلى الحجاز فوقع الخلاف بين العسيريين وتحزب أكثرهم مع الحامية التركية ضد رئيسيهم محمد بن أحمد المتحمى وعلى بن مجثل فاتفق الرئيسان على الاستعانة بحمود واستدعائه لتولي أمر عسير ، وصادف هذا رغبة جارفة في نفسه وأمنية طالما خفق لها قلبه الطموح فسارع إلى بعث جيش لنجدتهما بقيادة الوزير الحسن بن خالد الحازمي .

تقدم الحسن بن خالد إلى عسير :

سار ذلك الجيش بقيادة الوزير تتقدمه طليعة من الفرسان برئاسة القاضي حسن بن عطيف الحكمي حتى استقرت الطليعة في رجال ألمع والحسن بن خالد في الحمة ، وهناك علم أن قوة من الجيش التركي بقيادة جمعة باشا يرافقها الأميران منصور بن ناصر وعلى بن حيدر تزحف إلى عسير فلاقاهم واشتبك معهم في معركة أودت بهزيمتهم ، وتقدم إلى عسير تتقدمه طليعته بقيادة حسن ابن عطيف الحكمي حتى إذا توسط في جبال السراة شعر بما يتهدد جيشه من العسيريين ، وتحرج موقفه فلم يستطع التقدم ولم يقدر على الانسحاب ، فاستنجد حمود فسار بنفسه على رأس جيش قوي لنجدته وتمكن من اخضاع عسير لأمره .

وفي عام ١٢٣٣ انهالت عليه قبائل جبال السراة وتظاهروا بالانتظام في سلك طاعته ، ويقول صاحب «الديباج الخسرواني» الحسن بن أحمد العاكشي ، أن قبائل السراة أظهروا الإنضمام في سلك طاعته مع أن قلوبهم مريضة ويعتقدون أن قتاله مع القدرة فريضة .

وبينما هو يؤلف القلوب ويوطد الأمور ، وافته الأخبار بتحرك سنان باشا على رأس حملة قوية وبرفقة خصماه الأميران على بن حيدر ومنصور ابن ناصر — وقد شاءت الأقدار أن يتأخر على بن حيدر ، ويعود من أثناء الطريق ويبقى منصور في صحبة الحملة .

زحف الجيش الجرار صاعداً قمم السراة فاستعد حمود لمواجهته ، وكان قد ألم به المرض ، ومع ذلك فلم يهن ولم يتضعضع وجابه الواقع بما ينبغي من البسالة والحزم .

المعركـة :

التقى الجمعان ودارت رحا المعركة واستعمل السلاح الأبيض فولى الجيش التركي الأدبار ، وكان أهل السراة متربصين بالفريقين في رؤوس الجبال وفي مضايق الأودية وأطراف الشعاب — ينتظرون بفارغ الصبر لمن تكون الغلبة — لينقضوا على المنهزم قتلاً وسلباً ، فلما اتضح لهم انهزام الأتراك انقضوا عليهم وتعقبوا فلولهم المذعورة ، ومن جملتهم فريق من الحملة على رأس سنان باشا ومنصور بن ناصر لحقهم العسيريون في العقبة المسماة (تَيَّه) فقضوا عليهم قضاء مبرما بما فيهم سنان ومنصور.

بعد المعركة :

عاد الملك حمود إلى معسكره ظافراً وقد تزايدت عليه علة المرض فلزم الفراش حتى أدركته الوفاة في يوم الاثنين الموافق ١٤ ربيع الأول عام ١٢٣٣ فدفن في موضع يسمى الملاحة من بلاد بني مالك في السراة — تغمده الله برحمته.

جازان : محمد بن أحمد العقيلي

« العرب » :

ألقى الأستاذ المؤرخ العقيلي بحثاً وافياً عن موضوع انتشار الدعوة الاصلاحية في الجنوب في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الذي أقامته (جامعة الإمام محمد بن سعود) في ربيع الأول سنة ١٤٠٠ هـ وقد نشر دلك البحث مع أبحاث أخرى للأستاذ العقيلي في كتاب.

الحـواشي :

---

(١) القول بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب — رحمه الله دخل بلاد فارس غير صحيح ، إذ لم يذكره أخَصُّ الناس به وأقربهم إليه ممن دوَّن أخباره من تلاميذه وحفدته (العرب).

(٢) أصبح الإمام محمد بن سعود بهذه الصفة بعد مؤازرته للشيخ ، ونشر الدعوة الإصلاحية (العرب).

بين العامي والفصيح

[التقاء اللهجتين العاميّة والفصيحة في بلادنا من السّعة بحيث لا نفي لحصر ذلك الالتقاء الأبحاث العميقة ، إذ بلادنا مَهْد اللغة العربية ، ومن فضل الله عليها أنها كانت إلى عهد قريب في معزل عن تأثير العجمة الناشئة عن الاختلاط ، باستثناء ما هو قريب منها للبلاد التي تضمُّ خليطا من السكان .

والأخ عبد الرحمن السُّويداء ــ كاتب هذا البحث ــ طالع بعض المؤلفات العربية القديمة ــ كالسيرة النبوية لابن هشام وديوان امرىء القيس ــ فبهره ما وجد من الصلة القوية بين اللهجتين ، فكتب ما كتب ، ولو طالع معجما لغوياً عربياً قديماً لرأى الأمر أوسع مما تَصَوَّر .

وحبّذا أن يعالج كل كاتب اللهجة العامية المستعملة في الجهة التي يحلُّها من بلادنا العزيزة معالجة مقارنة بينها وبين الفصيحة لمحاولة إزالة الفوارق بين اللهجتين ، وفي هذا إثراء للفصحى ، وتقريب لفهم العاميّة] .

أود أن أورد بعض الكلمات التي وقع عليها نظري أثناء قراءتي في بعض الكتب ايراداً قد لا يخلو من الفائدة ، لأنني كنت أحسب أن بعض هذه الكلمات عاميّة قبل أن أجدها في بطون الكتب ، وقد يشاركني غيري هذا الاعتقاد ، ورغبة مني ألا يسخرّ هذا الشك فيلجأ من يحتاج في كتابته إلى عدم استعمال بعض هذه الكلمات أو الى اللجوء لوضعها بين أقواس باعتبارها كلمات عامية أو يشك في فصاحتها ، أوضح أنها عربية لا غبار عليها حسب ورودها في المؤلفات اللغوية المعتمدة وبعضها ضارب في القدم ولا تزال تحتفظ بقوتها وأصالتها حتى وقتنا الحاضر ، في هذا الجزء من المملكة العربية والواقع أن جلّ المقتنيات فيما قبل خمسين سنة تكاد أن تكون مسمياتها عربية ، وذلك فيما يتعلق بأدوات الفلاحة والمهن والرعي وغيرها ، قبل أن تدخل الأدوات الى حياة الناس ، وبالإضافة الى المقتنيات هناك بعض التعابير الأخرى ، ومن تلك الكلمات :

أَوْقَرَ : أي حمل حملاً قَدْرَ طاقته .

قال الشاعر :

حَمَتْهُ بَنُو الرَّبْداءِ من آل يَامِنٍ   بِـأَسْـيـافِـهِـم حتَّى أَقَرَّ وأَوْقَرَا

وهي كلمة كثيرة الاستعمال فتسمع محدثك يقول : أوقرت دابّتي .
وتستعمل مجازاً للإنسان إذا حمل من الأمور طاقته .

أَوَى لَهُ : رَحِمَهُ ورقّ له .
قال الشاعر :

لَـو أنني استأوَيْـتُهُ ما أَوَى ليا

وجاء في الخبر : فوالله إني لفي أيديهم ليسحبونني اذ أوى لي رجلٌ ممن كان معهم »
وتسمع محدثك يقول : إنني أويت له ولكنه لم يأْوِ لأَحَدٍ .
ويقول الشاعر العامي :

يـا عـزوتي خـلّكْ رحـوم وتاوى ولِـيّا طـلبتِكْ حاجْةٍ لا تقاصَيْنَ

ويوصف الملحاح على طلب حاجته بأنه (واوي لا يَعذر ولا ياوي)

إشْمَعَلّ : رفع عنقه وتحفز للجدِّ .
قال الشاعر :

فـاشـمـعـلوا يـلجـلجـون دؤوبـاً مضـغـاً لـلـكلال فيـها أنـيضُ

وهي كلمة كثيرة الاستعمال فتسمع محدثك يقول اشمعل القوم عند سماعهم الخبر .

أَبْرَضَ : يُبْرِضُ ، إبراضاً ، أول نبات الورق والأغصان التي تخرج من النّبات والشجر .
قال الشاعر :

رعت طرفها في هامة قد تنكرت وصُـوَّحَ منها نبتها وهْـوَ بارضُ

ويقال : نزل المطر فأبرض الشجر
ويقول الشاعر العامي :

لا والله الا انـحَـدَر عـمَّـاش زلّ الشـتـاء وابـرضَ الْـعُـودِ

اعْتَبَطَ : اعتباطا قتله ، أو انتهك حقه .

وقد ورد هذا النص : «إنه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى وليُّ المقتول» .

وقد جرى التوسع في استعمال هذه الكلمة فشملت انتهاك الحقوق والعناد. فيقال : أخذ فلان مالك صاحبه اعتباطاً .

أحْمَاء : جمع حَمْوٌ وهم إخوان الزوج وأقاربه .

وقد ورد هذا النص على لسان المصطفى صلى الله عليه وسلم لامرأة من بني جُمَحٍ بعد عودته من الطائف وما لقي هناك من أذى «ماذا لقينا من أحْمَائِك» وتسمع محدثك موجهاً كلامه لابنته عليك الالتزام بالحجاب حتى عن أحمائك .

انْتفخ سَحَرَهُ : أي رئتيه ، وهو كناية عن الجبن أو التكبر .

فقد ورد في الخبر : انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه» .

ويقال : لقد انتفخ سحر فلان عندما رأى القوم ، أو انتفخ سحره متغطرساً .

أمْغَط ، أو أمْعَطْ : طويل القامة .

جاء في وصف قامة الرسول صلى الله عليه وسلم : لم يكنْ بالطويل المغّط» وتَصِف رجلاً بأنه أمغط أو أمعط القامة .

أبْرَق : الوان مختلفة .

ورد في الخبر «عليه غرارتان إحداهما سوداء والأخرى برقاء»

وتصف طيراً بأنه أبرق الريش ، وقد يكون الموصوف رجلاً فوصفه بأبرق الريش ويَعْني نوعا من الصقور الحرار ، واذا كان الموصوف دون ذلك وصفه بالدّجاجة البرقاء .

إرْبَع : من رَبَع يَرْبَع وهو الانتظار والتأني والإقامة .

وقد ورد الخبر على لسان صويحبات حليمة السعدية مرضعة رسول الله (صں) يا ابنة أبي ذُوَيب وَيْحك !! إرْبعي علينا» وقال الشاعر :

وعثمان لم يربع علينا ومنقذ   ولكن أطاعا أمر تلك القبائل

واتسع استعمال هذه الكلمة فتصف رجلاً بأنه لا يربع لأصحابه ، أي لا ينتظرهم ولا يرعى أحوالهم .

قال الشاعر العامي يوصي رفيقه بزوجته :

جَنِّب حَثاثَ القاع واختر لها اللِّين   واربع لها يا خْسَين وامش امشيانه

إنْثَبَر : الموقع ، ومسقط المولود .

فقد جاء بالنص «وطرح مثبرها وثيابها التي كانت عليها» .

ثم جرى التوسع في استعمالها لتدل على الموقع وعلى البقاء فيه ، وقد تعني التأنيب فتسمع محدثك يقول لم يقم من مثبره ، أو يزجر شخصاً آخر قائلاً له انْثِبْر أي لا تبرح مكانك .

إحْزِرْ : التقدير بالحدس والظن :

فقد جاء في الخبر «بعثوا عُمير بن وهب الجُمَحي ، فقالوا : احزروا لنا أصحاب محمد» وهذه الكلمة شائعة الاستعمال على ألسنة الناس .

أفْتَخَ ؛ أي طويل اليدين ، وهي صفة مستعارة من الطير الطويل الجناحين . قال الشاعر :

كـأن بـفـتْـخَـاء الجناحين لَقْوةٍ   صيود من العِقْبان طأطأت شِملالي

يقول الشاعر العامي :

قـالوا لي سِرِّ قلتْ ماني مُسَيِّرْ   يسـدّ بالمشْيـار فـتـخَـان الأيْـدي

بَطِرَ : طَغَى

قال الشاعر :

سَمَّاهُمُ البَطَرُ الأُسْدَ الغضاب فلمْ   تَهْجَعْ سُيُوفكَ حَتَّى صُيِّروا نَعَماً

وهي كلمة شائعة الاستعمال ، تصِف شخصاً متكبراً طاغياً بأنه بَطْران .

بُسْرٌ : هو البلح قبل أن يتلوَّن :

قال الشاعر :

حتى إذا صار طلعها بَلَحاً   قـالوا : تَوَقَّـعْ بُـلُوْغ بُسْـرتِـهـا
حـتَّـى إذا بُسْـرُهـا غدَا رُطبـاً   فـازُوا بـأَعْـذَاقِـهـا بِـرُمَّتِـهـا

وهي كلمة شائعة الاستعمال في بيئة الفلاحين فكثيراً ما تسمع : ما زال النخل بسراً .

تَعْتَعَ : التَّعْتَع : التردد في النطق عن حَصَر أوعيّ .

قال الشاعر :

أتَعْتِعُ في الحوائج إن خِفافاً غَدَوْتُ بها عليكَ وإنْ ثِقالا

وتقول : يتعتع في قراءته . وقد تستعمل في التردد أثناء السير أيضاً .

تَقَرَّشَ : التَّقَرُّش : الاكتساب والتجارة .

وسميت قريش قريشاً من التقرش والتقريش ، التجارة والاكتساب .

ويسمى من تقرَّش قرَّاشاً ويجمع على قراريش .

قال الشاعر العامي :

ألا وا وُجُودي وَجْد قَرَّاش عَجْز لا ينام من الْهُمُوم

كَمَى : كَمَن وأخْفَى : وقد ورد في الخبر.

فلما فرغ قصيّ من حربه انصرف اخوه رزاح بن ربيعة إلى بلاده بمن معه من قومه ، وقال رزاح في إجابته قَصيًّا :

نسير بها الليل حتى الصباح ونكمي النهار لئلا نزولا

والعامة تقول عن الشيء الثمين : (تكماه على عَدُوَّك)

تَلَحْلَحَ : جلس وارتخى مع شيء من الحركة .

قال الشاعر :

أُنَاسٌ إذَا قِيل انفُروا قَدْ أتيتُم أقامُوا على أثقالهم وتَلَحْلَحُوا

وتقول : إنه لا يزال يتلحلح في مكانه .

تَشَرَّقَ : تبرز للشمس ، المشراق المكان الذي تشرق فيه الشمس .

ورد في الخبر : تخرج تلك الحية تتشرق على جدار الكعبة» .

في فصل الشتاء كثيراً ما تسمع محدثك يقول : نحن جلوس في المشراق لطلب الدِّفء بأشعة الشمس .

قال الشاعر العامي :

من قَابَل المِشْراق والكِنّ والذَّرا   يموتْ مَا حَاشَتْ يَدَيْه الفُوايد

تَحَلْحَلَ : تحرَّك واستوى في موضعه .

وقد جاء في صفة ناقة رسول الله (ص) «فبركت فيه ثم تحلحلت وأرزمت ووضعت جرانها»

تُرْزِمُ : ترغي بحنان وشوق .

قال الشاعر :

وأغْبِطُ القِرْنَ بِعَضْبٍ مشرفي   أُرزم لـلـمـوت كـإرزام المرِي

وهي كلمة شائعة الاستعمال في بيئة البادية ، وقال الشاعر العامي :

واقَلْبِي اللِّيْ عليها يِرْزِم ارْزام   إرزام جَيْشٍ علاَ له جَال مَطْوِيّة

ثُلْمَةٌ : ما انثلم من البناء .

قال الشاعر :

لولاك كانَتْ ثُلْمَةٌ لم تَنْسَدِد   أبداً وكانَتْ عُدَّةٌ لم تكتملْ

وقد تطلق على أشياء غير البناء كأسنان الفم أو أمور أخرى يفترض أن تكون متكاملة فأصبح فيها فراغ ، وقد تسمع محدثك يقول ودخلت البستان مع تلك الثلمة لكني عثرت بها فانثلمت أسناني .

ثَعَبَ : ينثعب ، السيل الكثير .

يقال انثعب الماء إذا سال من موضع حصر فيه .

قال الشاعر :

قد ظَمِئَ الحجيجُ بَعْدَ المُطَّلِبْ   بَعْدَ الجِفَان والشَّراب المُنْثَعِبْ

ويسمى المِيْزَابُ مثعباً ، والإناء الذي يسكب منه الماء بواسطة لسان بارز يسمى مثعابة .

جَابِيَةٌ : حوض كبير يجبى فيه الماء أي : يجمع — وفي القرآن الكريم : (وجِفَان كالْجَوَاب)

قال الشاعر :

فوق شِيْزى مِثْل الجوابي عليها قِطَعٌ كالوَذِيْل من نَيّ كُوم

وهي كلمة كثيرة الاستعمال لدى الفلاحين ، فقد تصف انساناً في رغد من العيش بأنه نَخْلَة جابية ، لأنها دائماً في وسط الماء .

جُمَّارَةٌ : جذع العذق أو الجريد ، الأبيض الطري .

وقد جاء في الخبر : والله لكأنّي أنظر إلى ساقه في غَرْزِهِ كأنّها جُمَّارةٌ .

وهي كلمة كثيرة الاستعمال لدى الفلاحين إذا أراد محدثك أن يصف نقاء بياض الشيء وطراوته مثل بالجمارة .

قال الشاعر العامي :

العينْ عينَ الوحش يا ظَبي رمَّان والساق جمّارٍ غرس لاح بِقِنِيّه

جَاضَ : مال وانحرف .

قال الشاعر :

فأنتَ الذي يستنطقُ الحربَ بأسُهُ إذا جاض عن حَدِّ الأسِنة جَايِضُ

وهي كلمة شائعة الاستعمال وتعني عدم الصبر والتململ لأمر من الأمور .

قال الشاعر العامي :

الله من قلْب بِجَوْفَ الحشا جَاضْ كما يجوض إذا أوجس الكيَّ مَمْروض

جِذْلُ : السيف القديم ، أو جذعُ الشجرة .

وقد جاء في الحديث : فأتى رسول الله (ص) فأَعْطَاهُ جِذْلاً من حطب يقاتل به وهي كلمة شائعة الاستعمال ، وقد يتعدّى إطلاقها على السيف إلى أسلحة وأدوات أخرى قد استعملت حتى كلَّتْ شذرتها وأصبحت الاستفادة منها أقل من ذي قبل .

جِلاَلُ : هو ما تُجَلَّلُ به الدابة كالفرس وغيرها لوقايتها من البرد والمطر .

قال الشاعر :

فيوما تراها في الجِلال مَصُونَة ويوماً تراها غيْر ذات جِلاَل

ويقول الشاعر الشعبي :

أبو ثِلِيْل بالْبلايِلْ غَذَاها اذْيال شِقْرٍ نَسَّفَن الإجلَّهْ

حَرَنَ : الحِرْان عدم الانقياد .

قال الشاعر :

فانْهَضْ وإنْ خلْت الشتاء مُصَمِّماً حرن الخليقة جانحاً في المسحل

وهي كلمة شائعة الاستعمال في وصف الدواب وحتى للانسان اذا كان صعب الانقياد لأمر من الأمور .

حَلِيْلَة : هي الزوجة .

قال الشاعر :

ونُسْلِمُهُ حتَّى نُصرَّعَ حَوْلَه ونَذْهَلُ عَنْ أبنائنا والْحَلائِل

وهي كلمة شائعة الاستعمال فقد تسمع محدثك يقول لصاحبه : تناديك حليلتك .

حَايدٌ : هو المنصرف أو المتنحي :

وينسب لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه في أثناء بناء مسجد رسول الله (ص) :

لا يستوى من يَعْمر المساجِدَا يدأبُ فيه قائماً وقاعدا

ومن يُرَى عن الغُبَار حائدا

وهي كلمة تكثر العامة استعملها مع تخفيف الهمزة بحذفها وإبدالها ياءاً قال الشاعر العاميُّ :

الرجل مثْلِكْ ما يْحايِد مِنْ بِعِيْد يَقْلُطْ على الدِّيْرة يهِدّ جْدَارها

حَضَأَ النَّارَ : أوقدها ولاحظها .

وقد جاء في الخبر : «فَاطْفيْ ولا تُوقِدْ ولاتَكُ مُحضئًا النَّار» وقال الشاعر :

حَضَأْتُ له ناري فأبْصَرَ ضَوءهَا وما كان لولا حَضْأَةُ النّار يَهْتَدي

وهي كلمة شائعة الاستعمال بتخفيف الهمزة يقول المثل الشعبي : كلٌّ يَحضا النار على قرصه .

حَرَّشَ : أفسد بالوشاية بين الناس .

ومن كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قدم عُمَيْرُ بنُ وَهْبٍ الجمحيُّ الى رسول الله (ص) : والله ما جاء إلاّ لِشَرٍّ وهو الذي حَرَّشَ بيننا وحَزَرنا للقوم يوم بَدْر» .

وهي من الكلمات الشائعة .

خَسِيْف : من صفات البئر .

قال الشاعر :

أوردَتني الْعِدَّ الخَسِيْف وقد أُرَى ... أتبرضٌ الثَّمَدَ البَكيَّ مُبَرِّضاً

وهي كلمة كثيرة الاستعمال في بيئة الفلاحين ، ويطلقون الكلمة على البئر القليل الماء أو الذي لا ماء فيه . مع أنَّ المفهوم من قول الشاعر أنها البئر العد الكثيرة الماء .

خُلْبٌ : لِيْفُ النخل .

قال الشاعر :

ومُطَّرِداً كَرِشَاءِ الْجرورِ ... مِنْ خُلُبِ النَّخْلَة الأَجْرَد

وهي كلمة كثيرة الاستعمال في بيئة الفلاحين حينما كانوا يفتلون من اللّيف الحبال والأرشية .

خَبَطٌ : ورق شجر الطلح .

في خبر احدى سرايا الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم فقدوا الطعام حتى كانوا يأكلون الخبط » .

وطريقة الخبط ، ان تخضد أغصان الطلح الشوكية خضراء ثم تُجفف في مكان صلب ، ثم تخبط الأغصان بعصا طويلة فيسقط الورق من أغصانه ويسمى جامع الخبط ، خابط أو خبَّاط .

دَلْوٌ : يخرج بها الماء من البئر .

قال الشاعر :

كالدلو بُتَّتْ عراها وهي مثقلة   إذْ خانَها وَذَمٌ فيها وتكريبُ

والوذم حبل أوسير رفيع يثبت العرقاة في الدلو .

وهاتان الكلمتان شائعتا الاستعمال في بيئة الفلاّحين والبادية .

دَخْلٌ : نقب فه ضيق وأسفله متسع ويوجد به ماء وورد ذكر الكلمة في كتب اللغة كثيراً .

دَلَعَ لِسَانَهُ : أخرجه من فه مرتخياً .

وقد جاء في كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «دَعني أنزع ثَنِيَّة سُهَيْل بْن عَمْرٍو ، ويدلع لسانه» وهي كلمة شائعة الاستعمال ، فقد تسمع محدثك يقول :

تعب من الركض حتى دلع لسانه ، وتستعمل في وصف من أُفْرِطَ في تدليله من الأطفال بأنه «مُدَلَّع» .

وقد تكون هذه محرَّفة عن مُدَلَّل من الدلال) .

ذُبَابُ السَّيف : طرفه .

قال الشاعر :

أكرمْتَ سيفَكَ غَرْبَهُ وذُبَابَهُ   عَنهُم وحُقَّ لِسَيْفكَ الإكرامُ

وقد تستعمل للسيف والخنجر والسكين فقد يقال : ناشه بذباب السيف ، ووخزه بذباب الخنجر .

ذَائِرٌ : الهارب من فَزَع أو خوف ، وورد بهذا المعنى في كتب اللغة والعامة تستعمل الكلمة بتخفيف الهمزة أو إبدالها بالياء فقد تسمع محدثك يَعد لصاحبه قائلاً : ما يذيره ذاير ما دام تحت عهدتي . وفلان ذَيِّر الصيد .

رَكِيَّة : هي البئر

قال الشاعر :

ومن سيوف من الهنديّ مخلصَةٌ   ومن رماح كأشْطَان الركيَّات

وهي من الكلمات المشهورة بكثرة استعمالها .

ويقول الشاعر العامي :

أَلْلي وسَمْ حالي خَفِيٌّ على الناس   وَسْمَ الْـمحُوص بجَال خَطْو الركية

رَغُوث : الشاة الحلوب

قال الشاعر :

فليتَ لنا مكان الْمَلك عمرو   رَغُوثاً حَوْلَ قَـيْـنـتـنـا تَـخُور

وهي كلمة كثيرة الاستعمال في بيئة الربعي

رَبَض : ربضت الشاة بمعنى بركت .

وهي كلمة شائعة الاستعمال لغير الإبل التي تستعمل لها كلمة بَرَك

رَضَم : الحجر يُرَصُّ بعضه على بعض .

وقد جاء في وصف الكعبة المشرفة قبل الإسلام : «وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمها وانما كانت رَضَماً» .

رَضٌّ مَرْضُوضٌ : مدقوق بدون كسر

قال الشاعر :

لا تـكـنْ لي ولـنْ تكونَ لِقَوم   عُوْدُهُـمْ حِيْـنَ يُعْجَمُون رَضِيْضُ

وهي كلمة شائعة الاستعمال فقد تسمع محدثك يصف انساناً صار له حادث سيارة بأنه قد سلم من الكسور لكنه لا يخلو من الرضوض .

رَحْلُ : الشِّداد — الاداة التي توضع على ظهر المطية للركوب فوقها .

قال الشاعر :

ويوم عقرت للعذارى مطيّتي   فيا عَجَبا من رحلها المُتَحمَّل

وتوصف المطية التي يوضع عليها الرحل ، بأنها رَحُول

زَحْلَف : أي تزحلق .

قال الشاعر :

لِـــمَـنْ زُحْـــلُـوفَـــةٌ زُلُّ   بِـهـا الْـعَـيْـنـانِ تَـنْـهَـلُّ

وتستعمل لوصف الثقلاء فيقال : لا يزال يتزحلف في مكانه إذا طال مكثه .

سِنْخُ : أصل الشيء وقد يطلق على النخلة .

قال الشاعر :

والسيف ما لم يلف فيه صيقل   من سِنْخِه لم ينتفع بصقال

والعامة تقلب السين صاداً فتقول (صنخ).

سَنَّ : أي شحذ السيف أو السكين ونحوهما حتى يصبح قاطعاً .

قال الشاعر :

فـإمّـا تـقـتـلون فـإنَّ عـمـراً   أعَضَّ بِـرَأْسِـهِ عَضْبٌ سـنـيـنُ

سِيْفُ : شاطىء البحر .

وقد جاء في الحديث : وبعث في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم الى سيف البحر ، والكلمة كثيرة الاستعمال .

قال الشاعر العامي :

لا واهَـنِيّك بـالـنّجُـوْمَ المَدَايِيْح   اللّي على سِيْف الْبَحر شَرَّعَنّ

سَعَفْ : جريد النخل .

قال الشاعر :

سـبـوحـاً جـمـوحـاً وإحضـارهـا   كـمـعـمـعـة السَّـعـف الْـمُـوقِـد

سَوَانِيْ : الدواب التي تخرج الماء من البئر.

قال الشاعر :

قَبلْنَ غُرُوباً من سُمَيْحَةَ أنْزَعَتْ   بِهِنّ السواني واستدار مَحَالُها

وهي كلمة شائعة الاستعمال قبل وجود مضخات الماء الآلية .

شَرِيْعَة/ مشرع : الماءُ المُشرَّع لشرب الدواب .

قال الشاعر :

فلما رأتْ أن الشَّريعة هَمُّها وأنَّ البَيَاض من فرائِصِها دامي

وكلمة مشرع أكثر استعمالاً فقد تسمع محدثك يقول : إنه ارتوى وأروى مواشيه من المشرع الفلاني .

شَاني : الذي لا يعترف بالمعروف .

يقول الشاعر :

أيها الشانىء المبلغ عنا عند عَمْرٍو، وهَل لِذَاك انْتِهاءُ؟

وهي كلمة شائعة الاستعمال مع تخفيف الهمزة واستبدالها ياء .

شُنُوْفُ : جمع شِنْف وهي الأقراط .

قال الشاعر :

وننسى اللات والعزى وودًّا ونَسْلِبُها القلائد والشُّنُوفَا

وقال الشاعر العامي :

لو عرضوا لي لابِسْ الخِضْر وشنوف ما أبغَاه لو انَّه على الرُّوح عَزَّام

شَدَخ : ضربه ضربة قوية شدخت رأسه .

قال الشاعر :

مذخورة أحرزتها بحكومة لله تَشْدَخُ أرؤس الحُكَّام

وتسمى مصيدة الفئران الشَّدَّاخة .

شَنَّة : هي القربة البالية :

وقد جاء في الخبر : ثم أخذ شنًّا لها يسقيان به » .

قال الشاعر العامي :

أضْحَك مع اللّي ضحَكْ والْهَمّ طاوِيني طَوْيَةِ شنُونَ العَرَبْ لياقَطَّروا ماها

صُوْرُ النَّخْل : صغاره الملتفة حول أصوله .

فقد جاء في الخبر : فانطلقت أنا وعلي حتى اضطجعنا في صور من النخل .

صَبُوحُ : ما يشرب في الصباح والغبوق ما يشرب في المساء .

قال الشاعر :

خليليَّ ما أحْلى صبُوحي بِدِجْلَةٍ وأطيَبُ منه بالصراط غَبُوقي

ضَوَى : أتى ليلاً وفي الخبر : عن وصول المهاجرين الى الحبشة :

أنه قد ضوى الى بلد الملك غلمان سفهاء .

وهي كلمة شائعة الاستعمال ، فقد تسمع محدثك يصف غلاماً نحيلاً ويظنُّ أن سبب ذلك سوء تغذيته : كأنه لا يضوي على أجواد ..

طِمْل : الرجل الوسخ

قال الشاعر :

وسَهْمٌ ومخزوم تمالَوْا وألَّبُوا علينا الْعِدا من كُلِّ طِمْل وخَامِلِ

وهي كلمة شائعة الاستعمال لغير النظيف في عرضه أو مظهره في لسانه أو معاملته مع الآخرين ، غير أنهم ينصبون الطاء .

طُلَّهُ : أي اتركه وأهمله :

ورد في الخبر : دمي في خُزَاعَةَ فلا تَطلُّنهُ»

وهي كلمة شائعة الاستعمال ، فقد تسمع محدثك يقول : طُلَّ كلامه .

طَرْخَمَ : الممتلى كِبْراً وغيضاً .

قال الشاعر :

جنود تسوقُ الفِيْلَ حتى أعادهم هَبَاءاً وكانوا مُطْرخِمي الطراخم

ويقول العامي في وصف خصمه إنه مُطَرخِم لا يرى من الأرض شبراً .

طَيٌّ : الحجارة يطوى بها البئر .

وقد جاء في الخبر : عن حفر بئر زَمزم — : فلما بدا لعبد المطلب الطَّيُّ كبَّر» .

عَافِيْه : أسيره أو من التجأ إليه .

وقد جاء في الخبر : وهم يفدون عافيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين .
ومن أمثال العامة كل إنسان دون عانِيه أي ضيفه أو من التجأ إليه .

غَبِيْط : هو الهودج

يقول الشاعر :

تقول وقد مال الغبيط بنا معاً عَقَرْتَ بعيري يا امرأ القيس فانزل

الْفَلَج : الانتصار على الخصم .

قال الشاعر :

فيَلْقى من يخاصمه خَسَاراً ويلقى من يُسالمه فُلُوجاً

وتقول العامّة : إن فلانا فلج خصمه .

فَلْكَةُ مِغْزل : رأسه الذي تثبت به السنارة :

قال الشاعر :

كأن ذُرَى رأس المجيمر غدوة من السيل والاغثاء فلكة مغزل

وهي كلمة كثيرة الاستعمال في بيئة الرعي .

قَدَعَهُ : كَفَّهُ وكَبَحَهُ

قال الشاعر :

قُدِعْتُم فشيتم مشيةً أَمَمًا كذاك يَحْسُنُ مَشْيُ الخَيْل في اللُّجُم

وقال الشاعر العامي :

أَشْهَبٍ مثل الجبل تسمع رَطِيْنَهْ أرملي يقدعه قَدْع الحصان

وتستعمل لكبح الرجل عن هواه ، وكذلك مقادير الأشياء فقد تسمع محدثك وهو يعمل القهوة يقول إقْدع النار ، واقدع ماء الطبخة .

قَرْطَسَهُ : أصابه .

قال الشاعر :

غرض المديح تقاربتْ آفاقه ورَمَى فَقَرْطَسَ فيك غيرّ الرّامي

وهي كلمة كثيرة الاستعمال لدى الصيادين ، فقد تسمع محدثك يقول : قرطست الغزال في موضعه ، والحُبَارى في مكانها .

قُصْبُ : واحد الأمعاء ،

وقد جاء في الخبر «حُدِّثْتُ أن رسول الله (ص) قال : رأيت عَمْرو بن لُحَيٍّ يَجُرُّ قصْبَه في النار» وهي كلمة شائعة الاستعمال فقد تسمع محدثك يصف مشادَّةً بين رجلين : انتهت بأن قدَّ أحدُهُما بطن خصمه فاندلع قصبه .

قَارِح : التام السِّن من ذكور الغنم والحمير .

قال الشاعر :

كأني ورحلي فوق أحقَب قارح بِشُرمَة أَوْ طَاوٍ بِعِرنَانَ مُوْجِسِ

ومن أقوالهم هذا ثني وذاك رباع وهذا سدس ، وتلك قارح في ذكر الغنم والخيل أيضاً .

قَضِيْف : نحيف .

قال الشاعر :

مشقفان سَلَبْنَ الرُّومَ زُرقَتَها والعُرْب سُمْرَتَها والعاشِقَ القَضَفَا

وقد يوصف الشخص الحَيِيُّ بأنه قَضِيف الوجه .

قَرْمٌ : هو الشجاع الذكي .

قال الشاعر :

أقرْم بَكْر تباهى أَيُّها الحضض ونَجْمها أَيُّهذا الهالك الْحَرَضُ؟

وهي كلمة شائعة الاستعمال يوصف بها كل من قام بِعَمل يُحْمَدُ عليه .

قال الشاعر العامي :

ما بين شِمْطَان اللِّحَى والأواليد زَمَّةٍ قُرُوم فَوْق مِثْلَ السبال

لَثَقَ : ابْتَلَّتْ ثيابه .

قال الشاعر :

وبات إلى أرْطاةِ حُقفٍ كأنَّها إذَا لَثَّقَتها غبيةٌ بَيْتُ مُعْرس

يقال : جاء وثيابه تَلْتِقُ .

لُصْبُ : شقٌّ في الجبل أو الجدار ، أو ناحية ضيقة .

قال الشاعر :

إليك سَرَى بِالْمَدح قومٌ كأنَّهم   عَلَى الميْس حيَّاتُ اللِّصاب النضائِضُ

وهي كلمة يوصف بها المنزل الضيق ، فيقال : لقد عاش فلان كلَّ عمره في هذا اللصب .

كَدَمَهُ : ضربه ببطن كَفِّه ، ولَطَمَهُ ضربه بظهر الكف .

قال الشاعر :

ولـلـفـؤاد وَجِيْبٌ تَـحْـتَ أبْهَـرِهِ   لَدْمِ الوَلِيْد وَرَاءَ الغَيْبِ بالحجر

وهما كلمتان شائعتا الاستعمال ، تقول العامّة : لدمت فمه بالتراب ثم لطمته بكفي .

مَحَالة : البكرة الكبيرة .

قال الشاعر :

يـدير قـطاةً كـالْـمحـالةِ أشْرُفَت   إلى سَنَـدٍ مِـثْـل الغَبِيْط المُذَأَّبِ

والاسم شائع الاستعمال في بيئة الفلاحين قبل أن تصبح وسائل اخراج الماء آلية قال الشاعر العامي :

أنـا لـياركْبَ الرّشا لـلـمحَـالَة   واستْقلتْ ماني من الحرب فَلاَّل

مَحْل : الجدب والجفاف .

قال الشاعر :

وَصُولاً لـلـقـرابـة هِـبْـرِزِيًّـا   وَغَيْثاً في السِّنينَ المُمحِلاَت

وقد تسمع من يعدد سِني عمره أنه ولد سنة الربيع الطيِّب الذي أعقبه المحل .

مَرَطَهُ : نزعه وألقى به .

وقد جاء في الخبر : هُوَ يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك . وهي كلمة كثيرة الاستعمال ، وتعني قوة نزع الشيء كأن تسمع محدثك يقول : لقد مرط القماش من يدي ، فرطَّت عصاه من قبضته .

نَزْغَةُ الشَّيْطَان : الإفساد بين الناس .

وقد جاء في الخبر : «فعرف القوم أنها نزغة شيطان» .

وهي جملة شائعة الاستعمال فقد تصف شخصاً شرّيراً بأنه نزغة شيطان أي كثير الإفساد بين الناس .

نَبَثُ ، نَبِيثَة : وهي تراب البئر أو الحفرة .

قال الشاعر :

كَـأُدْمِ ظِبَـاء حول مَكَّة عُكَّفٍ يَرِدْنَ حِيَاض البِئر ذَاتِ النَّبائثِ

وهي كلمة مستعملة في بيئة الفلاحين ، يقول : لقد نمت البارحة فوق النبث الذي أمضينا عليه سهرتنا .

نَضَحَ : النضح الرذاذ المنتشر من أي سائل كالماء والدّم وغيرهما .

وقد جاء في الخبر «فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نَضْحٌ من دمه» وهي كلمة شائعة الاستعمال ، وتجاوز استعمالها نَضَح السوائل من الأوعية إلى معرفة كُنْه الرجل ، فقد تسمع محدثك يقول : أنصتُّ الى الرجل لأعرف منضوحه ، أي لاسبُر غوره .

وَيْح : أي ويل .

وقد جاء في الخبر : وَيحَ ابن سُميَّة ، ليسوا بالذين يقتلونك ، إنما تقتلك الْفئة الباغية ، وهي كلمة كثيرة الاستعمال في ساعات الشدة والحزن ، فكثيراً ما تسمع امرأة تصيح قائلة : يا ويحي وَيحاه ! !

وَكْر : هو عُشُّ الطائر .

قال الشاعر :

ولـه الـطير تستريـد وتـأوي في وُكُـور من آمنـاتِ الجِبَالِ

وتسمع صائد الصقور يقول لقد أخذت هذا الحرَّ النَّادِرَ من وكره .

وَدِيَّة : النخلة القصيرة الشابة .

قال الشاعر :

ثَوى عِنْدَ الوَدِيَّة جَوْف بُصَرى أَبُو الأيتام والكلُّ العِجَافِ

وقال الشاعر العامي :

خَطْوَ الوديَّة شَلَّتَه من هَباله بَوع لِيَا اصْفَرَّت مَثاني عَذُوقه

وَشِيْقٌ : اللحم المقدَّد المضاف إليه الماء والملح ، ويسمى القديد أيضاً .

قال الشاعر :

وظلَّ صِحَابي يَشتوون بِنِعمَةٍ يَصُفون غاراً بالقديد الموشَّقِ

وهي كلمة كثيراً ما تطرق مسامعك في أيام عيد الأضحى ولحوم الأضاحي .

هبَّروهُم : قطعوا لحمهم .

جاء في الخبر : فهبروهما بأسيافهم .

والتهبير قطع لحم الهبر .

هِجَارٌ : الحبل تُربط به يد الدابة أو رجلها لكبحها عن الانطلاق في السير .

قال الشاعر :

رأتْ ملكا بنجَاف الغَبِيط فكادَت تَجُذُّ لذاك الهِجَار

وقد سمِّيت وجبة خفيفة تؤكل بين وجبتي الغدَاء والعشاء وغالباً ما تكون من التمر «بالهَجُور» لتكبح جماح المعدة حتى موعد العشاء [وقد تكون مأخوذة من الوقت الذي تحدث فيه وهو الهاجرة] .

الرياض عبد الرحمن بن زيد السُّويْدَاء

آل سعود وآل مقرن

[نشرت «العرب» في الجزء الماضي طرفاً من أنساب الأسر، على ما جاء في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» وها هو ما ورد في ذلك الكتاب].

آلُ سُعُـود :

ما ذكر هذا الاسم الكريم (سعود) إلا خطر في ذِهْني قول ابن الرومي

كَـمْ من أبٍ قَدْ عَـلاَ بِابْـنٍ لَـهُ شرفاً

إنها أُسرةٌ قد أغناها الله عن الإطراء والثناءِ، بما وهبها من الحول والطَّول — وما منحها من العزِّ الذي بِهِ أعلى شأنَ الأمة العربية وأشادَ صَرْحَ العَدْل راسخاً في هذه المملكة، وأيَّدَ الدِّيْنَ الإسلامي الحَنيف في جميع أنحاء المعمورة.

ثم هي بمالها — بين العرب — من أصالة في الحسب والنسب، تُعتبر أرفع أُسرة سامقة الفروع، راسخة الأصول، في الجذم الربعي العدناني، الذي سَمَا بانتساب تلك الأسرة إليه.

فسعود — الجد التي تُنمى اليه هذه الأسرة — هو ابن محمد بن مُقرن. وسيأتي الكلام مُفَصَّلاً عن آل مُقرن المُريدي الوائلي الربعي، وعن المُردة، ووايل في محلها من هذا الكتاب.

ولا يتّسع المجال للحديث عن هذه الأُسرة الكريمة التي أُلّفت عنها المؤلفات الكثيرة، وما زالت تُؤَلَّف منذ منتصف القرن الثاني عشر إلى هذا العهد، فالكتاب مُخصَّص لذكر الأنساب، لا للتاريخ، الذي يحسن الاكتفاء بعرض جُمَل موجزة عنه.

قال ابن بِشرٍ ما مُلخَّصه[1] :

فأما محمد بن مقرن فخلف من الولد مقرن وسعود .
ومقرن هذا ليس له ذرية إلا عبدالله الذي جعله عبد العزيز أميراً في الرياض يوم فتحها .

وأما سعود فخلف أولاداً منهم محمد ومشاري وثُنيان وفرحان .
فأما محمد فهو كما ذكرنا صفت له ولاية الدِّرعية بعد قتل ابن مُعمَّر لزيد وأصحابه .

فلما تبين الشيخ محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه بهذه الدعوة في بلد العُيينة عند عثمان بن مُعمَّر ، ورأى منه الجفاء ، قصد محمد بن سعود فآواه ونصره ، وجهز الجيوش لنصر دعوته كما سبق ذلك مفصلاً .

ومن أولاده الإمام المجاهد ، والبطل المجالد ، مجهز الغزوات والجنود ، ورافع الرايات والبنود ، عبد العزيز بن محمد بن سعود ، قاد الجيوش العرمرمية لنصر الدعوة المحمدية .

ثم ولده الإمام سعود بن عبد العزيز الذي قاد الجيوش المنصورة ، والخيل العتاق المشهورة ، حتى أذعنت صناديد العربان ، وذلَّت رؤساؤهم لأحكام القرآن .

وكذا صار في زمن أبيه بل هو فيه أعظم أمناً وايمان .
ثم ابنه الإمام عبدالله بن سعود ، الذي قاد الجيوش شرقاً وغرباً ، وكابد العساكر المصرية حرباً وضربا . فتتابعت عليه الحروب والكروب ، وصبر حتى تفرّق الناس عليه شعوب ، وحارب الترك في الحجاز وفي الدرعية ، حتى مضى عليه حُكمُ رب البرية ، وانتقض نظام الجماعة والائتلاف ، بعدما قاتل قتالاً ما قاتله أحَدٌ من الأسلاف .

ومن أبناء سعود فيصل وقتل في حرب الدرعية وكان له شجاعة وشهرة .
وناصر وتركي ماتا قبله .
وابراهيم قتل في ذلك الحرب .

وسعد وفهد ومشاري وعبد الرحمن وعمر وحسن نقلهم ابراهيم باشا الى مصر ، بأولادهم ونسائهم كما سبق بيانه وماتوا هناك .

ومن أولاد عبدالله بن سعود سَعدٌ الذي اشتهر في حرب الدرعية .

ومن أبناء محمد بن سعود أيضاً عبدالله بن محمد بن سعود الذي آزر آخاه عبد العزيز ، وقاتل معه أشد القتال .

ثم إبنه الإمام ، والشجاع الهام ، تركي بن عبدالله ، الذي أطفأ الله به نار الفتنة بعد اشتعال ضرامها .

ثم ابنه الإمام الشجاع الثابت الضرغام ، فيصل ابن تركي ، الذي استنقذ الملك ، وظهر من حبس الترك مرتين ، وأخذ الملك قسراً وقهراً كرتين .

وأما أولاد فيصل فالأكابر منهم عبدالله ومحمد وسعود .

وأما جلوي بن تركي فاستعمله الإمام فيصل على ناحية عظيمة وسيأتي ذكره والتعريف بفخره وأمره .

وأما عبدالله بن تركي فشجاعته وفضائله معروفة منشورة ، وقد استعمله الإمام فيصل في سراياه ، فظهر منه شجاعة وإقدام ، ورأى ونقض وإبرام .

وكان لعبدالله بن محمد(٢) أولاد كبار مات أكثرهم في مصر ، ومنهم عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله المؤازر لابن عمه الإمام فيصل في بلدة الرياض .

وأما مشاري بن سعود بن محمد بن مُقرن فإنه الذي آزر أخاه محمد بن سعود ، في نصر هذا الدين ، وابنه حسن بن مشاري الذي قاد السرايا وقاتل مع عبد العزيز بن سعود وله أولاد فرسان شجعان ، قتلوا في حرب إبراهيم باشا في الدرعية ، وابنه أيضاً عبد الرحمن ، وابنه مشاري بن عبد الرحمن هو الذي قتل ابن عمه الإمام تركي رحمه الله .

وأما ثُنَيَّان بن سعود بن محمد بن مقرن فإنه ضرير البصر ، ولكن الله فتح بصيرته لهذا الدين ، وكان عَضُداً لأخيه محمد بن سعود والمشير عليه بالقبول والمؤازرة للشيخ على هذه الدعوة .

ومن ذريته عبدالله بن ثُنيَّان بن إبراهيم بن ثنيان المذكور .

ومنهم فيصل بن ناصر بن عبدالله بن ثُنيّان الذي قتل مع الإمام فيصل في حرب الدّلم .

ومنهم محمد بن يوسف بن ثنيان جاء من مصر وسكن عند الإمام فيصل .
وأما فرحان بن سعود فمن ذريته سعود بن إبراهيم بن عبدالله ابن فرحان .

وأجمل ما فَصّله ابن بشر صاحب كتاب «تحفة المشتاق»[٣] فقال :

وأما مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع ابن ربيعة المُرَيدي فله من الولد : محمد ، وعيّاف ، وعبدالله — جد آل ناصر — ومات محمد بن مقرن سنة ١١٠٦ هـ .

فأما محمد بن مقرن ، فله من الولد مقرن وسعود ، ومقرن هذا ليس له ذرية إلا عبدالله ، الذي جعله عبد العزيز بن محمد بن سعود أميراً في الرياض حين استولى عليها .

وأما سعود بن محمد بن مقرن ، فله أربعة أولاد ، وهم : محمد ومشاري ، وثنيان ، ومرخان . ومات سعود المذكور سنة ١١٣٧ هـ .

فأما محمد بن سعود بن محمد بن مقرن فهو الذي قام في نصرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكانت له الولاية بعد أبيه . وتوفي محمد ابن سعود المذكور شهيداً سنة تسع وسبعين وألف ومئة .

وتولى بعده ابنه عبد العزيز وتوفي يوم الاثنين ٢٢ رجب سنة ١٢١٨ هـ ،
وتولى بعده عبد العزيز ابن سعود وتوفي ليلة الاثنين ٢١ جمادى الأولى سنة ١٢٢٩ هـ .

وتولّى بعده ابنه عبدالله بن سعود بن عبد العزيز وأمسكه إبراهيم باشا في الدرعية وأرسله إلى مصر سنة ١٢٣٣ هـ .

وكان لسعود بن عبد العزيز عدة أولاد غير عبدالله المذكور ، وهم : ناصر ، وتركي ، ماتا في حياة أبيهما .
وفيصل ، وإبراهيم ، قتلا في حرب الدرعية .

وسعد ، وفهد ، ومشاري ، وعبد الرحمن ، وعمر ، وحسن ، نقلهم ابراهيم باشا الى مصر بأولادهم ونسائهم .

ومن أولاد محمد بن سعود أيضاً عبدالله بن محمد بن سعود .

ولعبدالله المذكور عدة أولاد .

منهم : الإمام تركي بن عبدالله .

وإبراهيم — وولده عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله بن محمد ، ابن سعود الملقب صُنَيتان .

وباقي أولاد عبدالله بن محمد بن سعود نقلهم إبراهيم باشا الى مصر وماتوا هناك .

وأولاد الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود ثلاثة ، وهم : فيصل ، وجلوي ، وعبدالله .

وأولاد الإمام فيصل أربعة(٤) .

وهم : عبدالله ، صار في الملك بعد أبيه ، ومات ولم يعقب إلا إناثاً .

ومحمد ، ومات ولم يعقب .

وسعود ، وأولاده خمسة : منهم عبد الرحن — قتله بريه ، في واقعة مشهورة ، ولم يعقب ومحمد ، وعبدالله ، وسعد ، قتلهم سالم ابن سبهان في الخرج سنة ١٣٠٥ هـ بأمر محمد بن عبدالله بن رشيد ، ولهم أولاد معروفون .

وعبد العزيز توفي في حايل سنة ١٣٢٢ هـ وله أولاد معروفون(٥) .

أما مشاري بن سعود بن محمد بن مقرن ، وهو الذي قتل خاله تركي ابن عبدالله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن ، بعد صلاة الجمعة في بلد الرياض ، وهو خارج من المسجد ، وذلك في سلخ ذي الحجة سنة ١٢٤٩ هـ .

وأما ثُنيَّان بن سعود بن محمد بن مقرن فإنه ضرير البصر ، وأولاده ثلاثة ، وهم : إبراهيم ، وعبدالله ، ويوسف .

فإبراهيم هو جد عبدالله بن ثُنيَّان بن سعود المشهور . وعبدالله هو جد فيصل بن ناصر بن عبدالله بن ثُنيَّان بن سعود . ويوسف هو أبو أحمد بن يوسف بن ثنيان بن سعود .

وأما مرخان بن سعود بن محمد بن مقرن فمن ذريته سعود ابن إبراهيم بن عبدالله بن مرخان . انتهى ما ذكره ابن بسام صاحب كتاب «تحفة المشتاق» بنصه .

ومن أبناء الإمام فيصل بن تركي — الإمام عبد الرحمن أبو بطل الجزيرة ومُوَحِّد أقطارها الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، أعلى الله في الفردوس مقامه ، وإخوته الغُرِّ الميامين ، ثم أبناؤه الملوك والأمراء ، سعود وفيصل — رحمهما الله — وخالد الملك المفدَّى أيَّده بالتوفيق ، وسدَّد خطاه ، وجعل له من إخوته أمراء البلاد وقادتها خير بطانة تؤازره على الحقِّ والعدل ، لتنعم الأمة بما شملها في هذا العهد الميمون من صنوف السعادة والأمن والاطمئنان والرفاهية .

ومُجمل القول عن نسب هذه الأُسرة السعودية الكريمة أنَّها من آل مُقرن ، المتصل نسبه بربيعة المُريدي .

والمَرَدَة من بني وائل من أسد بن ربيعة . هذا باتِّفاق علماء النسب من أهل نجد .

والقول بأن آل سعود من بني حنيفة القبيلة الكريمة التي وصفها الله في القرآن الكريم بالبأس الشديد — قول معروف عن بَعْض مؤرخي نجد ، وبعض الباحثين من آل سعود — كالأمير عبدالله بن عبد الرحمن ، رحمه الله — ومن غيرهم من العلماء المعاصرين من يُرَجِّحه .

وهذا لا ينافي انتساب الأُسرة إلى قبيلة عنزةَ ، كما أوضحته في الكلام على (وايل) الجدِّ الذي لا خلاف في انتساب الأسرة إليه — كما في كتاب «مثير الوجد» و«شجرة آل سعود» .

وما هي الأنسابُ العريقة وما جدواها إذا لم تكُن الأفعال الكريمة ؟!

وذكرت محاورة جرَت بين الكاتب المؤرخ المعروف أمين الريحاني (٦) وبين الملك عبد العزيز — رحمه الله — حول قول المتوكل الليثي :

لَسنَا — وان أحْسَابُنَا كَرُمَتْ ... يَوماً على الأحساب نَتَّكِلُ
نَبني كَمَا كانَتْ أوائِلُنَا ... تَبْني ونَفْعَل مِثْلَ ما فَعَلوا

فقاطع الملك عبد العزيز الرِّيحاني حين قرأ البيتين قائلاً : نحن نَبني يا حضرة الأستاذ كما كانت تبني أوائلنا ، ولكننا نفعل فوق ما فعلوا .

فقال الريحاني : أحسنت يا طويل العمر ، أحسنت ! ! أصلحوا البيت حتى إذا قرأ كلٌّ من تَشَرَّفَ بالمثول لديكم :

نَـبني كما كـانت أوائلُـنـا   تبني ونَفْعل (فوق) ما فَعَلوا

تحتدم فيه شعلة الحياة الجديدة ، فيسعى وهو يحترم الأجداد في ما يؤهله لاحترامهم .

آل مُقْـــرِنٍ :

مُقْرِن هو الجدُّ الثامن لمليك البِلاد المُفَدَّى ، ولإخوانه الغُر الميامين . خالد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله ابن محمد بن سعود بن محمد بن مُقرن .

وَإليه تُنمى الأسرة السُّعودية الكريمة وكان الملك عبد العزيز — قَدَّسَ الله روحه — كثيراً ما يعتزي قائلاً : (أنا ابن مُقرن) ! !

ومُقرن هو — كما هو معروف — ابن مَرخان بن إبراهيم بن موسى ابن ربيعة بن مانع بن ربيعة المُريدي ، من المردة .

ومانعٌ — على ما ذكر مؤرخو نجد — عاش في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري ، وقد تقدَّم الكلام على المُردة ، وأنَّهم من بني وائل .

ويحسُن بسط القول في وائل لأنَّ كثيراً من الأُسر النجدية — حاضرة وبادية — تُنسب إليه .

وائل جِذْمٌ عَظيم من رَبيعة بن نزار بن مَعَد بن عدنان ، وتنتمي إليه فروع معروفة من قبيلة عنزة ، وأُسَرٌ كثيرة في نجد ، أشهرها الأسرة السعودية الكريمة ، فهي — بإجماع مؤرخي نجد . من المُردة .

والمُرَدَة من المصاليخ ، والمصاليخ من بني وهب . من ضنا مُسلم من عنزة[٧] .

وقال ابن لعبون في تاريخه[٨] في الكلام على نسب آل مُدلج : عند ذكر وايل ، وأن من وايل بني وهب — قال : وكان لِوَهب ولدان هُما مُنبّه ، وعليٌّ ، وعليٌّ هو جَدُّ ولد عليٍّ المعروفين اليوم .

ولمُنبّه ولدان هُما حَسَن جَدُّ الحسَنة وصاعدٌ جدُّ المصاليخ .

ولصاعد ولدان وهما يعيش ، وقوعي . انتهى .

ولكنَّ اسم (عَنزة) لا يردُ في سلسلة النَّسَب السعودي الكريم ، من وائل إلى نزار بن مَعَدٍّ بن عَدنان — اذ وائل هو ابن قاسط بن هِنْبٍ ابن أفْصَا بن دُعميٍّ بن جَدِيلَةً ، بن أَسَدِ بن ربيعة بن نزار بن مَعَدٍّ ابن عدنان .

وعَنَزَةُ هو ابن أسد بن ربيعة بن نزار ، فوائلٌ وعنزةُ يجمعها ربيعة . فكيف صار الانتساب إلى عنزة ، من قبل كثير من الوائليين ، وليس جَدّاً لهم ؟

وهذا مما سُئِلَتُ عنه كثيراً . ووجدته كثيراً بين قبائل العرب قديماً وحديثاً .

وإيضاحه أنَّ من عادة العرب إذا اشتهر فَرْعٌ من فروع القبيلة التي يجمعها أصلٌ واحد ، فإنَّ بقية الفروع تنتسب إلى ذلك الفرع ، ومثل هذا في القبائل المعاصرة مثل قبيلة شَمَّر — فقد كان هذا الاسم يُطْلَق على فرع قليل العدد ، من قبيلة طيءٍ ذات الفروع الكثيرة الشهيرة ، غير أن أكثَرَ تلك الفروع غادرت الجزيرة سوى فرع شَمَّر ، وفروع قليلة من طيءٍ ، انتسبت إلى شمَّر فيا بَعْد ، فأصبحت فروع طيءٍ في نَجْد داخلة في فرع شَمَّر ، وإن لم يجمعها في هذا الفرع سوى الجَدِّ الأعلى ، وهو طيء ، الذي انحصر في فرع صغير من فروع تلك القبيلة يعيش في العراق .

وهذا الأمر تدفع إليه الحياة التي كانت قبائل العرب تحياها داخل الجزيرة ، فهي بحاجة إلى حالة من العصبيَّة لكي تحمي نفسها قبل استتباب الأمن في هذه الربوع ، بقيام الحكم السعودي الميمون فيها .

وقُل مثل هذا في ربيعة الجذم العظيم من العرب العدنانية فَقَد تفرعت منه قبائل

كثيرة ، منها بكر ووائل ، وعنزة ، وعبد القَيْس أهل البحرين (المنطقة الشرقية الآن) والنَّمر ، ومن وايل : بنو عنز ، الذين دخلوا في قبائل عسير ، في جنوب الجزيرة ، وبنو حَنيفة الذين استقروا في واديهم منذ عصر ما قبل الإسلام إلى عصرنا الحاضر ، حيث لا تزال أسرٌ كثيرة في قرى هذا الوادي من بني حنيفة .

وفروع أخرى من بني وائل ومن بني تغلب في نعام والأفلاج ونواحيها ، ولكن جُل الفروع هاجرت من الجزيرة ، ولم يبق فيها من ربيعة من البادية سوى فروع يسيرة منها عنزة في حرار خيبر ونواحيها .

ومنها بنو حنيفة في واديها ، يجاورهم أناسٌ متحضِّرون من أبناء عمومتهم من بني بكر وايل ، في الوادي وحوله وفي جنوب العارض .

وتحضُّر القبيلة يُفقدها أهمَّ وسائل القُوة التي كانت تتخذ منها القبائل البدوية أبرز مميزات البداوة ، وهي الانتماء إلى العُنصر — الأصل — الذي به تحافظ على بقائها ، وحدةً متماسكة ، وكانت قبيلة عنزة هي القبيلة التي بقيت داخل الجزيرة متمسِّكة ببداوتها وبمميزاتها القبلية ، ولهذا فلا بد من الفروع التي تمتُّ إليها بصلة ، من بني وايل من الأنتساب إليها ، حتى وإن كانت من قبيلة أشهر منها كقبيلة بني حنيفة ، التي استطاعت أن تحمي نفسها في واديها ، وهي تعيش بين قبائل أكثر منها عدداً ، وأقوى عصبية كبني تميم ، وقيس عيلان — كما قال الشاعر الحنفي الجاهلي موسى بن جابر[٩] :

وجَدْنا أبانا كان حل ببلدة ... سوى بين قيس قيس عيلان والفزر[١٠]
ورابية أما العدو فحولها ... مُطيف بنا في مثل دائرة المُهر
فلما نأت عنا العشيرة كُلُّها ... أقمنا وحالفنا السُّيوف على الدهر
فمَا أسلمتنا بعد في يوم وقعة ... ولا نحن أغمدنا السُّيوف على وتر

وقول الله أجل وأولى : — في وصف بني حنيفة — : «قُل للمُخلَّفين من الأعْراب ستُدعون إلى قوم أولي بَأسٍ شَدِيد تقاتلونهم أو يُسلمون» سورة الفتح الآية ٤٨ .

ومع ذلك كان لا بد لهم من الاعتزاء إلى أحد فروع القبيلة التي يجمعهم بها الجَدُّ الأعلى هو ربيعة ، وهذا أمرٌ متعارف بين العرب قديمهم وحديثهم .

قال البُلبيسي في كتابه الذي جمع فيه كتابي ابن الأثير والرشاطي في الأنساب(١١) . في الكلام على الغفاري : ومن الصحابة رضي الله عنهم الحكم بن عمرو وساق نسبه إلى نعيلة بن مُليل بن ضمرة بن بكر ، وقال : ونُعيلة هو أخو غِفَار ، نُسب إلى أخي جده ، وكثيراً ما تصنع العرب هذا ، إذا كان أشهر من جده . انتهى .

وقال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» : — في ترجمة الحكم : وقد ينسبون إلى الإخوة كثيراً انتهى ، وهذا من الأمور المعروفة .

لهذا فإن ما نقل الدكتور العجلانيُّ عن الأمير عبدالله بن عبد الرحمن من نسبة آل سعود إلى بني حنيفة ، لا يتنافى مع القواعد المعروفة عند علماء النَّسب قديماً .

فآل سُعود من بني بكر بن وائل ، وبنو حنيفة بن لُجيم ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، ويجمع الفرعين أصل واحد بكر ابن وائل ، ويجمعها بعنزة جدٌّ واحد هو ربيعة .

وما نقله مؤرخو نجد من أن المُردة — أجداد آل سعود — من بني حنيفة له ما يُبرره — عدا ما تقدم من صلة القرابة ، وهو أن بني حنيفة ما كانت لتُمكِّن أحداً من النُّزول في واديها ما لم يكن على صلةٍ قوية بها . والقول بأن ابن درع الذي كان في الوادي ابن عَمٍّ للدروع الذين ينتمي إليهم مانع بن ربيعة الجدُّ الأعلى للأسرة السعودية الكريمة ، لا يتنافى مع القول بأن الدروع كانوا من بني حنيفة ، فنزع قسم منهم مع قبائل بكر بن وائل حين نَزحت إلى شرق الجزيرة ، ثم عاد منهم مانع بن ربيعة إلى قومه في هذا الوادي .

ولعل مما حمل بعض مؤرخي نجد من عدم تأييد قول الشيخ راشد ابن خُنين أن المُردة من بني حنيفة .

١ — أن الشيخ راشدا — عفا الله عنه برحمته التي وسعت كل شيء كان من معارضي بعض آراء الإمام المُجَدِّد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وخاصَّة قصد الرسول صلى الله عليه وسلم بالزيارة ، خلاف ما هو الصحيح لدى محققي العلماء .

٢ ــ أنَّ بعض أعداء الدعوة الإصلاحية التي قام بها الإمام محمد ابن عبد الوهاب ــ ونصرها ونشرها الأئمة من آل سعود ــ اتخذ من اسم (حنيفة) وسيلة للتنفير من قبول تلك الدعوة ، فقد خرج من بني حنيفة مُسيلمة الكذّاب في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصار الأعداء يضربون على هذه النغمة ، ويوردون أوهى الأسباب التي تربُط بين قيام الدعوة الكريمة في هذه البلاد ، وبين القائمين بها وبين عمل مسيلمة الكذّاب ، فكان من جرّاء ذلك تحاشي مؤرخي نجد ذكر الصلة بين بني حنيفة وبين الأُسرة السعودية الكريمة .

وهل كان في عدِّ أبي لهبٍ من أعمام المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وقد أُنزل الله في ذَمِّه قرآنا يُتلى على مَرِّ العصور والأيام ، ما يزري بقدر المصطفى ؟ حاشا وكلا .

وبالإجمال فآل مُقرن أسرةٌ وائلية النسب ، ربعية ، عدنانية ، بها أعز الله العرب ، ورفع شأنها ، فأضافت إلى كرم المحتد ، وعراقة الأصل شرف الفعل ، ونُبل الخُلُق .

منذ أن قامت بمؤازرة الدعوة الإصلاحية التي عادت بالإسلام إلى منابعه الصافية ، وأصوله الصحيحة ، كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، ثم أرست قواعد العدل ، في هذه البلاد ، التي سعدت بحكمها ، وتوحدّت بذلك الحكم كلمتها ، وعمَّ الأمن ربوعها ، وانتشر الرخاء في جميع أقطارها ــ مما أصبح مضرب المثل في جميع أنحاء العالم ، وأصبح الحديثُ فيه من فضول القول .

وها هو ما ذكره مؤرخو نجد كابن بشر وابن عيسى وغيرهما عن الأُسرة الكريمة (آل مُقرن) في أول أمرها .

قال ابن بشر[١٢] :

قدم ربيعة بن مانع [١٣] من بلدهم القديمة المسماة بالدرعية عند القطيف قدم منها علي ابن درع صاحب[١٤] (حجر والجزعة) المعروفين قرب بلد الرياض ، وكان من عشيرته فأعطاه ابن درع المليبيد وغصيبة المعروفين في الدرعية فنزلها وعمرها ، واتسع بالعمارة والغرس في نواحيها وزاد عمارتها ذريته من بعده وجيرانهم ، وذكر أن مانع المذكور كان مسكنه بلد الدروع من نواحي القطيف ، ثم انه تراسل هو ورئيس دروع

حجر اليمامة بنو عمٍّ دروع القطيف ، لما بينهم من المراحمة ، فاستخرج مانعاً من القطيف ، فأتى إليه في حجر ، وأعطاه المُليبيد وغَصيبة المذكورين ، وهما من نواحي ملكهم ، فاستقر فيهما هو وبنوه ، وما فوق غصيبة لآل يزيد إلى دون الجُبيلة ، ومن الجبيلة إلى الأبكَّين الجبلين المعروفين إلى موضع حُريملاء لحسن بن طوق جد آل معمر .

ثم ولد لمانع المذكور ربيعة وصار له شهرة واتسع ملكه وحارب آل يزيد .

ثم بعد ذلك ظهر ابنه موسى وصار له شهرة أعظم من أبيه وكثر جيرانه من الموالفة وغيرهم ، واستولى على الملك في حياة والده واحتال على قتل أبيه ربيعة فجرحه جراحات كثيرة ، وهرب إلى حمد بن حسن ابن طوق رئيس العيينة ، فأجاره وأكرمه لأجل معروف له عليه سابقاً .

ثم إن موسى سطا بالمُردة وجميع من عنده من الموالفة على آل يزيد في النعميَّة والوصيل ، وقتل منهم في ذلك الصباح ثمانين رجلاً ، واستولى على منازلهم ودمرها ، وكانت هذه الوقعة يضرب بها المثل في نجد فيقال (مثل صباح الموالفة لِآلِ يزيد) وتشتت آل يزيد بعدها ، ولم يقم لهم قائمة واستمر موسى في الولاية .

وتولى بعد موسى ابنه إبراهيم ، وكان لإبراهيم عدة أولاد : منهم عبد الرحمن وعبدالله وسيف ومرخان ، فأما عبد الرحمن فهو الذي استوطن بلد ضرما(١٥) ونواحيها وذريته آل عبد الرحمن المعروفين بالشيوخ ، وأما عبدالله فمن ذريته الوُطيب وغيره(١٦) .

وأما سيف فمن ذريته آل أبي يحيا أهل بلد أبي الكِباش المعروف .

وأما مرخان فخلف عدة أولاد، منهم مقرن وربيعة .

فأما مقرن فهو الذي من ذريته آل مقرن اليوم وخلف عدة أولاد منهم محمد وعبدالله جد آل ناصر وعياف ومرخان ، فأما محمد فخلف سعود ومقرن . انتهى .

وقد تقدم الكلام على (آل مقرن) و(آل سعود) .

* * *

الحـواشي :

(١) «عنوان المجد» : ص ١١ ج ٢ — طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) .
(٢) هو عبدالله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن جد الأسرة المالكة الكريمة ، ونسل أخيه عبد العزيز بن محمد انقرضوا .
(٣) الكتاب لا يزال مخطوطاً .
(٤) بل خمسة ويظهر أن هذا الكلام ، قيل قبل ولادة الإمام عبد الرحمن بن فيصل .
(٥) لم يذكر الإمام عبد الرحمن بن فيصل — رحمهما الله .
(٦) ملوك العرب ج ٢ ص ٩٧ ط ١٩٥١ في بيروت .
(٧) أنظر مجلة «العرب» س ١٥ ص ٦٠٢ .
(٨) في القسم الذي لا يزال مخطوطاً .
(٩) «المؤتلف والمختلف» للآمدي و«معجم الشعراء» للمرزباني .
(١٠) سوى : وسط والفِرْزْ لقب بني سعد بن زيد مناة بن تميم .
(١١) لا يزال مخطوطاً .
(١٢) «عنوان المجد» — ص ١٨٩/ ١٩٠ — طبع وزارة المعارف سنة ١٣٩١ هـ . (١٩٧١ م) .
(١٣) في تاريخ ابن عيسى : (مانع بن ربيعة المريدي من بلد الدروع) .
(١٤) عند ابن عيسى : (أهل وادي حنيفة وكان بينهما مواصلة ، لأن كلا منهما ينتسب إلى حنيفة) .
(١٥) عند ابن عيسى (ضرما وجو ونواحيها)
(١٦) زاد ابن عيسى : (وآل حسين وآل عيسى) .

* * *

ولاتمام البحث يحسن الرجوع الى الكلام على بني (حنيفة) في حرف الحاء و(بني وائل) حرف الواو — من كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» .

المجتمع البدوي

[المجتمعات البدوية في جميع أقطار الجزيرة العربية تكاد تكون متماثلة في عاداتها وتقاليدها ، وفي جميع أحوالها ، بل إن التشابه في كل ذلك لا ينحصر في سكان الجزيرة ، بل يوشك أن يكون عاماً في جميع المجتمعات القبليّة العربية في مختلف الأقطار التي تحلها قبائل عربية ، انتقلت من الجزيرة .

وما عرب الأردن في باديتهم سوى امتداد لعرب نجد والحجاز ، ولهذا فلا غرابة ان تتشابه العادات والأحوال ، إلاّ أن عرب الجزيرة — بعد انتشار دعوة الإمام المجدِّد الشيخ محمد بن عبد الوهاب — رحمه الله — منذ منتصف القرن الثاني عشر إلى عهدنا تحرّروا من كثير من العادات التي لا تتفق مع قواعد الشرع الشريف ، كالاحتكام لدى قضاة يحكمون بالعرف أو العادة ، وغير ذلك من الأمور المحرمة شرعاً ، فزالت كل العادات والتقاليد المتوارثة مما لم يقرّه الشرع . إلا أن كثيراً من أهل البادية الذين انتقلوا من قلب الجزيرة لا يزالون متمسكين بشيء من ذلك . والحديث عن هذا يقصد منه معرفة جوانب من حياة الأمّة على ما هي عليه ، وفي هذا ما يفيد الباحثين في أمراض المجتمع العربي — على وجه الإجمال — بغية الوصول إلى وسائل العلاج الناجع ، وان لم تكن كل العادات والتقاليد غير نافعة .

والصّديق الكريم الأستاذ روكس بن زائد العُزيزي ذو معرفة واسعة في أحوال البادية في ذلك الجزء الحبيب من الوطن العربي ، وله أبحاث ومؤلفات معروفة وها هو بحثه المُمتع الذي أتحف به قراء هذه المجلة] .

المجتمع البدوي : سابق للمجتمع الحضري ، وأصل له ، فإذا نظرت كل أسرةٍ من أسرنا الحضرية ، الى تاريخها تجد أنها تحدَّرت من قبيلة بدوية ، في الأصل . وهاجرت أسرتها لسبب من الأسباب ، إلى المدن واستقرت فيها .

أ — إما لطلب الرزق .

ب — واما لخصومة ، اضطرت تلك الأُسرة للهجرة ،

ج — وإما لقحط أتي على ما تمتلك ، من إبل ، وأغنام .

د — وإما لمجاعة جارفة ، أو وباء مفنٍ .

هـ — واما لغارة لم تستطع صدّها .

ونحن نعلم أن البدو كما يقول العلامة ابن خلدون ، هم المُنتحلون للمعاش

الطبيعي ، من القيام على الأنعام ، من الشاء والإبل ، ويتخذون البيوت من الشعر ، والوبر ، والشجر ، ومن الطين ، والحجارة غير منجّدة ، وقد يأوون إلى الغيران والكهوف .

وقد كان نظر البدو إلى صاحب الإبل أرقى من نظرتهم إلى صاحب الغنم الذي يسمونه (الشاوي) . ليس هذا عند بدونا وحدهم ، ولكنه شمل العرب من أقدم الأزمنة .

فقالوا : (خير ما بالشّاوي ، صَبٌّ سمنه) .

وقال الشاعر البدويُّ (علي الرميثي) في علوائه البارعة ، المعروفة بـ(شيخة القصيد) لما فيها من رسم للمثل الأعلى في المجتمع البدوي :

ثـامِنْ وصـاتي ، بـه مَـعَـزَّة وهـيـبـة
عَلَيك بسِفن البَر حِرش الْـعَراقـيب
الـزبـد ، لا يَـرْمـيك ، هُوَ والـرُّويـبـة
تَرْغَبِ لـحَوْش الضَّـانْ وتـخَلّي النِّيْب
رَاعَى الـغَـنَـم يشيِبْ ، مِنْ قَبْل شَيْبَه
والَبِلْ ، مَعَزَّه ، تـبـعد الَهمٍّ والشَّيْبْ !
لَـن اشْلَـهِبٌ الـوَقْت ، لَـو هـو حَلِيْبَه
يُوْصِـلْك لأيّـام الـفضَـا ، والتَّـعاجِيْب !

أما الذي يشتغل في الفلاحة ، فنظرتهم إليه سيئة ، إلى حَدٍّ أن بعض قضاة البدو تَحرَّج من قبول شهادته ، أو قبلها بتحفظ .

* تقسيم البدو :

تقسم طوائف البدو الى هذه الأقسام :

أ ــ السُّلفَان ، ولا مفرد لها ، والسلفان مجتمع عربان كثيرة ، لها أصل واحد ، أو جمعها التحالف : أما كلمة سلف ، فهي اسم جمع للفرسان الذين يتقدمون العربان

الراحلة ، خوفاً من غارة تُشَنُّ ، ويقابل السّلفان في العربية الفصحى ، الشّعب ، قال الشاعر البدوي ، مشيراً إلى ضخامة التجمع المعروف بـ(السّلفان) :

لو تَنْدَه المجمُول ، ما تسمع نْدَاه سلفان ، ما يَسْمع طرفها المنادي

ب ـــ القبيلة ، وجمعها قبايل ، وهي في الفصحى ، القبيلة أيضاً ، وهي أصغر من الشعب .

ج ـــ عشيرة والجمع عشاير ، ونلاحظ أنهم لا يقلبون حرف العلة همزة ، كما تُوجب القاعدة ، في جمع قبيلة . ويقابلها في الفصحى الفصيلة ، وهي أصغر من القبيلة .

د ـــ الفِريق ، وجَمْعُهُ فرقان ـــ وبعض القبائل ، تلفظ القاف جيماً ، وهذا مألوف في العراق إذ يقولون (جاسم) بدلاً من قاسم . والفريق أصغر من العشيرة . ويقابل الفريق في الفصحى العشيرة ، وجمعها في الفصحى عشائر ، بالهمز .

هـ ـــ الفِرقَة وجمعها فرق ، ويقابل الفرقة بالفصحى ، العمارة ، جمعها عمائر .

و ـــ الفِنْدَة ، وجمعها فُنَد ، يقابلها في الفصحى البَطْن ، والجمع بطون

ز ـــ فيِّه ، والجمع فيَّات ، ويقابلها في الفصحى : الفخذ .

ح ـــ الحَمُولة ، وجمعها حمايل ، وسُمِّيت حمولة ، لأنَّ كل فرد من أفرادها يتحمَّل أوزار ما يرتكب قريبه من جنايات ، ويتحمل معه نصيباً من الدِّيات .

ط ـــ ويسمون القسم من الحمولة آلية فلان ، ولا يجمعونها ، وهي تحريف (آل) .

ي ـــ العَيلة والجميع عيَل ، ولا يقولون : (عيلات) ، إلاَّ في الخطأ ، لأنَّ العيلات معناها الأخطاء المقصودة المتعمدة ، أو الجور ، وقاصد الظلم يُدْعى العايل . قال الشاعر :

شَمِّر ولَتِّنَا يا (ضنابشر) لولاك واللِّي يحطَّك باوْسَط الرَّوك عايل

والعيلات جمع عايلة الخطأ ، وفي أقوالهم : (كل عايلة رَدُّها إلاَّ عايلة الكَرَم ، وعايلة البِقَر !) .

ويندر أن تسمع من البدو التّسميات التي أقرتها الفصحى .

• **تنظيم المجتمع البدوي :**

وقد سمينا هذا التنظيم سياسة ولما كان بعض السلفات والقبائل ، والعشائر أقوى من بعض ، وكانت البادية شَحِيحة بالخيرات ، نشأ الغزو ، مَصْدراً أساسياً من مصادر الرزق ، فكثر اعتداء السّلفان ، والقبائل ، والعشائر ، بعضها على بعض ، فكان لا بُدَّ لهذا المجتمع من تنظيم :

أ ـــ تنظيم داخلي .

ب ـــ وتنظيم خارجي .

وقد أطلقنا عليهما ـــ تسامحاً ـــ اسم سياسة المجتمع البدوي ، داخلياً وخارجياً .

وهذه السياسة لا بُدَّ لها من ركائز تَسْتند إليها ، وتلك الركائز هي :

الأعراف ، والعادات ، والتقاليد ، والسوادي ، وبعضهم يقول السواتي ، وفي العراق يسمونها السواني .

أما الأعراف فهي كل ما تعارف عليه القوم من أساليب التنظيم للحياة ، والعادات ، هي كل ما اعتادوه في أفراحهم ، وفي أحزانهم ، وفي مناسباتهم الاجتماعية .

والتقاليد ، كل ما توارثه الآباء عن الأجداد ، من غير أن يخْضِعُوه لمحاكمة عقلية ، والنّصارى يسمون التقليد ، كل ما توارثوه من شرائع غير مدونة في كتاب مقدس ، لكنهم يقولون : إنَّ حواريي المسيح نقلوه لهم بالمشافهة .

أما السوادي ، والسواتي ، وما يسميه أهل العراق السواني ، فهي مجموعة اجتهادات قضاة القَلَطَة المناهي ، وتعتبر عندهم بمنزلة المبادىء القانونية ، التي تقرها محكمة التمييز العليا ، والسبب في اعتبار اجتهادات قضاة القلطة بمنزلة المبادىء القانونية ، كون هؤلاء القضاة نادرين ، اذ لا يوجد منهم في كل قبيلة إلاَّ واحد ، مشهور بـ :

أ ـــ بحسن النَّقِيبة ، ويسمونه راعي البخت رزقه الله الكثير .

ب ـــ والكرم ، صاحب مَعنى أي شق مقصود .
ج ـــ شجاع معروف بالفروسيّة ، إن لكَد ما رَد ، وان انتخى ما صَدّ ، يروى السيف ويقري الضيف .
د ـــ لم تعرف عنه في حياته شهادة زُور .
هـ ـــ لبس فيه (عِذْرُوْب) من (العذاريب) التي ترد الشّهادة .
ه ـــ والعذاريب التي ترد الشهادة هي :

طرد الضيف ، اللّوذ عَلَى الجارة ، والجار غايب ، شارِد الثلاثة ، خاين مَعزّبه ، صاحب الشوفة القريبة ، الذي يسرق من الصاحب .

وقد صَنّف القوم قُضاتهم لتنظيم السياسة الداخلية على هذه الدرجات :

١ ـــ قضاة القَلْطة ، وهم خيار الزعماء المشهورون بالمناقب الحسنة ، والاتزان ، والشجاعة ، والكرم ، الذين يسمونهم أصحاب البخت ، وقد ذكرنا صفات قاضي القلطة .

٢ ـــ قضاة المناهي ، وهم الذين يوكل إليهم البَتُّ في أهم القضايا ، التي يثير وقوعها القبائل ، ولا يستطيع أن يوقف ما يترتب عليها من مشكلات اجتماعية ، إلاّ ذو هيبة ، ومنعة في قومه ، وسلطة عظيمة ، وقضاة المناهي هم :

أ ـــ قاضي الدم أو مقطع الدم[1] ، أو قاضي الرقاب .
ب ـــ قاضي العرض ، ويسميه الحويطات (العُقبي)[2]
ج ـــ مُبيّض الوجوه ويسميه الحويطات (المنشد)[3] والجمع مناشد وهذا يقضي في كل القضايا التي تتفرع عن التّعدي على كرامة الكفيل أو المجير ، أو كرامة البيت .

د ـــ وقضاة المشاهي ، وهم الذين يختارهم ذوو الخصومات من شيوخ ووجهاء العشائر ، المعروفين بالحكمة والاستقامة وهؤلاء يختلفون عن قضاة القلطة ، بأن أحكامهم يجب أن تنطبق على الأحكام التي أصدرها قضاة المناهي ، في القضايا المشابهة ، بحيث يقول القاضي ، عند اصداره الحكم ما حرفه : (من عندي ، ومن عند العوارف قبلي ، إن حكم هذي القضية وهو كذا ..)

وأحكام هذه الفئة من القضاة ، خاضعة لما يسمونه (سوم الحق) وهو شَبيه بالاستئناف ، والكلمة ، مصدر لـ(سام يسوم) أي فاوض يفاوض في تحديد الثمن ، وكأنهم شبهوا القرار في هذه الحالة ببضاعة ، يراد تحديد ثمنها ، وهو اصطلاح لطيف جداً إذ شبهوا مجلس القضاء بسوق تجارية ، توزن كل كلمة فيها بما تستحق من التقدير .

فإذا كان القاضي من قضاة المناهي ، فله أن يعطي سوم الحق ، وله أن يقول : (إن حكمه مُبْرَم (قطعي) ، وليس في استطاعة أحدٍ أن يُرغِمَهُ على إعطاء سَوم الحق . وكأنَّ قراره صادر من محكمة التَّمييز العليا ، وسِرُّ ذلك أنَّ هذا القاضي ، هو من قضاة القلطة ، الذين تعتبر أحكامهم مباديء قانونية .

* * *

لكن إذا كان القاضي الذي أصدر الحكم ، من قضاة المشاهي ، فإنَّه يجب عليه أن يمنح طالب سوم الحق ما طلب ، وإن لم يفعل ، أُرغم على ذلك .

أما بقية القضاة ، غير الذين سَمَّيناهم ، فتختلف تسميتهم عند القبائل .

فالذين يسمون في (الكرك) وضواحيها و(مادبا) وضواحيها ، وفي عربان (البلقا) وعربان بني صَخْر (قضاة المعترضة) تسميهم بعض القبائل : قضاة التمهيد .

ويعرف الحويطات من هذا الصِّنْف نَوعين :

أ ـــ قضاة بيت الخط ، وهم الصنف الأول من قضاة التمهيد

ب ـــ وقضاة المقارشية وهم الصنف الثاني من قضاة التمهيد .

وفي العراق يسمون القضاة (افْرِضَة) والتاء هنا للمبالغة ، كالتاء في علاَّمة ، ورحَّالة و(الأفرضة) في العراق يفرضون مقدار الغرامات وما يتبعها من (حشم) أي تكريمات غير الدِّيَّة .

أما الزُّوَلة ، فيسمون قضاة الدَّم (مقاطِع الدم) الواحد

مقطع الدم ، أي الذين يفرضون كل ما يختص بالدم ، ويسمون قضاة العرض : (قضاة المقلَّدات» وقد جاءت التسمية من لابسات القلائد ، ومن أنهم قديماً كانوا إذا وقعت حادثة بعرض ، كانوا يقلِّدُوْنَ فرساً قطعة من بيت الشعر ، فيوصل راكبها خبر

التي اعتدي عليها في وضح النهار (وراح ثوبها قدايد ، ومخانقها بدايد) يوصل الخبر إلى أفراد عشيرتها المقيمين بعيداً ، لاستثارة نخوتهم وحميّتهم . وقد اتفق ان اختطفت امرأة فجاء زعيم عشيرتها ، لابساً مدرقة ، وعلى رأسه الرماد ، فما كان من العشيرة كلها ، إلا أن جَلَتْ عن ديارها ، استعداداً للمطالبة بشرف العشيرة ! ..

* * *

• اختيار القاضي :

وللقوم أصول يتبعونها ، في اختيار القاضي يسمونها (المخاطط) وقد جاءت التّسمية ، من أن المدعى عليه يسمى قاضياً ، ويخط بأصبعه أو بالعصا خطّاً في ما أمامه من تراب ، ويعقبه المدّعي ، فيخط خطاً بعد أن يسمي قاضياً ، ثم يخط المدعي عليه خطاً ثالثاً ، ويسمي القاضي الثاني الذي اختاره هو .

ويجيء بعد ذلك مسح الخطوط ، أو حذف القضاة ، فيمحو المدّعي خطاً من خطوط المدعي عليه ، أي يحذف أحد القاضيين اللذين اختارهما المدعى عليه ، ويتلوه المدعي عليه ، فيحذف القاضي الذي خطه المدعي ، فإن لم يَرْضَ المدعي بأن يتولّى القاضي الذي بَقِي فَصْلَ القضية ، عمد الخَصمان الى أحد قضاة المعترضة ليعين قاضياً يلتزم الخصمان بحكمه . فمن هنا يظهر لنا أن من وظائف قاضي المعترضة ، أن يعيّن صاحب الاختصاص للفصل في القضايا المُختلف عليها .

* * *

فإذا رفض المدعي عليه الاذعان — أي عاط عن الحق — عَمِد المدّعي إلى الوساقة ، وهي حَجْزٌ احتياطي ، يُقصد منه إرغام الخصم على الإذعان للحق ، وهذه الوساقة تقع على المواشي عادة خُفْيَةً عن أصحابها ، يمارسها المدعي القوي ، أو دخيلُه ، ويجب أن تسلَّم وديعة عند أقرب المجاورين لمكان الوساقة ، ويعلن أن هذه الموسوقات تَخُصُّ فلانا ، لإجباره على التقاضي (القعود للحق) ولا يحق للواسق أن يُبْقي المال الموسوق عنده ، وإلاَّ عرَّض نفسه لغرامة باهظة ، قد تزيد قيمتها ، على قيمة ما يطلب به ، والقاضي الذي يفرض غرامة الوساقة يختاره المدعي ، بطَلَب من المدعى عليه . وفداحة الغرامة ، ناشئة عن كون الواسق استهان بالأعراف ، وخرق العادات

والتقاليد ، فكأنه اعتدى على الشرف العام . والحق العام ، فوق إهانته لخصمه ضمناً بأن اعتبره أنه ليس من الرجال الذين يحسب لهم حساب .

فحاجز المال يُدْعَى الواسق .

والمال الموسوق يدعى الوساقة والوسيق .

والذي تودع عنده الوساقة يسمّى الوديع ، فإذا هلك المال عند الوديع غرم ، لأنهم يقولون : (الوديع المغِرّ أولى بالخسارة) .

ويفتخر البدو باسترداد المال الموسوق ، إذا أدركوا الواسق ، قبل أن يودعه عند الوديع ، فيقولون :

إن كان ما نَرِدّ الوسيق يا أبنية ، لا تْهَلّي بِنَا !

ويسمون ما ينهبه الغزاة وسيقاً أيضاً من أجل هذا جاء هذا البيت من الشعر !

* * *

الرِّزقه : الرِّزقة كما يلفظها البدو ، والرُّزقة بالضم ، كما يلفظها الحضر ، هي رسوم الدعوى ، التي تدفع للقاضي ، وسبب الاختلاف في اللفظ ، أنَّ البدو ينفرون من الضم ، كما نفر منه العرب قديماً ، لعامل نَفْسيٍّ ، فقد توهم العرب أن الضم هو دلالة البخل والقبض ، والفتح علامة السخاء والكرم ، والكسر دلالة العزم ، والقوة . وهي من رَزقه يَرْزُقُه رَزقاً ، والرِّزقة بالكسر اسم هيئة من الرِّزق ، والرُّزقة اسم مصدر ، والكسر لغة أعلى .

وتتم الرِّزقة بأن يأتي كلٌّ من الخصمين بشيء ، يُقَوَّم عُرفاً بقيمة هذه الرزقة ، التي هي في الأصل ، ربع المبلغ المطالب به ، إلاَّ إذا أراد القاضي أن يتنازل عن شيء من حقّه فيها . فتكون في الدعاوى الكبرى فرساً مشهورة من سلالات الخيل المعروفة ، أو (بارودة) مَصَبَّبة ، أو سيفا مشهوراً لزعيم معروف (مثل سيف (مطلق السلمان) من فرسان بني صخر المعدودين] ، ويتبادل الخصمان الرِّزق ، وتُسَلَّم كل رزقة إلى كفيل يلتزم بتسليم القاضي رزقته ، عند فرض الحق . ويعلن الخصمان نوع الرزقة ، أو هي :

أ ـــ مسترَّة ، وهي التي يدفعها الذي سره حكم القاضي بأن حكم له (الفالج)

ب — (باطوليَّة) وهي التي يؤديها الذي بَطَلَت دعواه وحكم عليه (المفلوج) والمعروف ، أن الرِّزقة المسترة ، واجبة في هذه الدعاوى :

١ — دعوى العرض .
٢ — دعوى الدم .
٣ — دعوى تقطيع الوجه
٤ — دعوى حق البيت .

وبسبب ذلك ، إن الغرامات التي تُفرض على المفلوج ، لا يستطيع المطالب بها أن يتحملها ، على الرغم من أن الذي يَتَحَكَّم عليه بالتعويض في هذه المواقف ، يجمع من العشائر الصديقة بطريق الشَّحذ ، ما يزيد على ما يطلب منه ، لكن هذه المبالغ تُعَدُّ ديوناً عليه ، وعلى خَمسته ، عند وقوع حادث يحتاج إلى المساعدة . ورابح الدعوى أولى بأن يدفع الرِّزقة . فإذا أراد المتخاصمان أن تكون الرزقة في هذه الحالة (باطولية) تبادلا رزقهما خارج مجلس القاضي . واشترطا هذا الشرط بوجوه كفلاء ! ..

ولا بُدَّ من كفيل وفَا ، وهو الذي يلتزم كل ما يترتَّب على مكفوله من التزامات ، وكفيل دَفَا ، وهو الذي يحمي المطالب بدعوى جزائية من الاعتداء عليه وعلى أقاربه ، المطاردين معه . وهذا في الدعاوى الكبرى .

• **تعيين زمان المحاكمة ومكانها :**

بعد استتمام ما تحتاج إليه القضية ، من شكليات ، وترتيبات ، يُصَار الى تعيين الزمان ، والمكان ، لفصل القضية . فإذا تخلّف أحدُ الخصمين عن الحضور ، في الموعد المحدد ، بدقَّةٍ متناهية ، شرب الخصم الذي حَضَرَ القهوة في الشق ، وأشهد الحضور ، على أن خصمه (عايطٍ عن الحق) أي يراوغ أو متمرِّد ، فيطالب كفيله بمقدار الكفالة ، والكفيل ملزم بتأدية مقدار الكفالة ، إلاَّ إذا كان تغيبه ، قد حدث بعذر مشروع ، ومُبطلات المواعيد ، عند البدو ، هي :

١ — المطر ، ٢ — الغارة على الحي . ٣ — موت أحد أقارب المتغيِّب ، وزادوا طلب الدولة .

كيفية القعود للحق :

يُجرِّد الخصمان في مجلس القضاء ، من السلاح تماماً ، ويبدأ المدعي بِسَرْد قضيته ، بعد المقدمة التقليدية ، التي هي في الواقع ، مخاطبة لضمير القاضي . لكي يكون حكمه خالياً من أيِّ غرض ، أو ميل عاطفي ، وتختلف هذه المقدمة بين قبيلة ، وقبيلة ، لكن المعنى واحد ، والغرض واحد ، ونحن نورد المقدمة المتعارف عليها في الكرك — والبلقا ، وعربان بني صخر ، لأنّنا وقفنا عليها بنفسنا منذ أربعين سنة ، ولا ندري إذا كان قد طرأ عليها شيء من التعديل .

جتك يا قاضي العرب ، يا فكَّاك النِّشب ، جيتك هَدي قِدي حظي وحظك ، يدخلن على أربعة وأربعين نبي ، من المسية ، وميلة الحق الردي ، وأنا حَاطِها بعيونك السود ، وربعك القعود ، وبحلاَّبات الحليب ، ونسَّافات العسيب ، والمرة وما تجيب ، من خافية عليَّ وبيّنة عليك . (جيتك يا للِّي)(٤) وهنا يسرد حُجته ويبسط قضيته وبعد أن يصغي القاضي بكل انتباه ، إلى كل ما يقوله الخصمان ، يحق للمدعي أن يزيد على حجته ما فاته ، عملاً بالقول المشهور : (الأول ، أبو حِجَّتين !) ويسرد القاضي ما قاله كل من الخصمين ، ويُدعى هذا تعديل الحجج ، أي تقويم ما ادَّعاه كلُّ خصم ، ويسأل القاضي المدعي والمدعى عليه : (هذي حجتك) ؟ فيجيبه الخصم بقوله : (زوَّدت ، ما نقَّصت) ويختم بعض الخصوم حجته بين يدي القاضي بقوله : (وتالي حجة الأبلم ، عندك) .

وبعد تعديل الحجج يعرض القاضي الصلح على الخصمين مُزَيِّناً الصلح ، متنازلاً عن حقّه في الرزقة ، فإذا أصرّ أحد الخصمين أو كلاهما على سماع الحكم ، قال القاضي : (زين تكافلوا) .

فيُعين كل منهم كفيله ، ويصدر القاضي الحكم . فإن أحَسَّ أحدُ الخصمين بأنَّه مَغْبُون طلب سوم الحق — وسوم الحق كما أسلفنا — بمنزلة الاستئناف . وقد وضحت سابقاً ، من القاضي الذي يُستأنَفُ حكمه ، ومن القاضي الذي يُعَدُّ حكمه مُبْرماً .

الشهادة وشروطها :

خلو الشاهد من العذاريب ، العيوب ، المبطلة للشهادة وهي :

أ ـــ تُرَدُّ شهادة المعروف بالكذب .

ب ـــ وشهادة المعروف بالسرقة من الأصدقاء الذين يسمونهم الصاحب ، ويسمونه راعي الشوفة القريبة أو صاحب الشوفة القريبة .

ج ـــ الخابر الصابر ، وهو الذي يتغاضى عن زلّات محارمه ، ويسكت عليها ؛ مثل أُخته ، وبنته ، وابنة عمه ، أما الذي يطلق زوجته لاتهامها بالزنا أو تُتهم أمه بالزنا فلا يُعَدُّ خابراً صابراً ، لأن المرأة والأم ، لا حكم لغير أهلها عليهما . إذ يقولون : المرة خيرها لجوزها وشرّها على أهلها .

د ـــ الذي يطرد ضيفه .

هـ ـــ إذ ثبت عليه أنه اعتدى على عرض جارته ، المستجيرة به ، ويلقب الرجل الذي يُراود جارته عن نفسها ، أو المُستجيرة به ويلقب بـ(الشّبر) وهو أحط الرجال ، قال الشاعر ينفي أن تكون فيه صفة من صفات الشبر :

ما شبر غير اللّي يطَاطي على الرّدى أو يلوذ ع الجارات والجارْ غايب !

و ـــ البايق ـــ وهو الذي يغدر برفيقه . ومن أقوالهم :

(راعي البَوق ، ما ينتهض فوق)

ز ـــ خاين مأمنه ، ومن أقوالهم : (ما خاين الا خاين مآمنه) .

ح ـــ الذي يبول وهو واقف ، على قارعة الطريق .

ط ـــ شارد الثلاثة ، الذي يهرب عن رفيقيه ، ويَعُدُّونه في عداد الحريم ، لأنَّ المرأة لا تقبل لها شهادة .

وقد حاول أحد قضاة البادية أن يقلط على أن شهادة الفلاّح مرفوضة ، وشهادة الحضري مرفوضة ، لكن قلطته تلك لم يُؤخذ بها .

ي ـــ (مؤاكل امرته) لأنهم كانوا يعتقدون أن الزوج الذي يؤاكل زوجته تضحي

بمنزلة أخته ، فما دام يقبل على نفسه ، أن يتخذ ممن أصبحت أختاً له زوجة ، فلا تقبل شهادته .

ك ـــ الفاغم ، وهو الذي يساعد الأعداء على أحلاف عشيرته ، أو على عشيرته فهو عندهم بمنزلة (أبو رغال) .

ل ـــ والقريب إلى الدرجة الخامسة .

م ـــ المشارك في المنفعة .

ن ـــ والمنيَّل وهو الذي يهرب من المعركة وتُصَبُّ على ثوبه المخططة النّيل .

وقد ذكر المرحوم عوده القسوس ، معطلات الشهادة ، لكنه لم يستوف كل ما توصلنا إليه ـــ وإن كان له فضل السبق .

* * *

حلف اليمين :

والبدو يأخذون بالقاعدة التي أقرها اكثم بن صَيفي في الجاهلية : الْبَـيِّنَةُ على من ادّعى واليمين على من أنكر[٥] .

فإذا أقر القاضي اليمين ، جاءت شكليَّاته ، وهي : ينهض طالب اليمين ، ويذهب إلى ما وراء بيت القاضي ، ويخط بسيفه دائرة ، يغرز سيفه في وسطها ، ويضع في الدائرة شمله ونملة ، ويقفز حالف اليمين إلى داخل الدائرة ، المعروفة بالحوطة وتُملَى عليه صفة اليمين ، فيُرَدِّدُها ، وهو ممسك بِيَدْه عُوداً .

ومن صِيَغ الايمان التي سمعناها (وحَقّ هالعُود ، والرب المعبود والكاذب ماله مالود ، إني ما حطّيت في افلان ، لا سامية[٦] ولا رامية ، ولا شقّيت له جلد ، ولا يتّمتْ له ولد) هذا إذا كان الحالف متهماً بالقتل .

أما إذا كان الحالف شاهداً ، فإنَّه يقول : (وحقّ هالعُوْد والربّ المعبود ، إني ما أغبي شوف عيني ، ولا سماع أذني ، وإن غَيَّبت من اللِّي أعرفه شي ، الله يْغيِّبني بين جماعتي !

ورموز هذه هي :

١ ـــ السيف يشير إلى أن الله يمنح الصادق قوة وعزماً ومضاءً ، وأنه يجتثُّ أصول الكاذب وفروعه ، بسيف الحق الذي لا يصيبه كلال .

٢ ـــ الدائرة أو الحوطة ـــ تشير إلى أن الله يضيّق الحياة في وجه الكاذب ، ويجعلها مغلقة في وجهه لا منفذ لها كأحكام الدائرة تماماً .

٣ ـــ الشملة التي هي قطعة من بيت الشعر ، تشير إلى أن الله يحرم الكاذب من المأوى الذي هو بيت الشعر ، ومن كل ما يدور حوله من نَعَمٍ .

٤ ـــ والنَّملة ترمز إلى النَّماء والبركة ، وأن الله يحرم الكاذب من كل نَماءٍ وبركة ولجوء البدو إلى اليمين ناتج عن الحكمة القائلة : (الدم ما عليه شهود ، والعيب ما عليه ورُود) .

ومن وسائل الإثبات غير الشهود ، وحلف اليمين : (البلعة ، أو البشعة) وهو الامتحان بالنار ، الذي عرف عند الشعوب البدائية كلها تقريباً .

وقد نظمت السياسة الداخلية : البيع والشراء والشفعة التي يدعونها (البداة) فيقولون : فلان أبْدَى من فلان ، أي هو أحَقُّ بذلك . ونظموا أجور الرعاة (الشرط) والعَدولة ، والإرث ، وقد كانت البنات محروماتٍ من الإرث ، وكُنَّ هُنَّ أنفُسهن مما يُورث . وكانت منزلة المرأة غريبة جداً :

أ ـــ فالأم مقدسة .

ب ـــ والأخت مجال فخر . فإذا ضِيم الرجل انتخى بأُخته قائلاً : أنا أخو فلانة) إذاً فأخته مجال اعتزازه .

ج ـــ أما الزوجة فمنزلتها مُتَدنيَّة . فقد كان البدوي إلى وقت قريب ، إذا أراد أن يذكر زوجته كنى عنها قائلاً (ام العيال ، المعزبة ، أو الحرمة ، الله يكرمك من هالطاري . المرة بعيد عنك) .

مع هذا فدية المرأة أربعة أضعاف دية الرجل . وكأنها الرجل الذي اغتيل اغتيالاً ، ويسمون الاغتيال (الغولة) .

السياسة الخارجية :

المسؤول عن سياسة القبيلة الخارجية ، هو الزعيم ، وكثيراً ما يختار الزعيم بعض الوجهاء لاستشارتهم في الأمور المعقّدة . أما أفراد القبيلة فهم متساوون في الحقوق والواجبات ودليل ذلك أنَّ الدية واحدة ، ويتميز شيخ المشايخ لأنه هو الذي يحق له وحده أن يعلن الحرب ، أو يوقفها ، ويعرف اعلان الحرب هذا بـ(ردّ النّقا) ومعناه أنه لم يبق بيننا ، سوى كسر العظام ، وهيل الرمال ! !

والزعيم ، أو شيخ المشايخ ، هو الذي يعقد الصلح ، وهو الذي يحرك الغزو ، ويتزعمه ، وهو الذي يأمر الغزو بالهجوم ، وهو العَقِيد والويل للذي يخالف العقيد ، وفي أقوالهم المأثورة : (كلمة عَقِيْد) أي إنه لا جدال فيها .

وعند ردِّ النقا يبلغ الزعيم إعلان الحرب بوساطة رسول أمين ، أو برسالة خَطِيَّة يرسل بها على يَدٍ أمينة ، لئلا يُتهم الزعيم بالغَدر ، إذا هو هاجم قبيلة ، من غيران يكون لها علم بِرَدِّ النَّقا .

وعند رَدّ النَقا ، تحتاط القبائل من الغزو ، الذي يترأسُّه زعيم مشهور بالشجاعة والفروسيّة وجودة الرأي ، يُدعى العقيد المُنيخ المُثير أي الذي يأمر بإناخة الركائب ، ويأمر بإثارتها للهجوم . ومن العقداء من يُلقَّب بالعقيد المِحْرِم ، أي صاحب الحَظْوةَ ، وأن الغزاة الذين تحت إمرته يكسبون بِحَظْوَتِهِ ، وإذا كان العقيد المحرم هو شيخ المشايخ ، فتكون له (عِطفَة) والعِطْفَةُ ، ناقة مُتميِّزة في شكلها ، تركبها ابنة الزعيم في أيّام الحرب لكي تشجع الفرسان ، فلا يكون بينهم من يفكر في الفرار ، أو التّراجع . هذا هو الأصل الذي كان عليه ملوك العرب ومنهم ملك الغساسنة الحارث وابنته حليمة والزعيم الذي يُستولى على عطفته ، مرة ، لا يحق له إبراز عطفة مرة ثانية ، إلا إذا استولى على عطفة زعيم في معركة .

وطعام الغزاة عادة ، مما لا يعرض على النّار ، لأنَّ الغزاة يتحامون إيقاد النار ، خوفاً من الاهتداء إليهم ، ومن ذلك (العِرنة) أي اللحم المطبوخ المجفف ، والكلمة في الفصحى تعني اللحم المطبوخ ، وللعرنة معنى آخر عند البدو ، وهي الطبيعة والفصيلة . ومن أقوالهم في التحقير : كلهم عرنة واحدة ، وطينة من مَطْينة !

أنواع الغارة :

أ ـــ الغارة التي تُشَنُّ والناس نيام ، وتدعى غارة البيات .
ب ـــ الصباح ، وهي التي تشن قبيل الفجر عندما تنهض النساءُ لحلب الأغنام .
ج ـــ وغارة المفالي ، وهي التي تُشنُّ والأنعام في مراعيها مع الرُّعاة .
د ـــ وغارة الظَّعن وهي الغارة التي تشنُّ على المرتحلين من منازلهم .
هـ ـــ غارة الرحيل بـ(نزيل) وهي الغارة الساحقة الماحقة التي تُشَنُّ على القبيلة بقصد تَدْمير كل شيء لها ، والاستيلاء على بيوتها وكل ما تملك فيقولون : (العقيد الفلاني ، خذ العرب رحيْل بنزيل ، وخَلَّى عَمدها يَقْرَع ، وما ملص منها لاعاجز ، ولا اللِّي يَرْجع) .

ولَصَدّ الغارة ترافق بعض النِّساء لكي يُثِرْنَ حَمَاسة المغيرين ، ومن الغارات المشهورة ، غارة (غافل) على الكرك ، يوم استبسل أهل الكرك وسحقوا المغيرين في وادي اللجون ، وغنموا غنائم كثيرة يضرب بها المثل : (زَيْحَة اللجون) وقد كان مع المدافعين امرأة اسمها مريم النَّحاس ذكرها الشاعر الذي وصف المعركة .

* **حقوق العقيد :**
للعقيد أن يأخذ من الغنائم ما شاء ، وله كل أَشْهَب ظَهْر من الإبل ، وهو البعير القادر على الحمل . وليس لأحد أن يعترض عليه لأنهم يعتقدون أن الله نجّاهم من الهلاك ، ويَسَّر لهم الكسب بِحَظْوة العقيد عند الله . وله كل نايرة من الخيل ، وهي التي شرّدت بعد قَتل صاحبها وله عرفاً أن لا يتجاوز الخمس ، ويوزع الباقي على الغزاة أما (القلاعة) فهي حقٌّ من حقوق الذي يقتل فارسها ، ومن آداب الحرب أن لا يقتل :

١ ـــ المَنيع .
٢ ـــ الدخيل الذي يلقي سلاحه ويقول : بوجه الله ثم وجهك .

والمنيع الذي يمنعه . فمنهم من يقيّد المنيع ـــ الأسير ـــ إلى أن يفتدى نفسه ، ومنهم من يَمُنُّ عليه ، ويمنحه ناقة ويوصله إلى مأمنه ، وفي هذه الحالة يُعْتَرف للذي صنع هذا الصنيع بالحُسنى !

ومن السياسة الخارجية :

* **الخاوة** : وهي إتاوة تفرضها القبائل القوية ، على القبائل الضعيفة في نظر حمايتها من اعتداء الأقوياء ، وكثيراً ما كان الإخوان يتّفق بعضهم مع بعض على تجريد إخوانهم مما يملكون(٧) .

* **الالتحاق** : وهو ما يشبه تغيير الجنسيّة أو اللجوء السياسي . فإذا شَعَرَت إحدى العشائر أنَّ حقوقها مهضومة ، أو شعرت أسرة هذا الشعور ، أو شعر فردٌ بهذا الشعور — ارتحل ونزل عند بَيْت زعيم مشهور ، مُعلناً أنه قاصد الزعيم الفلاني ، فيستجير به ويطلب الانضمام إلى عشيرته ، فيُولِمُ وليمة يدعو إليها الوجهاء ويعلن أنه التحقَ بالعشيرة التي نزل بها ؛ ومثل هذا إذا كان الالتحاق لعشيرة كاملة .

آداب المنازل من السياسة الداخلية :

تُنصَب المضارب صفوفاً — سماطات — إذا كانت لِسلفان وقبائل ، أما إذا كانت العرب قليلة ، فتنصب صَفَّين ويكون بيت الزعيم في الجهة الغربية ، ومن أقوالهم : (منازل الأشراف بالطراف) ومن الأغاني المعروفة وفيها كناية :

اللّي احْزامه خَيْط ، ما يَنْزل طَرَف

واللّي حزامه خَيْط كناية عن الضعيف في عُصبته . فهذا لا يجوز له أن يتَصَدَّى للضيوف ، وللغارات ، لأن الكرم يُشبه المعركة وفي أقوالهم : (من خلاَّك للضيف ، خلاَّك للسيف !)

وقديماً قال المُتنبِّي :

لولا المشقَّة ساد الناس كلهم   الجود يُفْقِرُ والاقدام قَتَّالُ !

وإن لم يَنْصب الزعيم بيتَهُ في الجهة الغربية نصبه في الوسط ورفع شارعته ، أي العمود الأمامي ، ليهتدي إليه الضّيفان ، وتُقام البيوت حول بيت الزعيم الأولى ، فالأولى ، إلاَّ إذا كان هناك طَنِيبٌ أو دخيل على الزعيم ، فإنَّ بيته يُنصَب إلى جوار بيت الزعيم .

ويتشاءم البدو كثيراً بتوجيه الكاسر إلى مأوى إبلهم أو غنمهم ويسمون الكاسر (العامر) تفاؤلاً ، وليس هذا خاصاً بالبدو ، فقد سمي العرب الصحراء مفازة ، وسَمَّوا اللديغ سليماً ، تفاؤلاً .

الضيف والدخول الى المنازل :

يجب على الضيف أن يدور من وراء البيوت ، لأن تنطُّح البيوت يَعُده القوم احتقاراً لهم ، والذي يتجرأ على ذلك يُهان ، وإذا كان قاصداً ذلك (يذبح) . وعندما يترجل الضيف وراء البيوت يستقبله القوم ، ويُرحبُون به أجمل ترحيب ، فإذا كان الضيف (وجيهاً) جُدّد له الفراش ، وجُدِّدَت القهوة ، وتغالط القوم على قراه ، والمغالطة هي أن يقول كلّ واحد منهم : غَدَاالضيف أو عشا الضَّيف عندي ، ويقسمون الإيمان المغلَّظة وأحياناً يصلون الى الطلاق !

والضيوف أصناف :

أ ـــ ضيف مندوب ، وهو الذي يُدعى من أهله للتكريم وهذا يُبالغ في إكرامه . ويُدعى جمهور من الوجهاء معه ، ومن واجب هؤلاء أن يدعوه بِدَورهم .

ب ـــ ضيف جلالة وهو الذي يحضر هو (ومركوبته) أي بعض اصدقائه وهذا يعامل معاملة تشبه معاملة الضيف المندوب ، غير أنَّ دعوته ليست واجبة على الذين يدعون معه .

ج ـــ ضيف عابر سبيل ، وهو الضيف الذي ترغمه المسافة الطويلة أن يَحُلَّ في أي عرب ليتمكَّن من الوصول إلى حاجته .

د ـــ ضيف خانق عصاته ، وهذا قراه الخبز والسمن أو الخبز واللبن ولكل واحد من الضيوف تكريم خاص .

وفي مأثور أقوالهم :

الضيف لا اقْبَل أمير ، ولقعد على فراشه أسير ، ويوم يرحل وان وصل أهله شاعر ، أي يذكر المحاسن والسيئات وقد كرهوا تدخل الضيف في شؤون المعزب ، وقد اشتهر بين

العربان رجل كريم ، سموه (دابح ضيفه) اذ لم يزره ضيف ، إلا انتهت ضيافته بضرب موجع فتحاماه الضيوف ، إلى أن قرّر أحد الزعماء أن يكشف جليّة أمره فزاره ، وبالغ الرجل في إكرامه ، ولم يعترض الضيف على شيء فلما انتهت أيام الضيافة وودعه المعزّب ، ضحك الضيف فسأله المعزّب عن سبب ضحكه ، لأنه لم يَضْرِبه بل بالغ في تكريمه ، فأجاب المعزب : (أنا أريد تكريمهم وهم يرفضون ، واللّي يرفض التكريم ما له إلا الدوحة) .

هذه بعض ملامح من البداوة وحياكم الله .

عمان — روكس بن زايد العزيزي

الحـواشي :

(١) تراث البدو القضائي ، للأستاذ أبو حسان ص ٢٧ (القضاء البدوي مخطوط للعزيزي)

(٢) تراث البدو القضائي ، للأستاذ أبو حسان ص ٢٧ (القضاء البدوي مخطوط للعزيزي)

(٣) تراث البدو القضائي ، للأستاذ أبو حسان ص ٢٧ (القضاء البدوي مخطوط للعزيزي)

(٤) وقد سمعت من قال : جيتك يا قاضِيِّنا ، يا اللي بالحق ترضينا ، داخل ع المال والعيال وكل ولي له عند ربه حال ، من ميلة بالقلب من جال الجال . اذكر الله يا اللي ثم يسرد حجته .
[العرب : وبدو الحويطات وبني عطيّة والعمران والعميرات عندما يحضر أحدهم إلى القاضي يبدأ كلامه بمقدمات مسجوعة ، مثل جملة : (يا قاضينا ، ياللي بالحق ترضينا) أو (يا قاضي العرب ، يا فكّاك من النشب) وكنت حين توليت القضاء في شمال الحجاز في بلدة (ظبا) اسأمُ من مقدمات الاسجاع التي يبدأ بها الخصوم كلامهم فأمنعهم منها ، فكان بعضهم يعتقد أنني حُلْتُ بينه وبين الادلاء بحجته كاملة] .

(٥) [العرب : وقد أقرها الشرع الإسلامي الحنيف] .

(٦) [العرب : لعل الصواب : كامية ، والعامّة تنطق الكاف من مخرج يقرب من مخرج السين والكامية هي الضربة التي تكمي داءها في الجوف فلا يخرج دمُها ولا قيحها من الجوف حتى يموت من أصيبت به من مادة (كمأ) الفصيحة] .

(٧) [العرب : كانت تعرف في نجد باسم (الأخاوة) مأخوذة من الأخوة أي إن دافعها يكون كالأخ للمدفوعة إليه من حيث الحماية وعدم الاعتداء ، ومن المهاجاة بين أهل قرية وبين من دفعوا لهم (الاخاوة) قول طالب الأخاوة :

أدّ (الاخاوة) يا خنيْزَان   يا قَايِدْ البَقَرة باذانِيْها

فأجابه صاحبُ القرية :

نَعْطِيْك في (كَنّاح) صِيْعَان   وبِخَيّتِق لاِنثَاكْ نَشْرِبْها

ثم بيت مقذع في الهجاء ، حمل طالب (الاخاوة) على تركها شيمة وترفُّعاً ، وتعهّد بحماية القرية بدون اخاوة] .

رحلة التميمي التونسي
إلى الحج

- ٥ -

[طالع القراء طرفاً عن رحلة الشيخ محمد بن صالح الجودي القيرواني (١٢٨٧/ ١٣٣٢ هـ الى الحج في سنتي ١٣٣١ و١٣٣٢ .

والطريف في هذه الرحلة أنها تصل عصرنا الحاضر بماضٍ لا يزال تاريخه بحاجة الى إبراز ، فالشيخ في رحلته يتحدث عن رجال قابلهم في المدينة كالبشير الابراهيمي وعبد الحميد بن باديس وعمر حمدان ، وابراهيم حمدي الخربوطي — وغيرهم ممن أدركناه ، ونحن بحاجة إلى الاستزادة من معرفة أحواله ، ثم إنّه يصف الحالة العلمية قبل ثلاثة أرباع القرن الماضي وصفاً يفيد المعنيين بدراسة أحوال المدينة الكريمة ، بصرف النظر عما يحيط بتلك الأحوال من أمور قد لا نرتاح إلى كثير منها مما كان مخيّماً على المجتمعات العلمية في أكثر الأقطار الإسلامية] .

ويستمر الشيخ في الحديث عن مشاهداته في المدينة بما ملخصه :

وفي يوم الاثنين عاشر محرم سنة ١٣٣٢ هـ ذَهبت للمكتبة المجاورة للحرم الشريف من شرقيه ، التي حبسها شيخ الاسلام أحمد عارف فوجدتها مشتملة على كتب كثيرة ، مضبوطة بدفاتر عدة ، ذات أودية ، أحدها به اسم التأليف ، والثاني به اسم مؤلفه ، وآخر عدد الكتاب في الفنّ ، والرابع هل هو مطبعة أو خط يد ، وآخر فيه هل هو عربي الخط أو تركي . فرأيت من جملتها في فن التاريخ تأليفاً للزركشي التونسي سماه «عقود الجُمان ، وتذييل وفيات الأعيان» وجدت على ظاهره ما نصه : قال الصّفدي في الجلد الأول من تاريخه الكبير المسمى بـ«الوافي» في ترجمة الصاحب محمد بن محمد بن علي بن الوزير بهاء الدين بن حنّا ، وهو الذي اشترى الآثار النبوية بسبعين ألف ردهم ، وجعلها في مكانه بالمعشوق ، وهو المكان المنسوب إليه بالديار المصرية ، وقد رأيت هذه الآثار في مكانها ، وهي قطعة من العنزة ، ومرودٌ ، ومخضب ، وملقط ، وقطعة من قصعة ، فكحلت ناظري برؤيتها ، وقلت أنا :

أكـــرم بـــآثـــار الـــنبي محمـــدٍ ... من زارها استوفى السعود مزاره
يـا عين دُونك فـالحظي وتمتعي ... إن لم تَـريـه فـهـذه آثـاره

ورأيت به ترجمة الحُصريِّ القيرواني صاحب «زهر الآداب» وترجمة الصَّرصري ونصُّها : يحيي بن يوسف بن يحيي بن منصور بن المعمر بن عبد السلام ، الشيخ الإمام جمال الدين الزاهد الضرير ، أبو زكريًّا الصَّرصري البغدادي الحنبلي ، الأديب ، صاحب المدائح الحنبلية (؟) السائرة في الآفاق ، ولم يمدح أحد سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر ، وشعره يدخل في ثمانية مجلدات ، وكله جَيِّد ، مولده سنة ثماني وثمانين وخمس مئة ، وتوفي في واقعة بغداد ، سنة خمس وخمسين وست مئة ، قتله التتار .

ورأيت بالمكتبة المذكورة كتاب «مختصر رياض النفوس» في طبقات علماء مدينة قيروان لأبي بكر عبدالله بن محمد المالكي ، (نمرة ٥٦٢) وهو كتاب في مجلد واحد ، ذكر فيه من دخل القيروان من الصحابة ، ومن رجع ومن بها من العلماء ، ومن خرج منها ، والمختصر له الشيخ يحيي بن إبراهيم المالكي .

وفي اليوم المذكور زُرتُ جامع الغمامة ، وهو جامع خطبة بالمناخة ، وزرت مسجداً آخر ، ينسب لسيدنا أبي بكر الصِّديق ، — رضي الله عنه — وهو قريبٌ من الجامع قبله .

وفي اليوم نفسه اجتمعت بالمكتبة المذكورة بالشيخ البشير الإبراهيمي ، من سطيف ، من بلدان المغرب ، هاجر لنحو سنتين وهو متطلب (؟) مشارك في العلوم .

وفي ليلة الثلاثاء استدعانا الشيخ العالم المهاجر سيدي محمد العزيز الوزير التونسي المدرس بالحرم الشريف للعشاء ، فحضرتُ عنده ، فوجدت معه جماعة من الفضلاء ، فمنهم صِهره السيد محمد ياسين بن سعيد ، شُهر الفَرَّاء من أعيان بيوت الشام ، له مشاركة في العلم ، ويدٌ في التجارة ، والشيخ البشير الابراهيمي المذكور ، والشيخ محمد الصقر المصري المالكي المهاجر حيث ذكر ، والسيد حسن بن محمد بن حسن برناز التونسي ، والسيد عبدالله الهدة السوسي ، الذي أتى حاجّاً عام التاريخ ، والسيد محمد الشريف البنزرتي ، من تلامذة الشيخ ، وجماعة أُخر .

وصارت مُذاكرة حسنة .

وفي عشية يوم الاثنين حضرت بالحرم درس الشيخ سيدي حمدان بن الونيسي ، فوجدته يقرىء «الجامع الصغير» للسيوطي ، وشرح أحاديثه بأحسن شرح ، وله تحقيقات غريبة ، وبعد تمام الدرس سأله أحد الحاضرين بأنه أتى بعائلته بقصد المجاورة بالمدينة ، ثم بدا له الرجوع ، وخشي يكون عليه إثمٌ في ذلك . فأجابه الشيخ أنه لا إثم عليه ، ومُراد النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : «المدينة تنفي خبثها» الخ إذ ذاك خاصٌ بزمن النبي صلى الله عليه وسلم ، لوجوب مؤازرته ونصره ، وفي زمن الدجّال إذا خرج قريباً من المدينة ، تخرج أناسٌ تتبعه فالمراد بالخبث هم الخارجون في هذين الزمنين ، أما ما عداه فلا .

وفي اليوم المذكور اجتمعت بالشيخ محمد نَذير البخاري ، الخوجندي ، وأصله من بُخارا ، وجاور بالمدينة قريباً ، وهو من تلاميذ الشيخ حسين أحمد الهندي ، الذي قدمنا ذكره . وله مشاركة حسنة ، يقرأ على الشيخ المذكور «صحيح مسلم» وذكر أنه ختم عليه «صحيح البخاري» و«تفسير الجلالين» .

واجتمعت بالسيد محمد العمري الجزائري ، المجاور بالمدينة ، لمدة ثلاثين عاماً ، وهو رجل ذو أخلاق حسنة .

ورأيت عند الشيخ عمر حمدان كتاباً لابن المناصب الإمام الشهير ، سمّاه «الدرّة السنيّة ، في المعالم السُنيَّة» .

وفي يوم الثلاثاء الحادي عشر من محرم اجتمعت بالشيخ فخري أُفندي ، قاضي المدينة المنورة ، قدم لنحو أسبوع ، وكان قاضياً لمكّة المكرمة ، ويوصف بالانصاف والعدل ، والتسوية بين القويِّ والضعيف والشريف والسَّخيف ، حتى أن أعاظم أهل مكة المكرمة لم يطيقوا اجراء الحكم على شريفهم ، وتسويته مع ضعيفهم ، فنقل إلى المدينة المنورة وكثر ثناءُ الناس عليه ، واجتمعت به في مجلس حكمه ، فتلقّاني وقابلني أحسن قبول ، وبَشَّ بي ، وأتى لنا بالقهوة فَدَعَوْت له بخير ، وذكرت له ما اشتهر به من الثناء الجميل ، وما سمعته من اتصافه بالعدل والانصاف ، وأنَّ ذلك هو الحامل لي على ملاقاته . فأجابني بأنَّ ذلك حسن ظنٍّ من الناس ، وسألني الدعاء له بالتسديد .

وفي يوم الثلاثاء ذهبت لمكتبة شيخ الإسلام ، ونظرت في «عقود الجمان» للزركشي ، تذييل «وفيات الأعيان» فكان في جملة من ترجم له : أحمد بن القاسم المعروف بالرَّقيق النَّديم ، أصْلُهُ من القيروان ، رجل فاضل ، له مصنفات كثيرة ، وحرمة شهيرة ، في التاريخ والأدب ، ومنها «قطب السرور ، في أوصاف الخمور» قال ابن رشيق في حقه : شاعر سهل الكلام ، لطيف الطبع ، غلب عليه اسم الكتابة ، وعلم التاريخ ، قدم مصر سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة ، بِهَدِيَّةٍ من ابن باديس ، إلى الحاكم ، وقال قصيدة يصف فيها المنازل والمناهل ، منها :

إذَا ما ابنُ شَهْرٍ قد لبسْنا شبابه ... بَدَا آخَرٌ من جانب الأُفق يطلع
إلى أن أقَرَّتْ جِيْرَة النّيل أعيُناً ... كما قَرَّ عَيناً ضاعنٌ حين يرجع

وله :

رِيم إذا ما معارِيضُ المُنى خطرت ... أجَلَّه المُتمنّي عن امانيه
يا إخوتي أقاح فيه أقبل لي ... أمْ خَطٌّ راءين من مسكٍ على فيه
أمْ حُسْنُ ذاك التراخي في تكلُّمه ... أم حُسنُ ذاك التهادي في تمشّيه

وقال في اختصار المالكي : آخره اختصر ذلك لنفسه يحيى بن ابراهيم بن علي ، وذاك سنة ثمان وسبعين ، ولم يذكر المئة ، وذكر أنَّ الفراغ من نسخة سنة ٦٤٧ .

وفي اليوم المذكور استدعانا السيد عبد الرحمن الغري القيرواني ، المجاور بالمدينة للعشاء .

وفي يوم الأربعاء نظرتُ في «عقود الجُمان» للزركشي ، فرأيت به ترجمة سليمان بن موسى بن سالم الحميريِّ الكلاعي ، الأندلسي البلنسيِّ ، الحافظ الكبير ، وُلد في شهر رمضان سنة خمس وخمسين وخمس مئة وتوفي سنة أربع وثلاثين وست مئة ، شيخ حافظ بلنسية ، اعتنى بأنواع الحديث ، وبرز فيها وأجاد ، وصنَّف كتاب «معرفة الصحابة» و«الاكتفا في مغازي المصطفى» صلى الله عليه وسلم والخلفاء الثلاثة ، و«مصباح الظلام» وغير ذلك ، وله :

أشجاهُ ما فعل العِذارُ بخدِّه

ثم أورد ثلاثة أبيات وقال : ومنه في ترجمة عبدالله بن أحمد أمير المؤمنين القائم بأمر الله بن القادر بالله : مولده سنة احدى وتسعين وثلاث مئة ، وبُويع سنة اثنين (؟) وعشرين وأربع مئة ، وكانت دولته خمسا وأربعين سنة وكان كثير الحلم ، فصيح اللسان ، أديباً خطيباً شاعراً ومن شعره :

يا أكرم الاكرمين العفو عن غَرِقٍ في السَّيئات له وردٌ واصدار
هانَتْ عليه معاصيهِ التي عظمت علماً بأنَّك للعاصين غفار

وله :

سَهِرنا على سُنَّة العاشقين وقُلنا لما يكره الله : نَمْ
ومَا خيفتي من ظُهُور العِدَى إذا كان رَبُّ الورى قد عَلِمْ

ومنه في ترجمة الزَّكي ابن أبي الأصبع ، ما نصُّهُ : عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن محمد ، الأديب زكيٌّ الدين ابي محمد بن أبي الأصبع القيرواني ، المصري ، الشاعر المشهور ، الإمام الفاضل العالم ، وتصانيفه مشهورة ، منها كتاب «بدائع القرآن المجيد ، توفي بمصر في ٢٣ شوال سنة أربع وخمسين وست مئة عن نَيِّفٍ وسبعين سنة ، ومن شعره يمدح الملك المعظم عيسى بن العادل صاحب دمشق :

تَصَدَّق بِوَصل إنَّ دمعي سائل وزَوِّد فؤادي قطرةً فهو راحل
فَخَدُّك موجودٌ به التبر للغنى وحُسْنُك مَعْدُوم لديه التَّماثل
أيا قمراً في شمس وجنَته لنا وظلٌّ عذاريه الضُّحَى والأصايل
غدا القدُّ غُصْناً منك يعطفه الصَّبا فلا غرو إن هاجَتْ عليه البلابل
أعاذل لو أبْصَرت حبِّي وحُسنه فإن لُمتني فيه فَمَا أنت عادل
مُحَيَّاه قِنديل وديجور شعره تُعلقُهُ في الصّدغ منهُ سلاسل
رأى ضَيْفُ وَجدي نار قلبي فظنَّها وَرَت لقراه فهو للقلب نازل
إذا جنَّ ليلي أحيَّت الوجد ادمعٌ هَمَتْ فهي للصَّبر الجميل قواتلُ
كَراحة عيسى في الرَّدا والنَّدا معاً تُحيت وتُحيي فهي بُؤسٌ ونائل

وقال :

فـدَيْتُ الَّتي إذْ ودَّعتني أودَعَت من اللَّفظ سمعي ساعة البين جَوْهرا

ثلاثة أبيات أوردها

وقال :

مَنْ يَـذُمُّ الـدُّنيا بِظُلم فإنِّي بِـطَـريق الإنصـاف أُثني عليها
وعظتْنا بكُلِّ شيءٍ لو أنّا حِيْنَ جدَّتْ بالوعظ من مصطفيها
نَصَحتنا فلَمْ نَرَ النُّصح نُصحاً حين أبْدَت لأهلها ما لَدَيها
أعْلمتنا أنَّ المآل يقيناً للبِلى حينَ جَدَّدَت عَصريها (؟)
كم أرتنا مَصَارِعَ الأهْلِ والأحبْا ب ، لو نستفيق بين يديها
ولَكَم مُهجة بِزَهرتها اغترَّ تْ ، فأدمَتْ نَدامةً كَفَّيها
أتْرَاها أبْقَت على (سبا) من قَبْـ ـلُ حِيْنَ بَدَّلَت جَنَّتيهَا
يَوْمُ بُؤسٍ لها ، ويومُ رَخاءٍ فَتزوَّدْ ما شِئْتَ مِن يَوميَها
وتَيَقَّنْ زوالَ ذاك وهذا تَسْلُ عمَّا تراهُ مِنْ حَادثَيْها
فازدرادٌ لِمَن تَزوَّد منها وغُرورٌ لِمَن يَمِيلُ إليها

ثم أربعة أبيات قال بعدها : وله غير ذلك في التاريخ المذكور ، اقتصرت على هذا القدر لطوله .

وأورد من شعر محمد بن أحمد بن علي القسطلاني المولود بمصر سنة ٧١٤ :

إذا كان أُنسي في التزامي بخلوتي وقلبي عن كل البرية خالياً
فما ضرَّني من كانَ في الدَّهر قالياً ولاَ سَرَّني من كان فيَّ مُوالياً

ونقل عن كتاب « عقود الجُمان » للزركشي أيضاً : ومنه في ترجمة شرف القيرواني :

علي بن سعيد بن أحمد بن شرف القيرواني ، الجذامي ، أحد فحول الشعراء الأندلسيين ، كان أعور ، وله تصانيف منها « أبكار الأفكار » من نظمه ونثره ، وكان بينه وبين ابن رشيق معاداة طويلة ، وهجوٌ فاحش ، ولابن رشيق فيه عدَّة رسائل ، مثل رسالة « ساجور الكلب » ورسالة « قطع الأنفاس » توفي ابن شرف سنة ستين وأربع

مئة . وذكر الشيخ تقيُّ الدين بن دقيق العيد في «شرح العُمدة» في (باب الصلاة) في الكلام على الحديث الحادي عشر ، عن عبدالله بن مالك بن عُيَينة ، وقال : إنَّ عُيَينة أمُّ أبيه ، ومن غريب ما وقع لي في ذلك أنَّ محمد بن شرف القيرواني ، أن شرف ليس هو أبوه ، وإنما هو أُمُّهُ ، وذكر بيتين قبيحين ، وذيَّلهُما ابن رشيق ببيت قبيح ، فلذا أعرضنا عن بقيَّة الترجمة — هذا كلام صاحب الرحلة التيمي التونسي .

وذكر أنه رأى في مكتبة شيخ الإسلام في فن التفسير كتاب «الاتحاف بتمييز ما تبع فيه البيضاوي صاحب الكشاف» لمحمد بن يوسف الشامي ، و«الانتصاب في رَدِّ الاعتزال من مذهب صاحب الكشاف» لم يذكر مؤلفه .

وذكر الشيخ صاحب الرحلة ما نصه : وفي يوم الأربعاء ، استدعانا الشيخ سيدي حمدان الونيسي القسمطيني ، المدرس بالحرم الشريف للفطور ، فأجبناه واجتمعنا بالفاضل السيد عبد الحميد بن باديس من بلد سطيف [في الهامش بخط المؤلف : بل من قسمطينة] قرأ بجامع الزيتونة ، بحاضرة تونس ، وتطوَّع به لنحو أربعة أعوام ، وهو فَطِنٌ ذكيٌّ ، له مشاركة في العلوم ، ومعرفة بالأصول ، ذو أخلاق طيبة . كما اجتمعنا بابن الشيخ سيدي حمدان ، واسمه محمد الطاهر ، وهو متطلب ، يقرأ على والده بالحرم الشريف «الجامع الصغير» للسيوطي ، بعد صلاة العصر ، وأكرمنا الشيخ ، وصار يُطعمنا بيده ، وسُرَّ لحضورنا دعوته ، جزاه الله خيراً .

ثم ذكر من مؤلفات الشيخ محمد بن جعفر الكتاني التي رآها : «النظم المتناثر ، في الحديث المتواتر» و«الرسالة المستطرفة ، لبيان مشهور كتب السُّنَّة المُشرَّفة» وما يتبعها من كتب الوسائل ، التي تنبغي للقاصد والسائل» .

وذكر أن للشيخ الكتَّاني كتاباً في أسماء الكتب التي يعتمد عليها في علم الحديث .

واجتمع — بمكتبة شيخ الإسلام — بشيخ حُفَّاظها الشيخ ابراهيم بن أحمد حمدي المدني الحنفي .

(للحديث صلة)

تاريخ الفاخري

لا

الأخبار النجدية

— ٣ —

طريقة التحقيق :

أضاف الأستاذ الكريم الدكتور عبدالله بن يوسف الشبل إلى كتاب الفاخري من الحواشي والتعليقات ما يَرْبُو على مقدار أصله . وكثير من تلك الحواشي تتعلق بتصحيح أخطاء المخطوطة (الإملائية) التي اعتبرها الدكتور أصلاً اعتمد عليه ، وما كانت تلك المخطوطة — لحداثة كتابتها ورداءة خَطِّها تصلح لتُتَّخذ أصلاً ، لوجود ما هو أقدم منها .

أما ما عدا الأخطاء المذكورة فقد بذل الدكتور جُهْداً مشكوراً في إضافة ما يكمل عبارات الأصل ، أو يوضح مُبهمها .

ومن المعروف أنَّ جُلَّ ما في كتاب الفاخري من معلومات ، أوردها ابنُ بشر في كتابه «عنوان المجد» فما في هذا الكتاب يصحح كثيراً من الأخطاء الواقعة في مخطوطة كتاب الفاخري ، وقد رجع الدكتور إلى كتاب «عنوان المجد» وإلى مصادر أخرى بلغت ٢٦ مصدراً ومع ذلك فقد وقع في الكتاب ما هو بحاجة إلى التصحيح بالرجوع إلى كتاب ابن بشر ، أو غيره . ومن أمثلة ذلك ما جاء في ص ١١٩ :

(شحمة نخيل الرجيل في الحويطة) هذا الكلام غامض ، ولكنَّ ابن بشر ، في حوادث سنة ١١٩٥ أوضحه ، وأورد الاسم صحيحاً ، وهو (الحوطة) حوطة بني تميم .

وسأشير إشارات موجزة إلى أمور يسيرة لفتت انتباهي في تعليقات الدكتور ، قد يستفاد من بعضها ، أو قد تكون محلاً للمذاكرة التي توضح وَجْه الصواب فيها .

١ ص ٦٠ — عن أجود بن زامل : (وهو من بني عُقَيل بن عامر ، من بني عامر بن صعصعة) تكرَّرت نسبة بني عُقَيل — الذين كان لهم نفوذ في الاحساء في خلال القرن

السادس وما بعده — إلى بني عامر بن صعصعة القبيلة العدنانية المعروفة — تكررت في كثير من المؤلفات القديمة والحديثة .

ولكن الحمداني فيما نقل عنه ابن فضل الله العمري في كتاب « مسالك الأبصار » أوضح أنهم ليسوا من بني عامر بن صعصعة . وورد في بعض النسخ المخطوطة من « شرح ديوان ابن مقرب » — أنظر « العرب » س ١٦ ص ١٦٥ أنهم من عامر ربيعة . أي ليسوا من بني عامر بن صعصعة الذين من مُضَر .

وعامر ربيعة من عبد القيس بن أفْصَى بن دُعمي بن جديلة من أسد بن ربيعة — ذكرهم البكريُّ في مقدمة كتابه « معجم ما استعجم » ص ٨٢ — وذكر انتشارهم في الأحساء ، وعدَّد الأماكن التي استوطنوها فيها .

وهاؤلاء هم الذين كانوا يعرفون باسم العمور ، ثم عُرِفوا أخيراً باسم (العماير) وصاروا معدودين من بني خالد ، وهم في الأصل من عبد القيس ، وغيرهم من قبائل ربيعة .

ومنشأ الخلط بين بني عامر بن صعصعة المُضريين وبين بني عامر الرَّبعيين وجود فرع يُدعى باسم (عُقَيل) في القبيلتين وهذا يحدث كثيراً في القبائل العربية كبني خالد ، وبني سلول ، وألمع وغيرهم .

٢ — ص ٦٦ — في الأصل : (القوادرة من سبيع) في « عنوان المجد » وتاريخ ابن عيسى : (القواودة) وسمعتُ من بعض المتأخرين أن الصواب (الذواودة) الذين تولى أحدهم إمارة الخرج في عهد الملك سعود — رحمه الله .

٣ — ٧٩ : (مرات : أصلها مرأة ، أو مرأت ، إحدى بلدان محمل الوشم) لا أعرف على مَ عَوَّل الدكتور في القول بأن أصل مرات : (مرأت) وأنها من (محمل الوشم) إذ صحة الاسم (مرأة) على ما وردت في شعر ذي الرُّمة ، وفي كثير من الكتب القديمة ، والمحمل والوشم إقليمان مختلفان ، فالأول قاعدته ثادق ، وهو في سفوح جبال العارض الغربية ، والوشم يعرفه الدكتور وغيره ، ولكن إطلاق اسم (المحمل) عليه ليس معروفاً — على ما أعلم .

٤ — ص ٧٩ — علق الدكتور على قول الفاخري : (في سنة ١٠٩٥ — قتل

دوّاس المزاريع) فقال : (المقصود بالمزاريع هنا آل زرعة من بني حنيفة ، وليس المزاريع أبناء مزروع التميمي أهل الروضة في سُدير) .

ولا أدري على م اعتمد الدكتور في هذا الكلام ، فابن بشر أورد الخبر — في السوابق — وزاد (وملكها) يعني منفوحة ، ومحقق تاريخ ابن بشر الشيخ عبد الرحمن بن عبداللطيف علّق على كلام ابن بشرٍ بما نصه : (هم آل مزروع ، وهم من تميم) . وهذا هو المفهوم من كلمة (المزاريع) كما أنَّ آل مزروع من أهل منفوحة القدماء ، بخلاف آل زَرْعَة فهم أمراء (مِقْرن) التي سبق عمرانها الرياض ، وبين آل زرعة وآل دواس مصاهرة ورحم ، كما يفهم من خبر استيلاء دِهَام بن دَوّاس على إمارة الرياض ، الذي فَصّله ابن بشر في أول تاريخه وذكر أن زيد بن موسى أبا زرعة لما قُتِل تَرَأّس دهامٌ في الرِّياض بشبهة أنَّ ابن زيد هو ابن أُخته ، وأنه نائب عنه حتى يَكْبَر «عنوان المجد» ص ٣٠ — طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩١ هـ .

٥ — ص ٧٩ — : (ثَرْمَداء : بلدة موغلة في القدم ، كانت ماء لبني سعد بن زيد مناة بن تميم ، ثم أصبحت احدى بلادهم) — كذا قال الدكتور . وبصرف النظر عن وصف ثرمداء بالايغال في القدم ، إلاَّ أن القول بأنها كانت ماءً لبني سعد — تكرَّر كثيراً في المؤلفات الحديثة ، وما أراه ينطبق على هذه البلدة إذ الاسم يقصد به موضع آخر ، بل ماء آخر كان في وادي السّتار ، بمنطقة الاحساء ، ووادي السَّتار يعرف الآن باسم (وادي المياه) وكان لبني سعد فيه قرى ومياه كثيرة منها ثَرمداء — وقد فَصَّل قراهم ومياههم صاحب كتاب «بلاد العرب» وتحدث عن الوادي وعن ذلك الماء الأزهري وغيره — انظر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» قسم (المنطقة الشرقية — البحرين قديماً) رسم (ثَرمدا) .

أمّا ثَرمداء الواقعة في الوشم فهي من بلاد بني تميم أيضاً ، ولكنها لبني امرىء القيس بن زيد مناة ، إخوة بني سعد .

٦ — ص ٨٠ — في الأصل (وقتل عبيكة بن جار الله ، رئيس بلد ثرمداء) وفي مخطوطتي من كتاب الفاخري (راعي مراة) وهو الصواب ، إذ الفاخري ذكر — ص ٧٩ — مطبوعة الدكتور ما نصُّه : (قتل راشد بن ابراهيم صاحب بلد مراة وتوفي فيها

عبيكة بن جار الله) وكلمة (توفي) في المطبوعة تحريف كلمة (تَولّى) كما في مخطوطتي ، وكما في سوابق ابن بشر ثم كيف يكون توفي في هذه السنة — سنة ١٠٩٣ — ثم يعيش ثلاث سنين حتى يقتل سنة ١٠٩٦ ؟

٧ — ص ٨٠ — المسافة بين العمارِيّة وبين مدينة الرياض ضعف المسافة التي ذكر الدكتور بل تزيد ، وتحديد المسافات بحاجة الى اعادة النظر.

٨ — ص ٨٩ — : (الحُرَيِّقُ : بضم الحاء وفتح الراء وتشديد الياء — تصغير حَريق — قرية صغيرة في سُدَير) .

الحَرِيِّقُ : ليس من قرى سُدير ، بل من قُرى الوشم ، ينحدر شعيبُهُ من سفوح طُويق الغربيّة حتى يتصل ببلدة القصب .

٩ ص ٩٠ — : (نُفُود السِّر : سِلسلة رمالٍ تَفْصِلُ بين إقليمي الوشم وسُدَير) .

نفود السر : يقع غرب الوشم ، ويفصل بينهما الصَّفراء ، وسُدير يقع في سفوح جبال العارض (طويق) الشرقية ولا صلة له بنفود السّر . ولعل الدكتور أراد نُفُود عُريق البلدان — المعروف قديماً باسم رملة الرغام — فهذا النفود هو الذي يقع شرق الوشم .

١٠ — ص ١٠٢ — عن اسم فوزان وفوّاز : (اسم فواز غير مألوف في نجد في تلك الحقبة) — أي سنة ١١٤٢ هـ .

ونكن في مخطوطة من كتاب ابن لعبون (فوّاز) وكذا في مخطوطة كتاب الفاخري التي نقلها عبدالله بن عبد الرحمن بن حمود التويجري سنة ١٣٦٨ هـ عن نسخة المؤلف .

ثم إنَّ اسم (فواز) ليس غريب الاستعمال في نجد ، فهناك فوّاز التمامي قتل سنة ١١٨٠ — من أهل الرياض ذكره ابن بشر ، ورئيس البرزان . من مطير فواز أبو شُوَيربات مات سنة ١٢٤٤ هـ وهذان وان كانا متأخرين عن الحقبة التي أشار إليها الدكتور الشِّبْل إلاَّ أن المُلاحظ أنَّ الأسماء تتوارث غالباً في نجد ، وخاصَّةً إذا كانت أسماء أُناس مشهورين ، ومهما يكن فالجزم بأن الاسم الفلاني غير مألوف في الزمن الفلاني يحتاج إلى دراسة عميقة .

١١ ـــ ص ١٠٣ ـــ علق الدكتور على قول الفاخري عن قتل سليمان بن محمد أمير الحسا سنة ١١٤٣ هـ قائلاً : (يبدو أنَّ هُنا خطأ في الاسم صوابه علي بن محمد) الى آخر ما ذكر ، والأمانة العلمية تقضي بالإشارة إلى أنني كنت نبَّهت على هذا الخطأ الذي وقع فيه ابن بشر أيضاً في المحاضرة التي ألقيتها في ربيع الثاني سنة ١٤٠٠ هـ في (أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب) الذي أقامته (جامعة الإمام محمد بن سعود) الجامعة التي يعمل فيها الدكتور الشبل ، فقد قلت : (المقتول هو علي بن محمد ، وتولَّى بعده أخوه سليمان بن محمد الذي عاصر ظهور الدعوة ومات في الخرج سنة ١١٦٦هـ) في الكلام على الأمير عثمان بن معمر .

والدكتور ـــ وأمثاله من رجال الجامعات ـــ أولى وأوَّل من يحرص على الأمانة في النقل .

١٢ ـــ ص ١٠٣ ـــ عن قتل زيد بن أبي زرعة ذكر الفاخريُّ أنَّ عنزة هم الذين قتلوه في مناخ بينهم . ولكن ابن بشر ذكر في «عنوان المجد» ـــ ج ١ ص ٢٩ طبعة وزارة المعارف ـــ ما نصُّه : (قتل زيد بن موسى أبا زرعة .. قتله أحد بني عمه ، وكان معتوه العقل ، صعد عليه في علِّيته وهو نائم فذبحه بسكين) .

ويظهر أن ابن عيسى نقل الخبر عن الفاخري .
وكان يجدر بالمحقق الإشارة إلى هذا الاختلاف .

١٣ ـــ ص ١٠٧ ـــ : (وفي سنة ١١٦٢ ـــ وقعة الجنوبية ، وهدم جدرانها) .

وعلق الدكتور : (الجنوبية بستان نَخْل معروف في الرياض ، في تلك الفترة) .

الجنوبيَّة هنا تصحيف (الحبُّونيَّة) بالحاء المهملة بعدها باء موحدة مشددة مضمومة ثم نون ثم مثناة تحتية فهاء ـــ كذا وردت في عنوان «المجد» بدون ضبط ـــ ج ١ ص ٣٦ ـــ وهي إحدى محلاَّت الرياض الجنوبية بجانب صياح ، ولا تزال معروفة مسكونة ، متصلة بمدينة الرياض .

١٤ ـــ ص ١٠٩ ـــ : (بني خالد كبيرهم عبدالله بن حصين) هو عبدالله بن تركي بن حُمَيد ـــ لا حُصين ، وفي مخطوطة التويجري (عبدالله بن حسن) .

١٥ — ص ١١٣ — : (جراب اسم منهل معروف حتى الآن يقع إلى الشمال الشرقي من القصيم ، والى الشمال من سَدير) .

جراب — واسمه القديم إراب — يقع في الطرف الجنوبي (مُجزّل) لجبل العارض (طويق) على خطّ الطول (٠٠/٤٥ْ) و(٤٥/٢٦ْ) عَرضاً ، فهو يقع شَرق القصيم لا شماله ، ولعلّ كلمة (الشمال الشرقي) سبق قلم وأنّ المقصود (الجنوب الشرقي) .

١٦ — ص ١١٤ — : (الهلاليّة : اسم بلدة في القصيم ، شمال وادي الرُّمة ، وهي قديمة ، يُظَنُّ أنّها تُنسب لبني هلال) .

العامّة ينسبون ما يشاهدون من الآثار القديمة إلى بني هلال ، لما عَلِق في أذهانهم من أخبار بني هلال ، وشجاعتهم ، كما كان العرب الأقدمون يُنسبون آثار العمران القديمة إلى قبيلة عادٍ ، فيُسمُّون القديم عادياً .

وبنو هلال لم يستوطنوا القصيم ، فقد كانوا مع قومهم بني عامر في عالية نجد ، وليسوا متحضّرين ذوي عُمران ، فنسبة الهلالية إليهم قد تكون ناشئة عن وجود آثار قديمة فيها ، لا لكونها من آثار بني هلال .

١٧ — ص ١١٦ — : (عثر فَرَسُ دواس بن دهام في صفاة الظهر ، التي بين عرقة والقواره ، فقُتل) الخبر فصّله ابنُ بِشْر في حوادث سنة ١١٨٥ — وكلمة (الظهر) صوابها (الظهرة) وهي الآكام المرتفعة من دون بلدة عرقة .

وكلمة (القوارة) صوابها (الفوّارة) موضع لا يزال معروفاً غرب الرياض ، وقد بلغه العمران الآن .

١٨ — ص ١١٩ — : (سَفَوان مورد ماء قرب البصرة) هو الآن بلدة كبيرة سكانها كثيرون .

١٩ ص ١١٩ — : (مبايض ورد ذكره في الشعر والمصادر القديمة هو معروف بهذا الاسم إلى اليوم ، وموقعه شرقي سُدَير) .

هما مُبايضان : أحدهما ورد في الشعر والمصادر القديمة ، وهذا في جهات العراق ، ولا أعرفه الآن .

العرب في القرن السابع

من كتاب «مسالك الأبصار»

— ٣ —

[النسختان المخطوطتان من كتاب «مسالك الأبصار» سيِّئتا الكتابة ، كثيرتا التحريف ، ومع أن القلقشندي نقل كثيراً مما جاء في هذا الكتاب في كتابه «صبح الأعشى» و«نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» إلاّ أنه وقع فيما نقل من التحريف والتصحيف أكثر مما وقع في المخطوطتين . ومع هذا يحسن الرجوع الى الكتابين المذكورين ، والى «مسالك الذهب» الذي هو تشجير لكتاب «نهاية الأرب»] .

وأما آل عليّ :

فأميرهم زَعَل بن حماد بن محمد بن أبي بكر بن علي بن حُدَيثة بن غُضَيَّة بن فضل بن ربيعة

وقد كان جده أميرا ، ثم أبوه ، وقلد الملك الأشرف جدَّه محمد بن أبي بكر إمرة آل فضل ، حين أمسك عيسى بن مُهَنَّا ، ثم تقلدها من الملك الناصر أخيه ، حين بعث بجلس في طرد مهنا وسائر إخوته وأهله ، ولما أُمر رملة كان حدث السّن فحسده أعمامه بنو محمد بن أبي بكر فقدموا على السلطان بتنادمهم ، وترامموا على الخواص ، وسائر الأمراء وذوي الوظائف ، فلم يُحضرهم السلطان لديه ، ولا أدنى أحداً منهم إليه ، فرجعوا بعد معاينة الحين ، بخُفي حنين ، ثم لم يزل يتربصون به الدوائر ، وينصبون له الحبائل : ويقيه الله سيئات ما مكروا ، ويدفع عنه بالسلطان ما تعكروا (؟)

والثاني : مبايض الذي أشار إليه الدكتور ، وله ذكر في كتاب «بلاد العرب» وغيره . ولكنَّ الأول أشهر .

٢٠ ص ١١٩ — لو رجع المحقق الفاضل إلى «عنوان المجد» حوادث سنة ١١٩٥ — لعرف موقع خضراء ، نخل ابن عشبان ، وأنها في بلدة الدَّلم — والقارىء لكي يفهم النَّصَّ كاملاً بحاجة إلى إيضاح مُبهمه .

(للحديث صلة)   حمد الجاسر

وها هو اليوم سيّد قومه ، وفرقد دهره ، والمشهور في عشيرته ، المبيِّضُ لوجوه الأيام بسيرته .

وله إخوة ميامين كبرا ، أمراء فَضْلٍ وآل مرا ، وهم أهل بيت عظيم الشأن ، مشهور السادات ، آل موال جمّة . ونعَم ضخمة ، ومكانة في الدول عالية .

وديارهم في مَرْج دمشق ، وغوطتها ، بين إخوتهم آل فَضْل ، وبني أعمامهم آل مرا .

ومنتهاهم الى الجوف والحَيَّانية ، إلى الشبكة ، إلى تيما ، الى البرادع .

وأما آل مِـرَا :

فبيت الإمرة فيهم الى أحمد بن حجّي

وبقيتهم آل منيخر : وأميرهم سعد بن محمد .

وآل سر[1] وأميرهم برجس بن سكال

وآل يقرة : وأميرهم علوان بن أبي عسرا

وآل شمَّا : وأميرهم عَمْرو بنُ واصل .

ثم صارت الإمرة في بيتين : في آل أحمد عمر بن نجاد بن أحمد قناة بن نجاد ، ومن بني سليمان بن أحمد شطي بن عمر بن توبه بن سليمان ، وأحمد هذا هو ابن حجّي بن يزيد بن تبل بن مرا بن ربيعة . والإمرة مقسومة بين هذين الأميرين نصفين . ويدخل في إمرتهم من يذكر :

وهم : حارثة ، والحاضر[1] ولام ، وسُعَيْدة ، ومدلج ، وفُرير ، وبنو صخر ، وزُبيْد حوران ، وهم زُبيد صَرْخد ، وقد تقدم ذكرهم ، وبنو غني ، وبنو عز .

ويأتيهم من البريّة : آل ظفير ، والمفارجة ، وآل سلطان ، وآل غزّي ، وآل برجس ، والخُرسان ، وآل المُغيرة ، وآل أبي الفضيل ، والزراق ، وبنو حسين الشرفا ، ومُطَير ، وخثعم ، وعدوان ، وعنزة .

وآل مرا أبطال[2] مناجيد ، ورجال صناديد ، وأقيال قُلْ كونوا من حجَارة أو حديد ، لا يُعَدُّ معهم عَنترة العبسيُّ ، ولا عرابة الأوسيُّ ، إلاَّ أن الحظ لَحَظَ بني

عَمِّهم ، أتمُّ مما لحظهم ، ولم تزل بينهم نُوَبُ الحَرب ، ولهم في أكثرها الغلب . وقد كانت لهم بأحمد بن حجّي الأنفة الشمَّا ، والرتبة التي لا تتطاول إليها السَّماء ، ثم قُتِلَت بهم القَتْلى ، وأنْزَف قُوّة بأسهم سفك الدِّما ، وتشتت كلمتهم بقسمة الإمرة ، على أنها لو لم تُقَسَّم لظلَّ فيهم كل يوم قتيل ، وآخذ بجريرته قبيل ، لإباء نفوسهم ، وعدم انقياد نظير منهم لنظير .

وديارهم من بلاد الجَيدور والجولان إلى الزرقا والضليل الى بُصرى ، وشرقا إلى الحرة المعروفة بحرّة كُشُب ، قريبة من مكة المعظمة ، الى شعبا إلى سرفرد[3] الى الهضب المعروف بهضب الرّاقي وربَّما طاب لهم البرُّ ، وامتدَّ بهم المرعى أوانَ خِصْب الشّتاء ، فتوسعوا في الأرض ، وأطالوا عدد الأيام ، حتى تعود مكة المعظمة وراء ظهورهم ، ويكاد سُهَيل يَصير شامهم ، ويصلُّون مستقبلين بوجوهم الشام .

وأما زُبَيْد — الغوطة والمرج :

وقد تقدمت الإشارة إليهم — وامرتهم في بني نوفل ، وهم والمشارقة جيران وليس للمشارقة إمرة ، ولكن لهم شيوخ منهم ، وأمر هاؤلاء وهاؤلاء إلى نوّاب الشام ، وليس لأحد من أمراء العرب عليهم إمرة . وديارهم جميعاً المرج والغوطة بدمشق ، إلى لاهة ، إلى أم أوعال[4] الى الرويدان[5]

وعليهم الدرك وحوط الأطراف .

ومنهم : ثُمَّ ذكَر ربيعة .

قال الحمداني : وقد ذكر أعيانهم : وفي آل ربيعة جماعة كثيرة أعيان ، لهم مكانة وأبهة . فأول من رأيت منهم مانع ابن حديثة وغنام أبو الطاهر ، على أيام الملك الكامل ، ثم حضر الكل في هذه الأيام الى أبواب السلاطين ، من دولة المعزّ أيبك ، والى أيام المنصور قلاوون ، وهم زامل بن علي بن حديثة . وأخوه أبو بكر بن علي ، وأحمد بن حجّي وأولاده وإخوته ، وعيسى بن مهنا وأولاده وأخوه ، وهم رؤساء أكابر سادات العرب ووجوهها ، ولهم عند السلاطين حرمة كبيرة وصيت عظيم الى رونق في بيوتهم ومنازلهم .

مَنْ تَلْقَ منهم تَقُل لاقَيْت سيدهم   مثل النجوم التي يسري بها الساري

قال الحمداني : إلا أنهم مع بُعْد صِيتهم قليلٌ عددهم . قلت :

تُعَيِّرنا أنا قليل عَدِيدُنا   فقلت لها : إنَّ الكرام قليلُ
وما ضرَّنا أنَّا قليلٌ وجارنا   عزيز، وجارُ الأكثرين ذليلُ

قال المَهمندار الحمدانيُّ : وقد وفد فرج بن هبة على المُعز ، وأنزلناه بدار الضيافة ، وقعد أياماً ، فجاء مقدار ما وصل إليه من عين وقماش ، وإقامة له ولمن معه ستة وثلاثين ألف دينار . واجتمع أيام الظاهر جماعة من آل ربيعة وغيرهم فحصل لهم من الضيافة خاصَّةً في المدة اليسيرة أكثر من هذا المقدار ، وكل ذالك على يدي . قال : وما يعلم ما خرج على يدي من بيوت الأموال والخزائن والغلال للعرب خاصة إلا الله تعالى ، مما لا يُحْصَرُ إلا بالجهد ، فسبحان من سَخَّر لهم وقسم .

قلت : قد قال الحمدانيُّ هذا واستكثره ، وأطال في هذا واستعظمه واستكبره ، فكيف لو عُمِّر إلى زماننا ، ورأى إليهم إحسان سلطاننا ، ورأى العطايا كيف كانت تفيض فيهم فيضاً من الذهب العَيْن ، والدراهم ، بمئين الوف ، والخلع الأطلس بالأطرزة الزركش ، وأنواع القماش الذي يفصَّل لملبوسهم بالسمُّور والوشق والسنجاب ، والبرطاسي والأطرزة المزركشي والملمع ، والباهي والسادج والعنابي من الاسكندري ، وفاخر المقترح والمصوغات المجوهرة ، والذهب ، وأنواع الزركش لنسائهم ، والسكر المكرر والأشربة المختلفة ، بالقناطير المقنطرة ، وأحمال الجمال المقطَّرة ، إلى ما ينعم به على أعيانهم من الجواري التُّرك ، والخيل للنتاج ، والفحول للمهاير ، مع ما يطلق لهم من الأموال الجمَّة بالشام ، ويقطع باسمهم من المدن والبلاد ، ويملك لهم من القرى والضِّياع ، ويُعطي غلمانهم ، ويُجري من الإقطاعات لهم ، وللآذنيّن بهم ، وللمتوجهين بجاههم ، مع المكانة العليَّة ، والشفاعات المقبولة ، في استخدام الوظايف ، وترتيب الرواتب ، وإقطاع الجند ، والإطلاق من السجون ، والرعاية في الغيبة والحضور . إلى غير ذلك من تجاوز أمثال الكفاية في الإنزال والمضيف لهم ولأتباعهم منذ خروجهم من بيوتهم وإلى حين عودتهم إليها ، مع مواكلة السلطان مدة

إقامتهم بحضرته غداة وعشاء والدخول عليه في المحافل والخلوات ، وملازمته أكثر الأوقات ، وإن وجدت لساناً قائلاً يقل : وهم إلى الآن يقلمون بتلك الريح ، ويستضيئون بتلك المصابيح .

قال الحمداني : ولقد رأيتهم في الوقائع مع من غلب ، إلا نوبة حمص ، يعني الكائنة أيام المنصور قلاوون ، فإنهم أثّروا أثراً حسناً ، وعملوا في التتار عملاً جيداً ، وقاتلوا قتالاً شديداً ، وربّما تقدّموا الجيش في اللقاء ، وكانوا سبب الكرة — يعني المؤدية الى النصرة .

قلت : وحكي لي شيخنا شهاب الدين أبو الثناء محمود أنه رآى آل مراحين جاؤا تلك المرّة قال : كُنْتُ جالساً على باب الاصطبل السلطاني بدمشق ، وقد أقبلوا زهاء أربعة آلاف فارس ، شاكين في السلاح ، على الخيل المسوّمة ، والجياد المطهّمة ، وعليهم الكزغدان[٦] الحمر ، من الأطلس المعدني ، والديباج الرومي ، وعلى رؤوسهم انبيض ، مقلدين بالسيوف ، بأيديهم الرماح ، كأنهم صقور على صقور ، وأمامهم العبيد تميل على الركائب ، ويرقصون بتراقص المهارى ، وبأيديهم الجنائب التي خلت إليهم عيون الملوك صُوراً ، ووراءهم الظعائن والحمول ، قال : وكانت معهم مغنيّة لهم ، تعرف بالحضرمية ، وكانت لها سمعة طائرة في زمانها ، ورأيتها سافرة من الهودج وهي تغنّي :

وكنّا حَسِبْنا كُلَّ بَيْضاء شحمةً ... ليالي لاقينا جُذَام وحميرا[٧]
ولما لقينا عصبةً تغلبيةً ... يقودون جُرداً ، للمنيّة ضمّرا
فلما قَرَعنا النبع بالنبع بعضه ... ببعض أبت عيدانه أن تكسّرا
سقيناهم كأساً سقونا بمثلها ... ولكنهم كانوا على الموت أصْبرا

فقال رجل منهم كان إلى جانبي : هكذا يكون ورب الكعبة . فكان الأمر كما قال : فإن الكسرة كانت أولاً على المسلمين ، ثم كانت النُّصرة لهم ، واستَحرّ القتل بالتتار ، فسبحان منطق الألسنة ، ومصرف الأقدار ، فهو الفاعل لما يشاء الفاعل المختار .

واذ قد انتهينا في ذكر آل ربيعة ، فلنذكر ما حضرنا من بقية العرب وديارهم فنقول :

بنو خالد : عرب حمص ، يَدَّعون النسب إلى خالد (بن الوليد) وقد أجمع أهل العلم بالنَّسب على انقراض عقبه . ولعلهم من ذوي قرابته من بني مخزوم ، وكفاهم ذلك فخراً أن يكونوا من قريش .

وبنو كلاب :

عرب أطراف حلب والروم ، ولهم غزوات معلومة ، وغارات لا تُعَدُّ ، ولا تزال تُباع بناتُ الروم وأبناؤهم من سباياهم ، وهم يتكلمون بالتركية ، ويركبون الأكاديش ، وهم عرب غزو ، ورجال حروب ، وأبطال جيوش ، ولإفراط نكاياتهم في الروم صُنِعَت السيرة المعروفة بدلهمه والبطال[8] منسوبة إليهم ، بما فيها من ملح الأحاديث ، وملح الأباطيل ، والكذب فيها يغلب على الصحيح .

وقد رأيت لعبد الوهاب ذكراً في سواها فقيل : عبد الوهاب بن بوبخت . وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر البطال ، وسماه عبدالله الانطاكي ، وذكر أنه كان أيام بني مروان ، وفيها هلك مصنف هذه السيرة ، قد جعله أيام بني العباس ، وذلك حديث خُرافة ، ولم أقِفْ لدلهمة لذِكر البتة ، فيما يوثق به ، وقد نبهت على هذا لِيُعْرف .

قلت : وذكر لي رجال من بني مروان أنهم ينسبون الى عبد الوهاب هذا .

قال المهمندار الحمداني ما معناه : فأما بنو كلاب عرب الروم ، فقد كانوا ظهوراً على آل ربيعة ، لأن الملك الكامل كان طلب من مانع بن حديثة وغنام بن الظاهر جِمَالاً يحمل عليها غِلالاً إلى خُلاط ، يُقوّيها بها . فاعتذر بأن الجمال عَزَبت في البرِّية ، وكان بعض بني كلاب حضوراً لديه ، فتكفّل له بحاجته من الجمال ، ووفى بقوله ، فحقدها الكامل على مانع بن حديثة وغنام بن الظاهر ، واستوحشا منه ، ثم أتياه عند أخذه آمد ، فوبّخهما وقال : والله لولا أنكما عربي لأفعلنَّ بكما الواجب ، فخرجا خائفين منه ، إلى فتح دمشق ، فأتياه بأنواع التقادم ، وتقربا اليه بالخدمة .

قال : وكانت بنو كلاب تخدم الملك الأشرف موسى ، وتَصْحَبُهُ لمُتاخمته لبلاد الروم ، وكانوا مُتَرصِّدين لخدمه ، ومعدودين من خَدَمه .

قلت : وكان سُلطاننا لا يزال مُتلفِّتاً الى تألُّف بني كلاب ، وكان أحمد بن نصير

المعروف بالتتري قد عاث في البلاد ، والأطراف ، واشتد في قطع الطريق ، فأمّنه وخلع عليه ، وأقطعه ، فانقادت بنو كلاب .

وحكى لي الأمير علاي الدين الطنبغا ، أيام نيابته بالشام ، أن بني كلاب أشدّ العرب بأساً ، وأكثرهم ناساً ، ولكنهم لا يَدينون لأمير منهم يجمع كلمتهم : قال : ولو انقادوا لأمير واحدٍ لم يبْق لأحدٍ من العرب بهم قبلٌ ولا طاقة . ولما توجه إلى حلب لإمساك طُشتُمر ، أتاه مشاهير بنو كلاب ، مثل أحمد بن نصير وندى بن ضحّاك وغيرهم ، فكانوا أعوانه ، وظهراه ، ولم يزالوا معه حتى جَفت[٨] عليه النوبة ، ففارقوه من المعيصرة ، وكان ذلك بمباطنة من سليمان بن مُهَنا ، وكانوا قد صاروا أحلافاً له ، وكان الملك النّاصر قد أمّرهُ على عرب بني كلاب ، وجعل عليه حَوْطَ جَعْبر ، وما جاورها .

وآل بَشّار :

ديارهم الجزيرة ، والأحَصُّ ببلاد حلب ، والأحلاف منهم حالهم في عدم الانقياد لأمير واحدٍ ، حال بني كلاب ، ولو اجتمعوا لما أمن بأسهُم ، وهم على تفرق كلمتهم ، وتشتُّت جماعتهم ، لا يزال آل فَضْلٍ منهم على وجلٍ ، وطال ما باتوا وقُلوبهم ، منهم ملأى من الحذر ، وعيونهم وسْنى من السُّهر ، وبينهم دِمَاء ، وهم وبنو ربيعة ، وبنو عجل جيران[٩] وديارهم من سنجار وما يدانيها الى البازار ، قريب الجزيرة العُمريّة ، إلى أطراف بغداد .

غَزيّة :

قال الحمداني : وهم بطون وأفخاذ ، ولهم مشايخ ، ومنهم من وفد على السلاطين في زماننا ، وهم متفرقون في الشام والحجاز وبغداد ، وفيما بين العراق والحجاز .

وأما شيوخ غزية الذين في طريق بغداد إلى الحجاز ، الذين مياههم اليحموم واللصف والنخيلة والمغيثة . مياه البطنين .

ومياه الأجود : لِينَة والثّعليّة ، وزَرُود[١٠]

فمن غزية : البطنين ، منهم آل دعيج ، وكان شيخهم مانع بن سليمان ، قد وفد

الديار المصرية سنة ثلاث وست مئة ، وآل روق ، وآل رفيع ، وآل شرية[١١] ، وآل مسعود ، وآل تميم ، وآل شمردل . هذه البطون من غزية. بطون الأجود من غَزِيَّة : آل منيع ، وآل سنيد ، وآل سند ، وآل سنان ، وآل أبي الحزم ، وآل محلى[١٢] وآل عقيل وآل مسافر. هاؤلاء المشهورون من بطون غزية . والله أعلم ، هذا ما ذكره الحمداني .

قلت : وذكر لي نصير بن برجس المشرقي زيادة : أولاد الكافره ، وساعدة ، وبنو جميل وآل أبي مالك وأما أحلاف آل فضل ، فقد قدمنا ذكرهم فيهم .

وديار آل أجود منهم الرخيمية والوقبا ، والفردوس ، ولِيَنَة والخَدَق .

وآل عمرو بالجوف ، وديار بقاياهم اللُّصَف والكمن ، واليحموم والام(؟) والمُغيثة .

ومنهم ساعدة : وديارهم من خضرا إلى تُربة وزرود[١٣] ، ولا محيد للركب العراقي عنها ، الى سقارة الى النقما الى البيت إلى الساسة ، الى حفر[١٤]

وخــالد :

ودارها التنومة ، وضبيدة ، وأبو الدِّيدان ، والقريع ، وخارج والكوارة ، والنّبوان ، إلى ساق العرقة الى الرسوس ، إلى عنيزة الى وضاخ الى جبلة الى السِّرّ إلى العودة الى العشرية (؟) الى الأنجل][١٥]

وخفاجة وعبادة : عرُب بغداد والعراق .

وقال ابن عدام : منازل عبادة من بغداد إلى الموصل ، وبمرج دمشق قوم من عبادة .

وخفاجة من هيت والأنبار والى الحلة ، الى مرملاها (؟) إلى الكوفة ، إلى قائم عنقا والديار[١٦] الى السي[١٦] دون البصرة ، وهو غاية مرعاهم ونهاية بعدهم .

قال الحمداني : إنهم وفدوا على الدولة الظاهرية ، بُعيد كسرة الخليفة المستنصر ، المجهّز من مصر لاستفتاح العراق ، وكان كبير جماعتهم حصن بن بدران بن مقلد بن سلمان بن مهارش العبادي ، وشهري بن أحمد الخفاجي ، في أشياخ منهم مقبل بن سالم ،

وعياش بن حديثة ، ووشاح وغيرهم ، فأنعم الملك الظاهر عليهم وقتاهم (؟) ، ثم كانوا عيناً لهُ على التّتار ، وأعواناً له للانتصار .

عربان العذار :

وهم عربان المسيّب بالبطايح ، وقد كانوا يَعْصون على الخلفاء وملوك التتار ، لتمنّعهم بالماء ، والمقاضب المغلقة ، والأجم المُتأشبّة ومقدّمهم ابن رزق ، وهم من سنبس والجبور ، وآل نطاح إلى بطون أُخرى .

وقد صاروا أهْلَ مَدَرة ، وحُلاّل دارة ، لا يبارحونها ، ورزقهم مقدر عليهم .

عَرب العارض :

والعارض وراء الوشم ، والوشم هو الذي ينتهي إليه آل فضل إذا توسّعوا في البرِّ .
وهم بنو زياد ، والجميلة .

وعَرب الخرج :

وهم العُقفان والبرمان

ومن بلادهم البريك والنعام ، وهما قريتان في وادٍ مَنيع ، اذا حُصّن مدْخَلُه بسُورٍ كان أمْنَعَ بلاد الله .

قال ابن عَدام : والى هذا الوادي أزْمَعَ تنكر على الهرب ، حين خاف من الملك الناصر ، وعليه طريق ركب الحَسَا ، وعليه مَمرُّ الركب من الحسا والقطيف ، وفيه يقول بعضهم :

لـعـلّك تـوطـيـني نـعـامـاً وأهـلـه ولـو بـان بـالـحـجّـاج عـنـه طـريق

عايذ بنو سعيد :

دارهم من حرمة إلى جلاجل والتويم ، ووادي القرى ، وليس بالوادي المقارب المدينة الشريفة النبوية — زادها الله شرفاً — ويُعرف بالعارض ، ورُماح والحَفَر .

وحدثني أحمد بن عبدالله الواصلي أن بلادهم بلاد خير ، ذات زرع وماشية ، بقرى عامرة ، وعيون جارية ، ونعم سارحة ، ولأرضهم بذلك الوادي منعة وحصانه ،

قال : وكان المظفر بيبرس الجاشنكير همَّ بقصده ، واللحاق به ، والمقام فيه - وأن يكون فيه كواحد من أهله ، مُرتزقاً من سوائم الإبل والشاء ، قال : ثم انثنى رأيه عن ذلك آخر وقت . ولو وجَّه إليه وجهه كان أحمد لمُنتجعه ، وأدنى لعوده إلى صلاح الحال ومرتجعه .

بنو يزيد :

ودارهم ملهم وبنبان وحجر ، ومنفُوحة ، وصياح ، والبَرَّة ، والعُويند ، وجو .

المزابـدة :

دارها البغرا وحرمة — وهي حرمة أُخرى غير الذي تقدم ذكرها — وسَبحة الذَّبيل ، والخُلوة ، والحريم ، والبُرَيك ونعام والمخَرج .

عقيـل :

وهم من آل عامر :

قال الحمداني : وهم غير عامر المتفق ، وغير عامر بن صعصعة[١٧]

قال ومنهم القديمات والنعايم وقبات وقيس ودغفل وحرتان وبنو مطرّق . وذكر أنهم وفدوا في الأيام الظاهرية ، صُحبَة مُقدَّمهم محمد بن أحمد بن العقدي بن سنان بن عقيلة بن شبانة بن قديمة بن نباتة بن عامر ، وعُومِلُوا بأتمّ الإكرام ، وأُفيض عليهم سابغ الانعام ، وحظوا بعين الاعتناء .

قلت : وتوالت وفادتهم على الأبواب العالية الناصرية ، وأغرقتهم تلك الصدقات بديمها ، فاستجلبت النائي منهم ، وبرز الأمر السلطاني إلى آل فَضْل بتسهيل الطريق لوفودهم وقُصّادهم ، وتأمينهم في الورد والصدور ، فانثالت عليه جماعتهم ، واخلصت له طاعتهم ، وأتَتْهُ بأجلاب الخيل والمهاري في أعنّتها وأزمَّتها تتبارى ، وكان لا يزال منهم وفود بعد وفود ، وكان منزلهم تحت دار الضيافة ، لا يزال على فضاء تلك الرحاب ، تغص بفنائه تلك الهضاب ، بخيام مشدودة بخيام ، ورجال بين قعود وقيام .

وكانت الإمرة فيهم في أولاد مانع إلى بقية أُمراء فيهم وكبراء لهم .

شَمَّر ولاَم :

من عرب الحجاز ، وديارهم جيلاطي .

وظفير من بني لام ، ومنزلهم الطعن[19] ، قبالة المدينة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

(للكلام صلة)

الحواشي :

(٠) في «صبح الأعشى» ج ٤ ص ٢٠٩ (آل نُمَيّ) .
(١) في (ب) : الماص(؟)
(٢) الجيدور — بالجيم — معروف بهذا الاسم في نواحي حوران
(٣) كلمة غير واضحة في النسختين (إلى سراس بريد) وفي «صبح الأعشى» ٢٠٨/٤ : إلى نيران مزيد) .
(٤) لاهة — الاهة — قارة في السماوة تحدثت عنها في «المعجم الجغرافي» قسم (شمال المملكة) ولا تزال معروفة . وأم أوعال في شمال وادي السرحان .
(٥) في (ب) : (الرويشدات)
(٦) في (ب) : (الكرعندات)
(٧) هذه الأبيات من الشعر القديم .
(٧) سيرة (ذات الهمة والبطال) لا تزال متداولة في بعض الأقطار العربية .
(٨) في (ب) : حقّت .
(٩) في (أ) : (حران)
(١٠) أنظر عن هذه المياه قسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية»
(١١) وقيع وشرية — بدون إعجام في (أ)
(١٢) في (ب) : (آل علي)
(١٣) تُربة هذه هي الواقعة في الدهنا ، شرق منطقة حايل بقرب زرودو خضرا ولينة ، وكل هذه المياه حددتها في (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي» .
(١٤) كذا وردت هذه الأسماء ولكنها مُحرَّفة ، ولم أهتد الى تصحيحها .
(١٥) ما بين المربعين [ ] من (ب)
(١٦) في (ب) : (والثرثار إلى الثني)
(١٧) هم من عامر ربيعة ، من عبد القيس منها — ويعرفون قديماً بالعمور ، وحديثاً باسم (العماير) ولا تزال لهم بقية في المنطقة الشرقية ، وينتسبون في بني خالد .
(١٨) أنظر عن هذه المواضع قسم (المنطقة الشرقية) من «المعجم الجغرافي» وانظر كتاب «التعريف بالمصطلح الشريف» ص ١٢١٥ من ج ١ من قسم المنطقة الشرقية .
(١٩) لعله (الظهن ظهَن الحرَّة) الضعن — أي مسايل الحرَّة الشرقية وانظر عن هذا الاسم قسم (شمال المملكة) من المعجم الجغرافي .

ما اتّفق لفظه وافترق مسمّاه من أسماء الأمكنة

للإمام محمد بن موسى الحازمي
(٥٤٨ / ٥٨٤ هـ)

— ١٢ —

١٧٧ — بابُ جُدَّةَ وحَدَّةَ[١]

أمّا الأوَّل — بِضَمِ الْجِيْمِ وتَشْدِيدِ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ : على[٢] سَاحِلِ الْبَحْرِ ، بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ مَكَّةَ مَسَافَةُ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ .

يُنْسَبُ إليها عَبْدُ الْمَلِكِ بْن إبْرَاهِيمَ الْجُدّي وَنَفَرٌ سِوَاهُ[٣])

وأمَّا الثَّاني : أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ — : وَادٍ بِتِهَامَةَ ، وَيُقَالُ لَهُ حَدٌّ — أيضاً — بإسْقَاطِ الهاءِ[٤] .

---

(١) هو نصُّ ما في كتاب نصر ، ولم يزد الحازمي سوى جملة (ينسب إليها) الى (ونفرٌ سواه)

(٢) كذا ورد في النّص في كتاب الحازميّ . وفي كتاب نصر : (البلد قُرْبَ مكة) إلى آخر ما ذكر الحازمي . وفي «معجم ما استعجم» للبكري : جُدّة — بضم أوّلها — ساحل مكة ، معروفة سُمِّيَتْ بذلك لأنها حاضرة البحر ، والجُدَّة من البَحْر والنَّهر : ما وَلِيَ النَّهر ، وأصْلُ الجُدَّة الطريق الممتدَّة . انتهى وقال ياقوت في «معجم البلدان» : الجُدَّة في الأصلِ الطريقة ، والجُدَّة الخُطَّة التي في ظهر الحمار تخالف سائر لونه ، وجُدَّةُ : بلد على ساحل بحر اليمن ، وهو فُرْضَةُ مكة ، بينها وبين مكة ثلاث ليال عن الزَّمخشري — ثم أورد قول الحازمي ونقل عن ابن الكلبي قوله : وبجُدَّةَ وُلِدَ جُدَّةُ بن جَرْم بن رَبَّان — من قضاعة — فسُمِّي جدة باسم الموضع ، ونقل عنه : لما تفرّقت الأمم صار لعمرو بن مَعَد بن عدنان — وهو قضاعة — لمساكنهم ومراعي أغنامهم ، جُدَّة من شاطىء البحر وما دُونَها إلى منتهى ذات عِرْقٍ ، إلى حَيِّز البحر ، من السهل إلى الجبل ، فنزلوا وانتشروا فيها ، وكثروا بها . انتهى .

والقول بأنَّ قُضاعة هو عَمْرو بن معد بن عَدنان قول مَرْجُوحٌ على ما ذكر الهمداني في الجزء الأول من كتاب «الإكليل» حيث أورد الأدلَّة الكثيرة على أنَّ قضاعةَ مِنْ حِمْيَر ، ثم من قحطان .

(٣) مِمَّن يُنْسَب إلى جُدّة — من رواة الحديث — على ما في كتاب «الاكمال» ٢٦٣/٢ — و«الأنساب» : ٢٢٢/٢ — :

١ — عبد الملك بن ابراهيم الجُدي

٢ — علي بن محمد بن علي بن الأزهر العُليمي المُقْرِيء القطان الجُدي ولد سنة ٣٩٠ وتوفي سنة ٤٦٨ — على ما ذكر ياقوت ، وذكر في «توضيح المشتبه» .
٣ — قاسم بن محمد الجُدِّي — من رواة الحديث .
٤ — حفص بن عمر الجُدّي من الرواة أيضاً .
٥ — أحمد بن سعيد بن فرقد الجُدِّي — حدث عنه الطَّبراني .
٦ — عبد الرحمن بن شيبة الجُدِّي — يروي عن شريك ، وروى عنه أبو يزيد القراطيسي .
٧ — موسى بن محمد بن كثير الجُدِّي ، يروى عن حفص بن عمر العدني ويروى عنه العُقيلي .
٨ — بكر بن صدقة الجُدِّي ، محدث روى عنه مصعب بن ثابت .
٩ — جابر بن مرزوق الجُدِّي — أنظر «لسان الميزان» ٨٨/٢ .
١٠ — عبدالله بن ابراهيم الجُدِّي .
ولجُدَّة ذكر كثير في كتب المتقدمين وفي رحلات العلماء والمتأخرين ، وأُلِّف عنها رسائل تدور حول فضائلها بصفتها رباط مكة والمدخل إليها — أنظر مجلة «العرب» س ٢ ص ١٩٣ وس ١٣ ص ٤٠٤ وما بعدها وس ١٤ ص ١٠٩ وس ١٥ ص ٢٢٧ — ومن آخر من ألف عنها الحضراوي المكي الذي نشرت «العرب» مؤلفه عنها ، وبعده الأستاذ عبد القدوس الأنصاري .

(٤) قال صاحب «معجم البلدان» : الحَدَّة — بالفتح ثم التشديد : حصن باليمن من أعمال الخبية (؟) وهي من أعمال جبن .
وحَدَّة أيضاً : منزل بين جُدَّة ومكة من أرض تهامة ، في وسط الطريق ، وهو واد فيه حِصْنٌ ونَخْلٌ وماءٌ جارٍ من عَيْن ، وهو موضع نَزِهٌ طَيِّب ، والقدماء يُسَمُّونه حَدَّاء بالمد .. وقد ذُكِر .
وقد أورد صاحب «المعجم» بمعنى هذا القول في رسم حَدَّاء وزاد : قال أبو جُنْدب الهُذَلي :

بَغَيْتُهُم ما بَيْنَ حَدَّاء والحَشَا ... وأَوْرَدْتُهم ماءَ الأُثَيْلِ فعَاصِمَا

وأخشى أن صاحب «المعجم» — خلط بَيْن موضعين أحدهما الموضع الذي بين جُدَّة ومكة ، وهو كما وَصَف يفيض فيه سيل وادي فاطمة (مرّ الظهران) ثم ينحدر حتى يصب في البحر جنوب جُدَّة ، وحَدَّة الآن أصبحت بلدة كثيرة السكان . ويسميها بعضهم حَدَّاء — بالألف — وما أراها المقصودة بقول أبي جُندب ، وليست حَدَّاء التي ذكرها أبو جندب موضعاً ، تِلْقاء الأبواء — كما ذكر البكريُّ في «معجم ما استعجم» إذ أورد البيت ، وقال : والحشا جبل الأبواء ، فإنّ الشاعر ذكر المسافة بين الموضعين : التي بغى من ذكرهم فيها — وهم أعداؤه — الذين قال عنهم قبل هذا البيت من قصيدة — شرح أشعار الهُذَليين — ص ٣٥٣ :

عَلَى حَتِّ صَبَّحتُهُم بِمُغِيرَةٍ ... كَرِجْلِ الدَّبا الصَّيفيِّ أصبح سائِمَا

وقد جاء في شرح السُّكري للبيت ما نصه : حَدَّاء : طريقُ جُدَّة . والحشا وادٍ ، أبو عَمْرو : (الأُثَيْل نَبْتٌ(؟) ويُروى : جَدَّاء والحشا ، مكان بلدان . والأُثَيْل وعاصِم ماءان . قال الباهليُّ : هذه كُلُّها مياه .

إلى ملح الفَيْفا فَقُنَّةِ عازبٍ ... أُجَمِّعُ منهم جاملاً وأغانِمَا

زعم أنه كَلَّم قومه في مرضه لجمعوا له غَنَماً(؟)
قال : الفَيْفا موضع . والجامل الإبل وأغانم : أراد غَنَماً . انتهى المقصود من شرح السُّكري وفيه : حَدَّاء طريق جُدَّة — كذا .
والذي أراه أن الشاعر الهُذَلي أراد حَدَّاء الجبل الذي لا يزال معروفاً ، في جنوب مكة ، بقرب السَّعْدِيَّة قال عنه الأستاذ عاتق بن غيث البلادي : حَدَّاء جبل للمحامدة ، بطرف يلملم من الجنوب ، يقابل جبل (عوامن) بينهما دَرْب السَّيْل وهو المقصود ببيت أبي جندب . انتهى . وعلى هذا فالشاعر قصد طول المسافة الواقعة بين جبَلَي حَدَّاء والحشا ، الذي هو جبل الأبواء — على ما ذكر عَرَّام في رسالته ، والبكريُّ وغيرهما .
وعوامن المقابل لجبل حدَّاء أرى صواب الاسم (عوائن) وأبدل العامة الهمزة هاء لتقارب مخرجي الحرفين ، وكون نطق الهاء أسهل من نطق الهمزة وعوائن اسم جبل ورد في شعر مالك بن خالد الهذلي :

أخطار تهدد تراثنا
مَصْدَرُها جامعاتنـا

[من بين رسائل القراء حول ما نشر في « العربي » حول (الدكاترة) و(الدكتوراة) رسالة من الأخ الأستاذ عبد القادر العافية الأستاذ في (كلية الشريعة) في مدينة فاس — ملخصها] :

تحية ملؤها الإعجاب والتقدير ، وسلاماً حاراً صادقاً نابعاً من الأعماق .

أما بعد . فإنَّ تعقيبكم على رسالة (الدكتوراة) في موضوع : دراسة وتحقيق لكتاب : (التعليقات والنوادر للهجريّ) أثلجتُم به الصَّدْر وقوَّمتم به الاعوجاج ، ونبَّهتم به الأغرار ، وأبَنْتُم — ولكم الفضل — أن تُراثنا العربيَّ ما زال له — بحمد الله — حُماة وحرَّاس أوفياء ، وأمناء مقتدرون ، وذَابُّون عن حماه يقظون ، من فقهاء العربية وأدبائها ، ومن الذين لا تُوشحهم الألقاب الفارغة والتقديرات الجوفاء ، بل من الذين درسوا العلم للعِلم ، وأخلصوا في التحصيل والبحث والدراسة ..

سيدي الأستاذ الفاضل : إنَّ تعقيبكم القيِّم والمفيد لا يقف مَغزاه عند منح شهادة عُليا ، لمن لا يَسْتَحِقُّها ، ولا عند صدور كتاب يحمل أخطاء عديدة ، وتحريفات فظيعة .. بل إنَّ تعقيبكم القيِّمَ يَدُقُّ جَرَسَ الخطر ، وينَبِّهُ على ما يُحْدِقُ بتراثنا العَربيِّ من أخطار ، مصدرها جامعاتنا ومعاهدنا ، ومدارسنا .. مصدرها أصحاب الألقاب الفخمة ، والكراسيِّ المشيدة في عنابر الجامعات المختصة . وإن هذا لَهُو الخطر الداهم ، والويل المُبير — حفظ الله تراثنا ووقاه — .

سيدي الفاضل : المعروف عادة أن أطروحات (الدكتوراه) يُتَشَدَّد في منحها غاية التَّشَدُّد ، وتُناقش بواسطة لجنة موسَّعة ، من المتخصصين ، يُعالج كلٌّ واحدٍ من

→

نبان بنعمى أهلي بالرجيم ودوننا — جِبَالُ السَّرَاةِ مَهْوَرٌ فَعَوَائِنُ
يُوَائِلكَ مِنْها طَارِقٌ كُلَّ لَيْلَةٍ — حَثِيثٌ كما وافى الغَرِيمَ المُدَائِنُ

أعضائها جانباً من الجوانب التي تحتوي عليه الرسالة بالإضافة إلى النحو ، واللغة ، والتعبير ، والعروض .. وما إلى ذلك .

فأين الرسالة المعقَّبُ عليها من هذا كله ؟!

إن تعقيبكم درسٌ نافع غاية النفع ، للمحقّق ولأساتذته ، ولسائر القراء . فجزاكم الله خيراً جزيلاً على عملكم المشكور ، وأثابكم على غيرتكم العلمية ، وعلى شهامتكم العربية ، بما يُثاب به الأوفياء المخلصون .

سيدي الأستاذ لا أكتمكم أنني معجب غاية الاعجاب بمجلتكم الغراء . وبأبحاثكم المفيدة النيِّرة فيها . ومجلة «العرب» هي من المجلات الملتزمة بالحفاظ على الروح العربية الصميمة .

حفظكم الله للعلم ...

عبد القادر العافية
أستاذ بكلية الشريعة في فاس

بلاد يام

قبيلة يام قبيلة عريقة وقديمة عاصمتها مدينة نجران التي تقع في الجنوب الغربي من مملكتنا الحبيبة كما أن معظم بلاد قبائل يام يقع من نجران شمالاً بمساحة قدرها ٣٨٠ كيلاً ومن الغرب السروات الى الشرق الربع الخالي حوالي ٤٥٠ كيلاً كذلك يوجد في شمال منطقة نجران مناطق وأودية تحادُّ لبلاد قحطان ، وفيها جبال القاره الغنية بالآثار القديمة والمنقوشة على الصخور وفيها آثار قرى قديمة مثل يَدَمه وبدر الجنوب ، والصحن ، وثار ، وقطن وغيرها .

وفيها أودية عظيمة تمتد من الغرب الى الشرق منها وادي ثار ، ووادي قطن ووادي طلحام ، ووادي الصحن ووادي الخبط آخرها شمالاً وجميع هذه الأودية تنحدر حتى تصل الى العارض والربع الخالي ومن هناك تتقطع في الرمال ..

وهذه الأودية غنية بالآبار وبالمياه العذبة الجوفية التي لم يستخرج منها إلا القليل وذلك لعدم الاهتمام بالزراعة لصعوبة المواصلات حيث .

وفي هذه المناطق كان يمر الحجيج من الأراضي اليمنية وغيرها من الجنوب اليمني وقد

تم فتح خط طريق نجران الى أبها والمؤدي الى الحجاز وذلك قبل عشر سنوات تقريباً .

وأخيراً تم فتح خط الرياض الى نجران وشروره وبسبب عزلة هذه المناطق ورحيل أغلب سكانها منها طلباً للعلم والرزق حيث المدارس في هذه المناطق التي أشرت إليها اعلاه لم تتعدَّ التعليم الابتدائي وحتى كتابة هذا فهذه المناطق تبعد عن مدينة نجران بما يقارب ١٩٠ كيلاً تقريباً شمالاً ويسكن هذه المناطق من قبائل يام قبائل الوعلة حوالي ستين ألف نسمة والأغلبية فيهم بادية ومن قبيلة الوعلة الفروع التالية :

١ — آل فطيح : ومنهم آل عازب ، وآل دبيش وآل شهوان ، ومنهم آل المهان .
٢ — آل مطلق : ومنهم آل مخلص وآل معجبه ، وآل عاطف بن سلطان ، وآل راكه .
٣ — آل رشيد : ومنهم آل شعفه وآل زايد ، وآل علي بن مطلق .
٤ — آل الفهاد : ومنهم آل عبدان ، وآل حسن بن فهاد وغيرهم ممن لا أذكرهم الآن .
٥ — آل العرجا : ومنهم آل جحدود وآل مطرة وآل سالم بن ناجع ، وآل معيض بن مهشل وغيرهم .
٦ — آل حسن بن عيسى : ومنهم آل سالم وآل فروان — وآل معوض وآل البيد وغيرهم .. الخ .

وتلك القبائل عموماً يرجعون الى وعيل بن هشام بن مذكر بن يام ..

هذه المناطق التي أشرت اليها محرومة من المواصلات ومن التعليم حتى الإرسال التلفزيوني لم يصل إليها حتى الآن علماً بأن وكلاء الوزارات قد سبق لهم زيارة منطقة نجران والاطلاع عليها وعلى عموم المناطق المشار إليها إلا أنه حتى الآن لم يتَّخذ شيء حيالها ..

نجران : محمد بن ذيب المهان

«العرب» : ملخص رسالة بعثها الكاتب الكريم عن هذا الجزء الحبيب من بلادنا ، الذي يأمل كلُّ مخلص من أبنائها أن ينال نصيبه كاملاً من عناية حكومتنا واهتمامها بكل

ما يتطلع إليه كل محب لرفعة هذا الوطن وعزته وتقدمه .

حول أسرة الحمادى في القصيم :

اطلعت على ما نشر في «العرب» العزيزة في ص ٣٠٩ وما بعدها من ج ٣ و ٤ س ١٦ الصادر في رمضان وشوال سنة ١٤٠١ هـ بعنوان «أسرة الحمادي في الشقة» ولأني أمتّ الى تلك الأسرة بنسب فقد سعدت لأن ألتي في العرب الجديد المفيد لي عنها سواء فيا ذكره الأخ عبد العزيز بن سليمان البعيمي أو ما تفضلتم به من تعقيب على كلامه وما استشهدتم به من تاريخ ابن العبون من حيث هجرة تلك الأسرة من أشيقر الى القصيم .. وأرجو أن يتسع صدر (العرب) للتعليقات الموجزة التالية :

١ — من الغريب أن يكون للأسرة جَدٌّ يدعي (حتايت) مع أنَّ الكثيرين ممن ينتسبون إلى تلك الأسرة ممن تُذرِّف أعمارهم على الأربعين لم يطرق اسمه أسماعهم قط قبل ذكره في المجلة فما بالك بمن هم أصغر سناً ! وفي هذا عبرة كبيرة إذ يظهر سرعة اكتناف النسيان للحقائق واضمحلالها حتى لا تكاد تعرف .. وهنا تبرز مهمة مؤرخ الأنساب في التنقيب والبحث والتمحيص إلى أن يصل الى حقائق منسية .

٢ — كثير من الأسر المتفرعة من أسرة الحمادى برحت الشّقة واستقرت في أماكن أخرى بالقصيم : منذ وقت مبكر نسبياً مثل السّداسا الذين استوطنوا منذ نحو ٢٠٠ عام البكيرية ثم البدايع وقصور الشّيحية ، ومثل الجفارا أو الحضافا الذين استوطنوا البكيرية .. ثم انتقلت في السنين الأخيرة أسرٌ منهم كغيرهم من المواطنين — الى مختلف مدن المملكة .

٣ — جاء في كلمة الأستاذ البعيمي ما يلي في ص ٣١٠ (ومن ذرية سليمان عائلة : السديسي والحظيفي والجفيري والفراج) ويجب أن تكون العبارة (ومن ذرية سليمان عائلات : السداسا — المفرد السديس : بدون ياء نسب — والحضافا — المفرد الحُضيف — والجفارا — المفرد الجفير — والفراج . وبالمناسبة فقد ورد في (معجم الأسر المتحضرة في نجد) القسم الأول ص ٣٧٤ «السُّديس (السُّدَيسي)» على أن

الكلمة الأخيرة صيغة أخرى ، والحق أن لا وجود لهذه الصيغة . وجاء فيها (ص ٣٠٩) السطر الأخير : فمن ذرية محمد عائلة : البعبمي والغازي والكلبية والعقيل) وهذه أربع عائلات لا عائلة واحدة . و(الكليبة) تحريف سيء وصحته (الكُلَيَّة) بألف ولام ثم كاف مضمومة فلام مفتوحة فياء مشددة مفتوحة ثم تاء مربوطة بلفظ تصغير (الكلية) .

وجاء فيها (ص ٣١٠) : ومن ذرية سالم : عائلة الشويهي والخضيري والمدهيش والجوعي) وهذه أيضاً عائلات لا عائلة . والجوعي صحته «الجويعي» .

وورد في موضع آخر (من الصفحة نفسها) : العصالي بالياء والصحيح أنها بالألف بصيغة الجمع والمفرد (العصيل) وهو اسم معروف لعائلة .

٤ ــ ذكر الأستاذ عبد العزيز أنه اطلع على ورقة قديمة فيها معلومات نافعة عن هجرة حتايت . وأنا أدعوه الى بعثها لكم لتصور وتضمن ما بها من معلومات بعد التحقق من أصلها ومصدرها ضمن الحديث عن الأسرة في «معجم الأسر المتحضرة في نجد» المرتقب .

وتفضل يا أستاذنا الجليل بقبول خالص التحية ووافر الود والتقدير .

٢٠ محرم ١٤٠٢هـ   محمد السليمان السديس

أسرة آل عفنان :

اطلعت على مؤلفكم «جمهرة أنساب الأسر في نجد» القسم الأول ويطيب لي أن أكون من المسهمين ولو بجهد ضئيل في تقديم بعض المعلومات التي ربما تجد لها مكاناً في القسم الثاني والذي لم يقدم ــ حسب علمي ــ الى المطبعة حتى الآن .

والموضوع يتعلق بأسرة (العفنان) في منطقة حائل :

وأسرة العفنان تميمية النسب من المفيد ، وموطنها الأصلي (السَّبعان) جنوب شرق حائل وفروعها أربعة وهم الدواس والسعد والحسن والحمود .

وقد استوطن المفيد السبعان قبل حوالي مائتين وخمسين سنة جاؤوها من (قفار) وسبب خروجهم من قفار هو ما حدث بينهم وبين بني عمهم (العيادات) من نزاع على أن المفيد لم يتجهوا الى السبعان في بداية أمرهم بل اتجهوا بعد خروجهم من قفار الى قرية (الحفير) شمال حائل واستوطنوها ولكن ما حدث بينهم وبين بدو تلك المنطقة من خصومة اضطرهم الى مغادرة الحفير والعودة الى قفار، ثم الخروج الى السبعان ويُذكر أنه بسبب الحينة استطاع البدو أن يضطروا المفيد الى ترك الحفير بعد أن كان المفيد هم أصحاب الشوكة ويدل على ذلك قول شاعرهم :

لي غـــرســـة جـــبّـــارة الماء تحتها يجري
تـــســـذبح بها (. . .) يـــا جويهل مـــا تـــدري

وقد استطاع أمير مناوئي للمفيد أن يخدعهم بعمل وليمة لهم خارج الحفير وأن يوعز الى من يعقبهم على مساكنهم وبذلك تمت الخدعة وكذلك فإنّ استيطان المفيد في السبعان لم يتم إلا بعد منازعة مع أهل تلك الناحية ولكنها انتهت بتغلب المفيد وبذلك يقول شاعرهم يذكر انكسار خصومهم وتركهم السبعان لهم :

تَر مكرمين الضيف يوم الدهورا قَفّوا عن الدار المعفاة عيّاف

وقد ورد في قصيدة لابن رشيد :

وبغربي سَلْمى للمفيدات مشهاة كِلٍّ بحَدْرْ مرزقه من وعرها

وهو بهذا يشير إلى ما ذكرناه من استيطان المفيد للسبعان في غربي جبل سَلْمى ولسنا بحاجة إلى أن نذكر كل ما ورد في هذا المعنى من أشعار ونكتفي بإيراد مقتطفات من بعض القصائد التي لها علاقة بما نحن بصدده من الحديث عن الأسرة يقول شاعر سلمى فرج بن خربوش الأسلمي الشمري في رثاء دوّاس بن عفنان الذي كان أميراً للسبعان :

دوّاس لو أنه بعيد نصيناه ناتيه فوق اللي تكبّ الشداد

ويقول فيها :

مارّ البَلا حطّوه عند المقباه بأيمن بطين الضلع عند المراد

ويقول :

ولا تصلح الديرة وأهلها بليّاه   يوم افخنه دوّاس ما هي جواد
لا والله إلاّ راح ما به مراواه   حَزمٍ ترحزح زلّ عن سيل وادي

ويقول فيها أيضاً :

والحر حر تنثر الرّيش يمناه   والتبع يفلس من عمود الجراد

وهي قصيدة طويلة ، وللشاعر المذكور قصيدة أخرى منها :

جينا عليهن يابو غالب مسانيْد   نبي نْسَلّم وأكثره لِلك مَوَدّه
دوّاس مات ولا بْسَلمى مقاعيد   وأبيك فِرجة شايب لي تسدّه

وأبو غالب هو تركي بن ربيعان راعي المستجدة .

ويقول مناور بن غمر من الجحيش من شمّر :

عيّوا على الدّيرة عيال ابن عفنان   واللّي نَهْج عن ديرته للذّلاف

وتقول شاعرة :

يسقي ديّار مْبهرة كل فنجال   غيّال المقيد مشّيمين القصيرة

وقبل أن اختم حديثي أود أن انبه إلى أن المفيد في السبعان ليسوا هم العفنان فقط بل إن العفنان فرع من المزيد الذين هم أحد فروع المفيد في السبعان فالمزيد الذين منهم علي المزيد القائل :

يا راكب اللي كما الهيج لا نْقاد   مرسول من علي المفيدات لنعيس

ينقسمون الى العفتان والصعب والعمر (العبد العزيز) وفرع صغير يحمل إسم المزيد .

أما بقية فروع المفيد في السبعان فهم البراهيم والسليمان والشايع والغرابا والفيصل والسلاطين والحنيش وكل فرع ينقسم الى فروع صغيرة . وبهذا القدر أكتفي ، وربما يكون لي عودة أخرى ..

عبد الرحمن العفنان

«العرب» : حبّذا لو أن ما كتبه الأخ عن أسرة (آل عفنان) وصل قبل صدور القسم الثاني من كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة» الذي طبع منذ سنة ، ولكنه لم يصل من مصر إلى الآن ، ومع ذلك فقد ورد في ذلك القسم (ص ٦٠٤) : العفنان في السبعان ، ومنهم الدّوّاس والسعد والحسن والحمود ، من آل مفيد من بني عمرو ، من تميم .

وتفصيل ما يتعلق بالأسر من أخبار غير مُدوّنة في المؤلفات المعروفة — خارج عن موضوع الكتاب ، وللأخ الشاعر عبدالله بن علي بن صقيه كتاب «بنو تميم في بلاد الجبلين» فصل كثيراً من أخبار الأسر التميمية والكتاب من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

حول كتاب «معجم قبائل المملكة»

قبيلة قحطان

اطلعت على كتاب «معجم قبائل المملكة» بجزئيه الأول والثاني وانني معجب حقاً بما بذله الشيخ حمد الجاسر من جهود في سبيل جمع تلك المعلومات التي احتواها الكتاب المذكور .

انه حقاً عمل جليل وجهد مشكور تحمل ولا شك في سبيل جمعه واظهاره الى حيز الوجود كثيراً من العمل والصبر .. فشكراً على هذا الجهد .

وامتثالاً لإشارة شيخنا الكريم في خاتمة كتابه التي قال فيها :

«أرجو من المعنيين بموضوع هذا الكتاب أن تكون نظراتهم اليه نظرات نقد وتصحيح لا نظرات إغضاء وستر لعيوبه» ..

ورغبة المؤلف في اخراج طبعة جديدة مصححه يتلافى فيها ما حصل من نقص في بعض المعلومات والأخطاء غير المقصودة التي وردت في هذه الطبعة التي بين أيدينا الآن ، فإنه يسرني أن أتناول بشيء من التفصيل والتقويم جزءاً من هذا الكتاب هو ما

يتعلق بقبيلة (قحطان) من أكبر قبائل المملكة الآن إن لم تكن أكبرها على الإطلاق .

هذه القبيلة التي ينتسب إليها كثير من قبائل المملكة وبعض القبائل العربية الأخرى والتي تعرف الآن بأسماء تختلف عن اسم القبيلة الأمّ .

والحقيقة انني أسفت كثيراً ان المعلومات التي وردت في الكتاب عن هذه القبيلة لا تتجاوز صفحة من صفحات الكتاب وجزءاً من صفحة أخرى هما ص ٦٤٥ ، ص ٦٤٦ من حرف القاف ورغم ذلك نجد أن ما ورد من معلومات على ايجازها الشديد ناقصة أو مشوهة ، ونفس الشيء بالنسبة للفروع الأخرى من هذه القبيلة التي ورد لها ذكر في الكتاب .

ولعل السبب في ذلك يكمن فيما اعتمد عليه المؤلف من مصادر وروايات .. فقد لاحظت من مصادر الكتاب قائمة بأسماء بعض الأشخاص المتعاونين مع صاحب الكتاب لم أر من بينهم واحداً ينتسب الى هذه القبيلة (قحطان) .

مع أنه من الأولى أن يطلب المؤلف المساعدة من واحد أو أكثر من هذه القبيلة لأنه كما يقال : (أهل مكة أعرف بشعابها) ، والناس مأمونون على أنسابهم .

وها أنا أقدم سرداً مفصلاً لقبائل قحطان المعروفة الآن في المملكة العربية السعودية ، راجياً نشره في مجلة العرب تمهيداً لأخذه في الاعتبار عند اعادة طبع الكتاب الكبير «معجم قبائل المملكة» .

قبيلة قحطان الكبرى :

سأقصر حديثي على ما يتعلق بهذه القبيلة قحطان المعروفة في عصرنا الحاضر في المملكة ، ولا مانع من الإشارة إلى بعض القبائل القحطانية في الأقطار العربية المجاورة ..

وأسماء البطون والفروع منها التي سأشير إليها في هذا البحث هي الأسماء المعترف بها والمتعارف عليها في وقتنا الراهن ، بصرف النظر عن الأنساب القديمة مما يحتاج إلى بحث طويل ومتشعب ، والى عدد كبير من المصادر .

وانني في نهجي هذا أسير على طريقة كتاب «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» الذي أكتفي بإيراد المعلومات اللازمة عن قبائل المملكة المعروفة الآن .

تنقسم قبيلة قحطان الى عدد من البطون منها ثلاثة بطون كبيرة جداً هي :
١ — عَبيدة .
٢ — الجحادر .
٣ — الخباب . وغيرها قبائل أخرى متفرقة مثل رفيدة ، سنحان ، بنو بشر ، ووادعة .

وهذه القبائل الأربع التي تسكن سروات الحجاز وبعض أغوار تهامة وليس لديّ إحاطة تامة بتفاصيل فروعها وأفخاذها ، وسأكتفي بذكر كل قبيلة من هذه القبائل مع الإشارة إلى منازلها بالتقريب لا بالتحديد .

أولاً : قبيلة عبيدة :

وتنتسب إلى جَنْب بن سعد وقيل إنها سميت بهذا الاسم نسبة إلى أُمِّهم (عَبيدة بنت المهلهل) ، ولكن صحة هذه الرواية غير مؤكدة .
وتنقسم قبيلة عبيدة إلى ثلاثة أقسام هم : حارث . صقر . جنب .

أ) حارث ، أي (ولد الحارث) وهم كالآتي :

١ — بنو شداد ومنهم : الْقَهَر ، آل مهدي ، العرجان ، ومواطنهم المضّة ، والصُّبيخة ، والبعض منهم يسكن وادي بيشة .

٢ — الوَهّابة : وهم المساردة ويسكنون وادي جاش ، وبعض الأودية المجاورة كوادي الثفن ، ووادي الرسين ، وفي قنة المساردة .

آل محاصل — آل مهروي — آل سلمان ، وهذه القبائل الثلاث لا زالت تسكن موطنها الأصلي وادي الوهابة بسراة عَبيدة ، وهم حتى الآن يعرفون بالوهابة .

٣ — الحرقان : وهم آل سليمان وآل سلمان ويسكنون العرين ، وعرقة ، وخبت آل سلمان .

٤ ـــ بنو طَلّق : وهم المنادية ، زهير ، آل علي (إعْلي) ويسكنون سراة عَبِيدة وهجرة زهير .

٥ ـــ آل زيدان : ويسكنون ضواحي بلدة الصُّبيخة ، بادية رحل .
٦ ـــ آل معمَّر : يسكنون المضّة وضواحيها وفي جوف آل مُعَمَّر بسراة عبيدة .
٧ ـــ حمالة : (احمالة) ويسكن معظمهم في قرى نجد وقليل منهم بالجنوب .

ب) آل الصقر :

وهم :
١ ـــ آل عائذ : وهذه القبيلة متفرقة المنازل منهم جزء يسكن سراة عبيدة ، ويعرفون بآل عائض بدلاً من عائذ ، وبعض منهم يستوطنون الصبيخة ، وما جاورها ، ومنهم أُسَرٌ نزحوا منذ القدم إلى نجد ، والمنطقة الشرقية مثل آل ناصر بالاحساء وآل معيذر وآل عفيصان بالخرج ، وكذا آل عواد وآل بكر وآل شهيل وغيرهم .
٢ ـــ آل بِنهار : ويسكنون طَريب والعرين .
٣ ـــ آل الجرو : ويستوطنون غضاة آل الجرو قرب طَريب ، وبعض منهم مستوطنون في قرى نجد .
٤ ـــ الجرابيع .
٥ ـــ آل قريش .
٦ ـــ آل الجلدة .
٧ ـــ العبس .
٨ ـــ آل عابس (آل بسام) ، وجميعهم يسكنون وادي طريب وسراة عَبيدة ، وما حولها من الأودية والقرى .

جـ) جنب :

ومنهم :
١ ـــ شُرَيف .
٢ ـــ آل سريع .

٣ ـــ آل حيّان ومساكنهم ظَهْران الجنوب وحرجة ابن دُليم وفي المنحدرات القريبة من تهامة .

٤ ـــ قبيلة بنو هاجر وهي القبيلة المعروفة في المنطقة الشرقية وبلاد قطر .

هذه هي قبيلة عبيدة المعروفة الآن في المملكة العربية السعودية .

أما في اليمن الشمالي فهناك وادٍ كبير يسمى الآن بوادي عَبيدة ، وهو المعروف تاريخياً وجغرافياً بوادي سبأ ، وجميع سكانه من قبائل عَبيدة .

وأحِبُّ التنويه في تعريفي هذا انه قد ورد في «معجم قبائل المملكة» الذي نحن بصدده اسم قبيلة (عبده) ومنسوب لهذا الاسم معظم فروع وأفخاذ عَبيدة (ص ٥٠٣ من حرف العين) مع العلم أنه لا يوجد في جنوب المملكة قبيلة بهذا الاسم .. وقد ورد اسم عبيدة الى جانب عَبْدَة في ص ٥٠٨ من نفس المعجم مكرر فيها اسماء الفخوذ التي ورد ذكرها من قبيلة عَبْدَة المزعومة .

وأحب التأكيد انه لا يوجد قبيلة بهذا الاسم أي عبده ـــ سوى قبيلة عَبْده من شَمَّر ، في شمال المملكة ، وهذه القبيلة جزء من ذلك الأصل أي إنها (عبيدية) الاصل من قحطان .. ومنها أسرة آل رشيد التي كانت لها إمارة في حائل منذ أكثر من قرن وقضى عليها الملك عبد العزيز أثناء توحيد المملكة العربية السعودية .

ثانياً : قبيلة الجحادر :

وقد درج على ألسنة العامة أنهم آل الجمل وآل محمد بينما هم آل سليمان وآل الجمل وهما فرعان كبيران لقبيلة الجحادر ، وهذان الفرعان يتفرعان الى فروع :

أ ـــ آل سليمان :

وينقسمون الى فرعين أيضاً هم :

١ ـــ آل محمد . ٢ ـــ آل عاصم

آل محمد هم : آل سعد وآل روق .. ويقال لهم آل البيطن

آل محمود وآل سلطان .. ويقال لهم آل دهيم

آل محمود هم : ١ ـــ الشُّحمة . ٢ ـــ الخنافر
آل سلطان هم : ١ ـــ آل عاطف . ٢ ـــ المشاعلة .

ب ـــ آل الجمل :

وهم : ١ ـــ آل مسعود . ٢ ـــ آل سويدان ٣ ـــ آل شبوة . ٤ ـــ آل عليان . ٥ ـــ العجارشة . ٦ ـــ آل مريتع . ٧ ـــ آل عياف .

وبلاد الجحادر هي : تثليث الأمواه ، وعَين قحطان ، وما حولها من الهجر والبوادي والفلوات ، ومنهم من يسكن قرى نجد كالرَّين بعالية نجد والهياثم بالخرج وصبحاء ، ولجعه وخلافها .

ثالثاً : الحباب : وواحدهم حبابي وينقسمون الى فرعين كبيرين هما :

آل مسلم .والهوجة

أ) آل مسلم : ومنهم : ١ ـــ الرشدة الذين هم آل جبران وآل الشريف .

٢ ـــ آل جميل وهم آل حميدان وآل زيد ومن آل زيد : آل العبد ـــ الزهرة وهم : آل جميح ، آل ناصر ، آل ملحان ، آل حسناء .

ب ـــ الهوجة :

ومنهم : ١ ـــ آل زربة . ٢ ـــ آل غراب . ٣ ـــ آل الجابر .

وتنقسم قبيلة آل زربة الى أفخاذ : آل شنان ، آل حثيث ، آل سالم ، آل الكحلا وآل مالك .

وبلاد قبائل الحباب ومساكنهم هي الأمواه وظهران الجنوب ، وقرية ملحة ، وقرية راحة ، وما جاور هذه البلدان من قرى وفلوات . وهذه القبيلة تجاور قبيلة (يام) في الشمال الغربي .

رابعاً : قبائل قحطان أهل سروات الجنوب وأغوار تهامة :

ومنهم : ١) رفيدة وهي قبيلة كبيرة لها فروع وقرى عديدة ، ومركزها الرئيسي أحدُ رفيدة الواقع بين خميس مشيط وسروات عَبيدة .

٢ — بنو بشر : يجتمعون في جنب عبيدة في سعد ، أي جنب بن سعد وبشر بن سعد وتسكن هذه القبيلة في المنطقة ما بين أحَد رُفيدة وسراة عَبيدة ، في الجهة القبلية من الطريق العام ومن قراهم العسران . وآل الخلف . وزهرة .

٣ — سنحان وهم سراة وتهامه ويسكن بعض منهم في السروات ففي قرى راحة وسروم ، والجوة ، والفرشة ، والبعض الآخر في المنحدرات إلى تهامة ويتبعون إدارياً ظهران الجنوب والحرجه .

٤ — وادعة : وهي قبيلة كبيرة توالى الحدود اليمنية وفي ظهران الجنوب والمناطق المجاورة ويقال إنها قحطانية بالحلف مع الشيخ ابن دُليم .

وانني اعترف بعجزي عن تعداد فروع هذه القبائل الأربع وفخوذها لعدم معرفتي التامة إلا أنني سأحاول الاتصال بتلك المنطقة للحصول على المعلومات اللازمة تمهيداً لاعداد بحث مستقل عن القبائل المذكورة ان شاء الله .

اعداد فراج بن شافي بن ملحم
بالتعاون مع الشيخ عبد المحسن بن شافي بن ملحم
وادي (جاش)

(العرب) : شكراً للأخوين الكريمين على ما أوضحاه عن قبيلتهما ، وليت كل عارف بأحوال قبيلته فروعاً ومساكن أن يتفضّل بتصحيح ما في كتاب «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» من أخطاء حتى يتيسّر إصلاحها عند إعادة طبع الكتاب .

أما ما أشار إليه الأخ الحبيب فراج بن شافي من أنه كان من الأولى الاستعانة بواحد من قبيلة قحطان . فقد كنت أنشر في مجلة العرب منذ زمن طويل أطلب ممن لديه مقدرة على إمدادي بمعلومات تتعلق بالأنساب ، وقد نشرت كثيراً مما وصل إليّ ولم أتلق من أحد من الاخوة شيئاً إلا نشرته ثم بعد ذلك استعنت به عندما ألّفت الكتاب . فعلى من يقع العتاب ؟ على كل حال للأخ فراج الشكر ومنه ينتظر التفصيل ، عما أجمل .

ملاحظات حول :

جمهرة

أنساب بعض الأسر المتحضرة في نجد

[صدر حديثاً عن (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر» كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» في مجلدين صفحاتها (٩٩٢) ويسر مجلة «العرب» أن تتلقى ملاحظات القراء حول هذا الكتاب ، وسيكون لتلك الملاحظات من اهتمام مؤلف الكتاب وعنايته ما يجعلها المكانة الجديرة بها عند إعادة طبعه] .

الرعُولة :

ورد هذا الاسم (ص ١٦٥) في الكلام على نسب (الحُقَيل) وقد قال لي الشيخ حمد الحقيل : إن صواب الاسم (الرولة) وأن كلمة (الرعولة) خطأ وقع أولاً في كتاب «علماء نجد» للشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام (ص ٦٨٠) ونصه : (آل حُقَيل فخذ من آل رعوله من آل لقمان) وكنت رأيت الشيخ حمداً ذكر في كتاب «كنز الأنساب» ص ٦٣ طبعة سنة ١٤٠٠ أنّ آل عولة في المجمعة من عنزة . فظننت أن تكون (الرعولة) تحريف كلمة (آل عولة) ولكن الشيخ نفى هذا .

آل سُلَيْمان :

جاء (ص ٤٠٨) : آل سليمان في المجمعة ، من آل جُبَير ، من العَرَينات من سُبَيع .

وقد اتصل بي الشيخ النسَّابة الأديب الشيخ حمد الحُقَيل ، في القاهرة ، بالهاتف صباح السبت ١٤٠١/١٢/١٢ هـ وقال لي : إنّهم ليسوا من سبيع ، بل من هُذَيل ، ومنهم الواعظ المعروف الشيخ عثمان بن سليمان ـ انتهى .

ولقد ذكرت في الكتاب (ص ١٠٤) أن آل جُبير من هُذيل ، وكررت هذا (ص ٩٥٦) في الكلام على هُذيل .

أما الشيخ عثمان بن سليمان فكان ينبغي ذكره لأن له رحمه الله مواقف مع الإخوان في أول أمرهم في هجرة الارطاوية ، وله ذكر في وقعة (الجهرا) . ←

مكتبة العرب

[لا تتحدث «العرب» إلا عما يصل إليها من المؤلفات الحديثة ، مع حرصها على ذكر ما ينشر من كتب التراث وتقديمها على غيرها] .

— كتاب التنبيه والإيضاح :

تَعقّب العالم اللُّغويُّ عبدالله بن برّي — المتوفى سنة ٥٨٢ هـ كتاب «الصحاح» للجوهري ، فأوضح بعض أوهامه ، فعُني صاحب «لسان العرب» بما كتب في الموضوع ، وأورده في ثنايا كتابه الواسع .

ويظهر أن أحد العلماء جمع ما كتب ابنُ برّي في كتاب عُرِف باسم «التنبيه والإيضاح عمَّا وقع في الصحاح» .

وقد قام (مجمع اللغة العربية) في القاهرة بطبع هذا الكتاب .

فصدر الجزء الأول منه بتحقيق الأستاذ مصطفى حجازي مدير قسم المعجمات وإحياء التراث ، في المجمع ، وهذا الجزء يحوي تَعقُّب كتاب «الصحاح» من أوله إلى آخر حرف الخاء ،

وتحدث عنه الشيخ عبد العزيز الرشيد في كتاب «تاريخ الكويت» حين تولّى مفاوضة الكويتيين عن الإخوان حديثاً فيه غلظة .

والله يسبغ رحمته على الجميع .

آل عُبَيْد :

بعد ذكر نسبة آل عُبَيد (ص ٥٥٨) الذين من آل أبي ربّاع من وائل ، ورد في الكتاب ترجمة الشيخ عبدالله بن سليمان بن محمد بن عُبَيد قاضي سُدَيْر سنة ١٢٤١ وترجمة الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عُبَيد إمام مسجد جلاجل سنة ١٢٨١ .

وقد ذكر لي الشيخ النسابة حمد الحُقَيل انه لا صلة للشيخين بآل عُبَيد الوائليين .

ثم صدر الجزء الثاني يحوي من حرف الدال إلى آخر حرف الشين.

وقد جاء في آخره: (هذا ما وجدنا من كتاب «التنبيه والإيضاح عما وقع في كتاب الصحاح» مما أملاه الشيخ العلامة أبو محمد عبدالله بن برِّي رحمه الله).

وقد حقق هذا الجزء الأستاذ عبد العليم الطحاويُّ، الخبير بمجمع اللغة العربية، وراجعه الأستاذ عبد السلام هارون من أعضاء المجمع.

وصدر هذا الجزء في عام ١٤٠١هـ (١٩٨١م) مطبوعاً بمطبعة دار الكتب بمصر ٣٤٤ — من القطع الكبير.

☐ — ورقات عن الحضارة المغربية:

الأستاذ الجليل محمد المنوني من خير من عرفت من علماء المغرب سَمتاً، وسعة عِلْم، وتواضعاً، وانصرافاً للبحث والدراسة. وله أبحاث كثيرة، ومؤلفات منشورة ومن مؤلفاته التي صدرت حديثاً كتاب «ورقات عن الحضارة المغربية في عهد بني مرين».

وبنو مَرِيْن قامت دولتهم في المغرب سنة ٦١٦هـ (١٢١٩م) واستمرَّت إلى سنة ٨٦٩هـ (١٤٦٣م) وكانت مدينة فاس قاعدة ملكهم.

وقد استقصى المؤلف الكريم دراسة الموضوع، فأوفاه بَحْثاً وإيضاحاً في هذا الكتاب الذي حوى من الصفحات (٣٧٦) التي ستتضاعف لو طبع الكتاب بحروف كبيرة، كالكتب التي تطبع في البلاد الشرقية.

وهو من منشورات (كلية الآداب والعلوم الانسانية) في الرباط — مطبوعاً بمطابع أطلس — بدون ذكر تاريخ الطبع وقد أفضل المؤلف الكريم بإهداء نسخة منه لصاحب «العرب».

☐ — العفو والاعتذار:

ومن كتب الأدب التي نشرت حديثاً كتاب «العفو والاعتذار» تأليف محمد بن عمران العبدي الرَّقَّام العبدي البصريِّ، من علماء اللغة والرواية، من أصحاب محمد

بن دريد من أهل القرن الرابع الهجري .

وموضوع الكتاب يفهم من عنوانه ، عمد المؤلف الى كثير من الأخبار والأشعار القديمة فاتخذ منها مادة كتابه ، فهو لهذا ـــ ولقدم عهد المؤلف ـــ يعتبر مصدراً من مصادر كتب الأدب والتاريخ القديمة ، وفيه تفاصيل وتوسُّعٌ في إيراد بعض النصوص ، قد لا توجد في غيره .

وقد تولّى تحقيق الكتاب الأستاذ الجليل الدكتور عبد القدوس أبو صالح ـــ الذي عانَى العمل أوّل معاناة في تحقيق «ديوان ذي الرّمة بشرح الباهلي» فبرز من أثره في التحقيق ما عُهِد عنه من دقّةٍ وسعة اطلاع .

وصَدّر الكتاب بمقدمة ضافية عن المؤلف وعن موضوع كتابه ووصف مخطوطته الوحيدة التي اتخذها أصلاً للعمل ، وختمه بفهارس مفصلة ـــ فجاء الكتاب بجزُءٍ به في ٧٠٦ صفحات ، وقام بنشر الكتاب (المجلس العلمي) في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) فكان الحلقة الثالثة والعشرين من سلسلة منشوراته بطباعة حسنة في مطابع تلك الجامعة وقد صدر في العام الماضي (١٤٠١ هـ) .

□ ـــ قاموس العادات واللهجات والأوابد الأردنية :

وصدرت الطبعة الثانية من كتاب «قاموس العادات واللهجات والأوابد الأردنية» تأليف الباحث المحقق الأستاذ روكس بن زائد العُزَيزي ، وهذه الطبعة منقّحة جاءت في ثلاثة أجزاء بطباعة حسنة .

وهذا الكتاب يفيد المعنيين بدراسة الأحوال الاجتماعية لأنّ العادات والتقاليد واللهجات عند سكان الأردن لا تختلف كثيراً عما عليه أهل بلادنا فأولئك السكان انتقلوا من هذه البلاد .

ولا بقي تعريف موجز بقدر هذا المؤلف الحافل ، الذي آمل أن أتحدّث عنه حديث المستفيد منه ، المقدر لفضل مؤلفه الأستاذ الكريم .

[ضاق هذا الجزء عن التحدث عن جميع الكتب التي أهديت للمجلة ، فمعذرة وإلى الأجزاء الأخرى] .

العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل هاتف ٢٢٩١٥ - ٤٠
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
٤٨ ريالاً للأفراد و ١٠٠ ريال لغير الأفراد
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء : ٨ ريالات

ج ١١ و ١٢ س ١٦ — جماديان ١٤٠٢ هـ — آذار - نيسان (مارس ، ابريل) ١٩٨٢ م

جامعة الرياض

— بمناسبة مرور ربع قرن على انشائها —

هذا الصَّرحُ الراسخ الشَّامخ من صُروح العلم والثقافة .

ماذا يُقَال عنه ؟!

بل ما أكثَر ما سيُقال عنه — بمناسبة مرور ربع قرن من الزمان على إنشاء هذا العمل الخالد ، الذي برز الى الوجود بروز المولود ، يستدر بمظهره الضعيف نظرات العطف والاشفاق ، ثم ما بَرِح بفضل رعاية ذوي النفوس الكريمة المفعمة بحُبٍّ هذه الأمة ، يتَدرَّج في مراحل النُّمُو حتي بلغ — أو شارف — من أسباب القوة ما استكمل به نماءه فكمل ، وبدأ يجود بثماره الطيبة في خلال هذه الحقبة القصيرة ، بالنسبة لأعمار المنشآت العلمية العظيمة التي لا تقاس بتعداد السنين ، بل بمرور الأجيال المتتابعة .

إن ذكرى إنشاء هذا الصرح العلمي القويّ وما له من الآثار النافعة في حياة الأمة ، سيُفتّق القرائح ، ويُطلق الألسنة ، فيصبح مجال القول رحباً .

ورجال الجامعة نفسها ، وإن كانوا ذوي القول الفصل في كل أحوالها — عن علم وخبرة وممارسة أعمال ، وأنهم لن يدعوا جانباً من جوانب حياتها ، ومراحل نُمُوِّها وتطورها ، على اختلاف تلك المراحل بدون إيفائه حقه من الايضاح والبيان .

إلاَّ أن هذا لا ينبغي أن يكون حائلاً دون المشاركة في هذه المناسبة الطيبة من كل مثقَّفٍ من أبناء هذه البلاد ، تغمر فؤاده بواعِث الغبطة والسرور حين يرى عملاً

عظيماً ، ذا أثر عميق — بل هو أعمق الأعمال أثراً في حياة الأمة — تتطلع النفوس للانتفاع بثماره الطيبة . وإن عملاً تعهّدته منذ انشائه وتولّت القيام به هذه النخبة الممتازة من أبناء هذه الأمة — امتياز علم وكفاءة ، وخُلُقٍ ومقدرة — لهو أسمى وأجلّ قَدراً من أن يُكتفى في يوم من أيّامه المجيدة ، التي ستبقى ما بقي الزمان — بتدبيج عبارات الثناء للعمل نفسه ، وللقائمين به ، مع جدارتهم واستحقاقهم لكل ما يُوجَّهُ إليهم من ثناء .

إنّهم — بدون شك — شأن الواثق بنفسه المدرك لما يقوم به من عمل ، العارف بما يتصف من مؤهلات قيامه به ، سيرتاحُون ويُسرُّون حين يرتفع الحديث الى مجالاتٍ أرحب ، وأقوى صِلةً بحياة الأمة ، التي يسعون — ما وسعهم السّعي — ويبذلون ما أمكنهم البذل أو تمكنوا منه — لكي تنال حظّها من الحياة الكريمة القوية في خِضَمٍّ هذا العالم المضطرب الصاخب ، الذي لا يصمد أمام عُنف اضطرابه إلاّ من تدرع بجميع أسباب القوة ، علماً وعملاً .

إنّ رجال العلم — في هذه البلاد — وفي قِمّتهم بُناة هذه الجامعة ، ورُعاتها مُنْذُ إنشائها حتى يومنا هذا — هم الذين رسموا أهْداف التعليم الجامعيّ وأوضحوا غاياته وأنه : (مرحلة التخصّص العلمي ، في كافة أنواعه ومستوياته ، رعايةً لذوي الكفاية والنبوغ ، وتنمية للمواهب ، وسداً لحاجات المجتمع المختلفة في حاضره ومستقبله بما يُساير التطوُّر الذي يُحَقِّقُ أهداف الأمة ، وغاياتها النبيلة)(١) .

وهذا التعريف الجامع المانع وُضع عن إدراك تامّ لحالات هذا المجتمع الذي أوجد فيه هذا النوع من التعليم ليُسدَّ حاجاته ، أوكما تُعبِّر هذه اللافتات التي تَزدان بها الشوارع في هذه الأيام : (الجامعة في خدمة المجتمع) . وإذن فالسّعي لتحقيق تلك الغاية يأتي قبل الإقدام على فتح أية كلية في أية جامعة من جامعات بلادنا السبع ، بل قبل قبول أيِّ طالب في أية مرحلة من مراحل الدراسة ، وهذا هو أول ما يجب الأخذ به ، لئلاَّ تُصْرَف طاقة من طاقات قوة الأمة ، تتمثل في شبابها إلى الوجهة التي لا تحقق الغاية الكريمة وهي (خدمة المجتمع) وبصرف تلك الطاقة يُحمِّل المجتمع الذي نسعى لخدمته — عبئاً بإيجاد طبقة من أبنائه ، عاجزةً عن القيام بأي عمل مُجدٍ .

ولإيضاح هذا يحسن القاء نظرة على آخر إحصاء نشرته (وزارة التعليم العالي) عن عدد خريجي جامعات البلاد في خلال خمس سنوات مضت :

السنوات :	١٣٩٣/٢	١٣٩٤/٣	١٣٩٥/٤	١٣٩٦/٥	١٣٩٧/٦
عدد الخريجين	١٢٦٣	١٩٩٦	١٩٠٩	٢٢٢٣	٣٢١٠

إنّنا سنصاب بدهشة بالغة لكثرة هاؤلاء المتخرجين ، مع المقارنة بقصر عمر التعليم المنظم في بلادنا .

وتزداد الدهشة حين نقارن بين عدد الطلاب الذين تخرجوا في الكليات النظرية ، وبين عدد المتخرجين من الكليات الأخرى ، وحين ندرك عدد الأولين في تلك السنوات ، ثم قفزة ذلك العدد في السنة الأخيرة ، وهي قفزة لم تكن وليدة اعتباط ، بل عن دراسة وتطبيق :

٧٩٥	٩٥٦	٨٨٣	٨٨٢	١٣٣٣

وهذه المقارنة ستوضح أنه لن يمضي زمن قصيرٌ جداً حتى نرى مجتمعنا الذي أوجدنا التعليم العالي لخدمته يسد حاجاته . يَزخر بجيش عَرمرم مشلول الحركة مما يسبب لذلك المجتمع من الآثار عَكس ما توخَّاهُ القائمون على شؤون التعليم .

فما هو موقف رجال التعليم العالي من هذه الحالة ؟! بل ما هي الخُطَّة التي رسمتها وسارت عليها رائدةُ الجامعات في هذه البلاد ؟

وهل تتخذ مما حدث في بعض الأقطار العربية من وسائل الاعتبار والعظة ما يحفز الهمم لسرعة معالجة الأمر قبل أن يَستشري داؤه فلا ينجح فيه العلاج .

ثم يأتي دور طلاب التخصص الذين تبعثهم الجامعات لنيل الإجازات العالية ، والذين تمنحهم جامعات البلاد إجازات (شهادات عالية) بواسطتها يجتازون أروقة التعليم بدون حُدود أو قيود ، ويتسنَّمون بتلك الاجازات منابر التدريس في كلُ كلية .

لقد أحسنت (وزارة التعليم العالي) حين كبحت جِمَاحَ الابتعاث من قبلها ، بتخصيص أنواع الدراسات ، وتحديد موضوعاتها . ومع ذلك فقد بلغ عدد الحائزين

على شهادات عالية — من غير جامعات البلاد — في سنة ١٣٩٨/٧ — ٢٤٩ طالباً ، منهم ٨٣ فازوا بلقب (دكتور) وليس من بينهم من الأطباء سوى ١٣ .

ويلاحظ أن الابتعاث لم ينحصر في جهة واحدة بحيث تستطيع حَصْر الطلاب ، وتوجيههم الوجهة التي تُحقق الغاية من التعليم العالي ، بل تعددت الجهات ، وتنوَّعت الدراسات ، وهذا التعدد وهذا التنوع قد لا يتَّفقان مع ما رُسم للتعليم العالي من غاياتٍ اتفاقاً تامَّاً .

إن الحديث عن أولئك الطُّلاب — وعن أمثالهم ممن تمنحهم جامعات البلاد شهاداتها العالية — ينحصر في (الكيف) لا في (الكمّ) والعلم لا حدود له ، ولا قيود تحول دونه — هذا من الأمور البدهية ، ولكنَّ العلم الذي أُنشئت الجامعات لنشره ، وأُرسلت البعثات الى خارج البلاد لتحصيله ، قد حُدِّدَ أوضح تحديد ، وبُيِّنت الغاية منه أوفى بيان ، إنه مع (تنمية المواهب — سد حاجات المجتمع) حسب تعريف راسمي سياسة التعليم .

وقُل لي — بربِّك — أي حاجة للمجتمع يستطيع سدَّها ذاك الذي يكون مبلغه من العلم تلك البطاقة الجميلة ، المعنونة بأحد أسماء الاجازات (الشهادات) في موضوع لا صلة له بمجتمعنا صلة نفع وعمل — من بعيد أو قريب ؟!

إنَّ للدراسات العليا في مجتمعنا الواسع ، وفي وطننا الطويل العريض ، وفي تاريخنا القديم والحديث ، وعلى أرضنا ، وما تزخر به من ثروات — إن في كل ذلك مجالاتٍ في الدراسة هي أرحب وأولى وألصق بحياتنا .

فلماذا لا تكون صلتنا بهذه الأرض التي نعيش عليها على حالة من القُوَّة ، تشدُّنا وتربطنا بأمَّتنا ، وبحياتنا وبمجتمعنا في كل ناحية من نواحي الحياة .

ليكُن لنا من رجال جامعاتنا ومُفكِّرينا من يَفتح لطلابنا في مجالات الدراسة من المنافذ والمسالك ما يصلون به إلى سَدِّ حاجات المجتمع ، بأقرب الطرق لفهم هذا المجتمع ، وتحسُّس جميع جوانب حياته ، ولن يكون ذلك إلاَّ بتوغل الدراسات في بيئة هذا المجتمع ، وما يحيط به من أرض وسماء .

وعندئذ سيصبح لجامعاتنا كيانٌ مُتميِّزٌ وللإجازات العلمية التي تمنحها لطلابها قَدْرٌ يتلاءم مع تلك الاجازات من صلة بحياة الأمة ، وتغلغل في أعماق المجتمع .

والحديث عن البطاقات المزركشة — وسمِّها شهادات أو إجازات — يَجُرُّ الى تناول أمر خطير بالنسبة للحياة الجامعية ، إنّه عصبُها ، بل قلبُها الذي به تنمو ويستمر لها البقاء ، إنه المدرس .

والتّدريس ، كغيره من الأعمال التي لا تُكتسب مهارتها بشهادة من أية جامعة ، إنّهُ فنٌّ وتذوُّقٌ وفهم ، قبل أن يكون معلوماتٍ تُحشي بها الأدمغة .

شكى اليَّ أحد المدرسين — وكُنْتُ مُدير مدرسة — أن الطلاب لا يحترمونه أثناء القاء الدرس . فغافلته في أحد الأيام ودخلتُ الفصل . وجلستُ على أحد المقاعد في آخره ، ولقد كان المدرس فاضلاً عالماً تولى القضاء في آخر حياته . لقد وجدته يقرأ على الطلاب من كتابٍ احتضنه وغَرَسَ رأسه بين دفَّتيه ، واكتفى بسرد ما فيه ، فماذا يكون موقف طالب إذا لم تُشغل ذِهْنه وفكره ونظره وتجتذبه بما تُقدم له اجتذاباً يسيطر على كل عواطفه ؟! إنه سينصرف عنك ، وسيستهين بك .

وهذا لا يختص بمدرس دون آخر ، فالمحاضر في الجامعة إذا كان مبلغه من العلم — بعد الاعتداد بما يحمل من شهادات — أن يقف أمام الطلاب كوقوف واعظ الجمع والأعياد ، يتلو عليهم من (مذكرات) أُجهد ذهنه في جمع ما فيها من معلومات من هنا وهناك ، فما أقلَّ جَدواه ، وما أسرع طُلاَّبه بالانصراف عنه بقلوبهم ، وإن اضطروا الى التظاهر بكل ما يمكنهم من اجتياز مرحلة دراستهم .

إنَّ طالب الجامعة قد تَعَدَّى الطور الذي اعتاد المدرسُ أن يَحْشو فيه أدمغة تلاميذه بما حفظه ونقله من معلومات ، وهذا من الأمور التي يدركها رجال الجامعة أنفسهم قبل غيرهم ولولا أنني رأيت بعض الطلاب يتذمر من بعض أصحاب (المذكرات) من الأساتذة منذ عهد مبكر في هذه الجامعة(٢) لما تصوَّرْتُ حُدوثَهُ .

وسمعت في هذه الأيام شكوى من أحد أساتذتها بأن الطلاب لا يحترمون بعض مُدرِّسيهم . فلم أجد لذلك تعليلاً سوى ما عرفته من أنَّ الجامعات تختار مُدرسيها من

حملة الشهادات العالية ، وهي على صواب في ذلك ولكن ليس كلُّ حامل شهادةٍ عالية مُؤهلاً للتدريس ، ولا مُجيداً لمهنته ولا مستطيعاً للتأثير في نفوس طلابه بالطريقة المجدية النافعة .

وقد يستفاد من حامل تلك الشهادة في مجالات أخرى غير التدريس ، وقد يكون أثره في تلك المجالات أجْدى وأنفع ، في تحقيق غايات الدراسة العالية .

هذه خطراتٌ أثارتها هذه الذكرى الحبيبة الى كُلِّ نفس ، بدافع الوفاء والمحبة لما يَضُمُّه هذا الصرح العلمي العظيم من صفوة الأبناء ، الذين بلغوا بعلمهم ، وأدركوا عن خبرة وعمل — أكثر مما أدرك غيرهم .

وبعد : فما إخال الأجيال — على تعاقبها — حين تستعرض ذكريات جليل الأعمال ، تنسي ما قام به أولئك الرجال الذين بذلوا — عن إخلاص ووفاء لهذه الأمة — ما استطاعوا بذله في إنشاء هذه الجامعة العتيدة ، منذ عهد تأسيسها إلى عهد اكتمال نُموِّها .

إن فهد بن عبد العزيز آل سعود
وناصر بن حمد المنقور
وعبد الوهاب عَزام

واخواناً لهم آخرين — لا يتسع المجال لذكرهم — قد أسدوا أجَلَّ الأيادي لهذه الأمة الكريمة بتشييد هذا الطود الأشم من أطواد الحياة المثمرة النافعة ، مما يستعصي على النسيان بل ستبقى ذكراه العطرة مُتجدِّدَةً بتَجدُّدِ الأزمان .

حمد الجاسر
أستاذ غير متفرغ في كلية الآداب

(الدكاترة) : وَالْعَبَثُ بِالتُّراث !!

— ٤ —

٢٨٩ — ص ٢٥٥ — : وأنشد للفارعة بنت معاوية بن قُشَيْر تقولها لتميم .
كلمة « بنت » منصوبة في المطبوعة وكلمة (بن) مضمومة والصواب فيهما الجرُّ — كما هو معروف — .

أما كلمة (تميم) فقد أجهد المحقق نفسه في البحث عن نسبهم فاستعان بما عرف من الكتب حتي مؤلفات أهل العصر ككتاب « قلب جزيرة العرب » الذي لا يهتم بالأنساب القديمة ، ولكن المحقق لم يُدْرِك أن اسم تميم لم يرد في شعر الفارعة ، فهو يتحدث عن سُليم .

إلى ابني عَجوز من سُلَيم غريبة .

والمخطوطة لم تَخل من التحريف في بعض الكلمات ككتابة (القريتين) : الفريش ، ونضلة : فضلة وأمثالها مما سبقت الإشارة إليه . ولهذا فلعل صواب (تميم) : (سُلَيم) .

٢٩٠ — ص ٢٥٦ — : أورد الهجريُّ أسماء مواضع أوضحها أتمَّ ايضاح بتحديد مواقعها فقال : مَوثب أحد جزعي يبرين ، والجِزْع الآخَرُ الخنُّ والقَوْس ، وهُما أعظم من موثب ، وكان يَبرين لبني سعد ، فغلبتهم القرامطة عليه — الى آخر ما ذكر .

فعلق صاحبنا :

١ — مَوثب : موضع في الشعر — أنظر مراصد ثم رقم الجزء والصفحة ؟! فكأن الشعر الذي أورده الهجري وشرحه ليس شِعراً أو ليس مَحَلاً لثقة المحقق ويرى أن مؤلف « مراصد الاطلاع » الذي عاش في القرن الثامن الهجري ، وأغار على كتاب « معجم البلدان » فشوّه نُصوصه — يراه أعلى منزلةً من الهجري .

٢ — يبْرين أرض سبخة تشتمل على عينين ونخيل وهي بالقرب من الحسا والقطيف — ثم الإحالة الى «تقويم البلدان» و«المراصد» ومعروف موقع يبرين بالنسبة للاحساء وبعده عنها ، وأن يبرين واحة واسعة ، وكلمة (القطيف) أقحمها صاحِبُنا أو من نقل عنه ، لبعدها عن يبرين .

٣ — قوس : من أودية الحجاز .
قوس هذا الذي عَدَّه الهجريُّ جُزءاً من يَبْرين الذي زعم صاحبنا أنه بقرب القطيف الواقع على ساحل البحر الشرقي — الخليج العربي — إنَّ صاحبنا يراه في الحجاز ! !

٢٩١ — ص ٢٥٧ :

كما انشقَّ بُرْدُ العصب أُنهج بعدما بَدَا ، وهو حلو الجُدَّتين وَسِيم

وليس (بود العصب) ولعلَّ هذا تطبيع .

٢٩٢ — ص ٢٥٨ — : عليك الحياة في كُلِّ صَيْف ومَربع لا (صَفٌ ومَرْبَع) كما في المطبوعة ، وفي البيت إقواء ، إذ القافية مرفوعة .

٢٩٣ — ص ٢٥٨ — :

وفيهم عُدَى لو يقدرون احتسوا دَمي
ووَدُّوا بأنْ قد غيَّبتني الرَّوامس

وليس (ووداًّ) إذ الضمير يرجع الى (عِدَى) وهم جمع .

٢٩٤ — ص ٢٥٩ : —

فلا عُدِمُوا مثلي اذ الخيلُ أحدَقَت
وقَدْ ضَبَحت بَيْنَ الأكُفِّ المقاوس

قرأ صاحبنا (ضبحت) : (ضحَّت) فكتب في الهامش : (البيت غير تام الوزن) .

٢٩٥ — ٢٥٩ — :

وأَضْرِب قَبْلَ الذَّمْرِ والرِّيق يابس

الذَّمر — بالذال — لا بالزَّاي حيث ورد في المطبوعة (الزمر) .

٢٩٦ — ص ٢٦١ — :

ولَـيلي أرُوجُ الجيب مـنّـاعـة الصّـبـا
أبيٌّ لما يَـأْبـى الـكـريم وتَـرْفـع

وفي المطبوعة (ميّاعة) و(يرفع)

٢٩٧ — ص ٢٦١ — : قال : الصواب : وأرواني البضاع : المُروي ، فيُنقِعُ — بِجَرِ القاف — لأنه يروى .

وفي المطبوعة : (والبضاع) و(المُنقع) .

٢٩٨ — ص : ٢٦٢ — :

لاخـتـار .. ... مـكـانـه ولـظَـلَّ يـطـمع منها بوصال

مكان النقط في الأصل قد تآكل ، فلم تتضح كتابته ، ووضع الأستاذ عبد العزيز الميمني في المكان (سَهلَهُا بِحزن) في «ديوان حُمَيْد بن ثَور» الذي حققه الأستاذ ، فنَقل المحقق البيت كما ورد في الديوان ، وقال في الحاشية : (ولعله كما ذكرناه) والفعل للأستاذ الميمني — لا له هو — ولكن :

أَمَنْ سَرَقَ الخليفة وهو حَيٌّ يَعِف عن الملوك مُكفنينا !!

٢٩٩ — ص ٢٦٤ — : وقال :

تَسْفي عَلَيْه الريحُ مور الدَّرين .

غَيَّر صاحبُنا (عليه) فجعلها (عليها) ووصف ما في الأصل بأنَّهُ (تحريف) .

وفاتَهُ أنَّ هذا عَجزُ بَيْتٍ لخُلَيْدِ عَينين ، تقدم في مطبوعة صاحبنا — ص ٩٠ — :

تَذْرو عليه الرّيحُ مور الدَّرين .

والضمير يرجع الى المَرثي ، وهو المنذر بن الجارود ، وهو من قصيدة أوردها المُبرِّدُ في كتاب «التعازي والمراثي» ص ٨٢ — وروى البيت :

جَـاورَ (قصـدار) وأكـنـافـهـا تسفي عليه الريحُ مُور الدَّرين
في جَـدَثٍ عـافٍ بمهـجورة نـاءٍ عن الـزُّوّار، والـعَائدين

ويظهر أن مُحقق كتاب المبرد (دكتور) كصاحبنا، لأنه شرح كلمة (الدَّارين) شرحاً على منهج (الدكاترة) الدَّارين: مكان من البحرين يُجْلَبُ إليه المسك من الهند..

٣٠٠ — ص ٢٦٥ —: وابتسار الرأي غَيْرُ التَّروية فيه.

سقطت كلمة (الرأي) من مطبوعة صاحبنا، وأتي بتفسير لكلمة (بَسَر) لا صلة له بالنَّص.

٣٠١ — ص ٢٦٦ —: فَرَّق المحقق بين كثير من الجُمَل المتَّصلة وترك بينها بياضاً، فبدت مضطربة — مما نكتفي بالإشارة إليه. وقد ملأ الصفحة بتعليقات يدرك القارىء قيمتها.

٣٠٢ — ص ٢٦٧: تكرر في هذه الصفحة اسم (جُوَيَّة) في نسب بني عَديٍّ بن فزارة. ولكنَّ صاحبنا صحفها (حوية) بالحاء المهملة. وزعم أنَّ ما في الأصل (تصحيف) على مَ اعتمد؟ قد يكون على مطبوعة «جمهرة أنساب العرب» وهي كثيرة التحريف، ولا سيَّما الطبعة الأولى — وقد أشرت الى ذلك في مقالٍ لي نُشِرَ في «مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق» بعد صدور تلك الطبعة بزمن يسير. ولو رجع المحقق إلى أقرب كتاب لديه من أمهات كتب اللغة، لوجد في رسم (جآى) جُؤَيَّة بن لوذان — من فزارة، وهو الوارد في كلام الهجري، والاسم يهمز ولا يهمز.

٣٠٣ — ص ٢٦٧ —: وصف أبا بكر الصِّديق — رضي الله عنه — بـ(التميمي) وهو تيميٌّ وليس تميمياً، ولعل هذا تطبيع.

٣٠٤ — ص ٢٦٩ —: وقع في الأصل: (فضلة بن هاشم) وهو خطأ اذ الصواب (نضلة) كما في كتاب «نسب قريش» لمصعب بن عبدالله الزبيري — ص ١٦ — وقد وقع تحريف هذا الاسم فيما تقدم — ص ٥٢ حيث ورد: فضلة بن عمرو الغفاري، وهو نضلة.

٣٠٤ — ص ٢٦٩ —: نضلة بن هاشم، والنُّفَيلُ بنُ عبد العزَّى، أخوان لأم، وعمرو بن ربيعة، أمهم...

وسقط من المطبوعة (عَمْرٌ بن ربيعة).

وأمُّ الثلاثة : أميمة بنت أدِّ بن علي بن سلامان بن سعد هُذَيم — من قضاعة ولم يحاول صاحبنا إكمال النقص في الحاشية بل اكتفى بالإشارة إليه .

٣٠٥ — ص ٢٦٩ : — وأخو الحارث بن عبد المطلب لأمِّه ، وهي السوائية الأسود بن حُذيفة — الخ .

وفي المطبوعة : (وأخو الحارث وعبد المطلب) .

٣٠٦ — ص ٢٦٩ : — خثعمة بن سعد .

هذا من تحريف الناسخ ، إذ في هامش الأصل (جعثمة — صح) ولم يلاحظ المحقق هذا .

٣٠٧ — ص ٢٧٠ — :

وشِبْتَ مشيب العَبْد في نُقْرة القَفَا
وشَيْبُ كِرَام النَّاس فَوْقَ المفارق

وفي المطبوعة : (في فُقْرة القفا) .

٣٠٨ — ص ٢٧٠ — : (ومن الرَّبيع خصْبه)

وفي المطبوعة : (ومع الرَّبيع خصْبه) .

٣٠٩ — ص ٢٧٢ — : يتحدَّث الهجريُّ عن صدقات علي بن أبي طالب — كرَّم الله وجهه — في يَنْبَع البلاد المعروفة شمال غرب المدينة ، فيذكر منها : (الاراك أجراها عبدالله بن الحسن) .

ولكنَّ صاحبنا — وهو يحاول تحديد هذه العين — يقول : (الأراك وادٍ قُرب مكة) ويحيل الى مرجعه العتيد . إنَّ الأراك في كلام الهجري عينٌ ماءٍ ، في بلاد ينبع البعيدة عن مكة ، أجراها عبدالله — لا عَبْد كما في المطبوعة — بن حسن ، فأيَّةُ صلةٍ بينها وبين وادي الأراك (نعمان) الواقع بجانب عرفة الجنوبي ؟

٣١٠ — ص ٢٧٣ — : هذه البُغيبغات ، وهي بالمعلاة ، معْلاة ينبع .

لا كما جاء في المطبوعة : (هزة البُغبغات وهي بالمعلات) .

٣١١ — ص ٢٧٣ — : مِعْلاة الصَّفراء بوادي يَلْيَل .
يَلْيَل — بفتح المثناتين التحتانيَّتين وإسكان اللام الأولى هو أعلى وادي بَدر ، جزع من وادي الصَّفراء ، وليس (بليل) أو كما قال المحقق : (وادي بليل) .

٣١٢ — ص ٢٧٤ — : وقال راجزٌ يَوْمَ الغُميصاء :

يا نسوتي معاً معاً لا تَفْزَعَنْ
وآجْررنَ أطراف الذُّيول واربعن
إن تُمنع اليومَ نساءٌ تُمنعن

ورد في الأصل وفي المطبوعة : (ان تمنع النوم) تَحريف من الناسخ ، تابعه عليه المحقق ، إذ لا محل للنوم هنا ، والرجز في يوم معروف وقد أورد ابن هشام في «السيرة» ج ٢ ص ٤٣٤ — الرجز وفيه (اليوم) مع اختلاف فيه .

٣١٣ — ص ٢٧٤ : في الحاشية عن الغميصاء : (يسكنه بنو خُزيمة بن عامر) وخزيمة هنا تصحيف جذيمة بالجيم والذال المعجمة ، وخبرهم معروف أورده ابن هشام في السيرة النبوية» ج ٢ ص ٤٢٨ طبعة الحلبي الثانية — بمصر سنة ١٣٧٥ هـ وغيره .

٣١٤ — ص ٢٧٥ — : المحقق ليس دقيقاً في نَقْل حواشي الأصل ، لضعفه في قراءة الكتابة القديمة ، ففي هذه الصفحة حاشية نصُّها : (قاوية : بارزة لا جبل فيها ولا شجر ، مثل البلوقة ، تلعة كبيرة بحرة . الجمم جمع جمة لقلة الجبل) ولكن صاحبنا زاد ونقص وحَرَّف مما لا داعي للإطالة بذكره .

٣١٥ — ص ٢٧٦ :

فَمَا تَرَى العَيْنُ إلاَّ وحيَ ماثلة
بَيْنَ العُرُوش كَخَطِّ الْهَاج بالقَلم

وفي الهامش : (الهاجي ، فخفف) .
وفي المطبوعة : (العاج) .

٣١٦ — ص ٢٧٦ : —

أوْ تُسْعديْنَ لِبَاك هاج عَوْلَتَهُ مَغْناك بَعْدَ طوال الدَّهْر والقِدَم

حُرِّفَت كلمة (لِبَاكٍ) في المطبوعة : (لَيالٍ)

٣١٧ — ص : ٢٧٧ : —

مِن كُلِّ ذِي حَوْمَلٍ غُرٌّ غَوارِبُهُ
دَاني الرِّوَاقِ حَثِيْثِ الوبلِ مُنْهَزِمِ

وفي المطبوعة : (غُوٌّ) و(واني) وأشار في الحاشية الى سقوط كلمة (ذي) من الأصل ، وهذا غير صحيح ، فهي فيه ، وكذا فعل — ص ٢٨١ حين قال : (في أ — ب (منها) ساقط كذا والكلمة موجودة في الأصل الذي يرمز إليه بحرف (أ) ومثله في ص ٢٨٤ في الحاشية[٧]

٣١٨ — ص ٢٧٧ : —

أبْدَى سواقيه تمري غَواديهُ
رِيْحٌ بشير الحَيَا لَيْسَت من العُقُمِ

كذا في الأصل (سواقية) ولكن في هامشه : (أحسِبُه : سواريه) فهذا تصحيح للكلمة لم يستطع المحقق أن يقرأه قراءة صحيحة ، فقال : (في هامش الأصل : رحبة سراريه) ؟!

٣١٩ — ص : ٢٧٧ — :

غَوْرٌ مخارِجُهُ ، نَجْدٌ مناقِعُهُ جَرَّ الحَيَا بَيْنَ دورانٍ فَذِي سَحَمِ
لا (مناقحه)

٣٢٠ — ص : ٢٧٧ — :

أوطَان قَتَّالةٍ هَامَ الفؤاد بِهَا بِفَاحِمٍ فَاتِنٍ منهْا ومُبتسمِ
ولا معنى لـ(بفاخم فاتر) إذ الشاعر يقصد شعرها الأسود

٣٢١ — ص ٢٧٨ — :

وذاك أيّام أثوابُ الصِّبَا جُدَدٌ بَعْدَ النشور ، وقَبْلَ الواضح الهَرمِ
وليس (أبواب الصبا)

٣٢٢ — ص : ٢٧٨ — :

وقَـدَّمَـتني بـإجـدالي بـنُـومُضَـرٍ لِفَـخْـرِ أيـامِهَـا والمِقْول الخَصِم

وجاء في المطبوعة : (بأحد اليّ)

ولكن في هامش الأصل : (أجدالي جمع جدل) غير أن نقطة الجيم ليست واضِحَةً .

٣٢٣ — ص ٢٧٩ : —

يَكْلا الرَّعايا وتحمي الدِّين صولَتُهُ أبـو الـمُغِيرة نُـورُ الحِلِّ والحَرَم

سقطت كلمة (الدِّين) فانكسر البيت .

٣٢٤ — ص ٢٧٩ : —

حَاطَ الرَّعايا وقَدْ ضَاعَت جوَانِبُها وكـابر الـذِّئبُ منهـا نَـاعق الغنم

ناعق — بالعين المهملة لا بالغين (ناغق) كما في المطبوعة .

٣٢٥ — ص ٢٧٩ — فسَّر المحقق كلمة (صهَاميم) بقوله : (الصيهم : الشديد) وأحال على «اللسان» مع أنَّ فوق الكلمة في الأصل (طغاة) فهذا تفسيرها .

٣٢٦ — ص ٢٨١ : —

كـادَتْ بِـمَـكَّة أنْ تَجتَثَّ ساكنها كَـادَتْ تُـفَـرِّقُ بَـيْـنَ الماء والعُوم

لا كما في المطبوعة : (تحتت) و(تفوق)

٣٢٧ — ص : ٢٨١ :

حتَّى إذا هَزَّكَ الأشْراف من مُضَرٍ أبـا الـمُـغيرة لـلـتَّـقْـدِيم والـقـحـم

في المطبوعة : (هزل) وصاحبنا تختلط عليه الكاف إذا كانت في آخر الكلمة باللام .

٣٢٨ — ص : ٢٨٢ — :

شَدَّ ابنُ عِيْسَى مَقَاديم الذِّمار لها فَهي البوازل ، وهو اللَّيثُ ذو النِّقَم

الزّاي في (البوازل) في الأصل تُشبه الذال .
وجاء في المطبوعة : (وهو الليث والنقم) .

٣٢٩ — ص : ٢٨٢ —

حتّى تناهُوا وراحت في مَجاولها عَنْ مَفْلِق البِيْض والخَطِّيَّة الحطم
وفي المطبوعة : (عن مُغلق البَيْض)

٣٣٠ — ص ٢٨٣ :

حتّى مَلاَ جَفْنة الآنام مِنْ رَغَدٍ فَيْضَاتُ يُمنِك للأنْعَام والنَّسَم

في المطبوعة (جفنة الانعام) وزعم أنَّ ما في الأصل تحريف ، لأنه رآى الناسخ وضع المدّ ألفاً (الآانام) ومثل هذا يرد في بعض المخطوطات القديمة .

٣٣١ — ص : ٢٨٤ — : في الحاشية — : (مُليل بن حمزة) هو مليل بن ضَمْرَة ، باتفاق علماء النسب على ضمرة .

٣٣٣ — ص : ٢٨٤ — حاشية على الدُّبيس الرِّياحيّ الذي شفع فيه الشاعر السُّلمي فأُطلق من الحَبْس قال المحقق : (نسبة الى رياح بن يربوع) وساق النسب إلى تميم ، ولكن أية صلة بين شاعر سلمي وبين رياحي تميمي ، الاجتهاد في مثل هذا الموضع لا يُفيد ، بل لا بُدَّ مِنَ النَّصِّ على أنه من هاؤلاء . فقد يقال : وَلِمَ لا يكونُ من بني رياح الذين هم بطن من بني هلال بن عامر — الذين ذكرهم القلقشندي في «نهاية الأرب» وذكرهم غيره ، وهاؤلاء أقرب إلى بني سُلَيم نسباً وداراً قبل انتقالهم الى المغرب ؟!

٣٣٤ — ص : ٢٨٤ — فَسَّر كلمة (قاشم) في قول الشاعر :

تَبَاهى بأفواه النبات كأنَّهُ زَرابيٌّ من نشواةِ رَطبٍ وقاشم

قائلاً : (القشم البُسْر الأبيض ، يؤكل قبل أن يُدْرِكَ وهو حُلْو) . ولا صلة للبسُر بوصف النبات ، والقاشم هنا يُقْصَد به ما يقابل الرَّطْبَ وهو اليابس وفي كتب اللغة : القشيم يَبِيس البقل ، يقال : ما أصابت الإبل منه مَقْشماً ، أي لَمْ تُصِبْ منه مرعى .
أما كلمة (أفواه) فأراها (أفواف) وهي من صفات زهر النَّبات .

٣٣٥ — ص ٢٨٥ — :

وَقَفْتُ عليهنَّ الوصيلة بَعْدَما عَفَاهُنَّ تسهاجُ الرياح النَّواسِمِ

لا كما في المطبوعة (تشهاج) .

٣٣٦ — ص ٢٨٥ : —

وكُلُّ نَشَاصِيٍّ الذُّرَى باهلُ الكُلى أغَرُّ السَّواقي دائم الوَبل ساجم

حُرِّفَت كلمة (الذُّرى) فجُعلت (الرُّبي)

٣٣٧ — ص ٢٨٦ :

وتَيَّمنَ قلبي ذاك أيَّامَ لا تَرَى قِدىً لِمُدِلَّات بِحُسن المعاصم

في الأصل وفي المطبوعة : (لمذلات) بإعجام الذال ، وأراه تَصحيفاً . أما تفسير المحقق لكلمة (قدى) فأيَّةُ صِلَة لطيب رائحة الطبيخ بتأثير المُدلاَّت بحسنهنَّ على قلب الشاعر؟! انه يقصد : لا يُبَارين في حُسنهنَّ وسيأتي ص ٢٨٩ : (قادوك من الْقَدَى وهو المثل) .

٣٣٨ — ص : ٢٨٦ — :

فتاها سَماعاً بالسَّمَاح ، وهَيْبةٍ وطالِبَ جُرْمٍ ، أوْ مُجيراً لجَارِمِ

في المطبوعة (بالسماع) خطأ .

٣٣٩ — ص : ٢٨٧ — :

جَفُوْلاً إذَا لَمْ تُعْطِ حَيَّشتُ شَغْبَهَا بِتَعنيف مُلْقىً في الحُشاشات خَازم

في وصف ناقة .

وفي المطبوعة : (خيشتُ شَعْبِها) خطأ .

٣٤٠ — ص : ٢٨٧ — :

يَجُوبُونَ غِيطَانَ الْفَيَافي كَأَنَّهُمْ رُدَيْنِيَّةٌ زُرْقُ الظُّبا واللَّهاذِمِ

وليس كما في المطبوعة : (زرق الظِّبا واللهازم)

٣٤١ — ص : ٢٨٧ — فَسَّرَ المحقق : (غُرَيرية) وهي صفة من صفات الابل منسوبة الى غُرَير ، فحل مشهور .

فقال في تفسيرها : (الغُرَير : الكفيل) وأحال الى «اللسان»

٣٤٢ — ص : ٢٨٨ — :

وَمُستَلفِجٍ جَاح الزَّمانُ تِلادَهُ بِجَرَّاتِ مَحْلٍ ، والْحُروبِ الصَّيالِم

وفي المطبوعة : (بَحرَّان) تصحيف .

٣٤٣ — ص : ٢٨٨ — :

وكُنْتُ كَغَيْث بالسُّعُود انسِكابُهُ مَرَتْهُ الصَّبَا مُسْتأنفاً غَيْرَ ناجم

وردت كلمة (بالسعود) في المطبوعة (بالسعوب) محرفة .

أما كلمة (ناجم) فقد تعمَّد المحقق تغييرها فجعلها (واجم) اعتماداً على المخطوطة الحديثة التي اعتبرها أصلاً ، وأهمل ما في المخطوطة القديمة التي هي أصل المخطوطة الحديثة عن عَمْدٍ .

٣٤٤ — ص : ٢٨٨ — :

وأَحْيَيا بِأَجْوادٍ بِلاداً مُحيلَةً وسَحَّ الحيا من شابث الخال سَاجِم

في المطبوعة : (من شلبث) وقد يكون الصواب : من شابك .

٣٤٥ — ص : ٢٨٩ — :

فَمَا تَلْحَقُ الفيضاتُ مِنْ مَجْد حاتم بِذاكَ ، ولا زِفُّ القَوا كالْقَوادم

وفي المطبوعة : (رَفُّ القوا) وقال المحقق : (في[1] ولازق) تصحيف لأنه لم يحسن قراءة الأصل .

٣٤٦ — ص : ٢٨٩ — :

وهَلْ كانَ تَحمي خَيْلُهُ حَوزةَ الحِمَى وَهَلْ كانَ جَشَّامَ الْحُرُوبِ الجَواشم

صحف المحقق (حوزة) فجعلها (جوزة) بالجيم و(تحمي) : (يحمي) ونسب إلى

الأصل ما ليس فيه ، وفسَّر ما صَحَّفَ تفسيراً مضحكاً : (جوزة : السقية الواحدة — انظر اللسان — جوز) ! !

٣٤٧ — ص : ٢٩٠ — :

تَلُوحانِ في تَشْرِيْنَ يَبْني صُوَاهُما جُبَيْرٌ، وهُوْ باني العُلاَ غَيْرُ هادم

لم تعجبْ صاحبنا كلمة (وهو) فغيَّرها إلى (فهو) وزعم أن الأولى تحريف ، لماذا ؟؟ المعني في بطن المحقق ،

٣٤٨ — ص : ٢٩١ — :

يُلقَّى عَكوب الوافدين كأنَّها حِيَاضُ القُرى ضُبْحُ السَّواري الرَّواهم

وفي المطبوعة : (تَلَقِّي) و(صُبْح) .

٣٤٩ — ص : ٢٩١ — :

خَصِيْبُ المقاري واسع الفَضْل يَرتكي عَلَى مِثْل جَمَّات البُحُور الخَضَارم

وفي المطبوعة : (حَمَّات) .

٣٥٠ — ص : ٢٩١ — :

تُـآلي يَـمِيْناً لا تُعَرُّ جِفَانُهُ لِوَفْدٍ، ولا يُلفَيْنَ حِلَّ الْمَحَارِم

حُرِّفَتْ كلماتُ (تُعَرُّ) و(يُلفَيْن) و(حِلَّ) فأَصْبَحَت في المطبوعة : (تعز) و(يلفون) و(حل) حُرِّفَتْ بعضها عن قَصْدٍ ، مع تعَمُّد مخالفة الأصل ، كما في الحاشية[٤] .

٣٥١ — ص : ٢٩١ — : لم يستطع أخونا قراءة إحدى حواشي الأصل فصحفها : (لم ترحل قط ، ناتئة الأسنمة) — الإبل العلاكم — فقرأها وكتبها (نابتة الأسنمة)

٣٥٢ — ص ٢٩١ — :

فهذا ونارُ الحرب تضحي فوارساً كِراما نَفَتْ عُرَّامُهم كل عارم

في المطبوعة (نوارسا) و(غرامهم) .

٣٥٣ — ص : ٢٩٣ — :

رُوَيْبةُ تَمْدُد نَاصِريها بِعَارضٍ مِنَ الْمَوْتِ عَرَّاص المُخيلة واشم

وفي المطبوعة : (يَمْدُدُ)

٣٥٤ — ص : ٢٩٣ — :

حَوَوْا للنَّبيِّ الطَّالبيِّ صُهُورَةً وهُم خُوْلَة العَبَّاس من آل هاشم

وفي المطبوعة : (حووا اللنبي) و(صُهورَه)

أما كلمة (الطالبي) فكذا وردت في الأصل ، فإن لم تكنْ من أغلاط الشعراء وما أكثر أغلاطهم ! — فيمكن تخريجها على طريقة النسبة إلى العَمِّ ، عند العرب .

٣٥٥ — ص : ٢٩٣ — :

تَطَاطا الجبَالُ الشامخاتُ إذَا غَدَوا مُشيبيْن رايَات الزُّحُوفِ اللَّهامِم

وفي المطبوعة : (مُشبين) .

٣٥٦ — ص : ٢٩٣ — :

تَدُورُ مَرَاسهم وأرحَاءُ عِزّهم مِنَ أبناء شَدَّادٍ ببيضٍ مَقَاوم

غيَّر صاحبنا الأصل زاعماً أنه مُحرَّف إلى : (وأبناء من شدَّاد بيض مقاوم) فهدم المبني وغيَّر المعَنى ، ففكِّرْ وتعجَّب .

٣٥٧ — ص : ٢٩٣ — :

فَهُم كنُجُومِ اللَّيْل تَخدي ثوافياً تُضِيءُ تواليها كَضَوءِ القوادم

جعلها صاحبنا : (تحدى شوافيا) لأنه لا يدرك معني كلمة الأصل ، وأنها (توابعا) من (ثني) .

٣٥٨ — ص : ٢٩٤ — :

تقاسُون ساميَّ الحروب وغَوْرَهَا وأخلال نَجْدٍ ذي الفجاج الأهاتم

كذا وردت (سامي) في الأصل وقد تكون (شامي) إذ الناسخ ليس دقيقاً في كل ما يكتب ومثل هذا يقال في كلمة : (أرداك) في البيت (١٠١) فلعلها (راداك) .

٣٥٩ — ص : ٢٩٤ — :

وأنت الشَّجا لِلْحَرب ، والنَّابُ ذُو الشَّبا   وكَبْشُ نِطَاح المَشْهَد المُتفاقِم

وفي المطبوعة : (والنار ذو الشبا) .

٣٦٠ — ص : ٢٩٤ — :

فَصَاروا كَهَرْمٍ شَدَّتِ البُزْلُ وَطِئَهُ   كذلك مَنْ ذَيَّخْتَهُ بالقَواصِم

وفي المطبوعة : (وطْبَه) لأن المحقق لم يَرَ الْهَرم بَعْدَ أن تَطَأَهُ الإبل ، وقد لا يعرف الهَرْم .

٣٦١ — ص : ٢٩٥ — :

وأنتَ إذا مِرْداةُ قَوْمٍ ثَقِيلَةٌ   هَوَتْ لَكَ مِنْ مَهْواةِ رِيس مُراجِم
نَبَتْ عَنْكَ صُغراً عن رِدَاكَ وفَضَّها   صَفَاك الذي أعْيا على كُلِّ صَادِمِ

دخل هذين البيتين من تحريف بعض كلماتهما ما أعجمَهُما مثل : (بقيلة) و(صفاك الذي على أعيا) .

٣٦٢ — ص : ٢٩٥ — :

وأَقْوِينَ بِالخَمَّان من جانب الحِمَى   فَعَرِّج عَلَيهُنَّ القَلُوص التي تَخْدِي

في المطبوعة (وأقون) و(القلوصي) .

وفسَّر المحقق الحِمَى هُنا بأنه حِمَى ضريَّة ، وأحال الى ما كتب في ص ٦٥ — مع أنه لم يذكر هناك سوى ضَرِيَّة وأنَّها قرية مع اسم من نُسبت إليه . وفاتَهُ أنَّ الأحْمَاء كثيرة ، منها غير حمى ضَرِيَّة : حمى النَّقيع ، وحِمَى فَيْد ، وحِمَى الرَّبذة ، والشاعر من بني سُلَيم ، ولهم في حِمَى الرَّبذة مياهٌ ومنازل وبلادُهم مُتَّصلة به من الناحية الغربية ، بخلاف حِمَى ضَرِيَّة ، وكذا حمى النَّقيع ، وفيه قُبر شاعرهم صَخْرٌ بقرب جبل عسيب ؛ وفيه قال :

أجَـارتـنـا إنَّ الـخُـطُوبَ تَـنُـوب   وإنِّي مُـقـيـمٌ مـا أقـامَ عَـسِيْبُ
أجَارتَـنـا إنَّـا غَـرِيـبـان هـا هُـنـا   وكُـلٌّ غَـرِيـب لـلـغـريـب نَـسِيبُ

هذا استطرادٌ قُصِدَ منه دفع سأم القارىء من جفاف البحث .

٣٦٣ — ص : ٢٩٥ — : إذا لم يستطع صاحبنا قراءة الأصل غيَّره ، فقول الشاعر :

وسائل رُسُوم الدَّار عَن ذات خُلَّةٍ   وأَهْد من آشياع التَّحيَّات ما تُهدي

غيَّر آخره : (وهد من أشياع) الخ وعلَّق عليه قائلاً : (في أ — ب : واهد . الهمزة زائدة لأنها همزة وَصْل يجب حذفها ، لأنَّ فعلها ثلاثي) ! ! أفادك الله — ظنَّ الفعل من الهداية لا من الاهداء ، ولم يدرك أن فتح نون (من) ووصل همزة «أشياع» تزيل ما تخيله من خلل في وزن البيت الذي حاول تقويمه بإفساد معناه وتغييره عن أصله .

٣٦٤ — ص : ٢٩٦ — :

فَـفَضْـلَـة لَـمْ تَـتْـرُك عَـوانـاً وسِيـمـةً
ولا كـاعـبـاً إلاَّ مَـحَـتَ مـا لَـهَـا عِنْدي

حَرَّف أخونا من هذا البيت (تترك) و(مَحَتْ) فجعلها (تشرك) و(بحت) وفَسَّر الأخيرة تفسيراً قد يَطرد السأم وإن حَرَّكَ الأسَى والغمّ — قال : (بَاحَت الرجلُ الرجل — ضم اللام الأولى وفتح الثانية — كاشفة ، البحت الخالص الذي لا يخالطه شيء — أنظر «اللسان» بحت أفادك الله ! !

٣٦٥ — ص : ٢٩٧ — :

وبالبَوْص مِنْها والوِشَاحَيْنِ والحَشَا   وأدْهـم مـيَّـال ذوائـبـه جَـعْـدِ

ورد في المطبوعة : (وبالبوصي .. وبالحشا) فاختل الوزن وفي هامش الأصل — فوق كلمة البوص — : (أهل السَّهل يَضُمُّونها) ولم يثبت هذا صاحبنا ؛ لأنه لم يدرك المقصود منه ، وأنه ضَمَّ باء البوص .

٣٦٦ — ص : ٢٩٨ — :

فأنْكَرت طَعْم النَّوم بَعْدَ حَلاوةٍ   وَطَعْمَ فُرات الماء ، ذي المنِّ والبَرْد

ومن تحريف المطبوعة : (فرات الماذني المن) !

٣٦٧ — ص : ٢٩٨ — :

وقَبْلَ دَواعي ذات حَرْبٍ بَغِيضةٍ   تَعَاطون مِنها شَرَّ غاياتها النَّكد

حَرَّف (دواعي) إلى (دواي) .

٣٦٨ — ص : ٢٩٩ — :

بِرَجْراجَتَي حَرْب كِلاَ كوكبيهما   مُجَرَّبُ وَقْعَات الصَّواعق والهَدِّ

حَرَّف صاحبنا (برجراجتي) فأوردها بالحاء المهملة ، وفَسَّرها في الحاشية : (رحراح : واسع . رحرحت عنه : إذا سترت دونه) ! !

٣٦٩ — ص : ٣٠٠ — : فَسَّر المحقق : (حرصاً على الْهَدِّ) الذي قصد به الشاعر الهَدْم لأواصر الصلة فقال : (الهد : الرجل ظلم وجار أنظر «اللسان» لهدم ! !

٣٧٠ — ص : ٣٠٠ — :

ولا تَرْفُضوا قولي فإنَّ مواعظي   بِحَمدٍ ، ولا تُشْرى بعَرَضٍ ولا نَقْد

العَرْضُ — لُغةً — كُلُّ شيءٍ سوى النقدين . وليس (بعوض) كما في المطبوعة .

٣٧١ — ص : ٣٠٠ — :

وَهَلْ فِيكُمُ مِثْلُ الرَّشيدين عائِذٌ   وهَلْ من رشيد في مقامها يُجْدي ؟

حَرَّفَ المحقِّق البيت هكذا : (مثل الرشيد بن عايد) مع أن الشرح الذي نقله في الحاشية عن هامش الأصل يُوَضِّحُ أنَّ المقصود رجُلين ، سمَّاهُما .

٣٧٢ — ص : ٣٠١ — : قال المحقق عن عسكر بن عقبة المرداسي : (نسبة الى مرداس من بني جعدة من بني سبيع بن عوف بن سليم من العدنانية ، وهو جَدٌّ بنو (؟) مرداس ، بطن من بني عوف) وأحال الى «نهاية الأدب» يقصد (الأرب) وإلى

«معجم قبائل العرب» ولكن الذي في «نهاية الأرب» : بنومرداس بطن من بني عوف من سُلَيم من العدنانية — ثم ذكر بلادهم — ، وكتاب «معجم قبائل العرب» لا يعتمد عليه لكثرة ما فيه من الخلط والغلط .

أما مرداس الذي نُسِبَ إليه الشاعر فقد ذكره النسَّابون المتقدمون . وجاء في كتاب الجمع بين كتابي الأنساب لابن الأثير وللرشاطي للبُلبيسي ما نصُّهُ : المرداسي — من بني سُلَيم : مرداس بن أبي عامر بن جارية بن عبد بن قيس بن عبس بن رفاعة بن بُهثة بن سُليم ، شريك حرّب بن أُميَّة — إلى أن قال : ومن ولده شدَّاد بن بدر بن مرداس بشير النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الأسد (؟) ذكره أبو علي الهجريُّ . الى أن قال : وعسكر بن فراس بن عقبة كان بعد المتين ، ذكره الهجريّ من ولده أبو مروان عبد الملك بن حبيب — انتهى المقصود من الكتاب ، وهو مخطوط — وما نقله عن الهجري موجود في كتاب الرشاطي الذي لا يزال مخطوطاً — وكلام الهجري عن شدَّاد بن بدر بن مرداس ورد في المطبوعة — ص ٣١٣ — وبدر فيها : يزيد ، وهو الصواب ، لا كما في مخطوطة كتاب البلبيسي .

٣٧٣ — ص : ٣٠١ — : نقل عن «المراصد» في تعريف وَهبين : (جبلٌ من جبال الدهناء» والدَّهناء لا جبال فيها ، وإنَّما هُوَ حَبْلٌ من حبال الرَّمْل ، والدهناء ذات حبال كثيرة ، لا جبال .

٣٧٤ — ص : ٣٠١ — :

إلاَّ تُبن بَعْدَ أحوال مُجَرَّمة ... فَإنَّها بأمار الدَّار تُنْتَسَب

وفي المطبوعة : (ألا تُبْنَ) و(مُحَرَّمة) و(باثار) وكلها أخطاء .

٣٧٥ — ص : ٣٠١ — :

جَرَّتْ بُطُونُ سواهيها بمُلْتَطَم ... حَيثُ استُحنَّ الحمام الجَوْنُ والرَّبَبُ

في المطبوعة : (الريب) في الأصل وفي التعليق خطأ — اذ هو كالرَّباب — كما في هامش الأصل .

٣٧٦ ــ ص ٣٠١ : ــ

يَسْقِي الأماعِزَ ما آلي تَقَبُّلُهُ كَأَنَّهُ بَعْدَ هُدْءٍ زَامِرٌ طَرِبُ

وفي المطبوعة سقطت (ما) من (ماآلى) فاختلَّ معني البيت ووزنُهُ .

٣٧٧ ــ ص : ٣٠٢ ــ :

يَسْمُو بِمُطَّرِدٍ لَوْلا الزِّمام بِهِ لَمْ يَثْنِ هادِيَهُ المَرْبُوعُ والعَلَبُ

ومن تصحيفات المطبوعة وتحريفها في هذا البيت : (لَمْ يَئِن) و(الربوع) و(العطب) .

٣٧٨ ــ ص : ٣٠٢ ــ : شَرَحَ المحقق ما جاء في هامش الأصل : (لِتدا لي : مِنْ وَدَت ، تَدًا) فأضاف : (بفتح الواو وتسكين التاء ، ثم بفتح التاء والدال) كذا قال لأنه لم يفهم ما في الأصل وقد كتب الكلمتين في البيت هكذا (التدالي) ظنها كلمة واحدة .

٣٧٩ ــ ص : ٣٠٣ : ــ

كَأَنَّهُنَّ بِمِشوار بِهَجن به بَيْضَاتُ هِقْلٍ وقاهُنَّ النَّدَى الهَبَبُ

في المطبوعة : (وقناهُنَّ) أما كلمة (بهجن) فكذا وردت في الأصل ، وقد تكون تصحيف (نهجَن) .

٣٨٠ ــ ص : ٣٠٣ ــ :

هُنَّ اللَّواتي أَمَنَّ الصَّدْعَ في كَبِدي وآنا ابنُ جَعْدَةَ إذْ ما يُعْرَفُ النَّسَبُ

غير المحقق كلمة (وآنا) وزعم أنها تحريف فحذف الواو منها ولم يدرك جواز تسهيل الهمز هنا ليستقيم الوزن ، وهذا جائز ضرورة شعرية . وقد وضع فوق الهمزة كاتب الأصل علامة الصلة (آ) وفي المطبوعة (أمَّن) بتشديد الميم خطأ .

٣٨١ ــ ص : ٣٠٢ ــ : لم يدرك صاحبنا جملة : (فاعْتَرَى إليه) فَصَحَّفها (فاعترى) وشرح تصحيفه قائلاً : (عروته وعررته وأعريته واعتررته ، قال الجوهري :

عروته أعروه ، إذا ألممت به وأثبته (؟) طالباً فهو المعرور) ! !

٣٨٢ — ص : ٣٠٣ — :

تَحْتَطُّهُنَّ من الأحْرار مَأْمَقَتِي وَلِي بهنَّ وما يخشيـنني أرَبُ

في المطبوعة : (ما مقتي) .

٣٨٣ — ص : ٣٠٣ — :

عَهْدِي بأسْماء كالشَّمْس التي رَحَلَتْ عَنْهَا الغَمَامَةُ ما في لَوْنها طَرَبُ

وليس كما في المطبوعة : (الغماية) .

٣٨٤ — ص : ٣٠٤ — :

ومُقْلَتا عَوْهج لَيْسَ الغَزَالُ لَهَا بِمُصْحِبٍ ، فَهْي تَأْتِيه وتَسْتَرِبُ

في المطبوعة : (غَوْهج) وفي الهامش المنقول عن الأصل : (

في المطبوعة : (غَوْهج) وفي الهامش المنقول عن الأصل : (من سريتُ في الرتع)

والصواب : (سربت) بالباء الموحدة .

٣٨٥ — ص : ٣٠٤ :

فالنضْو أعْوَج ، والبُطنَانُ مُخْصِبَةٌ دامِي الأظَلَّين ، عَارٍ صُلْبُهُ نَقِبُ

لا (البطيان) .

٣٨٦ — ص : ٣٠٤ : —

أبْدَى مَحالَ قَرَاهُ ، وهُو ذو نُحُضٍ تَقَاذُفٌ آثَرَ الأظعانِ أو خَبَبُ

لا (الأظغان) .

٣٨٧ — ص : ٣٠٤ — :

شِيْعَانِ لَيسَ الكَرَى مُثْنَونياً بها إذَا التَّامَ آقتواه الرُّوبُ والعَصَبُ

وفي المطبوعة : (مثنوبنا) و(اقتواه) خطأ .

٣٨٨ — ص : ٣٠٤ — :

الحاذِقَاتُ بَنيٌّ وهُوَ مُحْتَذِفٌ حَتَّى بأَوَّل حِنْوِيْ رحله صَبَبُ

لا (بَنِي) كما في المطبوعة .

٣٨٩ — ص : ٣٠٥ — :

شُمٌّ الحَوارك لا يُوهَنَّ من عَجَلٍ والجَازِماتُ إِذَا ما تَخْفقُ القُرُبُ

في المطبوعة (تحقق) ، ولم يفهم تفسير الكلمة الواردة في هامش الأصل ، فحرَّفها ، وهي : (تفزع من خَفَق قِرابُ السيف ، فتنفر) . فجعلها (خفن) و(فتفر) .

٣٩٠ — ص : ٣٠٥ — :

والـهَـاجِعَاتُ على أَلْح مُعَرَّقَةٍ قَبْلَ المطَايا ومِنْهَا الْجُنَّحُ الرُّقُبُ

لم يفهم كلمة (ألح) فصحَّفها (ألج) .

٣٩١ — ص : ٣٠٥ — :

والقَـائلاتُ ومَا أثوِيْنَ من عَرَقٍ بِمهْمهٍ حَيْثُ قال القَومُ : نِيتَشِبُ

وحاشية الأصل فسَّرت (نيتشب) وأنه من الإياب ، ولكنَّ صاحبنا لم يفهم هذا فصحف الكلمة (يَنْتَشِب) كما حرف الحاشية (لم يعرقن وإنما يعرق البعير إذا تعب) فجعلها (لم يعرفن وإنما يعرف البعير) زادك الله معرفةً ! !

٣٩٢ — ص : ٣٠٥ —

هَلاَّ أَبَنْتَ لنا حُيِّيتَ من طَلَلٍ أَقْنَى المعَارِف مِنْهُ باللِّوى الحِقَبُ

حرَّفَ كلمة (المعارف) إلى (المعازق) وقال : (في أ — المعارق جمع معزق) في كلام طويل مبني على فَهْمٍ خاطيء .

٣٩٣ — ص : ٣٠٦ — :

قومي بَنُو الحارث اللاَّئي هُمُ مَنَعُوا من حِمْيَر المكس ما تُمكس به العَرَبُ

في المطبوعة : (ما تمكث) خطأ

٣٩٤ — ص : ٣٠٦ — :

وَإِنْ يَقُلْ مَعْشَرٌ كُنَّا أَمامَكُمُ   عَلَى حُنَيْنٍ وأوطَاسٍ فَقَدْ كَذَبُوا

قال المحقق : بل نَقَل : (حُنَين : سُمِّي بحنين بن نائبة) والصواب : قانية وهو وادي قريب من مكة إلى جانب ذي المجاز) . وهو وادٍ يعرف الآن باسم (الشرائع) وأعلاه (يدعان) يبدل العامَّة الياء جيماً فيقولون (جدعان) وليس بجانب ذي المجاز — الواقع بقرب عرفات ، ولكن سيله يفضي إليه ، والمسافة بينهما قصيرة . هذا استطراد لدفع السأم .

٣٩٥ — ص : ٣٠٧ — :

الضَّاربون بني ذُبْيان قاطِبَةً   ضَرْبَ المُصحِّين جُرباً ذَنْبها الجَرَبُ

لا كما في المطبوعة : (حربا ذبنها) .

٣٩٦ — ص : ٣٠٧ : —

والتَّاركُونَ كِلاباً لابَراح بِها   مُكدَّماً ، وبَني الثَّكلى بِهِ جُعَبُ

وفي المطبوعة (كلاماً) وحاشية الأصل محرفة ، فهي : (من جَعَّبْت إذا قطعت ، ورجل جعب : مصروع مقتول .

٣٩٧ — ٣٠٧ — وفي الأصل حاشية على البيت الأول في هذه الصفحة :

جَدِّي نُبَيْشَةُ إذْ يَشْجَى الفُؤادُ به   ومالِكٌ وذَوو صخرٍ وما أشبُوا

وحاشية الأصل هي : (نُبَيْشَةُ من بني رَواحة . أشَبَ : وشَجَتْ أرحامه فيه ، وما ولدوا) قرأها — ولم ينسبها إلى الأصل : (أشبوا : شجت أرماحهم فيه وما ولدوا) ! !

وقال عن صخر : (صخر بن عصيبة بن خفاف أخو الخنساء الشاعر — أنظر «جمهرة أنساب العرب» — ٢٤٩) ولكنَّ هذا الخطأ الشنيع في نسب صخر الشاعر ، لم يَرِد في الكتاب الذي نسبه إليه ، ونَصُّ ما فيه — ص ٢٤٩ — الطبعة الأولى — (ومن بني عُصَيَّة بن خُفاف : الخنساء الشاعرةُ ، واخواها صَخْرٌ ومعاوية ، ابنا عَمرو بن الحارث بن الشَّريد — واسمه عمرو — بن يَقظَة بن عُصَيَّة) فبين صَخْرٍ وعُصَيَّة أربعة آباء .

ومالك ذو التاج هو ابن خالد بن صخر بن الشريد — لا كما قال صاحبنا : مالك ذو التاج بن عمرو بن الحارث ، فجعله أخاً لصخر .

٣٩٨ — ص : ٣٠٨ — :

وحتّى تَقُولي مَاتَ أو قَذَفَتْ بِهِ نَوًى عَن نَوانا أوله مرَّةً شَزْرُ

وليس (نوى من نوانا) كما في المطبوعة . وبه يتغير المعنى .

٣٩٩ — ص : ٣٠٨ — : المحقق لا يعتمد على الأصل ، فيعمد إلى تغييره عندما يراه لا يتَّفق مع ما في الكتب التي تحت يده ، ولو كان ما فيها مُحرَّفاً ومُصَحَّفاً ، ومن أمثلة ذلك قول الهجري : (من بني يحيا ثم من بني مرداس ، ثم من بني جارية ثم من بني الحارث بن بُهثة .

لا يعجب صاحبنا اسم (جارية) فيغيره الى (حارثة) معتمداً على ما جاء في كتاب «جمهرة أنساب العرب» ص ٢٥١ — في طبعته الأولى الكثيرة الأخطاء وكرر هذا الخطأ في حاشية ص ٣١٣ .

إن اسم (جارية) هو الصحيح ، كما ورد في مخطوطة «مختصر جمهرة النسب» لابن الكلبي — ص ١٣ — نسخة مكتبة راغب باشا في اصطنبول ، وكما ورد في مخطوطة «المقتضب» لياقوت الحموي بخطه — ٤٦ — مخطوطة دار الكتب المصرية . ويؤيِّدُ صِحَّة ما في المخطوطتين ما جاء في كتاب «الإكمال» لابن ماكولا — ج ٢ ص ١ — ٣ حرف الجيم — باب جارية — وذكر أسماء كثيرة إلى أن قال : (وفي بني سُلَيْم : جارية بن عبد بن عَبْس بن رفاعة بن الحارث بن بُهثَة بن سُلَيم) .

٤٠٠ — ص : ٣٠٨ — :

تَأبَّدَ مِنْ جُمْلٍ مَعَارِفُ واسطٍ فَأطلالُها من قُنَّةٍ فشِعابُهَا

لا (قُنَّة) كما في المطبوعة وحاشيتها . أما قول المحقق : (والمقصود هنا واسط الحجاز) فليس في كلام الشاعر ما يُؤيِّدُهُ ، وواسط الحجاز وادٍ بين بَدْرٍ ويَنْبُع ، بعيد

عن منازل بني سُلَيم ، ويفهم من الأسماء التي ذكرها الشاعر في هذه القصيدة ، وما أكثرها — أنه موضع في بلاد بني سُلَيم ، في سفوح حرَّتهم الشرقية .

٤٠١ — ص : ٣٠٨ — :

فَبَطنُ سَواسٍ فالخِيامُ فَمُثَنِي لِواءٍ ، فَذَاتِ العَصْلِ قَفْرٌ يَبَابُها

لا كما في المطبوعة : (فمثي لو أفذات) وعلق المحقق على البيت : (هكذا ورد البيت ، وإن الشطر الثاني ناقص) والبيتُ ورد صحيحاً ، ولا نقص فيه . أما تفسيره لذات الخيام فخطأ فأين الجزيرة التي قصد من بلاد بني سُليم ؟!

٤٠٢ — ص : ٣٠٨ — :

فَرَوْضَةُ عِرَّامٍ ، فَهَضْمَا نُبايعٍ فَبَطنُ رِيامٍ سَهْلُهَا وظِنابُها

لا (عَوَّام) كما في المطبوعة وريام — بالراء المهملة لا بالزاي (زيام)

٤٠٣ — ص : ٣٠٩ — :

فَسِيراتُ أعْلَى مَوتفا فَجُرْعُها إلى الرحل فالحرَّات خالٍ جنَابُها

كذا ورد البيت في الأصل .

أمَّا في المطبوعة فهكذا :

فَسِيْرات فسيرات أعلى موقفا فجرعا الى الرخل فالحراء خالٍ جَنابُها

وقال المحقق في الحاشية : (حرا : موضع في بادية كلب) حَرَّف الاسم ، ثم فَسَّر تحريفه تفسيراً أبعد ما يكون عن الصواب ، وأين بادية كلب من بلاد بني سُلَيْم ؟!

٤٠٤ — ص : ٣٠٩ — :

وقَدْ غَنِيَتْ جُمْلٌ بِهِ وكأنَّها غَمَامَةُ مُزنٍ قَدْ تَنشَّا سَحَابُها

لا (تفشا) كما في المطبوعة .

٤٠٥ — ص : ٣٠٩ — :

إذا استَيْقظت بَعْدَ الرُّقاد حَسِبْتُها مَواهِبَ يَجْري في صُفيٍّ حَبابُها

حرّف (صُفيٌ) فجعلها (ضَفيٌ)

٤٠٦ ــ ص : ٣٠٩ ــ :

حَمَتْهَا زَهالِيْقٌ سَوام تَمَنَّعَتْ غَوَارِبُها حَتَّى استَظَلَّت عِذَابُها

لا (تَمَتَّعَت) كما في المطبوعة .

٤٠٧ ــ ص : ٣٠٩ ــ :

فَإنْ تَطَّلِبْ أظْعَان جُمْلٍ فَإنَّها ظَعَائِنُ نَجَّاعٍ مُعَنٌ طِلاَبُها

وفي المطبوعة : (مُعَفٌ) .

٤٠٨ ــ ص : ٣٠٩ ــ :

غَدَتْ بُكراً تُحْدى ويَمَّمَتِ الحِمَى حِمَى الْهَضبِ تَعْلُو البِيْدَ غُبراً حِدَابُها

وفي المطبوعة : (تعلوا البيد غبرا دأبها) ؟

أما شرح صاحبنا لكلمةً حمى الهَضْب ، فأبعد ما يكون عن الصواب ، ولا داعي للإطالة بذكره .

وأرى الشاعر أراد حمى الرَّبذة ، فهو من منازل بني سُلَيم وغيرهم ، وفيه هَضْبٌ .

٤٠٩ ــ ص : ٣١٠ ــ :

نَبِيْلٌ كبُنيَان اليَهوديٍّ مَدَّهُ عَلَى شُرُفاتٍ لَمْ تَهَدَّم رِجابُها

لا (رحابها) كما في المطبوعة : والرِّجاب ــ بالجيم جمع رُجَبٍ ، الواحدة رُجْبَة ، وهي بناء حجارة تُرْجَبُ بِهَا النَّخلة .

٤١٠ ــ ص : ٣١٠ ــ :

تَراهُ وصِرْعاً مِسْحِها يَحفِلاَنِهِ كَغَلْبَاء مِنْ نَخْلٍ مَراوٍ رِطَابُهَا

وفي المطبوعة : (بحفلانه) و(مواه) .

٤١١ — ص : ٣١٠ — :

دَلُوح مِنَ الْعِضْدَانِ لَيْسَتْ بِرَقلةٍ   وَلاَ مِنْ بُعُولٍ في شَحَاحٍ شرَابُها

لا : (دلوج) كما في المطبوعة .

٤١٢ — ص : ٣١٠ — :

عَـلَيْـهِ أنـاةٌ كـالمهاةِ مَلِيْـحَـةٌ   بـمِسْكٍ ، وجَـاديٌّ الْعِرَاق مَلاَبُها

وفي المطبوعة : (والمهاة) و(جاوي) .

٤١٣ — ص : ٣١٠ — :

تُـدَلِّي قِصَـاصاً كـالْكُروم تَزِيْنُها   إذَا رُجِّـلَتْ... رَفـيـقـاً قصـابها

كذا في الأصل ، ويستقيم البيت بوضع (كانت) في المكان الخالي .

وفي المطبوعة من التَّحريف : (إذا رطبت) .

٤١٤ — ص : ٣١٠ — :

وَلَسْتَ بِـخَـوَّانٍ ذَلِـيْـلٍ مُـدَاهِـنٍ   لِقَيْسٍ ، ولَو مَشَّتْ بِعَيْنِي عِظَابُها

وفي المطبوعة : (ولو مشت بعيس عظامها) ! !

٤١٥ — ص : ٣١١ — :

وأغْـدَرُ قَـيْسٍ ثم أغْـدَرُ عَـامِـرٍ   كِلاَبٌ إذَا دَبَّتْ لِـغَـدرٍ كِلاَبُـهـا

حَرَّفَ صاحبنا : (وأغدر ، المكررة ، فجعلها : (وأعْذَر) فَخَوَّل الْهِجَاءُ مَدْحاً .

٤١٦ — ص : ٣١٢ — :

بِـأنَّـا بِبِيْض الْهِنْد أضْرَبُ مِنْكُمُ   وأمْضَى إذَا الأَبْطَالُ زَافَتْ صِعَابُها

لا (ذافت) كما في المطبوعة .

٤١٧ — ص : ٣١٢ — :

فَـمَـنْ مِـثْـلُ عَـبَّاسٍ وَزيرُ محمد   وهَوْذَةٌ ، والفُرْسانُ يَدْعَى لُبَابُها ؟

في المطبوعة . (وهوذة الفرسان) .

٤١٨ — ص : ٤١٢ — :

ومَن مِثْلُ شَدَّادٍ بَشِيرِ مُحَمَّدٍ عَلَى الْهَول ، والطَّخْيَاءُ مُرْفٍ ضَبَابُها

الغريب العجيب في هذا البيت شرح المحقق لكلمة (الهول) ماذا قال : (وَرَد هَوْلى جبل بنَجْد ، أنظر مراصد ١٤٦٧/٣) أما تحريفه لحاشية الأصل (هوذة بن وهب المعيطي من معيط عُصَيَّة) الى (المعطى) و(عصبة) فهذا يغتفر ، بجانب ذلك الشرح .

٤١٩ — ص : ٣١٢ : — شدَّاد بن يزيد بن مرداس ، بشير النبي — صلى الله عليه وسلم — لَيْلَة الأسد — هكذا وردت الجملة في الأصل ، وكذا وردت في مخطوطة كتاب الرُّشاطيِّ — القطعة التي في الخزانة العامة في تونس — ونقلها البلبيسي كما تقدم . أمَّا الحافظ ابن حجر فقال في «الإصابة» : شدَّاد بن يزيد بن مرداس بن أبي عامر بن جارية — بالجيم — السُّلميُّ . ذكر الرشاطيُّ عن أبي علي الهجريِّ أنَّ له صحبة . قال : ولم يذكره أبو عمر ، ولا ابن فرحون . انتهى ولم يَذكر الجملة الأخيرة مما يدلُّ على أنها لم تَّضح له ، ولو اتَّضحَت لاستدلَّ بها على صحبته .

أما تعليق صاحبنا بأنَّ المقصود حَمْراء الأسد ، فلا يعتمد عليه ، ولكنه رأى كلمة الأسد و(كل عَنزٍ عندنا غرَّاء) كما في المثل النجدي .

٤٢٠ — ص : ٣١٣ — : قزمان وربيعة وحبش وشول وعقدة ، بنو رفاعة . لا كما في المطبوعة : (فرسان) (وشوال) .

٤٢١ — ص : ٣١٣ — :

ومَنْ مَنْهُمُ أبْناءُ قَيلة سَبْعَةٌ بنو حَكَم زَانَ الشَّرِيْد انتسابُها

في مخطوطة الأصل وفي المطبوعة : (هم بنو حكم) (وهُمْ) مقحمة لا محلَّ لَهَا .

٤٢٢ — ص : ٣١٣ — قال المحقق : (عبس من بني رفاعة بن الحارث بن حُيَيٍّ بن الحارث بن بُهْثة بن سُليم ونسب هذا الى «جمهرة أنساب العرب» — ٢٥١ ولم أرَ في «الجمهرة» ذِكْراً لِعَبْس هاؤلاء .

٤٢٣ — ص : ٣١٤ — :

وفي ظَفَرٍ والي القَطيعة رَاشدٌ　　لَهُ العَيْنُ أجراها فَصَحَّ انسيابها

لم يحسن صاحبنا قراءة حاشية الأصل : (القَطيعة بِرُهاط) فجعلها : (القطيعة بن هاط) وضَمَّ القاف في الشعر. والشاعر يقصد راشد بن راشد السلمي الذي أقطعه الرسول صلى الله عليه وسلم العَيْنَ في وادي رَهَاط — المعروف من أودية مكة — وقَدْ فَصَّل الْخَبَر صاحِبُ كتاب «المناسك» — ص ٣٥٠ — .

٤٢٤ — ص : ٣١٤ — حاشية المحقق على (الحسحاس) كحواشيه الكثيرة التي لا صلة لها بالموضوع، فالشاعر يعدد مفاخر رجال سُلَيم، والحسحاس الذي ذكر من الأزد.

٤٢٥ — ص : ٣١٥ — :

فَلَسْتُ بِمُحصٍ كُلَّ يَوْمٍ أعُدُّهُ　　فَأَحْصُوا فَما فِيكُم خَطِيبٌ يَرَابُها

لا (بمحصي) كما في المطبوعة. ولم يستطع المحقق قراءة حاشية في الأصل على كلمة (يرابها) فتركها وهي : (ينازع، من أرابها).

٤٢٦ — ص : ٣١٦ — :

فأقْرَبُ للتَّقوى انْتِهاكُ حَرِيمِكُمْ　　وتَذبِيخُ أخْلاَفٍ تَنِبٌّ وِطَابُها

لا (تَذْبِخ) كما في المطبوعة.

وبعد هذا البيت في الأصل : (نجزت) إشارة الى تمام القصيدة، تركها المحقق.

٤٢٧ — ص : ٣١٦ — : البُعْدُ عنه مخافة أن يُعْديكَ جَرَبُهُ وعِلَّتُهُ

وفي الأصل والمطبوعة : (خوفه وعلته) ويظهر أن (خوفه) تحريف من الناسخ، إذ ورد بعد هذا ذكر الأجرب والمجدور.

٤٢٨ — ص : ٣١٦ — : وأنشدني للشَّروي أحد بني يشكر من بني الغطريف.

١ — غيَّر صاحبنا كلمة (للشروي) الى (للسراوي) وزعم أنَّ ما في الأصل تحريف وخال النِّسبة الى السَّرو.

٢ — زعم أنَّ يَشْكُر هم بنو يشكر بن بكر بن وائل ، وأحال الى «جمهرة أنساب العرب» — ٢٩٠ .

٣ — وقال عن الغطريف : (جد المنتسب اليه — نفس المصدر والصفحة .

ويؤخذ على هذا .

الزَّعْم بأن ما في الأصل تحريف ظنٌّ ، والظن لا يغني من العلم شيئاً ولو صَحَّ هذا لكانت النسبة إلى السَّراة أولى ، والنصوص لا يصح تغييرها إلا عند التثبت من أن ما حوته خطأ محض من مصادر لها أصح منها .

٢ — الهجريُّ غالباً ما يَروى عن أناس عاصرهم ، ويتحدث عن قبائل عرفها ، وبنو يشكر الوائليُّون انتقلوا الى اليمامة وإلى شرق الجزيرة قبل عهد الهجري ، ثم إنَّ اسم يشكر من الأسماء العامَّة ، فلماذا الجَزْمُ بأن الهجري عَنَى الوائليين الذين في شرق الجزيرة ، وأيَّةُ صلةٍ لهم بالسَّروي أو الشروي ؟ الذي قال عنه المحقق إنه منسوب إلى السَّرو ناحية باليمن .

٣ — لم يذكر صاحب «جمهرة أنساب العرب» الغطريف في الكلام على بني يشكر في الموضع الذي حَدَّدَهُ المحقق ، وهو — هداه الله — كثيراً ما يحيل إلى كتب إحالات مُوهمة ، كما فعل مثل هذا في الكلام على عَبس — أنظر الملاحظة (٤٢٢) .

أما الصواب — فيما تقدم — فهو أن بني الغِطْريف بطن من بني يشكر بن مُبَشر بن صَعْب بن دهمان بن نَصْر بن زَهران ، من الأزْد ، من سكان السَّراة ، والغطريف لقب عامر بن بكر بن يشكر — أنظر كتاب في «سراة غامد وزهران» ص ٢٤٣ .

٤٢٩ — ص : ٣١٧ — : العَرْضُ : من صفة السحاب مثل العارض وليس كما في المطبوعة : (العوضي) .

٤٣٠ — ص : ٣١٧ — : أنشدنيها بعض هذيل

سقطت كلمة (بعض) من المطبوعة .

٤٣١ — ص : ٣١٧ — :

مَنْ نُطفةٍ من صَوْبِ عَوْضٍ مُستهلّ أغدرَهَا السَّيْلُ بِلُصْبٍ مُسْتَظَلّ

حرف صاحبنا كلمة (عوض) مرة ثانية فجعلها (عوص) كما حرف أغْدَرَهَا ، فجعلها : (أعذرها) و(مستظل) جعلها : (مستطل) .

٤٣٢ — ص : ٣١٧ — : الموقعي بطن من جَرْم قال جارية بن مُرٍّ ، مُجِير الجراد بن مَعْنٍ .

وفي المطبوعة : (بن جرم) مع حذف (بن مُرّ) وتحريف معن الى (مَعَنيٍ) .

٤٣٣ — ص : ٣١٨ — : الزّزنيُّ .

في المطبوعة (الزرني) مع أنه أورد في الحاشية ما ذكرته في كتاب «أبو علي الهجري» عنه .

٤٣٤ — ص : ٣١٨ و٣١٩ — : **تكررت** كتابة اسم (أجأ) بهمزة بعد الألف (أجاء) وهذا خطأ ، فالاسم ليس ممدوداً .

٤٣٥ — ص : ٣١٩ — :

كأنَّها في جَدْوَلٍ تُوتِّيه

وفي المطبوعة (تُـوَتّيه) خلاف الأصل .

٤٣٦ — ص : ٣١٩ — :

لا تَتَّقِي الدِّمْنَ إذا الدِّمْنَ طَفَا
إلاَّ بِجَزْعٍ مِثْل أثْباجِ القَطَا

وفي المطبوعة : (الدس) و(يجرع) .

٤٣٧ — ص : ٣١٩ — :

جَزْعاً أداوِيْل ، مَتَى يُصْعَد يَصِلْ

وفي المطبوعة : (أداويك) وحرفا اللام والكاف — في الأصل — يختلطان على صاحبنا .

٤٣٨ — ص : ٣٢٠ — **وأنشدني لجميل** :

فَلَمَّا طَلَعْنَ ذَا الغلالة وانتحت بِهِنَّ الْحَدَاةُ في خَوِيّ لَهُ سَهْلُ

ولما بَدَا هَضَبُ المِجْزّ وأعْرَضَت شَمَاريخُ من شِرْعَانَ يردى به النَّخْلُ

المجز : وادٍ يَفْلِقُ بَيْنَ الصَّمْد والصَّوَّان : وشرْعَانُ : جبل أحمر.

وجاء في المطبوعة : (المجن) و(يغلق).

وحاشية في الأصل على الحداة ونَصُّها : (قُرَيْنٌ بالصَّمْد أحْمَرُ، بين الصَّمْد والحِجْر) ليست في موضعها من المطبوعة.

أما حاشية المحقق على خوي وأنه (واد بناحية الحِمَى) فأبعد ما تكون عن الصواب، إذ كلُّ المواضع المذكورة في الشعر بعيدة عن كل الأحماء، فهي تقع شمال حرار خيبر، فيما بينها وبين العُلا وتبوك غَرْبَ منطقة تيماء، ولا يتَّسع المجال لتحديد مواقعها. ولكن لا تفوت الإشارة إلى ١ — المجزّ — كذا ورد بالجيم في مخطوطة الأصل، والمعروف المِحزّ — بالحاء المهملة — وهو جبل لا يزال معروفاً شرق العُلا.

٢ — يردى به النحل — لعل الصواب : (يردى بها الوعلُ).

٤٣٩ — ص : ٣٢٢ — :

سَبَائِخاً مِنْ وَبَرٍ عَمِيْتا

لا (دبر) كما في المطبوعة.

٤٤٠ — ص : ٣٢٣ : بأعواد صوابها (بألْواذ)

وكلمة (بكبها) الصواب : (يكبيُها) من الكآبة.

٤٤١ — ص ٣٢٤ — : في عنقه سَبِيخَةٌ من صُوف، وسَبَّخُوا الصَّبيَّ من وار الرُّغام وهو وَرَمٌ في الحلق.

٤٤٢ — ص : ٣٢٤ — كلمة (ولد الرعام) كذا أوردها صاحبنا، وهي في الأصل : (من وار الرِّغام وهو وَرَمٌ في الحلق).

وأرى كلمة (وار) من تحريف الأصل.

وأن الصواب (داء). والرغام كذا وردت بإعجام العين.

وفي المطبوعة : (سبخة ... وسخوا للصبي من ولد الرعام).

٤٤٣ — ص : ٣٢٤ — : وأنشدني لموسي بن هُبَيْرة السِّناني مُرِّيٌّ ، وسِنَانُ نَهْدٍ لا غيرِهما .

في المطبوعة (البُسْتاني) ونسبه المحقق الى مُرَّة نَهْدٍ ، تَوَهُّماً أن جملة (وسنان نَهْدٍ لا غيرهما) تدل على ذلك ، ومراد الهجريّ أن بني سنان فرعان : أحدهما من بني مُرَّة والثاني : من بني نَهْدٍ .

والمحقق في احالته الى كتاب «جمهرة الأنساب» عند ذكر مرة نَهْدٍ ، أحال الى موضع ليس فيه ذكر لسنان نهد .

والشاعر من سنان مرة الذين من غطفان ، الذين منهم هَرِمُ بن سِنَانٍ ، ومشاهير غيره كثيرون ، ذكر بعضهم صاحب «جمهرة الأنساب» ص ٢٤٠ — ٢٤١ — الطبعة الأولى ومرة غطفان أشهر من أن تذكر .

٤٤٤ — ص : ٣٢٤ — :

ألا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ اسُوقَنَّ هَجْمَةً   يُقِرُّ بِعَيْنِي صُبْحَ عَشْرٍ وَسِيقُها

وفي المطبوعة من التحريف : (يسوقَنَّ) و(عش) .

٤٤٥ — ص : ٣٢٤ — :

قُضَاعِيَّةٌ حُمُّ الذُّرَى قَدْ تَرَبَّعَت   بِأَحْوَشَ حَتَّى طَارَ عنها عَقِيقُها

في المطبوعة : (رَبعت) و(بأجوش) .

أما ما كتب المحقق عن (قضاعة بن عدنان) والإحالة الى كتاب «جمهرة أنساب العرب» — ٤١١ — فهو كمن يقرأ (فَوَيلٌ للمُصَلِّين) ويقف ، إنَّ النصَّ هناك : (وهاؤلاء قضاعة : قال قَومٌ هو قضاعة بن عدنان ، وقال قوم : هو قضاعة بن مالك بن حِمْيَر ، وقال قوم — منهم الكلبي — هو قُضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حِمْيَر) .

ويغني عن هذا كله أن يشار إلى الاختلاف في نسب قضاعة .

ارشاد الطالبين الى شيوخ قاضي القضاة ابن ظهيرة جمال الدين

إنَّ إلقاء نظرة على فهارس المخطوطات المحفوظة بالمكتبات الأوربية وبعض جامعاتها والجامعات الأمريكية تبين لنا وفرة المخطوطات العربية في هذه الدور. وإن عدداً هاماً من هاته المخطوطات تعتبر من النوادر التي حرمت منها مكتبات الديار الإسلامية فانتقلت الى العالم الغربي بطريقة أو أخرى نتيجة ذلك التفكك الذي أصاب العالم الإسلامي. وبالتالي سُلِبَ منه أعزُّ ما يملك ألا وهو ذلك التراث الخالد الحافل، الذي احتوى على آلامه وأفراحه ومساهمته في كل ميادين المعرفة الانسانية.

ومن نوادر مخطوطاتنا الموجودة بديار أهل الغرب كتاب «إرشاد الطالبين إلى شيوخ قاضي القضاة[1] ابن ظهيرة جمال الدين» المحفوظ بمكتبة (شستر بيتّي) بمدينة (دبلن)

---

٤٤٦ — ص : ٣٤٥ — :

حَدَاها بـ(يايا) كُلُّ أَرْوَعَ ماجِدٍ   على الْـهَـوْل مِقْدَام فَجَاد عَنِيقُها

نُكَلِّف أخانا شَطَطاً حين نروم منه توضيح (حداها بِيَايا) لأنه لا يعرف أنَّ الإبل تُحْدَى بتكرير كلمة (يا ، يا) أو (يا يُدَاه).

٤٤٧ — ص : ٣٢٥ : —

دَعَوْتَ مَيْـمُوناً إلى سُرَاها
يَعْرِكُ عَيْـناً جائلاً قَذَاها
مِنَ النُّعَاسِ قَلَّ مَا شَفَاها

في هذا الرجز من التصحيف في المطبوعة : (سَيْمُوناً) و(يعول) و(قَلَّها) في (ميمونا) و(يعرك) و(قلَّ ما).

حمد الجاسر

الايرلندية . فهو كتاب ذو أهمية كبيرة ويعتبر كغيره من هذا النوع من الكتب وثيقة صادقة عن الحياة العلمية والدراسية في الجزيرة العربية وبقية أمصار العالم الإسلامي فهو كتاب في شيوخ العالم الكبير جمال الدين ابن ظهيرة .

وقد ترك العلماء المسلمون كتباً كثيرة ضَمَّنُوها تراجم شيوخهم ، وسَجَّلوا فيها مروياتهم عنهم ، من كتب ومسلسلات وأشعار . وقد أثروا المكتبة الإسلامية بهذا النوع من الكتب فسموها (الفهرسة) و(المشيخة) و(معجم الشيوخ) و(البرنامج) و(الثبت) وقد تفننوا في طرق كتابتها ، وقد ساهم العديد من الباحثين في تحقيقها ، ونَفَضُوا عنها تراب القرون السابقة ، وبذلك وفَّروا مصادر قيمة ، ووثائق نادرة عن الحياة العلمية والثقافية لكل العصور الإسلامية الزاهية . ولكن لا يزال الكثير من هذه الكتب مخطوطاً يترقب التحقيق ومن بينها هذا الكتاب .

وتجدر الملاحظة أنَّ بعض الشيوخ لا يُصَنِّفون بأنفسهم معاجم شيوخهم أو مسلسلاتهم التي رووها فَيُخَرِّجُ لهم بعضُ تلامذتهم أو غيرهُم هذه المعاجم أو المشيخات .

وإن كتب التراجم والتواريخ ذكرت الكثير من هذه الكتب المخرجة لأصحابها ، ونذكر على سبيل المثال : خرج أبو محمد القاسم بن محمد البرزالي المتوفي سنة ٧٣٨هـ مَشْيخة الحافظ أبي العباس أحمد بن عبد الدائم المقدسي المتوفي سنة ٦٦٨ [٢] .

وخرج الحافظ ابن حَجَر العسقلاني مشيخةَ مشتركة لعبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن القباني المتوفي سنة ٨٣٨ وفاطمةً بنت خليل بن أحمد الكناني العسقلاني المتوفاة سنة ٨٣٣ [٣] .

وخرج ابنُ الظاهري مشيخة للفخر ابن البخاري ، ومنها نسخة بالمكتبة الوطنية بباريس .

وخرج الحافظ عبد اللطيف البغداديُّ مشيخة للخليفة الناصر سماها «فتح المغيث» [٤] .

فهل خرج جمال الدين بن ظهيرة هذا المعجم بنفسه أم خرجه له غيره من العلماء؟

الواقع أننا لا نستطيع إثبات ذلك لانعدام المعلومات الفنية على نسخة هذا المعجم المبتور الأول والآخر. ولكن استناداً على ما قدمنا من معلومات بتخريج المعاجم، واعتمادا على بعض النصوص في بعض الكتب التاريخية نُرجِّحُ أن يكون خليل بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الأقفهسي [٥] هو الذي خرج هذا المعجم. فقد ذكر عمر بن فهد الهاشميُّ المكيُّ المتوفي سنة ٨٨٥ في معجم شيوخه في ترجمة شيخه علي بن ابراهيم بن علي بن راشد الأبيّ المتوفي سنة ٨٥٩هـ ما نصُّه: (وسمع من القاضي جمال الدين بن ظهيرة معجمه تخريج خليل الأقفهسي) [٦] وذكر التقي الفاسي في كتابه «العقد الثمين» في ترجمة خليل الأقفهسي: (وخرج معجماً حسناً لقاضي مكة شيخنا جمال الدين بن ظهيرة) [٧] وذكر ابن العماد الحنبلي في ترجمة خليل الأقفهسي في «شذرات الذهب» (وقد خرج لشيخنا مجد الدين الحنفي مشيخة ولشيخنا جمال الدين بن ظهيرة معجماً) [٨] فعلى ضَوء هذه المعلومات نُرَجِّحُ أن يكون الأقفهسيُّ هو الذي خرج هذا المعجم.

وقبل وصف النسخة وتحليل محتواها لا بُدَّ من التعريف بجمال الدين بن ظَهِيرة:

هو محمد بن عبدالله بن ظهيرة بن أحمد بن عطية بن ظهيرة القرشي المكي، جمال الدين أبو حامد قاضي مكة وخطيبها ومفتيها. ولد سنة ٧٥١هـ سمع على مشايخ مكة والقادمين إليها. ورحل إلى عواصم الأمصار الإسلامية للاستفادة والافادة. وأجازه العديدُ من العلماء. وُلِّيَ العديد من الوظائف كالقضاء والتدريس ونظر الحِسْبة ونظر المدارس. وكان أكثر من يفتي بمكة، وكانت الفتاوى ترد إليه من البلدان الأخرى كالطائف ولِيَّة (بلد من نواحي الطائف) [١٠]

صنف شرحاً على «الحاوي الصغير» وصل فيه الى الوصاية، وله جزء في زَمْزَم وله نظم.

توفي سنة ٨١٧هـ بمكة ودفن بالمِعْلاة.

وصف النسخة المخطوطة:

معنونة كما يلي: «إرشاد الطالبين الى شيوخ قاضي القضاة ابن ظهيرة جمال الدين» وهي محفوظة بمكتبة شستر بيتي بدبلن الايرلندية تحت رقم ٤١٥٠، ولا أعلم نسخة

أخرى لهذه المخطوطة ، وتقع في ٦١ ورقة ، قياسها ١٨,٢ على ١٣,٤ ، مسطرتها ١٧ ، خطها نسخي ، ترجع الى القرن التاسع الهجري .

والنسخة خالية من التنقيط ولا يبدو أيٌّ اهتمام بالخط إلا في كتابة البسملة . وأسماء الشيوخ مكتوبة بخط غليظ بارز وكذلك قوله : باب (كذا) ومن اسمه (كذا) .

وعلى النسخة نص قراءة وسماع مذكور في الجزء السابع عشر من المعجم وهو :

(الحمد لله وحده قرأت هذا المجلد في مجلسين والأول قبله في أربعة مجالس وذلك جميع المعجم على الشيخ العلامة بدر الدين محمد المشهدي بسنده أول الجزء نقلا بخطي ، فسمع المعجم أجمعَ ولدي عبدالله أبو الفرج جمال الدين . وسمع من حرف الخاء الى آخر المعجم محمد بن أحمد المحلي بن عبد المحسن وسمع من هذا المجلس من قوله : من اسمه عبد القادر إلى آخر المعجم يونس (؟) بن عبدالله الحنفي (؟) ومن قوله : عبدالله بن أسعد اليافعي إلى آخر الجزء الثالث عشر . وأجاز المسمعُ مرويه (؟) صح ذلك في ست مجالس معلمة بخطي على هذا الأصل آخرها يوم الأربعاء الرابع عشر من الحجة سنة ثلاثين وتسعمائة . وكتب القاوى محمد بن أحمد الظ ..[١١] وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الحمد لله صحيح ذلك وكتبه محمد بن أبي بكر المشهدي)[١٢] .

ماذا بقي من معجم شيوخ ابن ظهيرة ؟ :

يقع المعجم في ١٧ جزء ، ولكن لم يبق منه إلا اليسير وبالضبط : نتفة من الجزء الرابع عشر والجزء الخامس عشر كاملاً والجزء السادس عشر كاملاً وبداية الجزء السابع عشر .

طريقة كتابة هذا المعجم :

يبدأ بترجمة الشيخ ، وقد رُتِّب المترجمون على حروف المعجم ، وهذه التراجم تتفاوت في الطول والقصر ، في بعضها يتناول حياة الشيخ العلمية كسماعاته والإجازات التي تحصل عليها والكتب التي رواها كما يذكر أحياناً الوظائف التي باشرها ، كما يذكر

أحياناً سنتي الولادة والوفاة . وبعد الترجمة يذكر ما سمعه من الشيخ من أحاديث نبوية أو أشعار . كما يذكر كُتُبَ الحديث التي خرّجت الحديث المرويّ ، كما يذكر مرتبة الحديث .

ولكي نعطي صورة واضحة للقارىء الكريم عن طريقته في هذا الكتاب نرسم هنا بطريقة مختصرة ما رواه عن شيخه فرج بن عبدالله بن أبي الخير الصالحي . وقد عوضنا الكلمات : أنبأنا أو حدثنا بالفاصلة ، ولم نثبت في هذا المثال البياني طريقة الأخذ هل بالسماع أو قراءة أو اجازة :

* جمال الدين بن ظهيرة فرج بن عبدالله أبو الخير الصالحي ، أبو زكريا يحيي بن محمد بن سعد المقدسي .

ح — ابن ظهيرة ، محمد بن سليمان بن الحسن ، هدية بنت علي البغدادي ، عبدالله بن عمر بن اللتي ، أبو المعالي العطار ، أبو القاسم البشري ، أبو الحسن بن الصلت ، ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي ، أبو مصعب ، مالك ، ابن شهاب ، سعيد ، أبي هريرة ، الرسول — صلى الله عليه وسلم — قال : «ليس الشديد بالصُّرَعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » .

ثم يذكر رتبة الحديث : صحيح متفق عليه ، ثم يذكر الكتب التي أخرجته . وقد اتبع هذه الطريقة في كل الكتاب . فتلاحظ هنا الاهتمام الكبير بسلسلة السند كما نلاحظ الاهتمام بكل الطرق التي روت الحديث . وأحياناً يستطرد إلى ذكر بعض المعلومات التاريخية التي تخص الرواة والحفاظ .

تحليل ما تبقي من المعجم :

* قسم من الجزء الرابع عشر : ويقع في ورقتين .

— علي بن خلف بن كامل بن عطاء الغزي الشافعي المولود سنة ٧٠٩ والمتوفي سنة ٧٩٢[١٣] سمع منه بغزة في رحلته الأولى .

— علي بن صالح بن أحمد بن خلف بن أبي بكر الطيبي المتوفي سنة ٧٨٠[١٤] سمع منه .

• الجزء الخامس عشر (كامل)، يقع في ٤٦ ورقة.

— علي بن عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن حمزة المقدسي الحنبلي المولود سنة ٧١٤هـ والمتوفي سنة ٧٩٤[١٥].

— علي بن عثمان بن أحمد البعلي النساج أبو الحسن المعروف بابن شطي[١٦] سمع منه ببعلبك.

— علي بن عثمان بن يوسف البعلي القطان المعروف بابن المسلوت[١٧] سمع منه ببعلبك.

— علي بن عمر ابن أحمد بن عبد الرحمن الصوري الدمشقي الصالحي المتوفي سنة ٧٧٤[١٨]

— علي بن عبدالله الحموي العطار[١٩] سمع منه بحماة.

— علي بن عمر بن عبد الرحيم بن بدر الجزري الأصل الصالحي أبو الحسن المعروف بأبي الهول المتوفي سنة ٧٨٩[٢٠] لقيه بدمشق وقرأ عليه جملة من مروياته.

— علي بن عيسي بن موسي بن غانم الطوري الأصل البعلي علاء الدين أبو الحسن[٢١] سمع منه بِبَعلبَك.

— علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الأزدي الخليلي المالكي[٢٢] لقيه ببلد الخليل في الرحلة الأولى ولم يسمع منه وأجاز له مروياته.

— علي بن محمد بن عبد الرحمن الحلبي أبو الحسن المعروف بابن العُبَي المتوفي سنة ٧٩٠[٢٣] كتب عنه من شعره، ومما أنشده له:

حلاويّة ألفاظها سُكَّريَّةٌ قَلَتْني وقَوَّتْ نَارَ قَلْبي بالعُجْبِ
مُشَبَّكُ دَمْعي في خُدُودِيْ مُشَيَّرٌ ومِنْ أَجْلِ سِتِ الْحُسْنِ قَدْ زَادَ بالسَّكْب

وقوله في الجُلَّنار:

إنظر الى الرَّوْض البديع وحُسْنِهِ والزهر بين مُنَظَّمٍ ومُنَضَّدِ
والجُلَّنَارُ على الغصون كأنه قِطَعٌ من المَرْجَان فَوقَ زَبَرْجَد

— علي بن محمد بن عبد المعطي بن سالم المصري الشافعي عرف بابن السبع أبو الحسن علاء الدين[٢٤] المولود سنة ٧١٢. أجاز له مروياته.

— علي بن يوسف بن الحسن بن محمد بن محمود بن عبدالله الأنصاري الزَّرندي الأصل ، المدني الحنفي أو الحسن المولود سنة ٧٠٨ والمتوفي سنة ٧٧٢ [٢٥] قرأ عليه « موطأ مالك » وغيره وكتب عنه من شعره واجتمع به كثيراً وأجازه .

— علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر بن عمر بن صالح الهيثمي الشافعي أبو الحسن المولود سنة ٧٣٥ والمتوفي سنة ٨٠٧ [٢٦] .

— علي بن أبي بكر اليمني الامام المقرىء أبو الحسن شيخ القُرَّاء ببلاد اليمن المتوفي بزبِيْد ، من بلاد اليمن سنة ٧٧١ [٢٧] أجاز له مروياته غير مَرَّةٍ .

— علي بن أبي الفتح بن هبة الله بن مُعَمَّر الغزي الحلبي أبو الحسن علاء الدين [٢٨] .

من اسمه عمر :

— عمر بن ابراهيم بن عبدالله بن عبدالله بن محمد بن الكرابيسي المعروف بابن العجمي المولود سنة ٧٠٤ والمتوفي سنة ٧٧٧ [٢٩] لقيه بحلب ودمشق وسمع منه جملة من مروياته .

— عمر بن ابراهيم بن نصر بن ابراهيم بن عبدالله الكناني الدمشقي الصالحي الحنبلي أبو حفص المعروف بابن النقبي المتوفي سنة ٧٧٤ [٣٠] أجاز له مرويَّاته غير مرة ، وكتب له خَطَّهُ بذلك .

— عمر بن أحمد بن عمر بن عبدالله بن عمر بن عوض المقدسي الحنبلي أبو حفص المولود سنة ٧١٩ والمتوفي سنة ٧٧١ [٣١] اجتمع به كثيراً ولم يقدر له السماع منه ، وأجاز له مروياته ، وكتب له خطه بذلك .

— عمر بن أحمد بن عمر بن مُسَلَّم بن عمر بن أبي بكر العوفي الصالحي المؤذن بالجامع المظفري المعروف بالكناني المولود سنة ٦٩٩ والمتوفي سنة ٧٧٧ [٣٢] أجاز له مروياته .

— عمر بن الحسن بن مزيد بن أميلة بن جمعة المراغي الحلبي الأصل ثم الدمشقي المزي المولود سنة ٦٨٠ والمتوفي سنة ٧٧٨ [٣٣] لقيه بدمشق في رحلته الأولى وسمع منه

جملة من مسموعاته بقراءته أو بقراءة غيره .

— عمر بن حمزة بن يونس بن حمزة بن عباس العدوي الاربلي نزيل صَفَد ، ومُحَدِّثها المولود سنة ٦٩٦ والمتوفي سنة ٧٨٢[٣٤] أجاز له مروياته .

— عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن شهاب بن عبد الحق العسقلاني الأصل ، البلقيني سراج الدين المولود سنة ٧٢٤ والمتوفي سنة ٨٠٥[٣٥] قرأ عليه «منهاج البيضاوي» وقطعة من «الروضة» و«التنبيه» و«الحاوي» وأذن له بالإفتاء والتدريس وأجازه بأربعة علوم : الفقه وأصوله والحديث والعربية .

* — **الجزء السادس عشر من المعجم :**

وهو كامل ويقع في ٢٥ ورقة وتضمن تراجم هؤلاء الشيوخ :

— عمر بن سالم بن بدر الوارقلي المغربي أبو حفص سراج الدين[٣٦] أجاز له مروياته .

— عمر بن عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم بن سعدالله بن جماعة الكتاني الشافعي أبو حفص سراج الدين المولود سنة ٧٢٠ والمتوفي سنة ٧٧٦[٣٧]

— عمر بن عبد المحسن بن عبد اللطيف بن محمد بن رزين الحموي الأصل ، القاهري المولد والدار ، الشافعي أبو حفص المتوفي سنة ٧٩٣[٣٨] أجاز له مروياته وكتب له خطه بذلك .

— عمر بن علي بن أحمد بن محمد الأنصاري الأندلسي الأصل الشافعي أبو علي ويعرف بابن المُلقّن المولود سنة ٧٢٣ والمتوفي سنة ٨٠٤[٣٩] لقيه بالقاهرة ، وقرأ عليه بعض مؤلفاته وسمع منه شيئاً من مروياته وأجازه بالافتاء والتدريس وكتب له خطه بذلك .

— عمر بن علي بن عمر بن أبي القاسم البقاعي الحمصي أبو حفص المولود سنة ٧٠٦[٤٠] سمع منه بحمص .

— عمر بن محمد بن عمر بن سليمان بن عيسى بن اليَاس الصرخديُّ الأصل البعلي أبو حفص[٤١] سمع منه ببعلبك.. — عمر بن محمد بن أبي بكر بن يوسف الحموي الشافعي المولود سنة ٧٠٥ والمتوفي سنة ٧٧٨[٤٢] .

ـــ عمر بن أبي القاسم بن يونس الشافعي المعروف بالزيلعي المتوفي ببيت المقدس. سمع منه بها.

* ومن النساء:

ـــ عائشة بنت عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن محمد الطبرية المكية أم الهدى المتوفاة سنة ٧٦١[٤٤] أجازت له مروياتها.

ـــ عائشة بنت عبد الرحيم بن محمد بن ابراهيم بن سعدالله بن جماعة الكناني المتوفاة سنة ٧٨٩[٤٥].

ـــ عائشة بنت أبي بكر بن عيسي بن منصور الحلبية الأصل الدمشقية، أم عبدالله، وتعرف ببنت قواليح المتوفاة سنة ٧٩٣[٤٦] أجازت له مروياتها.

* حرف الفاء:

* من اسمه فرج:

ـــ فرج بن عبدالله أبو الخير الحافظي مولى القاضي شرف الدين بن الحافظ المتوفي سنة ٧٩٨[٤٧] أجاز له غير مرة مروياته.

* من النساء:

ـــ فاطمة بنت أحمد بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الطبري أم الحسين المتوفاة سنة ٧٧٩[٤٨] أجازت له مروياتها.

ـــ فاطمة بنت أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي المكية أم الحسن المولودة سنة ٧١٠هـ والمتوفاة سنة ٧٨٣[٤٩].

ـــ فاطمة بنت اسماعيل بن محمد بن علي البعلية، أم الحسن، المولودة سنة ٧٢٠ أجازت له من بعلبك[٥٠].

ـــ فاطمة بنت علي بن عمر بن خالد المخزوميّ، أم الحسن، المولودة بالقاهرة سنة ٧٠٨[٥١] سمع منها بالقاهرة.

— فاطمة بنت علي بن عمر بن حمود البعلية[٥٢] .

— فلفلة بنت عبدالله البعلية[٥٣] سمع منها ببعلبك[٥٤] .

* باب القاف :

قاسم بن أحمد بن عبد القادر البعلي التاجر أبو محمد[٥٥] سمع منه ببعلبك .

* باب الكاف :

— كُلْثُم بنت محمد بن محمود البعلي ، أم محمد[٥٦] سمع منها ببعلبك .

* باب الميم :

* من اسمه محمود :

— محمود بن محمد بن محمود بن سليمان بن فهد الحلبي أبو الثناء[٥٧] لقيه بحلب في الرحلة الأولى .

— محمود ويدعى محمد بن نصر بن أبي بكر بن نصر بن صالح البارنباري الدمياطي الشافعي المولود سنة ٦٩٩[٥٨] .

* من اسمه موسى :

— موسى بن أحمد بن عمر بن حسن المَعَرّي الأصل ، البعلي أبو الفتوح شرف الدين[٥٩] سمع منه ببعلبك .

— موسى بن فَيّاض بن عبد العزيز بن فيّاض النابلسي الأصل الحلبي المولود قبل السبعمائة والمتوفي سنة ٧٧٨[٦٠] سمع منه بحلب .

* ومن النساء :

— مؤنسة بنت عبد الخالق بن عبد الخالق بن عبدالله المعرية[٦١] سمع منها بالمعرة .

* باب النون :

* من اسمه نافع :

— نافع بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز المالكي أبو محمد[٦٢]

* من اسمه نصرالله :

— نصرالله بن أحمد بن محمد بن أبي الفتح بن هاشم بن اسماعيل الكناني العسقلاني الحنبلي المولود سنة ٧١٧ والمتوفي سنة ٧٩٥[٦٣] .

* **الجزء السابع عشر من المعجم وهو آخر الكتاب :**

به نقص بالآخر ويقع في ٨ أوراق ، وتضمن تراجم هؤلاء الشيوخ :

* **من النساء :**

— نسيب بنت ابراهيم بن محمد بن الصفي بن عمرو الحلاوي الحمصية[٦٤] سمع منها بحمص .

— نفيسة بنت علي بن عبد القادر البعلية[٦٥] سمع منها ببعلبك .

* **باب الهاء :**

* **من اسمه هاشم :**

— هاشم بن منصور بن هاشم العمري الصرخدي أبو محمد جمال الدين[٦٦] لقيه بدمشق وكتب عنه من شعره ومما أنشده :

تَـجَـرَّدْ من الدُّنْـيَـا فَـإِنَّك إِنَّما خَـرَجْـتَ من الدُّنْيَا وأَنْتَ مُجَرَّدُ
ولا تـحْـرِصَـنْ فِـيْـهَـا فَإِنَّ زوالَها قَـرِيْـبٌ ومَـا الإِنْسَانُ فِيْها مُخَلَّدُ

* **ومن النساء :**

— هُدَيَّة بنت محمد بن النجم بن الأسد البعلي القاضي المعروف والدها بالحداد[٦٧] سمع منها ببعلبك .

* **باب الياء المثناة من تحت :**

* **من اسمه يحيي :**

— يحيي بن أحمد بن أحمد بن صفوان المالكي أبو زكريا[٦٨] المتوفي سنة ٧٧٢ بمكة . سمع منه :

— يحيي بن موسي بن ابراهيم القسطنطيني أبو زكريا[٦٩] المتوفي بالمدينة سنة ٧٩٨ .

أجاز له مروياته وكتب له خطه بذلك .

— يحيي بن يوسف بن يعقوب بن أحمد بن يحيي الرَّحبي الأصل الدمشقي أبو زكريا المتوفي سنة ٧٩٤[٧٠] .

* من اسمه يوسف :

— يوسف بن أحمد بن ابراهيم بن عبدالله بن الشيخ أبي عمر المقدسي الحنبلي أبو المحاسن المولود سنة ٧٢١ والمتوفي سنة ٧٩٨[٧١] .

— يوسف بن عبدالله بن علي بن حاتم بن محمد بن عمر بن يوسف البعلي ، أبو المحاسن ، المعروف بابن الحبَّال المولود سنة ٦٨٠ والمتوفي سنة ٧٧٨[٧٢] لقيه ببعلبك ، وقرأ عليه جملة من مروياته .

(إلى هنا ينتهي ما وجدناه من هذا المعجم) .

وهكذا ومن خلال هذا العرض المحتوى الكتاب يحقُّ لنا أن نُقِرَّ بالأهمية البالغة لهذه الوثيقة لحياة جمال الدين بن ظهيرة العلمية .

والكتاب مُحَقَّقٌ وجاهزٌ ونأمل أن تتقبله بعض دور النشر أو المؤسسات الثقافية المعتنية بتراثنا المخطوط الخالد لإبرازه الى النور .

ونرجو بهاته المساهمة المتواضعة أننا أدَّينا ما علينا من واجب نحو تراث العروبة والإسلام ، والحمد لله أولاً وآخراً .

محمد الزاهي

(دار الثقافة ابن النفيس — الشابة ٥١٧٠ — الجمهورية التونسية)

الحـواشـي

(١) (قاضي القضاة) و(شاهنشاه) و(ملك الملوك) من النعوت التي ورد الشرع الحنيف بتحريمها كما نصَّ على ذلك شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولكن الأمانة العلمية تقضي بإيراد النصوص المنسوبة الى أصحابها — كما وردت بدون تغيير «العرب»] .

(٢) منها نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم ٨٠١ وتقع في ٥١ ورقة .

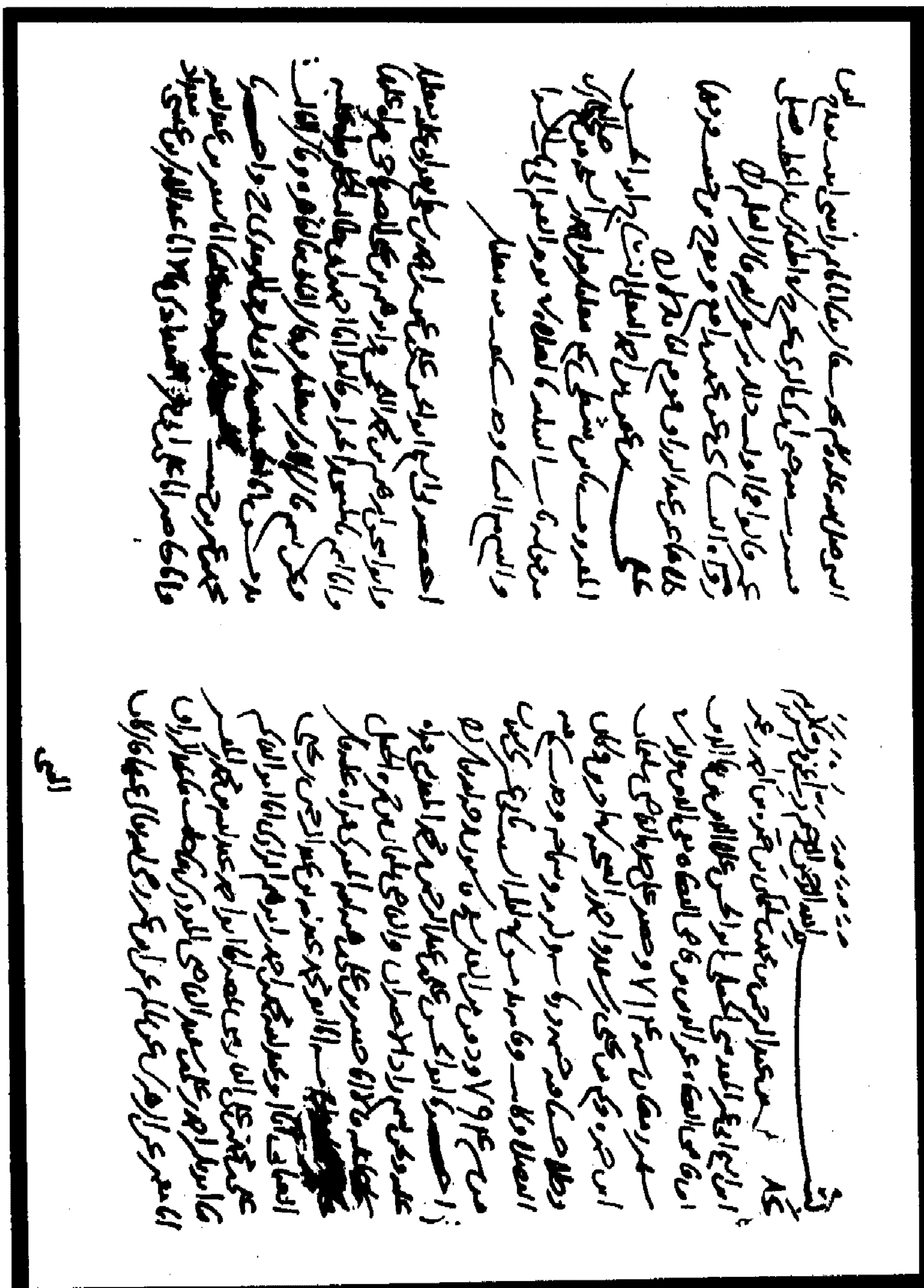
(٣) تسمى : المشيخة الباسمة للقبابي وفاطمة ومنها نسخة بمكتبة برلين تحت رقم ١٢١٢٣ .

(٤) توجد نسختان لهذه المشيخة بالمتحف البريطاني تحت رقم ٥٧٨٠ و٦٣٣٢ وقد كانت هذه المشيخة موضوع دراسة تحليلية للمستشرق الفرنسي جورج فاجدا ونشرت الدراسة بمجلة أرابيكا (ماي ١٩٥٩).
(٥) ولد سنة ٧٦٣ وتوفي سنة ٨٢١ راجع : شذرات الذهب : ١٥٠/٧.
(٦) معجم شيوخ عمر بن فهد : ورقة ٤٣ ظ
(٧) العقد الثمين : ٣٣١/٤
(٨) شذرات الذهب : ١٥٠/٧
(٩) ترجم له : السخاوي في الضوء اللامع : ٩٢/٨ والتقي الفاسي في العقد الثمين : ٥٣/٢.
(١٠) لِيَّة — بكسر اللام وفتح المثناة التحتية وآخره هاء — من أشهر أودية الطائف، أكثرها سُكَّاناً، فيه قرى وبساتين كثيرة (أنظر مجلة «العرب» س ٩ ص ٦٦٤ الى ص ٦٧٦.
(١١) كلمة غير واضحة.
(١٢) ولد سنة ٨٦٢ وتوفي سنة ٩٣٠ (راجع : شذرات الذهب : ١٨٦/٨).
(١٣) ترجمته في : الدرر ١١٦/٣ — شذرات : ٣٢٣/٦، وولادته فيها سنة ٧١٢ انباء الغمر : ٤٠٥/١
(١٤) ترجمته في : الدرر : ١٢٦/٣ — شذرات : ٢٦٧/٦ — أنباء الغمر : ١٨٥/١.
(١٥) ترجمته في : الدرر : ١٣٠/٣ — شذرات : ٣٣٤/٦.
(١٦) ترجمته في : الدرر ١٥٣/٣، وفيها : العبلي عوضاً عن البعلي.
(١٧) ترجمته في : الدرر. ١٥٨/٣.
(١٨) ترجمته في : الدرر : ١٦٠/٣.
(١٩) ترجمته في : الدرر : ١٦٢/٣.
(٢٠) ترجمته في : الدرر ١٦١/٣ — شذرات : ٣٠٨/٦ — أنباء الغمر ٣٤٢/١.
(٢١) ترجمته في : الدرر : ١٦٧/٣.
(٢٢) ترجمته في : الدرر ١٧٣/٣، وفيها : الحلبي عوضا عن الخليلي.
(٢٣) ترجمته في : الدرر : ١٨٠/٣ — أنباء الغمر : ٣٦٠/١.
(٢٤) ترجمته في : الدرر : ١٨٦/٣ — أنباء الغُمر : ٤٦١/١ — شذرات : ٣٤٠/٦، وتوفي سنة ٧٩٥.
(٢٥) ترجمته في : الدرر ٢١٦/٣.
(٢٦) ترجمته في : أنباء الغمر : ٣٠٩/٢ — شذرات : ٧٠/٧.
(٢٧) ترجمته في : الدرر : ١٠٢/٣ — شذرات : ٢٢٢/٦
(٢٨) ترجمته في : الدرر : ١٦٨/٣.
(٢٩) ترجمته في : الدرر : ٢٢١/٣ — إنباء الغمر : ١١٧/١ — شذرات : ٢٥٣/٦.
(٣٠) ترجمته في : الدرر ٢٢٣/٣ — إنباء الغمر : ٤٦/١ — شذرات : ٢٣٣/٦.
(٣١) ترجمته في : الدرر : ٢٢٨/٣.
(٣٢) ترجمته في : الدرر : ٢٢٨/٣ — إنباء الغمر : ١١٨/١.
(٣٣) ترجمته في : الدرر : ٢٣٥/٣، وولادته فيها سنة ٦٧٩، وقال ابن حجر : وهم من أرَّخه بعد ذلك فإنه أُحْضِر على المجد بن حملون في الأولى من عمره في صفر سنة ٨٠ — إنباء الغمر : ١٤٢/١ ويقول ابن حجر حول سنة ولادته : ولد سنة ثمانين على ما كتب بخطه، لكن وجد له حضور فيها فيحتمل أن يكون ولد في التي قبلها ولكن وجد بخط البرزالي ان مولده في رجب سنة اثنتين وثمانين — شذرات ٢٥٨/٦.
(٣٤) ترجمته في : الدرر : ٢٣٧/٣ — إنباء الغمر : ٢٢٧/١.
(٣٥) انباء الغمر : ٢٤٥/٢ — شذرات : ٥١/٧.
(٣٦) ترجمته في : الدرر : ٢٤٢/٣.
(٣٧) ترجمته في : الدرر : ٢٤٨/٣ — إنباء الغمر : ٨٨/١.
(٣٨) ترجمته في : الدرر : ٢٥٠/٣ — إنباء الغمر : ٤٢٦/١ — شذرات : ٣٢٩/٦.
(٣٩) ترجمته في : إنباء الغمر : ٢١٦/٢ — شذرات : ٤٤/٧.

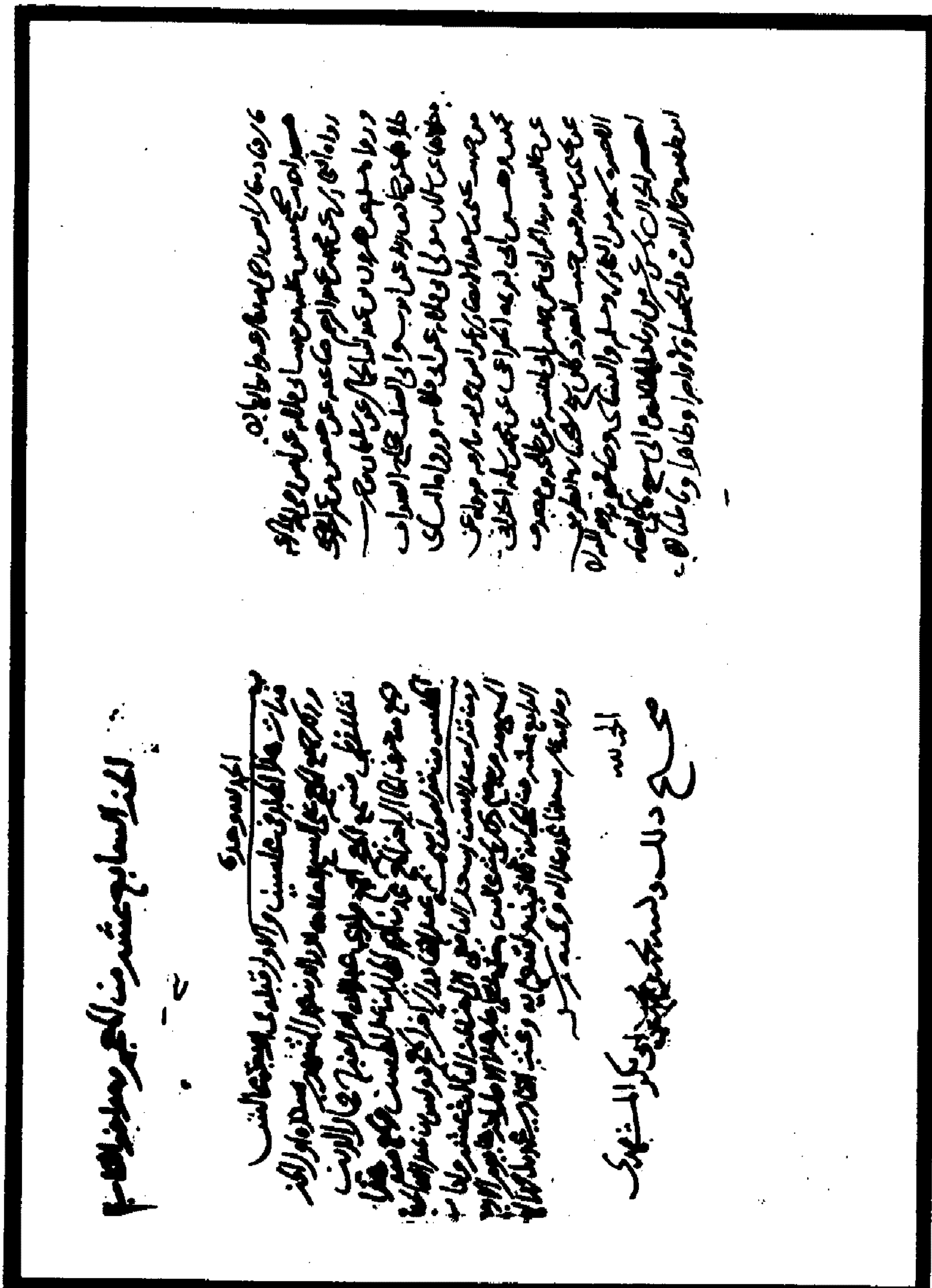
(٤٠) ترجمته في : الدرر : ٢٥٦/٣ .
(٤١) ترجمته في : الدرر : ٢٦٦/٣ .
(٤٢) ترجمته في : الدرر : ٢٦٢/٣ — إنباء الغمر : ١٤٣/١ .
(٤٣) ترجمته في : الدرر : ٢٧٥/٣ .
(٤٤) ترجمتها في : الدرر : ٣٤٠/٢ .
(٤٥) ترجمتها في : الدرر : ٣٤٠/٢ — إنباء الغمر : ٣٤٣/١ .
(٤٦) ترجمتها في : الدرر : ٣٣٩/٢ — إنباء الغمر : ٤٢٥/١ — شذرات : ٣٢٨/٦ .
(٤٧) ترجمته في : الدرر : ٣١٢/٣ — إنباء الغمر : ٥١٩/١ — شذرات : ٣٥٤/٦ .
(٤٨) ترجمتها في : انباء الغمر : ١٦٦/١ .
(٤٩) ترجمتها في : الدرر : ٣٠٢/٣ — انباء الغمر : ٢٤٩/١ — شذرات : ٢٨٠/٦
(٥٠) ترجمتها في : الدرر : ٣٠٢/٣
(٥١) ترجمتها في : الدرر ٣٠٦/٣ ، وفيها : سمع منها أبو حامد بن ظهيرة بعد السبعين .
(٥٢) ترجمتها في : الدرر ٣٠٧/٣ .
(٥٣) ترجمتها في : الدرر : ٣١٦/٣ .
(٥٤) عن الدرر الكامنة .
(٥٥) يعرب بابن قسيم ، وقد سمع منه ابن ظهيرة بعد السبعين وله ترجمة في : الدرر : ٣٢٠/٣ .
(٥٦) ترجمتها في : الدرر : ٣٥٤/٣ — شذرات : ٢٥٣/٦ وفيها : كليم .
(٥٧) ترجمته في : الدرر : ١٠٧/٥ — شذرات : ٦٩/٦ .
(٥٨) ترجمته في الدرر : ١١٠/٥ .
(٥٩) ترجمته في : الدرر : ١٤٣/٥ .
(٦٠) ترجمته في : شذرات : ٢٥٩/٦ — انباء الغمر : ١٤٨/١ .
(٦١) ترجمتها في الدرر : ١٥٧/٥
(٦٢) ترجمته في : الدرر : ١٦٠/٥
(٦٣) ترجمته في : الدرر : ١٦٣/٥ — انباء الغمر : ٤٦٦/١ — شذرات : ٣٤٣/٦ .
(٦٤) ترجمتها في : الدرر : ١٦٣/٥ ، والغريب أن صاحبة الترجمة في عداد الرجال في كتاب الدرر .
(٦٥) ترجمتها في الدرر : ١٧٠/٥ . سمعت من القطب اليونيني . وسمع منها ابن ظهيرة بعد السبعين .
(٦٦) ترجمته في : الدرر : ١٧٤/٥ .
(٦٧) ترجمتها في : الدرر : ١٧٧/٥ .
(٦٨) ترجمته في : الدرر : ١٨٥/٥ — شذرات : ٢٢٥/٦ .
(٦٩) ترجمته في : الدرر : ٢٠٤/٦ .
(٧٠) ترجمته في : الدرر : ٢٠٥/٥ — انباء الغمر : ٤٤٩/١ — شذرات : ٣٣٦/٦ .
(٧١) ترجمته في : الدرر : ٢٢١/٥ — انباء الغمر : ٥٢١/١ — شذرات : ٣٥٥/٦ .
(٧٢) ترجمته في : الدرر : ٢٣٨/٥ — انباء الغمر : ١٤٩/١ .

المراجع المعتمدة في البحث :

— إنباء الغمر بأنباء العمر لابن حجر العسقلاني ، تحقيق الدكتور حسن حبشي ، القاهرة ١٩٦٩ — ١٩٧١
— الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر .
— شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ، طبع بيروت (٨ أجزاء)
— الضوء اللامع للسخاوي ، طبع القاهرة وتصوير بيروت
— العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للتقي الفاسي ، تحقيق فؤاد السيد ، القاهرة ١٩٦٢
— معجم شيوخ عمر بن فهد المكي (مخطوط) نسخة برلين رقم ١٠١٣١



بداية الجزء الخامس عشر من المعجم



بداية الجزء السابع عشر من المعجم وعليه نص القراءة والسماع

— ٥١ —

١ — رجاء :

يقترب «المعجم» بهذه الحلقة من نهايته . وكان المؤلف يرجو ، ويُلحُّ في الرجاء ، أن يُنقد عَمَله ، بمعني أن يُبيِّن القاريء — أيُّ قارىء — ما فيه من نقص ويصلح ما فيه من خطأ .

ولكن الذي كان يصل إليه من صدى رجَائِه أقلُّ من القليل .

واليوم ، يعود الى الرجاء وربُّما إلى العتاب ، ويطلب مجدَّداً تنبيهه إلى النقص والخطأ ، وتزويده بما يخدم المعجم ولا سيّما تراجم أو تعريفات موجزة بالمؤلفين الواردة أسماؤهم .

ويُعلن أنَّ جزءاً غير قليل من المسئولية سيقع على القاريء — والعالم — إذا استمر الخطأ في في المعجم ، وإذا تبيّن لقاريء المستقبل خطأ جديد .

والمؤلف ينتظر — مُتفائلاً — أن تصل إليه الملاحظات عن طريق مجلة «العرب» أو على عنوانه : ١٤/٤/٢٣ — الجادرية — بغداد) — مع الشكر سلفاً .

٢ — ملاحظة واستدراك :

انتهينا من «م — ط» مطبعة ، مطابع ومعها : صحافة (جريدة ، مجلة ، نشرة ..) ومكتبة (مكتب ، مكاتب) ..

جمعنا بينها استدراكاً ولانسجام بين موادها . ويمكن أن تستكمل مادتها بموادّ سبقت (مط) ومواد ستَلحقُ .. ولا سيما في المواد الرسمية للمملكة والوزارات .

ويرجع في مادة المجلس الأعلى للتخطيط — إلى (الهيئة المركزية للتخطيط) .

ويرجع في (مجلس الشورى) و(مجلس الوزراء) إلى (المملكة العربية السعودية): اتفاقيات وأنظمة ونظام:

وتُستكمل مادة (المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر) بـ(وزارة الإعلام) تُستكمل وتتكامل.

وفاتنا أن نُسَجِّل مطبوعات (مركز الأبحاث والتنمية الصناعية) ومردُّ ذلك تأخر نشأته — كما يبدو — فما وجدناه — وهو منقول عن شكري — لم يرجع الى أسبق من ١٣٨٨/ ١٨٦٨ — علماً أنه كله ورد على (الاستنسل).

وهذه هي مطبوعاته:

مركز الأبحاث والتنمية الصناعية:

١ — الاستثمارات الأجنبية: في المملكة العربية السعودية

الرياض ١٣٩٠، ٧٠ ص (استنسل)

٢ — دراسات عن الجَدْوى الاقتصادية وفرص الاستثمار:

الرياض ١٩٧٠، ٣٢ ص (استنسل)

٣ — دراسة عن المشكلات الصناعية

الرياض ١٩٧٠، ٢٤ ص (استنسل)

٤ — صناعة الاسمنت في المملكة العربية السعودية

الرياض ١٣٩٠/ ١٩٧٠، ٥١ ص (استنسل)

٥ — الصناعات في المملكة العربية السعودية

جمادى الثانية ١٣٨٩هـ ٤٢ صن، استنسل (الكتيب الأول: الصناعات والمصانع).

٦ — العمل الصناعي السعودي — ١٣٨٨ — ١٣٨٩

صَمَّم الدراسة وأشرف عليها محسون بهجت جلال — الرياض ١٣٨٩هـ ٣ جـ (بالاستنسل)

في «المركزية» العمل الصناعي في جدة ١٣٨٨/ ١٣٨٩
الرياض ١٣٨٩ ، ١٢٧ ص + ملاحق ٢٦ ص .

٧ ــ ملاحظات حول اختلاف وجهات النظر فيما يتعلق بتوسعة طاقة مصنع الشركة العربية المتحدة .

الرياض ١٣٩٠ ، ٢٠ ص (بالاستنسل)

مطلب عبدالله النفيسة

١ ــ واجبات الموظف العام

ينظر معهد الإدارة .

معهد الإدارة العامة :

١ ــ الإدارة العامة :

نشرة دورية يصدرها معهد الإدارة المجلد الأول ــ جمادى الأولى ١٣٨٣/ سبتمبر ١٩٦٣ ، ١٠٥ ص . جده ــ مطابع الأصفهاني العدد الثاني ــ شوال ٨٣/ فبراير ٦٤ ، ٩٥ ص . الرياض ، المطابع الوطنية .

العدد الثالث ــ ربيع الثاني ١٣٨٤/ أغسطس ١٩٦٤ ، ٦٥ص عدد خاص : الاصلاح الإداري في المملكة العربية السعودية د.ت. .

٢ ــ الإصلاح الإداري : ينظر العدد الثالث من «الإدارة العامة» .

٣ ــ تطور الحكم والإدارة في المملكة العربية السعودية :
تأليف محمد توفيق صادق استاذ معهد الإدارة العامة (المؤلف مصري؟) .
الرياض ١٣٨٥/ ١٩٦٥ ، ط ١ ، مطابع نجد التجارية ١ ــ ٩ ــ ١٥ ــ ٢١ ــ ٢٠٠ ــ ملاحق ٢٤٤ + الخرائط التنظيمية ــ ٢٦٦ + ١ (فيه سبعة ملاحق وخمسة وعشرون جدولاً) .
مطبوعات معهد الإدارة العامة ــ ٤ .

وعن عناني :

الباب الأول : فترة التأسيس ١٣٤٤ — ١٣٧٢ هـ/ ١٩٢٥ — ١٩٥١ م : تأسيس المملكة العربية السعودية ، الإدارة في نجد والاحساء ، الإدارة في الحجاز .

الباب الثاني الفترة الحديثة ١٣٧٠/ ١٩٥١ ، مجلس الوزراء ، الوزارات ، أجهزة الرقابة ، المجلس الاعلى للتخطيط ، المؤسسات العامة ، التقسيمات الإدارية المحلية ، البلديات . خاتمة .

الملاحق : أسماء الوزراء الذين تعاقبوا على الوزارات منذ تأسيس كل منها الى الوقت الحاضر . جداول الوظائف والمراتب والمرتبات الملحقة بنظام الموظفين القديم الذي صدر سنة ١٣٦٤/ ١٩٤٥ . جداول مراتب ودرجات وتصنيف موظفي داخل وخارج الهيئة المرفقة بتعليمات الكادر العام التي صدرت سنة ١٣٧٣/ ١٩٥٣ — كادر موظفي داخل وخارج الهيئة الملحق بنظام الموظفين الذي صدر سنة ١٣٧٧/ ١٩٥٨ ، ميزانية المملكة العربية السعودية سنة ١٣٦٧/ ١٩٤٨ ، إيرادات المملكة من استثمارات الزيت ما بين ٧٤ — ١٣٨٤ هـ .

٤ — الخدمة المدنية في المملكة العربية السعودية دراسة وتحليل :

تأليف الدكتور خليل الغلاييني (مصري؟) دكتوراه في الإدارة العامة . خبير ديوان الموظفين وأستاذ الإدارة العامة غير المتفرغ بجامعة الملك سعود (جامعة الرياض فيما بعد) ثم جامعة الملك سعود الآن .

ط ١ ، الرياض ، ١٣٨٢ ، ٩ — ٨٨ مراسيم ١٠٠ — ١٠٤ (مراسيم وخطوط بيانية وجداول) .

مطبوعات معهد الإدارة العامة — ٢

للمؤلف : مباديء الإدارة العامة ، دار الكتاب العربي بالقاهرة ١٩٥٨ .

من مصادر المؤلف : نظام الأمراء السعودي صدر في ١٣ محرم ١٣٥٩ . النظام العام لأمانة العاصمة والبلديات ٢٠ رجب ١٣٥٧ .

ملاحظة : لم أطلع على مطبوعات معهد الإدارة ، رقم ١ ، ٣ .

وقد يكون من المفيد أن أذكر أنه في مدة إقامتي في الرياض كان من أساتذة المعهد : خالد عبد الوهاب العاني (عراقي) وقد رأيت عناني يذكر له كتابين : د.ت. هما : ادارة الضرائب ، الرياض ، و٦٨ ص ، المالية العامة ، الرياض ٦٧ ص . وينظر مطلب النفيسة .

٥ — دليل السكرتارية :

قال شكري :

سيد حسب الله — دليل السكرتارية ، الرياض ، معهد الإدارة العامة ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ ، ٩٤ ص .

وأعاد الكلام مرة أخرى تحت : معهد الإدارة العامة .

٦ — دليل عمليات البريد :

شكري : مبارك سري عمر . الرياض ، معهد الإدارة العامة ١٣٨٨/ ١٩٦٨ ، ٣١ ص ، وأعاد الكلام تحت : معهد .

٧ — دليل معهد الإدارة العامة :

لعام ١٣٨٧ — ١٣٨٨/ ١٩٦٧ — ١٩٦٨ . الرياض ١٩٦٨ ، ١٠٠ ص — شكري .

٨ — كتاب السكرتارية والأعمال المكتبية :

الرياض . معهد الإدارة العامة ١٣٩٠ ، ١٦٨ ص — شكري .

٩ — مجلة الإدارة العامة :

الرياض ١٣٨٣ — ١٩٦٣ «متخصصة بالإدارة العامة» شكري . تنظر المطبعة .. الصحافة .

معهد الإدارة العامة : أهدافه ، برامجه ، نظامه .

الرياض ، مطابع الرياض ١٣٨٠ ، ٣ ، ٥ ، ٧ — ٢٠ + ١ ص ص .

١٠ — نشرة دوريّة عن الإدارة العامة :

الرياض ١٣٨٦/ ١٩٦٦ ، العدد السابع ١٤٧ ص ، ١٤٧ ص باللغة العربية + ٤٥ ص باللغة الانجليزية — شكري .

١١ ــ نشرة مكتبة الإدارة :

الرياض ١٣٩٠/ ١٩٧٠ ــ ثلاثة أعداد لهذه السنة الأولى .. شكري .

١٢ ــ نظام الموظفين العام ونظام الوظائف المؤقتة :

تأليف عبد العزيز المهنا ، ط ٣ ، الرياض ١٣٨٦ ، ٢٦٢ص ــ شكري .

١٣ ــ واجبات الموظف العام وتأديبه

تأليف مطلب عبدالله النفيسة والكتاب (دراسة حول النظام التأديبي السعودي) . الرياض ، معهد الإدارة العامة (١٣٨٦ ، ٨٤ص ــ شكري يحيي ساعاتي وعبدالله القحطاني ص ٢٧) .

معهد أنجال جلالة الملك المعظم :

تابع لوزارة المعارف (تنظر)

١ ــ شخصيات من التاريخ :

الرياض ، مطابع الرياض ١٣٨١ ، ٦٣ص ــ شكري .

معهد العاصمة النموذجي :

تابع لوزارة المعارف (تنظر) وفيه الجمعية الأدبية تقدم .

١ ــ الملك عبد العزيز موحد الجزيرة العربية :

الرياض ، مطابع نجد التجارية ١٣٦٨/ ١٩٦٦ ، ٥ ــ ٣٥ ص . ولدى شكري : د.ت. ٤٩ص ١٠ ص بالانجليزية .

معهد المعلمين الثانوي بالرياض :

جاء في جريدة «البلاد» ٢٢ صفر ١٣٨٧/ ١٩٦٧ : معهد.. يُصْدر بحثاً أول بحث علمي قام به طلاب السنة الثانية ــ نظام جديد ، وموضوع البحث : **التخلف العقلي** ، وقام بالاشراف عليه الأستاذ توفيق الجندي (ليس سعودياً) مدرس البحث العلمي بالمعهد .

مفوضية المملكة العربية السعودية :

جاكارتا :

١ ــ مشكلة البريمي

جاكارتا ، مطبعة المنار ١٩٥٦ ، ٥٦ ص بالعربية ، ٣١ص بالانجليزية ، عناني .

مقبل العيسي :

شاعر . ولد في مدينة عنيزة عام ١٣٤٩ هـ .

قضي السنوات الخمس الأولى من حياته متنقلاً مع أسرته بين مكة والمدينة وينبع .

توفي والده وهو في السادسة . تقول رواية المنهل ص ٨٩٢ : دخل المدرسة الابتدائية الحكومية بالطائف وأخذ شهادتها الابتدائية .

ويقول الحقيل في الجزء الأول من كتابه شعراء العصر الحديث ص ٢٢٨ : (توفي والده .. فظل بالمدينة حتي العاشرة من عمره ..) .

ومثله «المكتبة الصغيرة» .. وفيهما : انتقل بعدها إلى مكة وظل بها حتي حصل على شهادة مدرسة تحضير البعثات حيث ابتعث الى القاهرة سنة ١٩٥٠ ميلادية ــ وحصل على (ليسانس) الحقوق.

عيِّنَ بوزارة الخارجية ملحقاً سياسياً ، وتقلب في عدة وظائف من الوزارة حتي وصل الى رتبة سكرتير ثان في وزارة الخارجية .. عمل في بيروت وسويسرا .

وتتفق المنهل معهما في المعلومات وربما كان الشاعر نفسه مصدرها في كل حال ــ لم ترد له ترجمة ــ ومختارات ــ في كتاب «شعراء نجد المعاصرون» .

الشاعر مجيد مع مسحة من التشاؤم .. نذكره هنا لِدَارسي الأدب ، وإلاَّ فلم يكُنْ له شعر مجموع خلال المدة التي يتناولها المعجم . طبع له بعد ذلك .

قصائد من مقبل العيسي :

الرياض ، شركة مطابع الجزيرة ، ١٣٩٢ ، ٤٧ص ص ــ سلسلة «المكتبة الصغيرة» الحلقة ٨ ، يشرف على السلسلة : عبد العزيز الرفاعي ــ ينظر . وأقدم قصائده المؤرخة يرجع الى ١٩٦٥ .

مكتب الدعاية للحج :

١ — دليل الحاج :

مكة المكرمة ، مطبعة ام القرى (تنظر مطابع ..) د.ت. ، ٣٠ ص — عناني .

المكتب العربي السعودي للتأليف والنشر :

أنشأه الأساتذة : عبد الكريم الجهيمان وعبدالله الملحوق ومحمد عودة (فلسطيني) في بيروت في أواخر عشر الستين من القرن الماضي .

١ — السعوديات الكبرى :

بيروت . د.ت ١٥٨ ص — من صفحة العنوان : (تحية الشعراء لحضرة صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبد العزيز... ولي عهد المملكة العربية السعودية .. بمناسبة زيارته التاريخية الرسمية للبنان وسوريا والعراق) عناني .

مكتب ، مكتبة

ينظر مطابع ..

ملاحظة : الملا علي القارى :

اسمه علي ، وهو علي بن سلطان بن محمد (ينظر) الهروي ، لقبه نور الدين ، ومُلاّ تُقال للشيخ المعلم...

في كتاب «المختصر كتاب نشر النور والزهر» ج ٢ ص ٣١٨ — «... ثم المكي الحنفي .. علامة زمانه .. قرأ ببلده ثم رحل الى مكة — وتديَّرها وأُخذ بها على .. الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي .. وقطب الدين المكي ،.. وتآليفه لا تحصي ولا تستقصي ، فمنها التفسير الشريف في أربعة مجلدات .. وشرح قصيدة البردة ، وشرح قصيدة بانت سعاد ، وشرح المشكاة في مجلدات وهو أكبرها وأجلها .. قال.. سمعت من حفيد المترجم بمكة المكرمة أنه قال : ان لجدنا ثلاث مئة من المؤلفات .. وكتبه كلها متداولة ومنتفع بها .. كان مُجَدِّد أهل زمانه .. توفي بمكة سنة ١٠١٤ هـ ، ودفن بالمعلاة .. في الحوطة بجنب المعلاة .

القاريء لقب نفسه لأنه كان حاذقاً في علم القراءة ولهذا قال في بعض مؤلفاته (المقرى) بدل القاريء .

كان من حقه أن يذكر — إذ يذكر — في حرف العين (علي) ، وواضح أنه قبل العهد السعودي كثيراً ، وأهم ما حدا الى ذكره طبع عدد من كتبه بمكة (تنظر المطبعة ..)

وعن معجم المطبوعات لسركيس ننقل .

الحرز الثمين للحصن الحصين . طبع شرح عليه لعثمان وهبي القونوي ، مكة ١٣٠٤ .

الحزب الأعظم والورد الأفخم لانتسابه واستناده الى الرسول الأكرم — جمع فيه ما ورد من الحديث والأدعية .

طبع حجر ، مكة ١٣٠٧ (ط حجر استانة ١٢٦٢ ، بولاق ١٣٠٠ ، ١٣٠٧) .

المسلك المتقسِّط في المنسك المتوسِّط ، على كتاب لباب المناسك للشيخ رحمه الله السِّندي ، وبهامشه كتاب أدعية الحج والعمرة ، وما يتعلق بهما ، جمع قطب الدين الحنفي . الطبعة الأولى ، مكة المكرمة المطبعة الميرية ١٣١٩هـ ٣٠٨ ص + ٤ص فهارس .

المنح الفكرية بشرح المقدمة الجزريَّة في علم تجويد القرآن المجيد وبهامشه شرح طاش كبرى زاده على المقدمة المذكورة .

مكة . الميرية . ١٣٠٣هـ ١١٩ ص .

المملكة :

المملكة العربية السعودية (الثالثة)

نشأت الدولة على الغاية من البساطة : عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود ، خرج من الكويت بعدد محدود .

واستولى على الرياض في ٣ شوال ١٣١٩ هـ / ٥ كانون الثاني ١٩٠٢ م وضم إليها ما هو قريب منها .

وازداد العدد حوله .

مع توزيع بسيط للمهمات .

حتى إذا اطمأن وتمكن مضي يتوسع بالفتح .

فكان فتح الاحساء في ٥ جمادى الأولى ١٣٣١/ ١٣ نيسان ١٩١٣ والاستيلاء على عسير في شوال ١٣٣٨/ تموز ١٩٢٠ . وسقوط حائل في ٢٩ صفر ١٣٤٠/ ٢ تشرين الثاني ١٩٢١ ، وبذلك قضي على إمارة آل رَشِيْد .

ولم يبق بُدٌّ من فتح الحجاز والقضاء على حكومة الشريف حسين .

وهكذا كان سقوط الطائف في ٧ صفر ١٣٤٣/ ١٨ تشرين الأول ١٩٢٤ واحتلال مكة في ١٨ ربيع الأول ١٣٤٣/ ١٨ تشرين الثاني ١٩٢٤ وتسلم المدينة بعد حِصَارٍ دام عشرة أشهر في ١٩ جمادى الثانية ١٣٤٤/ ٥ كانون الأول ١٩٢٥ .

وحوصرت جدة (وتنازل الملك حسين لابنه علي) وسقطت بعد سنة كاملة من الحصار في ٦ جمادى الثانية ١٣٤٤/ ٢٢ كانون الأول ١٩٢٥ .

وكان أنصار عبد العزيز يَزْدادون كل يوم ، ويستعين بعدد منهم على مُهمات معيَّنة ، وبينهم حجازيُّون .

وانضم إليه عدد لا بأس به من عرب خارج الجزيرة ، ولا سيا من السوريين (ينظر من هؤلاء العرب : خير الدين الزركلي ، فؤاد حمزة ، فؤاد الخطيب) وغيرهم مثل حافظ وهبة — من مصر .

وكانت الضرورات الجديدة تستدعي نُشوء تنظيمات مناسبة ومن هنا :

كان المجلس الأهلي (حين دخول مكة)

والإدارة المالية

وظلَّت تَنْمو حسب الحاجة .. وتُنشأ مديريات عامة

ولم يكن ضرورة لانشاء الوزارات .

وكانت القاب عبد العزيز تتغير وتتطور ، تَبعاً لسعة سلطته وتوالي الفتوحات .

فقد كان الأمير والإمام

ثم سلطان نجد

ثم ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها (في ١٧ جمادى الأولى ١٣٥١/ ١٩ أيلول ١٩٣٢ — أصدر عبد العزيز (سلطان نجد) أمراً بأن يكون لقبه : ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها فكان ابتداء من يوم الخميس ٢١ جمادى الأولى ١٣٥١/ ٢٣ أيلول ١٩٣٢ .

وصار ملك المملكة العربية السعودية

وفي ذهني أنَّ أحد مساعدي الملك من العرب هو الذي اقترح اسم « المملكة العربية السعودية » .

ومضي الملك يُنظم حكم هذه الرقعة الواسعة وضَبْط أمورها وليلاحظ أنه في بداية الأمر اتخذت مكة المكرمة عاصمة للمملكة العربية السعودية .

واتخذت جدة مقراً للبعثات الأجنبية .

وكانت الدولة تنتقل صيفاً الى الطائف فتكون الطائف بذلك العاصمة الصيفية .

أما مقر الملك عبد العزيز فهو الرياض

ومن هنا كان لا بُدَّ من نائب له في الحجاز .

وكان هذا النائب ولده فيصل (ابتداء من ١٣٤٤/٦/٢٨) وكان من الدوائر الرسمية التي تذكر :

مجلس الشورى (وهو تطور للمجلس الأهلي)

مجلس المعارف

البلدية

الصحة

البريد والتلغراف

الشرطة

إدارة الأمور العسكرية ثم رئاسة الأركان الحربية

مديرية الشؤون الخارجية (١٣٤٤).

وتحوّلت مديرية الشؤون الخارجية الى وزارة الخارجية وتحوّلت الإدارة المالية الى وزارة المالية.

يقول الأستاذ محمد علي مغربي في كتابه «أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر — تهامة. جدة ١٤٠١/ ١٩٨١» لدى كلامه على عبدالله السليمان الحمدان (ص ص ١١١ — ١٢١) ص ١١٣:

(كانت أمور الدولة مقسمة الى قسمين أو على الأصح بين رجلين: الرجل الأول هو صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ... وكانت وظيفته الرسمية النائب العام لجلالة الملك في الحجاز وكان مرجعاً للشؤون الداخلية فكانت الشرطة والمعارف والبلديات والصحة والبريد والتلغراف تابعة له. كما كان يتولى الشؤون الخارجية وهي تمثيل جلالة الملك عبد العزيز في الخارج، كما كانت اتصالات السفراء الأجانب ومفاوضاتهم تتم عن طريق مكتب وزارة الخارجية، ويرجع الى سموه في كل الأمور الخارجية، وهو يعرض بدوره ما يرى عرضه على والده .. الملك عبد العزيز.

وكان بين المؤسسات المهمة مما أنشأه الملك عبد العزيز وجعل مقره مكة: مجلس الشورى تأسس عام ١٣٤٥ وجعل النائب الأول عنه هو الأمير فيصل ؟!

ويقول الأستاذ مغربي ص ٦٧ لدى كلامه على السيد صالح بن بكري شطا الذي صار النائب الثاني لمجلس الشورى: «ولعله من المناسب أن نذكر هنا أن مجلس الشورى كان له تأثير كبير في شؤون الدولة وخاصة من النواحي القانونية والتنظيمية في الوقت الذي لم تكن الوزارات فيه قد تأسست ولم يكن هناك مجلس للوزراء وكانت جميع الأنظمة التي تفكر فيها الدولة تحال إلى المجلس لصياغتها أو دراستها واقرارها .. وكان لرأي المجلس وَزن كبير فيما يعرض عليه».

ويقول مغربي ص ١١٣ — ١١٤:

«أما وزارة المالية التي كان وزيرها الشيخ عبدالله السليمان، فكانت تمثل في الواقع كل شيء في الدولة باستثناء ما ذكرناه من مهام النائب العام لجلالة الملك، فكانت

وزارة المالية هي المرجع في الشؤون المالية جميعها . كما كانت تقوم — إذا صح التعبير — بأعمال وزارة الأشغال والحج والدفاع وأعمال الخاصة الملكية .

وكان الشيخ عبدالله السليمان يتلقّى صلاحياته من ثقة .. الملك عبد العزيز الشخصية فكان يتمتع بسلطة عظيمة لا نُغالي إذا قلنا : إنه كان ينفرد بها طيلة السنوات الطويلة التي قضاها في منصبه العظيم .

ولقد قام بتدوين الدواوين في وزارة المالية وأسْند رئاستها إلى رجال أكفاء . كما قام بتأسيس الدوائر الرسمية في الملحقات الشرقية والجنوبية فتأسست رئاسة أموال وجمارك الاحساء ، كما تأسست رئاسة أموال وجمارك جيزان ، وأخذ ينتدب الرجال المشهود لهم بالقدرة والكفاءة لإدارة هذه المراكز وتأسيسها وتثبيت قواعدها » .

لقد تعددت الدوائر ، وتعقدت ، ونشأت مديريات عامّة .. وحتى عام ١٣٧٠/ ١٩٥٠ لم يكن من الوزارات غير الخارجية والمالية .

وفي عام ١٣٧٣/ ١٩٥٣ توفي الملك عبد العزيز فخلفه أكبر أولاده — ولي عهده — سعود ملكاً ، وفيصل ولياً للعهد ، بنفوذ واسع ، لا يَني يزداد .

وشرع عدد من الادارات يتحوّل تدريجياً ، وحسب الحاجة وضرورات التّطور إلى وزارات تتخذ مقرها في مكة وجدة والرياض .

وكانت هذه الوزارات كما يأتي :

الخارجية — جدة
المالية (والاقتصاد الوطني) — في مكة
الدفاع (والطيران) — في مكة .
الداخلية — في مكة
المواصلات في الرياض
الصحة في الرياض

المعارف في الرياض
الزراعة (والثروة الحيوانية) في الرياض
التجارة (والصناعة) في الرياض
الإعلام — في الرياض .

وأنشئ — كما هو طبيعي — مجلس للوزراء (ورئيس للوزراء) وتكونت الى جانب الوزارات مؤسسات (مثل الخطوط الجوية) ورئاسات (مثل الرئاسة العامة لتعليم البنات) مستقلة عن الوزارات ، مرتبطة بمجلس الوزراء .

وكان مركز مجلس الشورى يضعف كلما قويت أو أنشئت هذه الدوائر وكان مركز «الرياض» السياسي والإداري يزداد يوما بعد يوم .
فقد نُقلت العاصمة إليها .

وتقرر نقل الوزارات إليها من جدة ، وأُقيمت لها البنايات المناسبة في شارع خاص جديد (ما بين مركز المدينة والمطار) وقد نقلت فعلاً ، إلا ما كان من أمر وزارة الخارجية فقد بقيت في جدة ومعها السفارات (والقنصليات) الأجنبية . وان كان قد بدأ تفكير بِنَقْل الخارجية والسفارات الى الرياض ، واختير المكان لها .

وكان هذا النُّمو والتَّطور يقترنُ بنُمو مكانة ولي العهد (فيصل) ونفوذه وتدبيره مقابل ضعف شخصية الملك (سعود) حتى تنازل في ١٣٧٧/ ١٩٥٨م عن جميع سلطاته في الشؤون الداخلية والخارجية والمالية .. الى ولي العهد . الى أن انتهى الأمر بخلع سعود ١٣٨٤/ ١٩٦٤ وتَنصيب فيصلاً ملكاً .

وقد وقفت — خلال بَحثي عن مرجع عامٍّ لتطور جهاز الدولة على كتاب يُوحي بالثقة — على أنه لمؤلف من خارج المملكة ، أقصد : الموسوعة الحديثة للمملكة العربية السعودية ١٣٩٢/ ١٩٧٢ — الدار العربية للموسوعات . حسن الفكهاني — محام ٢٠ شارع عدلي بالقاهرة (ص.ب. ٥٤٣) — مراقب الشؤون القانونية ببنك مصر . ثلاثة مجلدات . الاهداء الى الملك فيصل — والكتاب مُؤيِّد بالوثائق ويدلُّ على استعانة المؤلف باختصاصيين سعوديين .

ونقل هنا مادة نافعة من الجزء الأول من الموسوعة في موضوع «تطور جهاز الدولة — ص ص ١١٨ — ١٢٧ — ونضع المادة في مختبر الشيخ حمد الجاسر للملاحظة وتصحيح الخطأ :

حين دخل عبد العزيز مكة أسس المجلس الأهلي لإدارة أمورها ، وذلك بهدف إشراك الأهالي في إدارة البلاد . وقد كان هذا المجلس نواة لمجلس الشورى العام الذي شُكِّل فيما بعد وتمتَّع بصلاحيات واسعة ، وقام بدور كبير في الحكم خلال ثلاثين عاماً الى أن تألف أول مجلس للوزراء في الدولة[١] .

وعندما دخل عبد العزيز جدة شكل فيها لجنة أهليَّة من أربعة عشر عضواً من الأهالي اختصت بالإشراف على أمور المدينة الداخلية .

وبمبايعة عبد العزيز ملكاً على الحجاز ، واستلام الأمير فيصل حينئذ زمام الأمور اعتباراً من ١٣٤٤/٦/٢٨ هـ ساعده في مهمته مجلس استشاري وشكلت هيئة تأسيسية مكونة من ثمانية أعضاء تم انتخابهم بالاقتراع السري من قبل ممثلين من جميع مدن الحجاز ، وأضاف الملك الى الهيئة خمسة أعضاء آخرين وعيَّن لها رئيساً .

ووضعت هذه الهيئة المواد الأساسية لنظام الحكم والإدارة وصدرت مقترنة بموافقة الملك في ١٣٤٥/٢/٢١ هـ الموافق ١٩٢٦/٨/٣٠ م .

واشتملت هذه التعليمات الأساسية على تسعة أقسام ، تتضمن على أن الدولة ملكية شورية إسلامية ، وان الملك هو السلطة العليا وهو مقيَّد في أحكامه بالشريعة الإسلامية : وتَنُصُّ التعليمات على إنشاء مديريات مختصَّة بمختلف فروع الإنتاج والخدمات ، وإنشاء مجلس شورى ومجالس ادارة في المدن من القائمقام ومعاونة ورؤساء المأمورين وأربعة من الأعيان ، وديوان للمحاسبات ، ومفتشية عامة للتفتيش والمراقبة ، ومجالس بلدية .

وبعد مرور هذا النظام بالتجربة خلال عام ، شكل الأمير فيصل لجنة درست مواطن الضَّعف ، وتقدمت بمقترحات وافق عليها جلالة الملك عبد العزيز تضمنّت تعديل تكوين مجلس الشورى ، وتأليف مجلس للمعارف مهمته الإشراف على شئون

التعليم ، ونظام دائرة البلدية ، وتأليف مجلس تنفيذي لمساعدة النائب العام .

واستمرّ العمل بهذا النظام خمس سنوات لم يطرأ خلالها تعديلات سوى تحويل مديرية المالية الى وكالة المالية وانشاء (مصلحة خفر السواحل) وتحويل مديرية الشؤون الخارجية الى وزارة وإسنادها الى سمو الأمير فيصل النائب العام .

وعقب إنشاء وزارة الخارجية بحوالي سنة صدر (أي في عام ١٣٥٠ هـ الموافق ١٩٣١ م) نظام مجلس الوكلاء وأحدث تعديلات واضافات كثيرة في جهاز الإدارة [....] .

والى عام ١٣٧٠ هـ الموافق ١٩٥٠ م لم يكن جهاز الدولة يضم غير ثلاث وزارات للخارجية والمالية والدفاع . وباتساع نشاط الدولة نشأت حتي عام ١٣٧٣ هـ الموافق ١٩٥٣ م خمس وزارات حديثة للداخلية والمواصلات والصحة والمعارف والزراعة كما نشأ عدد من الإدارات الحديثة مثل مديرية شئون الزيت والمعادن ومديرية العمل والعمال .

... وفي نفس هذا العام أصدر الملك عبد العزيز مرسوماً يقضي بتأليف مجلس الوزراء . وقد أرجأت وفاة الملك عبد العزيز انعقاد المجلس حتي قدر له أن ينعقد في ١٣٧٣/٧/٢ هـ الموافق ١٩٥٤/٣/٧ .

وأعيد النظر في نظام مجلس الوزراء ، فأصدر جلالة الملك مرسوماً ملكياً رقم ٣٨ في ٢٢ شوال ١٣٧٧ هـ الموافق ١٧ مايو (ايار) ١٩٥٨ م بالنظام الجديد لمجلس الوزراء . ونشر في العدد ١٧١٧ من جريدة «أم القرى» بتاريخ ٢٧ شوال ١٣٧٧ هـ وهذا نصه :

(... سعود ... لا تصدر الأنظمة والمعاهدات والاتفاقيات الدولية والامتيازات إلا بموجب مراسيم ملكية يَتمّ اعدادها بعد موافقة مجلس الوزراء ..)

وبموجب الأمر الملكي رقم ٤٢ الصادر في ٨١/١٠/٩ هـ أصبح سمو الأمير فيصل (حينئذ) نائباً عن جلالة الملك يتمتّع بجميع الصلاحيات التي كان يتمتع بها جلالة الملك ..)

وقد ازدادت الدولة في عهده هيبة في الداخل والخارج .

وهكذا كان الأمر ، لدى اعداد «معجم المطبوعات» هذا بين ١٣٨٣ هـ ١٣٨٨/ ١٩٦٣ — ١٩٦٨ تضاف الى ذلك سنتان لينتهي بمواد نِهاية ١٣٩٠/ ١٩٧٠ .

وتأتي صلة «المملكة العربية السعودية» «بمعجم المطبوعات» من أكثر من جهة . وقد ثبتنا في «مقدمة» المعجم ١٣٨٤/ ١٩٦٤ أهميّة ما صدر عن الجهات الرسمية من مطبوعات مما يؤدي إغفالها — ولا سيا في مطبوعات دولة ناشئة — الى نقص في العمل ، وتقصير في الغاية التي وضع من أجلها في خدمة الباحثين في الميادين المختلفة فكان القرار المبكر بادخال هذه المطبوعات — باستثناء المدرسية منها — في المعجم .

وَلَمْ نَرَ — منذ البداية — أن نقصر إدراج المطبوعات الرسمية (والدينية — وهي رسمية أيضاً) على حرف واحد هو حرف الميم : المملكة : المملكة العربية السعودية لأنَّ ذلك يُعقّد عمليّة المراجعة أو يضعفها فقد يكون الكتاب صادراً عن إدارة أو امانة أو رئاسة ، أو مديرية ، أو معهد ، أو مؤسسة ، أو وزارة ، أو هيئة ... فيرجع الباحث الى هذه الحروف فلا يجدها فَيَيأس ، وكتابنا معجم ، وأقل ما يعنيه المعجم مراعاة ترتيب حروف الهجاء للمؤلفين .

ومع هذا ، فلا مَفرَّ من تخصيص مكان من حرف الميم (المملكة) ، وهكذا كان ، وهو ما ترى . فماذا نضع تحت حرف الميم (المملكة) من مؤلفات ؟

ان كل ما صدر عن الدوائر المختلفة (بما فيها الدينية) صادر في جملته عن «المملكة» وقد وزعناه — ونوزعه — على دوائره المباشرة ، واحتفظنا للمملكة بأعلى ما يمكن أن يصدر عنها بتوقيع الملك . وهذه ، هي — عادة — الأنظمة (والمراسيم) والاتفاقيات وكان يمكن أن توضع تحت كلمة «مجلس الشورى» أو «مجلس الوزراء» ولكن هذين المجلسين لا يصدرانها إلا بعد موافقة الملك .

وكان يمكن أن توزع هذه الأنظمة والاتفاقيات ، على الوزارات المختلفة في حدود ما يخصُّ الواحدة منها . ومن الأنظمة ما كان لوزارة المالية (وهو الأكثر) ، ومن الاتفاقيات ما كان مرده الخارجية (وهو الأولى) وقد حال دون ذلك أمران :

الأول ــ أنها (أي الانظمة والاتفاقيات) لا تصدر عادة عن الوزارات حتي عندما تُعدُّها هذه الوزارات ، ولا تصبح أنظمة واتفاقيات نافذة المفعول من غير مرورها بمجلس الوزراء (أو الشورى) ثم توقيع الملك عليها .

الثاني ــ أنَّ من الأنظمة والاتفاقيات التي بلغنا العلم بها ما كان منسوباً لدى طبعه الى وزارة معينة ، ومنها ما لم يكن منسوباً أو أننا لم نَصِلْ الى العلم به مباشرة لنرى الجهة التي أعَدَّتْهُ .

فلو أننا وزَّعنا الأنظمة والاتفاقيات على الوزارات التي أعدتها وهي ذات الصلة بها والاختصاص بتنفيذها لبقي بأيدينا عدد لا نعرف وزارته على وجه التأكيد .. هذا إلى أن الوزارات لم تُنشأ في وقت واحد... وكثيراً ما كان لوزارة أُنشئَت أخيراً نشر باسم الوزارة التي كانت جُزءاً منها قبل أن تستقل .

وحَلاً لهذا الإشكال ، ولأن الأنظمة والاتفاقيات تصدر موقعة من أعلى سلطة في البلاد فضَّلنا إدراجها تحت كلمة «المملكة» ــ مع الإحالة على المملكة لدى سرد المطبوعات الصادرة عن الوزارات المختلفة . ثم إننا نُدْرِج تحت كلمة «المملكة» ــ بعد الانتهاء من الأنظمة والاتفاقيات الجهات التي يَرجع إليها الباحث ليستكمل مادَّته الصادرة عن جهات رسمية .

وليلاحظ ــ هنا ــ أننا لم نقف عند الوزارات وحدها وحدات للمطبوعات الرسمية ، وإنّما ذكرنا هذه المطبوعات تحت اسم الوزارات إذا كانت صادرة عن وزارة ، وتحت مصطلحات إدارية مثل : إدارة ، أمانة ، رئاسة ، مُديرية ، معهد ، مؤسسة ، وزارة ، هيئة إذا كانت صادرة عن هذه الوحدات والسبب في ذلك أن عدداً من الإدارات وُجِدَ وألَّف وأصْدر قبل أن تتكون الوزارة التي أُلحق بها . ومن أمثلة ذلك البارزة : مديرية الإذاعة والنشر فقد تكونت في جدة قبل أن تكون وزارة الإعلام (في الرياض) هذا إلى ما تتمتع به الرئاسات والمعاهد والمؤسسات والهيئات من طابع استقلالي (تكون فيه ــ عادة ــ تابعة لمجلس الوزراء ــ وليس لوزارة معينة) .

وبعد :

فإن الذي اجتمع لديَّ من الأنظمة والاتفاقيات غير قليل ، ولا بُدَّ هنا ـ من ذكر الأستاذ حسن عبدالله القرشي بالخير لما يسر من سبل الوصول إليها .

ثم حدث أن وزارة المعارف أصدرت سنة ١٣٩٠/ ١٩٧٣ كتاباً باسم «معجم المطبوعات العربية السعودية» إعداد «شكري العناني» وقد فسح مجالاً للمطبوعات الرسمية وفي مقدمتها «الأنظمة والاتفاقيات» . وأصدر الأستاذ شكري عناني نفسه ـ بعد ذلك ـ كتاباً بعنوان «المملكة العربية السعودية ـ دراسة ببليوجرافية ـ الرياض . دار العلوم (ص.ب./ ١٠٥٠) طبع القاهرة ١٩٧٨/ ١٣٩٨» أعاد فيه ما نشر في الكتاب الأول مع الزيادات المناسبة ، ولا شكَّ في أنه بذل جهداً خاصاً ، وكان يُحدِّدُ مكان الطبع واسم المطبعة (مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ـ عادة) وآسف على أني تابعته أحياناً في هذا حتى لدى النقل من أوراقي ـ والصحيح : (مطبعة الحكومة بمكة المكرمة) ويحرص على أن يُثبت الأمر الملكيَّ رقماً وتاريخاً . وسأستعين به لأسُدَّ ما في أوراقي من نقص وأشير إليه بكلمة (عناني) وأنقل عنه ما جاء عن السنتين والنصف الأخيرتين وربما الثلاث من التاريخ الذي يقف عنده المعجم (١٣٨٨ ـ ١٣٩٠/ ١٩٦٨ ـ ١٩٧٠) ويكون النقل في هذه الحال من غير نص .

وأصدرت عمادة شؤون المكتبات بجامعة الرياض «فهرس المطبوعات الحكومية ـ مقتنيات المكتبة المركزية . الرياض ، مطابع جامعة الرياض ١٤٠٠/ ١٩٨٠) ولكن حصة المملكة العربية السعودية منه ضئيلة قياساً على ما كانت المملكة قد أصدرته فعلاً . وليلاحظ أنَّ المكتبة المركزية بالرياض تَحْرص على أن تجعل مكان الطبع : الرياض ، وهذا غير صحيح لأن كثيراً مما نسبتْ طبعه الى «الرياض» هو من مطبوعات مطبعة الحكومة (أم القرى) بمكة المكرمة .

وأخبرني الأستاذ يحيي محمود ساعاتي أن عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك عبد العزيز بجدة قد أصدرت ـ كذلك ـ فهرساً خاصاً بالمطبوعات الرسمية ، ولكني لم أستطع الحصول عليه ، وقد كتبت الى العمادة مرتين ولم أتلقَّ جواباً .

كما كتبت الى السيد مدير معهد الإدارة أُعلمه بمشروعي ، وأرجوه أن يجيبني عن أسئلة في الموضوع ، أو أن يبعث لي — إن أمكن — نُسخة من كتاب صدر عن المعهد (هو تطور الحكم والإدارة في المملكة العربية السعودية تأليف محمد توفيق صادق ١٣٨٥/ ١٩٦٥) فلم أتلقَّ جواباً.

وقد وجدت أجوبة — موجزة — لعدد من أسئلتي في كتاب «الموسوعة الحديثة للمملكة العربية السعودية» بحسن الفكهاني السابق الذكر.

وعلى أي حال ، فإنَّ الذي ذكرته هذه المراجع — ومعها كتابنا هذا لم يبلغ الدرجة النهائية ، ولعله ظل بعيداً عنها ، ولهذا ، فإنه لا بُدَّ لمن ينشد الدقّة والكمال في البحث العلمي أن يرجع الى أعداد الجريدة الرسمية (أم القرى) ، ولا بأس بالرجوع الى «القبلة» قبلها (من العهد الهاشمي).

وأدركت الجهات الرسمية أهمية الاحتفاظ بالوثائق الرسمية ، فكان ان أنشأت «دارة الملك عبد العزيز في ٥ شعبان ١٣٩٢/ ١٩٧٢ . وتأسس في الدارة ، بناء على توجيه المؤتمر الأول لأدباء المملكة العربية السعودية — المنعقد بمكة المكرمة ما بين أول ربيع الأول سنة ١٣٩٤ هـ حتى الخامس منه — بإنشاء «المركز الوطني للوثائق والمخطوطات بالمملكة ، وقد صدرت الموافقة الملكية رقم ٥/ ١٢٦٠٨ بتاريخ ١٣٩٦/٥/٢٠ هـ.

وقد استطاع هذا المركز أن يحصل على وثائق مهمة جداً ومطبوعات رسمية نادرة لا غني عنها لباحث في الموضوع ، وهي فيه مُبوَّبة على خمس مواد :

١ — الوثائق التركية ، صورتها ، مما يتصل بتاريخ الجزيرة والدولة المحيطة ، من استانبول ومصر.. وهي بصدد ترجمتها وإعداد دليل مطبوع بها ...

٢ — الوثائق الانكليزية .. وقد تم ترجمة وتلخيص وفهرسة الوثائق الخاصة بالجزيرة العربية ودولها المختلفة والخليج العربي ، وأعدت الفهارس الخاصة بهذه المكاتبات ..

٣ — الوثائق العربية . وهي تتكون من مجموعتين .

(أ) وثائق المركز الوطني للوثائق بالعراق . وهي مجموعة تتناول العلاقات العراقية السعودية ومشاكل الحدود بين الدولتين ونجد والحجاز ومراسلات حول رشيد عالي

الكيلاني ، مضابط مؤتمر كربلاء ، ملفّ عن الغارات والغزو ، تقارير المفوضية العراقية بجدة ، الحدود السعودية العراقية ، والمخابرات المتبادلة بين حكومة فيصل الأول وحكومة بريطانيا حول العلاقات بين العراق ونجد ، غزو الإخوان للعشائر العراقية .

وقد فهرست هذه المجموعة وصنفت وسجلت وأصبحت في متناول الباحثين .

(ب) الوثائق الوطنية . وأقدم هذه الوثائق بالدارة يرجع تاريخه الى سنة ١٨١٥م وأحدثها تاريخاً سنة ١٩٦٤م (أي من عهد الإمام عبدالله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد حتى نهاية عهد الملك سعود بن عبد العزيز) وتتكون من مجموعات أُهديت للدارة من هيئات ومؤسسات وأفراد ، ومجموعات اشترتها الدارة من المواطنين . وهي وإن كانت قليلة بالنسبة الى ما كانت تطمح الدارة للحصول عليه خاصة بعد إلحاق المركز الوطني السعودي للوثائق والمخطوطات بالدارة . فإنها تعتبر مادة لتاريخ المملكة من جهات وطنية متعددة بما في ذلك الديوان الملكي وديوان رئاسة مجلس الوزراء .

٤ ــ الوثائق الجارية ــ وهي عبارة عن المكاتبات والتعميمات والأوامر التي تصدرها المؤسسات الحكومية في الدولة لتنظيم الأعمال الإدارية ،

٥ ــ المطبوعات الحكومية ــ وترجع أهميتها إلى أنها مطبوعات تَصْدُرُ عن الدولة لتنظيم جانب من الجوانب كنظام العمل والعمال ، ونظام المعاشات ، ونظام الجمارك ، والمراسيم الملكية ، ومجموعات المعاهدات التي تصدرها وزارة الخارجية في مجلدات مستقلة .. وهي في الغالب ، وخاصة في بداية قيام الدولة ، كانت تطبع في مطابع الحكومة في مكة المكرمة ..

(مصدرنا في هذه المعلومات عن الدارة والمركز الوطني للوثائق والمخطوطات كتاب «دليل دارة الملك عبد العزيز ــ مطبوعات دارة الملك عبد العزيز (١٩) ، الرياض ، مطابع دار الهلال للأوفست ١٤٠١/ ١٩٨١ .

وقد نقلنا خاصة ما بين ص ص ٦٤ ــ ٦٩ نصاً .. وباختصار ..

وينظر التقرير الذي ألقاه عبدالله حمد الحقيل عن أعمال الدارة في كتاب «أعمال

الحلقة الخامسة للمركز والهيئات العلمية ــ مطبوعات الدارة الرياض ١٤٠١/ ١٩٨١ ص ص ٨٧ ــ ٩٣ .

ولا شَكَّ في أن مقتنيات الدارة قد زادت ، وهي في ازدياد مستمر.. عدداً وتنظيماً .

وقد يكون من المناسب أن نذكر بصدد « المملكة » مطبوعات ــ معهد الإدارة من الجهات الرسمية خصوصاً ومؤلفات الأستاذ حمد الجاسر ومطبوعات دار اليمامة من الجهات الأهلية والملاحظ أنَّ الاهتمام جارٍ نَحو التوسع والتعمق رسمياً وأهلياً .

وفيما يأتي ما تيسر العلم به من اتفاقيات وأنظمة صدرت عن « المملكة »

أولاً : اتفاقيات :

١ ــ اتفاق اقتصادي بين حكومة العراق وحكومة المملكة العربية السعودية مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٧٧/ ١٩٥٧ ، ١٢ص .

٢ ــ الاتفاق بين الحكومة العربية السعودية وشركة خط الأنابيب عبر البلاد العربية والوثائق المتعلقة بها .

ط ٢ ، مطبعة الحكومة بمكة ١٣٨٥/ ١٩٦٥ ، ٤٧ ص ــ عقد هذا الاتفاق في ٢٢ شعبان ١٣٦٦ ، الموافق ١١ يوليه ١٩٤٧ .

معه النص الانكليزي بصفحات خاصة . وفي (المركزية) الرياض ١٣٧٧ ، ٨٤ص وكأنها تشير الى ط ١ .

٣ ــ الاتفاق التجاري بين حكومة المملكة العربية السعودية والجمهورية اللبنانية .
ط ٣ . مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٢هـ ٢٠ص .

صدرت الموافقة عليه في قرار مجلس الوزراء الموقر رقم ١١٨ وتاريخ ١٣٧٦/١٢/٥هـ المبلغ في خطاب مقام رئاسة مجلس الوزراء برقم ١/٨٠٩٥ وتاريخ ١٣٧٦/١٢/٧هـ .

ــ اتفاقيات شركة استثمار البترول ومستخرجاته والمعادن ط ١ ، مطبعة الحكومة

٤ ــ اتفاقيات تجارية بين حكومة المملكة العربية السعودية وحكومة الجمهورية السورية . مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٧٧ هـ ١٨ ص ،

ــ اتفاق تجاري بين حكومة المملكة العربية السعودية وحكومة الجمهورية السورية .

حرر في جدة ٢٣ ربيع الأول ١٣٧٥/ ٩ نوفبر ١٩٥٥ .
مكة ــ مطبعة الحكومة ١٣٧٦ ، ١٦ص ٢ خطأ + ١ .

٥ ــ اتفاقيات بين حكومة المملكة العربية السعودية وشركة الزيت العربية الامريكية ط ٢ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٤ ، ١٠٤ص بالعربية ومثلها بالانكليزية .

٦ ــ اتفاقيات بين حكومة المملكة العربية السعودية والمؤسسة العامة للبترول والمعادن وبين المؤسسة العامة للبترول والمعادن وشركة أجيب العربية السعودية .
مكة المكرمة . مطبعة الحكومة ١٣٨٩ هـ ٨١ص بالعربية ، ٨٣ بالانكليزية .

٧ ــ الاتفاقية الاقتصادية بين المملكة العربية السعودية والمملكة الاردنية الهاشمية .
«مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٣ ، ١٥ص» (عناني) المرسوم الملكي ١٣٨٢/٩/١١ ــ ط ٢ ، مطبعة الحكومة ، ١٣٨٥ ، ١٢ ص .

٨ ــ اتفاقية بشأن تسهيل التبادل التجاري وتنظيم تجارة الترانزيت بين دول الجامعة العربية مع ادخال التعديلات عليها .
العنوان العام : المملكة العربية السعودية ــ وزارة المالية ــ مديرية الجمارك العامة .
جامعة الدول العربية ــ الامانة العامة .
مكة المكرمة . مطبعة الحكومة ١٣٧٧ هـ ٢٧ ص .

ط ٢ ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٧٩ ، ٢٢ ص ــ المملكة ــ المالية ــ المديرية العامة للشؤون الاقتصادية .

«الدول هي : المملكة العربية الهاشمية ، الجمهورية السورية ، المملكة العراقية ، المملكة العربية السعودية ، الجمهورية اللبنانية ، المملكة الليبية المتحدة ، جمهورية مصر ، المملكة المتوكلية اليمنية» (عناني) .

٩ — اتفاقية بين حكومة المملكة العربية السعودية وبين شركة أوكسيلير لايجي أوتونوم دي بترول أوكسيرات .

مكة المكرمة . مطبعة الحكومة ١٣٨٨ هـ ٣٨ص بالعربية ، ٤٨ بالانكليزية .

١٠ — اتفاقية التجارة والإقامة بين المملكة العربية السعودية والجمهورية اللبنانية .
مكة المكرمة . مطبعة الحكومة ١٣٨٧ هـ ١٢ ص .

١١ — الاتفاقية التجارية بين المملكة العربية السعودية وحكومة الجمهورية المصرية .

مكة المكرمة . مطبعة الحكومة ١٣٧٨ هـ ٢٠ ص .
والجمهورية المصرية . المرسوم في ١١/٢٧/١٣٧٧هـ مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٨١ ، ٢٢ص ثم مؤسسة الطباعة والنشر بجدة ٢٠ ص — المملكة المالية .

١٢ — الاتفاقية التجارية بين المملكة العربية السعودية والمملكة العراقية .
صدر الأمر بتاريخ ١٣٧٦/١٢/٧ .
مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٧٦ هـ ١٤ ص . وفي (المركزية) ط ٢ الرياض ١٣٨٢ ، ١٢ ص .
ومما لدي عنه :
ط ١ مؤسسة الطباعةوالصحافة والنشر ، جدة ١٣٧٦ ، ١٤ ص .
ط ٢ مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ، ١٣٨٠ ، ١٢ ص — المالية — المملكة .
وليلاحظ أن العراق صار جمهورية ابتداء من ١٤ تموز ١٩٥٨ .

١٣ — اتفاقية التعاون الاقتصادي بين المملكة العربية السعودية وبين الجمهورية العربية السورية .

مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٨٤ هـ ١٦ ص المرسوم الملكي في ١٣٨٣/١١/١٨ — المملكة — المالية .

١٤ — اتفاقية الزيت بين حكومة المملكة العربية السعودية وباسيفيك وسترن كوربوريش .

ط ٤ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ، ١٣٨٤/ ١٩٦٤ . ٣٠ص بالعربية ومثلها بالانكليزية .

عقدت في اليوم الثاني والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٦٨ هـ الموافق العشرين من شهر فبراير سنة ١٩٤٩ م .

١٥ — اتفاقية شركة الزيت العربية الامريكية للمنطقة المغمورة والمنطقة المحايدة العربية السعودية والكويتية .

مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٦٨ هـ ١١ ص .

١٦ — اتفاقية شركة الصناعات العربية السعودية للأسمنت في البلاد العربية السعودية .

مكة المكرمة مطبعة الحكومة ١٣٦٨ هـ ٢٦ ص .

١٧ — عقد فيما بين بترومين وسنكلير وناتوماس وباكستان .

مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٩ هـ ٤٤ ص بالعربية ، ٤٢ ص بالانكليزية .

١٨ — محضر توقيع على اتفاقية المساعدة المقدمة من الصندوق الخاص بين الصندوق الخاص للأمم المتحدة وحكومة المملكة العربية السعودية .

١٣٨٠/ ١٩٦١ ، ١٠ ص بالعربية ، ٩ص بالانكليزية .

١٩ — مشروع اتفاق تجارة واقامة بين حكومة الجمهورية اللبنانية ، وبين حكومة المملكة العربية السعودية .

مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٥ هـ ١٣ ص . «صدر بقرار مجلس الوزراء رقم ٥٦١ وتاريخ ١٣٨٣/٧/٢٨ هـ وتوج بالمرسوم الملكي الكريم رقم ٥٢ وتاريخ

١٣٨٣/١١/١٧ هـ» (عناني) المرسوم الملكي ١٣٨٣/١١/١٧ .

٢٠ ــ نص الاتفاق بين حكومة المملكة العربية السعودية والمستر أ.س أوناسيس عنه وعن الشركة التي يملكها .
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة د.ت ، ١٠ ص .

٢١ ــ نظام الاتفاقية الثقافية بين المملكة العربية السعودية وحكومة الكويت .
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٥ ، ٨ص .
قرار مجلس الوزراء ١٣٨٥/٧/٤ .

٢٢ ــ أ ــ وثائق عرض حكومة المملكة العربية السعودية أمام هيئة التحكم الدولية لتسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبي ظبي وبين المملكة العربية السعودية .
القاهرة ١٩٥٥/ ١٣٧٤ ، ٣ أجزاء الجزء الأول (الأساس ــ الجزء الثاني والجزء الثالث : الوثائق[٢] .

ب ــ التحكيم لتسوية النزاع الاقليمي بين مسقط وأبو ظبي وبين المملكة العربية السعودية
عرض حكومة المملكة العربية السعودية .
المجلد الأول : الأساس ١١ ذي الحجة ١٣٧٤ ، ٣١ يوليو ١٩٥٥ ، د.ط. .
فهرس + ١ ــ ٥١٣ مع صور وخوارط .

المجلد الثاني : دفاتر الزكاة (مصورات لدفاتر الزكاة المحفوظة في المنطقة الشرقية) .

١ ــ ٤١٨ ص ، د.ط ومثلها مجلدان باللغة الانكليزية ، وعلى الصفحة الأولى اسم عبد الرحمن عزام ذيلا لشهادته بصحة ما يتضمن المجلدان باعتباره وكيل المملكة العربية السعودية .

ثانياً : أنظمة (نظام ــ نظم ــ مراسيم) :

ملاحظة :

توجد كتب تتضمن مجموعات من النظم ، أعرف منها :

١ — المجموعة السعودية لأنظمة الزكاة والضرائب والطوابع والأوامر والقرارات والمنشورات الصادرة بشأنها ، جمعها ورتبها سعيد محمد علي آدم (ينظر) — وينظر عناني ص ٢٣٨ — ٩ والملاحظ أنه جعل القاهرة مكاناً للطبع ولا أحسب ذلك صواباً ، والصواب : جدة كما في (شكري) ص ٧٥ .

٢ — مجموعة النظم — رتبها وبوّبها وأصدرها مجلس الشورى بناء على رغبة جلالة الملك ..

أ — المجلد الأول — قسم القضاء الشرعي من سنة ١٣٤٥ — ١٣٥٧ .

ط ١ ، مكة المكرمة ، مطبعة أم القرى ١٣٥٧ ، ٩ — ١٧٤ ص (انتهى المجلد الأول من مجموعة النظم للمملكة العربية السعودية) وفيه : «تشكيلات رئاسة القضاء (ة) والمحاكم الشرعية .. تشكيلات بيوت المال (... تشكيلات كتاب العدل .. تعليمات رسوم الخدمة والتسجيل» .

«قرار مجلس الشورى ..»

تواقيع مجلس الشورى ، الرئيس : صالح شطا . أعضاء : محمد صالح نصيف ، محمد عبد القادر مغيربي فتيح ، محمد كامل كردي ، عبدالله الشيبي ، محمد علي كتبي ، عبد القادر غزاوي ، محمد علي خوقير ، عبد الحميد الخطيب ، أحمد ابراهيم الغزاوي ، عبيد مدني .

وتستمر الصفحات بعد ٩ — ١٧٤ ، حتى ٢٨٦ .

ويفهم من عناني ص ١٩٤ — ١٩٥ ، أن هذا المجلد أعاد طبعه معهد الإدارة العامة ، وورد لديه الرياض ، ١٣٥٧ هـ ١٤٨ ص . فا معني ورود عام ١٣٥٧ ولم يكن فيه معهد الإدارة العامة ؟

وفيه — وهل ما كان في الطبعة الأصلية .. قراراً) «من المقدمة : (بناء على الرغبة الملكية السامية من لدن جلالة الملك المفدى بضرورة اصدار مجموعة الأنظمة والتعليمات المصدقة والمراسيم الملكية التي قامت حكومة جلالة الملك بسنها وتنفيذها خلال المدة الواقعة منذ التشكيلات الأولى للحكومة حتى الآن وذلك تنويراً للجمهور وأرباب

المصالح من جهة وتسهيلاً للدوائر الرسمية والموظفين بصفة عامة في المراجعة والتطبيق .

وبناء على أن في تحقيق هذه الرغبة السامية مصلحة ملموسة فقد عني مجلس الشورى بترتيب وتبويب كل ما صدر خلال المدة المشار إليها (١٣٤٥ — ١٣٧٥) مع مراعاة الأسبق فالأسبق منها تاريخاً وتناول في ذلك ما كان يعمل به وما عدلته الأنظمة التالية بعده في نصوصها.. وقد صدر المجلس هذه المجموعة بالأنظمة الإدارية المتعلقة بدوائر القضاء الشرعي وجعلها على أقسام يختص كل قسم منها بوزارة أو إدارة عامة وفروعها المرتبطة بها » .

وقد رأينا أن هذه الأقسام أربعة هي :

الأول : تشكيلات رئاسة القضاء (ة) والمحاكم الشرعية .

الثاني — تشكيلات بيوت المال .

الثالث — تشكيلات كتاب العدل .

الرابع — تعليمات رسوم الخدمة والتسجيل .

قُلْتُ يُفهم من عناني ص ١٩٤ وجود طبعة ثانية ، وضعها تحت اسم « معهد الإدارة العامة » ولكنه لم يؤكد خبره هذا عندما عاد لتثبيت « مجموعة النظم » في سياق « الأنظمة والقوانين » ص ٦٣٠ ، أو عندما تكلم على المجموعة في المعجم (ثدي) ص ٨٠ وفي الحالين — والأحوال الثلاث — جعل عدد الصفحات ١٨٦ .

ب — المجلد الثاني — قسم الصحة العامة والإسعاف والمحاجر الصحية من سنة ١٣٤٥ الى سنة ١٣٥٧ ط ١ ، (مكة المكرمة) ، مطبعة أم القرى ١٣٥٧ ، ٥ — ١٨٥ — ١٩٦ ص .

المقدمة : قرار المجلد الثاني من مجموعة النظم : تنفيذاً لإرادة حضرة صاحب الجلالة .. وتوخياً لفائدة الجمهور على ما صدر من الأنظمة العامة والخاصة في المملكة .. قرر مجلس الشورى بتاريخ ٣٥٧/٣/١١ طبع المجلد الثاني المختص بقسم الصحة العامة والاسعاف والمحاجر الصحية .. مكة ١٣٧٥/١٢/١٦ هـ .

ط ٢ ، مطبعة الحكومة بمكة ١٣٧٧ ، ١٣٨ ص — فهرس ١٤٨ .

وفي أوراقي أنه في المجلد نفسه (أي المجلد الثاني ط ٢).
المملكة العربية السعودية — وزارة الصحة العامة: نظام استخدام الموظفين الصحيين تاريخ الموافقة ٨/٩/٣٦٥.
مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٧٧، ٢٨ ص.

جـ — المجلد الثالث — قسم البرق والبريد والتلفونات من سنة ١٣٤٥، الى سنة ١٣٥٨.

ط ١، مطبعة أم القرى (بمكة) ١٣٥٨، ٦، ٨٧ ص + ١ خطأ — ٩٧ فهرس.
المقدمة:... قرر مجلس الشورى في ١١/٣/١٣٥٧ طبع المجلد الثالث..

ملاحظة:

ورد لدى شكري ص ٧٦.
عبد الرحمن حكيم — المجموعة الوافية لنظم الضرائب والدخل والزكاة الشرعية وفريضة الجهاد. القاهرة، مطبعة شباب محمد ٧٨ ص.

عبد الرحمن حكيم — المجموعة الوافية لنظم الضرائب والدخل والزكاة الشرعية وفريضة الجهاد. ملحق بها الجداول الصحيحة لحساب الضرائب والزكاة والفريضة، جمع عبد الرحمن حكيم. القاهرة، مطبعة شباب محمد، د.ت. ٧٨ ص.

أ — ليس هناك نص صريح — غير عنوان كتاب شكري على صلة هذه النظم بالسعودية.

ب — يمكن أن يكون الكتابان كتابا واحداً؟ بدليل عدد الصفحات.
جـ — حين أعاد الكلام (عناني) أعاد الصيغة الثانية (ص ١٦٧) فقط وزاد: جمع...، مراجعة محمود جعفر الجبالي.. يضم مجموعة القوانين الرسمية..

ثالثاً — المراسيم والأوامر الملكية:

المجموعة الأولى ١٣٧٣ — ١٣٧٥ هـ مطبعة الحكومة.

المجموعة الثانية ١٣٧٥ — ١٣٧٧ هـ. مطابع الرياض.

ولدى شكري الأولى ١٦٥ ص، الثانية ١٣٠ ص .

تلك ثلاثة كتب تضم مجموعات من الأنظمة والمراسيم..

وفيما يلي ما صدر عن «المملكة العربية السعودية» مبتدئا بـ«أنظمة» عن (عناني) مع ملاحظة أن الأخبار عنها غير مؤرخة وأني لم اطلع عليها وإنما نقلتها زيادة في الفائدة وإلا فقد تكون صادرة بعد المدة المقررة للمعجم .

١ ــ أنظمة الأحوال المدنية . مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ، د.ت.، ٢٨٤ ص..

٢ ــ الأنظمة الإدارية ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ، د.ت ، ٣٠١ ص ...

٣ ــ الأنظمة الإدارية .. مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ، د.ت ، ٣٤٤ ص..

٤ ــ أنظمة الاستثمار الحكومي .. مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ، د.ت ، ٣٠٦ ص..

٥ ــ أنظمة المال والحسابات والميزانية والضرائب .. مكة المكرمة . مطبعة الحكومة ، د.ت ٨٣٧ ص .

وإذا أمكن أن تكون هذه الكتب قد صدرت بعد المدة المقررة للمعجم ، فمن الممكن جداً أن يكون في محتوياتها ما يدخل ضمن المدة المقررة .

رابعاً ــ نظام

١ ــ نظام اتفاقية الجنح والأفعال الأخرى المرتكبة على متن الطائرة .
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٦ ، ١٦ ص (عناني) .

٢ ــ نظام الأراضي البور .
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٨ ، ٢٧ ص .

٣ ــ النظام الأساسي لجمعية الهلال الأحمر . مرسوم ملكي رقم م/١٤ وتاريخ ١٣٨٦/٤/١٢ .

مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ، ١٣٨٦ ، ١٤ ص (عناني) .

٤ ــ النظام الأساسي لمدرسة العلوم الشرعية .
مكة المكرمة . المطبعة السلفية ١٣٥٢/ ١٩٣٤ .

صدرت الإرادة السامية بالموافقة على هذا النظام برقم ٥٩/١/١٦ في ١٣٥٣/١٢/٢٢ (عناني) .

٥ ــ وزارة التجارة والصناعة .
نظام استثمار رأس المال الأجنبي .

مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ، ١٣٨٦ ، ١١ ص .
لدى عناني : ١٣٨٧ ، ١١ ص ، مصدق بالمرسوم الملكي الكريم رقم ٣٥ وتاريخ ١٣٨٣/١٠/١١ بناء على قرار مجلس الوزراء رقم ٦٩١ وتاريخ ١٣٨٣/٩/٢٦ ويحتمل أن يكون في تاريخ ١٣٨٧ خطأً مطبعي ؟

٦ ــ ... وزارة المواصلات نظام استخدام الأجهزة اللاسلكية . الأمر الملكي في ١٣٨١/١٠/٩ .
ط ٢ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٣ ، ١٥ ص ــ قرار مجلس الوزراء ١٣٨٣/١٠/٢٩ ، أقره الملك .

٧ ــ نظام استخدام الموظفين .
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٧١ ، ٣٠ص .
صدر الأمر السامي بالموافقة على هذا النظام برقم ١٣٠٩٠ /٣٦٥/٩/٨ (عناني) .

٨ ــ وزارة الصحة العامة .
نظام استخدام الموظفين الصحيين الموافقة في ١٣٦٥/٩/٨ .
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٧٧ ، ٢٨ ص (لا بد من أن تكون هذه طبعة ثانية وقد وجدتها في المجلد الثاني من مجموعة الأنظمة في مجلد واحد) .

٩ ــ وزارة المالية .
نظام الاستيراد .

المرسوم في ١٣٧٦/١١/٢٤ .
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ، ١٣٧٧ ، ٢٢ ص ص .

١٠ ــ نظام الأعمال الإدارية في الدوائر الشرعية .
ط ٣ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٣
توج هذا النظام بالتصديق العالي رقم ١٠٩ في ١٣٧٢/١/٢٤ (عناني) .

١١ ــ نظام الاقامة
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨١ ، ٢١ ص .
توج هذا النظام بالتصديق الملكي العالي برقم ١٣٣٧/٢٥/٢/١٧ في ١٣٧١/٩/١١ (عناني) والذي لديّ ، تصديق ١٣٧١/٩/١١ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٤ ، ١٦ ص . ولا بد من أن تكون هذه طبعة أخرى متأخرة .

١٢ ــ امانة العاصمة والبلديات ــ ينظر النظام العام (ادناه) .
نظام الأمراء ــ المرسوم الملكي ١٣ محرم ١٣٧٧ (؟)

١٣ ــ نظام الأمن الداخلي :
مرسوم رقم ٣٠ في ١٣٨٤/١٢/٤
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٦ (عناني)

١٤ ــ نظام الأوراق التجارية والمذكرة التفسيرية ــ صودق عليه في ١٣٨٣/٩/٢٦ .

مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٤ ، ٦٤ ص ولدى عناني : المصدق بالمرسوم الملكي الكريم على قرار مجلس الوزراء رقم ٣٧ وتاريخ ١٣٨٣/١٠/١١ هـ : رقم ٦٩٢ وتاريخ ١٣٨٣/٩/٢٦ هـ .

١٥ ــ ... وزارة المالية :
نظام البندرول لتجارة وبيع التنباك والدخان وورق السجارة وما يتعلق بذلك من الأحكام ،
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٧٦ ، ٢٤ ص .

١٦ — ... البرق والبريد والتلفونات — اعلاه مجموعة النظم .
١٧ — أ — انظام البنك الزراعي العربي السعودي — المرسوم الملكي رقم ٥٨ في ١٣٨٢/٢/٣ .

مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٣ ، ١٦ ص .

ولدى عناني : الصادر بقرار مجلس الوزراء رقم ٦٢٢ وتاريخ ١٣٨٢/١٢/٣ والمتوج بالمرسوم الملكي رقم ٥٨ وتاريخ ١٣٨٢/١٢/٣ هـ .

ب — رقم ٥٨ لسنة ١٣٨٢ واللائحة للأصول العامة وشروط الائتمان . جدة ١٣٨٤/ ١٩٦٤ ، ٢١ ص ، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر .

١٨ — نظام التأمينات الاجتماعية .
مكة المكرمة . مطبعة الحكومة ١٣٨٩ ، ٣٨ ص بالعربية ، ٤٢ ص بالانجليزية .

وافق مجلس الوزراء على هذا النظام بقراره رقم ٧٤٦ وتاريخ ٢٣/٢٤/٨/٨٩ هـ وتوج بالمرسوم الملكي رقم م/٢٢ وتاريخ ٨٩/٩/٦ هـ ونشر بجريدة أم القرى رقم ٢٢٩٩ وتاريخ ٨٩/٩/١٩ هـ .

١٩ — نظام تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي — التصديق في ١٣٧٢/١/٢٤ .

مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٧٦ ، ٤٦ ص .
لدى عناني ١٣٧٧ .. وفي «المركزية» الرياض (وهي محط نقاش) ١٣٧٧ ، ٤٤ ص .

٢٠ — ... وزارة المالية .
نظام تسجيل الشركات — الموافقة عليه ١٣٦٧/١/١٤ .

ط ٥ ، مكة المكرمة — مطبعة الحكومة ١٣٧٤ ، ٨ ص لدى عناني ط ٦ .. ، ١٣٨٢ .

٢١ — وزارة المالية :
نظام تسجيل العلامات الفارقة — الأمر في ١٣٥٨/٧/٢٨ .

ط ٥ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٧٧ ، ١٢ ص.
لدى عناني ط ٦ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٢ — صدر الأمر السامي رقم ٧٧٦٢ بتاريخ ١٣٥٨/٧/٢٨ ، عطفاً على الإرادة الملكية السنية رقم ٢٣ — ١ — ٤ — ٢٤ — ٦ — ١٣٥٨ بالموافقة على هذا النظام .

٢٢ — وزارة المالية — مصلحة الزكاة والدخل .
تعديل قوانين الزكاة الشرعية وضريبة الدخل الصادرة في عام ١٣٧٦ .

مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٧٧ ، ١٥ص .
عناني .. ١٣٨١ ، ١٥ ص .

٢٣ — وزارة المالية .
تعديل نظام توحيد الطوابع .
الإرادة الملكية ١٣٦٨/٦/٢٩ .
ط ٤ مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٨٢ وزارة المالية .
لدى عناني ١٣٨٨ ، ٣٠ ص . الموافقة الملكية على هذا النظام في كتاب الديوان العالي رقم ٩٧١٥/٢/٥ وتاريخ ١٣٧٤/١١/٨ .
تطابق تاريخ الموافقة ما لدي ، ولكن عدد الصفحات يختلف .

٢٤ — تعديل نظام السيارات وتعليمات سائقي السيارات الحكومية والأهلية ومعاونيهم وتعليمات لمستودعات السيارات الحكومية .

ط ٣ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٧ هـ ١٦ ص — صدر بالأمر السامي برقم ٣١٢٥ وتاريخ ١٩٦١/١١/١٠ بالموافقة عليه (عناني) .
ط ٢ ، مطبعة الحكومة — بمكة المكرمة ١٣٨٦ ، ١٦ص .

٢٥ — نظام التعدين
الموافقة عليه ١١ رمضان ٥/٣٨٢ فبراير ١٩٦٣ .

ط ١ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٤/ ١٩٦٤ ، ٢١ ص — المذكرة التفسيرية ٣٥ — مترجمة الى الانكليزية ومنشورة معها بالمطبعة نفسها .

٢٦ — نظام تعرفة الطيران المدني .
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٧ ، ١٢ ص .

٢٧ — وزارة المالية — المديرية العامة للجمارك .
التعريفة الجمركية — المرسوم الملكي ١٣٧٢/٢/٢٨ . مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٤ ، ٢٠٩ + ١ خطأ .

٢٨ — نظام التعويضات لعمال المقاولين .
الموافقة الملكية في ١٣٧٤/١١/٨ ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ٢٣ ص+٢ .
ط ٣ مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٧٧ ، ٨ص في المركزية الرياض (؟) ١٣٦٩ .

٢٩ — نظام التفتيش المالي :
الإرادة في ١٣٦٤/٣/١٦ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٧٤ .
عناني .. ، ١٣٨٢ ، ١٢ ص .

٣٠ — نظام التقاعد في المملكة العربية السعودية .
الرياض ، مطابع الرياض ١٣٧٨ ، ١١ ص . عناني .. مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٧٧ هـ ١١ ص ، صدر بالأمر العالي بتاريخ ١٣٦٤/٣/١٦ هـ .

٣١ — نظام التقاعد العسكري :
ووفق عليه بالمرسوم الملكي الكريم بتاريخ ١٣٨٠/١٠/٢٩ .. ط ٣ مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٩١ ، ٢٠ ص .

٣٢ — نظام التقاعد المدني :
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٩ ، ٢٠ ص — المرسوم الملكي الكريم .. ١٣٨١/٢/١٩ (عناني) .

٣٣ — نظام تملك ثروات البحر الأحمر .
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٨ ، ٢٤ ص .

٣٤ ـــ نظام تملك العقار في الحجاز
الأمر في ١٣٥٣/٦/٢٩ ، ٨ ص كبيرة ، د.ط (؟)
عناني : ... مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٦٩ ، ٢٢ ص ـــ المرسوم السامي .. بتاريخ ١٣٥٣/٦/٢٩ .

٣٥ ـــ نظام تملك غير السعوديين للعقار .
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٩٠ ، ٦ ص .. (عناني) .
ـــ تنظيم الأعمال الادارية في الدوائر الشرعية . صدر في ١٣٧٢/١/٢٤ . مط. الحكومة بمكة المكرمة ١٣٧٧ ، ط ٣ سنة ١٣٨٣ . ١٢ ص.

٣٦ ـــ نظام توحيد الطوابع صدرت الموافقة عليه... ١٣٦٨/٨/١٠ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٧١ ، ٢٩ ص (عناني) .

٣٧ ـــ نظام جباية أموال الدولة الموافقة عليه في ١٣٥٩/٤/١٢ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٠ ص ، ٦ نماذج ، سنة ١٣٨١
عناني .. سنة ١٣٧٦ ، ١٠ ص .

٣٨ ـــ نظام الجمارك واللائحة التنفيذية صدرت الموافقة العالية عليه بتاريخ ١٣٧٢/٣/٥ .
جده ، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر ١٣٧٣ ، ١٥٠ ص .
عناني : .. مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨١ ، ١٥٨ ص المركزية ،.. الرياض (؟) ١٣٨١ ، ١٥٨ ص .

٣٩ ـــ .. وزارة العمل والشئون الاجتماعية .
نظام الجمعيات التعاونية مع مذكرة تفسيرية .
المرسوم في ١٣٨٢/٦/٢٥ ، ط ٢ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ، ١٣٨٤ ، ١٦ ص .
عناني .. ١٣٨٢ ، ١٦ ص .

٤٠ — ... وزارة المالية .
نظام الجنسية العربية السعودية الإرادة الملكية في ١٣٧٤/٢/٢٢ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٤ ، ٨ص .

٤١ — نظام الجوازات السفرية .
الموافقة في ١٣٥٨/١/١٩ ، ط ٧ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٤ ، ١١ص ط ٦ ، مطبعة الحكومة ١٣٧٧ .

نظام الحكم والإدارة
الموافقة الملكية في ١٣٤٥/٢/٢١ = ١٩٢٦/٨/٣٠

٤٢ — ... وزارة التجارة والصناعة :
نظام حماية وتشجيع الصناعات الوطنية المرسوم الملكي في ١٣٨١/١٢/٢٣هـ . ط ١ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٢ ، ١٠ص .

٤٣ — ... وزارة العمل والشئون الاجتماعية .
نظام خاص بمؤسسة الضمان الاجتماعي ونظام الضمان الاجتماعي والمذكرة الإيضاحية .
المرسوم في ١٣٨٢/٣/١٨ ، ط ١ ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٨٢ ، ٢٣ص .

٤٤ — .. وزارة الدفاع والطيران .
نظام خدمة ضباط الصف والجنود المرسوم الملكي ١٣٨٢/١١/٥ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٣ ، ٣٢ص + جداول .

... ، ١٣٨٥ ، ٣٩ص
عناني : الرياض ، مطابع الرياض ، د.ت ٥٨ص . صدر هذا النظام في ١٣٨٨/٩/١١ .

٤٥ — ...وزارة الدفاع والطيران .
نظام خدمة الفنيين لسلاح الطيران الملكي السعودي .

قرار مجلس الوزراء ١٣٨٢/٨/٢٥ هـ . صدقه الملك .
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٤ ، ١٦ ص .
عناني : مطبعة الحكومة ١٣٨٢ .

٤٦ — ... وزارة الداخلية — مديرية الأمن العام .
نظام دائرة النفوس بالمملكة العربية السعودية .
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨١ ، ٨ ص .
عناني الأمر السامي في ١٣٥٨/٧/١٥ .

٤٧ — .. وزارة المالية (والاقتصاد الوطني) النظام الداخلي لوزارة المالية .
الأمر السامي رقم ٥/١/٤٨ بتاريخ ١٩ محرم ١٣٥٦ .

مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٧٦ ، ٤٩ ص .
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٠ ، ٥٨ ص .
عناني ...، ١٣٥٦ ، ٨٠ ص .

٤٨ — نظام رسوم التسجيل والتنفيذ .
ينظر أدناه نظام كتاب العدل

٤٩ — نظام السجل التجاري .
جدة ، مطابع دار الأصفهاني ، د.ت ، ٢٠ ص — نظام السجل التجاري الصادر بقرار رقم ١١٢ وتاريخ ١٣٧٥/١٠/١٤ (عناني)

٥٠ — نظام سلاح الصيد وجلبه واستعماله .
الموافقة الملكية ٦٩/١/٢ . ط ٦ مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ، ١٢ ص ، المالية .
ط ٥ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ، ١٣٧٠ ، ١٢ ص — صدر بالأمر السامي رقم ٣٦ بالموافقة على تعديل نظام الاتجار بسلاح الصيد (عناني) .

٥١ — ... وزارة التجارة والصناعة .
نظام الشركات .
المرسوم بتاريخ ١٣٨٥/٣/٢٢ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٥ ، ٨٠ ص (ط ١)

عناني .. ١٣٨٨ ، ٥٦ ص .

٥٢ — نظام شركة تعدين الأملاح السعودية
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٤ ، ٢٤ ص .
(عناني)

٥٣ — الصحة العامة والاسعاف والمحاجر الصحية من سنة ١٣٤٥ — ١٣٥٧ .
ينظر اعلاه ، أنظمة ، مجموعة النظم ، المجلد الثاني .

٥٤ — نظام صيد الأسماك والمحار في سواحل البحر الأحمر . مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٧٦ ، ١٤ ص .
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٧ ، ١٩ ص .
(عناني)

٥٥ — نظام ضريبة الطرق
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٧ ، ١٥ ص — المرسوم الملكي ١٢/٥/١٣٨٦ (عناني) .

٥٦ — نظام الضمان الاجتماعي — ينظر أعلاه نظام خاص .

نظام الضمان الاجتماعي — صودق في ١٨/٣/١٣٨٢ — جدة ، مطابع وزنكوغراف دار الأصفهاني وشركاه ، د.ت/ ب+١ — ١٦ ص — وزارة العمل والشؤون الاجتماعية . مترجم الى الانكليزية .
الموافقة الملكية ٢/١/٦٩ . ط ٦ مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٢ ص — المالية .

٥٧ — أمانة العاصمة
نظام الطرق والمباني
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٧٧ ، ٤٠ ص .
عناني : ط ٢ ،.. ١٣٨٢ ، ٣١ ص .

٥٨ — النظام العام لأمانة العاصمة والبلديات في المملكة العربية السعودية .
الموافقة في ٢٠/٧/١٣٥٧

مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ، ١٣٧٦ ، ٣١ص .
ط ٣.. ١٣٨٠ ، ٣٦ص

٥٩ — نظام العمل والعمال :

الأمر الإداري في ١٣٦٦/١١/٢٥ . النسخة التي في أوراقي . مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٨٢ ، ٢٤ص — وزارة العمل والعمال والشؤون الاجتماعية .

نظام العمل الجديد . صدر في أواخر ١٣٨٩ (؟) في ١٣ فصلاً .
المرسوم برقم م/٢١ في ١٣٨٩/٩/٦ .
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٢هـ ، ٢٤ص + ملاحق — صدر الأمر العالي.. بتاريخ ١٣٦٦/١١/٢٥هـ.

٦٠ — نظام الغرفة التجارية والصناعية .
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ، ١٣٧٧ ، ٨ص .
عناني ط٣ .. ، ١٣٨٢ ، ٨ص .

٦١ — القضاء الشرعي من سنة ١٣٤٥ — ١٣٥٧
أنظر أعلاه : أنظمة ، مجموعة النظم ، المجلد الأول .

٦٢ — ... وزارة الداخلية .
نظام قوات الأمن الداخلي المرسوم ١٣٨٤/١٢/٤ .

ط ٢ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٥ ، ٥٩ص .

٦٣ — ... وزارة المالية والاقتصاد الوطني
نظام كتاب العدل .

ونظام رسوم التسجيل والتنفيذ الأمر بتاريخ ١٣٦٤/٨/١٩
ط ٣ ، مطبعة الحكومة ، مكة المكرمة ، ١٣٧٥ ، ١٣ص — ٥٠ص .
عناني : ... د.ت ، ٤٠ ص
المركزية ... الرياض ١٣٨٢ ، ٤٠ص .

٦٤ — ... وزارة المالية
نظام كفالات الموظفين
التعليمات المتضمنة صورة تطبيقية ، الإرادة في ١٣٥٨/٨/١٥ — ط ٣ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٧٧ ، ٤٠ ص
عناني ط ٤ ،.. ١٣٨٢ ، ٤٤ ص .

٦٥ — نظام كلية البترول والمعادن
المرسوم ١٣٨٣/٥/١١ — ط ١ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٥ ، ١١ ص
عناني .. مطبعة الحكومة ١٣٨٣ ، ١١ ص .

٦٦ — نظام كلية الهندسة
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٧ ، ١٠ ص... المرسوم الملكي ١٣٨٦/٤/١٣ (عناني) .

٦٧ — نظام المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة .
صودق ١٣٨١/٤/١٦
ط ٢ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٢ .

٦٨ — نظام المجلس الاقتصادي الأعلى
المصدق عليه من لدن حضرة .. ولي العهد ، مطبعة الحكومة ، مكة المكرمة ١٣٧٥/ ١٩٥٥ ، ٦ ص

٦٩ — نظام مجلس الأوقاف الأعلى .
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٦ ، ١٦ ص (غناني)

٧٠ — نظام مجلس الوزراء
صودق عليه بالمرسوم الملكي في ٢٢ شوال ١٣٧٧ ونشر في العدد ١٧١٧ من جريدة أم القرى ٢٧ شوال ١٣٧٧ .
طبع بمطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٧٧ ، ١٠ ص
ط ٣ ،.. ١٣٨٤، ٨ ص .

عناني : صودق على هذا النظام بالأمر العالي الملكي في الثاني عشر من رجب ١٣٧٣ .. مطبعة الحكومة ١٣٧٢ (ولا بد من أن يكون في التاريخ خطأ مطبعي ربما كان صحيحه ١٣٧٣) ٢٠ ص .

٧١ — .. الأمانة العامة لمجلس الوزراء

نظام محاكمة الوزراء ، التصديق ١٣٨٠/٩/٢٢ ، ط ١ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٣ ، ١٤ ص .

٧٢ — .. وزارة المالية .

نظام المحكمة التجارية للمملكة العربية السعودية .

١ — البرية . ٢ — البحرية ٣ — أصول المحاكمات التجارية . ٤ — الخرج .

الموافقة ١٥ محرم ١٣٥٠

ط ٣ مط. الحكومة بمكة المكرمة ، ١٣٧٦ ، ١٢٧ص +٣

ط ٤ ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٨٣ ، ١٠٤ص + أ ـــ ج .

عناني : ط ٢ ، مكة المكرمة ، مطبعة أم القرى ١٣٦٩ ، ١٤٤ص .

٧٣ — نظام المحلات المقلقة للراحة والمضرة بالصحة والخطرة

الملكي ١٣٨٢/٣/١٨ — ط ١ ، مطبعة الحكومة — مكة المكرمة ١٣٨٣ ، ١٠ ص .

عناني .. مطبعة الحكومة ١٣٨٣ ، ٨ص .

٧٤ — ... مديرية الأمن العامة

نظام مديرية الأمن العام بالمملكة العربية السعودية .

الأمر السامي رقم ٣٥٩٤/ ١٣٦٩/٣/٢٩ هـ

مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٢ ، ٧٥ص + أ ـــ ب+٢ .

٧٥ — نظام مديرية خفر السواحل وتوابعها

الأمر ١٣٥٣/١/٢٩

ط ٣ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ، ١٣٨٢ ، ١٦ ص .

عناني : ط ٤ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٧ ، ١٦ ص .

٧٦ — وزارة المالية :

نظام مراقبة البنوك

المرسوم ١٣٨٦/٢/٢٢

مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٦ ، ١٦ ص .

٧٧ — نظام مراقبة النقد

المرسوم ١٣٧٦/١٢/١٨

مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٧٧ ، ١٧ ص

٧٨ — ... وزارة المالية

نظام المزايدات .. والمناقصات

ينظر : أدناه : نظام المناقصات والمزايدات . ينظر : نظامي ..

٧٩ — نظام المطابع والمطبوعات

الإرادة الملكية في ١٣٥٨/٢/٢١ ط ٦ ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٨٣ ، ١٨ ص أ — ب — المالية .

ط ٥ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٧٦ ، ١٦ ص .

معه ملحق بنظام المطابع والمطبوعات

٨٠ — ... وزارة المالية

نظام المطوفين العام

الموافقة ١٣٦٧/١١/٣ — مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٨١ ، ٣١ ص

عناني : مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٦٨ هـ ٢٣ ص .

٨١ — نظام المطوفين ومشايخ الجاوا

مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ، ١٣٦٧ ، ١٤ ص ، الموافقة ١٣٦٥/١٠/٢١

٨٢ — ... وزارة التجارة والصناعة
نظام المعايرة والمقاييس ، المرسوم الملكي ١٣٨٣/٩/١٣
المعدل بقرار مجلس الوزراء ١٣٨٣/٩/٢ ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٨٣ ،
٩ ص .

٨٣ — ... ديوان رئاسة مجلس الوزراء
نظام المقاطعات
المرسوم ١٣٨٣/٥/٢١ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٣ ، ١٦ ص
عناني مطبعة .. ١٣٨٤ .

٨٤ — .. وزارة التجارة والصناعة
نظام مقاطعة إسرائيل
المرسوم ١٣٨٢/٦/٢٥ — ط ٢ ، مطبعة الحكومة ، مكة المكرمة ١٣٨٤ ، ٩ ص .

٨٥ — نظام مكافحة التزوير .
المرسوم الملكي ١٣٨٢/١١/٥ — ط ٢ ، مطبعة الحكومة ، مكة المكرمة ١٣٨٤ ،
٢٣ ص
عناني : مطبعة الحكومة ١٣٨٣ ، ٢٣ ص .

٨٦ — ... وزارة المالية
نظام مكافحة الرشوة والمذكرة الإيضاحية .
المرسوم الملكي ١٣٨٢/٣/٧ — ط ١ ، مطبعة الحكومة ، مكة المكرمة ١٥ ص .
عناني مطبعة الحكومة ١٣٨٢

٨٧ — وزارة التجارة والصناعة :
نظام مكافحة الغش التجاري
المرسوم ١٣٨١/٨/١٤ — مطبعة الحكومة ، مكة المكرمة ١٣٨٣ ، ١١ ص .

٨٨ — وزارة المالية والاقتصاد الوطني
نظام الملاحة الجوية

الموافقة ٢٤ رمضان ١٣٧٢ — مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٧٦ ، ١١ ص .

٨٩ — ... وزارة المالية :
نظام الممثلين الماليين
الموافقة ... وقرار مجلس الوزراء ١٣٨٠/١/١٧ — مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٥ — ١١ ص .

يلغي النظام الصادر في ١٣٧٧/٦/٢٤
عناني مطبعة الحكومة ١٣٨٢ ، ١١ ص .

٩٠ — .. وزارة المالية ..
نظام المناقصات والمزايدات
المرسوم الملكي ١٣٨٦/٢/٢٤ — مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٨٦ ، ٦٤ ص .

٩١ — نظام منع الاتجار بالمواد المخدرة .
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٢ هـ ١٢ ص (عناني) .

٩٢ — نظام منع بيع الأسلحة واقتنائها ، الموافقة الملكية في ١٣٥٤/٧/١٣ .
مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ، المالية .

٩٣ — .. وزارة الصحة
نظام المواليد والوفيات
الموافقة ٢ محرم ١٣٨٢ — ط ١ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٢ ، ١٥ ص .

٩٤ — نظام المؤسسات الصحفية الأهلية .
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ، ١٣٨٣ ، ١٦ ص (عناني) .

٩٥ — نظام المؤسسات العامة لخطوط حديد المملكة العربية السعودية .
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ، ١٣٨٦ ، ١١ ص (عناني)

٩٦ — ... وزارة الصحة
نظام المؤسسات العلاجية الخاصة .

المرسوم ١٣٨٢/١/٢٥ — مطبعة الحكومة ، مكة المكرمة ١٣٨٤ ، ١٢ ص .
عناني : .. مطبعة الحكومة ١٣٨٢ ، ١٥ ص ، المرسوم ١٣٨٢/١/٥ .

٩٧ — مؤسسة : ينظر أعلاه : نظام خاص بمؤسسة الضمان الاجتماعي .

٩٨ — .. وزارة البترول والثروة المعدنية
نظام المؤسسة العامة للبترول والمعادن
الموافقة ١٣٨٢/٦/٢٥ — ط ١ ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٨٢ ، ١٢ ص .

٩٩ — ... وزارة الدفاع والطيران
نظام المؤسسة العامة للخطوط الجوية العربية السعودية .
المرسوم الملكي ٩ شوال ١٣٨٢ — مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٨٣ ، ١٢ ص ، تضاف ترجمته الى الانكليزية .

نظام ... مطبعة الحكومة ، مكة المكرمة ١٣٨٥ ، ٨ ص — تاريخ الكتاب الصادر من ديوان رئاسة مجلس الوزراء ١٣٨٥/٧/١٨ .
عناني نظام ... ط ٢ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٨٥ ، ١١ ص بالعربية ، ٨ ص بالانجليزية — المرسوم الملكي ٩ شوال ١٣٨٢ .

١٠٠ — نظام مؤسسة النقد العربي السعودي
جدة ، مطابع دار الأصفهاني د.ت ، ٨ ص .. المرسوم الملكي .. بتاريخ ١٣٧٧/٥/٢٣ .
المركزية .. الرياض ؟ وهو مما يناقش وربما ينقض .

١٠١ — نظام موظفي البعثات العلمية السعودية .
ط ٢ . مكة المكرمة ، طبع بمطبعة الحكومة ١٣٨٢ هـ ١٢ ص (عناني) .

١٠٢ — نظام موظفي خارج الملاك
الموافقة الملكية في ١٣٦٦/٧/١٩ ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ، ١٣٧٦ ، ١٤ ص — المالية .

ط ٢ ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٨٢ هـ ، ١٥ ص .
نظام الموظفين
ط ٥ ، ١٣٧٦ (١٣٧٧؟) ، ٢٩ ذي القعدة . المالية .

١٠٣ — مديرية المعارف العامة
نظام موظفي دار البعثات العلمية السعودية
مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٦٩ ، ١٢ ص .

١٠٤ — نظام الموظفين العام
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٦٤ ، ٩٠ ص — الأمر الملكي بتاريخ ١٣٦٤/٣/٦ هـ (عناني)

١٠٥ — نظام الموظفين العام في المملكة العربية السعودية
الرياض ، مطابع الرياض ١٣٧٨ ، ٣٥ ص .
عناني : المرسوم الملكي بتاريخ ٢٩ ذي القعدة ١٣٧٧ .

١٠٦ — نظام الموظفين وملحقه سلم درجات الموظفين
رقم ٤٢ ، ١٣٧٧/١١/٢٩ ، ٣٥ ص . كأن الورقة تشير الى طبعة بمكة المكرمة ، مطبعة الحكومة (؟) — ليقابل مع سابقه ، ولعلها نظام واحد (؟) .
وفي كتاب الموسوعة الحديثة للمملكة العربية السعودية بحث عن « نظام الموظفين العام ص ١٤٠ — ١٥٢ ، أعده الأستاذ علي محمد حسين شويل من العلاقات العامة بالهيئة المركزية للتخطيط في ١٣٩٢/١/٢٥ .

١٠٧ — نظام نقابة السيارات ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٧٦ هـ ٢٤ ص (عناني)

١٠٨ — نظام نقل الحجاج الى المملكة واعادتهم الى بلادهم .
مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٩٠ هـ ٩ ص .

١٠٩ — نظام وزارة الخارجية المصدق بالمرسوم الملكي المرقم ٥/٤/٢/٥٢٤ وموازنة

شُلَيويح بن ماعز العَطّاوي الرّوقي

هو أبو ضيف الله شليويح بن ماعز من ذوي عطية (العطوات) من المزاحمة ، من الروقة .

ولقد عدهم ابن مغيرة من حذام[1] .

تَزَعَّمَ قبيلته بعصاميته ، من غير سبق زعامة وكان يلقب بِوَلَد بوْبح كما حدثني حفيده ابن مشعان ، وكان قائداً للغزاة من شباب قومه ، ولهذا كان عقيداً .

وكانت أكثر إغاراته على قحطان .

←

وزارة الخارجية لسنة ١٣٧٤ هـ .. المصدقة بالمرسوم الملكي رقم ٥/٤/٢/٥٢٩ لسنة ١٣٧٤ — ٣٥ ص (عناني)

١١٠ — ... وزارة التجارة والصناعة

نظام الوكالات التجارية

الموافقة ١٣٨٢/٢/٢٠ ، ط ١ ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٨٢ ، ١٠ ص .

١١١ — ... وزارة المالية

نظامي المزايدات والمناقصات العلنية الموافقة على النظامين في ١٣٦١/٤/١٧ ، ١٣٦١/٧/٣ .

ط ٤ ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٧٥ ، ١٦ ص .

ط ٥ ... ، ١٣٨١ ، ١٦ ص .

ملاحظة : **تنظر** في أدناه : الوزارات المختلفة . ولا سيما المالية ، وتنظر الدوائر ذات الاختصاص .

بغداد — الجادرية **علي جواد الطاهر**

ولا بُدَّ أنه كان مرموقاً في الوقائع التي يخوضها مع عموم قبيلة عُتيبة .

وإنَّك لَتَستَشِفُّ من قصيدته في وقعة (طلال) أنه أبلى في هذه المعركة .

وطلال مورد ماء في عالية نجد ورد في أغلب المعجمات بالظاء المنقوطة وأكد الشيخان ابن بُلَيـهِد وابنِ جَاسِرٍ : أنه هو طلال المشهور الآن بالطاء غير المنقوطة .

ولقد حدث على هذا المورد وقعتان :

أولاهما : في سنة ١٢٤٧ في شهر صفر فقد شَنَّ الإمام فيصل بن تركي رحمهما الله الغارة على ابن رُبَيْعان ومن معه من عُتيبة وكان مع الإمام فيصل جملة المسلمين من أهل العارض وسُدَير والوشم ، وأعراب من سُبَيْع والسُّهول والعجمان وبني حُسَيْن ، وكان النصر في البداية للإمام فيصل إلاَّ أن ابنَ بُصَيِّصٍ وجماعته المطران أغاثوا عُتَيْبَة .

قال ابن بشر : وكَرُّوا على المسلمين وهم متفرقون يحوزون الغنائم ، فحصل على المسلمين هزيمة ، فركب فيصل في شجعان قومه وحَموا سَاقَة المسلمين ، ومعهم من الغنائم نحو ثلاثة آلاف بعير ، ونزلوا بلد القُوَيْعِيَّة ثُمَّ أذِنَ فيصل لِغُزوانِه يَرْجعون إلى أوطانهم .

قال أبو عبد الرحمن : وفي ذلك قال تركي بن حميد قصيدته التي مطلعها :

يا سابِقي صَكَّتْ عَلَيْنا القَبَايِلْ ... لِلْحَضَرْ والبِدْوَانْ صِرْنَا حَلِيَّهْ

وأخراهما : شنّها الأمير سعود بن فيصل على الرُّوَقةِ سنة ١٢٩٠ هـ وكان النصر لِلرُّوَقَةِ[٢] .

وقد سَجَّل شُلَيْويح هذا النصر بقصيدته التي مطلعها :

أَوَّلُ كَلاَمي طَـلْـبتي ذِكْـرَ الله ... وأنـا على مَـدِّ الإلـه رجَـاويْ

ويظهر من القصيدة أن الروقة رَمَوْا بِثِقلهم واستماتوا ولم يحصلوا النصر إلا باستماتة متناهية .

وأدنى مثال على ذلك قول شليويح :

نَطْعَنِ لْعَيْنَ اللّي تِهِلّ دُمُوعها تَبْكِي وفي تَالَ الْبَكَا نَخَاوِيْ
تقول : يا الظُّفْرانْ مِنْ عادَاتْكُمْ هُوْشُو ، عَسَى يَبْقَى لْنَا شَلاَوِيْ

وكان شليويح كَثِير الْحيافَة لِقَحْطَان وله معهم قصص ، روى ابْنُ بُلَيْهِد عن غُنَيْم الْغُبَيْوي أنَّ شلَّةً من الرُّوَقةِ أغاروا على قحطان برئاسة شُليويح وأخيه بخيت ابني ماعز ، فلما كانوا قرب جبل الْحَصَاة قال شليويح : أُرِيد أن أُقْدِمَكم لأُكْشِفَ لكم خبر هذه الإبل ، وهذا جَبَل الْبِجَادَةِ أريد أنْ أُشْرِف في غَرْبِيِّه وأنتم كونوا في شَرْقِيِّهِ ، ولا تعملوا أيَّ عمل حتى آتيكم فإن رأيت مع الإبل خيلاً وركاباً ، وعندهم خَبَرٌ عنَّا رجعنا ، وسلامتنا مَغْنم ، وإنْ كانوا غارِّين أخذناهم .

فلما بلغ شليويح ذروة الجبل ، رأى أنه ليس مع الإبل سوى رُعَاتها . فجاءت امرأةٌ من قحطان على جمل ، وأناخته في سفح الجبل ، ثم صعدت حتى كانت بقرب شليويح ، في ظلِّ غار فأخذت تغنّي بهذه الأبيات :

الْـغَـمْـر أبو جَوخَهْ بْحِيِّهْ شَعانِيْ شَعْيَ الْقِطِيعَ اللّيْ غَدَابِهِ شْلَيويح[٣]
شِيْقَحٍ خَدَاهِنْ مِنْ دْيَارِ قْحطَانِ وَاقْفَى عليهن مِرْذِي الْفُطَّرَ الفيح[٤]
أَقْفُـوا عليهـن يَـزْعَجُـونَ الغواني يا بِعْد ما يَرْمي لهم بالمَصابِيْح[٥]
اللي على الضـلـع الـقصير كواني ثلاث مرات وأنا أقوم واطيح[٦]

فلما سمعها شليويح أخذها وانطلق بها إلى قومه ووَكَّل بها من يحفظها وبعد أخذه لإبل قومها مَنَّ عليها وأطلقها ، وأطلق إبلها هي وعددها عشرون[٧] وللقصة روايات أخرى .

المُهِمُ دلالة هذه الأبيات على أن شليويحا يُرَوِّعُ غِرَّات قَحْطان بحيافته .

ولقد مات شليويح مقتولاً قتله سالم بن زيد بن شفلوت القحطاني . روى ابن بليهد أن زيد بن شفلوت رَحَلَ من الهَوْبَجَة شمال أُشَيْقِرْ قاصداً شَقراء لشراء دُفُوعٍ (مَهْرٍ) لزواج ابنه سالم فاشترى المهر من عبد الرحمن بن عبد الكريم ، ومن ضمنه زولية بستة ريالات فرنسية .

وفي غياب زيد أغار على أهله شليويح ، وأخذ إبلهم ، فكان سالم بن زيد حاضراً

على حِصَان ، وبيده رمح ، فلحقه شليويح على فرسه وقال له : كيف تنهزم عن إبلك ؟ فقال سالم : إذا خرجت من هذا الحزم كلّمتك لأنّ الحصان حافي ، فلما قطع الحزم انتهز سالم الفرصة ، وطعن شليويحا من خَلْفِه فقتله ، وأخذ فرسه وركبها وأعطى حصانَه الحافي رجلاً من قومه ، ولحق جماعة شليويح ، فلما رأوه على فرس رئيسهم انهزموا بدون قتال ، فلحقهم وأخذ منهم سبعين ذلولاً ، وبعث بشيراً إلى والده في شقراء فعاد الأب زيد إلى ابن عبد الكريم وأخبره واشترى زولية أفضل إكراماً لسالم[٨] .

ولشليويح أخ اسمه (بخيت) كان سيِّداً في قومه ، وكانت له غارات على البُقُوم وستأتي ترجمته في هذا السفر إن شاء الله .

ولشليويح بنت شاعرة اسمها العاتي وزوجها ضيف الله بن عميرة من فرسان الروقة المشهورين .

ولقد رثته بقصيدة قالت فيها تخاطب أخاه عقاباً :[٩]

والله إنّهُ خارفٍ قَلْبِي عَشِيْرِيْ — مِثْلَ ما تِخْرَفِ عْذُوقَ الْمقْفزيَّة[١٠]
يَا عْقَابَ الْخَيْل بَعْدِهِ ما تْغيْر — مَاشْ يَوْم مِثْل يَوْمَ الْعَرفِجيَّةْ[١١]
والله إنّي ما استْمِع هَرْجَ المشْيْر — منْ جذَبْ قَلْبِي قِطَنْ عَنّيْ (ضِريَّةْ)[١٢]
شَوْف عَيْني يوم يِنْقَادَ النِّشيْر — يَوْم جَلَّ الْخَيْلِ منْ فَوْقَ الْعبيَّة[١٣]
لا اعْتَزَى بِالصَّوْتِ ثم وَلُّوا فِرِيْر — مِنْ تَعَرَّض لَهُ وَرَدْ حَوْضَ المنِيَّةْ[١٤]

ورأيت ابن رداس يذكر أن والد شليويح اسمه معاز ولم أر هذه التسمية عند غيره بل المجمع عليه أنه ماعز[١٥] .

ولشليويح ولد فارس هو فاجر قتلته سُبَيع في واديها رغم أنه هزمهم .

وقد كان شرب فنجانَ فيصل الدَّويش رمزاً لتعهده بقتله ، وفي حرب الجمعة ضرب الدويش بِشَلْفَا في ظهره وخرجتْ من صدره إلا أنه شفي منها ؟!

من شعره هذه الأحدية :

يــا سـابقي وآظـن شَـمَّـرْ قَـوْم — عُقْبَ العواني جا لها نقضان[١٦]

ما صُلح إلاَّ عقب هَيَّة يَوْم   غَشى عسامه رَاس ابن سِيْهان[17]

وله هذه الأحدية قالها أمام الشريف حسين ملك الحجاز :

يا مِهرتي يَا اللّي تِشِعّ الذَّيل   وإلاَّ ذْرَاعِكْ خابْرٍ مَاضِيَهْ[18]
نَبي عليها عند تَالي الخيل   والجيش الى حرف على تاليه[19]

وقال فاجر عندما استعاد إبله من البقوم :

لِعْيُونِ وَضْحاً نَيِّها مَرْدُومْ   نَدْفَعْ لَهَا الحاشِيْ وَرَا
الى تَرَدَّتْ هَقْوَةَ الْمَضْيُوم   نطاحة الموت جهلا (؟)

قال أبو عبد الرحمن : ما ذكرته عن فاجر هنا استفدته من كتاب « أحديات الخيل » للأمير السديري رحمه الله .

وقال الزركلي إنه قتل سنة ١٣٣٠ هـ وأنه مضرب المثل في الشجاعة وأن قتلاه اثنان وستون قتيلاً[20] .

ومن أحفاد شليويح تركي بن مشعان بن شليويح له حادثة ذكرها المارك[21] .

ومن أحفاده المعاصرين خالد بن مشعان بن فاجر بن شليويح أمير بَحْرة بمنطقة المُوَيه ، وأخوه ناصر أمير الْحَشْرج في وادي تُرَبة وقد رويت عن أحدهما في بلدة عفيف .

ورأيت الأستاذ عبدالله الزامل يورد هذين البيتين وينسبهما إلى شليويح :

قِصيرْ بَيْتي لازِمٍ لِيْنْ يِنْزَاحْ   أَدْعِيْه لَلْكَرْمَهْ وَآجِيْه اَنْ دَعَاني
وقصيرتي ما آكثر عليها التلاّح   لا غاب قيمها عليها ألف آماني[22]

قال أبو عبد الرحمن : هذان البيتان ليسا لشليويح وإنما هما من قصيدة طويلة لعايد بن محمد الهذلي كما حدثني بذلك منديل الفهيد وإبراهيم اليوسف[23] .

ولا يزال الشيخ منديل وإبراهيم اليوسف يبحثان لدى الرواة عن قصيدة لشليويح يقول فيها :

ما رَوْقي إلاَّ ويَنسَبَ لُطَلحَهَ وإلاَّ سعدي والْخْفَاةِ لُحَالْ

قال منديل وروى : والحفاة اخوان .

قال أبو عبد الرحمن : الشطر الأخير مختل الوزن ، ويستقيم لو قيل :

والاسعدي يأتي مع الحافي لحال (؟)

قال أبو عبد الرحمن : ووجدت في مسوداتي إشارتين عن شليويح بكتاب « نزهة النفس » إلا أنني لم أنقلها وليس الكتاب بين يدي الآن[٢٤] فلعلي استدرك ذلك إن شاء الله ، وكذلك وجدت في مسوداتي إحالة إلى شليويح في « الأزهار النادية »[٢٥] وليس الجزء الأول من الأزهار بين يَدَيَّ الآن .

من شعر شليويح :

١ ــ قصيدته على قافيتي الواو بوصل الياء من بحر الرجز .

قالها شليويح بمناسبة وقعه (طلال) وقد مر الحديث عنها في ترجمة شليويح[٢٦] قال شليويح :

أَوَّلْ كلامِي طَلْبتِي ذِكْرَ اللهَ	مَانِي عن الربَّ الْكَرِيم غنَاوي[٢٧]
ولا نِيْب من يِمْدَحْ بْقَوْلِ لْسانِهْ	ولا نيب في عِشْقَ الْبَنِيْ هَوَاوي[٢٨]
على (طَلالَ) الصّبح اَخيلِ مْخيْلَهْ	وَصْلَتْ سَنَاوِيها إلَى الْمطاوي[٢٩]
تِمْطِرِ بْعَطْشَانَ الْمْحَيَّبْ والْقَنَا	ورعُودها الْبَارُوْد والْعَزَاوي[٣٠]
جَانَا (سعود) مْسَيِّر بجنُودِهْ	معْه (الدويش) ولَمَّة البدَاوي[٣١]
ثمانية آلاف عداد جُمُوعْهم	بَلْوَى ، وربي يَدْفعَ الْبَلاوي[٣٢]
حنا ثمانية عداد جموعنا	ماشَ اجْنبيْ فِيْنا ولا بَرْقاوي[٣٣]
وَأَرخَيْتْ فيهم حدّ كل مْوَصَّلَهْ	يحيْر فيها طبّ كِلّ مْدَاوي[٣٤]
وأرخَيْت فيهم حَدَّ كِلِّ مْجَرَّبْ	تُوحي لِه بْرُوسَ سلْخيِّرين تَعَاوي[٣٤]
وأرخيت مَذْلُوقَ الْعرَيْني فِيهمْ	لَيْنَ ادْبَحوا شَرَّابَة الْقَهاوي[٣٥]
رَدَّيْت سلطان الْبَعيِّرْ فِيهم	وشيوخ ما رَدُّوا لَهَا النَّحاوي[٣٦]
يا ربَ تِنجيني وتنجي سَابقي	يا ربّ تَمْنَعنا منْ الأَهَاوي[٣٧]

يا ظُفُرُهُمْ لا قَرَّب الله دارهم   وحنَّا عليهم مثل نَجْمٍ دَاوي (٣٨)
(ذوي ثُبَيْت) أهْلَ المناخ شيُوخْنا   اهل الْعَطَف والمَنْزلَ الْمِتْساوي (٣٩)
صِحْنَا عَلَيْهِم ثم عَاونَّا اللهْ   لين أَنَّهَا صَارَتْ لَنَا مَنَاوي (٤٠)
لَكِنَّ سَربتْهم الىَ آوجَهَتْ بنا   زَمُولِ مُخَزَّمةٍ تَبَا الْكَرَاوي (٤١)
لَكِنَّ سَرْبِتنا الى آوجَهَتْ بهم   شِرَّادِ رِيْمٍ مَعْ حَمَادٍ دَاوي (٤٢)
وَلَكِنّ جِضْعَ الزِّلْم قِدْم نُحُورنا   جَضْع الْخَشَبْ بالْوَادِيَ السَّناوي (٤٣)
وَعزِّي لهم لَولا اسْمَرٍ فِي خيلهم   يَهْوي علينا هْوايَةَ النَّداوي (٤٤)
لَكَن شِلْيل الخيل قِدْم رْبُوعَنَا   مِثْلَ الْجَرَادِ اللِّي انْتَحَى مِتْهاوي (٤٥)
و(طَلّحهْ) نحوا عنا (بْريه) يْسَارْهُمْ   منْ بَيْنهم دِهْم العرُوق هَدَاوي (٤٦)
تَعَيَّني بالْبِيض فِي مِرْكاضْنَا   وَصْلَت كسَايرهم إلَى الحِجنَاوي (٤٧)
تَزَبَّنُوا عَنَّا قُصُورٍ عَنيزَةْ   لَيْنَ احْتَماهم بَيْرقَ القِصْمَاوي (٤٨)
لا رِحْم أَبُو من صَدّ عن مِخْرافها   يوم انْجلاعَ السِّتْر عَنْ مُضَاوي (٤٩)
نَطْعَنِ لْعَيْن اللِّيْ تِهِلّ دْمُوعْها   تبكي وفي تالي البكا نَخَاوي (٥٠)
تقول : يا الظُّفران مِنْ عاداتكم   هُوشُوا عَسَى يَبْقَى لَنَا شَلاوي (٥١)
آلاد (رَوْق) اللّي عَرِيبٍ جَدّهُمْ   لأَجا مِنَ الحكّام رَدّ بَراوي (٥٢)
ونَطْعَن لْعَيْن اللّي تِجَرّ صينها (؟)   عَفْراً تَبَا صَيْفيَّةَ الْمَطَاوي (٥٣)
قلت ابْشِري بالفكّ يا حمّ الذّرا   دام الطَّعَن بِفكّ والآهَاوي (٥٤)
تَرعى بْنَا عُوَج الركاب وْتنثني
ما حَدَّرَتْ (حِسْلَة) إلى (الحجناوي) (٥٩)
وأنا أحْمِد الله يوم آنا مِنْ لابَةْ   مَا هُمْ بْقُطمَانَ الأيْدي شْوَاوي (٦٠)
آلادْ (رَوْق) سِعْدِ منْ هُمْ رَبْعهْ   يَوْم اللقا زَادُوا عَلَى الهَقَاوي (٦١)
يَا مْسَوّي الْفِنْجال خَزّز مَدوخْ   وعَدّهُ لابِنْ صَلاّل هُوْ والحلاوي (٦٢)
وآنا زَبُونَ الْحِرْد أبو ضَيْفَ اللهْ   لاكشّفَ الشّارِبْ عَن الشّفاوي (٦٣)
والمدح لله ثم نَسْل مْحَصّنْ   عسى لهم عند الاله عَزَاوي (٦٤)

سَوَّاقَةَ الْمِعْتَر على الْحَرِبِيَّهْ يَوْمَ الحَرِيْب عَلَى الْحريب يْلاوِي[٦٥]
واغفـر ذُنُوبِـي يا مِحَلٌ ذْنُوبِي انْ كنت في بَدِعّي كَلاَمي غَاوِي[٦٦]

(للحديث صلة) الرياض أبو عبد الرحمن ابن عقيل

الحـواشي :

---

(١) جذام من القحطانيين وبلادهم في جهات الشّام ، والقبائل في تنقُّلها في العهود القديمة تتجه من الجزيرة الى خارجها — لا العكس — ووجود فرع من جذام باسم (العطويين) لا يصح دليلاً على أن ذوي عطية الذي من الرُّوقة — من قبيلة جذام ، وصاحب كتاب «المنتخب» رحمه الله — لا يصح التعويل على ما انفرد به ، فيٍ كتابه أوهام كثيرة ، [العرب ، وكل ما آخره (ع) فهو من إضافاتها] .

(٢) فصَّلها ابن عيسى في كتابه «عقد الدرر» وذكرها في تأريخه المختصر ، فقال في الأول (ص ٧٤) طبعة وزارة المعارف — سنة ١٣٩١ —

ولما كان في ربيع الثاني من هذه السنة — ١٢٩٠ — خرج سعود بن فيصل من الرياض بمن معه من الجنود ، واستلحق غزو البلدان ، واستنفر من حوله من العربان ، فاجتمع عليه خلائق كثيرة ، فتوجه وقصد مسلط بن ربيعان ومن معه من عُتَيبة وهم على طلال الماء المعروف ، فصبحهم بتلك الجنود ، فحصل بين الفريقين قتال شديد ، وصارت الهزيمة على سعود بن فيصل ومن معه ، وقتل منهم خلق كثير ، ومن مشاهير القتلى سعود بن صُنَيتان ، ومحمد بن أحمد السديري أمير بلد الغاط ، وأخوه عبد العزيز ، وعلي بن ابراهيم بن سُوَيِّد أمير بلد جُلاجل ، ومن أهل شقراء فهد بن سعد بن سدحان ، وسعد بن محمد بن عبد الكريم البواردي ، وصالح بن ابراهيم بن موسى بن فوزان بن عيسى ، وسليمان بن عبدالله بن خلف بن عيسى ، وعبد العزيز بن أحمد بن منيع ، وأخذ العتبان منهم من الركاب والسلاح والفرش والأمتعة شيئاً كثيراً . انتهى .

(٣) أورد الشيخ ابن بليهد بيتين من هذه القصيدة في «صحيح الأخبار» ٢١٢/٥ وابن خميس في الشوارد ٥٥/٣ والحقيل في كنز الأنساب ص ٣٣١ وأوردها كاملة ابن رداس في كتابه شاعرات من البادية ١٦٣/١ .
روى ابن رداس من البيت هكذا :

الْوِرْع راعي السيف حبه شماني شعو القطيع اللي خَذَاهن شليويح

أبو جوخة : صاحب الجوخة ، وهي لباس أنيق يلبسه الفرسان والأمراء ، وهو معرب عن الفارسية إما من جولخ وجولخي وهو بمعنى الصوف الخشن فيكون التعريب غير اللفظ والمعنى (أنظر المعجم الذهبي ص ٢٠٨) وأما من الجيخ وهو المباهاة مأخوذ من حالة من يجيخ التراب أي ينسفه برحله .

(٤) لم يورد ابن بليهد والحقيل هذين البيتين وروايته هكذا :

اشـتـلّ شـقـح من بلاد قحطان من خوفته يرمي لها بالمصابيح

إلا أن الحقيل قال : من ديار
شقح : الأشقح ما كان في شقرته حمرة كالبُسْرة المتغيرة للحمرة .
خذاهن : أخذهن . هذه لغة قحطان .

أقني : أدبر موليا قفاه .
مِرْذي : متعب والأصل أن الرذي هو الضعيف كمن أثقله المرض فهي فصيحة .
الفطر : جمع فاطر والأصل الانشقاق يقال للبعير فاطر إذا شقّ نابه اللحم .
الفيح : الوسيعات فلعل هذه الاستعمال لسعة خطواتهن . وفي الفصيح : ناقة
فياحة : ضخمة الضرع ، غزيرة اللبن .

(٥) يزعجون الغواني : يتجاذبون الأغاني والزعج عند العامة بمعنى الصّب والسكب والأصل في الفصيح عدم الاستقرار فاستعمال العوام مجازي .

يرمي لهم : يبحث عنهم ، ويتحرّى لهم ، والعادة أن أصحاب الإبل المسروقة يضعون قِدْراً فيه ثقوب وسيعة ، مربوطاً بحبل بين ناقتين تسيران به ويراغمونه بإشعال النار ليضيء لهم في الليل على آثار الإبل ويسمون القدر مِشْعلاً .

معنى الأبيات الثلاثة : أن ذلك الغِرّ أخذ قلبي كما أخذ شليويح الإبل الشُّقّح من قحطان لما أخذهن شليويح ركب عليهن قومه يتجاذبون أغاني النصر والفرح ولقد فاتوا صريخ قحطان فما أبعد تَحَرِّيهم لإبلهم بالمشعل .

(٦) وأنا أقوم واطيح : جملة دارجة تقال لمن يتعثر من مرض أو خوف .
وهذا البيت عود إلى وصف الغمر صاحب الجوخة .

(٧) صحيح الأخبار ٢٦٢/٥ وشاعرات من البادية ص ١٦٣ .

(٨) صحيح الأخبار ١٩٥/٤ .

(٩) شاعرات من البادية ٣٢١/١ .

(١٠) المقفزية : نوع معروف من النخل يجين خرافه مُبكراً ، ويؤكل رَطباً (ع)

(١١) لعلها تقصد المرأة التي من آل عرفج أهل بريدة ، التي أخذت بثأر ابنها ، وقصتها معروفة (انظر كتاب «بلاد القصيم» مادة بريدة — والكتاب أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» من منشورات (دار اليمامة) (ع)

(١٢) ضَرية : البلدة المعروفة (ع) .

(١٣) النِثير : الجمع حين ينتشر — جَلّ : جمع وحاز . العَبّية : فرسه من المربط الأصيل المعروف بهذا الاسم (ع) .

(١٤) ارى صواب النطق (ليا) اعتزوا على لهجة الشاعرة بمعنى (اذا) فرير : فارّين والشطر مختل الوزن (ع) .

(١٥) أنظر شاعرات من البادية ١٧٤/١ . قد يكون تطبيعاً أي غلط مطبعي (ع)

(١٦) العواني : المواثيق .

(١٧) هية : معركة تهيأت بمعنى حدثت .

(١٨) تشع الذيل : ترفعه وتبعثره فيكون له إشعاع .

(١٩) حرف : انحرف بمعنى مال . [أبناء البادية من عتيبة يقولون : إليا — لا الى ع] .

(٢٠) وفي موضع آخر من كراسات الأمير السديري رحمه الله : والا ذراعك خابر ما فيه ما رأيت وما سمعت ص ١٤٧ .

(٢١) من شيم الملك عبد العزيز ٨١/٢ — ٨٦ .

(٢٢) مقارنة الشعر العربي ص ٥٢ .

(٢٣) أنظر القصيدة كاملة في كتاب : من آدابنا الشعبية ١٩٤/١ .

(٢٤) ص ٨٥ و٨٧ .

(٢٥) ١/٧٠ و١٧٣ .

(٢٦) نقلتها من ديوان شليويح وهو مخطوط ضمن مجاميع العمري .

ونشرها ابن حاتم في خيار ما يلتقط ٢/١٥٥ — ١٥٦ وتابعه في النقل عنه جامع روضة الشعر ص ٢٠٩ — ٢١٠ .

ونشرها عبدالله لويحان في ديوانه ص ٢٢٤ ج وص ٢١٦ق وص ٢٥٥ — ٢٥٨ ج وص ٢٤٧ — ٢٥٠ ق ثم تتابع الدارسون يقتبسون من هذه المصادر ويعدلون حسب اجتهادهم .

أنظر مقالة للدكتور ابن عثيمين بمجلة العرب ج ١١ — ١٢ س ١١ عام ١٣٩٧ هـ ص ١٦٠ ومقالة للشيخ ابن خميس بمجلة العرب ج ٦ س ١ عام ١٣٨٦ هـ ص ٥٠١ وعالية نجد للشيخ ابن جنيدل ١/٢٩٧ و٣/١٢١٢ وبلاد القصيم للشيخ العبودي ٢/٧٨٩ وصحيح الأخبار للشيخ ابن بليهد رحمه الله ٢/٢٠٥ ج وتاريخ نجد ص ٣٩ — ٤٧ والأدب الشعبي ص ٢٤٢ .

(٢٧) في المخطوط : ولاني عن الرب .

وفي الروضة والخيار : مبدأ كلامي . ولالي عن الرب .

قال أبو عبد الرحمن : الواو قبل (لاني) أو (لالي) لا تكاد تنطق ، والياء والميم الساكنتان في (الكريم) بحرف واحد .

ماني : ما أنا .. غناوي : غني .

(٢٨) عند لويحان : مانيب .. ولا على عشق البنات ..

ولا نيب من : ولا أنا بمن . هواوي : ذو هوى وغرام .

معنى الشطر الأول : لست ممن يستحق المدح لمجرد قوله : أي أن له أفعالاً يستحق المدح عليها .

(٢٩) في المخطوط ياصل سناويها الى الجرذاوي وكذلك عند لويحان إلا أنه قال : خلت مخايل .. سنانيها . وضبط ابن خميس (اخيل) بتشديد الياء .

قال أبو عبد الرحمن : طلال هضبة سوداء في واد كبير من روافد الجرير وقد أصبح هجرة للعيايين من مطير وتتبع هجرتهم الآن المدينة المنورة . عالية نجد ٢/٨٨٢ — ٨٨٤ والمطاوي سنفان سود فيها شعبان طيبة المراعي تقع شمالاً غربيا عن هجرة طلال . عالية نجد ٣/٢١١ — ١٢١٢ والجرذاوي من مياه الزبدي انظر عالية نجد ٢/٦٥٣ و١/٢٩٧ وبلاد القصيم ٢/٢٧٦ — ٧٢٧ وهذا المورد غرب القويعية وهو بعيد عن طلال وأرجح أن الجرذاوي هو الصواب ، لأن شليويحا أراد المبالغة .

أخيل : أخال شام سحابة مخيلة .

مخيلة : سحابة تحسبها ماطرة . كناية عن الحرب .

سناويها : سناها وضوء لهبها .

(٣٠) في الخيار والروضة (والجنا) على لهجة أهل الخليج ، والغزاوي بالغين المنقوطة بعطشان المحبب : المحبب العطشان وهو ملح البارود .

القنا : الرمح . العزاوي : الاعتزاء في الحرب .

(٣١) مسير : قادم من مسيره .

لة البداوي : أخلاط البادية .

(٣٢) في الروضة والخيار : كفانا الله شر ، وعند ابن خميس : كفانا الله من البلاوي .

عند لويحان : ثلامية .. ليس أجنبي .

وفي الخيار : جمعنا .

قال أبو عبد الرحمن .. ويلاحظ أن ضرب هذه القصيدة يرد تارة على وزن /ه/ه/ وتارة على وزن /ه/ه/ه وأخذ ابن خميس هذا البيت شاهدا على لهجة عتيبة .

(٣٣) في الروضة والخيار : ذلق كل موصلة .. يضيع فيها .

موصلة : الشلفاء (الرمح) .

(٣٤) في الروضة والخيار : شعاوي ، وبقية الشطر الثاني مجمع عليها من الرواة إلا أن هذا الشطر مختل الوزن .

مجرب : سيف مجرب . توحي : تسمع سمي الإيحاء سماعا لما بينهما من تلازم .

تعاوي : على صيغة المفاعلة عن صوت كصوت العواء .

(٣٥) مذلوق العربي : الرمح المذلوق أي حاد دقيق الطرف .

لين : إلى أن .. ادبجوا : ولوا مدبجين والإدباح أرفع من الركوع قليلاً [العرب : لهجة الشاعر : لان — بدل : لين]

(٣٦) في الروضة والخيار : الشيوخ والنخاوي بالخاء المنقوطة .

البعير : سلطان الدويش هكذا ورد في حاشية الخيار وحدثني غير واحد أنه من فرسان مطير وليس هو من الدوشان .

النحاوي : الاتجاهات والمعنى أن العدو لم يستطع رد خيلنا عن اتجاهها فإن كانت بالخاء المنقوطة فالمعنى أن شجاعتنا أنستهم الاعتزاء بنخوتهم .

(٣٧) الاهاوي : الخفر كناية عن طلب الأمن من العثار .

(٣٨) في الخيار والروضة وعند لويحان : نجم هاوي .

يا ظفرهم : ما أشجعهم سمت العامة الشجاع ظفرا لأن الظفر وهو النصر حليف الشجاعة عادة .

لاقرب الله دارهم : يدعو الله البعد عنهم لأنهم شجعان .

(٣٩) ذوي ثبيت : حرفها التطبيع في الخيار إلى (دوبيه) . وفي الخيار والروضة : مبتدين أهل المناخ .

وعند لويحان : نبه علينا شيخنا محمد .

ويستقيم وزن الشطر الأخير لو عدل هكذا :

هل عطف ومنزل متساوي

ذوي ثبيت : شيوخ الروقة ورؤساؤهم آل ربيعان . المناخ : مناخ الرحل من ضيوف وأكابر يفدون وكذلك الغزاة من عتيبة فالمناخ مظهر عز .

العطف : منعطفات البيوت يصفونها صفا منتظماً .

متساوي : إما منتظم وإما أنه لا تفاضل في بيوتهم .

(٤٠) في الخيار والروضة وعند ابن خميس إلى منها . وعند العثيمين لما أنها وكل هذا يخل بالوزن . مناوي : منى .

(٤١) الشطر الثاني عند لويحان :

(شراد ريم مع حماد داوي)

وفي الخيار : على الكراوي .

(٤٢) الشطر الثاني في الروضة :

زمول مخزمة على الكراوي)

شراد ريم : ريم شارد .. حماد : أرض سهلة .. داوي : بعيد

(٤٣) عند ابن بليهد :
ولكن نطل الزلم قدام سابق
نطل الهشيم بوادي سناوي
إلا أن الشطر الأول مختل الوزن
في الخيار والروضة :
قدم وجيهنا .. مثل الخشب .. في وادي سناوي
جضع : ضجع وهو قلب الشيء على الأرض من جانبه . الزلم : الرجال . في مستدرك الزبيدي : الزلم الغلام الشديد الخفيف . السناوي : المسقى في الفصيح : أرض مسنية ومسنوة . أي مسقية ومفتوحة الوجه .
(٤٤) في الخيار والروضة : عزي لهم .. مع خيلهم
ويستقيم الوزن هكذا : عزيٍ لهم .. هوية النداوي .
عزي لهم : عزائي لهم .. النداوي : الصقر يجعل من فريسته منتدى للجائعين .
(٤٥) عند لويحان : الى انتحى .
في الخيار والروضة : الخيل لا جا ربعنا .. يجي متهاوي ..
(٤٦) طلحة : من الروقة .. نحوا : بتخفيف الحاء بمعنى أبعدوهم ناحية .. بريه : من قبيلة مطير .. دهم العروق : الخيل .. هداوي : كسبوها كالهدايا .
(٤٧) عند لويحان في الخيار والروضة : تطلعن يا البيض .. الى الجرذاوي ..
وعند لويحان : وصلت جرايرهم .
قال أبو عبد الرحمن : الصحيح الى الحجناوي بدليل البيت الذي بعده وانظر عن الحجناوي بلاد القصيم ٧٨٥/٢ — ٨٧٦ .
(٤٨) في الخيار والروضة : قصور بريدة ، والصواب قصور عنيزة لأنها أقرب إلى الحجناوي .
(٤٩) في الخيار والروضة : من يوم طار الستر .
محرافها : منحرفها يعني فرسه .. انجلاع : انخلاع .. مضاوي : بنت ابن ربيعان .
(٥٠) في الروضة : نطعن لعينا .
وعند ابن بليهد : كله لعين .
لعين : لأجل عين .
(٥١) عند لويحان : وفي الخيار والروضة : لكم شلاوي .
وعند ابن بليهد : يا الصبيان ولكم عادة .
هوشوا : جالدوا بحماس وغضب والهوشة الجلبة وهي من نتائج المجالدة ، شلاوي : بقايا والمراد الأشلاء أي الأعضاء لأن كل فرد عضو في مجموعة ، والأشلاء كل مسلوخ أكل منه شيء وبقيت منه بقية .
(٥٢) الشطر الأول في الخيار والروضة :
(نبه علينا شيخنا بين محمد)
إلا أنه قال في الروضة : بين محمد .
وفي الخيار : الى جا من الحكام .
الاد : أولاد : لهجة عتيبة .. براوي : جمع بروة وهي عطاء من قمح وغيره [العرب : أراها مأخوذة من البراء أي التبرؤ من العهد وفسخه ، وهو ما يعرف عند البادية بـ(رَدّ البرا) ثم استعيرت الورقة التي يكتب بها الحاكم لمن قصده منحة فأطلق عليها بَرْوة] .
(٥٣) في الروضة : لعينا .. ترج حنينها .. تبي .
وعند لويحان والعبودي : تجر حنينها .

وعند الجنيدل : من تجر .. تي .
صيفية المطاوي : رعاء الصيف بالمطاوي .
(٥٤) في الخيار : ابشري بالكف .
وفي الروضة : ابشرن بالفك .
الاهاوي : جمع الإهواء بالرمح .
(٥٩) هذا البيت غير موجود في الديوان الخطي .
في الخيار والروضة : ما جدمت حسلاً .. تثني .
وجدمت بمعنى قدمت أوردها على لمجة الخليج .
وعند العبودي : اليا الحجناوي .
وعند ابن جنيدل الجرذاوي .
(٦٠) عند لويحان : ما همب قصار البتوع .
وفي الخيار والروضة : ما هم باقصار اليدين .
وفي التحشية على ديوان لويحان : البتوع : الرجل الجبان .
قال أبو عبد الرحمن : البتوع جمع بتعة وهي عند العامة بمعنى الإقدام والجسارة . شواوي : رعاء الشاء ..
قطيان : قصار .
وما أثبته رواية الديوان والشطر الأخير مختل الوزن .
(٦١) عند لويحان : ورا المقاوي .
وفي الروضة : أولاد روق ونعم من هم ربعه .
سعد .. الخ : ما أسعد من هم جماعته !
المقاوي : الظنون .
(٦٢) عند لويحان : واثنه لابن صلال .
وفي الخيار : وجزه لابن صلال .
وفي الخيار والروضة : لابن صلال والجلاوي بدون (هو) وهو الصحيح وزنا .
خزز : انتظمه بالفنجان كما ينتظم الشيء بالسهم لأن الفنجان في ظنونهم مسمار للرأس . [خَزَّز : أي خَصَّهُ به — ع] .
(٦٣) عند لويحان : ان قصر الشارب . وفي موضع : ان قصف .
وفي الروضة : الى قصف البرطم عن .
وفي الخيار : الى قصر البرطم علي .
(٦٤) في الروضة والخيار : والمدح يرجع لم .
نسل : ذرية .. عراوي : كناية عما يتعلقون به من عناية الله .
(٦٥) عند لويحان عن الحريب يلاوي .
وفي الخيار والروضة : الشريب عن الشريب ؟ [وقد يكون : يوم القريب على القريب والقاف عند العامة لا تنطق فصيحة فلعل الناسخ حرفها — ع] .
المغتر : الإبل الغتر الغبر : يلاوي : يصارع .
(٦٦) في الخيار والروضة : تالي جوابي غاوي .
وهذا البيت ثاني بيت عند لويحان
يا محل : يا من يُحِل : أي يمحو .

الشاعر البُرَعي

هو الشاعر البليغ عبد الرحيم بن أحمد بن عبد الرحيم البُرَعيُّ المُهاجريُّ ، المتوفى سنة ٨٣٠ هـ .

وهو منسوب الى جبل بُرَع المشهور الواقع في الجنوب الشرقي لوادي سهام من تهامة اليمن ، وأهله كأهل رَيْمة وملحان وحُفَاش ، شافعيو المذهب ، والمهاجري نسبه الى (مهاجر) قبيلة معروفة في جبل برع ويقول صاحب «القاموس» : بُرع كزفر جبل بتهامة بالقرب من وادي سهام فيه قلعة حصينة وقرى عديدة وله سوقه الأسبوعي .

نشأته وتعليمه :

لقد نشأ في بُرَع ودرس في موطنه ، وما حوله ، على علماء عصره في الفقه واللغة والنحو وغير ذلك من المعارف المعروفة في عصره ، وقرأ الشعر ، وبرز في عصره كشاعر لا يُجارى ، وله ديوان متداول معروف في جنوب الجزيرة يحوز إعجاب الخاصّة ورضا العامة ، حتى تجده تنشد قصائده في الاجتماعات والاحتفالات .

قال في كتاب «ذيل البدر الطالع» للسيد محمد بن زبارة : الشيخ العالم الشاعر البليغ ، الشهير ، عبد الرحمن بن علي البُرَعيُّ ، المهاجريُّ ، موطنه بلدة النِّيابَتين ، من جبل بُرَع .

أخذ الفقه والنحو عن جماعة من علماء عصره ، حتى تأهَّل للتدريس ، وأتتهُ الطلبة من أماكن شتَّى ، فدرَّس وأفتى ، واشتهر بالعلم والشعر ، وهو من علماء المجتهدين ، والشعراء البلغاء المجيدين وله مدائح نبويَّة كثيرة ، وديوان مشهور . انتهى .

والشائع عند العامة أن قبره في الخيف — خيف الحزامي — في وادي الصَّفراء — أعلى وادي بدر — أنظر مجلة «العرب» في سنتها التاسعة — ص ١١ وص ٧٩٢ .

والديوان يشتمل على قصائد ربانية ووصف جلالة الخالق وتنزيهه عن الشرك ومدائح نبوية كثيرة ومديح في رجال التصوف وما يروج عنهم من كرامات عند العامة كما هو واقع في كثير من الأقطار الإسلامية في ذلك التاريخ وبعده .

وقد كتب لشعره الذيوع والانتشار ، فلا تجد في جنوب الجزيرة من يجهل اسمه في الأغلب العام أو لم يقرأ أو يسمع شيئاً من شعره .

وكان في حياته كثير الحج وربما ترأس القافلة فيساعد بقيادته لها ، لما له من رصيد أدبيّ وسمعة عطرة على طول طريق الحج — بين القبائل في تسهيل أمر القافلة وعدم التعرض لها فإذا حصل تَعَرُّضٌ من بعض الخُرّاب عرف بمرونته كيف يتصرف في كف شرهم ومراضاتهم .

عاش محترم الجانب كفقيه وشاعر وذا وجاهة ومكانة اجتماعية حتى أن العامة فتنت به وشيَّدت على جُثمانه ضريحاً وقبة لا تزال إلى وقتنا الحاضر[1] .

شعـره :

يقول المؤرخ الوشلي في كتابه «الثناء الحسن» : وضع الله المحبة لشعره عند عامة الناس ، فأقبلوا عليه ، وأولعوا بحفظه واستماعه وانشاده ، وأشربته قلوبهم ، فلا يسمع إلاّ جَديداً وإن تكرر سماعه ، وله حلاوة في الاسماع ، وقبول عند سليم الطباع ، وما ذاك إلا لبلاغته وسلامته من الحشو والركاكة والألفاظ الوحشية ، فكل شعره درر وجميع قصائده غرر ، وعلى وجه العموم ، فديوانه مطبوع متداول ، وشعره في غاية الرِّقة والعُذوبة .

نظرة في موضوعات شعره :

يحتوي الديوان المطبوع على ٧٦ قصيدة يتراوح طولها من ٨٠ إلى ٤٠ وسبع مقطوعات أطولها ٣١ بيت وأقلها أربعة أبيات مجموع أبيات الديوان نحو (٣٨٣٧) ويتوزع الديوان في محتواه على الأبواب الآتية :

(١) الإلاهيات وتشتمل على :

١ — الربانيات .

٢ ــ المناجاة .
٣ ــ التوسل
٤ ــ لطف الله سبحانه وتعالى
٥ ــ الحمدلة
٦ ــ في دلائل قدرة الله
٧ ــ في الالتجاء إليه
٨ ــ في السعادة
٩ ــ في طلب العفو والعافية
ومجموع قصائد هذا الباب ١٢ قصيدة .

(٢) القصائد النبوية ٣٩ قصيدة وكلها في مدحه صلى الله عليه وسلم وذكر المعجزات التي ظهرت على يديه ، وفي المراج وفي الكعبة وهي قصائد جيدة في المباني والمعاني . وان كانت لا تخلو من بعض التجاوزات .

(٣) قصائد في الوعظ والنصائح الدينية وتحتوي على ثلاث قصائد مطولة .
(٤) قصيدتان في الشوق إلى ولديه بمكة إحداهما في ٢٣ بيتاً والأخرى في ٥١ بيتاً .
(٥) في الشكوى من الحُمّى قصيدة واحدة .
(٦) قصائد صوفية وهي على نوعين .

أ ــ تشتمل على مدائح في متصوفة قد ساروا الى رحمة الله وعاشوا في القرن السادس والسابع مثل :

١ ــ محمد بن حسين البجلي المتوفي سنة ٦٢١ ــ قصيدتين
٢ ــ محمد بن أبي بكر الحكمي المتوفي سنة ٦١٩ ــ قصيدتين
٣ ــ آل المكدش القرن ٧ و٨ ــ ٣ قصائد
٤ ــ محمد بن عمر النهاري المتوفي سنة ٧٤٧ ــ ٤ قصائد
٥ ــ أحمد الرداد المتوفي سنة ٨٢١ ــ قصيدة
٦ ــ علي الأهدل المتوفي سنة ٦٠٣ ــ قصيدة
٧ ــ ابراهيم بن محمد الحكمي القرن السابع ــ قصيدتان

(ب) قصائد في رجال عاصروا أو تقدموا وهم :

١ ــ الفقيه يحيى الأهدل
٢ ــ الشيخ أحمد بن عمار
٣ ــ الشيخ أحمد بن محمد الأهدل (قصيدتان)
٤ ــ الشيخ عبدالله بن أبي بكر صاحب تراغم
٥ ــ الشيخ عثمان الأهدل
٦ ــ قصيدة على لسان المقري
٧ ــ أحمد التبرجدي
٨ ــ أحمد بن أبي بكر معدان
٩ ــ محمد بن علي بن يغنش
١٠ ــ المعلم عبدالله بن عمر
١١ ــ عمر بن محمد العرابي (٤ قصائد)
١٢ ــ الفقيه عبدالله بن سليمان
١٣ ــ قصيدة مخمسة

هذا ما اشتمل عليه الديوان وسوف نقوم بحوله تعالى بتحليل قصيدة من كل باب ، والآن نورد نماذج من قصائد الديوان :

قصيدة قالها في الشوق الى ولديه بمكة المكرمة[٢] :

طيفُ الخيال من (النيابتين) سَرَى ... إلى الحجاز فوافَى مضجعي سَحَرا
سرى على بُعْد دَارَيْنا يَنِمُّ به ... رَوْحُ النسيم فأهْدَى منهلا عطرا
فكم وكم جاز من سهل ومن جبلٍ ... ومن عور الى أُمّ القُرَى وقُرَى
أَفْدِيْهِ من زائرٍ ما زارني أبداً ... وذاكرٍ ما نَسِي وُدّي ولا ذكرا
وحاضِرٍ نُصْب عيني ، وهو مبتعد ... عني فما غاب عن عيني ولا حضرا
ليت الأراك التي مَرَّ النسيم بها ... تدرى بشكواي بل لَيْتَ النَّسيْم جَرَى
ما صَبْر صَبٌّ له في كل جارحةٍ ... جُرْحٌ أعاد عليه صَبْرُهُ صَبرا
وطالما هاجَت الشكوى له شَجَناً ... فذكّرتْهُ زماناً مَرَّ فادّكَرا

من لي بطفلين من خلقي كأنّهما … زُغْبُ القَطَا إذْ عَلِيمْنَ الماءَ والشَّجَرا
فارقتُ ريحانتَيّ قلبي وما رَضِيَتْ … نفسي الفراقَ ولا اختَرتِ النَّوى بَطَرا
ولم يكونا حَبِيبَيْنِ افتقدتُهما … في غُربتي بلْ فقدتُ السَّمْعَ والبَصَرا
هُمَا وَدِيعةُ من يَرْعَى ودائعه … ومن يَرى وهْوَ داني القُربِ ليس يُرَى (٣)
في ذمّةِ الله محفوظان أسألُهُ … يكفيهما المكرَ والمكروهَ والضَّررا
يا قطعة من فُؤادي إن اغبت فما … جفاك والدُك النّائي ولا هجرا
وإنما هي أحكامٌ مقدَّرةٌ … موصولةٌ بقضاءٍ سابقٍ قَدَرا
لا كانت الرِّيح أنْ تبدي لنا خبرا … من المُحبِّيْنَ أو تُهْدِي لهم خبرا
حسبي من الوَجْدِ أنّي ما ذكرتهم … إلاّ تكفكفَ ماءُ العين وانحدرا
رحلتُ عنهم غداةَ البين من بَرَعٍ … وفي الحشا لَهَبُ النّيران مُستَعِرا
وسرتُ والشوقُ يَطْويني ويَنشُرُني … مُوَصَّلاً بهجيرٍ بَيِّنٍ وسُرَى
حتى انتهيتُ إلى الميقاتِ في زُمَرٍ … من وَفْدِ مكة يا طُوبَى لها زُمَرَا
ثم اغتسلنا وأحْرمنا وسارَ بنا … حادِي المَطِيِّ يخوض الهولَ والخطَرا
ولم أزَل رافعاً صَوْتي بتَلْبيتي … مع المُلَبِّين مِمَّنْ حَجَّ واعتمرا
حتى أناختْ مطايانا بذي كَرَمٍ … لكلِّ وَفْدٍ لديه زُلْفَةٌ وقِرَى
من رِيفِ رأفةِ رَبِّ الحِجْرِ والحَجَرِ الْ … ـميمون لمّا وَصَلْنا الحِجْرَ والحَجَرا

وقال من قصيدة :

خطرتْ كغُصن البانة المتأوِّدِ … ورنتْ بناظرة الغزال الأغْيدِ
وغدتْ تُشير إلى السلام بطرفها … وبكفها المَخْضُوبِ خَوْفَ الحُسَّدِ
فنظرتُ مَعْسُولَ القَنَا فَوقَ القَنَا … والليلُ تَحْتَ نِقَابِهِ شَمْس الأسْعَدِ
فكأن حَالِيَةَ المحاسن صُوِّرَتْ … من فِضَّةٍ عُجِنَتْ بماءِ العَسْجَدِ
أو دُرَّةٌ مكنونةٌ معجونةٌ … بِهَوَى النفوس وذائبات الأكْبُدِ
تلهو العُيونُ بمُذْهَبٍ ومُفَضَّضٍ … من حُسْنِها ومُنَظَّمٍ ومُنَضَّدِ
سَلَبَتْ ببهجتها العُقُولَ وتَيَّمَتْ … مُهَجاً يَرُوحُ بها الغرامُ ويغتدي

لله مَوْقِفنا بِمُنْعَرَج اللِّوَى ... في الشِّعْب من دُون الفريق الْمُنجِدِ
جَاذَبْتُها طَرَفَ العِتَاب فأعْرَضَتْ ... عنّي وقالت : ما أراك بِمُسْعدي
فَطَفِقْتُ أُثْنِي عِطْفَهَا مُتَغَزِّلاً ... بالأبْرَقَيْن وبالْعُذَيْب وثَهْمَدِ
وَطمِعْتُ مِنْها بالحديث وقُلْتُ هَلْ ... مِنْ شَرْبَةٍ يا أهْلَ هذا المَوْرِدِ
مَا الْمَاءُ مِنْ طَلَبي ولكِنْ رُبَّما ... مَدَّتْ بِهِ فَتَنَالُ مِنْ يَدِهَا يَدِي
فَأَتَتْ بِهَا من جِيْبِهَا فكأنَّها ... شَمْسٌ تَمُدُّ بكوكب مُتَوَقِّدِ
فَسَرَتْ مِنْ حُسْن المَلِيحَةِ لَمْحَةٌ ... قَطَعَتْ عُرَى كَبِدي بِغَيْرِ مُهَنَّدِ
إنْ تَعْتَرِضني زَيْنَبُ ابنةُ مالِكٍ ... أدباً ومَعْرِفَةً أُعِيدُ وأبْتَدِي

وله من قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأبيات التي وصف بها طريق الحج :

أمن نَبَّأتَني بُرَعٍ تُقِيمُ ... وقد رحل الأحِبَّةُ يا نَدِيمُ
ومَالِك والتّخلّف عن فريق ... متى رَحَلوا حَلَلْنَ بِكَ الهمومُ
طوتْ بِهِم المراحل في الفيافي ... قلائِصُ تَذْرَعُ الفلواتِ كُومُ
فَلَعْسانٌ فَسُرْدُد ثم مَوْرٌ ... فَحَيْرانٌ لَهُنَّ به رَسِيمُ
إلى خَرَضٍ إلى خُلُبٍ تَراءتْ ... إلى جازانَ جَازَتْ وَهْيَ هِيمُ
ومَرَّتْ في رُبَا ضَمَدٍ وصَبْيَا ... ولُؤْلُوَة، وغَوّان تَهِيمُ
وذَهْبانٍ وفي عَمَقٍ وحَلْيٍ ... تُسَاوِرُها المَفَاوِزُ والرُّسُومُ
وفي يَبَسَةٍ وفي كَنَنَى قَنونَاً ... سَرَتْ واللّيلُ مُعْتَكِرٌ بَهِيمُ
فَدَوقَة فالرّبَاضَةِ فاستَمَرَّتْ ... بِجَنْبِ الحَفْرِ يُطرِبُها النَّسِيمُ
إلى المِيقات ظَلَّتْ خَائِضاتٍ ... غِمَارِ الآلِ يَلْحَقُها السَّمُومُ
وباتَتْ عندما وردتْ إذَا ما ... تَحِنُّ فلا تَنَامُ ولا تُنِيمُ
وفي أُمِّ القرى قَرَّتْ عُيُونٌ ... عَشِيَّة لاحَ زَمْزَمُ والحَطِيمُ
أولاكَ الوفد وفد الله لاذوا ... إليه بفقرهم وهو الكريمُ
وطافوا قادمين بِبَيْتِ رَبٍّ ... فتَمَّ لهم طوافُهم القُدُومُ

جازان محمد بن أحمد العقيلي

تاريخ الفاخري

لا

الأخبار النجدية

— ٤ —

٢١ — ص ١٢١ — : (الثليا : اسم لمورد ماء في ذلك الوقت قرب الدلم) الثُّليا : من قرى الخَرْج المعروفة ، وهي بعيدة عن الدّلم ، لأنها تقع شَرق السَّيح .

٢٢ — ص : ١٢٣ — قال الدكتور معلقاً على كلام الفاخري : (وقعة قصر بسّام) قال : (صوابها : قصر ابن بسّام) . ولا أدري على مَ اعتمد في هذا التصويب . فمؤرخو نجد كابن غنام وابن بشر وابن عيسى سَمَّوه قصر بَسَّام ، وفي مخطوطة لابن عيسى نقلها عبد العزيز بن حنطي من خطه سنة ١٣٤٧ — ومصورتها لدى الدكتور محمد بن سعد بن حسين — (قصر الشبلي) وهذا صحيح ، فبسَّام من الشبول ، والصواب نسبة القصر إليه ، وهو بسَّام بن علي ، إذْ في عهده — أو بقرب عهده — حدثت الغزوة المذكورة ، وذاك القصر هو المعروف الآن باسم البرود ، وفيه وُلدتُ ونشأت .

٢٣ — ص ١٢٣ — نسبة الوُهبة الى حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، وان قال بها كثير من علماء الوهبة وغيرهم ، ولا أقول : إن هذا فرار من الانتساب إلى عُكلٍ ، ولكنني كنت أود من الدكتور أن يشير ولو إشارة عابرة إلى الاختلاف في نسبة الوهبة .

وقد أوضحت رأيي في الموضوع في كتاب «جمهرة أنساب الأُسر المتحضرة في نجد» ... ص ٩٣٩ .

٢٤ — ص ١٢٥ — : (الشيط : اسم لوادٍ يقع شرقي منهلي اللصافة واللهابة . الخ : هما واديان ، معروفان قديماً وحديثاً ، قديماً باسم (الشيِّطَين) مُثَنَّى شَيِّط — بفتح الشين المعجمة وكسر المثناة التحتية مشددة ، وآخره طاء مهملة — ويعرفان حديثاً باسم الشَّيط الريَّان ، والشَّيط العطشان والعامة لا يثقلون الياء بل يسكنونها ، وقد حَدَّدتهما في كتاب «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» قسم (المنطقة الشرقية) الجزء الثالث .

٢٥ ــ ص ١٢٦ : الدكتور ــ وفقه الله ــ لا يترك شيئاً مما يمر به من كلام المؤلف إلا أوضحه ، ولو كان معروفاً ، ففي هذه الصفحة أورد ترجمة للشيخ سليمان بن عبد الوهاب ــ وهو من الشهرة بالمكانة المعروفة ــ وتحدث عن بلدة تربة المعروفة المشهورة .

ولكنه لم يُعرف ابن غريب الوارد في قول الفاخري : (وفيها قُتِل محمد بن غريب) وهي جملة قَلَّ من يفهم من القراء مدلولها . وابن غريب هذا تحدث عنه الشيخ عبدالله البسام في كتاب «علماء نجد» وأشرت الى طرف من ترجمته في كلمتي التي تحدثت بها في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لصلته بالشيخ ــ رحمهما الله .

٢٦ ــ ص : ١٢٧ ــ (ثاج اسم لمنهل وقرية أثرية تقع الى الشمال الشرقي من مدينة الظهران) . لكي نتصوَّر موقع ثاج بالنسبة لمدينة الظهران ينبغي أن نلقي نظرةً على المصوَّر الجغرافي (الخريطة) فسندرك أن مدينة الظهران تقع بقرب خط العرض ١٠ / ٥٠° وخط الطول ١٥ / ٢٦° بينما تقع قرية ثاج بقرب خط الطول ٤٥ / ٤٨° وخط العرض ٥٨ / ٢٦° ــ ومعروف أن خطوط الطول تبدأ من الغَرب ، وإذَنْ وكما هو مشاهدٌ ومعروف لا تقع بلدة ثاج (الى الشمال الشرقي) من مدينة الظهران ، بل إلى الشمال الغربي .

ولعل كلمة (الشرقي) سبق قلم ، ومثل هذا يحدث كثيراً . وعلى ذكر ثاج فقد ذكر الدكتور ــ ص ١٣٠ ــ (ثاج مورد ماء يقع بالقرب من مدينة ثاج الأثرية) وهذا يفهم منه أن الاسم يطلق على ماء وعلى مدينة ، والواقع أن الاسم لموضع واحد ، فيه آبار ماء وقرية قليلة السكان ، وقد تحدثت عنه في كتاب (المنطقة الشرقية) من «المعجم الجغرافي» .

٢٧ ــ ص : ١٢٩ ــ : (مَغْزَى البيض) . وعلّق المحقق الدكتور : (كذا ولعله الأبيض ، مورد معروف قرب السماوة) .

صحة ضبط هذا الاسم الأُبَيِّض ــ بضم الألف وفتح الباء الموحدة وكسر المثناة التحتية ومشدَّدة بعدها ضاد معجمة ــ تصغير الأبيض ، والعامة تحذف الهمزة فتقول في (الاعور) : (العور) والأحمر : (الحمر) والأبيض : (البِيِّض) .

والأُبَيْضُ هذا وادٍ ـــ كما ذكر ابن بشر ـــ وكما هو معروف ، من أشهر الأودية (الأوداة قديماً) وقد حددت موقعه في قسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ج ١ ص ٢٧ .

٢٨ ـــ ص : ١٣٠ ـــ في مخطوطة التويجري : (تولّى الفرنج) لا (الافرنج) والأولى أقرب لاستقامة وزن البيت .

٢٩ ـــ ص : ١٣٠ ـــ لم يلاحظ الدكتور أن الأبيات التي أوردها الفاخري في تاريخ استقرار الفرنسيين في مصر ، وأنه (تاريخه : إله له حكمة بالغة) لا ينطبق هذا ـــ بحساب الجمل ـــ على سنة ١٢١٢ ـــ وقد جاء البيت في مخطوطة التويجري :

وقد صحّ ما قال : تاريخه : إلهٌ له حكمةٌ قاهرة .

وجاء البيت الذي قبله :

ولكن بفضل الإله الكريم تعاد لهم كرَّةٌ خاسره

لا كما في المطوعة :

ولكن بفضل الكريم ـــ فالشطر بهذه الصورة لا يستقيم ـــ

٣٠ ـــ ص ١٣٠ : (بيشةُ : قَرية تقع في الجنوب الشرقي من الطائف) .
اسم بيشة يطلق على منطقة واسعة كثيرة لقرى والسُّكّان ، قاعدتها الروشن ـــ مدينة كبيرة ـــ ووادي بيشة من أعظم أودية جنوب الجزيرة ، وأكثرها سكاناً .

٣١ ـــ ص : ١٣١ : (الدميثات) وعلّق عليها الدكتور : (الدميثات أو الدميثيات : منهل ماء في عالية نجد قرب (الدوادمي) .

الاسم الأخير هو الصواب ، واحدها دُمَيثي ـــ وهي أودية ـــ لا منهل ماء ـــ ثلاثة تنحدر من صفراء تسمى صفراء الدميثيات ، واقعة شرق الدوادمي ، ويفيض سيلها في روضة مكينة بين صفراء السرّ ونفود السرِّ .

٣٢ ـــ ص : ١٣٨ (غزوة الشام ، وصل سعود الى قصر المزيريب ، ونزل في عين البجة) وعلق الدكتور : (كذا في الأصل ، ولعل صحتها : عين لبجة ، أو عين

اللبجة ، إذا عرفت) كذا قال الدكتور .

ولكن ابن بشر في «عنوان المجد» — ج ١ ص ١٩٨ — طبعة وزارة المعارف — (ثُم نزل عَيْنَ البجّة ، وروي منها المسلمون ، ثم أقبل على قصر المُزيريب) .

٣٣ — ص : ١٤١ — قال الدكتور (الحناكية : قرية صغيرة ، تقع شرق المدينة ، وتبعد عنها حوالي مئة كيل .. وتعرف قديماً باسم الرَّبذة) يلاحظ على هذا بصرف النظر عن تحديد المسافة :

١ — الحناكية وادٍ فيه قُرىً صغيرة ، لا قرية واحدة .

٢ — القول بأن الحناكية هي الرَّبذة خطأٌ مَحْضٌ ، فموقع الرَّبذة أصبح معروفاً معرفة لا يتطرق اليها الشك ، كما أوضحت ذلك أنا وغيري في أبحاث عديدة نشرت في مجلة «العرب» س ١٠ ص ١ وس ١١ ص ١٦١ — وأنظر السنة الأولى ٤١٨/ ٤٦٥/ ٦٢٥/ ٧٧٤ .

ثم ثبت هذا من ناحية الدراسة الأثرية التي قام بها عدد من الباحثين كالدكتور سعد الراشد ، وقامت (إدارة الآثار) في إجراء أبحاث أثرية في موقع الربذة ، فكشفت عن آثار مهمة منها مسجد الربذة ، ومقبرتها ، وخزّانات المياه .

وكان موقعها يدعى (أبو سليم) لأنَّ فيه سلِبات قليلة .

٣ — الاسم القديم للحناكية وادي نخل ، لا شكَّ في هذا أيضاً ، فكل نصوص المتقدمين الذين تعرضوا لتحديد هذا الموضع تُؤيِّده ، ولا يزال وادي النُّخَيْل المجاور لوادي نَخل معروفاً ، يقطعه المتجه من الحناكية إلى المدينة بعد مسيرة نحو ١٣ كيلاً .

٣٤ — ص : ١٤٣ — : (العتبي نسبة إلى العتوب أو بني عتيبة من قبيلة عنزة) لعل عتيبة من أخطاء التطبيع ، اذ الصواب عُتبة . والقول بأنَّ بني عُتبة من عَنَزة يحتاج الى بُرهان ، ولعلَّ أصحّ منه أنهم يجتمعون مع عنزة في ربيعة ، فالجلاهمة المعدودون من بني عتبة ذكر علماء النسب أنهم من بني بكر وائل ، ووائل من ربيعة ، وعنزة بن أسد بن ربيعة — ولا يتّسع البحث لأكثر من هذا .

وقد تحدثت عن سبب اختلاط الانتساب بين عَنَزة ، وبين بني وائل ، في كتاب

العرب في القرن السابع

من كتاب «مسالك الأبصار»

— ٤ —

[تحدث ابن فضل الله عن بقية عرب الجزيرة ، ثم ذكر العرب في الشام وفي مصر ، وعدّ من عرب مصر بطوناً من البربر — لواتة وغيرها — ثم عاد إلى ذكر قبائل عربية. ولعله سار على نهج من يرى أنّ البربر من العرب ، ويشير إلى هذا الخبر الذي أورده ، ولكن المحققين من العلماء يرون البربر جنساً من غير العرب ، مع الاعتراف بما لهم من

«جمهرة أنساب المتحضرة في نجد» .

٣٥ — ص : ٥١ — نسبة كتاب «التوضيح» : «توضيح الخلاّق» للشيخ سليمان بن عبدالله — مشكوك فيها ، كما أوضح ذلك الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام ، وينسب تأليفه إلى محمد بن غريب — الذي سبقت الإشارة إلى قتله .

٣٦ — ص : ١٩١ — (الشّوكي : مورد يقع الى الشمال الشّرقي من حايل) . الشّوكي : وادٍ من أشهر أودية العَرمة ، في جهتها الشماليّة ، ولا صلة له بحايل ، يفيض في روضة التنهات ، ويقع شرق إقليم سُدَيْر .

ولأقف عند هذا الحد — في الحديث عن كتاب الفاخري — ويكفي من القلادة ما أحاط بالجيد .

وبعد : فكل ما تقدم ما هو سوى تعبير صادق عمّا أُكنُّهُ للابن الكريم الأستاذ الدكتور عبدالله الشبل من تقْدير ، فقد يجد فيه ما يلفت نظره الى التعمق في البحث ، أو يكون مدعاة للمذاكرة حتى يتضح وجه الصواب ، والله الموفق .

حمد الجاسر

فَضْلٍ في نشر الإسلام إبّان الفتوحات الأولى ، ولا يزالون من أشدّ المتمسكين بالدين الإسلامي ، الحافظين على الأخلاق الفاضلة] .

حرب :

وهي ثلاثة بطون : بنو مسروح ، وهم بنو سالم ، وبنو عبدالله ؛ ومنهم زُبَيد الحجاز ، وبنو عمرو ، وهم من أكثر العرب عدداً ، وأجرأهم رِجلا باطشة ويداً .
ومساكنهم الحجاز[1] .

أما بقية عرب الحجاز : والمصارحة ، والمساعيد ، والرزاق وآل عيسى ، ودعم ، وآل جناح والجبور ، فدارهم يتلو بعضها بعضاً بالحجاز ، وقد تقدم من ذكرها هاؤلاء ما تقدم في آل ربيعة .

وأما آل أكلُب : فبطون كثيرة ، وهم من خثعم بن أنمار . وقيل من ربيعة خثعم[2]
قال الحمداني : ومنهم جليحة ، جماعة قروة ، وبنو هزرْ .
ومنازلهم بيشة ، شرقي مكة المعظمة .

وأما خثعم : فمنهم بنو مُنَبه والْفزع ، وبنو فصيلة[3] ومعاوية ، وآل مهدي ، وبنو نصر وبنو حام ، والموركة وآل دبّار ، وآل العصافير[4] والسما وبلوس (؟)
ودارهم غير متباعدة مما تقدّم .

عرب الشام :

قلت : وبالشام من صَليبة العرب أقوام شتى في البلاد ، قد خرجوا بها عن حكم العرب ، وصاروا بها أهل حاضرة ساكنة ، وعُمّار رياد قاطنة ، فبمدينة غزّة وبلدة الخليل عليه السلام معمور من بني تميم الداري رضي الله عنه .

وبوادي بني زيد فرقة من بني جعفر بن أبي طالب ، وفرقة من بني عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وبالقدس منها .
وبنابلس كثير من قحطان ، وطائفة من مضر بن نزار .
وبجنين وبلادها أقوام من حارثة ومن بكر بن وائل .
وبجبل عاملة [صليبة عاملة] وبالأغوار أخلاط من الموالي .

وبعجلون فرقة من بني عمر بن الخطاب .
وبالبلقاء منهم ، ومن بني أُمية ومن غسان .
وبصرخد وبلادها من عامر بن هلال ، يدعون أنهم من بني جعفر بن أبي طالب .
ونعشل (؟) وما ينضم إليها من بني أسد .
وبزرع وجرش أقوام من تغلب ومن الأزد[٦]
وبأذرعات قوم من بني جم من قريش ، وفي بعض قراها قوم يدعون أنهم من بني جعفر بن أبي طالب .

وباليرموك صلبية من غسّان .
وبنوى قوم يذكرون أنهم من بني المنذر بن ماء السماء .
وبالشعرا قوم من بني أمية .
وباللوى قوم ينتسبون الى كندة .
وبمرج دمشق أخلاط من طوائف العرب .
وبحمص قوم من غسان وبحماة أقوام من عبد الدار ومن جُهينة ، وشَدَّاد من الأنصار .
وبشير قوم من بني كلب .
وفرقة من بني مازن .
وبالجبل المعروف بالطين[٧] فرقة من همدان .
وبسلمية من بني الحسين بن علي .
وبالمعرّة صلبية تنوخ .
وبحلب وبلادها من بني الحسين بن علي ، ومن بني عقيل وبني كلاب ، وكلب ومن جهينة ومن بني قرة .
وبتدمر والمناظر رجال من أسلم وقوم من بني كلب .
وبالقريتين نفر من بني تغلب . وبالرّحبة المعروفة بمالك بن طوق — قوم من بكر بن وائل ، ورجال من مُضَر ، وآخرون من ربيعة ، وعامة أهلها من أبناء اليهود .
وذكرت هذا مثالاً ، لا استيعاباً ، إذ لا قدرة على تحقيقه والإتيان على جمعه .

وأما مصر ودمشق : فمصران جامعان ، ولا يخلوان من بيوت العرب ، وذوي الحسب منهم والنسب .

عرب مصر :

قيل بدمياط سنبس ، وهم من الغوث بن طي . وكان لهم أيام الخلفاء الفاطميين شأن وأيام . وهم الخزاعلة ، وجموح ، وعبيد ، وحلفاؤهم من عذرة ، فرقة غير من تقدم ذكره .

ومدلج . وديارهاؤلاء من ثغر دمياط إلى ساحل البحر .

ويجاورهم فرقة من كنانة بن خزيمة ، أتوا أيام الفائز الفاطمي ، في وزارة الصالح ابن رُزّيك[٨] ومقدمهم لاحق ، ومن ولده قاضي القضاة شمس الدين بن عدلان .

وفرقة من بني عديّ بن كعب ، وفيهم رجال من عمر بن الخطاب ، ومقدمهم خلف بن نصر العمري ، فنزلوا بالبُرلُّس ، وكانوا هم والكناتيون من ذوي الآثار نوبة دمياط .

قلت : ونحن من ولد خلفٍ بن نصر المذكور . وهو شمس الدولة أبو علي : وقد وجد خاصّةً ، والوفد الكنانيُّ عامة — من ابن رُزّيك فوق الأمل ، وحلوا محلَّ التكرمة عنده ، على مباينة الرأي ، ومخالفة المعتقد .

وقد أتيت بذلك مفصّلاً في كتاب «فواضل السّمر ، في فضائل آل عمر» قلت : إنما قدمت هذا الفصل لغرض ، هو تعلّقه بنسبي ، وقومي الذين أنا منهم .

قال الحمداني : أول من سكن مصر جُذام ، حيث جامع عمرو بن العاص ، وأقطعوا فيها بلاداً بعضها بأيدي بنيهم إلى الآن . ثم عدّ من بها بالصّعيد من العُربان في زمانه .

فقال : أولهم بنو هلال ، ولهم بلاد أسوان وما تحتها .

ثم بليّ : ولهم بلاد أخميم وما تحتها .

ثم جُهَينة : ولهم بلاد منفلوط وأسيوط

ثم قريش : ولهم بلاد الأشمونين

ثم لواتة — ويقال فيهم لواتا — : ولهم معظم بلاد البَهنسا ، ومنهم أناس بالجيزة ، وأناس بالمنوفية ، وأناس بالبُحيرة ، وهم قبائل متفرقة يجمعهم لواتة .

ثم بنو كلاب : ولهم بلاد الفيّوم

قال : وهاؤلاء هم القبائل المشهورة في الصعيد .

وذكر جملا من أحوالهم وقال :

فأما بنو هلال فيرجعون الى عامر بن صعصعة من قيس عيلان . وكانوا أهل بلاد الصعيد كلها إلى عيذاب ، وبإخميم منهم بنوقرة ، وبساقية قلته منهم بنو عمرو ، وبطونهم وهم بنو رفاعة وبنو حجير وبنو عزيز . وبأصفون وأسنا بنو عقبة وبنو جَميلة (؟) ثم بني جميلة ، منهم نجم الدين الاصفوني الوزير ، وكان فقيهاً كاتباً عارفاً بأمور الديوان ، ضابطاً للأموال قبل علي الشجاعي ، وكان مشدّاً معه ، ولم تمتدّ له معه يدٌ في مال السلطان ، فدسّ له سمّاً في كعكة ، وأعطى عبداً كان له مئة دينار ، ليطعمها له ، بُكرة يكون فطرهُ عليها ، وأوهمه أنها عُمِلَت للتأليف بينهما ، فأطعمها ذلك العبد الجاهل سيِّدَهُ ، فكان فيها حَتْفُهُ ، واحتاط الشجاعي علي تركته ، وأمسك العبد ، وقتله ، وأخذ ما كان يملكُهُ ، ووجد معه الدنانير بصُرّتها فأخذها .

وأما بليٌّ : فمن قُضاعة ، وكانوا مُفرَّقين ، فاتّفقت هي وجُهينة ، فصار لبليّ من جَسر سوّهاي غرباً إلى قريب قولة ، وصار لها من الشرق من عقبة ، والحراث[9] إلى عيذاب .

قال : والموجود منهم اليوم في هذه البلاد من أصول بَليّ بن عمرو : بنو هني وبنو هريم ، وبنو سوادة ، وبنو حارثة ، وبنو رايس ، وبنو اياب[10] ، وبنو شادن وهم الأمراء الآن ، وبنو عجيل ابن الذيب ، وهم العجلة ، وفيهم الأمراء أيضاً .

ثم قال : ويقال : إن بني شادن من بني أمية ، وصل — يعني إذ طردوا — إلى القصر الخراب المعروف بهم — وكان معه رجل من ثقيف ، معه قوس ، فسموه القوس ، وذريته يعرفون بالقوسة ، والقوسية ، ودعوتهم لبني شادٍ ، وهم بطوخ ،

وكذلك يدعي لهم خلق سواهم ، منهم هذيل ، وهم بطوخ أيضاً ، ومنهم بنو حماد وبنو فضالة بمنفلوط ، وبنو خيار بفرشوط .

وقال : إن قوما زعموا أن بني شاد من بني العجيل بن الذيب ، وإنما هم إخوتهم ، وإنما العجيل كان قد تزوج أخت ابراهيم بن شاد ، فولدت منه ولد اسمه شادياً ، فوهم الجهلة لذلك . قال : وقد قال قوم : إن عجيل بن الذيب من ولد الشمر قاتل الحسين عليهي السلام ، وليس كذلك .

وأما جهينة : فمن قضاعة ، وهم أكثر عرب الصعيد ، وكانت مساكنهم في بلاد قريش ، فأخرجتهم قريش بمساعدة عسكر الخلفاء المصريين ، فهم اليوم في بلاد إخميم أعلاها وأسفلها .

قال : ورُوي أن بليًّا وبطونها كانت بهذه الديار ، وجهينة بالأشمونين ، جيرانا بمصر ، كما هم بالحجاز ، فوقع بينهم واقع أدّى إلى دوام الفتنة ، فلما أتى العسكر المصريُّ لإنجاد قريش على جُهينة خافَتْ بليٌّ ، فانهزمت في أعلى الصعيد ، إلى أن أُديلَتْ قريش ، وملكت دار جُهَيْنة ، ثم حصل بينهم جميعاً الصلح على مساكنهم التي هم بها الآن وزالت الشحناء .

قلت : وفي المثل : (وعند جهينة الخَبَرُ اليقين) قال أبو عبيد[١١] : خرج حصن بن عمرو بن معاوية بن كلاب ، ومعه رجل من جُهَيْنة ، فنزلا منزلاً ، فقتل الجُهَنيُّ الكلابيَّ ، وأخذ ماله ، وكان للكلابيِّ أختٌ اسمها صخرة ، فحولت تبكيه في المواسم ، فقال الأخنس الجُهنيُّ فيها :

لصخْرةُ اذ تسائلُ في مراحٍ وفي حرمٍ واعلمها ظنونُ
تُسائل عن حُصين كلَّ حيٍّ وعِنْدَ جُهَيْنة الخبرُ اليقينُ

وقيل : بل كان جهينة يَخْدِم ملكاً يمانياً ، وكان له وزيرٌ إذا غاب الملك خَلَفَهُ الوزير على بعض حظاياه ، فتبعه جهينةُ بحيث لم يَرَهُ ، فلما جلس الوزير على مقعد الملك في لِبْسه ، والحظيَّة إلى جانبه ، غنّى ، وقد أخذ منها السكر :

إذَا غَابَ المليكُ خَلَوْتُ لَيْلي أُضاجِعُ عِنْدَهُ ليلى الطويل

كأنَّ مطارح الوشحات منها   عبال يطَّردن على وعيل؟؟

فلما دخل فيهما السكر قام جهينة فقتل الوزير ، ودفن رأسه تحت وسادة الملك ، فلما أتى الملك وفقد الوزير ، جهد في تعرف خبره ، فلم يقف عليه حتى سكر جهينة ليلة عنده فقال :

تُسائل عن نهيدة كل وقت   وعند جُهَيْنَة الخبر اليقينُ

فسمعه بعض الندماء ، فأخبر الملك فسأله ، فأوقفه على الخبر ، فأمرهُ على بلاد كثيرة ، وأجزل له العطاء .

وأما قريش :

فنهم الجعافرة ، وهم من الزيانية ومنهم الزَّيَّانية ، ومنهم الشريف ثعلب صاحب ذَرْوة سيريام[١٢] ومسكنهم المرح[١٣] من بحري منفلوط الى سلموط غرباً وشرقاً . قال : ولهم أيضاً حدود ببلاد أخرى يسيرة ، قال : وبجرجة منفلوط قوم من بني الحسن بن علي ، وفي سيوط أناس من أولاد اسماعيل من جعفر الصادق ، يعرفون بأولاد الشريف قاسم .

ثم ذكر بطون الجعافرة فقال : منهم بنو أيمن ، وهم الحيادر ، ينسبون الى جدهم حيادرة .

ومنهم السلاطنة أولاد جحيش ، والإمرة فيهم في بني ثعلب ، وسمَتْ نفوسهم إلى الملك وخصوصاً الشريف حصن الدين ، وقد كان أنف من إمارة المعز والدولة التركية ، وكاتب الملك الناصر بن العزيز ، وأرسل اليه الفايزي الوزير وغيره في جيوش وكانت له ولهم أيام ، وآخر أمره نصب له الظاهر بيبرس حبائل الغدر ، وصاده بغوائل المكر ، حتى شنقه بالاسكندرية . قال : وهذه نبذة من أخبار الأشراف بالصعيد ، وحدود بلادهم وبلاد مواليهم وأتباعهم وحلفائهم ، من بلاد الأشمونين ، بالصعيد الى بحري اتليدم وما انحدر ، ومقطنهم[١٤] بالذروة .

قال : وأما غير الاشراف من قريش الساكنين بالصعيد فنهم بنو طلحة ، وبنو الزبير ، وبنو شيبة ، وبنو مخزوم ، وبنو أُميَّة وبنو زهرة ، وبنو سهم .

ومن موالي بني هاشم بنو مخر وبنو قنبر مولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

فأما بنو طلحة فمن بني طلحة بن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وهم ثلاث فرق ، هم وأقرباؤهم ، وأطلق على الكل اسم بني طلحة ، والأولى بنو إسحاق ، ويقال : إن اسحاق ليس بجدٍّ لهم ، ولكنه موضع تحالفوا عنده ، سموه اسحاق ، كناية ، كما تحالف الأزد عند أكمة سموها مَذحجاً .

والثانية : قضا طلحة ، وهم بطون كثيرة ، وأكثرهم أشتات في البلاد لا حدّ لهم .

والثالثة : يعرفون ببني محمد ، من ولد محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ومنازل بني طلحة بالبُرجين ، سقط سكرة ، وطلحا المدينة .

وأما بنو الزبير ، فمنهم بنو عبدالله بن الزبير ، وهم بنو بلدر ، وبنو مصلح ، وبنو رمضان ، ومنهم بنو مصعب بن الزبير ، ويعرفون بجماعة محمد بن رواق ، وبنو عروة بن الزبير ، وهو بنو عنى ، وبلادهم بالبهنسا وما يليها . وأكثرهم ذوو معايش وأهل فلاحة وزرع ، وماشية وضرع .

وأما بنو مخزوم فيدعون أنهم بنو خالد بن الوليد ، وكذلك ادَّعَى خالد بالحجاز ، وخالد حمص ، وغير هاؤلاء ـــ وقد أجمع أهل العلم بالنسب على انقراض عقبه ، ولعلهم من سواهم ، فهم من أكثر قريش بقية ، وأشرفهم جاهليّة ، وبلادهم متاخمة لما يليهم ، وفيهم بأسٌ ونجدة .

وأما بنو شيبة فيعرفون بجماعة نهاد ، وهم من جماعة شيبة بن عبد الدار ، وديارهم نواحي سقط وما يليها ، ويقاربها ويدانيها .

وأما بنو أمية ، فمن بني أبان بن عثمان بن عفّان ، وبني خالد بن يزيد بن معاوية ، وبني مَسلمة بن عبد الملك ، وبني حبيب بن الوليد بن عبد الملك . وديارهم تفده ، وما حولها .

قال : ومن هاؤلاء المراونة من ولد مروان بن الحكم ، ولهم قرابات بالأندلس ، وأشتات في المغرب .

ومرَّت الدولة الفاطمية وهم بأماكنهم من ديار مصر ، لم يُروَّع لهم سِرْبٌ ، ولم يكدَّر

لهم شُرُب ، وهم إلى الآن .

وأما بنو سهم فمن ولد عمرو بن العاص ، وهم في الفسطاط ، وفرق منهم أشتات بالصعيد ، ولهم حصّة في وقف عمرو بن العاص على أهل مصر .

قلت : وقد ذكر القضاعيُّ في «خطط مصر» دور السَّهميّين . قال : وهو حول المسجد حيث كان الفسطاط وهو موضع المحراب وما يليه من جانبيه إلى حيث السواري القبلية : قال : وفي بلاد قريش أختلاط من الناس سواهم ، وذكرهم فقال : وأما كنانة طلحة ، فهي من كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ، وهم بنو الليث وبنو ضمرة ، وهما أبناء بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وبنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة وفي بني فراس يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه لبعض من كان معه : لودَدْتُ أنَّ لي بألف منكم شيعة من بني فِرَاس بن غنم بن ثعلبة . قال : ولم تمكنهم قريش من التعدية إلى بلادها اذ أتوا من بلاد بادية الحجاز ، إلا بمراسلة بني إبراهيم بن محمد وكان مع كنانة جماعة من أخلاط العرب ، دُخلت في لفيفها ، وديارهم ساقية قُلّتة وما يليها . وبنو الليث ، ومنهم خاصّة سكان ساقية قلته .

وأما الأنصار : فمنهم بنو محمد ، وبنو عكرمة ، بجري بن منفلوط . قال : وبنو محمد من بني حسّان بن ثابت ، رضي الله عنه — وبنو عكرمة ينتمون الى سيد الأوس سعد بن معاذ ، رضي الله عنه .

وأما عوف فمن سُلَيْم ، وفي سُليم عوف أخرى . قال : ومنهم في الصعيد والفيُّوم والبُحيرة أناس كثير . وفي برْقة إلى الغرب منهم ما لا يُحصى .

وأما فزارة بن سعد بن قيس عَيْلان فمنهم جماعة بالصعيد ، وجماعة بضواحي القاهرة في قليوب وما حولها ، وبهم عرفت البلدة المسماة بجران فزارة .

قال : وقد مضى ذكر قريش ومن ساكنها .

وأما لواتة[١٥] وهم يقولون انهم من قيس بن غطفان بن سعد بن قيس[١٦] . وقال بعض النسابين : هم من ولد بَر ، من ولد قيدار بن اسماعيل ، كان قد ارتكب معصية فطرده أبوه وقال له : البَر البر ، إذهب يا بَر ، فما أنت بَرٌّ . فأتى فلسطين فتزوج امرأة من

العمالِيق ، فولد له منها أولاد منهم لواتة ومزانة وزِياة وهوارة وزويلة ، ومغيلة ومليكة وكتامة ، وعماره ، ونفوسه (١٧) وكانوا من ذَرِي جالوت ، فلما قُتل دخلوا المغرب وقيل : إن البَرْبر من ولد قفط بن حام . وقيل غير هذا كله .

عاد الحديث الى لواتة .

وهم بنو بلاد وحد وخاص ، وبنو محدول ، وبنو حديدي ، وقطوفه وبركين ومالوا وفروره ، قال : وبنو حديدي تجمع أولاد قريش وأولاد زعازع ، وهم أشهر من في الصعيد . وقطوفة تجمع مغانمة وواهله . وبركين تجمع بني زيد وبني زَوْحَين . ومَزورة تجمع بين وتكان وبني غرواس ، قال : وأما بنو بلاد ففرقتان : فرقة بالبهنساويَّة ، وفرقة بالجيزية ، فالفرقة البهنساوية بنو محمد وبنو علي وبنو نزار ، ونصف بني مهلان . وأما الفرقة التي بالجيزية فبنو محدول ، وسفاره وبنو أبي كبير ، وبنو الجلاس ، ونصف بني نهلان .

قال : ويقال لهذه الفرقه حدوخاص . ويقال للاولى البلاديَّة ، ومنهم مغاغه ، ولهم سلوط الى الساقة ، ولبني ركين اقلوسنا وما معها إلى بحري طنبذي ، ولبني حدوخاص الكفور وسفط فوحرحه الى حلسدي . واهريت ومنهم بنو محمد وبنو علي المقدم ذكرهما ، وأمراؤهم بنو زعازع . قال : ومزورة وبنو وركان ، وبنو عراش وبنو جباز وبنو الحكم وبنو الوليد وبنو الحجاج . وبنو الحرسه . قال : ويقال إن بني الحجاج من بني الحماس ، ولهذا يؤدون معهم القطايع . وقال : وبنو نزار في إمارة بني زعازع ، وهم من بني زربه ، ومنهم نصف بني عامر ، والحماسنة والصباعنه ، وأفرد قوم منهم لإمارة تاج الملك عزيز بن ضعان ثم ولده . ومنهم أيضاً بنو زيد وأمراؤهم أولاد قريش ، ومساكنهم نويرة دلاص ، وكان قريش عبداً صالحاً ، كثير الصدقة ، وهو والد سعد الملك الباقي بنوه .

قال : وفي المنوفية من لواتة أيضاً جماعة يأتي ذكرهم في مكانهم .

قال : وبالصعيد من لخم قوم مسكنهم بالبرّ الشرقي .

ومنهم من بني سماك : بنو مرو ، وبنو مليح ، وبنو نبهان ، وبنو عبس ، وبنو كريم وبنو بكر . وديارهم من طابف بيا الى منحدر دير الجميزة في البر الشرقي .

ومنهم من بني حدان : بنو محمد وبنو علي وبنو سالم وبنو مدلج وبنو عبس وديارهم من دير الجميزة الى ترعة صون .

ومنهم من بني راشد ، بنو معمر وبنو واصل وبنو مرا وبنو حبان وبنو معاذ وبنو البيض وبنو حجزه ، وبنو سنوه . وديارهم من مسجد موسى إلى اشكوا ونصف بلاد اتفيح . ولبني البيض الحي الصغير ، ولبني سنوه من ترعة شريف الى معصرة موس .

ومنهم من بني جعد : بنو مسعود وبنو جرير وبنو زنتر وبنو سمال وبنو نصار وسكنهم ساحل اتفيح ومنهم من بني عدي : بنو موسى وبنو محرب . ومساكنهم بالقرب منهم .

ومن بني بحر : بنو سهل وبنو معطار وبنو فهم وبنو عامر وبنو سند وبنو سباع ؛ ومسكنهم الحي الكبير ومنهم فسيس ومساكنهم بلاد الاسكر . ولبني غنيم منهم العدوية ودير الطين الى جسر مصر . ومنهم بنو عَمرو ، ومساكنهم من الرسق ولهم نصف حلوان . ولبني حمزة النصف الثاني ونصف طرا .

وأما عرب الجوف :

فمنهم جذام . وجذام من كهلان من اليمن ، وقد قيل : إنهم من ولد يعصر بن مَدْين بن إبراهيم الخليل عليه السلام ، وروى محمد بن السائب أنه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفْدٌ من جُذام فقال : «مَرحباً بقوم شعيب ، وأصهار موسى» . وزعم بعضهم أنهم [من] مَعَدّ ، وفي ذلك يقول جنادة بن خشرم :

ألا مَنْ مُبْلِغ المصرين أنّا ... غَضِبْنا كُلّ أجوف كالخلال
وما قحطانُ لي بأبٍ وأمٍ ... ولا نصطاد في شبه الضلال
وليس إليهم نسبي ولكنْ ... مَعديّاً وَجَدتُ أبي وخالي

قال : ومن إقطاعهم هربيط وتلّ بسطة ونوب ورم وحاد وغير ذلك .

وجميع أقطاع ثعلبة كان في مناشير جذام من زمن عمرو بن العاص ، وإنّما السلطان صلاح الدين وسّعَ لثعلبة في بلاد جذام ، ولذلك كانت باقوس وما حولها لهلبا سُويد .

قال : وهذا قبل كل شيء ، فولد زيد بن حرام بن جذام وهم : سويد وبعجة وبرذعة ، ورفاعة ونايل . ومن هاؤلاء بطون كثيرة ، فنهم هلبا : مالك ، ومالك هو

ابن سُوَيد ، ومنهم الحسينيون والفوارنة ، وهم أولاد الحسن ، والفور ابنَي بكر بن موهوب بن عبيد بن مالك بن سويد .

ومنهم العقيليون ، وهم بنو عقيل بن قرة بن موهوب بن عبيد بن مالك بن سُويد ، وفيهم إمرة ، وهم في نَجْمٍ وتِيْه ، وفيهم من أمر بالبوق والعلم ، وهو أبو رشد بن حبش بن نجم بن ابراهيم بن مسلم بن يوسف بن وافد بن عذيد بن عقيل بن قُرّة .

ودحية وثابت ابني هاني بن حوط بن نجم بن إبراهيم .

الحـواشي :

(١) أنظر عن نسب لبيلة حرب كتاب «الاكليل» للهمداني ج ١ ص ٢٩٨ .
(٢) كذا والصواب : (من ربيعة دخلوا في خثعم) .
(٣) نضيلة ليست معجمة الحروف في (أ) وفي (ب) . (نُضَيلة)
(٤) في (١) : (العصافير) بدون نقط .
(٥) صرخد : بقرب قرية الشيخ مسكين شمال حوران ، في سورية
(٦) في (ب) ديَزوع وبصري أقوام من ثعلبة من الأزد .
(٧) الطيبين : بدون نقط في النسختين .
(٩) تولى الوزارة سنة ٥٤٩ .
(٩) والخراب
(١٠) في (ب) : وبنو ناب
(١١) كذا وصاحب كتاب «الأمثال» أبو عبيد القاسم بن سلام .
(١٢) في «صبح الأعشى» ج ص ٦٨ — في الكلام على أولاد أبي جُحَيْش من الحيادرة ، من ولد اسماعيل بن جعفر الصادق : (وكانت منازلهم بدروت سرّيام ، وغلب عليها الشريف حصن الدين بن ثعلب ، فعرفت بدَروت الشريف من يومئذ) كذا
(١٣) كلمة غير واضحة في (أ) وفي (ب) : (المتفرع)
(١٤) في (ب) : (ومعظمهم)
(١٥) ضبط الاسم صاحب «صبح الأعشى» بالثاء المثلثة ، وفي «القاموس» بالتاء المثناة
(١٦) قال ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» ص ٤٦١ — الطبعة الأولى :
في الكلام على البربر : (وادَّعت طوائف منهم إلى اليمن ، إلى حِمْيَر ، وبعضهم إلى برّ بن قيس عيلان ، وهذا باطل لا شكّ فيه ، وما علم النسابون لقيس عيلان ابناً اسمه برٌّ أصلاً ، ولا كان لحميَر طريقٌ الى بلاد البربر إلاّ في تكاذيب مؤرخي اليمن) . انتهى
(١٧) في هذه الأسماء اختلاف بين ما في كتب النسب ، والوصول الى الصواب فيها صعب ، ويحسن مراجعة كتاب «جمهرة الأنساب» لابن حزم .

رحلة التميمي التونسي
إلى الحج

— ٥ —

ويتابع الشيخ القيرواني وصفه لما شاهده في مكتبة شيخ الإسلام في المدينة من مخطوطات ، فيذكر كتاب «اسعاف المُبَطَّا برجال المُوطَّا» للسيوطي — والكتاب مطبوع في عهدنا — فينقل عنه في ترجمة الامام مالك ، ومما نقل عن مالك : إنَّ هذا العلم دِينٌ ، فانظروا عمَّن تأخذون دينكم ، لقد أدركت سبعين ممَّن يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذه الأساطين ، فما أخذتُ عنهم شيئاً وإنَّ أحدهم لو ائتُمِن على بيت مالٍ لكان أميناً ، لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن .

وقال الشيخ القيرواني : وقَفْتُ على ترجمة شيخ الإسلام السيد أحمد عارف — تغمده الله برحمته — تأليف سيدي ابراهيم حَمدي ، فالتقطت منها جُملاً ، منها بيتان قدمهما قبل اسم المترجم هما :

فَذَاكَ الْفَرِيدُ بِذَاكَ الزَّمان ... ومُنْهَجُهُ المَنْهجُ الأقْوَم
فهذا الفخار وفيه الفخار ... بمثله فليفتخرْ آدم

ثم نقل نسب الشيخ إلى الإمام الحسين وذكر مولده ١٧ محرم سنة ١٢٠١ هـ واستمرَّ في سرْد ترجمته حتى ذكر أنه تولى مشيخة الإسلام في الاستانة سنة ١٢٦٢ ، وأنه توفي في ١٦ شعبان سنة ١٢٧٥ .

وقد أوردت ما تقدَّم لصلته بالشيخ إبراهيم حمدي الذي أدركته ولكن لم أعرفه مُؤلِّفاً ولعله اقتبس تلك الترجمة التي ألفها السيد محمود الألوسي بعنوان «شهي النغم في ترجمة عارف الحكم» ما عدا البيتين ، فهما بالشيخ ابراهيم — رحمه الله — أليق .

ومن الكتب التي رآها الشيخ القيرواني في مكتبة شيخ الإسلام :

مجموع فيه «التقصي» لمحمد بن عبد البر، و«إسعاف المُبطَّأ» و«تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك» للسيوطي والجواهر البهية، شرح الأربعين النووية» لمحمد للشبشيري — ورقم المجموع ٨٣٨ (مجاميع).

وكتاب «تقويم الأبدان، بتدبير الإنسان» لعلي بن يحيى بن عيسى بن جزلة البغدادي الطبيب؛ وقال: إنه نسخ سنة ٢٩٧ (؟) وأن رقمه ٥٢٠.

والأول من «الأفعال» لابن القوطية، رقمه ١٣١٤.

والجزء الأول من «الحلل السندسية» للسراج، وأنه استعاره، ورآى في صفحة ٧٨ ما نصه: (والقيروان لم يعلم الآن — بعد مدينة تونس في الوطن الافريقي أعظم منها مدينةً، أهلها أشبه الناس علماً، وأكثرهم حرافة، وأدرى الناس بتعاطي المتجر، وأحضر الناس جواباً، وأحَدُّهُم خطاباً، وأقواهم تَجَلُّداً على عضّ الدهر، وأبصرهم بعواقب الأمر، بينهم عُرى أخوّةٍ لم تنهلهل، وثباتُ قَدَمٍ في الحميَّة لم يتزلزل، ووثوقُ عَهْدٍ في الذبّ عن أنفسهم لم يتخلخل).

وأشار إلى تراجم لها صلة بالقيروان — وهي كثيرة — في أربع صفحات من أصل مخطوطة الرحلة —

نسخة من «تفسير الكشاف» في مجلد ضخم مذهب (على أتقن صورة؛ وبصفحتيه الأوليين ورق أحمر مكتوب بالأبيض، وجميعه بخط أعجمي في غاية الحسن؛ وفي آخرها أنها نسخت من نسخة الأصل في ٢٣ ربيع الآخر سنة ٥٢٨.

نسخة فيها «أربعون حديثاً» بالخط الأعجمي وبين أسطرها شرحها بالفارسية، للجامي، بخط رفيع، مذهب، على غاية في الاتقان.

قال: ورأيت أربعين حديثاً بخط الشيخ عارف وهبي، من تأليفه، وخطه أعجمي، على غاية من الاتقان.

ووجدت كتاباً في أقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم التي قضى بها، أو أمر بها. ومؤلفها عبدالله بن فرج قال: حملني على ذلك أني وجدت لأبي بكر بن أبي شيبة صاحب «المسند» كتاباً من تصنيفه ترجمه بكتاب «أقضية رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، ولم يذكر فيه إلا أقضية قليلة ، وأنه استخرج ذلك من كتب عديدة سماها ، وهي نحو عشرة كراريس .

ثم ذكر الكتب التي رآها في تلك المكتبة ومنها : تنوير الحوالك على موطا مالك — للسيوطي — رقم ١١٧ .

توضيح ما خفي من ألفاظ الشّفا — لعبدالله محمد الحجازي — رقم ٤٣ .
التيسير بشرح الجامع الصغير ، للمناوي رقم ٤٥ (ورقة ٧٩٥) .
جمع الفوائد ، ومجمع الزوائد — من جامع الأصول ، للإمام محمد بن سليمان المغربي رقم ٧١ .
الديباج على صحيح مسلم للسيوطي — ومعه فتح المتعال في مدح النعال ، للمقري ، رقم ١٣٥
فضل الخيل للدمياطي — رقم ١٩٣ — ونقل عنه .

وقال إن الشيخ عمر عيطة المدرس في الحرم الشريف المدني أنشده بيتين ، أوردهما ، ولكنهما ركيكان مبنى ومعنى .

ونقل أبياتاً سبعة كانت مكتوبة على جدران مكتبة شيخ الإسلام ، أولها :

خِـزانةٌ للكُتب فاقَتْ غَيْرها بما حَوَتْ من أنفَس العُلُوم

قال : وللسيد عبد الجليل برّادة ، يقرأها من كان خارج المكتبة ، داخل الشبّاك :

هَـذي خـزانـة كـتْبٍ ما مثلها في البلاد
حوت من الكتب جمعا وكـلُّ فنٌّ مُـراد
وقـل لمن رام علما هـلـمّ نحوي ونـاد
فـيـبغي ونـفـعـي مضافٌ لحاضرٍ ولـبـادي

واجتمع في المكتبة بأحمد بن الحاج عمر أفندي المعروف بابن رسول زاده ، من كذاه اف الملحق ببلدة طرابزون ، وله أخلاق طيبة ، وهو أشيب ، ومعه ولده السيد محمد مفيد ، وهم من مجاوري المدينة ، ومذهبهم حنفي ، وطريقتهم نقشبندية .

ما اتفق لفظه وافترق مسماه
من أسماء الأمكنة

للإمام محمد بن موسى الحازمي
(٥٤٨ / ٥٨٤ هـ)

— ١٣ —

١٧٨ — بابُ جُرَشٍ وجَرَّشٍ وجَوْشٍ وحَرَسٍ ، وحَرَّمٍ وحَلَسٍ وحِرْسٍ وخُرْسِيٍ[١]

أمَّا الأوَّلُ بِضَمِّ الْجِيمِ وفَتْحِ الرَّاءِ وآخِرُهُ شِينٌ مُعْجمة — : مِخْلاَفٌ مِنْ مَخَالِيْفِ اليمن تُنْسَبُ إلَيْهِ جَمَاعةٌ من أَهْلِ الْعِلْمِ ، مِنْهُمُ الْوَلِيْدُ بْنُ عبد الرحمن الجُرَشِيُّ مَوْلَى

(١) في كتاب نصر سوى (حُرمي) وزاد نصر (وخُرْسِ) وقال عنه : (وخُرْسُ أظنه موضعاً بقرب مصر.

وذكر اجتماعه ليلة الجمعة بدار الشيخ عمر حمدان بأفاضل منهم العالم الشيخ محمد خرمه ، من علماء الشام ؛ وأخوه عبد الغني ، وان الأخ أنشد قصائد غريبة بألحان غريبة — والشيخ محمد بن عمر زاهد الحنفي ، مدرس الحنفية ، وأحد الخطباء بالحرم ؛ وذكر أن هذا الشيخ خطب يوم الجمعة ٢١ محرم بالحرم خطبة بليغة ، عن الحج والزيارة قال : (خطبها بقريحة ، وكان جهوريَّ الصوت) .

وبعد الصلاة ذهب الشيخ القيرواني صحبة السيد زين العابدين بن العربي بن زروق التونسي الأصل وتغدّى عنه بعلوي داره ، وهي دار ضخمة البناء ؛ يواجه شبابيك علويها الحرم الشريف ، ووصف جمال منظر الحرم إذا أوقدت المصابيح ليلاً ، ونظر من تلك الشبابيك ، وأنه منظر عجيب يكشف ضريح حمزة وجبل أحد .

لآلِ أبي سفيان الأنصَاري ، يَروي عن جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ وغَيرِه[1]

وأمَّا الثاني ـــ بِفَتْحِ الْجِيْمِ والرَّآءِ ـــ : بَلْدَةٌ بالشَّامِ مِنْ فُتُوحِ شُرَحْبِيْلَ ابنِ حَسَنَةَ[2]

---

(1) عرّف نَصْرٌ جَرَش بأنه بلد بين مكة واليمن ولم يزد.
أما ياقوت فأطال الكلام عليها مما نقل عن ابن الكلبي عن سبب تسميتها وعن أول من سكنها ، ومما قال ياقوت : ويُنْسب اليها الأَدَمُ والنُّوق . وفُتِحت جرش في حياة النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر صُلحاً . وذكر ممن يُنْسَبُ إليها يزيد بن الأسود الجُرَشي من التابعين ، أدرك المغيرة بن شعبة وجماعةً من الصحابة ، كان زاهداً عابداً ، سكن الشام ، استسقى به الضحَّاك بن قيس وقتل معه بمرّج راهط.
ووصف الهمدانيُّ في «صفة جزيرة العرب» ـــ ص ٢٥٦ ـــ نشر دار اليمامة ـــ وصف جُرش فقال : جُرَش هي كورة نَجْدِ العليا ، وهي من دِيار عَنْز ، ويسكنها ويترأسُ فيها العواسج من أشراف حِمْيَر ـــ إلى أن قال : وجُرَش في قاعٍ ، ولها أشراف غربية . بعيدة منها ، تنحدرُ مياهُها في مَسِيْلٍ يَمُرُّ في شرقيِّها ، بينها وبَيْنَ حَمُومَة ناصية تسمى الأكمة السوداء ، حمومة وحَمَّة كولة ـــ ثم يلتقي هذا المسيل أَوْدية ديار عَنْز ، حتى تَصُبَّ في بِيْشَة بمعطان . فَجَرَش رأسُ وادي بيشة ، وذكرها الهمداني في مواضع أخرى وفي كتابه الإكليل.
وقال البكريُّ في «معجم ما استعجم» : جُرَشُ موضع معروف باليمن ، والعرب تقول : ناقةٌ جُرَشِيَّة ، أي حَمْراء جَيِّدةٌ ، وعِنَبٌ جَرَشيٌّ : جيِّدٌ بالغ . قال الهمداني : مَرَّ تُبَّعٌ أسعدُ أبو كرب في غزوته الأولى بجُرَش ، من أرض طَوْد ، فرأى موضعاً كثير الخير ، فخلَّف فيه نفراً من قومه ، فقالوا : بِمَ نَعِيْشُ ؟ فقال : اجرُشُوا من هذه الأرض وأثيروها وأعمروها ، فسُمِّيَتْ جَرَش ، وقيل : سُمِّيَتْ بجُرَش بن أسلم ـــ انتهى ـــ وجُرَشُ بن أسلم هو ابن زيد بن الغوث ، من حِمْيَر ، ذكر ياقوت نسبه ، كما أورد عن ابن الكلبيِّ خبراً في تسمية جَرَش عن ابن الكلبي أغرب مما نقل البكريُّ عن الهمداني . وكثيراً ما يحاول المتقدمون كابن الكلبي تعليل أسماء المواضع التي لا يفهمون معناها تعليلاتٍ ساذجة.
وجَرَش هذه تقع في بلاد عسير ، على مَقْرُبَةٍ من مدينةِ أَبْها ، قاعدة هذه البلاد ، وتبعد عنها جنوباً نحو ثلاثين كيلاً ، وأكمة حمومة لا تزال معروفة هناك ، لكنَّ جرش خالية من السكان منذ زَمنٍ ، والعواسج الذين كانوا رؤساء سكانها انتقلوا الى وادي ابن هَشْبَل ، بين أبها وبِيْشَة ، وتقع جرش بقرب خط الطول : ٠٠/ ٤٣° وخط العرض ١٥/ ١٨° ـــ وقد تحدثت عنها في كتاب «في سراة غامد وزهران» ص ٤٢ إلى ٤٩.
وقد زار موقع جرش القائد التركي سليمان شفيق باشا حينما كان في بلاد عسير ، فتحدث عنه في مذكراته التي نشرت في مجلة «العرب» ومما جاء في وصفه له : ذهبت الى النقطة التي يتصل فيها وادي بيشة ووادي عتقة في الشمال ، وهناك أطلال بلد قديم ، زرتها فعلمت منها أنَّ البلد كان مبنياً بالآجر على خلاف عادة الأهالي الآن ، فإنَّ البناء الحاضر ليس فيه آجر ، ولا يصنعونه قط ، وفي الشمال الشرقي من هذه الأطلال على مسافة ألف متر ، وُجِد أكمة بركانية اسمها (حمومة) ارتفاعها مئة وعشرون متراً . والظاهر أنها كانت في القديم بركاناً يقذف الحُمم ، وأنَّ خراب المدينة القديمة الباقية أطلالها إنما كان بحادثة بركانية . انتهى.

(2) جَرَش ـــ بفتح الجيم ـــ لم يزد الحازمي في تعريفه على ما جاء في كتاب نَصْرٍ ، وتحدث عنه ياقوت بتفصيل مُفيد . وهو الآن بلدة عامرة من بلاد شَرْق الأردنّ ، ذات آثار قديمة ، يقصدها السُّيَّاح لمشاهدتها ، وموقعها وما حولها نَضِرٌ بكثرة نباتاته وأشجاره وشهرة هذا الموضع تغني عن الحديث عنه.

وأمَّا الثَّالِثُ ــ بَعْدَ الجيمِ المفتوحة واوٌ ساكنة ــ : جَبَلٌ في بِلاَدِ بَلْقَيْن بن جَسْرٍ له ذكر في الشّعر ، قال الْفَرَزْدَقُ :

تَجَاوَزْنَ مِن جَوْشَيْنِ كُلَّ مَفَازَةٍ وهُنَّ سَوَامٍ في الأَزِمَّةِ كَالإجْلِ

قال السُّكَّرِيُّ : أراد جوْشا وحَدَداً ، وهُمَا جَبَلانِ في بلاد بَلْقَين بن جَسْرٍ[1]

وأمَّا الرَّابعُ ــ أوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ بعدها رآء مفتوحة أيضاً : وآخره سِينٌ مُهْمَلَة ــ : قَرْيَةٌ في شَرْقِيَّةِ مِصْرَ تُنْسَبُ إليها جَمَاعَةٌ ، منهم أبو يحيى زكريَّا بْنُ محمدِ بْنِ صالحِ بْنِ يعقوبَ القُضاعِيُّ ، الْحَرَسِيُّ ، كاتِبُ عبد الرحمن ابنِ عَبْدِاللهِ العُمَرِيِّ ، يروي عن المفضَّل بْنِ فَضَالة وابْنِ وَهْبٍ ، توفي في شعبانَ سنة اثنَتَيْن وأَرْبَعين مئتين[2]

---

(١) جَوْشٌ يعرف الآن باسم الطُّبَيْق سلسلة من الجبال تقع في غرب وادي السِّرحان ، والجبل الذي يُقرنُ به وهو بقربه هو جبل العلَم ، وليس حَدَداً ــ كما ذكر السُّكَّريُّ ــ إذْ حَدَدُ بعيد عن جَوْش ، فهو مشرف على بلدة تَيما في جنوبها الشرقي ، ويعرف الآن باسم عُنَيم ــ قال المُتنبيُّ :

طَرَدْتُ من مِصْرَ أَيْدِيها بأَرْجُلِها حتَّى مَرَقْنَ بِنَا مِنْ جَوْشَ والعَلَمِ

وقد يغلب اسم جوش كما قال البعيث

تَجَاوَزْنَ مِنْ جَوْشَيْن كُلَّ مَفَازَةٍ وهُنَّ سَوَامٍ في الأَزِمَّةِ كَالإجْلِ

كذا نسب ياقوت البيت للبعيث ، مع أنَّ الحازميُّ والبكريُّ نسباه للفرزدق.

وقد تحدثت عن الجبلين في كتاب «في شمال غرب الجزيرة» وفي قسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» وأوردت ما اطلعت عليه من كلام المتقدمين عنها.

وكلام نصر في تعريف جوش : (من بلاد القين ، أرض بين أذرعة ، عند دمشق ونجد) كذا والعبارة مضطربة وقال ياقوت : (جوش جبل في بلاد بَلْقين بن جَسر ، بين أذرعات والبادية) انتهى .

والذاهب الى دمشق من نجد يَمرُّ بالجوشين ، ثم بأذرعات (ازرع الآن) .

(٢) حَرَس بالتَّحريك : الغريبُ أنَّ نَصراً الاسكندريَّ وهو ممن عاش في مصر سمّى الموضع (خَرَساً) بالخاء المعجمة ، وقال : أظنه موضعاً بقرب مِصْر) فعلمه عنده مُجرَّدُ ظَنٍّ .

أما ياقوت فذكر ما أورد الحازميُّ وزاد : (نسب إلى هذا الموضع جماعة كثيرة مذكورة في تاريخ مصر) وأرَّخ وفاة القضاعي سنة ٢٤٢ وذكر ابنه أبا بكر أحمد المتوفى سنة ٢٥٤ وأحمد بن رزق الله بن أبي الجرَّاح الحرمي ، روى عن يونس بن عبد الأعلى ومات سنة ٢٤٦ .

وأمَّا الخامِسُ الرَّآءُ ساكنةٌ والباقي نحو ما قبله ـــ : مآءٌ لِبَني عُقَيْل وقيل : جَبَلٌ في بِلاد عامِر بن صَعْصَعة[1] .

وأمَّا السَّادِسُ بَعْدَ الحَآءِ الْمَفْتُوحَةِ دَالٌ مُهْمَلَةٌ مفتوحةٌ ـــ : بَلَدٌ مِنَ الشام يَسْكُنُهُ قَوْمٌ من لَخْمٍ[2] .

---

(١) حَرْس ـــ بإسكان الراء ـــ لم يزد الحازمي على تعريف نَصْر ـــ .
وقال ياقوت : حَرْسٌ : من مياه بني عُقَيْل بنجد عن أبي زياد ، وأورد قول مُزاحم العُقَيْليّ .

تَطَرَّتْ بِمفْضَى سَيْل حَرْسَيْن والضُّحَى ... يَلُوحُ بأطْرَافِ النَّخَارِ آلُهَا

قال : وهما ماءان اثنان يُسَمَّيان حَرْسَيْن ، وهناك عِدَّةُ مياهٍ تُسَمَّى الحروس . قال ثَعْلَبٌ في قول الراعي :

رَجَاؤُكَ أنْسَاني تَذَكُّرَ إخوتي ... وَمَالُكَ أنْسَاني بِحَرْسين مَالِيا

إنَّما هُوَ حَرْسٌ ، ماءٌ بين بني عامرٍ وغطفان بين بلديهما . وإنما قال : بِحَرْسين لأنَّ الاسمين إذا اجتمعا وكان أحدُهُما مشهوراً غَلَّبَ المشهور . انتهى .
وأورد البكريُّ قول الراعي ـــ وأنه مدح هشام بن عبد الملك فلما سمع البيت قال : ذلك أحمق لك . ونقل عن الأصمعي : حَرْسان : جَبَلان في ديار بني عَبْسٍ ، وقال الزُّبير : حَرْسان وادي بني العجلان . وأورد لحميد بن ثَوْر :

وَلَقَدْ نَظَرْتُ إلى الحُمُول كأنَّها ... زُمَرُ الإشاء بِجانبي حَرْسِ

وزعم ـــ أعني البكريَّ ـــ أنه جبل في ديار عبس .
ليس من المستبعد وجود جبال ومياه مُتعدِّدة تعرف باسم حَرْس : ولكن القول بأن منها ماء بين بني عامر وغطفان غريبٌ ، فديار القبيلتين لَيْسَتْ مُتجاورة ، يفصل بينهما بلاد سُلَيم . ثم إنَّ بين القبيلتين من العداء ما يحول دون تشاركهما ، وبينهما حروب في الجاهلية منها يوم الرقم وغيره .
والذي يظهر لي أنَّ ماء بني عُقَيْل هو المعروف الآن باسم حروس ـــ بلفظ الجمع ـــ وهو واقع في جبلي الظَّرْين اللذين لراهما هما الحَرْسين ، في جنوب نجد ، بقرب هضب الدواسر شمال الحقب ، جنوب هضب الدخول ، وتلك بلاد بني عُقَيْل قديماً ، فوادي الدواسر كان يعرف باسم عَقيق بني عُقَيْل : وعقيق جَرْم ، وعقيق تَمْرَة .
(٢) حَدَسٌ : ـــ بفتح الحاء والدال المهملتين وآخره سين مهملة ـــ : تعريف الحازمي له هو نصُّ كلام نَصْر . ولم يزد ياقوت عليه ، إلا بتفسير الحَدْس ـــ وهو الرَّمي ، ومنه أخذ الظَّنُّ ـــ وأورد الاسم صاحب «تاج العروس» مُعَرَّفاً (الحدس) ولَمْ يأتِ بزيادة .
أَفَتَرى نَصراً اشتبه عليه اسم حدس اسم البطن الذي من قبيلة لخم ، فظنه اسم موضع ، أو أنَّ هناك من قُراهُمْ في الشام ما سُمِّي باسم ذلك البطن جاء في «القاموس المحيط» : وبنو حَدَسٍ بطن عظيم من العرب) وزاد صاحب «التاج» : من لخم ، وهو حدس بن أُرَش بن إراش بن حرملة بن لخم ـــ كذا جاء في المطبوعة الأولى من «التاج» وفي الكلام أخطاء يصححها ما جاء في كتاب «الإيناس» لابن الوزير المغربي ـــ ص ١٢٩ ـــ نشر (دار اليمامة) ـــ : حدس بن أريش بن إراش بن جَزيلة بن لخم .

المعجم الكبير

[يقوم مجمع اللغة العربية في القاهرة بتأليف معجم يَحوي ما عُرِف من المفردات اللغوية بصفة شاملة ، تعرض موادُّه على أعضاء المجمع في دورته السنوية ، بعد أن ترسل الموادُّ الى الأعضاء لابداء ملاحظاتهم عليها قبل العرض . وهذه بعض ملاحظات على ما طالعته من مواد ذلك المعجم التي ستعرض في الدورة التي ستعقد في خلال شهر ربيع الثاني سنة ١٤٠٢ (فبراير — مارس) سنة ١٩٨٢ م من مادة (ج.ل.ج) الى آخر مادة (ج.م.ع.ل)]

وأمّا السّابع — : أوّلُهُ خاءٌ مُعْجَمَةٌ مَكْسُورَةٌ بَعْدَهَا رَاءٌ ساكنة — : حِصْنٌ بأرمِينِيَةَ عَلَى البَحْرِ ، مُتَّصِلٌ بِشروان ، كَانَ مَرْوَان بْنُ مُحَمَّدٍ صَالَحَ عَلَيْهِ أَهْلَهُ[1] .

وأمّا الثّامِنُ — : أوله خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَضْمُومَةٌ ثم رآء ساكنةٌ ، وبعد السين ياءُ النِّسْبَةِ — : مُرَبَّعَةُ الخُرْسِيِّ بِبَغْدَاد ، كانَتْ تُنْسَبُ إلى الخُرسيِّ صَاحِبِ شُرْطَةِ بَغْدَاد[2] .

---

(١) خِرْسٌ — بالخاء المعجمة بعدها راء ساكنة فسين مهملة . : لَم يرد الحازمي حَرفاً على تعريف نَصْرٍ هذا الموضع . وكذا فعل ياقوت في «معجم البلدان» وأطال القول في شَروان ، وأنها من نواحي باب الأبواب (الدربند) بينهما مئة فرسخ (١٠٠ × ٣ = ٣٠٠ ميل نحو ٦٦٠ كيلاً) . ولم يذكر اسم خِرس هذا السمعاني في كتاب «الأنساب» مع شدة عنايته بالمنسوبين إلى البلاد الشَّرقية ، كما لم يرد الاسم في كتاب «بلدان الخلافة الشرقية» وقد حَدَّدَ شِرْوان — ص ٢١٤ — تحديداً واضحاً .

(٢) الخُرْسِيُّ : قال الشيخ المعلّمي — رحمه الله — في حاشية كتاب «الإكمال» ج ٢ ص ٢٤٢ .. وذكر في «التوضيح» أن مُربعة الخرسي في الجانب الشرقي من بغداد ، ثم قال : وسعيد الخرسي بني سوق العطش ببغداد للمهدي ، في الجانب الشرقي من بغداد ، وحوّل إليها التجّار ، قاله ابن الجوزيّ في المنتسب . قال المعلّمي : لا يبعد أن يكون صاحب المُربعة انتهى . ولكن ياقوتاً قال في «معجم البلدان» : الخرسي نسبة الى خراسان . أما مُربّعة فكأنه يراد به الموضع المربّع — وهي محلة في شرقي بغداد ، فكان الخُرسي هذا صاحب شرطة بغداد ، وأظنه في أيام المنصور انتهى .

١ ـــ ص : ٦١٦ ـــ : (جُلاجل : جبل من جبال الدهناء (ل ، ق ، ت)[1] وقيل : أرض باليمامة . ثم الاستشهاد بقول ذي الرُّمَّة .

جُلاجل موضعان : الأول جَبَل من جبال الدهناء ـــ بالحاء المهملة ـــ وهي الرمال الممتدة وهو الوارد في شعر ذي الرمة .

والثاني : أرض باليمامة أصبح موضعها بلدة كبيرة تعرف بهذا الاسم وقد ذكر موضع اليمامة الاصفهاني في كتاب «بلاد العرب» وياقوت الحمويُّ ذكره عرضاً في الكلام على وادي المياه في «معجم البلدان» وأنه أول ما يسقي جُلاجل ، ووادي المياه يعرف الآن باسم (أبو المياه) وهو في منطقة سُدَيْر شمال مدينة الرياض بنحو ١٥٠ كيلاً تقريباً .

٢ ـــ ص ٦١٨ ـــ : (ودارة جُلْجُل : موضع بديار كِنْدة ، قال امرؤ القيس (٨٠ ق هـ = ٥٤٥ م)

ألا رب يوم لك منهن صالح ولا سيَّما يوم بدارة جلجل

القول بأن هذه الدارة في بلاد كندة ناشيء عن كون الشاعر امرؤ القيس من تلك القبيلة ، وليس كلُّ موضع يذكره الشاعر في شعره يكون في بلاد قومه .

والصحيح أن دارة جلجل في حِمَى ضَرِيَّة في سُرَّة نجد على ما ذكر الهجريُّ في كتابه ، وعلى ما نقل ياقوت عن الأصمعي وأبي عبيدة وهذا أرجح الأقوال في تحديد ذلك الموضع .

٣ ـــ ص : ٦٣٨ ـــ : (أبو جِلْدة اليشكريُّ : شاعر أمَويٌّ كان من أخَصِّ الناس بالحجاج ، ثم خرج عليه مناصراً لابن الأشعث) .

تحسن الإشارة الى الاختلاف في هذا هل هو أبو جلدة بالجيم أو أبو خلدة بالخاء فقد قال ابن الوزير المغربي في كتاب «الايناس» ـــ ص ١٣٦ ـــ منشورات دار اليمامة : أبو خلدة اليشكريُّ رأيت بخط ابن دريد أبو خلدة بالخاء ومن قال بالجيم فقد أخطأ . ثم نقل ابن الوزير أقوالا أخرى أنه بالجيم وقال ابن الوزير أيضاً في كتاب «الالحاق بالاشتقاق» : الصحيح عندي في أبي خلدة أن يقال فيه القولان أبو خلدة لرواية ابن

دريد ، وأبو جلدة لإطباق أكثر العلماء عليه ثم ساق نسبه الى يشكر بن وائل .

٤ — ص : ٦٤٧ — : (جلذان : حِمىً قُرْبَ الطائف ، لَيِّنٌ مُسْتوٍ كالرَّاحة (ل ، مع ، ت ، ق) .

يُضرب المثل بلينه وسُهولته فيقولون : «أسْهَلُ من جِلْذَان» (ل ، مع ، ت) .

جلدان بالدال المهملة في كثير من المؤلفات القديمة مثل كتاب «صفة جزيرة العرب» للهمداني وكتاب «الجبال والمياه والأمكنة» للزمخشري «معجم ما استعجم» للبكري وهو اسم أرض تقع شرق الطائف بنحو ٥٠ كيلاً لا تزال معروفة وينطق الاسم الآن جلدان بالدال المهملة ، وذكر ياقوت الحمويُّ أنه ينطق بالدال والذال .

٥ — ص : ٦٥٥ — : (وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع بلال بن الحارث معادن القَبَليَّة غَوريَّها وجَلسيَّها

القَبَلِيَّةُ : ناحية قرب المدينة، وقيل هي من ناحية الفرع)

القَبَلِيَّةُ على ما يُفهم من كلام العلماء المتقدمين هي السراة الواقعة بين المدينة وبين بلاد يَنْبُع ، ما سال منها الى ينبع يسمي بالغور ، وما سال منها الى المدينة يسمى بالْقَبَلِيَّة هذا التفسير نقله الزمخشري في كتابه وهو كثيراً ما يعول في كتابه على شيخه عُلَيٍّ بن وهَّاس الحسني ، وهو خبير بتلك المواضع لأنه من أهلها ولا صلة لهذه الجهة بالفرع .

والقول بأن القبلية من نواحي الفرع ينسب للقاضي عياض وهو من أهل سبْتَة من المغرب الأقصى ولعله أخذ هذا من حديث آخر نقل عن مالك بن أنس — رحمه الله — أنه قال أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلال بن الحارث معادن بناحية الفرع . فإذا صحَّ هذا الحديث فهو إقطاع آخر غير القبلية لأن الفرع يقع شرق المدينة بميل نحو الجنوب والقبلية تقع غربها .

٦ — ص : ٦٥٨ — : يلاحظ تكرار خبر إقطاع بلال بن الحارث معادن القبلية في هذه الصفحة وفي صفحة ٦٥٥ .

وجاء في هذه الصفحة (قال الشمَّاخ : (٢٢هـ = ٦٤٣م) .

وأضْحَتْ على ماء العُذَيْب وعَيْنُها كَوَقْبِ الصَّفَا جَلِسيُّها قد تغوَّرا

العُذيب : واد بظاهر الكوفة وقيل : ماء لبني تميم باليمامة) .

الشماخ في قصيدته هذه يصف رحلته الى العراق ، وهذا البيت ورد بعد ذكره زُبالة الواقعة شرق الجزيرة ، فهو بهذا يقصد الوادي الذي بظاهر الكوفة ، ولا صلة للبيت بالموضع الذي في بلاد بني تميم في اليمامة لبعده عن طريق سيره الموضح في قصيدته التي منها الشاهد .

وقد حدد المتقدمون المسافة من الكوفة الى العذيب بـ(٢٤ ميلاً) كما في كتاب «المسالك والممالك» لابن خرداذبه ، وذكر المستشرق موزل في كتابه «شمال نجد» أن العذيب يعرف اليوم باسم عين السيد وقدر المسافة بينه وبين الكوفة بـ(٣٥ كيلاً) — أنظر مجلة «العرب» س ٧ ص ١٩٦ .

٧ — ص : ٦٦٨ — : جلعب : جبل بالمدينة المشرقة (ت ، مع ، مي ، تك) تلقاء الخبيت بينهما وبين المدينة بريدان (البريد= ١١,٥كم) اليه مَضَى الذين تولوا يوم التقى الجمعان في غزوة أحد . (مس ، لج) .

الغريب أن الذين ألفوا عن تحديد المواضع القريبة من المدينة والملحقة بها لم يذكروا جلعب ولا الخبيت ، ومنهم صاحب القاموس في كتابه «المغانم المطابة» ومؤرخ المدينة السمهودي في كتابيه «وفاء الوفاء» و«خلاصة الوفاء» .

أما القول بأن البريد يساوي (١١,٥ كيلا) فهذا خلاف المعروف فالبريد عند المتقدمين يساوي (٤ فراسخ) والفرسخ يساوي (٣ أميال) (١×٤ = ٤×٣ = ١٢ ميلا) والميل يساوي كيلين مع زيادة يسيرة وعلى هذا فالبريد يساوي ٢ × ١٢ = ٢٤ كيلاً لا كما تقدم ذكره . وقارن ما تقدم مع ما ورد ص ٧٠٢ (الفرسخ = ٥,٧٦كم) فهذا أقرب الى الصواب .

وقد قست عددا من الأميال الواقعة في طريق الحج بسير السيارة فوجدت الميل الواحد يتراوح قياسه بين ٢١٠٠ و٢٠٨٠ من الأمتار (أي ٢/١٠٠ و٢/٠٨٠ من الأكيال) .

٨ — ص : ٦٨٩ — : قالت امرأة من العرب :

ألا مَنْ لعَيْن لا تَرَى قُلَل الْحِمَى ولا جَبَل الرَّيَّان إلاَّ اسْتَهَلَّتِ
لجوجٍ إذَا سَحَّتْ هَمُوعٍ إذَا بَكَتْ بَكَتْ فَأدقَّتْ في البكا وأجَلَّتِ

البيتان أوردهما الهجري في كتابه «التعليقات والنوادر» مخطوطة دار الكتب المصرية من قصيدة بلغت ٥٣ بيتاً للصمة بن عبدالله القشيري والهجري من علماء اللغة والأدب الموثوق بهم لقدم عصره ولسعة علمه فهو أعلم ممن نسبوا البيتين لامرأة وأقدم منهم .

٩ — ص : ٦٩٠ — : (ذو نَجَبٍ يوم من أيام العرب) .
يحسن أن يقال : ذو نجب موضع جرى فيه يوم من أيام العرب .

١٠ — ص : ٧٣٤ — : (الْجَمَّاء جبيل بالمدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلى الْجُرُف وقيل : اسم هضبة سوداء وهما جماوان عن يمين الطريق للخارج من المدينة الى مكة) .

الجماوات ثلاثة جبيلات تقع شمال المدينة بعد العقيق ، وقد بلغها عمران المدينة وهي معروفة بهذا الاسم وقد حددها السمهودي في «وفاء الوفاء» أوضح تحديد : ويدعها طريق المتجه من المدينة الى مكة على يمينه رأي العين .

١١ — ص : ٧٥٠ — : (جُمْدان : وادٍ بين أمج وثنية غزال . (ت ، ق) و— : جبل بطريق مكة بين ينبع والعيص ، وقيل بين قُديد وعسفان ، من منازل بني سليم ويقال هو على ليلة من المدينة (ل ، معجم ما استعجم) .

جمدان : جبل لا يزال معروفاً هما جبلان مقترنان يسميان بهذا الاسم يقعان شرق الطريق من مكة الى المدينة على مسافة تقارب تسعين كيلاً من مكة وهما يقعان بين وادي (خُلَيْص) وبين ساحل البحر ويفصل بينها وبين البحر أرض خالية من الجبال .

والقول بأن جمدان على ليلة من المدينة خطأ إذ بينهما ليال بمسير الابل ، وجمدان هذا بين قديد وعسفان .

ويبعد عن المدينة نحو ثلاث مئة كيل .

أما القول بأنه جبل بطريق مكة بين ينبع والعيص فهو قول غير مستقيم ، إذ ينبع والعيص يقعان غرب المدينة ومكة تقع شرق المدينة إلا إذا كان هناك من الجبال بقرب ينبع والعيص ما يطلق عليه هذا الاسم فلا أعرفه .

١٢ — ص : ٧٦٢ — : (جُمْران : جبل بَحِمَى ضَرِيَّة ، وقيل جبل أسود بين اليمامة وفيد من ديارهم وقيل موضع ببلاد الرباب (لج) .

جمران : جبل لا يزال معروفاً واقع غرب منطقة إقليم السِّرّ في بلاد نجد وفيه منهل بهذا الاسم ، وليس من جبال حمى ضرية بل يقع شرقها ، وهو جبل أسود وكان قديماً من بلاد الرِّباب ، أما الآن فمن بلاد قبيلة الرُّوقة من عُتيبة .

والقول بأنه بين اليمامة وفيد ليس صحيحاً فهو يقع في الجنوب الغربي من فيد واليمامة تقع جنوب فيد وشرقه ، وأصل هذا القول أن الذين يأتون الى اليمامة من العراق وشرقه يسلكون طريق الحج لكونه آمن الطرق ، لعناية الدولة بحفظه ، وقد يسيرون بعد فَيْد إلى الجنوب الغربي طلباً للأمن ، ثم بعد ذلك يرجعون الى اليمامة و يمرون بجمران ولكن هذا الطريق الطويل تلجيء إليه الضرورة لقلة الأمن في ذلك الوقت .

١٣ — ٧٨٤ : (جامع الجار فرضة لأهل المدينة)

ثم المصادر : التاج والقاموس ومعجم البلدان والتكملة .

ويلاحظ أن أقدم من ذكر ذلك — حسبما جاء في المصادر المذكورة هو صاحب «التكملة» الصاغاني المتوفى سنة ٦٥٠ وإخال الذين أتوا بعده نقلوا عنه — نقلاً مُجَرَّداً بدون تمحيص ، ونصُّ كلامه في كتاب «التكملة» — رسم جمع — : (وجامع الجار : فرضة لأهل المدينة ، كجدة : لأهل مكة) . انتهى .

وأخشى أن يكون الصاغاني اطلع على كلام في وصف جامع الجار : أي مسجد الجار الذي تصلى فيه الجمعة — ورد بعده وصف لبلدة الجار : (وهو فرضة لأهل المدينة) فخال الوصف متعلقاً بالجامع ، لا بالوصف .

ثم جاء ياقوت فنقل كلام الصاغاني .

أمّا صاحب «القاموس» فإنه ينقل نَصَّ ما في كتاب ياقوت «معجم البلدان» حتى

بنو تميم في بلاد الجبلين

لقد اطلعت على كتاب الأخ عبدالله بن علي بن صُقَيه : «بنو تميم في بلاد الجبلين» الذي نشر مؤخراً ، وهذا الكتاب بلا شكٍّ مَبحث جديد ، وذو فائدة لا تنكر للباحث في نفس الموضوع ،

في الكلمات المصحَّفة .

والغريب أنه في كتابه «المغانم المطابة» الذي حاول فيه أن يحصر جميع المواضع المضافة الى المدينة ، لم يذكر (جامع الجار) ولا (الجار) نفسه .

والسمهودي مؤرخ المدينة الذي حاول حصر كل المواضع الملحقة بالمدينة — لم يذكر في كتابيه «وفاء الوفاء» و«خلاصة الوفاء» (جامع الجار) وإنّما ذكر الجار .

ويجمع المتقدمون الذين تحدثوا عن تحديد الأمكنة في منطقة المدينة ، على أن الجار هو فُرْضة المدينة ، ومع أنَّ اسم الجار أصبح مجهولاً الآن ، إلا أن موقعه — حسب تحديد المتقدمين له — لا يزال معروفاً ، وآثار العمران لا تزال بارزة فيه ؛ وكان مستعملاً فُرْضَةً إلى عهد قريب ، ففي سنة ١٢٢٦ — بعد هزيمة جيش محمد علي باشا بقيادة ابنه طوسون في وقعة الصفراء ، ركب المنهزمون من فلول جيشه السفن من تلك الفرضة التي عُرِفت باسم البُريكة — بلفظ تصغير بِرْكة — وهي موقع فرضة الجار ، وهذه الفرضة تقع غرْب بَدْرٍ ، في أسفلِ واديه (وادي الصفراء) على مسافة ٣٠ كيلاً من بلدة بدر التي تبعد عن المدينة ١٥٠ كيلاً — أي أن المسافة بين المدينة وبين الجار مئة وثمانون كيلاً .

ويقع الجار شمال ميناء الرايس بنحو خمسة أكيال — على البحر الأحمر بين هذه المينا وبين ينبع .

ويقع بقرب خط الطول ٣٠/ ٣٨° وخط العرض ٤٠/ ٢٣° .

وقد شاهدت الموقع وتحدثت عنه في كتاب «في شمال غرب الجزيرة» ص ١٩١ .

وحبّذا لو أن المؤلف تعمّق في الإطلاع على عدد أكثر من المصادر والمراجع ، واستقصى ومحّص أحاديث الرواة ، ليظهر الكتاب بفائدة أوفى ونفع أعم .

ولا يفوتني بهذه المناسبة تصويبُ بعض ما ورد في الكتاب مما أعرفه :

١ — في صفحة ٣٤ — مؤسس الروضة هو حمود بن سليمان العُمَير التّميمي رحمه الله وليس سليمان كما ورد في الكتاب ، وقد روي لي ذلك عدد من الأشياخ المسنين ، يرحمهم الله وحتى قبره رحمه الله أعرفه الآن .

٢ — ص ٣٥ . ذكر جَدُّ أسرتنا (آل السُّويداء) هو أبو سعود السُّويداء ، والواقع أنه زيد بن ابراهيم السويداء رحمه الله .

وقد قدم جدنا إبراهيم بن سعد آل جناح من عُنيزة بعد حوادث عام ١١٧٤ بين آل جناح من جهة وآل جرّاح من جهة أخرى بعد مقتل فراج آل جناح قدم الى قفّار ، وعاش فيها وتوفي رحمه الله وفي قفار لُقّب ابنه زيد (بالسُّويداء) ومنها هاجر مع حليفه حمود بن سليمان العُمير التميمي كما ورد في موضع آخر من الكتاب ، وقد تحالف الاثنان .

أما تأسيسها في الربع الأخير من القرن الثاني عشر الهجري ، بدليل ما جاء بكتاب «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد» لمؤلفه ابراهيم بن عيسى رحمه الله ص (١٢٠) في حوادث عام ١١٩٦ هـ من أنّ الأمير سعود بن عبد العزيز بن محمد رحمه الله أخذ الصُّهبة من مُطير على «المُستجدّة» وقتل رئيسهم دخيل الله بن جاسر الفغم وهذا دليل على أنها قائمة في ذلك العهد ، أما شُعيّب فهو من بني عم المؤسس لكنه في وقت متأخر عن زمن المؤسس الأول ، وقد عاش في حدود عام ١٢٦٥ أي بعد تأسيس المستجدة بما يقارب القرن من الزمان ، والدليل على ذلك انه عندما غارت مياه آبار المستجدّة في عهد طلال بن رشيد ، وهي في عنفوان قوتها كان شعيبٌ هذا من أثرى أهل البلدة حيث يوجد لديه عدد من البساتين على أكثر من بئر معروفة الآن وعندما اجتمع أهلها عند أمير البلدة للنظر في مشكلة نقص الماء قال قولته المشهورة : (انا مستعد بحايف المستجدة ولايفها) بشرط ان تتركوا لي حرية نزف الماء كما أُريد ، فلم يوافقوه على ذلك ، ويعني كلامه انه مستعد بكل ما يترتب على البلد من التزامات نحو السلطة من دفع الزكاة وتجهيز الغزو وحماية البلد ، والقيام بواجب الضّيافة فيها وكل ما يلزمها . عند

ذلك تداعوا شرعاً حيث حكم لهم القاضي بأن تكون بداية سباق سوانيهم في آن واحد على صوت طلقة البندقية (ذات الفتيل) وهكذا فعلوا حتى توفرت المياه في جميع الآبار بعد فترة قصيرة الى ان عادت المياه إلى مجاريها.

ويمكن أن تكون علاقة شعيب مع صديان كما وردت في الأبيات الواردة في صفحتي ٥٣/٥٢ من واقع مركزه المالي في ذلك الحين والله أعلم.

هذه إلمامة سريعة فيا يتعلق بالكتاب أرجو أن يتقبلها المؤلف بصدر رحب ليضمنها الكتاب في حالة إعادة طباعته إن هو أراد.

عبد الرحمن بن زيد السويداء

مشايخ لا مشائخ

بعض من يحاول الحذلقة في كلامه يهمز ياء (مشايخ) فينطقها (مشائخ) وأنا من هذا البعض حتى نبهني أستاذنا الجليل الدكتور علي جواد الطاهر.

ولما رجعتُ الى كتب اللغة وجدت في «تاج العروس»: الشَّيْخ: من خمسين سنة الى آخر العمر.

جَمْعُهُ: شُيُوخ، وشِيوخ — بضم الشين وكسرها وأشياخٌ، وشيخةٌ، وشيخان، ومشيخة ومشيخة، ومَشْيُوخا، ومَشْيخاء.

أمّا مشايخ فقال بعض علماء اللغة: لا أصل له في كلام العرب.

وقال الزمخشريُّ: المشايخ ليست جمعاً لشيخ، وتصلح أن تكون جمع الجمع.

ثم نقل الزبيدي عن شيخه محمد بن الطِّيب الفاسي (١١١٠/ ١١٧٠هـ) عن حاشية الخفاجي على تفسير البيضاوي — قِيْل: مشايخ جمع شَيخ، لا على القياس، والتحقيق انه جمعُ مَشيخةٍ، وهي جمع شيخ.

ثم نقل عن الزمخشريِّ: يقولون: هاؤلاء الاشايخ يُراد جَمْعُ أشياخ — مثل أنابيب وأنياب. انتهى.

أما مشائخ — بالهمزة — فتغاير بنية الكلمة (ش ي خ) ولهذا فهي خطأ. وشكراً لأستاذنا الكريم الطاهر.

الأَحْساء — لا الإحساء

.. أحد المدرسين عندنا ينطق كلمة الأحساء — بكسر الهمزة ، ويقول انه النطق الصحيح ، خلاف ما ينطقه عامّةُ السُّكان .

فهل هذا صحيح .

معهد الأحساء العلمي — عبدالله أبو بشيت

نُطْقُ المدرس الذي ذكرتم خطأ ، لا شكَّ فيه ، وكثير من الأساتذة الوافدين على هذه البلاد ينطقون الاسم ، ويكتبونه خطأ بكسر الهمزة .

والصَّواب الذي لا مرية فيه فتح الهمزة — الأحساء لأنَّ الاسم أول ما وُضِعَ قُصِدَ به جَمْعُ حِسي ، كما نَصَّ على ذلك العلماء المتقدمون .

وتجد طائفة من النصوص المتعلقة في الموضوع في المجلد الأول من كتاب (المنطقة الشرقية) لصاحب هذه المجلة .

آل عيّاف — آل مقرن

اطّلعنا على كتاب «عنوان المجد في تاريخ نجد» وقد حقّقهُ وعلق عليه الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ .

وجاء في (ص ١٠ ج٢ طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩١) أن آل عيّاف انقرضوا ، ولم يبق منهم إلاّ ذرية الشيخ محمد بن عيّاف وهم عبد العزيز ومشاري وعبد الرحمن .

والحقيقة أن آل عياف لم ينقرضوا كما ذكر ، فقد بقي منهم ذرية الشيخ محمد المذكور .

وذرية الشيخ عبد العزيز بن حسن بن عيّاف الملقّب (أبو مناحي) وهم ثلاثة محمد وعبدالله وعبد الرحمن .

ومحمد له من الأولاد عبد العزيز وعبد الرحمن وخالد .

وذرية الشيخ محمد وذرية الشيخ عبد العزيز أبناء عمومة ، فنودُّ أن الشيخ عبد الرحمن يتدارك ويصحح التّعليق الذي أشرنا إليه ولا نظنُّ ذلك عليه بعسير ، والله المعين .

محمد وعبدالله وعبد الرحمن
أبناء عبد العزيز بن حسن بن عياف

□ ــ عيون التواريخ :

هذا الكتاب يعتبر من المصادر الوافية في التاريخ الإسلامي .

بدأه مؤلفه محمد بن شاكر الكتبي الدمشقي المتوفي سنة ٧٦٤ بالسيرة النبوية ، ثم استمر يسجل حوادث التاريخ ، وتراجم مشاهيره إلى عهده في أكثر من عشرين جزءاً) .

وقد طبع من هذا الكتاب جزء يحوي حوادث سنوات ما بين (٥٠٥ و ٥٥٥) في بغداد سنة ١٣٩٧ هـ بتحقيق الأستاذين الدكتور فيصل السامر ، ونبيلة عبد المنعم داود .

وجزء آخر ــ هو العشرون بحسب تجزئة المؤلف ــ يبتدىء بسنة ٦٤٥ وينتهي بسنة ٦٧٠ وليس آخر الكتاب .

وهذا الجزء حققه الأستاذان اللذان حققا الجزء الذي قبله ، ونشرته وزارة الثقافة والاعلام العراقية في سلسلة (كتب التراث) فكان الحلقة الـ(٩٠) وصدر في عام ١٤٠٠ ــ ١٩٨٠ م ــ وجاء في ٥٠٤ من الصفحات ، طباعة وتحقيقاً يمتازان عن كثير من المطبوعات .

ويظهر أن الدكتور السامر وزميلته في العمل رأيا أن الأجزاء الأخيرة من هذا التأريخ أجدر بالبَدْء بالنشر لقرب الأزمنة التي ورد تاريخها في تلك الأجزاء من عصر المؤلف ، فهو قد يضيف معلومات شاهدها وتراجم أدرك أصحابها ، بخلاف ما حوته الأجزاء الأولى التي يُعَوِّلُ المؤرخ فيها على النقل مما اطلع عليه من المؤلفات . ولهذا جاء في المقدمة : عن نشر الأجزاء التي تغطي الفترات اللاحقة في القرنين السابع والثامن : (اعتقاداً منّا بأهمية توفير مصادر أساسية ، وجديدة ، عن حقبة تاريخية ، تكاد أن تكون مهملة) .

وأتحف «العرب» بنسخة من هذا الجزء أستاذنا الكريم الدكتور علي جواد الطاهر ، ثم صدر الجزء الأول من هذا التاريخ بتحقيق الأستاذ حسام الدين القُدْسي ـــ رحمه الله ـــ مطبوعاً على نفقة الشيخ أبي منصور الحافظ ، في القاهرة في العام الماضي (١٩٨٠ م) بمقدمة ضافية عن المؤلف وعن وصف الأجزاء المخطوطة من الكتاب ، كتبها الأستاذ الحافظ .

ويحوي هذا الجزء السيرة النبوية وخلافة الصِّدِّيق .

ويقع في ٥١٦ صفحة من القطع الكبير ـــ بفهرس عامٍّ عن الموضوعات ليس مُفصَّلاً وجُهْد المحقق ـــ رحمه الله ـــ بارز في صفحات الكتاب .

وقد أفضل الناشر الكريم بإتحاف «العرب» بنسخة من هذا الجزء المفيد ، ونرجو أن تتظافر الجهود لنشر الكتاب كاملاً .

□ ـــ **الأمثال الشعبية :**

حَظِيَت الأمثال الشعبية في بلادنا بعناية كثير من الباحثين الذين اتجهوا لجمعها ودراستها ، ثم نشرها في مؤلفات .

ومن أول من اتجه لهذا الأستاذ الشيخ محمد العبودي ، والأستاذ الشيخ عبد الكريم الجُهيمان . فصدر للأول مؤلف ضخم يقع في خمسة أجزاء ـــ ٢١٨٨ صفحة ـــ يحوي ثلاثة آلاف مثل باللهجة العاميّة ، مشروحة ومقارنة بأمثال الناطقين بالعربية في الأقطار الأخرى ، وألحق بهذا المؤلف فهرس مفصّل رتبت فيه الأمثال على موضوعاتها وهي في الكتاب مرتبة على حروف المعجم ـــ وهذا المؤلف «الأمثال العامية في نجد» من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

أما مؤلف الأستاذ عبد الكريم بن جهيمان :

فقد صدر منه ستة أجزاء ، ولا يزال الأستاذ يوالي التأليف والنشر .

وصدر للأستاذ الشاعر يحيى بن إبراهيم الألمعي «الأمثال الشعبية في المنطقة الجنوبية» يضم (١٠٨٦) مثلاً ، بلهجة سكان منطقة عسير في كتاب بلغت صفحاته ٢٨٨ ...... والأمثال مضبوطة الكلمات بالشكل الكامل ، ومشروحة موضحة المعنى . وبصرف النظر

عن كون كثير منها لا يزال مستعملاً في مناطق أخرى من بلادنا — إلاَّ أنَّ ضَبْطَ النطق مع بعض المفردات المستعملة في هذا الجزء الحبيب من بلادنا مما يفيد المعنيين بدراسة اللّهجات .

وقد طبع الكتاب على نفقة سمو أمير الرياض الأمير سلمان بن عبد العزيز ، عام ١٤٠١هـ ويظهر أنه طبع في الرياض مع أن اسم المطبعة لم يذكر .

وأصدرت دار تهامة — في العام الماضي ١٤٠١هـ — كتاب «الأمثال الشعبية في مدن الحجاز» تأليف الأستاذ الجليل أحمد السباعي . ويحوي سرْداً لطائفة من الأمثال باللغة العاميَّة ، غير مضبوطة الكلمات ، ولا موضحة المعاني ، وهي مرتبة على حروف المعجم ، وكثير منها مما هو متداول في كثير من البلاد ، مع اختلاف يسير في طريقة النطق .

وبالإجمال فتلك المؤلفات ذخيرة جيِّدة لمن يعني بهذا النوع من المأثورات الشعبية ، ويحاول تنسيقها والمقارنة بين نصوصها وإرجاعها الى أصولها الصحيحة .

ثم الاستفادة منها في الدراسات الاجتماعية العامة لسكان هذه البلاد .

☐ — **موجز تاريخ الطب :**

أشارت «العرب» س ١٦ ص ٣١٦ إلى اتجاه الأستاذ الدكتور يوسف عبدالله الحُمَيدان لدراسة تاريخ الطب العربي ، والى صدور كتابين أَلَّفهما في هذا الموضوع . وها هو قسم ثالث عن «موجز تاريخ الطب لمرحلة ما قبل الإسلام» سار فيه المؤلف الكريم سيرته في سابقيه من مزج المعلومات التاريخية بالتحليلات الطبية ، وألحق به كثيراً من الصور والرسوم التوضيحية ، ومع جَفَاف كثير من الموضوعات التي تناولها الكتاب بالبحث إلاَّ أن أسلوب المؤلف السَّهل يدفع القارىء إلى عدم الإحساس بذلك الجفاف ، ويرجع هذا إلى أن الدكتور يوسف عانى الكتابة الأدبية منذ كان طالباً في القاهرة قبل ثلاثين عاماً حين كانت مجلة «اليمامة» في دورها الأول تنشر ما يكتبه لها بعنوان : (الأطباء يقولون) وهو الآن يوالي نشر مقالاته في المجلة الطبية التي تصدرها وزارة الصحة ، ويقوم الدكتور بالاشراف عليها .

و «موجز تاريخ الطب» من منشورات (الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون) والدكتور من أنشط العاملين فيها.

وقد صدر هذا العام مطبوعاً على (مطابع الفرزدق) في الرياض — بدون ذكر تاريخ الطبع.

☐ — اللغة العربية بين القاعدة والمثال.

ومن منشورات (نادي القصيم الأدبي) كتاب «اللغة العربية بين القاعدة والمثال» تأليف الأستاذ أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري.

والكتاب يضم مباحث في اللغة مختلفة، وفي قواعد الإملاء، وفي علامات الترقيم.

ويظهر أنه قسم من كتاب، ففي أعلى طُرَّته (الفنون الصغرى — السفر الثالث).

ومطالع هذا الكتاب — بعد أن يُجأَرَ إلى الله لكي يمنحه من الفهم ما يمكنه للاستفادة من هذا الكتاب: يبتهل إليه — جَلَّ وعَلا — أن يُمتِّعَ المؤلف الكريم بالصحة وطول العمر ليواصل الغَوْصَ في التراث العلمي بحثاً ودراسة وتحقيقاً.

ويقع الكتاب في (١٧٤) صفحة من القطع الكامل، وطباعته حسنة، بمطابع الفرزدق في الرياض، وصدر عام ١٤٠١هـ (١٩٨١م).

☐ — مجلة مجمع اللغة العربية الأردني:

وصدر الجزءان الحادي عشر والثاني عشر من السنة الرابعة من «مجلة مجمع اللغة العربية الأردني» في ٢٤٠ صفحة، يحوي موضوعات مُنوَّعة في اللغة والأدب ونقد الكتب، كما يتضمن أخباراً عن أعمال المجمع، وعن زواره.

ومن أطرف ما يحويه ذلك الجزء (النَّشامَى في اللغة العربية) هذه الكلمة الشائعة في كثير من الأقطار العربية.

وما أجمل أن يَتصَدَّى الباحثون من علمائنا إلى التغلغل في المجتمع العربي بالدراسة، وبذلك يكون لجهدهم الأثر النافع.

□ — المناسك وأماكن طرق الحج :

وصدرت الطبعة الثانية من كتاب «المناسك وأماكن طرق الحج ، ومعالم الجزيرة » للإمام ابراهيم الحربي (١٩٨/ ٢٨٥) أو لتلميذه محمد بن خلف — القاضي وكيع — ويحوي هذا الكتاب دراسة عن الحربي تقع في ٢٧٦ صفحة — ثم أصل الكتاب من ص ٢٧٩ إلى ص ٦٥٨ ثم الفهارس المفصلة من ص ٦٥٩ إلى ٨٠٤ .

والكتاب من أقدم المراجع وأوثقها في تحديد مواضع طرق الحج ، وفي عمارة المسجدين الكريمين في البلدتين الطاهرتين . وفيه مباحث جغرافية عن جزيرة العرب .

وقد صدر عام ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .

□ — مخطوطات فضائل بيت المقدس :

وقام (مجمع اللغة العربية الأردني) بنشر كتاب «مخطوطات فضائل بيت المقدس» تأليف الدكتور كامل جميل العسلي ، ويحوي وَصْفَ تسعة وأربعين مُؤَلَّفاً منها المطبوع ، ومنها المخطوط .

وجاءت هذه الدراسة في ١٤٤ صفحة ، مطبوعة في عَمَّان سنة ١٩٨١ م .

وحبَّذا لو شمل مثلُ هذا العمل المُدن العربية كلَّها ؛ ليكون خير عَوْنٍ لمن يتصدَّى لدراسة تاريخها بل البحث في أحوالها بصفة عامَّة .

□ — جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد :

هذا الكتاب من تأليف صاحب هذه المجلة ، وقد صدر في جُزْءين صفحاتهما ٩٩٢ .

الأول : يحوي من الأسماء من حرف الألف إلى آخر حرف الضاد .

والثاني : يحوي بقية الحروف .

وطباعة الكتاب من حيث الحروف والورق حسنة بمطبعة نهضة مصر ، في القاهرة .

وصدر في عام ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) وهو من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

□ — الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

ألف حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ — الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رسالة قيمة بعنوان «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الماضي والحاضر» تحوي معلومات وافية من الكتاب والسنة ، مع توجيهات وارشادات عامّة تتعلق بذلكَ العمل الجليل ، من كبار المسؤولين عنه ، ومن فضيلة الشيخ عبد العزيز .

وتقع تلك الرسالة في ٨٠ صفحة بطباعة حسنة ، وقد صدرت في العام الماضي (١٤٠١ هـ) مطبوعة بمطابع (جاكمعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) في الرياض .

وهذه الرسالة جديرة بالمطالعة لإدراك الغاية السامية التي تهدف هيئات الأمر بالمعروف في هذه البلاد لتحقيقها ، ولإزالة ما علق في أذهان كثير من الذين يجهلون تلك الغاية ، أو يتخذون من بعض حوادث الأفراد وسيلة لتشويهها .

□ — علي بن المقرب العيوني .

تقدم الأستاذ الدكتور علي بن عبد العزيز الخُضَيْري في (جامعة الإمام محمد بن سعود) في الرياض بدراسة وافية عن الشاعر الاحسائي علي بن مُقَرَّب المتوفى سنة ٦٣٠ — تقريباً — تقدم بتلك الدراسة فنال بها اجازة (الدكتوراه) بمرتبة الشرف .

وتقع في بابين :

الأول — عن عصر الشاعر وحياته .

والثاني — عن دراسة شعره .

وقد أوْفى كُلٌّ موضوع حقه من البحث — مع قلة المصادر عن أحوال ذلك الشاعر ، وقد رجع الى ما يزيد على سبعين مصدراً . وصدرت تلك الدراسة مطبوعة في مجلد بلغت صفحاته ٥٤٩ — عن (مؤسسة الرسالة) في بيروت في العام الماضي (١٤٠١ هـ) .

□ — محمد علي وشبه الجزيرة العربية :

هذا الكتاب هو الجزء الثاني من كتاب «من تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث» .

أما الجزء الأول فهو : «الدولة السعودية الأولى» الذي صدر في طبعته الثالثة سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) عن (دار الكتاب الجامعي) في القاهرة .

وهذا الجزء المتعلق بمحمد علي — يتناول حقبة من التاريخ فيما بين سنتي ١٢٣٤ و١٣٥٦هـ (١٨١٩ و١٨٤٠م) ويقع في أبواب خمسة ، تحوي ثلاثة عشر فصلاً وخاتمة ، ها هو تفصيلها :

الباب الأول : محمد علي وشبه الجزيرة في أعقاب سقوط الدرعية ، وفيه فصول :

١ — الوضع في نجد وشرقي شبه الجزيرة في تلك الفترة .
٢ — الحجاز وعسير واليمن .
٣ — نُظُم الحكم والإدارة .

الباب الثاني : محمد علي والحجاز وعسير . وفصوله :
٤ — تمردات عربان الحجاز والاشراف .
٥ — ثورة عسير .
٦ — ثورة الجنود غير النظاميين

الباب الثالث : محمد علي واليمن . وفصوله :
٧ — محمد علي واليمن
٨ — موقف بريطانيا من تدخل قوات محمد علي في اليمن .

الباب الرابع : محمد علي ونجد . وفصوله :

٩ — تركي بن عبدالله وعودة النفوذ السعودي الى الحكم
١٠ — فيصل بن تركي وعلاقته بحكومة الحجاز .

الباب الخامس : محمد علي وشرق شبه الجزيرة ، وفصوله :

١١ — حملة خورشيد على الأحساء والبحرين .

١٢ — سياسة محمد علي إزاء إمارات الساحل العُماني وسلطنة مسقط.
١٣ — محمد علي وشمال الخليج (الكويت والبصرة والعراق).

وخاتمة الكتاب: صورة الوضع في شبه الجزيرة في نهاية فترة حكم محمد علي ثم الملاحق. فهارس مفصلة وافية. وذكر المصادر.

ومؤلف الكتاب هو الأستاذ الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الأستاذ في كليتي الانسانيات في جامعتي الأزهر وقطر، الذي أفضل بإهداء نسخة منه اليّ.

ويقع هذا الجزء في ٦٧٠ صفحة، بطباعة حسنة عن (مطابع الجبلاوي في القاهرة، وهو من منشورات (دار الكتاب الجامعي) في القاهرة لعام (١٩٨١م) ١٤٠١ هـ.

ومما يحويه هذا القسم مجموعة من الوثائق التاريخية، من كتب وتقارير عن الحقبة التي تناولها المؤلف بالدراسة والبحث. وهي وثائق لم يسبق ان اطلعت عليها منشورة في غير هذا الكتاب، وأصولها محفوظة في (دار الوثائق التاريخية) في القاهرة. وتقع تلك الوثائق من هذا الجزء في مئتي صفحة فيما بين صفحتين ٤٠٢ و٦٠٤.

وبالإجمال فالكتاب بجزءيه يُعَدُّ من المصادر المهمة التي لا يستغنى عنها الباحث في تاريخ (شبه الجزيرة العربية) في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي).

□ — الحصري:

وصدر للدكتور محمد بن سعد الشويعر كتاب «الحُصْري وكتابه زهر الآداب» يحوي دراسة واسعة عن ابراهيم بن علي الحُصْري المتوفي سنة ٤٥٣ هـ من علماء الأدب والنقد، وهو من القيروان، من البلاد التونسية.

وتقع تلك الدراسة في مقدمة وثلاثة أبواب شملت الموضوعات المتعلقة بالحصري، وبكتابة المذكور الذي استغرقت دراسته كثيراً من فصول الكتاب.

وجاء الكتاب في مجلد بلغت صفحاته (٦٠٨). وقد قامت بنشر الكتاب (الدار العربية) في تونس وصدر هذا العام في طباعة حسنة.

فهارس السنة السادسة عشرة

أولاً : الكتاب والمعلقون

ثانيًا : الموضوعات العامة

ثالثا : الأعلام

رابعًا : القبائل والأسر والجماعات

خامسًا : أسماء الكتب والصحف

سادسًا : المواضع